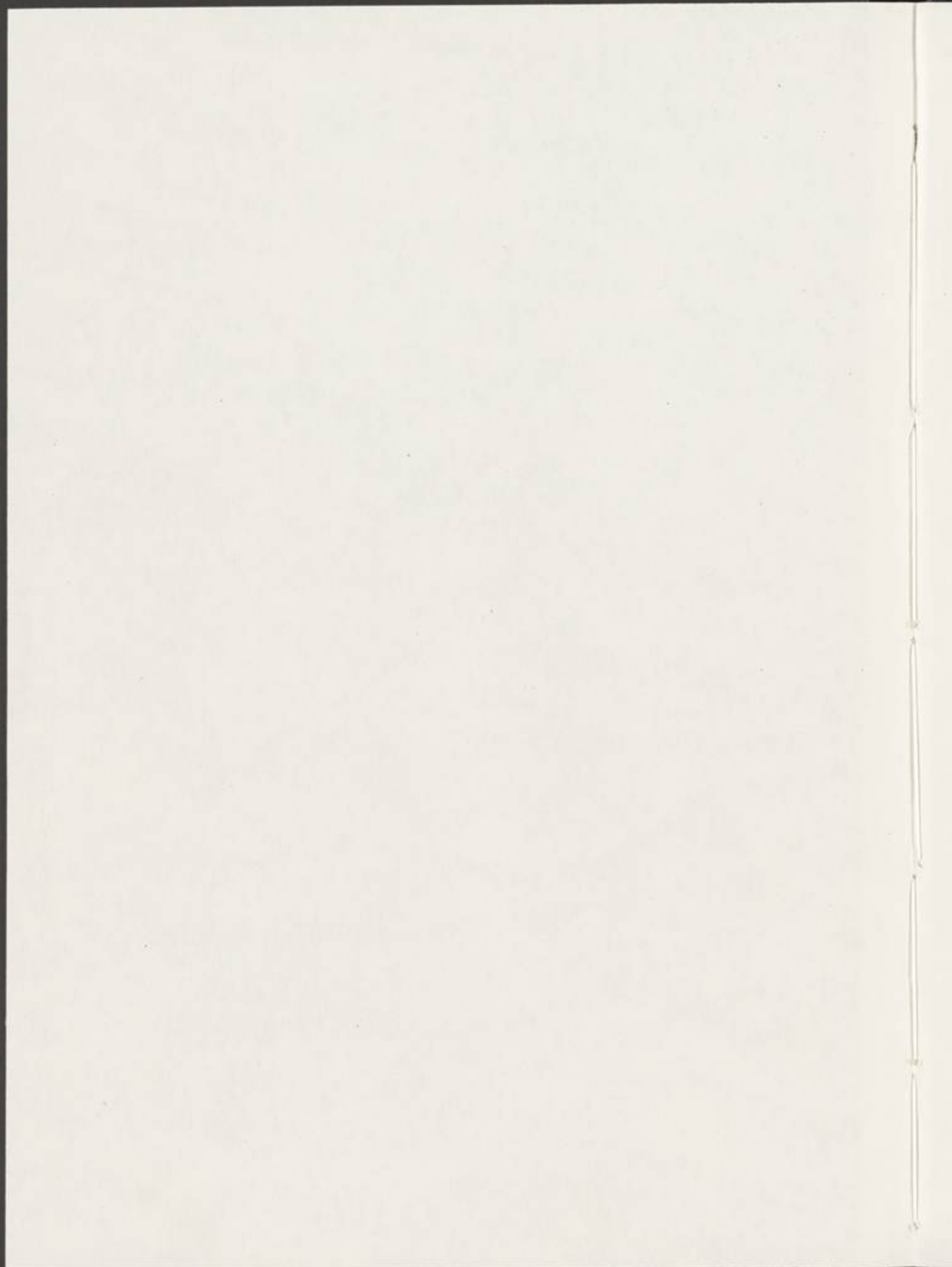


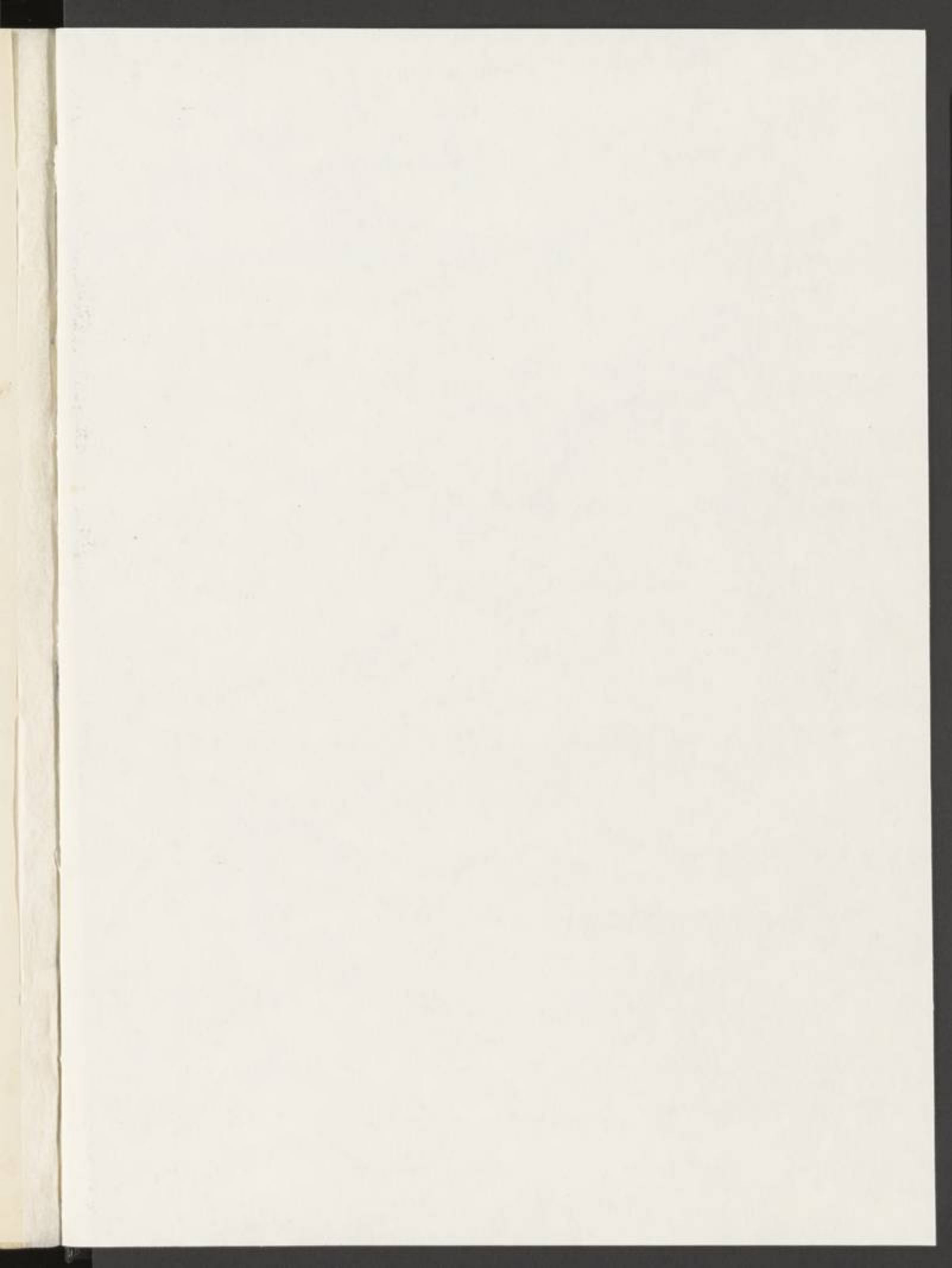
1811



Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University





al-Tabari, 838-923.

/'Jāmi' al-bayān/

جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

نَاوِيلِ أَبِي الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم
« ما أعلم على آدم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى ٣١٠ سنة

الجزء الثاني والعشرون

الطبعة الثانية

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

4057 044

Handwritten text in Arabic script, likely bleed-through from the reverse side of the page.

Faint, illegible text, possibly bleed-through or very light handwriting.

BP

130

.4

.T3

1954

v. 22-25

LT

JUN 15 2011

5204

فهارس الجزء الثاني والعشرين

من

جامع البيان ، عن تاويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الاول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للبوضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
				<u>سورة الأحزاب</u>	
٣١	ومن يقنت منكنّ لله ورسوله . . .	١	٥٢	لا يجلبّ لك النساء من بعد . . .	٢٨
٣٢	يا نساء النبيّ لستنّ كأحد من النساء . . .	٢	٥٣	يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا . . .	٣٣
٣٣	وقرنّ في بيوتكنّ ولا تبرّجن . . .	٢	٥٤	إن تبدوا شيئا أو تخفوه . . .	٤١
٣٤	واذكرنّ ما يتلى في بيوتكنّ . . .	٩	٥٥	لا جناح عليهنّ في آباطهنّ . . .	٤١
٣٥	إنّ المسلمين والمسلمات . . .	٩	٥٦	إنّ الله وملائكته يصلون على النبيّ . . .	٤٣
٣٦	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة . . .	١١	٥٧	إنّ الذين يؤذون الله ورسوله . . .	٤٤
٣٧	وإذ تقول للذي أنعم الله عليه . . .	١٢	٥٨	والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات . . .	٤٤
٣٨	ما كان على النبيّ من حرج فيما . . .	١٤	٥٩	يا أيها النبيّ قل لأزواجك . . .	٤٥
٣٩	الذين يبلغون رسالات الله . . .	١٥	٦٠	لئن لم ينته المنافقون . . .	٤٧
٤٠	ما كان محمد أبا أحد من رجالكم . . .	١٦	٦١	ملعونين أينما ثقفوا . . .	٤٧
٤٢	وسبحوه بكرة وأصيلا .	١٦	٦٢	سنة الله في الذين خسلوا من قبل . . .	٤٨
٤٣	هو الذي يصلى عليكم وملائكته .	١٦	٦٣	يسألك الناس عن الساعة . . .	٤٩
٤٤	تحيتهم يوم يلقونه سلام . . .	١٦	٦٤	إنّ الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيرا .	٤٩
٤٥	يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهدا . . .	١٨	٦٥	خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا . . .	٤٩
٤٦	وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا .	١٨	٦٦	يوم تقلّب وجوههم في النار . . .	٤٩
٤٧	وبشر المؤمنين بأنّ لهم من الله . . .	١٨	٦٧	وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا . . .	٥٠
٤٨	ولا تطع الكافرين والمنافقين . . .	١٨	٦٨	ربنا آتهم ضعفين من العذاب . . .	٥٠
٤٩	يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم . . .	١٩	٦٩	يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا . . .	٥٠
٥٠	يا أيها النبيّ إنا أحللتنا لك أزواجك . . .	٢٠	٧٠	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . . .	٥٣
٥١	تترجى من نساء منهنّ . . .	٢٤	٧١	يصلح لكم أعمالكم . . .	٥٣
			٧٢	إنا عرضنا الأمانة على السموات . . .	٥٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
				تفسير سورة سبأ	
١	الحمد لله الذى له ما فى السموات . . .	٥٨	٢٧	قل : أرونى الذين أحقتم به . . .	٩٦
٢	يعلم ما يلج فى الأرض . . .	٥٩	٢٨	وما أرسلناك إلا كافة . . .	٩٦
٣	وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة . . .	٥٩	٢٩	ويقولون متى هذا الوعد . . .	٩٦
٤	ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات . . .	٦١	٣٠	قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه . . .	٩٦
٥	والذين سَعَوْا فى آياتنا معاجزين . . .	٦١	٣١	وقال الذين كفروا لن نؤمن . . .	٩٧
٦	ويرى الذين أوتوا العلم . . .	٦٢	٣٢	قال الذين استكبروا . . .	٩٧
٧	وقال الذين كفروا هل نذلکم . . .	٦٢	٣٣	وقال الذين استضعفوا . . .	٩٧
٨	أفترى على الله كذبا . . .	٦٣	٣٤	وما أرسلنا فى قرية من نذير . . .	٩٩
٩	أفلم يروا إلى ما بين أيديهم . . .	٦٤	٣٥	وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا . . .	٩٩
١٠	ولقد آتينا داود منا فضلا . . .	٦٥	٣٦	قل : إن ربى يبسط الرزق . . .	٩٩
١١	أن اعمل سابيغات وقدر فى السرد . . .	٦٥	٣٧	وما أموالکم ولا أولادکم . . .	١٠٠
١٢	ولسليمان الريح غدوها شهر . . .	٦٨	٣٨	والذين يسعون فى آياتنا . . .	١٠١
١٣	يعملون له ما يشاء من محاريب . . .	٧٠	٣٩	قل إن ربى يبسط الرزق . . .	١٠١
١٤	فلما قضينا عليه الموت . . .	٧٣	٤٠	ويوم يحشرهم جميعا . . .	١٠٢
١٥	لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية . . .	٧٦	٤١	قالوا سبحانك أنت ولينا . . .	١٠٢
١٦	فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم . . .	٧٨	٤٢	فاليوم لا يملك بعضکم لبعض . . .	١٠٢
١٧	ذلك جزيناهم بما كفروا . . .	٧٨	٤٣	وإذا تتلى عليهم آياتنا . . .	١٠٢
١٨	وجعلنا بينهم وبين القرى . . .	٨٣	٤٤	وما آتيناهم من كتب يدرسونها . . .	١٠٣
١٩	فقالوا : ربنا باعد بين أسفارنا . . .	٨٥	٤٥	وكذب الذين من قبلهم . . .	١٠٣
٢٠	ولقد صدق عليهم إبليس ظنه . . .	٨٧	٤٦	قل إنما أعظکم بواحدة . . .	١٠٤
٢١	وما كان له عليهم من سلطان . . .	٨٨	٤٧	قل ما سألتکم من أجر . . .	١٠٥
٢٢	قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله . . .	٨٨	٤٨	قل إن ربى يقذف بالحق . . .	١٠٥
٢٣	ولا تنفع الشفاعة عنده . . .	٨٩	٤٩	قل جاء الحق . . .	١٠٥
٢٤	قل من يرزقکم من السموات . . .	٩٣	٥٠	قل إن ضللت فإنا أضل على نفسى	١٠٦
٢٥	قل لا تسألون عما أجرمتنا . . .	٩٥	٥١	ولو ترى إذ فرعوا . . .	١٠٦
٢٦	قل يجمع بيننا ربنا . . .	٩٥	٥٢	وقالوا آمنا به . . .	١٠٩
			٥٣	وقد كفروا به من قبل . . .	١١١
			٥٤	وحيل بينهم وبين ما يشتهون .	١١٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
				<u>تفسير سورة فاطر</u>	
١	الحمد لله فاطر السموات والأرض ...	١١٤	٢٧	ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ...	١٣١
٢	ما يفتح الله للناس من رحمة ...	١١٥	٢٨	ومن الناس والدواب والأنعام ...	١٣١
٣	يا أيها الناس اذكروا نعمة الله ...	١١٥	٢٩	إن الذين يتلون كتاب الله ...	١٣٢
٤	وإن يكذبوك فقد كذبت رسل ...	١١٦	٣٠	ليوفيهم أجورهم ، ويزيدهم ...	١٣٢
٥	يا أيها الناس إن وعد الله حق ...	١١٦	٣١	والذي أوحينا إليك من الكتاب ...	١٣٣
٦	إن الشيطان لكم عدو ...	١١٧	٣٢	ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا ...	١٣٣
٧	الذين كفروا لهم عذاب شديد ...	١١٧	٣٣	جنات عدن يدخلونها ...	١٣٨
٨	أفمن زين له سوء عمله ؟	١١٨	٣٤	وقالوا : الحمد لله الذي أذهب ...	١٣٨
٩	والله الذي أرسل الرياح	١١٩	٣٥	الذي أحلنا دار المقامة ...	١٣٩
١٠	من كان يريد العزة ...	١١٩	٣٦	والذين كفروا لهم نار جهنم ...	١٤٠
١١	والله خلقكم من تراب ...	١٢١	٣٧	وهم يصطرخون فيها ...	١٤٠
١٢	وما يستوى البحران ...	١٢٣	٣٨	إن الله عالم غيب السموات والأرض ...	١٤٢
١٣	يولج الليل في النهار ...	١٢٤	٣٩	هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ...	١٤٣
١٤	إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ...	١٢٥	٤٠	قل أرأيتم شركاءكم ...	١٤٣
١٥	يا أيها الناس أنتم الفقراء ...	١٢٦	٤١	إن الله يمسك السموات والأرض ...	١٤٤
١٦	إن يشأ يذهبكم ...	١٢٦	٤٢	وأقسموا بالله جهد أيمانهم ...	١٤٥
١٧	وما ذلك على الله بعزيز ...	١٢٦	٤٣	استكبارا في الأرض ...	١٤٥
١٨	ولا تزر وازرة وزر أخرى .	١٢٦	٤٤	أو لم يسيروا في الأرض ...	١٤٦
١٩	وما يستوى الأعمى والبصير .	١٢٦	٤٥	ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ...	١٤٧
٢٠	ولا الظلمات ولا النور .	١٢٨			
٢١	ولا الظل ولا الخروار .	١٢٨			
٢٢	وما يستوى الأحياء ولا الأموات .	١٢٨			
٢٣	إن أنت إلا نذير ...	١٢٨			
٢٤	إنا أرسلناك بالحق بشيرا ...	١٣٠			
٢٥	وإن يكذبوك فقد كذب ...	١٣٠			
٢٦	ثم أخذت الذين كفروا ...	١٣٠			
				<u>تفسير سورة يس</u>	
١	يس .	١٤٨	١	يس .	١٤٨
٢	والقرآن الحكيم .	١٤٨	٢	والقرآن الحكيم .	١٤٨
٣	إنك لمن المرسلين .	١٤٨	٣	إنك لمن المرسلين .	١٤٨
٤	على صراط مستقيم .	١٤٨	٤	على صراط مستقيم .	١٤٨
٥	تنزيل العزيز الرحيم .	١٤٩	٥	تنزيل العزيز الرحيم .	١٤٩
٦	لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ...	١٤٩	٦	لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ...	١٤٩
٧	لقد حق القول على أكثرهم ...	١٤٩	٧	لقد حق القول على أكثرهم ...	١٤٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨	إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا . . .	١٥٠	١٨	قالوا : إنا تطيرنا بكم . . .	١٥٧
٩	وجعلنا من بين أيديهم سدا . . .	١٥٠	١٩	قالوا : طائرکم معکم . . .	١٥٧
١٠	وسواء عليهم أأنذرتهم . . .	١٥٣	٢٠	وجاء من أقصى المدينة . . .	١٥٧
١١	إنما تنذر من اتبع الذكر . . .	١٥٣	٢١	اتبعوا من لا يسألکم أجرا . . .	١٥٧
١٢	إنا نحن نحجي الموتى . . .	١٥٣	٢٢	ومالی لأعبد الذي فطرنی . . .	١٥٩
١٣	واضرب لهم مثلا . . .	١٥٥	٢٣	أأخذ من دونه آفة . . .	١٥٩
١٤	إذ أرسلنا إليهم اثنين . . .	١٥٥	٢٤	إني إذا لقي ضلال مبين .	١٦٠
١٥	قالوا : ما أتم إلا بشر مثلنا . . .	١٥٦	٢٥	إني آمنت بربکم فاسمعون .	١٦٠
١٦	قالوا : ربنا يعلم إنا إليکم لمرسلون .	١٥٦	٢٦	قبل ادخل الجنة قال يا ليت قومي . . .	١٦١
١٧	وما علينا إلا البلاغ المبين .	١٥٦	٢٧	بما غفر لی ربي وجعلنی من المکرمين .	١٦١

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٣٤	١
تأويل قوله « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ، وما كان من بعضهم من التحدث طويلا في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .	تأويل قوله « ومن يقنت منكن » ، وأن الرزق الكريم الجنة .
٤١	٣
تأويل قوله « لا جناح عليهن » ، وأن ذلك في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن يجوز لهن إظهار الزينة عندهم .	المراد بمرض القلوب : الشهوات .
٤٣	٤
كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .	معنى الجاهلية الأولى .
٤٤	٦
طعن المنافقين على رسول الله صلى الله عليه وسلم في زواجه صفية .	من هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم ؟ .
٤٥	٩
تأويل قوله « يا أيها النبي قل لأزواجك ... الآية ، وما يجب على المرأة ستره عند الخروج .	تأويل قوله « واذكرن ما يتلى في بيوتكن » ، والمراد من الحكمة التي تتلى .
٥١	١١
ما آذى به بنو إسرائيل موسى .	تأويل قوله « وما كان لمؤمن ... الآية ، وما كان من زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمولاه زيد بن حارثة .
٥٣	١٣
تأويل قوله « إنا عرضنا الأمانة » ، والمراد بالأمانة المعروضة ، وكيفية عرضها .	زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمة المؤمنين زينب بنت جحش .
٥٨	١٦
تفسير سورة سبأ	تأويل قوله « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم » وبيان أنها نزلت في زيد بن حارثة .
٦٢	١٩
تأويل قوله « ويرى الذين أوتوا العلم » ، ومن هم ؟	المرء إذا طلق امرأته قبل الدخول بانته ولا عدة عليها وعليه لها نصف المهر إن سُمِّيَ وإلا فللمتعة .
٦٢	٢٠
ما كان يستغربه المشركون من الإعادة حتى تسبوا الآتي بذلك إلى الكذب أو الجنون .	ما أحل الله لنبيه من النساء .
٦٥	٢٤
ما أوتيه داود من المعجزات ، وعمه الدروع السابغات .	تأويل قوله « ترجى من تشاء منهن » ، وأن القسم كان ليس بواجب عليه .
٦٨	٢٨
تأويل قوله « ولسليمان الريح » ، وما أوتيه من تسخير الريح والشياطين له .	تأويل قوله « لا يحل لك النساء » ، والخلاف في أن تلك الآية نسخت أو استمرت معمولاً بها .

الصفحة	الموضوعات	الصفحة
١٢٠	العزة لا تكون إلا في طاعة الله ، وكيفية رفع الكلم الطيب ، وإفساد الرياء للعمل .	٧٣
١٢٤	تأويل قوله « يولج الليل في النهار » . . . الآية ، ومعنى القبطيمير .	ذلك على الشياطين .
١٢٨	تأويل قوله « وما يستوى الأعمى والبصير » ، وأنها أمثال ضربت للمؤمن والكافر .	٧٦
١٣٢	الخوف من الله دأب العلماء العالمين به .	تأويل قوله « لقد كان لسبأ » ، وذكر نسب سبأ ، وخبر سدّهم ، والسيل الذي أرسل عليهم .
١٣٣	تأويل قوله « ثم أورثنا الكتاب » ، وأن هؤلاء الأصناف من أهل الجنة جميعهم أم لا ؟	٨٧
١٤٠	أهل النار لا يخفف عنهم نوع العذاب .	تأويل قوله « ولقد صدق عليهم إبليس ظنه » وبيان الظن الذي كان ظنه .
١٤٥	تأويل قوله « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » ، وما كان عليه المشركون من طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما جاءهم كفروا به .	٩٠
١٤٨	تفسير سورة يس	ما يحدث في الملا الأعلى عند حدوث أمر إلهي .
١٥٠	تأويل قوله « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا » وأن في الآية حذفاً ، والشاهد عليه .	٩٣
١٥٣	بيان أن خُطَطًا الإنسان إلى الخير تكتب له حسنات .	تأويل قوله « قل من يرزقكم من السموات والأرض » ، ومعنى « أو » والشواهد عليها .
١٥٥	خبر أصحاب القرية والرسل الذين أرسلوا إليها .	٩٧
		كفر المشركين بالقرآن ، وبالذي بين يديه من الكتب .
		١٠٦
		تأويل قوله « ولو ترى إذ فزعوا » وخروج السفيناني بجيشه آخر الزمان ، وخسف الأرض بهم .
		١١٢
		يشتهي المشركون الإيمان فيحال بينهم وبينه .
		١١٤
		تفسير سورة فاطر
		١١٤
		أصناف الملائكة ، والشواهد على عدم صرف مشنتي وما معه .
		١١٦
		تأويل قوله « وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك » ، ومعنى الغرور .

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٣٥	فَيْهَقُ	٧١	خارجا		
٣٥	مُوقِقُ		د	١١٠	الفلا
٦٦	الطَّرِيقِ	٣٥	مُقْتَادِهَا		
	ل		ر	٣٦	إِبَاءُ
٧٤	وَالغَزَلُ	٥٩	الإِبْرُ	٣٦	بِقَاءُ
٦٧	وَأَذَالهَا	١٠٩	أُمُورُ	٣٤	الآثَاءُ
	م	٧٠	مُسْتَسِيرُ		
		١١٤	المُدْبِرُ	ب	
٧٨	العَرِمُ	١٣	وَطَرًا	٣٦	جَنِيْبُ
٧٨	يَرِمُ	٢١	مَصْدَرًا	٣٦	شَطِيْبُ
١٤٦	قَوْمِ		ص	١٤٠، ٦٥	تَأْوِيْبُ
٩٨	بِنَائِمِ	١٣١	دَلِيصِ	١١٣	غَيْبُ
	ن		ع	١١٣	تَوْبِي
		٦٧	تَبِعُ	١١٣	بِرِيْبِ
١٠٧	الْيَقِيْنُ	٣٤	سُجْعًا	٩٤	وَالْحِشَابَا
١٥١	يَلِيْنِي		ف	ت	
١٥١	يَأْتَلِيْنِي	١٠٠	مُخْتَلِفُ	٢	الْحَشْرَاتِ
	ي		ق	٢	بِكْرَاتِ
٩٤	غَيًّا	٧١	تَفْهَقُ	٧١	صُهَارِجَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

* وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ، وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا

كَرِيمًا (٣١)

يقول تعالى ذكره : ومن يطع الله ورسوله منكن ، وتعمل بما أمر الله به (نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) يقول : يعطها الله ثواب عملها ، مثل ثواب عمل غيرهن من سائر نساء الناس (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) يقول : وأعدنا لها في الآخرة عيشا هنيئا في الجنة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) . . . الآية ، يعني : تطع الله ورسوله . (وَتَعْمَلْ صَالِحًا) تصوم وتصلي .

حدثني سلم بن جنادة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ابن عون ، قال : سألت عامرا عن القنوت ، قال وما هو ؟ قال : قلت (وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) قال : مطيعين ؛ قال : قلت : (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) قال : يُطِيعُنَّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) أي من يطع منكن الله ورسوله (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) وهي الجنة .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَتَعْمَلْ صَالِحًا) فقرأ عامة قراء الحجاز والبصرة : (وَتَعْمَلْ) بالتاء رداً على تأويل من إذ جاء بعد قوله (مِنْكُنَّ) . وحكى بعضهم عن العرب أنها تقول : كم بيع لك جارية وأنهم إن قدموا الجارية قالوا : كم جارية بيعت لك ؟ فأنشوا الفعل بعد الجارية ، والفعل في الوجهين لكم لالجارية . وذكر القراء أن بعض العرب أنشده :

(١) من هنا إلى آخر الحديث ساقط من الأصل ، وهو في الدر المنثور للسيوطي (٥ : ١٩٦) .

أَيَا أُمَّ عَمْرٍو مَنْ يَكُنْ عَقْرُ دَارِهِ جِوَاءَ عَدِيَّ يَأْكُلِ الْحَشْرَاتِ
وَيَسْوَدُّ مِنْ لَفْحِ السَّمُومِ جِيئُهُ وَيَعْرُو إِنْ كَانُوا ذَوِي بَكَرَاتٍ
فقال : وإن كانوا ولم يقل : وإن كان ، وهو لمن فردّه على المعنى . وأما أهل الكوفة ، فقرأت ذلك عامة
قراءتها (وَيَعْمَلُ) بالياء عطفًا على يقنت ، إذ كان الجميع على قراءة الياء .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان في كلام العرب ، فبأيهما قرأ
القارى فمصيب ، وذلك أن العرب تردّ خبر « من » أحياناً على لفظها ، فتوحد وتذكر ، وأحياناً على معناها ،
كما قال جل ثناؤه (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ، أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ) فجمع مرة للمعنى ، ووحد أخرى للفظ .

القول في تأويل قوله تعالى

يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتَ مِنْ اَلنِّسَاءِ اِنَّ اَتَّقِيْنَ ، فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ
مَرَضٌ ، وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ اَلْأُولَىٰ ،
وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اَللَّهَ وَرَسُوْلَهُ ، اِنَّمَا يُرِيْدُ اَللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ
اَلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)

يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا نساء النبي لستن من النساء)
من نساء هذه الأمة (إن اتقيتن) الله فأطعته فيما أمركن ونهاكن .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا نساء النبي لستن
كأحد من النساء) : يعنى من نساء هذه الأمة .
وقوله (فلا تخضعن بالقول) : يقول : فلا تلن بالقول للرجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكن .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (يا نساء النبي لستن من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول) : يقول
لأترخصن بالقول ، ولا تخضعن بالكلام .

(١) البيت : من شواهد الفراء فى (معانى القرآن مصورة الجامعة ٢٥٦) قال : أنشدنى بعض العرب . وعقر الدار : أصلها ، وقيل
وسطها ، وهو محلة القوم . والجواء : الفرجة التى بين محلة القوم ووسط البيوت ، ويقال : نزلنا فى جواء بنى فلان ، وقد بين
أبو جعفر الطبرى موضع الشاهد فى البيت ، ناقلا له عن الفراء ، ولم يذكر قائل البيت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) :
 قال : خضع القول : ما يكره من قول النساء للرجال ، مما يدخل في قلوب الرجال .
 وقوله (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) يقول : فيطمع الذي في قلبه ضعف ، فهو لضعف إيمانه
 في قلبه ، إما شك في الإسلام منافق ، فهو لذلك من أمره يستخف بحدود الله ، وإما متهاون بإتيان القواحش .
 وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : إنما وصفه بأن في قلبه مرضا ، لأنه منافق .
 ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) :
 قال : نفاق .

وقال آخرون : بل وصفه بذلك ، لأنهم يشتهون إتيان القواحش .
 ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) قال :
 قال عكرمة : شهوة الزنا .

وقوله (وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) : يقول : وقلن قولاً قد أذن الله لكم به وأباحه .
 كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا)
 قال : قولاً جميلاً حسناً معروفًا في الخير .

واختلفت القراء في قراءة قوله : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) ، فقراءته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين :
 (وَقَرْنَ) بفتح القاف ، بمعنى : واقرنن في بيوتكن ، وكأن من قرأ ذلك كذلك حذف الراء الأولى من
 اقررن ، وهي مفتوحة ، ثم نقلها إلى القاف ، كما قيل (فَظَلَّمْتُمْ تَفَكَّهُونَ) وهو يريد فَظَلَمْتُمْ ، فأسقطت
 اللام الأولى وهي مكسورة ، ثم نقلت كسرتها إلى الظاء . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة : (وَقِيرْنَ)
 بكسر القاف ، بمعنى : كنن أهل وقار وسكينة (فِي بُيُوتِكُنَّ) .

وهذه القراءة وهي الكسر في القاف : أولى عندنا بالصواب ، لأن ذلك إن كان من الوقار على ما اخترنا
 فلا شك أن القراءة بكسر القاف ، لأنه يقال : وَقَرَّ فلان في منزله ، فهو يَقَرُّ وَقُورًا ، فتكسر القاف في « تفعل »
 فإذا أمر منه قيل : قَبِرْ كما يقال من وَزَنَ يَزِنُ زِنًا ، ومن وَعَدَ يَعِدُ عِدًّا ، وإن كان من القرار ، فإن الوجه
 أن يقال : اقْبِرْنَ ، لأن من قال من العرب : ظَلَمْتُ أَفْعَلُ كَذَا ، وَأَحَسَسْتُ بِكَذَا ، فأسقط عين الفعل ،
 وحول حركتها إلى فائه في فَعَلَّ وَفَعَلْنَا وَفَعَلْتُمْ ، لم يفعل ذلك في الأمر والنهي ، فلا يقول : ظل قائما ، ولا
 لا تظلل قائما ، فليس الذي اعتل به من اعتل ، لصحة القراءة بفتح القاف في ذلك ، يقول العرب في ظَلَمْتُ
 وَأَحَسَسْتُ : ظَلَمْتُ وَأَحَسَسْتُ ، بعلة توجب صحته ، لما وصفت من العلة . وقد حكى بعضهم عن بعض
 الأعراب سماعا منه : يَنْحَطِّطْنَ من الجبل ، وهو يريد : يَنْحَطِّطْنَ ، فان يكن ذلك صحيحا ، فهو أقرب
 إلى أن يكون حجة لأهل هذه القراءة من الحججة الأخرى .

وقوله (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) قيل : إن التبرُّج في هذا الموضع : التبختر والتكسر ، ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) : أى إذا خرجت من بيوتكن ، قال : كانت هن مشية وتكسر وتغنج ، يعنى بذلك الجاهلية الأولى فنهاهن الله عن ذلك ، حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسبة ، قال : سمعت ابن أبي نجيح ، يقول في قوله (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) قال : التبختر . وقيل : إن التبرُّج هو إظهار الزينة ، وإبراز المرأة محاسنها للرجال . وأما قوله (تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) فإن أهل التأويل اختلفوا في الجاهلية الأولى ، فقال بعضهم : ذلك ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن زكريا ، عن عامر (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) قال : الجاهلية الأولى : ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام . وقال آخرون ذلك ما بين آدم ونوح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبيه ، عن الحكم (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) قال : وكان بين آدم ونوح ثمان مئة سنة ، فكان نساؤهم من أقبح ما يكون من النساء ، ورجالهم حسان ، فكانت المرأة تريد الرجل على نفسه ، فأنزلت هذه الآية (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) . وقال آخرون : بل ذلك بين نوح وإدريس .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن زهير ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا داود ، يعنى ابن أبي الفرات ، قال : ثنا علباء بن أحمد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : تلا هذه الآية (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) قال : كان فيما بين نوح وإدريس ، وكانت ألف سنة ، وإن بطنين من ولد آدم ، كان أحدهما يسكن السهل ، والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحا ، وفي النساء دمامة ، وكان نساء السهل صباحا ، وفي الرجال دمامة ، وإن إبليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام ، فأجر نفسه منه ، وكان يخدمه ، واتخذ إبليس شيئا مثل ذلك الذى يترمرفيه الرعاء ، فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله ، فبلغ ذلك من حولهم ، فانتابوهم يسمعون إليه ، واتخذوا عيدا يجتمعون إليه في السنة ، فتبرُّج الرجال للنساء . قال : ويتزين النساء للرجال ، وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك ، فرأى النساء ، فأتى أصحابه ، فأخبرهم بذلك ، فتحولوا إليهن ، فنزلوا معهن ، فظهرت الفاحشة فيهن ، فهو قول الله (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) . وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يتبرَّجن تبرُّج الجاهلية الأولى .

وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى ، فيكون معنى ذلك . ولا تبرَّجن تبرُّج الجاهلية الأولى التى قبل الإسلام .

فإن قال قائل : أو فى الإسلام جاهلية ؟ حتى يقال عنى بقوله (الجاهليَّة الأولى) التى قبل الإسلام ؟ قيل : فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) قال : يقول : التى كانت قبل الإسلام ، وفى الإسلام جاهلية ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء ، وقال لرجل وهو ينازعه : يا ابن فلانة ، لأُمِّم كان يعيره بها فى الجاهلية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا الدرداء إن فىك جاهليَّة » ، قال : أجاهلية كفر أو إسلام ؟ قال : بل جاهليَّة كُفْر ، قال : فتمنيت أن لو كنت ابتدأت إسلامى يومئذ . قال : وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ثلاثٌ من عمل أهل الجاهليَّة ، لا يدَّعهنَّ النَّاسُ : الطَّعْنُ بِالنَّسَابِ ، وَالِاسْتِمْنَطَارُ بِالْكُفْوَاكِبِ ، وَالنِّيَاحَةُ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : أخبرنى سليمان بن بلال ، عن ثور ، عن عبد الله بن عباس : أن عمر بن الخطاب ، قال له : أرايت قول الله لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) : هل كانت إلا واحدة ؟ فقال ابن عباس : وهل كانت من أولى إلا ولها آخرة ؟ فقال عمر : لله درك يابن عباس ، كيف قلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هل كانت من أولى إلا ولها آخرة ؟ قال : فأنت بتصديق ما تقول من كتاب الله ، قال : نعم (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ كَمَا جَاهَدْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) قال عمر : فمن أمر بالجهاد ؟ قال : قبيلتان من قريش : مخزوم ، وبنو عبد شمس ، فقال عمر : صدقت .

وجائر أن يكون ذلك ما بين آدم ونوح . وجائر أن يكون ما بين إدريس ونوح ، فتكون الجاهلية الآخرة ، ما بين عيسى ومحمد ، وإذا كان ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل ، فالصواب أن يقال فى ذلك ، كما قال الله : إنه نهى عن تبرج الجاهلية الأولى .

وقوله (وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ) يقول : وأقمى الصلاة المفروضة ، وآتى الزكاة الواجبة عليكن فى أموالكن ، وأطعن الله ورسوله فيما أماركن ونهاكن (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) يقول : إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد ، ويطهركم من الدنس الذى يكون فى أهل معاصى الله تطهيرا . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) فهم أهل بيت طهرهم الله من سوء ، وخصهم برحمة منه . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

(١) كذا فى الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير المحفوظ بدار الكتب ، الورقة ٥٧ ب . ولعلها قراءة لابن عباس .

عَنَّكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً) قال : الرجس هاهنا : الشيطان ، وسوى ذلك من الرجس : الشرك .

اختلف أهل التأويل في الذين عُنُّوا بقوله (أهل البيت) فقال بعضهم : عُنِّي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و ، علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، رضوان الله عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا بكر بن يحيى بن زيان العنزي ، قال : ثنا مندل ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي خَمْسَةٍ : فِيَّ ، وَفِي عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَحَسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَحُسَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً) » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن زكريا ، عن مصعب بن شيبة ، عن صفية بنت شيبة قالت : قالت عائشة : « خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة ، وعليه مرطٌ مُرَجَّلٌ من شعر أسود ، فجاء الحسن ، فأدخله معه ، ثم قال : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً) » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة ، فيقول : الصَّلَاةَ أَهْلَ الْبَيْتِ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً) .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا يحيى بن إبراهيم بن سُوَيْدِ النَّخَعِيِّ ، عن هلال ، يعني ابن مِقْلَاصٍ ، عن زبيد ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ، قالت : « كان النبي صلى الله عليه وسلم عندى ، وعلى وفاطمة والحسن والحسين ، فجعلت لهم خَزِيرَةَ ، فأكلوا وناموا ، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة ، ثم قال : اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي ، أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا يونس بن أبي إسحاق ، قال : أخبرني أبو داود ، عن أبي الحمراء ، قال : رابطة المدينة سبعة أشهر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر ، جاء إلى باب علي وفاطمة فقال : الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً) » .

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا يونس بن أبي إسحاق ، بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن كلثوم المخاربي ، عن أبي عمار ، قال : « إني لجالس عند وائلة بن الأسمع ، إذ ذكروا علياً رضي الله عنه ،

فشتموه ؛ فلما قاموا ، قال : اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموا ، إني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين ، فألقى عليهم كساء له ، ثم قال : اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي ، اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً ؛ قلت : يا رسول الله وأنا ؟ قال : وأنت ؛ قال : فوالله إنها لأوثق عملي عندي .

حدثني عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو عمرو ، قال : ثنا شداد أبو عمار ، قال : سمعت وائلة بن الأسقع يحدث ، قال : « سألت عن علي بن أبي طالب في منزله ، فقالت فاطمة : قد ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاء . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش ، وأجلس فاطمة عن يمينه ، وعليها عن يساره ، وحسنا وحسينا بين يديه ، فلفح عليهم بثوبه وقال : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي ، اللَّهُمَّ أَهْلِي أَحَقُّ . قال وائلة : فقلت من ناحية البيت : وأنا يا رسول الله من أهلك ؟ قال : وأنت من أهلي ، قال : وائلة : إنها لمن أرجى ما أرجى .

حدثني أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، عن أم سلمة ، قالت : « لما نزلت هذه الآية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ، فجلل عليهم كساء خيبريا ، فقال : اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي ، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً قالت أم سلمة : « ألت منهم ؟ أنت إلى خبير » . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مصعب بن المقدم ، قال : ثنا سعيد بن زربي ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن أم سلمة ، قالت : « جاءت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق ، فوضعه بين يديه ، فقال : أين ابن عمك وابناك ، فقالت : في البيت ، فقال : ادعهم ، فجاءت إلى علي ، فقالت : أجب النبي صلى الله عليه وسلم أنت وابناك ، قالت أم سلمة : فلما رآهم مقبلين مدّ يده إلى كساء كان على المنامة ، فدهه وبسطه ، وأجلسهم عليه ، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله ، فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه ، فقال : هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْبَيْتِ ، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا حسن بن عطية ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : « أن هذه الآية نزلت في بيتها (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) قالت : وأنا جالسة على باب البيت ، فقلت : أنا يا رسول الله ألت من أهل البيت ، قال : إنك إلى خبير ، أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم . قالت : وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، رضي الله عنهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا موسى بن يعقوب ، قال : ثنا هاشم بن هاشم بن عتبة

ابن أبي وقاص ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة ، قال : أخبرني أم سلمة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع عليا والحسين ، ثم أدخلهم تحت ثوبه ، ثم جأ إلى الله ، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي ، فقالت أم سلمة : يا رسول الله ، أدخلني معهم ، قال : إنك من أهلي » .

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن صالح ، قال : ثنا محمد بن سليمان الأصبهاني ، عن يحيى بن عبيد المكي ، عن عطاء ، عن عمر بن أبي سلمة ، قال : « نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة : (لَأَتَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) فدعا حسنا وحسينا وفاطمة ، وأجلسهم بين يديه ، ودعا عليا فأجلسه خلفه ، فتجلل هو وهم بالكساء ، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي ، فأذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا . قالت أم سلمة : أنا معهم مكانك ، وأنت على خير » .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، قال : ثنا الصباح بن يحيى المرّي ، عن السدي ، عن أبي الديلم ، قال : قال علي بن الحسين لرجل من أهل الشام : أما قرأت في الأحزاب (لَأَتَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) قال : ولأنتم هم ؟ قال : نعم . حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا بكير بن مسمار ، قال : سمعت عامر بن سعد ، قال : قال سعد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حين نزل عليه الوحي ، فأخذ عليا وابنيه وفاطمة ، وأدخلهم تحت ثوبه ، ثم قال : رَبِّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي ، وَأَهْلُ بَيْتِي » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، عن حكيم بن سعد ، قال : « ذكرنا على بن أبي طالب رضي الله عنه عند أم سلمة ، قالت : فيه نزلت (لَأَتَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) قالت أم سلمة : جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيتي ، فقال : لَأَتَأْذَنِي لَأَحَدٍ ، فجاءت فاطمة ، فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ، ثم جاء الحسن ، فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جدّه وأمه ، وجاء الحسين ، فلم أستطع أن أحجبه ، فاجتمعوا حول النبي صلى الله عليه وسلم على بساط ، فجاءهم نبي الله بكساء كان عليه ، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي ، فأذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا ، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط ، قالت : فقلت : يا رسول الله : وأنا ، قالت : فوالله ما أنعم وقال : إنك إلى خير » . وقال آخرون : بل عني بذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الأصبغ ، عن علقمة ، قال : كان عكرمة ينادي في السوق (لَأَتَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) قال : نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

(١) العبارة : « أنا معهم مكانك وأنت على خير » : كلها من كلام أم سلمة ، وهي نظير قوله صلى الله عليه وسلم لطاق الروايات التي قبل هذه : « إنك إلى خير ، أنت من أزواج النبي »... الخ . (انظر الجزء التاسع عشر من المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب ، الورقة ٦٠) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَذْكُرَنَّ مَا يُثْبِتُ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ، إِنْ اللَّهُ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)

يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكرن نعمته الله عليكن، بأن جعلكن في بيوت تبتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله على ذلك، واحمدنه عليه، وعنى بقوله (وَأَذْكُرَنَّ مَا يُثْبِتُ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) واذكرن ما يقرأ في بيوتكن من آيات كتاب الله والحكمة، ويعنى بالحكمة: ما أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام دين الله، ولم ينزل به قرآن، وذلك السنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (وَأَذْكُرَنَّ مَا يُثْبِتُ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ): أي السنة، قال: يمتن عليهم بذلك. وقوله (إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) يقول تعالى ذكره: إن الله كان ذا لطف بكن، إذ جعلكن في البيوت التي تبتلى فيها آياته والحكمة، خبيراً بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجاً.

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْقَنَاتِينَ وَالْقَنَاتِ، وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ، وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ، وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ، وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ، وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ، وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ، وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٥)

يقول تعالى ذكره: إن المتذللين لله بالطاعة والمتذلللات، والمصدقين والمصدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما أتاهم به من عند الله، والقانتين والقانتات لله، والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم، والصادقين الله فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه، والصابرين لله في البأس والضراء على الثبات على دينه، وحين البأس والصابرات، والخاشعة قلوبهم لله وجلا منه ومن عقابه والخاشعات، والمتصدقين والمصدقات وهم المؤدون حقوق الله من أموالهم والمؤديات، والصائمين شهر رمضان الذي فرض الله صومه عليهم والصائمات، وذلك الحافظين فروجهم، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، والحافظات ذلك إلا على أزواجهن، إن كن حرائر، أو من ملكهن إن كن إماء، والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات كذلك، أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم، وأجراً عظيماً: يعني ثواباً في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيماً، وذلك الجنة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : دخل نساء على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلن : قد ذكركن الله في القرآن ، ولم تُذكر بشيء ، أما فينا ما يُذكر فأُنزل الله تبارك وتعالى (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ) : أى المطيعين والمطيعات (وَالْحَاشِعِينَ وَالْحَاشِعَاتِ) : أى الخائفين والخائفات (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً) لذنوبهم (وَأَجْرًا عَظِيمًا) فى الجنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَجْرًا عَظِيمًا) قال : الجنة وفى قوله (وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ) قال : المطيعين والمطيعات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر ، قال : القانتات : المطيعات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله يُذكر الرجال ولا تُذكر ، فنزلت (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، أن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، حدثه ، عن أم سلمة قالت : قلت : يا رسول الله ، أيتذكر الرجال فى كل شيء ، ولا تُذكر ؟ فأُنزل الله : (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) . . . الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سيار بن مظاهر العنزى ، قال : ثنا أبو كدينة يحيى بن مهلب ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال نساء النبي صلى الله عليه وسلم : ماله يذكر المؤمنين ، ولا يذكر المؤمنات ؟ فأُنزل الله : (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) . . . الآية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) قال : قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ما للنساء لا يذكرن مع الرجال فى الصلاح ؟ فأُنزل الله هذه الآية . حدثني محمد بن المعمر ، قال : ثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا عثمان بن حكيم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن شيبه ، قال : سمعت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : « قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، ما لنا لا نذكر فى القرآن كما يُذكر الرجال ؟ قالت : فلم يرعنى ذات يوم ظهرا إلا نداؤه على المنبر ، وأنا أسرح رأسى ، فلففت شعرى ثم خرجت إلى حُجرة من حُججهم ، فجعلت سمعى عند الجريد ، فإذا هو يقول على المنبر : يا أيها الناس إن الله يتقول فى كتابه (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) . . . إلى قوله (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ،
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦)

يقول تعالى ذكره: لم يكن لمؤمن بالله ورسوله، ولا مؤمنة، إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء، أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما، فيعضوهما، ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا (فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) : يقول : فقد جار عن قصد السبيل ، وسلك غير سبيل الهدى والرشاد .

وذكر أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتاه زيد بن حارثة ، فامتعت من إنكاحه نفسها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا) . . . إلى آخر الآية « وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة ، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية ، فخطبها ، فقالت : لست بناكحته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فانكحيه ، فقالت : يا رسول الله أوامر في نفسي ، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ) . . . إلى قوله (ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) قالت : قدر ضيقتي لى يا رسول الله مسكحاً ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا أعصى رسول الله ، قد أنكحته نفسي . »

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) قال : زينب بنت جحش . وكرهتها نكاح زيد بن حارثة حين أمرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « قوله (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) قال : نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش ، وكانت بنت عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيت ، ورأت أنه يخطبها على نفسه ، فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة ، أبت وأنكرت ، فأنزل الله (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) قال : فتابعته بعد ذلك ورضيت . »

حدثني أبو عبيد الوصافي ، قال : ثنا محمد بن حمير ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن ابن أبي عمرة ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : « خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة ، فاستنكفت

منه وقالت : أنا خير منه حسبا ، وكانت امرأة فيها حدة ، فأنزل الله (وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا الْمُؤْمِنَةِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا) . . . الآية كلها .

وقيل : نزلت في أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط ، وذلك أنها وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزوجها زيد بن حارثة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا الْمُؤْمِنَةِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا) . . . إلى آخر الآية ، قال : نزلت في أم كلثوم بنت عتبة ابن أبي معيط ، وكانت من أول من هاجر من النساء ، فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، فزوجها زيد بن حارثة ، فسخطت هي وأخوها ، وقالوا : إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزوجنا عبده ، قال : فنزل القرآن (وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا الْمُؤْمِنَةِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال : وجاء أمر أجمع من هذا (النَّسِيءُ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) قال : فذلك خاص ، وهذا إجماع .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ، أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ، وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ، فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ، لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عتابا من الله له (وَ) اذكر يا محمد (إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) بالهداية (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالعِيق ، يعني زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ، وَاتَّقِ اللَّهَ) . وذلك « أن زينب بنت جحش فيما ذكر ، رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبته ، وهي في حبال مولاه ، فألقى في نفس زيد كراهتها ، لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع ، فأراد فراقها ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) وهو صلى الله عليه وسلم يجب أن تكون قد بانث منه لينكحها . (وَاتَّقِ اللَّهَ) وخف الله في الواجب له عليك في زوجتك (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) يقول : وتخفي في نفسك حبة فراقه إياها ، لتزوجها إن هو فارقها ، والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك (وَتَخْشَى النَّاسَ ، وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) يقول تعالى ذكره : وتخاف أن يقول الناس : أمر رجلا بطلاق امرأته ، ونكحها حين طلقها ، والله أحق أن تخشاه من الناس .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام ، (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ، وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) قال : وكان يخفي في نفسه ود أنه طلقها ، قال الحسن : ما أنزلت عليه آية كانت أشد عليه منها ، قوله (وَتُخْفِي مَا نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) ولو كان نبي الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتمها . (وَتَخْشَى النَّاسَ ، وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) قال : خشي نبي الله صلى الله عليه وسلم مقالة الناس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : « كان النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ، ابنة عمته ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريد ، وعلى الباب ستر ، من شعر فرفعت الريح الستر فانكشف ، وهي في حجرها حاسرة ، فوقع إعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر ، فجاء فقال : يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي ، قال : مالك ، أرابك منها شيء ؟ قال : لا ، والله ما رأيت منها شيء يارسول الله ، ولا رأيت إلا خيرا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ) ، فذلك قول الله تعالى (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ، وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها .

حدثني محمد بن موسى الجرشى ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أبي حمزة ، قال : نزلت هذه الآية (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) في زينب بنت جحش .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن علي بن زيد بن جده عان ، عن علي بن حسين ، قال : كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه ، فلما أتاه زيد بشكوها قال : (اتَّقِ اللَّهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) ، قال الله (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) . حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عائشة ، قالت : لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى إليه من كتاب الله لكتم (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) ، وَتَخْشَى النَّاسَ ، وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) .

وقوله (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَتَمًا) يقول تعالى ذكره : فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته ، وهي الوطر ؛ ومنه قول الشاعر :

وَدَّعَيْتِي قَبْلَ أَنْ أُودَّعَهُ لَمَّا قَضَى مِنْ شَبَابِينَا وَطَرًا

(١) في (اللسان : وطر) . قال الزجاج : الوطر والأرب : بمعنى واحد . ثم قال : قال الخليل : الوطر كل حاجة يكون لك فيها حمة ، فإذا بلغها البالغ قيل : قضى وطره وأربه . ولا يبنى منه فعل . ومحل الشاهد في البيت : لفظة الوطر بمعنى الحاجة .

(زَوَّجْنَا كَتَهَا) يقول : زوّجناك زينب بعد ما طلقها زيد ، وبانت منه (لِكَيْلَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ) يعني : في نكاح نساء من تَبَسَّنُوا بِأُولَئِيسُوا ، بينهم ولا أولادهم على صحة ، إذا هم طلقوهنّ وبنّ منهم (إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا) يقول : إذا قضوا منهنّ حاجاتهم وآرابهم ، وفارقوهنّ وحلكنّ لغبرهم ، ولم يكن ذلك نزولا منهم لهم عنهنّ (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) : يقول : وكان ما قضى الله من قضاء مفعولا : أى كائنا كان لامحالة . وإنما يعنى بذلك أن قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان ماضيا مفعولا كائنا .
وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِكَيْلَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا) يقول : إذا طلقوهنّ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تَبَسَّنَى زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا) . . . إلى قوله (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) إذا كان ذلك منه غير نازل لك ، فذلك قول الله (وَحَلَّالِيلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ) .

حدثني محمد بن عثمان الواسطي ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن المعلّى بن عوفان ، عن محمد بن عبد الله بن جحش ، قال : تفاخرت عائشة وزينب ، قال : فقالت زينب : أنا الذى نزل تزويجي .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي قال : كانت زينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول للنبي صلى الله عليه وسلم : إني لآدِلٌ عليك بثلاث ، ما من نساءك امرأة تدل بهنّ ، إن جدتي وجدتك واحد ، وإني أنكحنيك الله من السماء ، وإن السفير لخبرائيل عليه السلام .

القول في تأويل قوله تعالى

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ، سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ، وَكَانَ أَمْرُ

اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨)

يقول تعالى ذكره (مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ) من إثم فيما أحلّ الله له من نكاح امرأة من تَبَسَّنَاهُ بعد فراقه إياها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ) : أى أحلّ الله له .

وقوله (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) : يقول : لم يكن الله تعالى لِيُؤْتِمَّ نبيه فيما أحلّ له ، مثال

فعله بمن قبله من الرسل الذين مضوا قبله، في أنه لم يؤثّر ثمّهم بما أحلّ لهم، لم يكن لنبيه أن يخشى الناس فيما أمره به أو أحله له، ونصب قوله (سُنَّةَ اللَّهِ) على معنى: حقا من الله، كأنه قال: فعلنا ذلك سنة منا. وقوله (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) يقول: وكان أمر الله قضاء مقضيا.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) إن الله كان علمه معه، قبل أن يخلق الأشياء كلها، فأتمم في علمه أن يخلق خلقا، ويأمرهم وينهاهم، ويجعل ثوابا لأهل طاعته، وعقابا لأهل معصيته؛ فلما أتمم ذلك الأمر قدّره، فلما قدّره كتب، وغاب عليه، فسماه الغيب وأم الكتاب، وخلق الخلق على ذلك الكتاب: أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وما يصيبهم من الأشياء، من الرخاء والشدة، من الكتاب الذي كتبه أنه يصيبهم، وقرأ (أُولَئِكَ يَنْتَظِمُونَ نَصِيحَتَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا تَمَيَّدَ ذَلِكَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوهُمْ) ، وأمر الله الذي ائتمر قدره حين قدره مقدرًا، فلا يكون إلا ما في ذلك، وما في ذلك الكتاب، وفي ذلك التقدير، ائتمر أمرا ثم قدره، ثم خلق عليه، فقال: كان أمر الله الذي مضى وفرغ منه، وخلق عليه الخلق (قدراً مقدوراً) شاء أمرا لم يرضى به أمره وقدره، وشاء أمرا يرضاه من عباده في طاعته؛ فلما أن كان الذي شاء من طاعته لعباده رضى لهم، ولما أن كان الذي شاء أراد أن ينفذ فيه أمره وتدييره وقدره، وقرأ (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ) فشاء أن يكون هؤلاء من أهل النار، وشاء أن تكون أعمالهم أعمال أهل النار، فقال (وَكَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ) ، وقال (وَكَذَلِكَ زَيْنًا لِّكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمُ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرِدُّوهُمْ، وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ) ، هذه أعمال أهل النار، (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ) ، قال (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَسِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينًا) . . . إلى قوله (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) وقرأ (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) . . . إلى (كُلُّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ) أن يؤمنوا بذلك، قال: فأخرجوه من اسمه الذي تسمى به، قال: هو الفعل لما يريد، فزعموا أنه ما أراد.

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩)

يقول تعالى ذكره: سنة الله في الذين خلّوا من قبل محمد من الرسل، الذين يُبَلِّغُونَ رسالات الله إلى من أرسلوا إليه، ويخافون الله في تركهم تبلغ ذلك إياهم، ولا يخافون أحدا إلا الله، فإنهم إياه يرهبون، إن هم قصروا عن تبليغهم رسالة الله إلى من أرسلوا إليه. يقول لنبيه محمد: فمن أولئك الرسل الذين هذه صفتهم، فكن ولا تخش أحدا إلا الله، فإن الله يمنعك من جميع خلقه، ولا يمنعك أحد من خلقه منه، إن أراد بك سوءا، والذين من قوله (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ) خفض رداً على الذين التي في قوله (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا). وقوله (وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا): يقول تعالى ذكره: وكفناك يا محمد بالله حافظاً لأعمال خلقه، ومحاسباً لهم عليها.

القول في تأويل قوله تعالى

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ، وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)

يقول تعالى ذكره : ما كان أيها الناس محمد أباً زيد بن حارثة ، ولا أباً أحد من رجالكم ! الذين لم يلدوه محمد ، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها ، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين ، الذي ختم النبوة فطبع عليها ، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة ، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ، ذا علم لا يخفى عليه شيء .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) قال : نزلت في زيد ، إنه لم يكن بابنه ، ولعمري ولقد ولد له ذكور ، إنه لأبوالقاسم وإبراهيم والطيب والمطهر (ولكن رسول الله ، وخاتم النبيين) : أي آخرهم (وكان الله بكل شيء عليم) . حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا علي بن قادم ، قال : ثنا سفیان ، عن نسير بن ذعلوق ، عن علي بن الحسين في قوله (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) قال : نزلت في زيد بن حارثة ، والنصب في رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى تكرير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرفع بمعنى الاستئناف ، ولكن هو رسول الله ، والقراءة النصب عندنا .

واختلفت القراءة في قراءة قوله (وخاتم النبيين) ، فقرأ ذلك قراء الأمصار سوى الحسن وعاصم ، بكسر التاء من خاتم النبيين ، بمعنى أنه ختم النبيين . ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (ولكن نبياً ختم النبيين) فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء ، بمعنى أنه الذي ختم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم ، وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم (خاتم النبيين) بفتح التاء ، بمعنى أنه آخر النبيين ، كما قرأ مختم خاتمه مسك ، بمعنى : آخره مسك ، من قرأ ذلك كذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ

رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤)

(١) لعله : أي لم يلدوه الخ .

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرا كثيرا، فلا تخلوا أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاعتكم ذلك. (وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) يقول: صلوا له غدوة صلاة الصبح، وعشيا صلاة العصر. وقوله (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ) يقول تعالى ذكره: ربكم الذي تذكرونه الذكر الكثير، وتسبحونه بكرة وأصيلا، إذا أنتم فعلتم ذلك، الذي يرحمكم، ويثني عليكم هو، ويدعو لكم ملائكته. وقيل: إن معنى قوله (يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ): يشيع عنكم الذكر الجميل في عباد الله. وقوله (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ): يقول: تدعو ملائكة الله لكم، فيخرجكم الله من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإسلام. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله (اذكروا الله ذكرا كثيرا) يقول: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينهى إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله، قال (اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال، وقال (سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته قال الله عز وجل (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ). حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) صلاة الغداة، وصلاة العصر.

وقوله (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ): أي من الضلالات إلى الهدى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ)، ليُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ قال: من الضلالة إلى الهدى، قال: والضلالة: الظلمات. والنور: الهدى.

وقوله (وكان بالمؤمنين رَحِيمًا) يقول تعالى ذكره: وكان بالمؤمنين به ورسوله ذا رحمة أن يعذبهم وهم له مطيعون، ولأمره متبعون (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ) يقول جل ثناؤه: تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة في الجنة سلام، يقول بعضهم لبعض: أمتة لنا ولكم بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذبنا بالنار أبدا.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ) قال: تحية أهل الجنة السلام.

وقوله (وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) يقول : وأعدّ لهؤلاء المؤمنين ثوابا لهم على طاعتهم إياه في الدنيا كريمة ، وذلك هو الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة (وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) : أى الجنة

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَّجًا مُنِيرًا ،
(٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) ، وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَدَعَّ أَذْهَامَهُمْ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إنا أرسلناك شاهدا على أمتك ، بإبلاغك إياهم ما أرسلناك به من الرسالة ، ومبشراهم بالجنة إن صدقوك ، وعملوا بما جئتهم به من عند ربك ، ونذيرا من النار أن يدخلوها ، فيعدّوا بها إن هم كذبوك ، وخالفوا ما جئتهم به من عند الله .
وبالذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا) على أمتك بالبلاغ ، ومبشرا بالجنة ، ونذيرا بالنار .

وقوله (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ) يقول : وداعيا إلى توحيد الله ، وإفراد الألوهة له ، وإخلاص الطاعة لوجهه ، دون كل من سواه من الآلهة والأوثان .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ) إلى شهادة أن لا إله

إلا الله :

وقوله (بِإِذْنِهِ) يقول : بأمره إياك بذلك (وَسِرَّجًا مُنِيرًا) يقول : وضياء خلقه يستضيء بالنور الذى أتيهم به من عند الله عباده (منيرا) ، يقول : ضياء ينير لمن استضاء بضوئه ، وعمل بما أمره . وإنما يعنى بذلك : أنه يهدى به من اتبعه من أمته . وقوله (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) : يقول تعالى ذكره : وبشّر أهل الإيمان بالله يا محمد بأن لهم من الله فضلا كبيرا : يقول : بأن لهم من ثواب الله على طاعتهم إياه تضييفا كثيرا ، وذلك هو الفضل الكبير من الله لهم . وقوله (وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) يقول : ولا تطع لقول كافر ولا منافق ، فتسمع منه دعاءه إياك إلى التقصير في تبليغ رسالات الله إلى من أرسلك بها إليه من خلقه (وَدَعَّ أَذْهَامَهُمْ) يقول : وأعرض عن أذاهم لك ، واصبر عليه ، ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله في عباده ، والنفوذ لما كلّفك .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَدَعَّ أَذَاهُمْ) قال : أعرض عنهم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَدَعَّ أَذَاهُمْ) : أي اصبر على أذاهم . وقوله (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) يقول : وفوض إلى الله أمورك ، وثق به ، فإنه كافيك جميع من دونه ، حتى يأتيك أمره وقضاؤه (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) يقول : وحسبك بالله قسيما بأمرك ، وحافظا لك وكالنا .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ، ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ، فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا ، فَمَتَّعُوهُنَّ ، وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ) مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ : يعني من قبل أن تجامعوهن (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا) : يعني : من إحصاء أقراء ولا أشهر ، تحصونها عليهن (فَمَتَّعُوهُنَّ) يقول : أعطوهن ما يستمتعن به من عرض أو عين مال . وقوله (وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا) يقول : وخلصوا سبيلهن تخلية بالمعروف ، وهو التسريح الجميل .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ، فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا) فهذا في الرجل يتزوج المرأة ، ثم يطلقها من قبل أن يمسه ، فإذا طلقها واحدة بانت منه ، ولا عدة عليها تزوج من شاءت ، ثم قرأ : (فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا) يقول : إن كان سمى لها صداقا ، فليس لها إلا النصف ، فإن لم يكن سمى لها صداقا ، متعها على قدر عسره ويسره ، وهو السراح الجميل .

وقال بعضهم : المتعة في هذا الموضع منسوخة بقوله (فَتَنِيصِفُ مَا قَرَضْتُمْ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ) . . . إلى قوله (سَرَاحًا جَمِيلًا) قال : قال سعيد بن المسيب : ثم نسيخ هذا الحرف

المتعة (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضةً، فنصف ما فرضتم).
 حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت قتادة يحدث
 عن سعيد بن المسيب، قال: نسخت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم
 طلقتموهن من قبل أن تمسوهن، فما لكم عليهن من عدة تعتدونها، فتمسوهن)
 قال: نسخت هذه الآية التي في البقرة.

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ، وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا
 آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ، وَبَنَاتِ خَالَكَ، وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ، الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ،
 وَأُمَّرَاءَ مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ، إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا، خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ
 الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ
 حَرَجٌ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (يا أيها النبي إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي
 آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ) يعني: اللاتي تزوجتهن بصدق مسمي.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا
 الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ
 أَجُورَهُنَّ) قال: صدقتهن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (يا أيها النبي إِنَّا أَحْلَلْنَا
 لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ) قال: كان كل امرأة آتاها مهرا، فقد أحلها الله له.
 حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله
 (يا أيها النبي إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ) . . . إلى قوله (خالصةً لك
 من دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) فما كان من هذه التسمية ماشاء كثيرا أو قليلا.

وقوله (وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ) يقول: وأحللنا لك إماءك اللواتي سبيتهن،
 فملكتهن بالسباء، وصرن لك بفتح الله عليك من النوى (وبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ
 وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ) فأحل الله له صلى الله عليه وسلم من بنات عمه وعماته وخاله
 وخالاته، المهاجرات معه منهن، دون من لم يهاجر منهن معه.

كما حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السدي، عن أبي صالح،

عن أم هانئ ، قالت : « خطبني النبي صلى الله عليه وسلم ، فاعتذرت له بعذري ، ثم أنزل الله عليه (إننا أحللنا لك أزواجك اللائي آتيتن أجورهن) . . . إلى قوله (اللائي هاجرن معك) قالت : فلم أحل له ، لم أهاجر معه ، كنت من الطلقات » .

وقد ذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود (وبَنَاتِ خَالَاتِكَ وَاللَّائِي هَاجِرْنَ مَعَكَ) بواو ، وذلك وإن كان كذلك في قراءته ، محتمل أن يكون بمعنى قراءتنا بغير الواو ، وذلك أن العرب تدخل الواو في نعت من قد تقدم ذكره أحيانا ، كما قال الشاعر :

فإن رشيداً وابن مروان لم يكن
ليستعمل حتى يصدر الأمر مصدراً

ورشيد هو ابن مروان ، وكان الضحاك بن مزاحم يتأول قراءة عبد الله هذه أنهن نوع غير بنات خالاته ، وأنهن كل مهاجرة هاجرت مع النبي صلى الله عليه وسلم .

ذكر الخبر عنه بذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في حرف ابن مسعود (وَاللَّائِي هَاجِرْنَ مَعَكَ) يعني بذلك : كل شيء هاجر معه ليس من بنات العم والعمة ، ولا من بنات الخال والحالة .

وقوله (وَأَمْرَاءَ مُؤْمِنَةٍ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) يقول : وأحللنا له امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي بغير صداق .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأَمْرَاءَ مُؤْمِنَةٍ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) بغير صداق ، فلم يكن يفعل ذلك ، وأحل له خاصة من دون المؤمنين .
وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (وَأَمْرَاءَ مُؤْمِنَةٍ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) بغير إن ، ومعنى ذلك ومعنى قراءتنا فيها « إن » واحد ، وذلك كقول القائل في الكلام : لا بأس أن يطأ جارية مملوكة إن ملكها ، وجارية مملوكة ملكها .

وقوله (إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا) يقول : إن أراد أن ينكحها ، فحلال له أن ينكحها إذا وهبت نفسها له بغير مهر (خَالِصَةً لَكَ) يقول : لا يحل لأحد من أمتك أن يقرب امرأة وهبت نفسها له ، وإنما ذلك لك يا محمد خالصة أخلصت لك من دون سائر أمتك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)

(١) البيت من شواهد الفراء (معاني القرآن ، مصورة الجامعة ص ٢٥٧) قال عند قوله تعالى « وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك » : وفي قراءة عبد الله (يعني ابن مسعود) : « وبنات خالك وبنات خالاتك . والاتق هاجرن معك » ، فقد تكون المهاجرات من بنات الخال والحالة وإن كانت فيه الواو ، فقال : والاتق ، والعرب نعت بالواو وبغير الواو ، كما قال الشاعر : « فان رشيدا وابن مروان . . الخ » . وأنت تقول في الكلام : إن زرت أخاك وابن عمك القريب لك ؛ وإن قلت : والقريب لك . كان صوابا . وقد نقله المؤلف عن الفراء . وأوضحه بقوله في البيت : ورشيد هو ابن مروان .

يقول: ليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير أمر وليّ ولا مهر، إلا للنبيّ، كانت له خالصة من دون الناس، ويزعمون أنها نزلت في ميمونة بنت الحارث، أنها التي وهبت نفسها للنبيّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (يا أيها النبيّ إنّنا أحلّلنا لك أزواجك...) إلى قوله (خالصة لك من دون المؤمنين) قال: كان كل امرأة آتاهها مهرا، فقد أحلها الله له إلى أن وهب هؤلاء أنفسهنّ له، فأحلّلن له دون المؤمنين بغير مهر، خالصة لك من دون المؤمنين، إلا امرأة لها زوج.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن صالح بن مسلم، قال: سألت الشعبيّ، عن امرأة وهبت نفسها لرجل، قال: لا يكون، لا تحلّ له، إنما كانت للنبيّ صلى الله عليه وسلم.

واختلفت القراءة في قراءة قوله (إن وهبت لنفسها) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (إن وهبت) بكسر الألف على وجه الجزاء، بمعنى: إن تهبّ. وذكر عن الحسن البصريّ أنه قرأ (أن وهبت) بفتح الألف، بمعنى: وأحللنا له امرأة مؤمنة أن ينكحها، هبها له نفسها.

والقراءة التي لا أستجيز خلافها في كسر الألف، لإجماع الحجة من القراء عليه.

وأما قوله (خالصة لك من دون المؤمنين): ليس ذلك للمؤمنين، وذكر أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تنزل عليه هذه الآية، أن يتزوج أي النساء شاء، فقصره الله على هؤلاء، فلم يعد هُنّ وقصر سائر أمته على مثنى وثلاث ورباع.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت داود بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى، عن زياد، رجل من الأنصار، عن أبي بن كعب، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أحلّ الله للنبيّ من النساء، هؤلاء اللاتي ذكر الله (يا أيها النبيّ إنّنا أحلّلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهنّ) إلى قوله (في أزواجهنّ) وإنما أحلّ الله للمؤمنين مثنى وثلاث ورباع.

وحدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (يا أيها النبيّ إنّنا أحلّلنا لك أزواجك...) إلى آخر الآية، قال: حرّم الله عليه ما سوى ذلك من النساء، وكان قبل ذلك ينكح في أي النساء شاء، لم يحرّم ذلك عليه، فكان نساؤه يجيدين من ذلك وجدا شديدا، أن ينكح في أي الناس أحبّ؛ فلما أنزل الله: إني قد حرّمت عليك من الناس سوى ما قصصت عليك، أعجب ذلك نساءه.

واختلف أهل العلم في التي وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنات، وهل كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة كذلك؟ فقال بعضهم: لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة إلا بعقد نكاح، أو ملك يمين، فأما بالهبة فلم يكن عنده منهنّ أحد.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن غنبة بن الأزهر ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها .
حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، أنه قال في هذه الآية (وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) قال : أن تهب .
وأما الذين قالوا : قد كان عنده منهن فان بعضهم قال : كانت ميمونة بنت الحارث . وقال بعضهم : هي أم شريك . وقال بعضهم : زينب بنت خزيمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قال (وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) قال : هي ميمونة بنت الحارث .
وقال بعضهم : زينب بنت خزيمة أم المساكين ، امرأة من الأنصار .
حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثني الحكم ، قال : كتب عبد الملك إلى أهل المدينة يسألهم ، قال : فكتب إليه علي ، قال شعبة : وهو ظني علي بن حسين ، قال : وقد أخبرني به أبان بن تغلب ، عن الحكم ، أنه علي بن الحسين ، الذي كتب إليه ، قال : هي امرأة من الأسد ، يقال لها أم شريك ، وهبت نفسها للنبي .
قال : ثنا شعبة ، قال : ثني عبد الله بن أبي السفر ، عن الشعبي ، أنها امرأة من الأنصار ، وهبت نفسها للنبي ، وهي ممن أرجأ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني سعيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن خولة بنت حكيم بن الأوقص من بني سليم ، كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : ثني سعيد بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : « كنا نتحدث أن أم شريك كانت وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت امرأة صالحة » .
وقوله (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ) يقول تعالى ذكره : قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم إذا أرادوا نكاحهن ، مما لم نغرضه عليك ، وما خصصناهم به من الحكم في ذلك دونك ، وهر أنا فرضنا عليهم أنه لا يحل لهم عقد نكاح على حرة مسلمة ، إلا بولي عصبية وشهود عدول ، ولا يحل لهم منهن أكثر من أربع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الله بن أحمد بن شويه ، قال : ثنا مطهر ، قال : ثنا علي بن الحسين ، قال : ثني أبي ،

عن مطر ، عن قتادة ، في قول الله (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ) قال : إن مما فرض الله عليهم أن لا نكاح إلا بولي وشاهدين .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ) قال : في الأربع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ) قال : كان مما فرض الله عليهم أن لا تزوج امرأة إلا بولي وصدّاق عند شاهدي عدل ، ولا يحلّ لهم من النساء إلا أربع . وما ملكت أيمانهم .

وقوله (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) يقول تعالى ذكره : قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم ، لأنه لا يحلّ لهم منهنّ أكثر من أربع ، وما ملكت أيمانهم ، فإن جميعهن إذا كنّ مؤمنات أو كتابيات ، لهم حلال بالسبأ والتسرى وغير ذلك من أسباب الملك . وقوله (لِيَكَيْلًا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) يقول تعالى ذكره : إنا أحللتنا لك يا محمد أزواجك اللواتي ذكرنا في هذه الآية ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ، إن أراد النبي أن يستنكحها ، لكيلا يكون عليك إثم وضيق في نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف ، التي أبحت لك نكاحهنّ ، من المسميات في هذه الآية ، وكان الله غفوراً لك ولأهل الإيمان بك ، رحماً بك وبهم ، أن يعاقبهم على سالف ذنب منهم سلف بعد توبتهم منه .

القول في تأويل قول تعالى

* تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَمَنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَنَّ ، وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) فقال بعضهم : عنى بقوله : تُرْجِي : تؤخر ، وبقوله : تُؤْوِي : تضم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) يقول : تؤخر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) قال : تعزل بغير طلاق من أزواجك من تشاء (وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) قال : تردّها إليك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) ،

وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) قال : فجعله الله في حل من ذلك ، أن يدع من يشاء منهم ، ويأتي من يشاء منهم بغير قسم ، وكان نبي الله يقسم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن أبي رزين (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ) ، وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) قال : لما أشفقنا أن يطلقهن ، قلن يانبي الله ، اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ، فكان من أرجأ منهم سوادة بنت زمعة ، وجويرة ، وصفية ، وأم حبيبة ، وميمونة ، وكان ممن آوى إليه : عائشة ، وأم سلمة ، وحفصة ، وزينب .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ) ، وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) فما شاء صنع في القسمة بين النساء ، أحل الله له ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير عن منصور ، عن أبي رزين ، في قوله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ) ، وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) وكان ممن آوى عليه السلام : عائشة ، وحفصة ، وزينب ، وأم سلمة ، فكان قسمه من نفسه لمن سوى قسمه ؛ وكان ممن أرجى : سوادة ، وجويرة ، وصفية ، وأم حبيبة ، وميمونة ، فكان يقسم لمن ما شاء ، وكان أراد أن يفارقهن ، فقلن : اقسم لنا من نفسك ما شئت ، ودعنا نكون على حالنا . وقال آخرون : معنى ذلك : تطلق وتخلّى سبيل من شئت من نسائك ، وتمسك من شئت منهم ، فلا تطلق .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ) أمهات المؤمنين (وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) يعني : نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعني بالإرجاء : يقول : من شئت خليت سبيله منهم ، ويعني بالإيواء : يقول : من أحببت : أمسكت منهم . وقال آخرون : بل معنى ذلك : تترك نكاح من شئت ، وتترك من شئت من نساء أمتك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن في قوله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ) ، وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) قال : « كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لرجل أن يخطبها ، حتى يتزوجها أو يتركها . وقيل : إن ذلك إنما جعل الله لنبيه حين غار بعضهن على النبي صلى الله عليه وسلم ، وطلب بعضهن من النفقة زيادة على الذي كان يعطيها ، فأمره الله أن يغيرهن بين الدار الدنيا والآخرة ، وأن يخلّى سبيل من اختار الحياة الدنيا وزينتها ، ويمسك من اختار الله ورسوله ؛ فلما اخترن الله ورسوله قيل لمن : اقررن الآن على الرضا بالله وبرسوله ، قسم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يقسم ، أو قسم لبعضكن ولم يقسم لبعضكن ، وفضل بعضكن على بعض في النفقة أو لم يفضل ، سوى بينكن أو لم يسو ، فإن الأمر في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس لكم من ذلك

شيء ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر ، مع ما جعل الله له من ذلك ، يسوي بينهما في القسمة إلا امرأة منهن أراد طلاقها ، فرضيت بترك القسمة لها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين ، قال : لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلق أزواجه ، قلن له : افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت ، فأمره الله فأوى أربعا ، وأرجى خمسا .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا عبيدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل ، حتى أنزل الله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) ؟ فقلت : إن ربك ليسارع في هোক .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، يعني العبدى ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها كانت تعير النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : أما تستحي امرأة أن تعرض نفسها بغير صداق ؟ فنزلت ، أو فأنزل الله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ) فقلت : إني لأرى ربك يسارع لك في هোক .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله : (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) . . . الآية . قال : كان أزواجه قد تغايرن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فهجرهن شهرا ، ثم نزل التخيير من الله له فيهن ، فقرأ حتى بلغ (وَلَا تَبْرُجْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) فخبرهن بين أن يخترن أن يخلي سبيلهن ويسرحهن ، وبين أن يقمن إن أردن الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنات ، لا ينكحن أبدا ، وعلى أنه يؤوى إليه من يشاء منهن ، ممن وهب نفسه له ، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ويرجى من يشاء ، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ومن ابتغى ممن هي عنده وعزل ، فلا جناح عليه ، ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ، ويرضين إذا علمن أنه من قضائي عليهن إثارة بعضهن على بعض (ذلك أدنى أن يرضين) ، قال : (ومن ابتغيت ممن عزلت) من ابتغى أصحابه ، ومن عزل لم يصبه ، فخبرهن بين أن يرضين بهذا ، أو يفارقهن ، فاخترن الله ورسوله ، إلا امرأة واحدة بدوية ذهبت . وكان على ذلك صلوات الله عليه ، وقد شرط الله له هذا الشرط ، مازال يعدل بينهما حتى لقي الله .
وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره جعل لنبيه أن يرجى من النساء اللواتي أحلهن له من يشاء ، ويؤوى إليه منهن من يشاء ، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله ، عند ما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن يستحدث لإيواها أو لإرجاؤها منهن . وإذا كان ذلك كذلك ، فعنى الكلام : تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك ، وأحللت لك نكاحها ،

فلا تقبلها ولا تنكحها ، أو ممن هنّ في حبالك ، فلا تقربها ، وتضمّ إليك من تشاء ، ممن وهبت نفسها لك ، أو أردت من النساء التي أحلت لك نكاحهنّ ، فتقبلها أو تنكحها ، وممن هي في حبالك ، فتجامعها إذا شئت ، وتتركها إذا شئت بغير قسم .

وقوله (وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ) (اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ومن نكحت من نساك فجامعت ، ممن لم تنكح ، فعزلته عن الجماع ، فلا جناح عليك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ) قال : جميعا هذه في نسائه ، إن شاء أتى من شاء منهنّ ، ولا جناح عليه . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ) قال : ومن ابتغى أصابه ، ومن عزل لم يصبه . وقال آخرون : معنى ذلك : ومن استبدلت ممن أرجيت ، فخليت سبيله ، من نساك أو ممن مات منهنّ ، ممن أحلت لك ، فلا جناح عليك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ، ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ ، وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ) يعني بذلك : النساء اللاتي أحلّ الله له ، من بنات العمّ والعمّة ، والحال والحالة (واللّاتي هاجرن معك) يقول : إن مات من نساك اللاتي عندك أحد ، أو خلّيت سبيله ، فقد أحلت لك أن تستبدل من اللاتي أحلت لك مكان من مات من نساك اللاتي هنّ عندك ، أو خلّيت سبيله منهنّ ، ولا يصلح لك أن تزداد على عدّة نساك اللاتي عندك شيئا .

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك : تأويل من قال : معنى ذلك : ومن ابتغيت إصابته من نساك (مِمَّنْ عَزَلْتَ) عن ذلك منهنّ (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ) لدلالة قوله (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ أَعْيُنُهُنَّ) على صحة ذلك ، لأنه لا معنى لأن تقرّ أعينهنّ إذا هو صلى الله عليه وسلم استبدل بالميتة أو المطلقة منهنّ ، إلا أن يعسني بذلك : ذلك أدنى أن تقرّ أعين المنكوحه منهنّ ، وذلك مما يدلّ عليه ظاهر التنزيل بعيد .

وقوله (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ) يقول : هذا الذي جعلت لك يا محمد من إذني لك أن ترجي من تشاء من النساء اللواتي جعلت لك إرجاءهنّ ، وتؤوى من تشاء منهنّ ، ووضع عنك الحرج في ابتغائك إصابته من ابتغيت إصابته من نساك ، وعزلك عن ذلك من عزلت منهنّ ، أقرب لنساك أن تقرّ أعينهنّ به (وَلَا يَحْزَنَ) ويرضين بما آتيتهنّ كلهنّ) من تفضيل من فضلت من قسم ، أو نفقة ،

وإيثار من آثرت منهن بذلك على غيره من نساك ، إذا هنّ علمن أنه من رضاي منك بذلك ، وإذني لك به ، وإطلاق مني لامن قبيلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ أَعْيُنُهُنَّ ، وَلَا يَحْزَنَنَّ ، وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ) إذا علمن أن هذا جاء من الله لرخصة ، كان أطيب لأنفسهن ، وأقلّ لحرزهن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ذلك ، نحوه .

والصواب من القراءة في قوله (بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ) : الرفع ، غير جائز غيره عندنا ، وذلك أن كلهنّ ليس بنعت للهاء في قوله (آتَيْتَهُنَّ) ، وإنما معنى الكلام : ويرضين كلهنّ ، فإنما هو توكيد لما في يَرْضَيْنَ من ذكر النساء ، وإذا جعل توكيدا للهاء التي في « آتَيْتَهُنَّ » لم يكن له معنى ، والقراءة بنصبه غير جائزة لذلك ، ولإجماع الحجة من القراء على تخطئة قارئه كذلك .

وقوله (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) يقول : والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض من عنده من النساء دون بعض ، بالهوى والمحبة ، يقول : فلذلك وضع عنك الحرج يا محمد فيما وضع عنك من ابتغاء من ابتغيت منهنّ ممن عزلت ، تفضلا منه عليك بذلك وتكرمة . (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) يقول : وكان الله ذا علم بأعمال عباده ، وغير ذلك من الأشياء كلها (حَلِيمًا) يقول : ذا حلم على عباده ، أن يعاجل أهل الذنوب منهم بالعقوبة ، ولكنه ذو حلم وأناة عنهم ، ليتوب من تاب منهم ، وينيب من ذنوبه من أناب منهم .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ، وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ ، وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ، إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (٥٢)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى (لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) فقال بعضهم : معنى ذلك : لا يحلّ لك النساء من بعد نساك اللاتي خبيرت منهنّ ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) . . . الآية إلى (رَقِيبًا) قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بعد نساؤه الأول شيئا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ)

... إلى قوله (إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) قال : لما خيرهنّ ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهنّ ، فقال : لا يحلّ لك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهنّ من أزواج ، وهنّ التسع التي اخترن الله ورسوله .

وقال آخرون : إنما معنى ذلك : لا يحلّ لك النساء بعد التي أحللتنا لك بقولنا (يا أيها النبيّ إنّنا أحللتنا لك أزواجك) ... إلى قوله (اللاتي هاجرنّ معك ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ) وكانّ قائل هذه المقالة وجهها الكلام إلى أن معناه : لا يحلّ لك من النساء إلا التي أحللتها لك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الوهاب قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، عن زياد ، قال لأبي بن كعب : هل كان للنبيّ صلى الله عليه وسلم لو مات أزواجه أن يتزوج ؟ قال : ما كان يحرم عليه ذلك ، فقرأت عليه هذه الآية (يا أيها النبيّ إنّنا أحللتنا لك أزواجك) قال : فقال : أحلّ له ضربا من النساء ، وحرم عليه ماسواهنّ ، أحلّ له كل امرأة آتى أجرها ، وما ملكت يمينه مما أفاء الله عليه ، وبنات عمه ، وبنات عماته ، وبنات خاله ، وبنات خالاته ، وكل امرأة وهبت نفسها له ، إن أراد أن يستنكحها ، خالصة له من دون المؤمنين .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، عن زياد الأنصاريّ قال : قلت لأبي بن كعب : أرأيت لو مات نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أكان يحلّ له أن يتزوج ، قال : وما يحرم ذلك عليه ، قال : قلت : قوله (لا يحلّ لك النساء من بعد) قال : إنما أحلّ الله له ضربا من النساء .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود بن أبي هند ، قال : ثنا محمد بن أبي موسى ، عن زياد ، رجل من الأنصار ، قال : قلت لأبي بن كعب : أرأيت لو أن أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم توفينّ ، أما كان له أن يتزوج ؟ فقال : وما يمنعه من ذلك ؟ وربما قال داود : وما يحرم عليه ذلك ؟ قلت : قوله (لا يحلّ لك النساء من بعد) فقال : إنما أحلّ الله له ضربا من النساء ، فقال (يا أيها النبيّ إنّنا أحللتنا لك أزواجك) ... إلى قوله (إن وهبت نفسها للنبيّ) ثم قيل له : لا يحلّ لك النساء من بعد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن ذكره ، عن أبي صالح (لا يحلّ لك النساء من بعد) قال : أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة ، ويتزوج بعد من نساء تهامة ، ومن شاء من بنات العمّ والعمة ، والخال والخالة ، إن شاء ثلاث مئة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة (لا يحلّ لك النساء من بعد) هؤلاء التي سمى الله (إلا بنات عمك) ... الآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لا يحلّ لك النساء من بعد) يعني : من بعد التسمية ، يقول : لا يحلّ لك امرأة إلا ابنة عمّ أو ابنة عمّة ،

أو ابنة خال أو ابنة خالة ، أو امرأة وهبت نفسها لك ، من كان منهن هاجر مع نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وفي حرف ابن مسعود (وَاللَّاتِي هَاجِرَتْنِ مَعَكَ) يعنى بذلك : كل شيء هاجر معه ، ليس من بنات العم والعمة ، ولا من بنات الخال والخالة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا يحل لك النساء من غير المسلمات ، فأما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) : لايهودية ، ولا نصرانية ، ولا كافرة .

وأولى الأقوال عندى بالصحة : قول من قال : معنى ذلك : لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحلتهن لك بقول : (إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ) . . . إلى قوله (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) .

وإنما قلت ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ) عقيب قوله (إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ) وغير جائز أن يقول : قد أحللت لك هؤلاء ، ولا يحلن لك إلا بنسخ أحدهما صاحبه ، وعلى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين ، فعلى الأخرى منهما . فإذا كان ذلك كذلك ، ولا برهان ولا دلالة على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى ، ولا تقدم تنزيل إحداهما قبل صاحبتها ، وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة ، لم يجوز أن يقال : إحداهما ناسخة الأخرى . وإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن لقول من قال : معنى ذلك : لا يحل من بعد المسلمات ، يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ، معنى مفهوم ، إذ كان قوله (مِنْ بَعْدُ) إنما معناه : من بعد المسميات المتقدم ذكرهن في الآية قبل هذه الآية ، ولم يكن في الآية المتقدم فيها ذكر المسميات بالتحليل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر إباحتها للمسلمات كلهن ، بل كان فيها ذكر أزواجه وملك يمينه الذي نبى الله عليه ، وبنات عمه وبنات عماته ، وبنات خاله وبنات خالاته ، اللاتي هاجرن معه ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ، فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم ، صح ما قلنا في ذلك ، دون قول من خالف قولنا فيه .

واختلفت القراءة في قراءة قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة (يَحِلُّ) بالياء ، بمعنى : لا يحل لك شيء من النساء بعد . وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة (لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ) بالتاء ، توجيهها منه إلى أنه فعل للنساء ، والنساء جمع للكثير منهن .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك : قراءة من قرأه بالياء للعلة التي ذكرت لهم ، ولإجماع الحجة من القراء على القراءة بها ، وشذوذ من خالفهم في ذلك .

وقوله (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْرَجْتَهُنَّ) (حُسْنُهُنَّ) () اختلف أهل التأويل في تأويل

ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : لا يحل لك النساء من بعد المسلمات ، لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ، ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من الكوافر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ) ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من النصراني واليهود والمشركين (وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي رزين ، في قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ، وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) قال : لا يحل لك أن تزوج من المشركات إلا من سببت ، فملكته يمينك منهن .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا أن تبدل بأزواجك اللواتي هن في حبالك ، أزواجا غيرهن ، بأن تطلقهن ، وتتكح غيرهن .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) يقول : لا يصلح لك أن تطلق شيئا من أزواجك ليس يعجبك ، فلم يكن يصلح ذلك له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا أن تبادل من أزواجك غيرك ، بأن تعطيه زوجته ، وتأخذ زوجته .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) قال : كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم ، يعطي هذا امرأته هذا ، ويأخذ امرأته ، فقال : (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ، وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) لا بأس أن تبادل بجاريته ما شئت أن تبادل ، فأما الحرائر فلا ؛ قال : وكان ذلك من أعمالهم في الجاهلية .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ولا أن تطلق أزواجك ، فتستبدل بهن غيرهن أزواجا .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لما قد بينا قبل من أن قول الذي قال معنى قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) لا يحل لك اليهودية أو النصرانية والكافرة ، قول لاوجه له .

فإذ كان ذلك كذلك ، فكذلك قوله (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ) كافرة لامعنى له ، إذ كان من المسلمات من قد حرّم عليه بقوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) الذي دللنا عليه قبل . وأما الذي قاله ابن زيد في ذلك أيضا ، فقوله لامعنى له ، لأنه لو كان بمعنى المبادلة ، لكانت القراءة والتنزيل : ولا أن تبدل بهن

من أزواج ، أو ولا أن تُبَدَّلَ بهنَّ ، بضمَّ التاء ، ولكن القراءة المجمع عليها ، ولا أن تُبَدَّلَ بهنَّ بفتح التاء ، بمعنى : ولا أن تستبدل بهنَّ ، مع أن الذي ذكر ابن زيد من فعل الجاهلية غير معروف في أمة نعلمه من الأمم ، أن يُبادل الرجل آخر بامرأته الحرَّة ، فيقال : كان ذلك من فعلهم ، فهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فعل مثله .

فإن قال قائل : أفلم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج امرأة على نسائه اللواتي كنَّ عنده ، فيكون موجهها تأويل قوله (وَلَا أَنْ تُبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ) إلى ما تأولت ، أو قال : وأين ذُكر أزواجه اللواتي كنَّ عنده في هذا الموضع ، فتكون الهاء من قوله (وَلَا أَنْ تُبَدَّلَ بِهِنَّ) من ذكرهنَّ ، وتوهم أن الهاء في ذلك عائدة على النساء ، في قوله (لَا يُحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) ؟ قيل : قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج من شاء من النساء اللواتي كان الله أحلَّهنَّ له ، على نسائه اللواتي كنَّ عنده يوم نزلت هذه الآية ، وإنما نهى صلى الله عليه وسلم بهذه الآية أن يفارق من كان عنده ، بطلاق أراد به استبدال غيرها بها ، لإعجاب حسن المستبدلة له بها إياه ، إذ كان الله قد جعلهنَّ أمهات المؤمنين ، وخيَّرنَّهنَّ بين الحياة الدنيا والدار الآخرة ، والرضا بالله ورسوله ، فاخترنَّ الله ورسوله والدار الآخرة ، فحرم من على غيره بذلك ، ومُنِعَ من فراقهنَّ بطلاق ، فأما نكاح غيرهنَّ فلم يمنع منه ، بل أحلَّ الله له ذلك ، على ما بين في كتابه . وقد روى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُقبَضْ حتى أحلَّ الله له نساء أهل الأرض . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن ابن جرير ، عن عطاء ، عن عائشة ، قالت : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلَّ له النساء ، تعني أهل الأرض .

حدثني عبيد بن إسماعيل الهبَّاري ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن عائشة ، قالت : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلَّ له النساء . حدثنا العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا مُعَلَّى ، قال : ثنا وهيب ، عن ابن جرير ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير الليثي ، عن عائشة قالت : ما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلَّ له أن يتزوج من النساء ما شاء .

حدثني أبو زيد عمر بن شبة ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن ابن جرير ، عن عطاء ، قال : أحسب عبيد ابن عمير ، حدثني ، قال أبو زيد ، وقال أبو عاصم مرة ، عن عائشة ، قالت : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلَّ له النساء . قال : وقال أبو الزبير : شهدت رجلاً يحدثه عطاء . حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا همام ، عن ابن جرير ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن عائشة ، قالت : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حلَّ له النساء . فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ما وصفت ، من أن الله حرم على نبيه بهذه الآية طلاق نسائه اللواتي خيرهنَّ فاخترنَّه ، فما وجه الخبر الذي روى عنه ، أنه طلق حفصة ثم راجعها ، وأنه أراد طلاق سودة ، حتى صالحته على ترك طلاقه إياها ، ووهبت يومها لعائشة ؟ قيل : كان ذلك قبل نزول هذه الآية .

والدليل على صحة ما قلنا ، من أن ذلك كان قبل تحريم الله على نبيه طلاقهن ، الرواية الواردة « أن عمر دخل على حفصة معاقبها ، حين اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، كان من قبله لها : قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك ، فكلمته فراجعك ، فوالله لئن طلقك ، أو لو كان طلقك ، لا كلمته فيك ، وذلك لاشك قبل نزول آية التخيير ، لأن آية التخيير إنما نزلت حين انقضى وقت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعتزالهن .

وأما أمر الدلالة على أن أمر سودة كان قبل نزول هذه الآية ، إن الله إنما أمر نبيه بتخيير نساءه بين فراقه والمقام معه على الرضا بأن لا قسم لهن ، وأنه يرجي من يشاء منهن ، ويؤوي منهن من يشاء ، ويؤثر من شاء منهن على من شاء ، ولذلك قال له تعالى ذكره : (وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ، ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ عَيْسُهُنَّ ، وَلَا يَحْزَنَ ، وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ) ، ومن المحال أن يكون الصلح بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى على تركها يومها لعائشة في حال لا يوم لها منه .

وغير جائز أن يكون كان ذلك منها إلا في حال كان لها منه يوم ، هو لها حق ، كان واجبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أداؤه إليها ، ولم يكن ذلك لهن بعد التخيير ، لما قد وصفت قبل فيا مضى من كتابنا هذا . فتأويل الكلام : لا يحل لك يا محمد النساء من بعد اللواتي أحلتهن لك في الآية قبل ، ولا أن تطلق نساء اللواتي اخترن الله ورسوله ، والدار الآخرة ، فتبدل بهن من أزواج ، ولو أعجبك حسن من أردت أن تبدل به منهن ، إلا ما ملكت يمينك . وأن في قوله (أن تبدل بهن) رفع ، لأن معناها : لا يحل لك النساء من بعد ، ولا الاستبدال بأزواجك . وإلا في قوله (إلا ما ملكت يمينك) استثناء من النساء . ومعنى ذلك : لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحلتهن لك ، إلا ما ملكت يمينك من الإماء ، فإن لك أن تملك من أى أجناس الناس شئت من الإماء .

وقوله (وكان الله على كل شيء ما أحل لك وحرّم عليك ، وغير ذلك من الأشياء كلها ، حفيظا لا يعزب عنه علم شيء من ذلك ، ولا يتوده حفظ ذلك كله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكان الله على كل شيء رقيبا) : أى حفيظا ، في قول الحسن وقاتدة .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِ مَا كَانَ إِذْ أَنْتُمْ مَنَافِرَ ، وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ، وَلَا مَسْتَنَسِينَ حَدِيثٍ ، إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَىٰ النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيَ مِنْكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيَ مِنَ الْحَقِّ ، وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ

حِجَابٍ ، ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ، وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَا أَنْ
تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ، إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣)

يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، لا تدخلوا
بيوت نبي الله إلا أن تدعوا إلى طعام تطعمونه (غير ناظرين إناه) يعني : غير منتظرين إدراكه
وبلوغه ، وهو مصدر من قولهم : قد أتى هذا الشيء يأتى وإتى وأنثى وإنثاء ؛ قال الحطيطية :
وَأَتَيْتُ الْعِشَاءَ إِلَى سُهَيْلٍ أَوْ الشَّعْرَى فَطَالَ بِي الْإِنَاءُ^١
وفيه لغة أخرى ، يقال : قد آن لك : أى تبين لك أينا ، ونال لك ، وأنال لك ؛ ومنه قول رؤبة بن العجاج :
هَاجَتْ وَمِثْلِي نَوَلُهُ أَنْ يَرَبْعًا . حَمَامَةٌ نَاحَتْ حَمَامًا سُجْعًا^٢
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (إلى طعام غير ناظرين إناه) : قال :
متحيين نضعه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
(غير ناظرين إناه) يقول : غير ناظرين الطعام أن يصنع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (غير ناظرين إناه) : قال : غير متحيين
طعامه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله :
ونصب (غير) فى قوله (غير ناظرين إناه) على الحال من الكاف والميم فى قوله (إلا أن يؤذَنَ
لكم) لأن الكاف والميم معرفة وغير نكرة ، وهى من صفة الكاف والميم . وكان بعض نحوئى البصرة
يقول : لا يجوز فى « غير » الجر على الطعام ، إلا أن تقول : أنتم ، ويقول : ألا ترى أنك لو قلت : أبدى
لعبد الله على امرأة مبغضا لها ، لم يكن فيه إلا النصب ، إلا أن تقول مبغضا لها هو ، لأنك إذا أجريت صفته

(١) البيت للحطيطية (اللسان : أنى) . وآتيت الشيء : آخرته ، والاسم منه الإناء . على فعال بالفتح . يريد أنه آخر عشاءه إلى طلوع
سهيل أو طلوع الشعري ، فطال انتظاره . قال : ورواه أبو سعيد (الأصمى) : وآتيت ، بتشديد النون . ويقال : آتيت الطعام
فى النار : إذا أطلت مكته . وآتى الشيء يأتى أنيا وإنى وأنى : حان وأدرك . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة ص ١٩٧)
« إلى طعام غير ناظرين إناه » : أى إدراكه وبلوغه . ويقال : أتى لك يأتى أنيا : أى بلغ وأدرك . قال :
تمخضت المنون له بيوم
أتى ولكل حاملة تمام

(٢) البيتان من مشطور الرجز ، لرؤبة الراجز المشهور (ديوانه طبعه ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٨٧) . وفى (اللسان : نول) :
أما نول فتقول : نولك أن تفعل كذا : أى ينهى لك فعل كذا . وفى الصحاح : أى حقت أن تفعل كذا . وأصله من التناول ، كأنه
يقول : تناولك كذا وكذا . قال العجاج : « هاجت . . الخ » : أى حقه أن يكف . وقيل : الرجز لرؤبة . وأصل النول مصدر
ناله بالخير ينوله نوالا ، ونولا ، ونيلًا . ويقال : أناله غير إنالة .

عليها ، ولم تظهر الضمير الذى يدل على أن الصفة له لم يكن كلاما ، لو قلت هذا رجل مع امرأة مُلَازِمِهَا ، كان لحننا ، حتى ترفع ، فتقول ملازمُها ، أو تقول مُلَازِمِهَا هُو ، فتجرب .

وكان بعض نحوى الكوفة يقول : لو جعلت « غير » فى قوله (غَيْرَ نَاطِرِينَ إِيَّاهُ) خفضا كان صوابا ، لأن قبلها الطعام وهو نكرة ، فيجعل فعلهم تابعا للطعام ، لرجوع ذكر الطعام فى إياه ، كما تقول العرب : رأيت زيدا مع امرأةٍ محسِنَا إليها ، ومحسنٍ إليها ، فن قال محسنا ، جعله من صفة زيد ، ومن خفضه فكأنه قال : رأيت مع التى يحسن إليها ، فإذا صارت الصلة للنكرة أتبعها ، وإن كانت فعلا لغير النكرة ، كما قال الأعشى :

فَقُلْتُ لَهُ هَذِهِ هَاتِمَا إِلَيْنَا بِأَدْمَاءَ مُقْتَادِهَا

فجعل المقتاد تابعا لإعراب بأدماء ، لأنه بمنزلة قولك : بأدماء تقتادها ، فخفضه ، لأنه صلة لها . قال : وَيُنْشِدُ : « بأدماءٍ مقتادِها » بخفض الأدماء ، لإضافتها إلى المقتاد ، قال : ومعناه : هَاتِمَا عَلَى يَدَى مِنْ اقْتَادِهَا . وَأَنْشِدُ أَيْضَا :

وَأَنَّ امْرَأَةً أَهْدَى إِلَيْكَ وَدُونَهُ
مِنْ الْأَرْضِ مَوْمَاءُ وَبَيْنَاءُ فَيَهَقُ
لَمَحْقُوقَةً أَنْ تَسْتَجِيبَ لِيصَوْتِهِ
وَأَنْ تَعْلَمَى أَنَّ الْمَعَانَ مَوْفَقُ

وحكى عن بعض العرب سماعا ينشد :

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ص ٦٩) ، ورواية البيت فيه :

فَقُلْنَا لَهُ هَذِهِ هَاتِمَا بِأَدْمَاءَ فِي حَبْلٍ مُقْتَادِهَا

وهى غير رواية المؤلف التى استشهد بها . وليس فى رواية الديوان شاهد للمؤلف . والشاعر يمدح بالقصيدة سلامة ذافانث من أقبال اليمن . وفى مقدمة القصيدة أبيات فى الغزل والخمر ، ومنها هذا البيت . وقوله (هذه) : إشارة إلى الخمر التى جاء بها الساقى يؤامر الشاعر فى شربها ، ويساومه فى ثمنها ، وقد رضى الشاعر بأن يشترى الخمر التى وصف ، على أن يكون ثمنها ناقته الأدماء التى يقودها خادمه مجلبها . والأدمة فى الإبل : البيضاء ، مع سواد المقلتين (اللسان) . هذا تفسير البيت على رواية الديوان . فأما على رواية المؤلف ، فإنه جعل إعراب « مقتادها » بالجر إتباعا لأدماء ، لأنها نكرة ، وإن كان الإقتاد لخادمه المفهوم من المقام ، فهى صفة جارية على غير صاحبها ، ولم يصرح بضمير الفاعل ، وهذا جائز عند الكوفيين . فأما البصريون فيوجبون فى مثل هذا الموضع ، إبراز ضمير التمتع إذا كان لغير المنعوت ، فلا بد أن يقال : مقتادها أنت ، أى صاحب الخمر . أو يقول : مقتادها هو : أى يقتادها الخادم . فأما إذا كان المنعوت معرفة كما فى قوله تعالى : « إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه » ، فيجوز فى (غير) النصب على الحال من الضمير فى لكم ، ويجوز الجر عند الكوفيين بالإتباع على التمتع ، وإن لم يبرز معه الضمير . وقد أوضح المؤلف المقام توضيحا كاملا ، لا يحتاج معه إلى مزيد من القول .

(٢) البيتان للأعشى . وقد سبق الاستشهاد بهما فى كلام المؤلف على مثل ما استشهد بهما عليه هنا (انظر ١٧ : ١٩٧) . والشاهد فى قوله : « محقوقة » ، فإنه خبر عن قوله : « وإن امرأ » . والخبر ، هنا : غير المحبب عنه ، لأن المبتدأ هنا مذكر ، والخبر مؤنث . وقد اختلف النحاة فى مثل هذا ، فقال البصريون ، كان يجب أن يقول : « محقوقة أنت » بإبراز الضمير ، لأن تركه يحدث لبسا فى الكلام ، ولا يعلم المراد بالمحقوقة أى شخص هو ؟ وأما الكوفيون فقد جوزوا فى هذه الحالة وأمثالها فى الخبر والتمتع اللذين لا يطابقان صاحبهما ، أن يبرز الضمير ، وألا يبرز ، على خلاف ما قاله البصريون ، واستشهدوا ببيتى الأعشى على مجي الخبر غير مطابق لما هو له ، بدون إبراز الضمير . وحمل البصريون ذلك فى البيت على الاتساع والحذف . (وانظر المسألة مفصلة فى كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف ، بين البصريين والكوفيون ، لأبى البركات عبد الرحمن بن الأنبارى ، طبع القاهرة ص ٤٥ - ٤٨ المسألة رقم ٨) .

أَرَأَيْتَ إِذْ أَعْطَيْتُكَ الْوُدَّ كُلَّهُ وَلَمْ يَكُ عِنْدِي إِذْ أَبَيْتَ إِبَاءُ
أَمْسَلِمَتِي لِلْمَوْتِ أَنْتَ تَقْبِيَّتُ وَهَلْ لِلنَّفُوسِ الْمُسْلِمَاتِ بَقَاءُ^١

ولم يقل : فبت أنا ، وقال الكسائي : سمعت العرب تقول : يدك باسطها يريدون أنت ، وهو كثير في الكلام قال : فعلى هذا يجوز خفض « غير » .

والصواب من القول في ذلك عندنا ، القول باجازه جر « غير » في غير ناظرين في الكلام ، لافي القراءة لما ذكرنا من الأبيات التي حكيناها ، فأما في القراءة فغير جائز في « غير » غير النصب ، لإجماع الحجة من القراء على نصبها .

وقوله (وَلكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا) يقول : ولكن إذا دعاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فادخلوا البيت الذي أذن لكم بدخوله (فَادْخُلُوا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) يقول : فإذا أكلتم الطعام الذي دعيتم لأكله فانتشروا ، يعنى فتفرقوا واخرجوا من منزله (وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) فقوله (وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) في موضع خفض عطفًا به على ناظرين ، كما يقال في الكلام : أنت غير ساكت ولا ناطق . وقد يحتمل أن يقال : مستأنسين في موضع نصب عطفًا على معنى ناظرين ، لأن معناه : إلا أن يؤذن لكم إلى طعام لا ناظرين إناه ، فيكون قوله (وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ) نصبا حينئذ ، والعرب تفعل ذلك إذا حالت بين الأول والثاني ، فترد أحيانا على لفظ الأول ، وأحيانا على معناه ، وقد ذكر القراء أن أبا القمقام أنشده :

أَجِدْكَ لَسْتَ الدَّهْرَ رَأَى رَامَةً وَلَا عَاقِلٍ إِلَّا وَأَنْتَ جَنِيْبُ

وَلَا مُصْعِدٍ فِي المُصْعِدِينَ المُنْعِجِ وَلَا هَابِطًا مَا عِشْتُ هَضْبَ شَطِيبِ^٢

فرد مصعد على أن رأى فيه باء خافضة ، إذ حال بينه وبين المصعد بما حال بينهما من الكلام .

ومعنى قوله (وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) : ولا متحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام ، إيناسا من

بعضكم لبعض به .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا

الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) : بعد أن تأكلوا .

(١) هذان البيتان لم أجدهما في معاني القرآن للفراء ، ولا في مجاز القرآن لأي عبيدة . والشاهد فيهما أن قوله فبت معطوف على قوله : « أمسلمتي » ، والمعطوف هنا غير المطوف عليه في المعنى ، فكان مقتضى ذلك أن يقول : فبت أنا ، بإبراز الضمير ، على مذهب البصريين ، ولكنه لم يبرز الضمير وهو موافق لمذهب الكوفيين الذين يقولون بجواز إبراز الضمير وعدم إبرازه ، وهذا كثير في كلام العرب .

(٢) البيتان من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ٢٥٨) وروايته . أصح من رواية المؤلف . ورامة ، وعائل ومنج (في رواية المؤلف) ، ومنج (في رواية الفراء) : أسماء مواضع في جزيرة العرب ، إلا منج في الشام ، قرب حلب . والبيتان مما أنشده أبو القمقام الفراء . والشاهد في قوله : « ولا مصعد » بالجر فإنه معطوف على « رأى » والمعطوف عليه منصوب ، والمعطوف مجرور على توهم زيادة الباء في خبر ليس وهو المعطوف عليه الأول . كأنه قال : لست براء ولا مصعد . وقد ساق الفراء البيتين في توجيه إعراب قوله تعالى : « ولا مستأنسين » فإنه رده عطفًا على « ناظرين إناه » بالجر ، أو بالنصب إبتاعًا لنير . قال : ولو جعلت المستأنسين في موضع نصب : توهم أن تتبعه بغير ، لما أن حلت بينهما بكلام . وكذلك كل معنى احتمل وجهين ، ثم فرقت بينهما بكلام ، جاز أن يكون الآخر معربًا بخلاف الأول . من ذلك قولك : ما أنت بمحسن إلى من أساء إليك ، ولا بجملا .

واختلف أهل العلم في السبب الذي نزلت هذه الآية فيه ، فقال بعضهم : نزلت بسبب قوم طَعِمُوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وليمة زينب بنت جحش ، ثم جلسوا يتحدثون في منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حاجة ، فنعه الحياء من أمرهم بالخروج من منزله .
ذكر من قال ذلك

حدثني عمران بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس ابن مالك ، قال : « بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، فبعثت داعيا إلى الطعام ، فدعوت فيجىء القوم يأكلون ويخرجون ، ثم يجىء القوم يأكلون ويخرجون ، فقلت : يا نبي الله قد دعرت حتى ما أجد أحدا أدعوه ، قال : ارفعوا طعامكم ، وإن زينب جالسة في ناحية البيت ، وكانت قد أعطيت جمالا وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة ، فقال : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ » فقالوا : وعليك السلام يا رسول الله ، كيف وجدت أهلك ؟ قال : فأني حَجَرْتُ نِسَاءَهُ ، فقالوا مثل ما قالت عائشة ، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا الثلاثة يتحدثون في البيت ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة ، فلا أدري أخبرته ، أو أخبر أن الرهط قد خرجوا ، فرجع حتى وضع رجله في أسكفة داخل البيت ، والأخرى خارجه ، إذ أرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب .

حدثني أبو معاوية بشر بن دحية ، قال : ثنا سفیان ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك ، قال : « سألتني أبا بن كعب عن الحجاب ، فقلت : أنا أعلم الناس به ، نزلت في شأن زينب ، أو لم النبي صلى الله عليه وسلم عليها بتمر وسويق ، فنزلت (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) إلى قوله (ذَلِكَمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) » .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمي ، قال : أخبرني يونس ، عن الزهري ، قال : « أخبرني أنس بن مالك : أنه كان ابن عشرين متقدما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل في مبعثي رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عروسا ، فدعا القوم ، فأصابوا من الطعام حتى خرجوا ، وبقي منهم رهط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأطالوا المُنْكُثَ ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج ، وخرجت معه ، لكي يخرجوا ، فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشيت معه ، حتى جاء عتبة حجرة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قد خرجوا ، فرجع ورجعت معه ، حتى دخل على زينب ، فإذا هم جلوس لم يقوموا ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجعت معه ، فإذا هم قد خرجوا ، فضرب بيني وبينه سترا ، وأنزل الحجاب . »

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : « دعوت المسلمين إلى وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صبيحة نبي زينب بنت جحش ، فأوسعهم خبزا ولحما ، ثم رجع كما كان يصنع ، فأني حجر نساءه فسلم عليهن ، فدعون له ، ورجع إلى بيته وأنا معه ، فلما انتهينا إلى الباب إذا

رجلان قد جرى بهما الحديث في ناحية البيت ، فلما أبصرهما وتلى راجعا ؛ فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم وتلى عن بيته ، وتليا مسرعين ، فلا أدري أنا أخبرته ، أو أخبر ، فرجع إلى بيته ، فأرخصي الستر بيني وبينه ، ونزلت آية الحجاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال عمر بن الخطاب : « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو حجببت عن أمهات المؤمنين ، فإنه يدخل عليك البر والفاجر ، فنزلت آية الحجاب . »

حدثني القاسم بن بشر بن معروف ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس بن مالك ، قال : « أنا أعلم الناس بهذه الآية ، آية الحجاب . لما أهديت زينب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاما ، ودعا القوم ، فجاءوا فدخلوا ، وزينب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت ، وجعلوا يتحدثون ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يدخل وهم قعود ، قال : فنزلت هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي) . . . إلى (فاسألوهم من وراء حجاب) قال : فقام القوم ، وضرب الحجاب . »

حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد ، قال : ثنا أبي ، عن بيان ، عن أنس بن مالك ، قال : « بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من نسائه ، فأرسلني ، فدعوت قوما إلى الطعام ؛ فلما أكلوا وخرجوا ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا قبل بيت عائشة ، فرأى رجلين جالسين ، فانصرف راجعا ، فأنزل الله : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) . »

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا المسعودي ، قال : ثنا ابن نهشل ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، قال : « أمر عمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب ، فقالت زينب : يا بن الخطاب ، إنك لتغار علينا ، والوحي ينزل في بيوتنا ، فأنزل الله : (وإذا سألتهموهن متاعا فاسألوهم من وراء حجاب) . »

حدثني محمد بن مرزوق ، قال : ثنا أشهل بن حاتم ، قال : ثنا ابن عون ، عن عمرو بن سعيد ، عن أنس ، قال : وكنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يمر على نسائه ، قال : فأتي بامرأة عروس ، ثم جاء وعندها قوم ، فانطلق فقضى حاجته ، « واحتبس وعاد وقد خرجوا ؛ قال : فدخل ، فأرخصي بيني وبينه سرا ، قال : فحدثت أبا طلحة ، فقال : إن كان كما تقول : لينزلن في هذا شيء ، قال ونزلت آية الحجاب » وقال آخرون : كان ذلك في بيت أم سلمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « قوله (ولكن إذا دعيت فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا ، ولا مستأنسين لحديث) قال : كان هذا في بيت أم سلمة ، قال : أكلوا ، ثم أطالوا الحديث ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يدخل ويخرج ، ويستحي منهم ، والله لا يستحي من الحق . »

قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) قال : بلغنا أنهنَّ أميرن بالحجاب عند ذلك .

وقوله (إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ) : يقول : إن دخولكم بيوت النبي ، من غير أن يؤذن لكم ، وجلو سكم فيها مستأنسين للحديث ، بعد فراغكم من أكل الطعام الذي دُعيتم له ، كان يؤذي النبي ، فيستحي منكم أن يخرجكم منها ، إذا قعدتم فيها للحديث ، بعد الفراغ من الطعام . أو يمنعكم من الدخول إذا دخلتم بغير إذن ، مع كراهيته لذلك منكم (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) أن يقين لكم ، وإن استحيا نبيكم ، فلم يبين لكم كراهية ذلك حياء منكم (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا ، فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) يقول : وإذا سألتم أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج ، متاعا (فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) يقول : من وراء ستر بينكم وبينهن ، ولا تدخلوا عليهن بيوتهن (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) يقول تعالى ذكره : سؤالكم إياهن المتاع إذا سألتوهن ذلك من وراء حجاب ، أظهر لقلوبكم وقلوبهن من عوارض العين فيها ، التي تعرض في صدور الرجال من أمر النساء ، وفي صدور النساء من أمر الرجال ، وأحرى من أن لا يكون للشيطان عليكم وعليهن سبيل .

وقد قيل : . إن سبب أمر الله النساء بالحجاب ، إنما كان من أجل أن رجلا كان يأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة معهما ، فأصابته يدها يد الرجل ، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن ليث ، عن مجاهد « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه ، فأصابته يد رجل منهم يد عائشة ، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت آية الحجاب . »

وقيل : نزلت من أجل مسألة عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ويعقوب ، قالا : ثنا هشيم ، قال : ثنا حميد الطويل ، عن أنس ، قال : قال عمر بن الخطاب : « قلت : يا رسول الله ، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ؟ قال : فنزلت آية الحجاب . »

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا حميد ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه . حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عمرو بن عبد الله بن وهب ، قال : ثنا يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : « إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كنَّ يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصب ، وهو صعيد أفيح ، وكان عمر يقول : يا رسول الله ، احجُب نساءك ، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، فخرجت سوذة بنت زمعة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت امرأة طويلة ، فناداها عمر بصوته الأعلى : قد عرفناك ياسوذة ، حرصا أن ينزل الحجاب ، قال : فأنزل الله الحجاب . »

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : « خرجت سودة لحاجتها ، بعد ما ضرب علينا الحجاب ، وكانت امرأة تفرع النساء طولاً ، فأبصرها عمر ، فناداها : ياسودة ، إنك والله ما تحققين علينا ، فانظري كيف تخرجين ، أو كيف تصنعين ؟ فانكفأت ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه ليتعشى ، فأخبرته بما كان ، وما قال لها ، وإن في يده لعرقا ، فأوحى إليه ، ثم رفع عنه ، وإن العرق لفي يده ، فقال : لقد أذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ » .

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا همام ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود ، قال : « أمر عمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب ، فقالت زينب : يا بن الخطاب ، إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا ؟ فأنزل الله (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلْنَهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) » .

حدثني أبو أيوب التهراني سليمان بن عبد الحميد ، قال : ثنا يزيد بن عبد ربه ، قال : ثنا ابن حرب ، عن الزبيدي ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة : « أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، كنَّ يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصب » ، وهو صعيد أفيح ، وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجبي نساءك ، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عيشاء ، وكانت امرأة طويلة ، فناداها عمر بصوته الأعلى : قد عرفناك ياسودة ، حرصا على أن ينزل الحجاب ، قالت عائشة : فأنزل الله الحجاب ، قال الله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا) . . . الآية .

وقوله (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ) : يقول تعالى ذكره : وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله ، وما يصلح ذلك لكم (وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا) : يقول : وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ، لأنهن أمهاتكم ، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه .
وذكر أن ذلك نزل في رجل كان يدخل قبل الحجاب ، قال : لئن مات محمد لأتزوجن امرأة من نساءه ساهما ، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك : (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا) .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد « في قوله (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا) إن ذلكم كان عند الله عظيما » .
قال : ربما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الرجل يقول : لو أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي تزوجت فلانة من بعده ، قال : فكان ذلك يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزل القرآن (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ) . . . الآية .

(١) العرق يفتح فسكون : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم . يقال : عرقت العظم ، واعترقه ، وتعرقته : إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك (النهاية لابن الأثير) .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم مات وقد ملك قبيلة بنت الأشعث ، فبرزها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك ، فشق على أبي بكر مشقة شديدة ، فقال له عمر : يا خليفة رسول الله ، إنها ليست من نسائه ، إنها لم يخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها ، وقد برأها منه بالردة التي ارتدت مع قومها ، فاطمأن أبو بكر وسكن .
حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وقد ملك بنت الأشعث بن قيس ، ولم يجامعها ، ذكر نحوه .
وقوله (إِنَّ ذَلِكَ كُنْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا) : يقول : إن أذاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونكاحكم أزواجه من بعده ، عند الله عظيم من الإثم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تَخْفَوْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤)

يقول تعالى ذكره : إن تُظهروا بألسنتكم شيئاً أيها الناس من مراقبة النساء ، أو غير ذلك مما نهاكم عنه ، أو أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقول : لأتزوجن زوجته بعد وفاته ، أو تخفوه ، يقول : أو تخفوا ذلك في أنفسكم ، فإن الله كان بكل شيء عليماً ، يقول : فإن الله بكل ذلك وبغيره من أموركم وأمور غيركم ، عليم لا يخفى عليه شيء ، وهو يجازيكم على جميع ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

لِأَجْنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ ، وَلَا أَبْنَاءِهِنَّ ، وَلَا إِخْوَانِهِنَّ ، وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ ، وَلَا نِسَاءَهُنَّ ، وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ، وَأَتَقِينَ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥)

يقول تعالى ذكره : لأخرج على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في آبائهنّ ولا إثم .
ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وضع عنهنّ الجناح في هؤلاء ، فقال بعضهم : وضع عنهنّ الجناح في وضع جلايبهنّ عندهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ابن أبي ليلي ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، في قوله (لِأَجْنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ) . . . الآية كلها ، قال : أن تضع الجلاب .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (لِأَجْنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ) ومن ذكر معه أن يرؤهنّ .

وقال آخرون : وضع عنهنّ الجناح فيهنّ ، في ترك الاحتجاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (لاجنّاحَ عليّهنَّ) . . . إلى (شهيداً) : فرخص هؤلاء أن لا يحتجبن منهم .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : ذلك وضع الجنّاح عنهنّ في هؤلاء المسمّين ، أن لا يحتجبن منهم ، وذلك أن هذه الآية عقيب آية الحجاب ، وبعد قول الله (وإذا سألتهموهنّ متاعا فاسألوهمنّ من وراء حجابٍ) ، فلا يكون قوله (لاجنّاحَ عليّهنّ في آباهنّ) استثناء من جملة الذين أمروا بسؤالهمنّ من وراء الحجاب ، إذا سألوهمنّ ذلك أولى ، وأشبه من أن يكون خبرا مبتدأ عن غير ذلك المعنى . فتأويل الكلام إذن : لا إثم على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمّهات المؤمنين ، في إذنهنّ لآباهنّ ، وترك الحجاب منهنّ ، ولا لأبنائهنّ ، ولا لإخوانهنّ ، ولا لأبناء إخوانهنّ . وعنى بإخوانهنّ وأبناء إخوانهنّ : إخوانهنّ وأبناء إخوانهنّ . وخرج معهم جمع ذلك مخرج جمع فتى إذا جمع فتيان ، فكذلك جمع أخ إذا جمع إخوان . وأما إذا جمع إخوة ، فذلك نظير جمع فتى إذا جمع فتيّة . ولا أبناء إخوانهنّ ، ولم يذكر في ذلك العمّ ، على ما قال الشعبي ، حذارا من أن يصفهنّ لأبنائه .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا حجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن داود ، عن الشعبي وعكرمة في قوله (لاجنّاحَ عليّهنّ في آباهنّ ولا أبنائهنّ ولا إخوانهنّ ولا أبناء إخوانهنّ) ، ولا أبناء إخوانهنّ ، ولا نساءهنّ ، ولا ما ملكت أيمانهنّ) قلت : ما شأن العم والخال لم يذكرا ؟ قال : لأنهما يتنعتانها لأبنائهما ، وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنا حماد ، عن داود ، عن عكرمة والشعبي نحوه ، غير أنه لم يذكر يتنعتانها .

وقوله (ولا نساءهنّ) : يقول : ولا جناح عليهنّ أيضا في أن لا يحتجبن من نساء المؤمنين . كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ولا نساءهنّ) قال : نساء المؤمنات الحرائر ، ليس عليهنّ جناح أن يرين تلك الزينة ، قال : وإنما هذا كله في الزينة ، قال : ولا يجوز للمرأة أن تنظر إلى شيء من عورة المرأة ، قال : ولو نظر الرجل إلى فخذ الرجل ، لم أر به بأسا ، قال : (ولا ما ملكت أيمانهنّ) فليس ينبغي لها أن تكشف قُرطها للرجل ، قال : وأما الكُحل والخاتم والحضاب ، فلا بأس به ، قال : والزوج له فضل ، والآباء من وراء الرجل لهم فضل . قال : والآخرون يتفاضلون ، قال : وهذا كله يجمعه ما ظهر من الزينة . قال : وكان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا يحتجبن من الممالك . وقوله (ولا ما ملكت أيمانهنّ) من الرجال والنساء . وقال آخرون : من النساء ، وقوله (وآتقين الله) : يقول : وخيفن الله أيها النساء أن تتعدّين ما حدّ الله لكن ، فتبتدين من زينتك ما ليس لكنّ أن تبدينه ، أو تتركن الحجاب الذي أمركن الله بلزومه ، إلا فيما أباح لكن تركه ، والزمنّ طاعته . (إن الله كان على كلّ شيء شهيدا) : يقول تعالى ذكره : إن الله شاهد على ما تفعلنه من

احتجابكن ، وترككن الحجاب لمن أبحث ، لكن ترك ذلك له ، وغير ذلك من أموركن ؛ يقول : فاتقين الله في أنفسكن لآتلقين الله وهو شاهد عليكم بمعصيته ، وخلاف أمره ونهيه ، فتهلكن ، فإنه شاهد على كل شيء .

القول في تأويل قوله تعالى

* إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)

يقول تعالى ذكره : إن الله وملائكته يبركون على النبي محمد صلى الله عليه وسلم . كما حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) يقول : يباركون على النبي . وقد يحتمل أن يقال : إن معنى ذلك : أن الله يرحم النبي ، وتدعو له ملائكته ويستغفرون ، وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله إنما هو دعاء . وقد بيننا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته .

(يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبي الله محمد صلى الله عليه وسلم (وسلموا) عليه (تسليما) يقول : وحيثوه تحية الإسلام . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن عنبسة ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى بن طلحة ، عن أبيه ، قال : « أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : سمعت الله يقول (إن الله وملائكته يصلون على النبي) . . . الآية ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : قل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد » .

حدثني جعفر بن محمد الكوفي ، قال : ثنا يعلى بن الأجلح ، عن الحكم بن عتيبة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن كعب بن عجرة ، قال : لما نزلت (إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) ، قمت إليه ، فقلت : السلام عليك قد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك يا رسول الله ؟ قال : قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو إسرائيل ، عن يونس بن خباب ، قال : « خطبنا بفارس فقال : (إن الله وملائكته) . . . الآية ، فقال : أنبأني من سمع ابن عباس يقول : هكذا

أنزل ، فقلنا : أو قالوا : يا رسول الله ، قد علمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن إبراهيم « في قوله (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ) ... الآية ، قالوا : يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : قولوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَرَسُولِكَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . حدثني يعقوب الدورقي ، قال : ثنا ابن عثية ، قال : ثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن ابن بشر بن مسعود الأنصاري ، قال : « لما نزلت (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) قالوا : يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه ، فكيف الصلاة ، وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : قولوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) قال : لما نزلت هذه الآية قالوا : يا رسول الله ، قد علمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وقال الحسن : « اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد ، كما جعلتها على إبراهيم ، إنك حميد مجيد . »

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا، فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨)

يعني بقوله تعالى ذكره : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ) : إن الذين يؤذون ربهم بمعصيتهم إياه ، وركوبهم ما حرم عليهم . وقد قيل : إنه عنى بذلك أصحاب التصاوير ، وذلك أنهم يرومون تكوين خلق مثل خلق الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد القرشي ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سائمة بن الحجاج ، عن عكرمة ، قال : الذين يؤذون الله ورسوله ، هم أصحاب التصاوير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) قال : يا سبحان الله ، ما زال أناس من جهلة بني آدم حتى تعاطوا أذى ربهم ، وأما أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو طعنهم عليه في نكاحه صفية بنت حيي ، فيما ذكو .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) قال : نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين اتخذ صفية بنت حسبي بن أخطب : وقوله (لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) يقول تعالى ذكره : أبعدهم الله من رحمته في الدنيا والآخرة ، وأعد لهم في الآخرة عذابا يهينهم فيه بالخلود فيه .

وقوله (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ) كان مجاهد يوجه معنى قوله (يُؤْذُونَ) إلى يقفون .

ذكر الرواية بذلك عنه

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ) قال : يقفون . فمعنى الكلام على ما قال مجاهد : والذين يقفون المؤمنين والمؤمنات ، ويعيبونهم ، طلبا لشينهم (بغير ما اكتسبوا) يقول : بغير ما عملوا .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (بغير ما اكتسبوا) : قال عملوا . حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا عثام بن علي ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : قرأ ابن عمر : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغير ما اكتسبوا ، فقد احتتملوا بهتاننا وإثما مبينا) : قال : فكيف إذا أوذى بالمعروف ، فذلك يضاعف له العذاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام بن علي ، عن الأعمش ، عن ثور ، عن ابن عمر (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغير ما اكتسبوا) قال : كيف بالذي يأتي إليهم المعروف . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغير ما اكتسبوا ، فقد احتتملوا بهتاننا وإثما مبينا) : فإياكم وأذى المؤمن ، فإن الله يحوطه ، ويغضب له .

وقوله (فَقد احتتملوا بهتاننا وإثما مبينا) يقول : فقد احتملوا زورا وكذبا وفرية شنيعة ؛ وبهتان : أفحش الكذب (وإثما مبينا) يقول : وإثما يبين لسامعه أنه إثم وزور .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزواجك، وبناتك، ونساء المؤمنين، يدنين عليهن من جلابيبهن، ذَلِكَ أَدْنَىٰ

أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين ،

لانتشبهن بالإماء في لباسهن ، إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن ، فكشفن شعورهن ووجوههن ، ولكن ليدنين عليهن من جلابيبن ، لثلا يعرض لهن فاسق ، إذا علم أنهن حرائر ، بأذى من قول .
ثم اختلف أهل التأويل في صفة الإذناء الذي أمرهن الله به ، فقال بعضهم : هو أن يُغَطَّيْنَ وجوههن ورءوسهن ، فلا يبدن منهن إلا عينا واحدة .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيها النسي قل لآزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبن) : أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة ، أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ، ويبدن عينا واحدة .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن محمد ، عن عبيدة في قوله (يا أيها النسي قل لآزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبن) : فلبسها عندنا ابن عون ، قال : ولبسها عندنا محمد ، قال محمد : ولبسها عندى عبيدة ، قال ابن عون : بردائه ، فتقنع به ، فغطى أنفه وعينه اليسرى ، وأخرج عينه اليمنى ، وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبه أو على الحاجب .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سألت عبيدة ، عن قوله (قل لآزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبن) قال : فقال بثوبه ، فغطى رأسه ووجهه ، وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه .
وقال آخرون : بل أمرن أن يشدن جلابيبن على جباهن .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيها النسي قل لآزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبن) ... إلى قوله (وكان الله غفورا رحيما) قال : كانت الحرمة تلبس لباس الأمة ، فأمر الله نساء المؤمنين أن يدين عليهن من جلابيبن ، وإذناء الجلاب : أن تقنع وتشد على جيبيها .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيها النسي قل لآزواجك وبناتك ونساء المؤمنين) أخذ الله عليهن إذا خرجن أن يقنعن على الحواجب (ذلك أدنى أن يعرقتن فلا يؤذين) وقد كانت المملوكة إذا مرت تناولوها بالإذناء ، فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالإماء .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يدنين عليهن من جلابيبن) : يتجلبن ، فيعلم أنهن حرائر ، فلا يعرض لهن فاسق بأذى ، من قول ولا ريبه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن حدثه ، عن أبي صالح ، قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة على غير منزل ، فكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهن إذا كان الليل خرجن

يقضين حوائجهنّ ، وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل ، فأنزل الله : (يا أيها النبي قل لا زواجك وبساتيك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ) يُقْتَنَعْنَ بالجلباب ، حتى تعرف الأمة من الحرّة .

وقوله (ذلك أدنى أن يُعرفنّ فلا يؤذينّ) يقول تعالى ذكره : إدناؤهنّ جلابيبهنّ إذا أدنيتها عليهنّ . أقرب وأحرى أن يُعرفنّ من مرّرنّ به ، ويعلموا أنّهنّ لسنّ بإماء ، فيتنكّبوا عن أذاهنّ بقول مكروه ، أو تعرّض بريبة . (وكان الله غفوراً) لما سلف منهنّ ، من تركهنّ إدناءهنّ الجلابيب عليهنّ . (رحيماً) بهنّ أن يعاقبنّ بعد توبتهنّ ، بإدناء الجلابيب عليهنّ .

القول في تأويل قوله تعالى

* لَيْسَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنْفِرِيَنَّكَ بِهِمْ ، ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَ مَا تُقفُوا أَخِذُوا وَقْتِكُمْ لِقَاتِهِمْ (٦١)

* يقول تعالى ذكره : لَيْسَ لَمْ يَنْتَهِ أهل النفاق ، الذين يستسرون الكفر ، ويظهرون الإيمان (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) يعنى : ريبة من شهوة الزنا ، وحبّ الفجور . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو عبد الصمد ، قال : ثنا مالك بن دينار ، عن عكرمة ، فى قوله (لَيْسَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) قال : هم الزناة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) قال : شهوة الزنا .

قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا أبو صالح التمار ، قال : سمعت عكرمة فى قوله (فى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) قال : شهوة الزنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة عن حدثه ، عن أبي صالح (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) قال : الزناة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَيْسَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) . . . الآية ، قال : هؤلاء صنف من المنافقين (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) أصحاب الزنا ، قال : أهل الزنا من أهل النفاق الذين يطلبون النساء ، فيبتغون الزنا . وقرأ (فَلَئِنْ تَخَضَعْتَ بِالنِّسْوَةِ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) قال : والمنافقون أصناف عشرة فى براءة ، قال : فالذين فى قلوبهم مرض صنف منهم ، مرض من أمر النساء .

وقوله (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) يقول : وأهل الإرجاف في المدينة بالكذب والباطل . وكان إرجافهم فيما ذكر ، كالذي حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَيْسَ لَمْ يَنْتَهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) . . . الآية ، الإرجاف : الكذب الذي كان نافقه أهل النفاق ، وكانوا يقولون : أتاكم عدد وعدة . وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهرُوا ما في قلوبهم من النفاق ، فأوعدهم الله بهذه الآية ، قوله : (لَيْسَ لَمْ يَنْتَهَ الْمُنَافِقُونَ ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) . . . الآية ؛ فلما أوعدهم الله بهذه الآية ، كتموا ذلك وأسرّوه . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) هم أهل النفاق أيضا الذين يُرْجِفُونَ برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين . وقوله (لَتَسْخَرِيَنَّكَ بِهِمْ) يقول : لنسلطنك عليهم ، ولنحرسنك بهم . وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَتَسْخَرِيَنَّكَ بِهِمْ) يقول : لنسلطنك عليهم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَتَسْخَرِيَنَّكَ بِهِمْ) : أى لنحملنك عليهم لنحرسنك بهم . قوله (ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) يقول : ثم لننفيهم عن مدينتك فلا يسكنون معك فيها إلا قليلا من المدة والأجل ، حتى ننفيم عنها ، فنخرجهم منها . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) : أى بالمدينة . وقوله (مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا) أخذوا (وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا) يقول تعالى ذكره : مطرودين منفيين أينما ثُقِفُوا : يقول : حيثما لُقُوا من الأرض ، أخذوا وقتلوا ، لكفرهم بالله ، تقتيلا . وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَلْعُونِينَ) على كل حال (أَيْنَمَا ثُقِفُوا) أخذوا (وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا) إذا هم أظهروا النفاق . ونصب قوله (مَلْعُونِينَ) على الشتم ، وقد يجوز أن يكون القليل من صفة الملعونين ، فيكون قوله ملعونين مردودا على القليل ، فيكون معناه : ثم لا يجاورونك فيها إلا أقباء ، ملعونين يقتلون حيث أصبوا .

القول في تأويل قوله تعالى

سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)

يقول تعالى ذكره (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ) هؤلاء المنافقين الذين في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، من ضرباء هؤلاء المنافقين ، إذا هم أظهروا نفاقهم ، أن يُفْتَلَهُمْ تَقْتِيلًا ، ويلعهم لعنا كثيرا .

وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ) . . . الآية : يقول : هكذا سنة الله فيهم ، إذا أظهروا النفاق .

وقوله (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنّها في خلقه تغييرا ، فأيقن أنه غير مغيّر في هؤلاء المنافقين سنته .

القول في تأويل قوله تعالى

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ، قُلْ: إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣)

يقول تعالى ذكره : يسألك الناس يا محمد عن الساعة متى هي قائمة ؟ قل لهم : إنما علم الساعة عند الله ، لا يعلم وقت قيامها غيره . (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) : يقول : وما أشعرك يا محمد ، لعل قيام الساعة يكون منك قريبا ، قد قرب وقت قيامها ، ودنا حين مجيئها .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَآمَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِلَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥)

يقول تعالى ذكره : إن الله أبعده الكافرين به من كل خير ، وأقصاهم عنه . (وَأَمَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) : يقول : وأعدّ لهم في الآخرة نارا تنقد وتنسعر ، ليصلبهموها . (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) يقول : ما كثرين في السعير أبدا ، إلى غير نهاية (لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يتولاهم ، فيستنقذهم من السعير التي أصلاهموها الله . (وَلَا نَصِيرًا) ينصرهم ، فينجيهم من عقاب الله إياهم .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره : لا يجد هؤلاء الكافرون وليا ولا نصيرا في يوم تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ، حالا بعد حال ، (يَقُولُونَ) : وتلك حالهم في النار (يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ) في الدنيا ، وأطعنا رسوله ، فيما جاءنا به عنه من أمره ونهيه ، فكنا مع أهل الجنة في الجنة ، يا لها حسرة وندامة ، ما أعظمها وأجلها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ

الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)

يقول تعالى ذكره: وقال الكافرون يوم القيامة في جهنم: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلالة وكبراءنا في الشرك (فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا) يقول: فأزلونا عن محجة الحق، وطريق الهدى، والإيمان بك، والإقرار بوحدانيتك، وإخلاص طاعتك في الدنيا (رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ) يقول: عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا (وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا) يقول: وأخزهم خزيا كبيرا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا): أى رعوسنا في الشر والشرك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا) قال: هم رعوس الأمم الذين أضلّوهم، قال: سادتنا وكبراءنا واحد. وقرأت عامة قراء الأمصار (سادتنا). ورؤى عن الحسن البصرى (ساداتنا) على الجماع، والتوحيد في ذلك هي القراءة عندنا، لإجماع الحجة من القراء عليه.

واختلفوا في قراءة قوله (لَعْنًا كَبِيرًا): فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار بالثاء (كثيِّراً) من الكثرة، سوى عاصم، فإنه قرأه (لَعْنًا كَبِيرًا) من الكسب. والقراءة في ذلك عندنا بالثاء، لإجماع الحجة من القراء عليها.

القول في تأويل قوله تعالى

يَسَاءَ مَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِيْنَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ، فَبَرَّاهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا، وَكَانَ عِنْدَ

اللهِ وَجِيهًا (٦٩)

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله: لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم، ولا بفعل لا يجبه منكم، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبي الله، فرموه بعيد كذبا وباطلا (فَبَرَّاهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا) فيه من الكذب والزور، بما أظهر من البرهان على كذبهم (وكان عند الله وجيهاً) يقول: وكان موسى عند الله مشفعا فيما يسأل، ذا وجه ومنزلة عنده، بطاعته إياه.

ثم اختلف أهل التأويل في الأذى الذي أُوذِيَ به موسى، الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: رموه بأنه آدر. وروى بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا.

ذكر الرواية التي رويت عنه ، ومن قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المهال ، عن سعيد بن جبير ، وعبد الله ابن الحارث ، عن ابن عباس « في قوله (لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى) قال : قال له قومه : إنك آذرت ، قال : فخرج ذات يوم يغتسل ، فوضع ثيابه على صخرة ، فخرجت الصخرة تشتد بثيابه ، وخرج يتبعها عريانا حتى انتهت به إلى مجالس بني إسرائيل ، قال : فأرؤه ليس بآدر ، قال : فذلك قوله (فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا) » .

حدثني يحيى بن داود الواسطي ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن سفیان ، عن جابر ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : (لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى) قال : قالوا : هو آدر ، قال : فذهب موسى يغتسل ، فوضع ثيابه على حجر ، ففر الحجر بثيابه ، فتبع موسى قفاه ، فقال : ثيابي حجر ، ففر بمجلس بني إسرائيل ، فأرؤه ، فبرأه الله مما قالوا (وكان عند الله وجيبها) « حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى) . . . إلى (وجيبها) قال : كان أذاهم موسى أنهم قالوا : والله ما يمنع موسى أن يضع ثيابه عندنا إلا أنه آدر ، فأذى ذلك موسى ، فبينما هو ذات يوم يغتسل وثوبه على صخرة ، فلما قضى موسى غسله وذهب إلى ثوبه ليأخذه ، انطلقت الصخرة تسعى بثوبه ، وانطلق يسعى في أثرها ، حتى مرت على مجلس بني إسرائيل وهو يطلبها ؛ فلما رأوا موسى صلى الله عليه وسلم متجردا لاثوب عليه ، قالوا : والله ما نرى بموسى بأسا ، وإنه لبريء مما كنا نقول له ، فقال الله : (فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ، وكان عند الله وجيبها) » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى) . . . الآية ، قال : « كان موسى رجلا شديد المحافظة على فرجه وثيابه ، قال : فكانوا يقولون : ما يحمله على ذلك إلا عيب في فرجه . يكره أن يُرى ، فقام يوما يغتسل في الصحراء فوضع ثيابه على صخرة ، فاشتدت بثيابه ، قال : وجاء يطلبها عريانا ، حتى اطلع عليهم عريانا ، فأرؤه بريئا مما قالوا ، وكان عند الله وجيبها » قال : والوجه في كلام العرب : المحب المقبول .
وقال آخرون : بل وصفوه بأنه أبرص .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : « قال بنو إسرائيل : إن موسى آدر ؛ وقالت طائفة : هو أبرص من شدة تسره ، وكان يأتي كل يوم عينا ، فيغتسل ويضع ثيابه على صخرة عندها ، فعدت الصخرة بثيابه حتى انتهت إلى مجلس بني إسرائيل ، وجاء موسى يطلبها ؛ فلما رأوه عريانا . ليس به شيء مما قالوا ، لبس ثيابه ، ثم أقبل على الصخرة يضربها بعصاه ، فأثرت العصا في الصخرة . » حدثنا بحر بن حبيب بن عربي ، قال : ثنا روح بن عبادة ، قال : ثنا عوف ، عن محمد ، عن أبي هريرة

في هذه الآية (لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ قَبْرَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا) . . . الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن موسى كان رجلاً حَيِّياً سَتِيْرًا ، لا يَكَادُ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ ، اسْتَحْيَاءٌ مِنْهُ ، فَأَذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَقَالُوا : مَا تَسْتَرُ هَذَا التَّسْتَرُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ فِي جِلْدِهِ ، إِمَّا بَرَصٌ ، وَإِمَّا أُذْرَةٌ ، وَإِمَّا آفَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّرَهُ مِمَّا قَالُوا ، وَإِنَّ مُوسَىٰ خَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى حَجَرٍ ، ثُمَّ اغْتَسَلَ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ ، أَقْبَلَ عَلَى ثَوْبِهِ لِيَأْخُذَهُ ، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ ، فَأَخَذَ مُوسَىٰ عَصَاً وَطَلَبَ الْحَجَرَ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : ثَوْبِي حَجَرٌ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا كَأَحْسَنِ النَّاسِ خَلْقًا ، وَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ، وَإِنَّ الْحَجَرَ قَامَ ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ وَلَبِيسَهُ ، فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِذَلِكَ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ فِي الْحَجَرِ لِنَدْبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا . »

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان موسى رجلاً حَيِّياً سَتِيْرًا » ثم ذكر نحو ما منه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : حدث الحسن ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بني إسرائيل كانوا يَغْتَسِلُونَ وَهُمْ عُرَاءٌ ، وَكَانَ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَىٰ حَيِّياً ، فَكَانَ يَتَسَتَّرُ إِذَا اغْتَسَلَ ، فَطَعَنُوا فِيهِ بِعُورَةٍ ، قَالَ : فَهَيِّنَا نَبِيَّ اللَّهِ يَغْتَسِلُ يَوْمًا ، إِذْ وَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى صَخْرَةٍ ، فَانْطَلَقَتِ الصَّخْرَةُ ، وَاتَّبَعَهَا نَبِيُّ اللَّهِ ضَرْبًا بِعِصَاهُ : ثَوْبِي يَا حَجَرٌ ، ثَوْبِي يَا حَجَرٌ ، حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَوْ تَوَسَّطَهُمْ ، فَقَامَتْ ، فَأَخَذَ نَبِيُّ اللَّهِ ثِيَابَهُ ، فَتَنظَرُوا إِلَى أَحْسَنِ النَّاسِ خَلْقًا ، وَأَعْدَلَهُ مُرُوءَةً ، فَقَالَ الْمَلَأُ : قَاتَلَ اللَّهُ أَفَّاكِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَكَانَتْ بَرَاءَتُهُ الَّتِي بَرَّاهُ اللَّهُ مِنْهَا . »

وقال آخرون : بل كان أذاهم إياه ادعاءهم عليه قتل هارون أخيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن مسلم الطوسي ، قال : ثنا عباد ، قال : ثنا سفيان بن حبيب ، عن الحكم ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، في قول الله (لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ) . . . الآية ، قال : صعد موسى وهارون الجبل ، فمات هارون ، فقالت بنو إسرائيل : أنت قتلته ، وكان أشد حبا لنا منك ، وألين لنا منك ، فأذوه بذلك ، فأمر الله الملائكة فحملته ، حتى مروا به على بني إسرائيل ، وتكلمت الملائكة بموته ، حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات ، فبرأه الله من ذلك ، فانطلقوا به فدفنوه ، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرَّحْمَنُ ، فجعله الله أصم أبكم .

*** وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤذوا به ، فبرأه الله مما آذوه به . وجائز أن يكون ذلك كان قتلهم أنه أبرص . وجائز أن يكون كان ادعاءهم

عليه قتل أخيه هارون . وجائز أن يكون كل ذلك ، لأنه قد ذكر كل ذلك ، أنهم قد آذوه به ، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى ، فبرأه الله مما قالوا .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، اتقوا الله أن تعصوه ، فتستحقوا بذلك عقوبته . وقوله (وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) : يقول : قولوا في رسول الله والمؤمنين قولاً قاصداً غير جائز ، حقا غير باطل .

كما حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) يقول : سدادا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عنبسة ، عن الكلبي (وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) قال : صدقا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) أي عدلاً ، قال قتادة : يعني به في منطقته ، وفي عمله كله . والسديد : الصدق .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قول الله (وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) قولوا : لا إله إلا الله .

وقوله (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) يقول تعالى ذكره للمؤمنين : اتقوا الله وقولوا السداد من القول ، يوفقكم لصالح الأعمال ، فيصلح أعمالكم . (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) : يقول : ويغفر لكم عن ذنوبكم ، فلا يعاقبكم عليها (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فيعمل بما أمره به ، وينتهي عما نهاه ، ويقتل السديد . (فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) : يقول : فقد ظفر بالكرامة العظمى من الله .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢)

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : إن الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال ، على أنها إن أحسنت أثبتت وجوزيت ، وإن ضيقت عوقبت ، فأبت حملها ، شفقة منها أن لاتقوم بالواجب عليها ، وحملها آدم . (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا) لنفسه (جَهُولًا) بالذي فيه الحظ له .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (إِنَّا

عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) قال : الأمانة : الفرائض التي افترضها الله على العباد .

قال : ثنا هشيم ، عن العوام ، عن الضحاک بن مزاحم ، عن ابن عباس ، في قوله (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا) قال : الأمانة : الفرائض التي افترضها الله على عباده .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب وجويبير ، كلاهما عن الضحاک ، عن ابن عباس ، في قوله (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) . . . إلى قوله (جَهُولًا) قال : الأمانة : الفرائض . قال جويبير في حديثه : فلما عرضت على آدم ، قال : أي رب وما الأمانة ؟ قال : قيل : إن أدبها جزيت ، وإن ضيعها عوقبت ، قال : أي رب حملتها بما فيها ، قال : فما مكث في الجنة إلا قدر ما بين العصر إلى غروب الشمس حتى عمل بالمعصية ، فأخرج منها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد ، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) قال : عرضت على آدم ، فقال : خذها بما فيها ، فإن أطعت غفرت لك ، وإن عصيت عذبتك ، قال : قد قبلت ، فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم ، حتى أصاب الخطيئة .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) إن أدوها أثابهم ، وإن ضيعوها عذبهم ، فكرهوا ذلك ، وأشفقوا من غير معصية ، ولكن تعظيماً لدين الله أن لا يقوموا بها ، ثم عرضها على آدم ، فقبلها بما فيها ، وهو قوله (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) غيراً بأمر الله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) : الطاعة عرضها عليها قبل أن يعرضها على آدم ، فلم تطقها ، فقال لآدم : يا آدم ، إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطقها ، فهل أنت آخذها بما فيها ؟ فقال : يا رب : وما فيها ؟ قال : إن أحسنت جزيت ، وإن أسأت عوقبت ، فأخذها آدم فتحملها ، فذلك قوله (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا سفيان ، عن رجل ، عن الضحاک بن مزاحم ، في قوله (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) قال آدم : قيل له : خذها بحقها ، قال : وما حقها ؟ قيل : إن أحسنت جزيت ، وإن أسأت عوقبت ، فما لبث ما بين الظهر والعصر حتى أخرج منها .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) فلم يطقن حملها ، فهل أنت يا آدم آخذها بما فيها ؟

(١) في الأصل : وجير . وسيأتي في الحديث نفسه أنه جوير .

قال آدم : وما فيها يارب ؟ قال : إن أحسنت جزيت ، وإن أسأت عوقبت ، فقال : تحماتها ، فقال الله تبارك وتعالى : قد حملتها ، فما مكث آدم إلا مقدار ما بين الأولى إلى العصر ، حتى أخرجه إبليس لعنه الله من الجنة . والأمانة : الطاعة .

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقية ، قال : ثنى عيسى بن إبراهيم ، عن موسى بن أبي حبيب ، عن الحكم بن عمرو ، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الأمانة والوفاء نزلتا على ابن آدم مع الأنبياء ، فأرسلوا به ، فمنهم رسول الله ، ومنهم نبي ، ومنهم نبي رسول » ؛ نزل القرآن وهو كلام الله ، ونزلت العربية والعجمية ، فعلموا أمر القرآن ، وعلّموا أمر السنن بألسنتهم ، ولم يدع الله شيئا من أمره مما يأتون ومما يجتنبون ، وهي الحجج عليهم ، إلا بينه لهم ، فليس أهل لسان إلا وهم يعرفون الحسن من القبيح . ثم الأمانة أول شيء يرفع ، ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ، ثم يرفع الوفاء والعهد والدم ، وتبقى الكتب ، فعلم يعمل ، وجاهل يعرفها وينكرها ، حتى وصل إلى وإلى أمي ، فلا يهلك على الله إلا هالك ، ولا يغفل إلا تارك ، والحذر أيها الناس ، وإياكم والوسواس الخناس ، وإنما يلوكم أيكم أحسن عملا .

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا عبيد الله بن عبد الحميد الحنفي ، قال : ثنا العوام العطار ، قال : ثنا قتادة ، وأبان بن أبي عياش ، عن خليد العصري ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة : من حافظ على الصلوات الخمس ، على وضوئهن وركوعيهن وسجوديهن ومواقيتهن ، وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها ، وكان يقول : وأيم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن ، وصام رمضان ، وحج البيت إن استطاع إلى ذلك سبيلا ، وأدى الأمانة ، قالوا : يا أبا الدرداء : وما الأمانة ؟ قال : الغسل من الجنابة ، فإن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره . »

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن أبي بن كعب ، قال : من الأمانة : أن المرأة أو تمت على فرجها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (إننا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) قال : إن الله عرض عليهن الأمانة : أن يفرض عليهن الدين ، ويجعل لهن ثوابا وعقابا ، ويستأمنن على الدين . فقلن : لا ، نحن مسخرات لأمرك ، لا نريد ثوابا ولا عقابا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وعرضها الله على آدم ، فقال : بين أذني وعاتقي » ؛ قال ابن زيد ، فقال الله له : أما إذا تحملت هذا ، فسأعنيك ، أجعل لبصرك حجبا ، فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك ، فأرخ عليه حجابه ، وأجعل لسانك بابا وغلقا ، فإذا خشيت فأغلق ، وأجعل لفرجك لباسا ، فلا تكشفه إلا على ما أحلت لك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إننا عرضنا الأمانة على السموات

والأرض والجبال) يعنى به : الدين والفرائض الحدود (فَأَبْسَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) قيل لمن : حملها تؤدبها حقها ، فقلن : لانطبق ذلك (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) قيل له : أتحمّلها ؟ قال : نعم ، قيل : أتؤدبى حقها ؟ قال : نعم ، قال الله : إنه كان ظلوما جهولا عن حقها . وقال آخرون : بل عنى بالأمانة فى هذا الموضع : أمانات الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكْفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا ، أَوْ قَالَ : يُكْفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْأَمَانَةَ ؛ يُؤْتَى بِصَاحِبِ الْأَمَانَةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : أَدَّ أَمَانَتَكَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا ؟ ثَلَاثًا ؛ فَيُقَالُ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى الْهَآوِيَةِ ، فَيُذْهِبُ بِهِ إِلَيْهَا ، فَيَهْوَى فِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى قَعْرِهَا ، فَيَسْجِدُهَا هُنَاكَ كَهَيْئَتِهَا ، فَيَحْمِلُهَا ، فَيَضَعُهَا عَلَى عَاتِقِهِ ، فَيَضَعُهَا فِيهَا إِلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ ، زَلَّتْ ، فَهَوَى فِي أَثَرِهَا أَبَدَ الْآبِدِينَ » . قالوا : والأمانة فى الصلاة ، والأمانة فى الصوم ، والأمانة فى الحديث ، وأشد ذلك الودائع ، فلقيت البراء فقلت : ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله ؟ فقال : صدق . قال شريك ، وثنى عياش العامرى عن زاذان ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، ولم يذكر الأمانة فى الصلاة ، وفى كل شيء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن ابن أبى هلال ، عن أبى حازم ، قال : « إِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى سَآءِ الدُّنْيَا ، فَأَبَتْ ؛ ثُمَّ التَّى تَلْهِمَا ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا ، ثُمَّ الْأَرْضِينَ ثُمَّ الْجِبَالَ ، ثُمَّ عَرَضَهَا عَلَى آدَمَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، بَيْنَ أُذُنِي وَعَاتِقِي ، فَثَلَاثَ أَمْرِكَ بَيْنَ ، فَأَنْهَنَ لَكَ عَوْنٌ : إِنِّي جَعَلْتُ لَكَ لِسَانًا بَيْنَ لِحْيَيْنِ ، فَكَفَفَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ نَهَيْتُكَ عَنْهُ ؛ وَجَعَلْتُ لَكَ فَرْجًا وَوَارِيَةً ، فَلَا تَكْشِفُهُ إِلَى مَا حَرَّمَ عَلَيْكَ . »

وقال آخرون : بل ذلك إنما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده ، وخيانة قابيل أباه فى قتله أخاه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « كَانَ لَا يُولَدُ لآدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا وَوُلِدَ مَعَهُ جَارِيَةٌ ، فَكَانَ يَزُوجُ غُلَامَ هَذَا الْبَطْنِ ، جَارِيَةَ هَذَا الْبَطْنِ الْآخَرَ ، وَيَزُوجُ جَارِيَةَ هَذَا الْبَطْنِ ، غُلَامَ هَذَا الْبَطْنِ الْآخَرَ ، حَتَّى وُلِدَ لَهُ اثْنَانِ ، يُقَالُ لَهُمَا قَابِيلٌ ، وَهَابِيلُ ؛ وَكَانَ قَابِيلٌ صَاحِبَ زَرْعٍ ، وَكَانَ هَابِيلُ صَاحِبَ ضَرْعٍ ، وَكَانَ قَابِيلٌ أَكْبَرَهُمَا ، وَكَانَ لَهُ أُخْتُ أَحْسَنُ مِنْ أُخْتِ هَابِيلَ ، وَإِنْ هَابِيلُ طَلَبَ أَنْ يَسْتَكِيحَ أُخْتِ قَابِيلَ ، فَأَبَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : هِيَ أُخْتِي . » (١) ترك الثالثة والذى فى الدر : إني جعلت لك بصرا ، وجعلت لك شفتين ، فغضبهما عن كل شيء نهيتك عنه ، وجعلت لك لسانا الخ .

وُلِدْتُ مَعِيَ ، وَهِيَ أَحْسَنُ مِنْ أُخْتِكَ ، وَأَنَا أَحَقُّ أَنْ أُتْرَجَّحَ بِهَا ، فَأَمْرُهُ أَبُوهُ أَنْ يَزُوجَهَا هَابِيلَ ، فَأَبَى ، وَإِنَّمَا قَرَّبَا قَرْبَانًا إِلَى اللَّهِ أَيُّهُمَا أَحَقُّ بِالْجَارِيَةِ ، وَكَانَ آدَمُ يَوْمَئِذٍ قَدْ غَابَ عَنْهُمَا ، أَيْ بِمَكَّةَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، قَالَ اللَّهُ لآدَمَ : يَا آدَمُ ، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ لِي بَيْنَا فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ لَا ، قَالَ : إِنَّ لِي بَيْنَا بِمَكَّةَ فَأْتَهُ ، فَقَالَ آدَمُ لِلسَّمَاءِ : احْفَظِي وَلَدِي بِالْأَمَانَةِ ، فَأَبَتْ ؛ وَقَالَ لِلْأَرْضِ ، فَأَبَتْ ؛ وَقَالَ لِلْجِبَالِ ، فَأَبَتْ ؛ فَقَالَ لِقَابِيلَ ، فَقَالَ : نَعَمْ . تَذْهَبُ وَتَرْجِعُ ، وَتَجِدُ أَهْلَكَ كَمَا يَسُرُّكَ ؛ فَلَمَّا انْطَلَقَ آدَمُ وَقَرَّبَا قَرْبَانًا ، وَكَانَ قَابِيلُ يَفْخَرُ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ : أَنَا أَحَقُّ بِهَا مِنْكَ ، هِيَ أُخْتِي ، وَأَنَا أَكْبَرُ مِنْكَ ، وَأَنَا وَصِيٌّ وَالِدِي ؛ فَلَمَّا قَرَّبَا ، قَرَّبَ هَابِيلُ جَدَّةً سَمِيئَةً ، وَقَرَّبَ هَابِيلُ حِزْمَةَ سُنْبُلٍ ، فَوَجَدَ فِيهَا سَنْبَلَةً عَظِيمَةً ، فَفَرَكَهَا فَأَكَلَهَا ، فَفَزَعَتْ النَّارُ . فَأَكَلَتْ قَرْبَانَ هَابِيلَ ، وَتَرَكَتْ قَرْبَانَ قَابِيلَ ، فَغَضِبَ وَقَالَ : لِأَقْتُلَنَّكَ حَتَّى لَا تَنْكِحَ أُخْتِي ، فَقَالَ هَابِيلُ : (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ، لَنْ نَبْسَطَ لَكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ، مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) . . . إِلَى قَوْلِهِ (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ) ، فَطَلَبَهُ لِيَقْتُلَهُ ، فَرَاغَ الْغَلَامُ مِنْهُ فِي رِعْوَسِ الْجِبَالِ ، وَأَتَاهُ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ ، وَهُوَ يَرُوعَى غَنَمَهُ فِي جَبَلٍ ، وَهُوَ نَائِمٌ ، فَفَرَعَ صَخْرَةً ، فَشَدَّ بِهَا رَأْسَهُ ، فَمَاتَ ، وَتَرَكَهُ بِالْعَرَاءِ ، وَلَا يَعْلَمُ كَيْفَ يُدْفَنُ ، فَبَعَثَ اللَّهُ غَرَابِينَ أَخْوِينَ ، فَاقْتَتَلَا ، فَقَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ، فَحَفَرَ لَهُ ، ثُمَّ حُتِيَ عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : (يَا وَيْلَتَا ! أَعْجَبْتَ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ، فَأَوَارَى سَوْأَةَ أُخِي) ؟ فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (قَبَعَتْ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ، لِيُبْرِئَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أُخِيهِ) فَرَجَعَ آدَمُ ، فَوَجَدَ ابْنَهُ قَدْ قَتَلَ أَخَاهُ ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ : (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) . . . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ : مَا قَالَهُ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّهُ عَسَى بِالْأَمَانَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : جَمِيعَ مَعَانِي الْأَمَانَاتِ فِي الدِّينِ ، وَأَمَانَاتِ النَّاسِ ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْصُ بِقَوْلِهِ (عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) بَعْضَ مَعَانِي الْأَمَانَاتِ لِمَا وَصَفْنَا .

وَبِنَحْوِ قَوْلِنَا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ السُّدِّيِّ (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) يَعْنِي قَابِيلَ حِينَ حَمَلَ أَمَانَةَ آدَمَ لَمْ يَحْفَظْ لَهُ أَهْلَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قَالَ : ثَنَا سَفِيَّانُ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، فِي قَوْلِهِ (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) : قَالَ آدَمُ . (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) قَالَ : ظَلُومًا لِنَفْسِهِ ، جَهُولًا فِي مَا احْتَمَلَ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ .

حَدَّثَنَا عَلِيُّ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَا مَعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) عَرَّ بِأَمْرِ اللَّهِ .

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِنَّهُ كَانَ ظَلَمُوا جَهُولًا) قال: ظلوما لها، يعني للأمانة، جهولا عن حقها.

القول في تأويل قوله تعالى

لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ، وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٣)

يقول تعالى ذكره: وحمل الإنسان الأمانة كما يعذب الله المنافقين فيها الذين يظهرن أنهم يؤدون فرائض الله، مؤمنين بها، وهم مستسرون الكفر بها، والمنافقات والمشركين بالله في عبادتهم إياه الآلهة والأوثان، (والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) يرجع بهم إلى طاعته، وأداء الأمانات التي ألزمهم إياها حتى يؤدوها (وكان الله غفورا) لذنوب المؤمنين والمؤمنات، بستره عليها، وتركه عقابهم عليها (رحيما) أن يعذبهم عليها بعد توبتهم منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا سوار بن عبد الله العنبري، قال: ثنى أبي، قال: ثنا أبو الأشهب، عن الحسن أنه كان يقرأ هذه الآية (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) حتى ينتهي (لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ) فيقول: اللذان خاناهما، اللذان ظلماهما: المنافق والمشرک. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ) هذان اللذان خاناهما، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات، هذان اللذان أدياهما (وكان الله غفورا رحيما).

آخر سورة الأحزاب، والله الحمد والمنة

تفسير سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١)

يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل، والحمد التام كله، للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السموات

السبع ، وما في الأرضين السبع دون كل ما يعبدونه ، ودون كل شيء سواه ، لا مالك لشيء من ذلك غيره ، فالعنى الذى هو مالك جميعه (وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ) يقول : وله الشكر الكامل في الآخرة ، كالذى هو له ذلك في الدنيا العاجلة ، لأن منه النعم كلها ، على كل من في السموات والأرض في الدنيا ، ومنه يكون ذلك في الآخرة ، فالحمد لله خالصا ، دون ما سواه ، في عاجل الدنيا ، وآجل الآخرة ، لأن النعم كلها من قبله ، لا يشركه فيها أحد من دونه ، وهو الحكيم في تدبيره خلقه وصرفه إياهم في تقديره ، خبير بهم ، وبما يصلحهم ، وبما عملوا ، وما هم عاملون ، محيط بجميع ذلك .
وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) حكيم في أمره ، خبير بخلقهم .

القول في تأويل قوله تعالى

يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَهُوَ الرَّحِيمُ

الغفور (٢)

يقول تعالى ذكره : يعلم ما يدخل الأرض وما يغيب فيها من شيء من قولهم : وبحت في كذا : إذا دخلت فيه ، كما قال الشاعر :

رَأَيْتُ الْقَوَافِي يَتَلَجُّنَ مَوَالِجَا تَضَائِقُ عَنْهَا أَنْ تَوَلَّجَهَا الْإِبْرَا

يعنى بقوله : « يتلجن موالجا » : يدخلن مداخل (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) يقول : وما يخرج من الأرض (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) يعنى : وما يصعد في السماء ، وذلك خبر من الله أنه العالم الذى لا يخفى عليه شيء في السموات والأرض ، مما ظهر فيها وما بطن ، وهو الرحيم الغفور ، وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعدبهم بعد توبتهم ، الغفور لذنوبهم إذا تابوا منها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ، قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ، عِلْمُ الْغَيْبِ ، لَا يُعْزَبُ عَنْهُ

(١) البيت في الشعر المنسوب إلى طرفة بن العبد البكرى ، وليس في ديوانه الذى فيه أشعار الشعراء الستة انظره في العقد الثمين ، في دواوين الشعراء الجاهليين لألورد الألساني ، طبع غريفيز ولد سنة ١٨٦٩ (وورد في) اللسان : ولج (غير منسوب . كما ورد في فرائد القلائد ، في مختصر شرح الشواهد ، للعيني ٣٩١) قال : فإن القوافي . . الخ . قاله طرفة بن العبد . والقوافي : جمع قافية ، وأراد به عاهنا : القصيدة ، لاشتغال القافية عليها . والشاهد في « يتلجن » أصله « يوتلجن » ؛ لأنه من ولج : إذا دخل . فأبدلت الواو تاء ، وأدغمت التاء في التاء . والموالج : جمع مولج ، وهو موضع الولوج . والإبر : جمع إبرة الخياط . اه . قلت : يريد طرفة أن قصائد الهجاء تبلغ من التأثير في نفس المهجو مواضع بعيدة ، لا تنالها أسنة الإبر ، إذا طعن بها المهجو وهو شبهه بقول الآخر :
والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر .

مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣)

يقول تعالى ذكره : ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قُدرة الله على إعادة خلقه بعد فناهم ، بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فناهم ، من قورمك ، بقيام الساعة ، استهزاء بوعدهك إياهم ، وتكذيبا لخبرك ، قل لهم : بلى تأتيتكم* وربى ، قسما به لتأتينكم الساعة ، ثم عاد جلّ جلاله بعد ذكره الساعة على نفسه ، وتمجيدها ، فقال (عالم الغيب) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء المدينة (عالم الغيب) على مثال فاعل ، بالرفع على الاستئناف ، إذ دخل بين قوله (وربى) ، وبين قوله (عالم الغيب) كلام حائل بينه وبينه . وقرأ ذلك بعض قرآء الكوفة والبصرة ، عالم على مثال فاعل ، غير أنهم خفضوا علم . رداً منهم له على قوله (وربى) إذ كان من صفته . وقرأ ذلك بقرية عامة قرآء الكوفة (علام الغيب) على مثال فعّال ، وبالخفض رداً لإعرابه على إعراب قوله (وربى) ، إذ كان من نعته .

والصواب من القول في ذلك عندنا . أن كل هذه القراءات الثلاث . قراءات مشهورات في قرآء الأمصار ، متقاربات المعاني ، فبأيهن قرأ القارى فصيّب ، غير أن أعجب القراءات في ذلك إلى أن أقرأ بها (علام الغيب) على القراءة التي ذكرتها عن عامة قرآء أهل الكوفة . فأما اختيار « علام » على « عالم » . فلأنها أبلغ في المدح . وأما الخفض فيها فلأنها من نعت الرب ، وهو في موضع الجرّ ، وعنى بقوله (علام الغيب) : علام ما يغيّب عن أبصار الخلق ، فلا يراه أحد ، إمّا مالم يكونه مما سيكونه ، أو ما قد كونه ، فلم يُطْلِع عليه أحدا غيره ، وإنما وصف جلّ ثناؤه في هذا الموضع نفسه بعلمه الغيب . إعلاماً منه خلقه ، أن الساعة لا يعلم وقت مجيئها أحد سواه . وإن كانت جائية ، فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل للذين كفروا بربهم : بلى وربكم لتأتينكم الساعة ، ولكنه لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى علام الغيوب ، الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة .

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (ولا يعزبُ عنه) لا يغيّب عنه ، ولكنه ظاهر له .
وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا على ، قال : ثنا أبو صالح قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس في قوله (لا يعزبُ عنه) يقول : لا يغيّب عنه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (لا يعزبُ عنه) قال : لا يغيّب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (لا يعزبُ عنه) مِثْقَالُ ذَرَّةٍ : أى لا يغيّب عنه . وقد بينّا ذلك بشواهد فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) يعني : زنة ذرة في السموات ولا في الأرض ، يقول تعالى ذكره : لا يغيب عنه شيء ، من زنة ذرة فما فوقها فما دونها ، أين كان : في السموات ، ولا في الأرض (وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ) : يقول : ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرة (وَلَا أَكْثَرَ) منه (إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) يقول : هو مثبت كتاب ، يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبتته وأحصاه وعلمه ، فلم يعزب عن علمه .

القول في تأويل قوله تعالى

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)

يقول تعالى ذكره : أثبت ذلك في الكتاب المبين ، كى يثيب الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به ، وانتهوا عما نهاهم عنه ، على طاعتهم ربهم . (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يقول جل ثناؤه : هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، مغفرة من ربهم لذنوبهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) يقول : وعيش هنيء يوم القيامة في الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) : لذنوبهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) : في الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ (٥)

يقول تعالى ذكره : أثبت ذلك في الكتاب ، ليجزي المؤمنين ما وصف ، وليجزى الذين سعوا في آياتنا معاجزين ، يقول : وكى يثيب الذين عملوا في إبطال أدلتنا وحججنا معاوين^١ ، يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم ، فلا نقدر عليهم (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ) يقول : هؤلاء لهم عذاب من شديد العذاب الأليم ، ويعنى بالأليم : الموجع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَسَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ) : أى لا يعجزون (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ) قال : الرجز : سوء العذاب ، الأليم : الموجع . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ) قال : جاهدين ليهبطوها أو يبطلوها ، قال : وهم المشركون ، وقرأ (لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ) .

(١) (في اللسان : عجز) : معاجزين : أى يعاجزون الأنبياء وأولياء الله ، أى يقاتلونهم ويمانعونهم ، ليصير وهم إلى العجز عن أمر الله . ويقال : فلان يعاجز عن الحق إلى الباطل أى يميل إليه ويلجأ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ، وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦)

يقول تعالى ذكره : أثبت ذلك في كتاب مبين ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا ، والذين سعوا في آياتنا ما قد بين لهم ، وليرى الذين أُوتوا العلم ، فيرى : في موضع نصب ، عطفاً به على قوله : يَجْزِي ، في قوله (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا) وَعَسَىٰ بِالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : مُسْلِمَةٌ أَهْلَ الْكِتَابِ ، كعبد الله بن سلام ، ونظرائه الذين قد قرءوا كتب الله التي أنزلت قبل الفرقان ، فقال تعالى ذكره : وليرى هؤلاء الذين أُوتوا العلم بكتاب الله ، الذي هو التوراة ، الكتاب الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحق .

وقيل : عَسَىٰ بِالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ) قال : أصحاب محمد .

وقوله (وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) يقول : ويرشد من اتبعه ، وعمل بما فيه إلى سبيل الله العزيز في انتقامه من أعدائه ، الحميد عند خلقه ، فأياديه عندهم ، ونعمه لديهم . وإنما يعنى أن الكتاب الذي أنزل على محمد يهدي إلى الإسلام .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كَلًّا مُمَزَّقًا ، إِنَّكُمْ لَنِفِي
خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧)

يقول تعالى ذكره : وقال الذين كفروا بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، متعجبين من وعده إياهم البعث بعد الممات ، بعضهم لبعض : (هَلْ نَدُلُّكُمْ) أيها الناس (عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كَلًّا مُمَزَّقًا) كَلًّا مُمَزَّقًا لَنَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ يقول : يخبركم أنكم بعد تقطعكم في الأرض ببلاء ، وبعد مصيركم في التراب رُفَاتًا ، عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقاً جديداً .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كَلًّا مُمَزَّقًا) قال ذلك مشركو قُريش والمشركون من الناس ، (يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كَلًّا مُمَزَّقًا) : إذا أكلتكم الأرض ، وصرت رُفَاتًا وَعِظَامًا ، وقطعتكم السباع والطيور (إِنَّكُمْ لَنِفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) ستحيون وتبعثون .

(١) بلاء : يفتح الباء ، ممنود : مصدر بلى ، بكسر اللام . تقول بلى الثوب بلى وبلاء (اللسان .)

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ) . . . إلى (خَلَقَ جَدِيدًا) قال : يقول : (إِذَا مَرَّ قَسَمٌ) : وَإِذَا بَلَغَ كُنْتُمْ عِظَامًا وَتُرَابًا وَرُفَاتًا ، ذَلِكَ كُلٌّ مُّزَّقٌ : إِنَّكُمْ لَتَنِي خَلَقَ جَدِيدًا) قال : يذبحكم أنكم ، فكسر إن ولم يعمل يذبحكم فيها ، ولكن ابتداءً بها ابتداءً ، لأن النبا خبر وقول ، فالكسر في إن لمعنى الحكاية في قوله (يَنْبَسُّكُمْ) دون لفظه ، كأنه قيل : يقول لكم : (إِنَّكُمْ لَتَنِي خَلَقَ جَدِيدًا) .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (٨)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء الذين كفروا به ، وأنكروا البعث بعد الممات ، بعضهم لبعض ، معجبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم في وعده إياهم ذلك : أفترى هذا الذي يعدنا أنا بعد أن نمزق كل ممزق ، في خلق جديد ، على الله كذباً ، فتحلقت عليه بذلك باطلاً من القول ، وتحرّص عليه قول الزور (أم به جِنَّةٌ) يقول : أم هو مجنون ، فيتكلم بما لا معنى له .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : قالوا تكذيباً (أفترى على الله كذباً) قال : قالوا : إما أن يكون يكذب على الله ، أم به جنة ، وإما أن يكون مجنوناً (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) . . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، ثم قال بعضهم لبعض (أفترى على الله كذباً أم به جِنَّةٌ) الرجل مجنون فيتكلم بما لا يعقل ، فقال الله (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ ، وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ) .

وقوله (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ) : يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما قال هؤلاء المشركون في محمد صلى الله عليه وسلم ، وظنوا به ، من أنه أفترى على الله كذباً ، أو أن به جنة ، لكن الذين لا يؤمنون بالآخرة من هؤلاء المشركين في عذاب الله في الآخرة ، وفي الذهاب البعيد عن طريق الحق ، وقصد السبيل ، فهم من أجل ذلك يقولون فيه ما يقولون .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال الله : (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ) ، وأمره أن يحلف لهم ليعتبروا ، وقرأ : (قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ) . . . الآية كلها ، وقرأ (قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ) وقطعت الألف من قوله (أفترى على الله) في القطع والوصل ، ففتحت لأنها ألف استفهام . فأما الألف التي بعدها ، التي هي ألف افتعل ، فإنها ذهبت لأنها خفيفة زائدة تسقط في اتصال الكلام ، ونظيرها : (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ - وَبِيَدِي أَسْتَكْبَرْتُمْ ، وَأَصْطَفَيْتَ الْبَنَاتِ) وما أشبه ذلك . وأما ألف

(الآنَ ، وَالذَّكَرَيْنِ) ، فطوّلت هذه ، ولم تطوّل تلك ، لأنّ الآنَ وَالذَّكَرَيْنِ كانت مفتوحة ، فلو أسقطت لم يكن بين الاستفهام والخبر فرق ، فجعل التطويل فيها فرقا بين الاستفهام والخبر ، وألف الاستفهام مفتوحة ، فكانتا مفترقتين بذلك ، فأغنى ذلك دلالة على الفرق من التطويل .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّ نَشْأَ نَحْسِفِ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٩)

يقول تعالى ذكره : أفلم ينظروا هؤلاء المكذّبون بالمعاد ، الجاحدون البعث بعد الممات ، القائلون لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم (أفسترى على الله كذبا ، أم به جنة) إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ، فيعلموا أنهم حيث كانوا ، فإن أرضي وسماي محيطة بهم ، من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن أيمنهم ، وعن شمائلهم ، فيرتدعوا عن جهلهم ، وينزجروا عن تكذيبهم بآياتنا حذرا أن نأمر الأرض فنحسف بهم ، أو السماء فنسقط عليهم قطعا ، فإننا إن نشأ نفعل ذلك بهم فعلنا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم) قال : ينظرون عن أيمنهم ، وعن شمائلهم ، كيف السماء قد أحاطت بهم (إن نشأ نحسف بهم الأرض) كما خسفنا بمن كان قبلهم (أو نسقط عليهم كسفا من السماء) : أي قطعا من السماء .

وقوله (إن في ذلك آية لكل منيب) يقول تعالى ذكره : إن في إحاطة السماء والأرض بعباد الله آية : يقول : لدلالة لكل عبد منيب : يقول : لكل عبد أناب إلى ربه بالتوبة ، ورجع إلى معرفة توحيده ، والإقرار بربوبيته ، والاعتراف بوحدانيته ، والإذعان لطاعته ، على أن فاعل ذلك لا يمتنع عليه فعل شيء أراد فعله ، ولا يتعدّر عليه فعل شيء شاءه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، (إن في ذلك آية لكل منيب) والمنيب :
المقبل التائب .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ، يَجِبَالُ أَوْيَ مَعَهُ وَالطَّيْرَ ، وَالنَّالَةَ الْحَدِيدَ (١٠) أَنْ أَعْمَلَ

سَبَّغَتْ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ، وَأَعْمَلُوا صَلِحًا ، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١)﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد أعطينا داود منا فضلا ، وقلنا للجبال (أوي معه) : سبغى معه إذا سبغ .
والتأويب عند العرب : الرجوع ، ومبيت الرجل في منزله وأهله ؛ ومنه قول الشاعر :

يَوْمَانِ يَوْمٌ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَّةٌ وَيَوْمٌ سَبَّغَتْ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيْبًا

أى رجوع . وقد كان بعضهم يقرؤه (أوي معه) من آب يثوب ، بمعنى : تصرتى معه ، وتلك قراءة
لأستجيز القراءة بها ، لخلافها قراءة الحجة .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنى محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ؛ وحدثنا محمد بن
سنان القزاز ، قال : ثنا الحسن بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جببير ،
عن ابن عباس (أوي معه) قال : سبغى معه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (يا جبال أوي معه) يقول : سبغى معه .

حدثنا أبو عبد الرحمن العلاءي ، قال : ثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن أبي عبد الرحمن : (يا جبال أوي
معه) يقول : سبغى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة (يا جبال أوي
معه) قال : سبغى ، بلسان الحبشة .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (يا جبال
أوي معه) قال : سبغى معه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يا جبال أوي معه) قال : سبغى .

(١) البيت لسلامة بن جندل . قاله أبو عبيدة في (جهاز القرآن ، مصورة الجامعة رقم ٢٦٠٥٩ ص ١٩٧ ب) وانظره في المفضليات
طبع القاهرة سنة ١٩٢٦ والتأويب : أن يبيت في أهله . قال سلامة بن جندل : «يومان . . . البيت . . . واستشهد به في (اللسان : أوب)»
ونسبه لسلامة . وقال : التأويب أن يسير النهار أجمع ، وينزل الليل . وقيل : هو تبارى الركاب في السير . قال سلامة . . . البيت . ثم قال
التأويب في كلام العرب : سير النهار كله إلى الليل . يقال : أوب القوم تأويبا : أى ساروا بالنهار . و(في اللسان : أوب) : والتأويب :
الرجوع . وقوله عز وجل : (يا جبال أوي معه) ويقرأ «أوي معه» أى بضم الهمزة . فنقرأ أوي معه (بفتح الهمزة ، وشد الواو
المكسورة) فغناه : يا جبال سبغى معه ، ورجعى التسبيح لأنه قال : سخرنا الجبال معه يسبحن . ومن قرأ «أوي معه» أى بضم الهمزة ،
فغناه . عودى معه في التسبيح كلما عاد فيه . هـ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا جِبَالُ أَوْيِي مَعَهُ) : أى سبى معه إذا سبى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا جِبَالُ أَوْيِي مَعَهُ) قال : سبى معه ، قال : والطيرُ أيضا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (يا جِبَالُ أَوْيِي مَعَهُ) قال : سبى .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحاك ، قوله (يا جِبَالُ أَوْيِي مَعَهُ) سبى معه .

وقوله (والطَّيْرُ) ، وفى نصب الطير وجهان : أحدهما على ما قاله ابن زيد ، من أن الطير تُوديت كما نوديت الجبال ، فتكون منصوبة من أجل أنها معطوفة على مرفوع ، بما لا يحسن إعادة رافعه عليه ، فيكون كالمصدر عن جهته . والآخر : فعل ضمير متروك استغنى بدلالة الكلام عليه ، فيكون معنى الكلام : فقلنا : يا جبال أويي معه ، وسخرنا له الطير ، وإن رفع رداً على ما فى قوله : سبى من ذكر الجبال كان جائزاً ، وقد يجوز رفع الطير وهو معطوف على الجبال ، وإن لم يحسن نداؤها بالذى نوديت به الجبال ، فيكون ذلك كما قال الشاعر :

ألا يا عمْرُ والضْحَاكَ سِيراً فَقَدْتُ جَاوِزاً تَمَّا حَمَرَ الطَّرِيقَ ٢

وقوله (وأَلْتْنَا لَهُ الحَدِيدَ) ذكر أن الحديد كان فى يده كالطين المبلول بصرقه فى يده كيف يشاء بغير إدخال نار ، ولا ضرب بحديد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأَلْتْنَا لَهُ الحَدِيدَ) سخر الله له الحديد بغير نار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن عثمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، فى قوله (وأَلْتْنَا لَهُ الحَدِيدَ) كان يسويها بيده ، ولا يدخلها ناراً ، ولا يضرها بحديدة .

وقوله (أنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ) يقول : وعهدنا إليه أن اعمل سابغات ، وهى التوامم الكوامل من الدرور .

(١) لعله كالمصروف عن جهته .

(٢) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٦١) . قال فى قوله تعالى « يا جبال أويي معه والطير » : منصوبة على جهتين : إحداهما أن تنصبها بالفعل ، بقوله : « ولقد آتينا داود منا فضلاً ، وسخرنا له الطير » ، فيكون مثل قولك : أطعته طعاماً وما تريد ، وسقيته ماءً ، فيجوز ذلك . والوجه الآخر بالنداء ، لأنك إذا قلت : يا عمرو والصلت أقبلاً ، نصبت الصلت بدعائها ، فإذا فقدت كان كالمعدل عن جهته ، فنصب . وقد يجوز رفعه ، على أن يتبع ما قبله . ويجوز رفعه على أويي أنت والطير . وأنشدنى بعض العرب النداء إذا نصب ، لفقده أياًها : « ألا يا عمرو والضحاك » والخمر بالتحريك : ما سترك من الشجر وغيرها ، فيجوز نصب الضحاك ورفع . وقال الآخر : يا طلحة الكامل وابن الكامل . اهـ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ) دروع ، وكان أول من صنعها داود ، إنما كان قبل ذلك صفائح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ) قال السابغات : دروع الحديد .

وقوله (وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) اختلف أهل التأويل في السرد ، فقال بعضهم : السرد : هو سمار حلق الدرع :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) قال : كان يجعلها بغير نار ، ولا يقرعها بحديد ، ثم يسردها والسرد : المسامير التي في الحلق . وقال آخرون : هو الحلق بعينها .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) قال : السرد : حلقه ، أي قدر تلك الحلق . قال : وقال الشاعر :

أَجَادَ الْمُسَدِّي سَرْدَهَا وَأَذَاهَا

قال : يقول : وسعها ، وأجاد حلقها .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) يعني بالسرد : ثقب الدروع فيسد قتيها . وقال بعض أهل العلم بكلام العرب : يقال درع مسرودة : إذا كانت مسمورة الحلق ؛ واستشهد لقيه ذلك بقول الشاعر :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تَبَعُ

وقيل : إنما قال الله لداود (وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) لأنها كانت قبل صفائح .

(١) البيت لكثير عزة ابن عبد الرحمن الخزاعي (اللسان ذيل) وصدرة « على ابن أبي العاص دلاص حصينة » قال : وذيل فلان ثوبه تذيلا : إذا طوله . وملاء مذيل : طويل الذيل . ويقال : أذال فلان ثوبه إذا أطال ذيله ؛ قال كثير : « على ابن أبي العاصي . . . وأذالها » . اهـ . وسردها : سمرها بالمسامير ، كما يأتي في الشاهد بعده . والمسدي : من التسديد ، وهي أن يجعل الدرع مضاعفة ، لها سدي ولحمة ، على التشبيه بالثوب الذي له سدي ولحمة . أو السدي : أسفل الثوب والدرع ، والتسديد منه توسيع أسفلهما حتى لا يعوق لابس في السير إذا كان ضيقا ، وهذا الشاهد في معنى الشاهد الذي بعده .

(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة في (معاني القرآن ١٩٨ - ١) من مصورة الجامعة على أنه يقال درع مسرودة : أي مسمورة الحلق . وقال الفراء في (معاني القرآن ، الورقة ٢٦١) : وقوله عز وجل : أن اعمل سابغات : الدروع « وقدر في السرد » يقول : لتجعل سمار الدرع دقيقا ، فيقلق ، ولا غليظا ، فيفصم الحلق . وفي (اللسان : قضي) : والقضاء : بمعنى العمل ، ويكون بمعنى الصنع والتقدير قال أبو ذؤيب : « وعليهما مسرودتان . . . البيت » . قال ابن السيرا في : قضاها : فرغ من عملها أو قلت : ومعنى البيت أنهما جاء وعليهما درعان سابغتان أي طويلتان محكمتا الصنع ، كأنهما من صنع داود عليه السلام ، أو من صنع تبع ملك اليمن العظيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن عليّ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا خالد بن قيس ، عن قتادة (وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) قال : كانت صفائح ، فأمر أن يسردّها حلقًا . وعنى بقوله (وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) : وقدّر المسامير في حلق الدروع ، حتى يكون بمقدار ، لا تغلظ المسامير ، وتضيق الحلقة ، فتفصم الحلقة ، ولا توسع الحلقة ، وتصغر المسامير وتدقها ، فتلسس في الحلقة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) قال : قدّر المسامير والحلق ، لا تدق المسامير فتلسس ، ولا تجلّتها ، قال محمد بن عمرو ، وقال الحارث : فتفصم .
حدثني عليّ بن سهل ، قال : ثنا حمّاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، في قوله (وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) قال : لا تصغر المسامير ، وتعظم الحلقة فتلسس ، ولا تعظم المسامير وتصغر الحلقة فيفصم المسامير .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عيينة ، قال : ثنا أبي ، عن الحكم ، في قوله (وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) قال : لا تغلظ المسامير فيفصم الحلقة ، ولا تدقه فيقلق .
وقوله (واعتملكوا صالحا) يقول تعالى ذكره : واعمل ياداود أنت وآلك بطاعة الله (إني بما تعملون بصير) يقول جل ثناؤه : إني بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر ، لا يخفى علىّ منه شيء ، وأنا مجازيك وإياهم على جميع ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ، وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ، وَمِنَ الْجِبِّ مَن يَعْمَلُ
بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢)

اختلفت القراء في قراءة قوله (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ) فقراءته عامة قراء الأمصار (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ)
بنصب الريح ، بمعنى : ولقد آتينا داود منا فضلا ، وسخرنا لسليمان الريح . وقرأ ذلك عاصم (وَلِسُلَيْمَانَ
الرِّيحَ) رفعا بحرف الصفة ، إذ لم يظهر الناصب .
والصواب من القراءة في ذلك عندنا النصب ، لإجماع الحجة من القراء عليه .
وقوله (غُدُوُّهَا شَهْرٌ) يقول تعالى ذكره : وسخرنا لسليمان الريح ، غدوها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر ، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَيْسَلَيْمَانَ الرَّيْحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ) قال : تغدو مسيرة شهر ، وتروح مسيرة شهر ، قال : مسيرة شهرين في يوم .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه :
 (وَلَيْسَلَيْمَانَ الرَّيْحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ ، وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ) قال : ذكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان ، إما من الجن ، وإما من الإنس : نحن نزلناه وما بنينا ، ومبنا وجدناه ، غَدَوْنَا من إصطخر فقلناه ، ونحن رآهم منه إن شاء الله ، فبأثون بالشام .
 حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَيْسَلَيْمَانَ الرَّيْحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ) قال : كان له مركب من خشب ، وكان فيه ألف ركن ، في كل ركن ألف بيت تركب فيه الجن والإنس ، تحت كل ركن ألف شيطان ، يرفعون ذلك المركب هم والعصار ، فإذا ارتفع أتت الريح رخاء ، فسارت به ، وساروا معه ، يقييل عند قوم بينه وبينهم شهر ، ويمسى عند قوم بينه وبينهم شهر ، ولا يدري القوم إلا وقد أظلمهم معه الجيوش والجنود .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، في قوله (غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ) قال : كان يغدو فيقييل في إصطخر ، ثم يروح منها ، فيكون رواحها بكابل .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن بمثله .
 وقوله (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) يقول : وأذبنا له عين النحاس ، وأجريناها له .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) عين النحاس كانت بأرض اليمن ، وإنما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمان .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) قال : الصقر سال كما يسيل الماء ، يعمل به كما كان يعمل العجين ، في اللين .
 حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) يقول : النحاس .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) يعني : عين النحاس أسيلت .
 وقوله (وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ) يقول تعالى ذكره : ومن الجن من يطيعه ، ويأتمر بأمره ، وينتهي لئيمه ، فيعمل بين يديه ما يأمره ، طاعة له بإذن ربه ، يقول : بأمر الله بذلك ، وتسخره إياه له : (مَن يَزْعُ مِنْهُمْ عَنَّا) يقول : ومن يزك ويعدل من الجن عن أمرنا الذي أمرناه من طاعة سليمان (نُنذِرُهُ مِّنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) في الآخرة ، وذلك عذاب نار جهنم الموقدة .
 (١) في (السان : عصر) : الإعصار والعصار (ككتاب) أن تهيج الريح فترفعه . والعصار : الغبار الشديد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ يَتَزَعْ مِنْهُمْ بَعْنُ لَمْرِنَا) :
أى يعدل منهم عن أمرنا ، عما أمره به سليمان (نَدِّقَهُ مِنْ عَدَابِ السَّعِيرِ) .

القول في تأويل قوله تعالى

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ، أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ
شُكْرًا ، وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ (١٣)

يعنى تعالى ذكره : يعمل الجن لسليمان ما يشاء ، من محارِب ، وهى جمع محراب ، والمخرب : مقدم كل
مسجد وبيت ومصلى ؛ ومنه قول عدى بن زيد :

كَدُمَى الْعَاجِ فِي الْمَحَارِبِ أَوْ كَالسَّبِيضِ فِي الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَبِيرًا
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ) قال : بديان دون
القصور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ)
وقصور ومساجد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ
مَحَارِبٍ) قال : المحارِب : المساكن . وقرأ قول الله (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحَارِبِ) .
حدثني عمرو بن عبد الحميد الأملى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك :
(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ) قال : المحارِب : المساجد .

وقوله (وَتَمَثِيلٍ) يعنى أنهم يعملون له تمثيل من نحاس وزجاج .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَمَثِيلٍ) قال : من نحاس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَمَثِيلٍ) قال : من زجاج وشبهه .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قول الله (وَتَمَثِيلٍ)
قال : الصور .

(١) البيت لعدى بن زيد العبدي كما قال المؤلف ، وكما في شعراء النصرانية القسم الرابع ٥٥ ؛ وقد استشهد به المؤلف في (٣ :
٢٤٦) من هذا التفسير ، على أن المحارِب جمع محراب ، وهو مقدم موضع العبادة . فراجعه ثمة .

قوله (وَجِفَانِ كَالْحَوَابِ) يقول : وينحتون له ما يشاء من جفان كالجواب ، وهي جمع جابية ،
والجابية : الحوض الذي يُجسبي فيه الماء ، كما قال الأعشى ميمون بن قيس :
تَرَوْحُ عَلَى نَادِيِ الْمُحَلَّقِ جَفْنَةً كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ^١
وكما قال الآخر :

فَصَبَّحَتْ جَابِيَةً صُهَارِجًا كَأَنَّهَا جِلْدُ السَّمَاءِ خَارِجًا^٢
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَجِفَانِ كَالْحَوَابِ) يقول : كالجوبة من الأرض .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وَجِفَانِ كَالْحَوَابِ) يعني : بالجواب : الحياض .
وحدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (وَجِفَانِ كَالْحَوَابِ) قال :
كالحياض .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَجِفَانِ كَالْحَوَابِ) قال : حياض الإبل .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجِفَانِ كَالْحَوَابِ) قال : جفان كجوبة
الأرض من العِظَم ، والجوبة من الأرض : يستنقع فيها الماء .

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ٢٢٥) وروايته :

نَقَى الدَّمَ عَن آلِ الْمُحَلَّقِ جَفْنَةً كَجَابِيَةِ السَّيِّحِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

وهي رواية مشهورة كالرواية التي أوردتها المؤلف . يصف المحلق بالكرم وأن جفنته تروح على نادية مقعنة لحما وشما ، وهي من كبير
الجفان ، مثل جابية الماء التي يجمع فيها الشيخ العراق أيام يفيض النهر ، لينفق منه في أيام قلة الماء ، فهي جابية كبيرة . وأما من رواه
السيح ، بالسين والهاء المهملتين ، فهو ما يفيض من الماء ويسبح عن الزيادة بالنهر . وقد ذكر في المبرد «الكتاب الكامل» هاتين الروايتين
(انظر طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١ : ٧) قال : في تخريج رواية الشيخ : كذا ينشده أهل البصرة . وتأويله عندهم أن
العراق إذا تمكن من الماء ، ملأ جابيته ، لأنه حضري ، فلا يعرف مواقع الماء ولا محاله . قال أبو العباس : سمعت أعرابية تنشد :
(وهي أم الهيم الكلابية من ولد المحلق ، وهي رواية أهل الكوفة) : « كجابية السح » ، تريد : النهر الذي يجري على جابيته ،
فأذا لا ينقطع ، لأن النهر يمدد . اهـ . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن : (الورقة : ١٩٨) « وجفان كالجواب » : واحدها : جابية
وهو الحوض الذي يجسبي فيه الماء . وقال الفراء في معاني القرآن الورقة ٢٦١ : « وجفان » : وهي القصاص الكبار . « كالجواب » :
الحياض التي للإبل . وفي (اللسان : جسي) : والجابية الحوض الذي يجسبي فيه الماء للإبل . والجابية : الحوض الضخم ، وأورد البيت
كرواية المؤلف ، ثم قال : خص العراق ، لجهله بالمياه ، لأنه حضري ، فإن وجدها ملأ جابية وأعدّها ، ولم يدر متى يجد المياه .

(٢) هذان بيتان من مشطو الرجز . روى أولهما صاحب (اللسان : صهرج) عن الأزهري . قال : وحوض صهارج : مطلق
بالصاروح : (التوراة) والصهارج بالضم مثل الصهريج . وأنشده الأزهري « فصبحت جابية صهارجا وقد صهرجوا صهريجا . وفاعل
صبحت ضمير يعود على ما قبله ، ولعله ذكر الإبل . والرجز غير منسوب . وقوله « كأنها جلد » . . . البيت : يشبه لون الجابية
أوماءها بلون السماء في الزرقة . وهذا البيت كالذي قبله شاهد على أن معنى الجابية الحوض الكبير ، الذي يجمع فيه الماء ، وهو الصهارج
الصهريج أيضا . شبه جفنة المحلق بالحوض الكبير ، لكرمه .

حُدِّثَ عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَجِيفَانٍ كَالْجَوَابِ) كالحياض .
 حدثنا عمرو ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال ثنا جويبر ، عن الضحاك : (وَجِيفَانٍ كَالْجَوَابِ) قال : كحياض الإبل من العِظْمِ .
 وقوله (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) يقول : وقدور ثابتات ، لا يحركن عن أماكنهن ، ولا تحول لعظمنهن .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) قال : عظام .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) قال : عظام ثابتات في الأرض لا يزُلْنَ عن أماكنهن .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) قال : مثال الجبال من عِظْمِهَا ، يعمل فيها الطعام من الكبر والعِظْمِ ، لا تحرك ، ولا تنقل ، كما قال للجبال : راسيات .

وقوله (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) يقول تعالى ذكره : وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على ما أنعم عليكم من النعم التي خصصكم بها عن سائر خلقه ، مع الشكر له على سائر نعمه ، التي عممكم بها مع سائر خلقه ، وتبرك ذكر : وقلنا لهم ، اكتفاء بدلالة الكلام على ماترك منه ، وأخرج قوله (شُكْرًا) مصدرا من قوله (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ) لأن معنى قوله (اعْمَلُوا) اشكروا ربكم بطاعتكم إياه ، وأن العمل بالذي رضى الله الله شكر .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عباد ، عن محمد بن كعب ، قوله (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) قال : الشكر : تقوى الله ، والعمل بطاعته .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أخبرني حيوة ، عن زهرة بن معبد ، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول : (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) وأفضل الشكر : الحمد .
 قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) قال : أعطاكم وعلمكم ، وسخر لكم ما لم يسخر لغيركم ، وعلمكم منطلق الطير ، اشكروا له يا آل داود ، قال : الحمد طرّف من الشكر .
 وقوله (وَقَتِيلٍ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ) يقول تعالى ذكره : وقليل من عبادي المخلصو توحيدى ، والمفرد وطاعتي . . . وشكرى على نعمتى عليهم .

(١) الحبلى : يسكون الباء وضمها : منسوب إلى بنى الحبلى ، بطن من الأنصار ، ثقة ، توفى سنة مئة (عن التاج) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) يقول : قليل من عبادي الموحّدون توحيدهم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ، فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)

يقول تعالى ذكره : فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموث ، فمات (ما دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ) يقول : لم يدل الجنّ على موت سليمان (إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ) وهي الأَرْضَةُ وقعت في عصاه ، التي كان متكئا عليها ، فأكلتها ، فذلك قول الله عز وجلّ (تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن المثنى وعليّ ، قالا : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) يقول : الأَرْضَةُ تأكل عصاه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) قال : عصاه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثني أبو عاصم ، قال : ثني عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ) قال : الأَرْضَةُ (تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) قال : عصاه .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) قال : عصاه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن عثمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، في قوله (تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) أكلت عصاه حتى خرّ .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ : المنسأة : العصا بلسان الحبشة . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المنسأة : العصا .

واختلفت القراء في قراءة قوله (مِنسَأَتَهُ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة : (مِنسَأَتَهُ) غير مهموزة ؛ وزعم من اعتلّق لقارئ ذلك كذلك من أهل البصرة ، أن المنسأة : العصا ، وأن أصلها من نسأت بها الغنم ، قال : وهي من الهمز الذي تركته العرب ، كما تركوا همز النبيّ والبرية والحايبة وأنشد لترك الهمز في ذلك بيتا لبعض الشعراء :

إِذَا دَبَّيْتَ عَلَى الْمِنْسَاءِ مِنْ هَرَمٍ فَقَدَّ تَبَاعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ وَالغَزَلُ^١

وذكر الفراء عن أبي جعفر الرواسي ، أنه سأل عنها أبا عمرو ، فقال (مَنَسَاتُهُ) بغير همز .
وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (مَنَسَاتُهُ) بالهمز ، وكأنهم وجهوا ذلك إلى أنها مِفْعَلَةٌ ، من نَسأت
البعير : إذا زجرته ليزداد سيره ، كما يقال : نَسَأَتِ اللَّبَنُ : إذا صببت عليه الماء ، وهو النَّسِيُّ . وكما يقال :
نَسَأَ اللَّهُ فِي أَجْلِكَ : أى أدام^٢ الله في أيام حياتك .

قال أبو جعفر : وهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، بمعنى واحد ، فبأبيهما قرأ القارى
فصيب ، وإن كنت أختار الهمز فيها ، لأنه الأصل .
وقوله (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ) يقول عز وجل : فلما خر سليمان ساقطا بانكسار منسأته ، تبَيَّنَتِ
الجن (أن لو كانوا يعلمون الغيب) الذى يدعون علمه (مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) المذل ، حَوْلًا
كاملا ، بعد موت سليمان ، وهم يحسبون أن سليمان حتى .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة ، قال : ثنا إبراهيم بن طهمان ، عن عطاء
ابن السائب ، عن سعيد بن جببير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كَانَ سُلَيْمَانُ
نَبِيَّ اللَّهِ إِذَا صَلَّى رَأَى شَجَرَةً نَابِتَةً بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَيَقُولُ كَلِّمَا مَا اسْمُكَ ؟ فَيَقُولُ : كَذَّآ ،
فَيَقُولُ : لِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ ؟ فَيَقُولُ : كَأَنَّكَ تَعْرِسُ عُرْسَتِي ، وَإِنْ كَأَنَّكَ لِدَوَاءٍ كُتِبَتْ ، فَبَيَّسَمَا
هُوَ يُصَلِّي ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ رَأَى شَجَرَةً بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ كَلِّمَا مَا اسْمُكَ ؟ قَالَتْ : الْخَرْوَبُ ،
قَالَ : لِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ ؟ قَالَتْ لِحَرَابِ هَذَا الْبَيْتِ . فَقَالَ سُلَيْمَانُ : اللَّهُمَّ عَمَّ عَلَى الْجِنَّ
مَوْتِي ، حَتَّى يَعْلَمَ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ، فَتَنَحَّتْهَا عَصَا . فَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا حَوْلًا
مَبِيَّتًا ، وَالْجِنَّ تَعْمَلُ ، فَأَكَلَتْهَا الْأَرْضُ ، فَسَقَطَ ، فَتَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ، مَا لَبِثُوا حَوْلًا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) » قال : وكان ابن عباس يقرؤها كذلك ، قال :
فشكرت الجن للأرض ، فكانت تأتيها بالماء .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ، الورقة ١٩٨ - ب) والرواية فيه « حبيت » في موضع « دببت » . وفي هامشه
خط الناخ : « رواية : دببت » . قال أبو عبيدة : « تأكل منسأته » : وهى العصا . وأصلها : من نَسأت بها الغنم . وهو من
المهموز الذى تركت العرب الهمزة من أسمائها ، ويهمزون الفعل منها ، كما تركوا همزة النبى والبرية والخابية ، وهو من أنبات ، ومن
برأت ، وغبات : قال : « إذا حبيت على المنسأة . . . البيت » وبعضهم يمزها فيقول : منسأة . اهـ . والبيت في (اللسان : نسأ .
« وروايته » إذا دببت . . . البيت . وقال قبل ذلك : والمنسأة : العصا ؛ يمز ولا يمز . ينسأ بها . وأبدلوا إبدالا كلييا ، فقالوا :
منسأة . وأصلها الهمز ، ولكنها بدل لازم . حكاه سيبويه . وقد قرئ بها جميعا . وقال الفراء في قوله عز وجل : « تأكل منسأته » : هى
العصا العظيمة ، التى تكون مع الراعى ، أخذت من نَسأت البعير : إذا زجرته ليزداد سيره . كما يقال : نَسأت اللبن : إذا صببت عليه
الماء ، وهو النَّسِيُّ .

(٢) كذا في معاني (القرآن للفراء الورقة ٢٦١) وفي الأصل : صدرت بتجريف . (٣) لعله : أطال .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن سيرة الحمداقي ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كان سليمان يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين ، والشهر والشهرين ، وأقل من ذلك وأكثر ، يدخل طعامه أو شرابه ، فدخله في المرة التي مات فيها ، وذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه ، إلا تنبت فيه شجرة ، فيسألها ما اسمك ، فتقول : الشجرة اسمي كذا وكذا ، فيقول لها : لأي شيء نبت ، فتقول : نبت لكذا وكذا . فيأمر بها فتقطع ، فإن كانت نبت لغرس غرسها ، وإن كانت نبت لدواء ، قالت : نبت دواء لكذا وكذا ، فيجعلها كذلك ، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة ، فسألها : ما اسمك ؟ فقالت له : أنا الخروبة ، فقال : لأي شيء نبت ، قالت : لخراب هذا المسجد ، قال سليمان : ما كان الله ليخربه وأنا حي ، أنت التي على وجهك هلاكى ، وخراب بيت المقدس ، فزرعها وعرسها في حائط له ، ثم دخل الخراب ، فقام يصلي متكئا على عصاه ، فمات ولا تعلم به الشياطين في ذلك ، وهم يعملون له ، يخافون أن يخرج فيعاقبهم . وكانت الشياطين تجتمع حول الخراب ، وكان الخراب له كوى بين يديه وخلفه ، وكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول : ألسنت جلدنا إن دخلت فخرجت من الجانب الآخر ؛ فدخل شيطان من أولئك فمر ، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في الخراب إلا احترق ، فمر ولم يسمع صوت سليمان عليه السلام ، ثم رجع فلم يسمع ، ثم رجع فوقع في البيت فلم يحترق ، ونظر إلى سليمان قد سقط فخرج ، فأخبر الناس أن سليمان قد مات ، ففتحوا عنه ، فأخرجوه ، ووجدوا منسأته ، وهي العصابة لسان الحبيشة ، قد أكلتها الأرضة ، ولم يعلموا منذ كم مات ، فوضعوا الأرضة على العصا ، فأكلت منها يوما وليلة ، ثم حسبوا على ذلك النحو ، فوجدوه قد مات منذ سنة . وهي في قراءة ابن مسعود : فكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا ، فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ، ولو أنهم علموا الغيب ، لعلموا بموت سليمان ، ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له ، وذلك قول الله (ما دكهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خسر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) يقول : تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ، ثم إن الشياطين قالوا للأرضة : لو كنت تأكلين الطعام ، أتيناك بأطيب الطعام ، ولو كنت تشربين الشراب ، سقيناك أطيب الشراب ، ولكننا سنقل إليك الماء والطين ، فالذي يكون في جوف الحشيب ، فهو ماتأيتها به الشياطين شكرا لها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كانت الجن تخبر الإنس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء ، وأنهم يعلمون ما في غد ، فابتلوا بموت سليمان ، فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته ، وهم مسخرون تلك السنة يعملون دائبين (فلما خسر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) ولقد لبثوا يدأبون ، ويعملون له حولا .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ما دكهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) قال : قال سليمان لملك الموت : يا ملك الموت ، إذا أميرت بي

(١) في العرائس للثعلبي (طبعة الحلبي ٣٢٦) قال ابن عباس وغيره : كان سليمان يحتجب في بيت المقدس . . . الخ .

(٢) في العرائس : يدخل فيه بطعامه . . . الخ .

فأعلمني ؛ قال : فأتاه فقال : يا سليمان ، قد أمرت بك ، قد بقيت لك سُوَيْعَة ، فدعا الشياطين ، فبنوا عليه صرْحاً من قوارير ، ليس له باب ، فقام يصلي ، واتكأ على عصاه ؛ قال : فدخل عليه ملك الموت ، فقبض روحه وهو متكئ على عصاه ، ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت ، قال : والجنّ تعمل بين يديه ، وينظرون إليه ، يحسبون أنه حيّ ، قال : فبعث الله دابة الأرض ، قال : دابة تأكل العيْدان ، يقال لها القادح ، فدخلت فيها فأكلتها ، حتى إذا أكلت جوف العصا ، ضعفت وثقل عليها ، فمخرّ ميتاً . قال : فلما رأت الجنّ ذلك ، انفضّوا وذهبوا ، قال : فذلك قوله (ما دَلَّهْمُ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ) قال : والمنسأة : العصا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : كان سليمان بن داود يصلي ، فأتاه وهو قائم يصلي ، والجنّ يعملون ، لا يعلمون بموته ، حتى أكلت الأرضة عصاه ، فمخرّ . و«أَنْ» في قوله (أَنْ لَوْ كَانُوا) : في موضع رفع بتبيين ، لأن معنى الكلام : فلما خرّ تبين وانكشف ، أن لو كان الجنّ يعلمون الغيب ، ما لبثوا في العذاب المهين .

وأما على التأويل الذي تأوله ابن عباس من أن معناه : تبينت الإنس الجنّ ، فإنه ينبغي أن يكون في موضع نصب بتكريرها على الجنّ ، وكذلك يجب على هذه القراءة أن تكون الجنّ منصوبة ، غير أني لأعلم أحداً من قرّاء الأمصار يقرأ ذلك بنصب الجنّ ، ولو نصب كان في قوله (تَبَيَّنَتْ) ضمير من ذكر الإنس .

القول في تأويل قوله تعالى

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ (١٥)

يقول تعالى ذكره : لقد كان لولد سبأ في مسكنهم علامة بينة ، وحجّة واضحة ، على أنه لارب لهم إلا الذي أنعم عليهم النعم التي كانوا فيها . وسبأ : عن رسول الله اسم أبي اليمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي حيان الكلبي ، عن يحيى بن هاني ، عن عروة المرادي ، عن رجل منهم ، يقال له : فرّوة بن مُسَيْك ، قال : «قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن سبأ ما كان ؟ رجلاً كان أو امرأة ، أو جبلاً ، أو دواب ؟ فقال : لا ، كان رجلاً من العرب ، وله عشيرة أولاد ، فتسمّن منهم ستّة ، وتشاءم أربعة ، فأما الذين تسمّنوا ، منهم فيكندة ، وحمير ، والأزد ، والأشعريّون ومدحج ، وأتمار ، الذين منها خشعم وبجيلة . وأما الذين تشاءموا : فعاملّة ، وجدّام ، ولحّم ، وغسّان .»

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا الحسن بن الحكم ، قال : ثنا أبو سبرة النخعي ،

عن فروة بن مسيكة القطيعي، قال: «قال رجل: يا رسول الله، أخبرني عن سبأ ما هو؟ أرض أو امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنَّهُ رَجُلٌ وَلَدَ عَشْرَةَ مِنْ الْوَالِدِ، فَتِيَامَنَ سِتَّةٌ، وَتَشَاءُ مِائَتًا أَرْبَعَةً، فَأَمَّا الَّذِينَ تَشَاءُ مِائَةً فَلَخْمٌ، وَجَذَامٌ، وَعَامِلَةٌ، وَعَسَّانٌ، وَأَمَّا الَّذِينَ تِيَامَنُوا: فَكِنْدَةُ، وَالْأَشْعَرِيُّونَ، وَالْأَزْدُ، وَمَذْحِجٌ، وَحَمِيرٌ، وَأَنْمَارٌ؛ فقال رجل: ما أنمار؟ قال: الَّذِينَ مِنْهُمْ خِثْعَمٌ وَبَجِيلَةٌ.»

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا العنقري، قال: أخبرني أسباط بن نصر، عن يحيى بن هاني المرادي، عن أبيه، أو عن عمه «أسباط شك»، قال: «قدم فرّوة بن مسيكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أخبرني عن سبأ، أجيلا كان أو أرضا؟ فقال: لم يكن جبيلا ولا أرضا، ولكنَّهُ كَانَ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ وَلَدَ عَشْرَةَ قَبَائِلَ. ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: وأنمار الذين يقولون منهم بجيلة وخنم»، فإن كان الأمر كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أن سبأ رجل، كان الإجراء فيه وغير الإجراء معتدلين. أما الإجراء فعلى أنه اسم رجل معروف، وأما ترك الإجراء، فعلى أنه اسم قبيلة أو أرض. وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (فِي مَسَاكِينِهِمْ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين في مساكينهم) على الجيماع، بمعنى منازل آل سبأ. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (فِي مَسَكِينِهِمْ) على التوحيد وبكسر الكاف، وهي لغة لأهل اليمن، فيما ذكر لي. وقرأ حمزة (مَسَكِينِهِمْ) على التوحيد وفتح الكاف. والصواب من القول في ذلك عندنا: أن كل ذلك قراءات متقاربات المعنى، فأبى ذلك قرّاء القاري فصيب. وقوله (آيَةٌ): قد بينّا معناها قبل. وأما قوله (جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ) فإنه يعني: بستنان كانا بين جبلين، عن يمين من أتاها وشماله.

وكان من صفتهما فيما ذكر لنا: ما حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، قال: سمعت قتادة، في قوله (لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسَكِينِهِمْ آيَةٌ، جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ) قال: كانت جنتان بين جبلين، فكانت المرأة تُخْرِجُ مِكَتَلَهَا عَلَى رَأْسِهَا، فتمشى بين جبلين، فيمتلي مِكَتَلَهَا، وما مست يدها، فلما طغّوا بعث الله عليهم دابة، يقال لها «جرذ»، فنقبت عليهم، ففرقتهم، فما بقي لهم إلا أثل، وشيء من سدر قليل.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسَكِينِهِمْ آيَةٌ، جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ) . . إلى قوله (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) قال: ولم يكن يبرى في قريتهم بعوضة قط، ولا ذباب، ولا برغوث، ولا عقرب، ولا حية، وإن كان الركب ليأتون وفي ثيابهم القمل والدواب، فما هم إلا أن ينظروا إلى بيوتهم، فتموت الدواب، قال: وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين، فيمسك القفّة على رأسه، فيخرج حين يخرج وقد امتلأت تلك مقفة من أنواع الفاكهة، ولم يتناول منها شيئا بيده؛ قال: والسّد يسقيها. ورفعت الجنتان في قوله (جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ

وشمال) ترجمة عن الآية ، لأن معنى الكلام : لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، هي جنتان عن أيمنهم وشمالهم .
وقوله (كَلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ) الذي يرزقكم من هاتين الجنتين ، من زروعهما وأثمارهما ،
(وَأَشْكُرُوا لَهُ) على ما أنعم به عليكم من رزقه ذلك ، وإلى هذا منتهى الخبر . ثم ابتداء الخبر عن البلدة ،
فقيل : هذه بلدة طيبة : أي ليست بسبيخة ، ولكنها كما ذكرنا من صفتها عن عبد الرحمن بن زيد أن كانت
كما وصفها به ابن زيد ، من أنه لم يكن فيها شيء مؤذ ، الهمسج والديب والحوام . (وَرَبُّ غَفُورٌ) : يقول :
ورب غفور لذنوبكم ، إن أنتم أظعتموه .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ) :
وربكم غفور لذنوبكم . قوم أعطاهم الله نعمة ، وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته .

القول في تأويل قوله تعالى

فَاعْرَضُوا ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ، وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ ، وَأَثَلٍ
وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ، ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا ، وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَافُرُونَ؟ (١٧)

يقول تعالى ذكره : فأعرضت سبأ عن طاعة ربها ، وصدت عن اتباع مادعتها إليه رسلها ، من أنه خالفها .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن وهب بن منبه النخعي ، قال :
لقد بعث الله إلى سبأ ، ثلاثة عشر نبيا ، فكذبوهم (فأرسلنا عليهم سَيْلَ الْعَرِمِ) يقول تعالى ذكره :
فتقبتنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسلنا ، سدّهم الذي كان يحبس عنهم السيول .

والعرم : المسناة التي تحبس الماء ، واحدها : عرمة ، وإياه عن الأعشى بقوله :

فَقِي ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِّيِ أُسْوَةٌ وَمَأْرِبُ عَقْفَى عَلَيْهِ الْعَرِمُ
رِجَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حَمِيرٌ إِذَا جَاءَ مَاؤُهُمْ لَمْ يَسِرْ

(١) البيتان لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ص ٤٣) من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب ، من المتقارب .
وفيه : « قق » في موضع « عق » و « رخام » بالحاء ، في موضع « رجام » بالجم . وفي بعض نسخ الديوان : « مواره » في موضع
ماؤه . قال الفراء : وقوله « سيل العرم » : كانت مسناة تحبس الماء ، على ثلاثة أبواب منها . فيسقون من ذلك الماء من الباب الأول :
(الأعلى) ثم الثاني (الأوسط) ثم الآخر (الأسفل) ، فلا ينفذ حتى يثوب الماء من السنة المقبلة . وكانوا أنعم قوم عيشا ، فلما أعرضوا
وجحدوا الرسل ، يثق الله عليهم تلك المسناة ، ففرقت أرضهم ، ودفن بيوتهم الرمل . والبيتان من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ،
وروايته : « قق » في موضع « عق » وهو بمعناه . و « رخام » بالحاء في موضع رجام . والرجام : الصخور العظيمة ، جمع رجمة ،
توضع على القبر ونحوه . وفسر قوله « لم يرم » : أي حبسه . والضمير راجع إلى الماء . وقال في قوله تعالى : « سيل العرم » : واحدها
عرمة ، وهي بناء مثل المشان ، يحبس بها الماء فيشرف به على الماء في وسط الأرض ، ويترك فيه سيل للسفينة . فتلك العرمة . واحدها
عرمة . اهـ . وفي (اللسان : سئ) : المسناة : العرم . وفي اللسان : عرم (: العرم) يفتح الراء وكسرها ، وكذلك واحدها ، وهو
العرمة . والعرمة : سد يعترض به الوادي . والجمع عرم . وقيل العرم : جمع لا واحده . وقال أبو حنيفة : العرم الأحباس تبنى
في أوساط الأودية . اهـ . وهي ما تسميه اليوم : خزانات أو قناطر .

وكان العرم فيما ذكر مما بنته بليقيس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقِيُّ ، قال : ثنى وهب بن جرير ، قال : ثنا أبي ، قال : سمعت المغيرة بن حكيم ، قال : لما ملكت بليقيس ، جعل قومها يقتلون على ماء واديهم ؛ قال : فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها ، فتركت ملكها ، وانطلقت إلى قصرها ، وتركهم . فلما كثر الشر بينهم ، وندموا أتوها ، فأرادوها على أن ترجع إلى ملكها ، فأبت ؛ فقالوا : لترجعين أو لننقتلنك ، فقالت : إنكم لا تطيعونني ، وليست لكم عقول ، ولا تطيعوني . قالوا : فإننا نطيعك ، وإننا لم نجد فينا خيرا بعدك ، فجاءت ، فأمرت بواديهم ، فسدت بالعرم .

قال أحمد ، قال وهب ، قال أبي : فسألت المغيرة بن حكيم عن العرم ؟ فقال : هو بكلام حمير : المُسْتَنَّةُ . فسدت ما بين الجبلين ، فحبست الماء من وراء السد ، وجعلت له أبوابا ، بعضها فوق بعض ، وبنت من دونه بركة ضخمة ، فجعلت فيها اثني عشر مخرجا ، على عدة أشهرهم ؛ فلما جاء المطر احتبس السيل من وراء السد ، فأمرت بالباب الأعلى ففتح ، فجرى ماؤه في السبركة ، وأمرت بالبعثر ، فألقى فيها ، فجعل بعض البعر يخرج أسرع من بعض ، فلم تزل تضيق تلك الأشهر ، وترسل البعثر في الماء ، حتى خرج جميعا معا ، فكانت تقسمه بينهم على ذلك ، حتى كان من شأنها وشأن سليمان ما كان .

حدثنا أحمد بن عمر البصري . قال : ثنا أبو صالح بن زريق ، قال : أخبرنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، في قوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) قال : المُسْتَنَّةُ بِلَحْنِ الْبَيْنِ .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (سَيْلَ الْعَرِمِ) قال : شديد . وقيل : إن العرم : اسم واد كان لهؤلاء القوم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) قال : واد كان باليمن ، كان يسيل إلى مكة ، وكانوا يسقون وينتهي سيلهم إليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) :
ذكر لنا أن سيل العرم واد كانت تجتمع إليه مسابيل من أودية شتى ، فعمدوا فسدوا ما بين الجبلين بالقيير والحجارة ، وجعلوا عليه أبوابا ، وكانوا يأخذون من مائه ما احتاجوا إليه ، ويسدون عنهم ما لم يعشوا به من مائه شيئا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) واد يدعى العرم ، وكان إذا مطير ، سالت أودية اليمن إلى العرم ،

واجتمع إليه الماء، فعمدت سبأ إلى العرم، فسدوا ما بين الجبلين، فحجزوه بالصخر والقار، فانسد زمانا من الدهر، لا يبرجون الماء، يقول: لا يخافون.

وقال آخرون: العرم: صفة للمُسْتَنَاءة التي كانت لهم، وليس باسم لها.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (سَيْلَ الْعَرَمِ) يقول: الشديد، وكان السبب الذي سبب الله لإرسال ذلك السيل عليهم، فيما ذكر لي، جرّدا ابتعثه الله على سدّهم، فنقب فيه نقبا.

ثم اختلف أهل العلم في صفة ما حدث، عن ذلك الثقب مما كان فيه خراب جنتهم. فقال بعضهم: كان صفة ذلك أن السيل لما وجد عملا في السدّ عمل فيه، ثم فاض الماء على جنتهم، ففرّقها، وخرّب أرضهم وديارهم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن وهب بن مُنَبِّه التيمي، قال: كان لهم، يعني لسبأ سدّ، قد كانوا بنوه بتيانا أبدا، وهو الذي كان يردّ عنهم السيل إذا جاء، أن يغشى أموالهم. وكان فيما يزعمون في علمهم من كهانتهم، أنه إنما يخرّب عليهم سدّهم ذلك فأرة، فلم يتركوا فرجة بين حجرين، إلا ربطوا عندها هرّة؛ فلما جاء زمانه، وما أراد الله بهم من التفريق، أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء إلى هرّة من تلك الحير، فساورتها، حتى استأخرت عنها أي المرة، فدخلت في الفرجة التي كانت عندها، فغلغت في السدّ، فحضرت فيه، حتى وهنته للسيل وهم لا يدرون؛ فلما جاء السيل وجد خلتا، فدخل فيه حتى قلع السدّ، وفاض على الأموال، فاحتلمها، فلم يبق منها إلا ما ذكره الله؛ فلما تفرّقوا نزلوا على كهانة عمران بن عامر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: لما ترك القوم أمر الله، بعث الله عليهم جرّدا يسمى الخلد، فنقبه من أسفله، حتى غرق به جنتهم، وخرّب به أرضهم، عقوبة بأعمالهم. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول: لما طغوا وبغوا، يعني سبأ، بعث الله عليهم جرّدا، فخرق عليهم السدّ، فأغرقهم الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: بعث الله عليه جرّدا، وسلّطه على الذي كان يحبس الماء الذي يسقيها، فأخرّب في أفواه تلك الحجارة، وكلّ شيء منها من رصاص وغيره، حتى تركها حجارة، ثم بعث الله سيل العرم، فاقتلع ذلك السدّ، وما كان يحبس، واقتلع تلك الجنتين، فذهب بهما؛ وقرأ: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ، وَبَدَّلْنَا لَهُمُ مَنَاجِدَهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ) قال: ذهب بتلك القرى والجنتين.

وقال آخرون : كانت صفة ذلك أن الماء الذي كانوا يعمسون به جنتهم سال إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به ، فبذلك خربت جنتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : بعث الله عليهم ، يعني على العرم دابة من الأرض ، فثقت فيه ثقباً ، فسال ذلك الماء إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به ، وأبدلهم الله مكان جنتهم جنتين ذواتي أكلٍ تخمط ، وذلك حين عصوا ، وبطروا المعيشة .

والقول الأول أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه أرسل عليهم سبل العرم ، ولا يكون إرسال ذلك عليهم إلا بإسائه عليهم ، أو على جنتهم وأرضهم ، لا بصرفه عنهم . وقوله (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار ، بساتين من جنتي ثمر الأراك ، والأراك : هو الخمط . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : أبدلهم الله مكان جنتهم جنتين ذواتي أكلٍ تخمط ، والخمط : الأراك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن ، يقول في قوله (ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ) قال : أراه قال : الخمط : الأراك .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثني عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (أُكُلٍ خَمْطٍ) قال : الخمط : الأراك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ) : قال : الأراك . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ) : والخمط : الأراك ، وأكمله : بريره .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول ، في قوله (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ) قال : بدلهم الله بجنان الفواكه والأعنان ، إذ أصبحت جنتهم خمطاً ، وهو الأراك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ) قال : أذهب تلك القرى والجتين ، وأبدلهم الذي أخبرك ، ذواتي أكلٍ تخمط ، قال : فالخمط : الأراك ، قال : جعل مكان العنب أراكاً ، والفاكهة أثلاً ، وشيء من سدر قليل .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الأمصار بتنوين **أَكُلُّ** غير أبي عمرو ، فإنه يضيفها إلى الحمط ، بمعنى : ذواتي ثمر **حَمَطٍ** . وأما الذين لم يضيفوا ذلك إلى **الْحَمَطِ** ، وينونون **الأَكُلُّ** ، فإنهم جعلوا الحمط هو **الأَكُلُّ** ، فردّوه عليه في إعرابه . وبضم الألف والكاف من **الأَكُلُّ** قرأت قراء الأمصار ، غير نافع ، فإنه كان يخفف منها .

والصواب من القراءة في ذلك عندي : قراءة من قرأه : (ذَوَاتِي أَكُلُّ) بضم الألف والكاف ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وبتنوين **أَكُلُّ** ، لاستفاضة القراءة بذلك في قراء الأمصار ، من غير أن أرى خطأ قراءة من قرأ ذلك بإضافته إلى الحمط ، وذلك في إضافته وترك إضافته ، نظير قول العرب في بستان فلان أعناب **كَرَمٍ** وأعناب **كَرَمٍ** ، فتضيف أحياناً الأعناب إلى الكرم ، لأنها منه ، وتنون أحياناً ، ثم تترجم بالكرم عنها ، إذ كانت الأعناب ثمر **الكَرَمِ** . وأما الأثل فإنه يقال له **الطَّرْفَاءُ** : وقيل : شجر شبيه بال**طَّرْفَاءِ** ، غير أنه أعظم منها . وقيل : إنها **السَّمَرُ** .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وأثلٍ) ، قال : الأثل : الطرفاء .

وقوله (وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ) يقول : ذواتي **أَكُلُّ حَمَطٍ** وأثلٍ وشيءٍ من سدر قليل . وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثني سعيد ، عن قتادة (ذَوَاتِي أَكُلُّ حَمَطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ) قال : بينما شجر القوم خير الشجر ، إذ صيره الله من شر الشجر بأعمالهم .

وقوله (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا) يقول تعالى ذكره : هذا الذي فعلنا بهؤلاء القوم من سبأ من إرسالنا عليهم سيل العرم ، حتى هلكت أموالهم ، وخرّبت جناتهم ، جزاء منّا : على كفرهم بنا ، وتكذيبهم رسلنا ، «وذلك» من قوله (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ) : في موضع نصب ، بوقوع جزيناهم عليه ؛ ومعنى الكلام : جزيناهم ذلك بما كفروا .

وقوله (وَهَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكَافِرُ) اختلفت القراء في قراءته ، فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة : (وَهَلْ يُجَازِي) بالياء ، وبفتح الزاي ، على وجه ما لم يسم فاعله (إِلَّا الْكَافِرُ) رفعاً ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة : (وَهَلْ يُجَازِي) بالنون ، وبكسر الزاي (إِلَّا الْكَافِرُ) بالنصب .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب . ومعنى الكلام : كذلك كافأناهم على كفرهم بالله ، وهل يُجَازِي إلا الكفور لعنة الله ؟ فإن قال قائل : أو ما يجزي الله أهل الإيمان به على أعمالهم الصالحة ، فيخص أهل الكفر بالجزاء ؟ فيقال : وهل يجازي إلا الكفور ؟ قيل : إن المجازاة في هذا الموضع : المكافأة ، والله تعالى ذكره وعد أهل الإيمان به التفضل عليهم ، وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة عشر أمثالها ، إلى ما لا نهاية له من التضعيف ، ووعد

المسيء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيئاته ، مثلها مكافأة له على جرمه ، والمكافأة لأهل الكبائر والكفر ، والجزاء لأهل الإيمان مع التفضل ، فلذلك قال جل ثناؤه في هذا الموضع (وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ ؟) كأنه قال جل ثناؤه : لا يجازى : لا يكافأ على عمله إلا الكفور ، إذا كانت المكافأة مثل المكافأة عليه ، والله لا يغفر له من ذنوبه شيئاً ، ولا يُمَحَّصُ شَيْءٌ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا . وأما المؤمن فإنه يتفضل عليه ، على ما وصفت : وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَهَلْ يُجَازَى) : نعاقيب .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورَ) إن الله تعالى إذا أراد بعبد كرامة ، تقبل حسناته ، وإذا أراد بعبد هواناً ، أمسك عليه ذنوبه ، حتى يوافي به يوم القيامة . قال : وذكر لنا أن رجلاً بينا هو في طريق من طرق المدينة ، إذ مرت به امرأة ، فأتبعها بصره ، حتى أتى على حائط ، فشح وجهه ، فأتى نبي الله ووجهه يسيل دماً ، فقال : يا نبي الله ، فعلت كذا وكذا ، فقال له نبي الله : « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ كَرَامَةً ، عَجَّلَ لَهُ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ هَوَانًا ، أَمْسَكَ عَلَيْهِ ذَنْبَهُ ، حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَأَنَّهُ عَسِيرٌ أَسِيرٌ » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَهْرًا ، وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ، سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن نعمته التي كان أنعمها على هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم ، وجعلنا بين بلدهم وبين القرى التي باركنا فيها ، وهي الشام ، قرى ظاهرة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) قال : الشام .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) يعني الشام .
حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) قال : الشام .

وقيل : عُنِيَ بالقرى التي بُورِكَ فيها : بيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورَى ظَاهِرَةً) قال : الأرض التي باركنا فيها : هي الأرض المقدسة ، وقوله (قُورَى ظَاهِرَةً) يعني : قُورَى متصلة ، وهي قُورَى عَرَبِيَّةٌ .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليّ ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن ، في قوله (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورَى ظَاهِرَةً) قال : قُورَى متواصلة ، قال : كان أحدهم يغدو ، فَيَقْبِلُ في قرية ، وَيَرْوِحُ فَيَأْوِي إلى قرية أخرى . قال : وكانت المرأة تضع زَنْبِيلَهَا على رأسها ، ثم تَمْتَنُ بمغزها ، فلا تأتي بيتها حتى يمتلئ من كل الثمار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُورَى ظَاهِرَةً) : أي متواصلة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُورَى ظَاهِرَةً) يعني : قُورَى عَرَبِيَّةٌ ، بين المدينة والشام .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثني أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قُورَى ظَاهِرَةً) قال : السَّرَوَاتُ .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (قُورَى ظَاهِرَةً) يعني : قُورَى عَرَبِيَّةٌ ، وهي بين المدينة والشام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورَى ظَاهِرَةً) قال : كان بين قريتهم وبين الشام قُورَى ظاهرة ، قال : إن كانت المرأة لتخرج معها مِغْزَلَهَا ومِكْتَلُهَا على رأسها ، تروح من قرية وتغدوها ، وتبيت في قرية لا تحمل زادا ولا ماء ، لما بينها وبين الشام .

وقوله (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا بين قُورَاهُم والقري التي باركنا فيها ، سيرا مقدرا من منزل إلى منزل ، وقرية إلى قرية ، لا يزلون إلا في قرية ، ولا يغدون إلا من قرية .

وقوله (سَيَرُوا فِيهَا لِيَالِيْ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) يقول : وقلنا لهم سيروا في هذه القرى ، ما بين قراكم والقري التي باركنا فيها ليالي وأياما آمنين لا تخافون جوعا ولا عطشا ، ولا من أحد ظلما .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَيَرُوا فِيهَا لِيَالِيْ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) :

لا يخافون ظلما ولا جوعا ، وإنما يغدون فيقيلون ، ويروحون فيبيتون في قرية ، أهل جنة ونهر ، حتى لقد ذُكر لنا أن المرأة كانت تضع ميكلتها على رأسها ، وتمتن بيدها ، فيمتلي مكلتها من الثمر قبل أن ترجع إلى أهلها ، من غير أن تخترف شيئا ، وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زادا ولا سقاء ، مما بسط للقوم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وأياما آمينين) قال : ليس فيها خوف .

القول في تأويل قوله تعالى

فَقَالُوا : رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ، وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩)

اختلف القراء في قراءة قوله (رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا) فقراءته عامة قراء المدينة والكوفة (رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا) على وجه الدعاء والمسئلة بالألف ؛ وقرأ ذلك بعض أهل مكة والبصرة (بَعْدَ) ، بتشديد العين ، على الدعاء أيضا . وذُكر عن المتقدمين أنه كان يقرؤه (رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا) على وجه الخبر من الله ، أن الله فعل ذلك بهم . وحكى عن آخر أنه قرأه : ربنا بَعْدَ على وجه الخبر أيضا ، غير أن الرب منادى .
والصواب من القراءة في ذلك عندنا : (رَبَّنَا بَعْدَ) و (بَعْدَ) لأنهما القراءتان المعروفتان في قراءة الأمصار ، وما عداهما فغير معروف فيهم ، على أن التأويل من أهل التأويل أيضا يحقق قراءة من قرأه على وجه الدعاء والمسئلة ، وذلك أيضا مما يزيد القراءة الأخرى بعدا من الصواب .

فإذا كان هو الصواب من القراءة ، فتأويل الكلام : فقالوا : يا ربنا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا ، فاجعل بيننا وبين الشام فلتوات ومتجاوز ، لتركب فيها الرواحل ، وتزود معنا فيها الأزواد ، وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم ، وجهلهم بمقدار العافية ، ولقد عجل لهم ربهم الإجابة ، كما عجل للقاتلين (إن كان هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِمَّنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) : أعطاهم ما رغبوا إليه فيه ، وطلبوا من المسئلة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حُصَيْن عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عَبَّاسٌ ، قال : ثنا حُصَيْنٌ ، عن أبي مالك في هذه الآية : (فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا) قال : كانت لهم قُرْبَى متصلة باليمن ، كان بعضها ينظر إلى بعض ، فبطروا ذلك ، وقالوا : ربنا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا ، قال : فأرسل الله عليهم سَيْلَ الْعَرِيمِ ، وجعل طعامهم أَثْنًا وَحَمَطًا وشيئا من سدر قليل .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) : قال : فإنهم بطيروا عيشهم ، وقالوا لو كان جسي جناتنا أبعد مما هي ، كان أجدر أن نشبهه ، ففرقوا بين الشام وسبأ ، وبدلوا بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خبط وأثل ، وشيء من سدر قليل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) بطر القوم نعمة الله ، وعمطوا كرامة الله ، قال الله (وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) حتى نبيت في الفسوات والصحاري (فَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) ، وقوله : (فَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) وكان ظلمهم إياها : عمطهم بما يسخط الله عليهم من معاصيه ، مما يوجب لهم عقاب الله . (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) : يقول : صيرناهم أحاديث للناس ، يضرّبون بهم المثل في السب ، فيقال : تفرّق القوم أيادي سبأ ، وأيدي سبا ، إذا تفرّقوا وتقطعوا .

وقوله (وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) يقول : وقطعناهم في البلاد كل مقطع .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ، وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) قال قتادة : قال عامر الشعبي : أما غسان فقد لحقوا بالشام ، وأما الأنصار فلحقوا ببيثرب ، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة ، وأما الأزدي فلحقوا بعمان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يزعمون أن عمران بن عامر ، وهو عم القوم ، كان كاهنا ، فرأى في كهانته أن قومه سيمزقون ويتباعدون ، فقال لهم : إني قد علمت أنكم ستمزقون ، فمن كان منكم ذا هم بعيد ، وجمل شديد ، ومزاد جديد ، فليلحق بكأس أو كرود ، قال : فكانت وادعة بن عمرو ، ومن كان منكم ذا هم مدن ، وأمرد عن ، فليلحق بأرض شن ، فكانت عوف بن عمرو . وهم الذين يقال لهم بارق ، ومن كان منكم يريد عيشا آينا ، وحرما آمنا ، فليلحق بالأرزين ، فكانت خزاعة ، ومن كان يريد الراسيات في الوحل ، المطعيمات في الخل ، فليلحق ببيثرب ذات النخل ، فكانت الأوس والخزرج فهما هذان الحيان من الأنصار ، ومن كان يريد خمرا وخميرا ، وذهبا وحريرا ، وملكا وتأميرا ، فليلحق بكوفي وبصري ، فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام ، ومن كان منهم بالعراق ، قال ابن إسحاق : قد سمعت بعض أهل العلم يقول : إنما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمران بن عامر ، وكانت كاهنة ، فرأت في كهانها ذلك ، والله أعلم أي ذلك كان ؛ قال : فلما تفرّقوا ، نزلوا على كهانة عمران بن عامر .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول تعالى ذكره : إن في تمزيقناهم كل ممزق آيات ، يقول : لعظة وعبرة ودلالة على واجب حق الله على عبده من الشكر على نعمه إذا أنعم عليه ، وحقه من الصبر على محنته إذا امتحنه ببلاء ، لكل صبار شكور على نعمه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إن في ذلك آيات ليكل صبار شكور) :
كان مطرف يقول : نعم العبد الصبار الشكور ، الذي إذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠)

اختلفت القراء في قراءة قوله (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) فقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين
(وَلَقَدْ صَدَّقَ) بتشديد الدال من صَدَّقَ ، بمعنى أنه قال ظنا منه : (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)
وقال : (فَبِعِزَّتِكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) ثم صدق ظنه ذلك
فيهم ، فحقيق ذلك بهم ، وبتابعهم إياه . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة (وَلَقَدْ صَدَّقَ)
بتخفيف الدال ، بمعنى : ولقد صدق عليهم ظنه .

والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، وذلك أن إبليس قد صدق
على كفره بني آدم في ظنه ، وصدق عليهم ظنه الذي ظن حين قال : (ثُمَّ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)
وَمِنَ خَلْفِهِمْ ، وَعَنِ إِيْمَانِهِمْ ، وَعَنِ شَتَائِلِهِمْ ، وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) ، وحين
قال (وَلَا ضَالِّينَهُمْ وَلَا مُتَّبِعِينَ) . . . الآية ، قال ذلك عدو الله ، أظننا منه أنه يفعل ذلك ، لاعلمنا ،
فصار ذلك حقا بتابعهم إياه . فأبى القراءتين قرأ القارئ فصيب . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام
على قراءة من قرأ بتشديد الدال : ولقد ظن إبليس بهؤلاء الذين بدلناهم بجناتهم جنين ذوات أكل تحط ،
عقوبة منا لهم ، ظنا غير يقين ، علم أنهم يتبعونه ، ويطيعونه في معصية الله ، فصدق ظنه عليهم ، بإغوائه
إياهم ، حتى أطاعوه ، وعصوا ربهم . إلا فريقا من المؤمنين بالله ، فلمهم ثبتوا على طاعة الله ، ومعصية إبليس .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : أخبرني عمرو بن
مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، أنه قرأ (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) مُشَدَّدةً ،
وقال : ظن ظنا ، فصدق ظنه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ
إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) قال : ظن ظنا ، فاتبعوا ظنه .

قال : ثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ
إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) قال : الله ما كان إلا ظنا ظنه ، والله لا يصدق كاذبا ، ولا يكذب صادقا .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ

إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) قال : أرأيت هؤلاء الذين كرمتهم على ، وفضلتهم وشرقتهم ، لاتجد أكثرهم شاكرين ، وكان ذلك ظنا منه بغير علم ، فقال الله : (فَاتَّبِعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ
وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١)

يقول تعالى ذكره : وما كان لإبليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حجة يضلهم بها ، إلا بتسليطناه عليهم ، لنعلم حزبنا وأولياؤنا . (مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ) : يقول : من يصدق بالبعث والثواب والعقاب (مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ) فلا يؤمن بالمعاد ، ولا يصدق بثواب ولا عقاب .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ) قال : قال الحسن : والله ما ضربهم بعضا ولا سيف ولا سوط ، إلا أمانى وغرورا دعاهم إليها . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ) قال : وإنما كان بلاء ليعلم الله الكافر من المؤمن . وقيل : عني بقوله (إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ) : إلا لنعلم ذلك موجودا ظاهرا ، ليستحق به الثواب أو العقاب .

وقوله (وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) يقول تعالى ذكره : وربك يا محمد على أعمال هؤلاء الكفرة به ، وغير ذلك من الأشياء كلها (حفيظ) لا يعزب عنه علم شيء منه ، وهو مجاز جمعهم يوم القيامة ، بما كسبوا في الدنيا من خير وشر .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ،
وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ ، وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : فهذا فعلنا بولينا ، ومن أطاعنا داود وسليمان الذي فعلنا بهما ، من إنعامنا عليهما النعم التي لا كفاء لها إذ شكرانا ، وذلك فعلنا بسبب الذين فعلنا بهم ، إذ بطروا نعمتنا ، وكذبوا رسلنا ، وكفروا بأيدينا ، فقل يا محمد هؤلاء المشركين بربهم من قومك ، الجاحدين نعمنا عندهم : ادعوا أيها القوم الذين زعتم أنهم لله شريك من دونه ، فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا ، بالذين وصفنا أمرهم ، من إنعام أو إياس ، فإن لم يقدروا على ذلك ، فاعلموا أنكم مبطلون ، لأن الشركة في الربوبية لاتصلح ولا تجوز ، ثم

وصف الذين يدعون من دون الله، فقال: إنهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض: من خير ولا شر، ولا ضرر ولا نفع، فكيف يكون لها من كان كذلك. وقوله (وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ) يقول تعالى ذكره، ولا هم إذ لم يكونوا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، منفردين بملكه من دون الله، يملكونه على وجه الشراكة، لأن الأملاك في المملوكات، لا تكون لملكها إلا على أحد وجهين: إما مقسوما، وإما مشاعا؛ يقول: وآلهتهم التي يدعون من دون الله، لا يملكون وزن ذرة في السموات ولا في الأرض، لا مشاعا ولا مقسوما، فكيف يكون من كان هكذا، شريكا لمن له ملك جميع ذلك. وقوله (وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) يقول: وما لله من الآلهة التي يدعون من دونه معين على خلق شيء من ذلك، ولا على حفظه، إذ لم يكن لها ملك شيء منه مشاعا ولا مقسوما، فيقال: هو لك شريك، من أجل أنه أعان، وإن لم يكن له ملك شيء منه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ) يقول: ما لله من شريك في السماء، ولا في الأرض (وما له منهم) من الذين يدعون من دون الله (من ظهير): من عون بشيء.

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقُّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣)

يقول تعالى ذكره: ولا تنفع شفاعة شافع كائنا من كان الشافع، لمن شفع له، إلا أن يشفع لمن أذن الله في الشفاعة، يقول تعالى: فإذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحدا، إلا لمن أذن الله في الشفاعة له، والله لا يأذن لأحد من أوليائه في الشفاعة الأحد من الكفرة به، وأنتم أهل كفر به أيها المشركون، فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله، زعما منكم أنكم تعبدونه، ليقربكم إلى الله زلتني، وليشفع لكم عند ربكم، «فن» إذ كان هذا معنى الكلام التي في قوله (إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ): المشفوع له.

واختلفت القراء في قراءة قوله (أَذِنَ لَهُ)، فقرأ ذلك عامة القراء بضم الألف من (أَذِنَ لَهُ) على وجه ما لم يسم فاعله. وقرأه بعض الكوفيين (أَذِنَ لَهُ) على اختلاف أيضا عنه فيه، بمعنى أذن الله له. وقوله (حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ): يقول: حتى إذا جئلي عن قلوبهم، وكشف عنها الفرع وذهب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (حتى إذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) يعني : جُلِيَ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (حتى إذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال : كشف عنها الغطاء يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : إذا جلي عن قلوبهم .
واختلف أهل التأويل في الموصوفين بهذه الصفة مَنْ هُمْ ، وما السبب الذي من أجله ، فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ؟ فقال بعضهم : الذي فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِم الملائكة ، قالوا : وإنما يفزع عن قلوبهم ، من غشية تصيبهم عند سماعهم الله بالوحي .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن داود ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : قال ابن مسعود في هذه الآية : (حتى إذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال : إذا حدث أمر عند ذي العرش ، سمع من دونه من الملائكة صوتا كجبر السلسلة على الصفا ، فيغشى عليهم ، فإذا ذهب الفزع عن قلوبهم تنادوا : (ماذا قال ربكم ؟) قال : فيقول : من شاء ، قال : الحق ، وهو العليّ الكبير .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت داود ، عن عامر ، عن مسروق ، قال : إذا حدث عند ذي العرش أمر ، سمعت الملائكة صوتا ، كجبر السلسلة على الصفا ، قال : فيغشى عليهم ، فإذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، قالوا ماذا قال ربكم ؟ قال : فيقول : من شاء الله : الحق ، وهو العليّ الكبير .
حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود ، أنه قال : إذا حدث أمر عند ذي العرش ، ثم ذكر نحو معناه ، إلا أنه قال : فيغشى عليهم من الفزع ، حتى إذا ذهب ذلك عنهم ، تنادوا ماذا قال ربكم ؟

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبد الله بن مسعود ، في قوله (حتى إذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال : إن الوحي إذا أُلْقِيَ سَمِعَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ صَلَاطَةَ كَصَلَاةِ السَّلْسَلَةِ عَلَى الصَّفْوَانِ ، قال : فيتنادون في السموات ، ماذا قال ربكم ؟ قال : فيتنادون : الحق ، وهو العليّ الكبير .
وبه عن منصور ، عن أبي الضُّحَى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : « يُسَنَزَلُ الأَمْرَ مِنْ عِنْدِ رَبِّ العِزَّةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَتُفَزَعُ أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، حَتَّى يَسْتَبِينَ لِمِ الأَمْرِ الَّذِي نَزَّلَ فِيهِ ، فيقول بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ فيقولون : قال : الحق ، وهو العليّ الكبير ، فذلك قوله (حتى إذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) . . . الآية .

حدثنا أحمد بن عبدة الضبيّ ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : ثنا أبو هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله إذا قضى أمراً في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها جميعاً ، ولقوله صوت كصوت السلسلة على الصفا الصّفوان ، فذلك قوله : (حتى إذا فزع عن قلوبهم) ، قالوا ماذا قال ربّكم ؟ قالوا : الحقّ ، وهو العليّ الكبير » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن هشام بن عروة ، قال : « قال الحارث بن هشام لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يأتيك الوحي ؟ قال : يأتيني في صلصلة كصلصلة الجرس ، فيفصم عني حين يفصم وقد وعيته ، ويأتي أحياناً في مثل صورة الرجل ، فيكلمني به كلاماً ، وهو أهون عليّ » .

حدثني زكريا بن أبان المصريّ ، قال : ثنا نعيم ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، عن ابن أبي زكريا ، عن جابر بن حيوة ، عن النّوّاس بن سيمان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله أن يوحى بالأمر ، تكلم بالوحي ، أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوف أمر الله ، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا ، وخرّوا لله سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمرّ جبرائيل على الملائكة ، كلّمها مرّة بسماء سأله ملائكتها ؟ ماذا قال ربّنا يا جبرائيل ؟ فيقول جبرائيل ، قال الحقّ وهو العليّ الكبير ، قال : فيقولون كلّمهم مثل ما قال جبرائيل ، فينتهي جبرائيل بالوحي حيث أمره الله » .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (حتى إذا فزع عن قلوبهم) . . . الآية . قال : كان ابن عباس يقول : « إن الله لما أراد أن يوحى إلى محمد ، دعا جبريل ، فلما تكلم ربنا بالوحي ، كان صوته كصوت الحديد على الصفا ؛ فلما سمع أهل السموات صوت الحديد ، خرّوا سجداً ؛ فلما أتى عليهم جبرائيل بالرسالة ، رفعوا رؤوسهم ، فقالوا : (ماذا قال ربّكم ؟ قالوا : الحقّ ، وهو العليّ الكبير) . وهذا قول الملائكة » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حتى إذا فزع عن قلوبهم) . . . إلى (وهو العليّ الكبير) قال : لما أوحى الله تعالى ذكره إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، دعا الرسول من الملائكة ، فبعث بالوحي ، سمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي ؛ فلما كسيف عن قلوبهم ، سألوها عما قال الله ، فقالوا : الحقّ ، وعلّموا أن الله لا يقول إلا حقّاً ، وأنه منجز ما وعد ، قال ابن عباس : وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا ؛ فلما سمعوه خرّوا سجداً ؛ فلما رفعوا رؤوسهم ، قالوا ماذا قال ربّكم ؟ قالوا الحقّ ، وهو العليّ الكبير) ثم أمر الله نبيه أن يسأل الناس ، (قل من يرزقكم من السموات) . . . إلى قوله (في ضلال مبين) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرّة ، عن عبد الله بن القاسم ، في قوله (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ) . . . الآية ، قال : الوحي ينزل من السماء ، فإذا قضاه (قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟) قَالُوا الْحَقَّ ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، في قوله (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ) قال : إن الوحي إذا قضى في زوايا السماء ، قال : مثل وقع الفولاذ على الصخرة ، قال : فيشققون ، لا يدرون ما حدث ، فيفزعون ، فإذا مرت بهم الرسل (قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟) قَالُوا الْحَقَّ ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) .

وقال آخرون ممن قال : الموصوفون بذلك الملائكة : إنما يُفزع عن قلوبهم فزعهم من قضاء الله الذي يقضيه ، حذرا أن يكون ذلك قيام الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ) ، قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟) . . . الآية ، قال : يوحى الله إلى جبرائيل ، فتفترق الملائكة ، أو تفزع ، مخافة أن يكون شيء من أمر الساعة ، فإذا جُبل عن قلوبهم ، وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة (قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟) قَالُوا : الْحَقَّ ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) .

وقال آخرون : بل ذلك من فعل ملائكة السموات إذا مرت بها المعقبات ، فزعاً أن يكون حدث أمر الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ) . . . الآية ، زعم ابن مسعود أن الملائكة المعقبات ، الذين يختلفون إلى الأرض ، يكتبون أعمالهم ، إذا أرسلهم الرب فأنحدروا ، سمع لهم صوت شديد ، فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة ، أنه من أمر الساعة ، فخرّوا سُجّداً ، وهكذا كلما مروا عليهم يفعلون ذلك من خوف ربهم . وقال آخرون : بل الموصوفون بذلك المشركون ، قالوا : وإنما يُفزع الشيطان عن قلوبهم ؛ قال : وإنما يقولون : ماذا قال ربكم ؟ عند نزول المنية بهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ) قال : فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيتهم ، وما كان يضلهم . (قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟) قَالُوا الْحَقَّ ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) قال : وهذا في بني آدم ، وهذا عند الموت ، أقرّوا به حين لم ينفعهم الإقرار .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : القول الذي ذكره الشَّعْبِيُّ عن ابن مسعود ، لصحة الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأييده . وإذ كان ذلك كذلك ، فعنى الكلام : لا تنفع

الشفاعة عنده ، إلا لمن أذن له أن يشفع عنده ، فإذا أذن الله لمن أذن له أن يشفع ، فرع لسماعه إذنه ، حتى إذا فُزِعَ عن قلوبهم ، فجسيلي عنها ، وكشفت الفرع عنهم ، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالت الملائكة : الحق ، (وهو العلي) على كل شيء ، (الكبير) الذي لا شيء دونه . والعرب تستعمل فُزِعَ في معنيين ، فتقول للشجاع الذي به تنزل الأمور التي يفزع منها : هو مُفَزَعٌ ؛ وتقول للجبان الذي يفزع من كل شيء : إنه مُفَزَعٌ ، وكذلك تقول للرجل الذي يقضى له الناس في الأمور بالغلبة على من نازله فيها : هو مُغَلَّبٌ ؛ وإذا أريد به هذا المعنى ، كان غالباً ؛ وتقول للرجل أيضا الذي هو مغلوب أبداً : مُغَلَّبٌ .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار أجمعون : (فُزِعَ) بالزاي والعين على التأويل الذي ذكرناه عن ابن مسعود ، ومن قال بقوله في ذلك . ورؤى عن الحسن أنه قرأ ذلك (حتى إذا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ) بالراء والعين على التأويل الذي ذكرناه عن ابن زيد . وقد يحتمل توجيه معنى قراءة الحسن ذلك كذلك ، إلى (حتى إذا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ) فصارت فارغة من الفرع الذي كان حل بها ، ذكير عن مجاهد أنه قرأ ذلك (فُزِعَ) بمعنى : كشفت الله الفرع عنها .

والصواب من القراءة في ذلك القراءة بالزاي والعين ، لإجماع الحجة من القراء وأهل التأويل عليها ، ولصحة الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأييدها ، والدلالة على صحتها .

القول في تأويل قوله تعالى

* قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ قُلِ اللَّهُ، وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلِيْ هُدًى

أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المشركين برهبهم الأوثان والأصنام من يرزقكم من السموات والأرض ، بإنزاله الغيث عليكم منها ، حياة لحروثكم ، وصالحا لمعايشكم ، وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم ، ومنافع أقواتكم ، والأرض بإخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم ، وترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه ، ثم ذكره وهو : فإن قالوا : لاندرى ، فقل : الذي يرزقكم ذلك : الله ، وإنا أو إياكم أيها القوم ، لعلي هُدى ، أو في ضلال مبين . يقول : قل لهم : إنا لعلي هدى أو في ضلال ، أو إنكم على ضلال أو هُدى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، قُلِ اللَّهُ ، وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلِيْ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) قال : قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين ، والله ما أنا وأنتم على أمر واحد ، إن أحد الفريقين لمهتد . وقد قال قوم : معنى ذلك : وإنا لعلي هدى ، وإنكم لفي ضلال مبين .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن إبراهيم الشهبدي ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن عكرمة وزياد في قوله (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى ، أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) قال : إنا لعلى هدى ، وإنكم لفي ضلال مبين . واختلف أهل العربية في وجه دخول « أو » في هذا الموضع ، فقال بعض نحويي البصرة : ليس ذلك لأنه شك ، ولكن هذا في كلام العرب على أنه هو المهتدي ، قال : وقد يقول الرجل لعبده : أهدنا ضارب صاحبه ، ولا يكون فيه إشكال على السامع ، أن المولى هو الضارب . وقال آخر منهم : معنى ذلك : إنا لعلى هدى ، وإنكم إياكم في ضلال مبين ، لأن العرب تضع « أو » في موضع واو الموالاة ، قال جرير :

أثعلبَةَ الفَوَارِسِ أَوْ رِيَاحَا عَدَلْتِ بِهَيْمٍ طُهَيْتَهُ وَالْحِشَابَا

قال : يعني أثعلبة ورياحا ، قال : وقد تكلم بهذا من لا يشك في دينه ، وقد علموا أنهم على هدى ، وأولئك في ضلال ، فيقال : هذا وإن كان كلاما واحدا على جهة الاستهزاء ، فقال : هذا لهم ، وقال : فإِنَّ بَيْتَهُمْ رُشْدًا أُصِيبَهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غَيًّا ؟ وقال بعض نحويي الكوفة : معنى « أو » ومعنى الواو في هذا الموضع في المعنى ، غير أن القرينة على

(١) البيت لجرير . وهو من شواهد سيبويه (الكتاب ١ : ٥٢ ، ٤٨٩) وروايته في الموضع الثاني « أورياحا » . وفي الموضع الأول : أم رياحا . قال : فأما إذا قلت أنتضرب أو تحبس زيدا ، فهو بمنزلة : أزيدا أو عمرا ضربت . قال الشاعر : « أثعلبة . . . البيت » . وإن قلت : أزيدا تضرب أو تقتل ، كان كقولك أقتل زيدا أو عمرا . قال : و « أم » في كل هذا : جيد . وإن قال : أتجلس أم تذهب ، فأمر أو ، فيه سواء .

والبيت : من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن الورقة ٩٩ - ب) قال في تفسير الآية : (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) : لأن العرب تضع « أو » في موضع واو الموالاة ، قال : أثعلبة الفوارس أو . . . البيت . . . يعني ثعلبة ورياحا . وقال قوم قد يتكلم بهذا من يشك في دينه ، وقد علموا أنهم على هدى ، وأولئك على ضلال ، فقال هذا ، وإن كان كلاما واحدا ، على وجه الاستهزاء ، يقال هذا لهم . وقال :

إِنْ يَكُنْ حَبِيْبُهُمْ رُشْدًا أُصِيبَهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غَيًّا

قلت : وقد سمي ابن هشام في المعنى « أو » هذه : أو التي للإبهام .

(٢) البيت لأبي الأسود الدؤلي ، قال صاحب الأغاني ترجمته : كان أبو الأسود الدؤلي نازلا في بني قشير ، وكانت بنو قشير عمانية ، وكانت امرأته أم عوف منهم ، فكانوا يؤذونه ويسبونونه ، وينالون من علي بن أبي طالب بحضرتة ، ليفظوه به ، ويرمونه بالليل ، فقال في ذلك أبياتا يهجوهم ، ويمدح عليا وآل بيته . فقال له بنو قشير : شككت يا أبا الأسود في صاحبك ، حيث تقول : « فإن أليك حبيهم رشدا أصبه » ، فقال : أما سمعتم قول الله عز وجل : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » . أفترى الله جل وعز شك في نبيه . وقد روى أن معاوية قال هذه المقالة ، فأجابها بهذا الجواب . ٥١ . وقال الفراء في معاني القرآن (الورتان ٢٦٣ ، ٢٦٤) في تفسير قوله تعالى : « وإنا أو إياكم . . . الآية » : قال المفسرون : معناه : وإنا لعلى هدى ، وأتم في ضلال مبين . معنى « أو » معنى الواو عندهم . وكذلك هو في المعنى . غير أن العربية على غير ذلك . لا تكون « أو » بمنزلة الواو ، ولكنها تكون في الأمر المفوض (راو الإباحة) كما تقول : إن شئت خذ درهما أو اثنين ، فله أن يأخذ واحدا أو اثنين ، وليس له أن يأخذ ثلاثة ؛ في قول من لا يبصر العربية ، ويجعل أو بمنزلة الواو ، ويجوز له أن يأخذ ثلاثة ، لأنه في قولهم بمنزلة قولك : خذ درهما واثنين . فالمعنى في قوله : « وإنا أو إياكم » : إنا لفسالون أو مهنتون ، وإنكم أيضا لفسالون أو مهنتون ، وهو يعلم أن رسوله المهتدي ، وأن غيره الضالون . . الخ ما قاله .

غير ذلك لا تكون « أو » بمنزلة الواو ، ولكنها تكون في الأمر المقوّض ، كما تقول : إن شئت فخذ درهما أو اثنين ، فله أن يأخذ اثنين أو واحدا ، وليس له أن يأخذ ثلاثة . قال : وهو في قول من لا يبصر العربية ، ويجعل أو بمنزلة الواو ، ويجوز له أن يأخذ ثلاثة ، لأنه في قولهم بمنزلة قولك : خذ درهما أو اثنين ؛ قال : والمعنى في (إِنَّا أَوْ لِيَاكُمْ) : إنا لضالون أو مهتدون ، وإنكم أيضا لضالون ، وهو يعلم أن رسوله المهتدى ، وأن غيره الضال . قال : وأنت تقول في الكلام للرجل يكذبك ، والله إن أهدنا لكاذب ، وأنت تعنيه ، وكذبتّه تكذيبا غير مكشوف ، وهو في القرآن وكلام العرب كثير ، أن يوجه الكلام إلى أحسن مذاهبه ، إذا عُرِفَ ، كقول القائل لمن قال : والله لقد قدم فلان وهو كاذب ؛ فيقول : قل : إن شاء الله ، أو قل : فيما أظن ، فيكذبه بأحسن تصريح التكذيب . قال : ومن كلام العرب أن يقولوا : قاتله الله ، ثم يستقبح فيقولون : قاتله الله ، وكاتعه الله . قال : ومن ذلك : ويحك ، وويسك ، إنما هي في معنى : ويملك ، إلا أنها دونها .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن ذلك أمر من الله نبيه بتكذيب من أمره بخطابه بهذا القول ، بأجل التكذيب ، كما يقول الرجل لصاحب له يخاطبه ، وهو يريد تكذيبه في خبر له : أهدنا كاذب ، وقائل ذلك يعنى صاحبه ، لانفسه ؛ فلهذا المعنى صير الكلام بأو .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لَأَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا، ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا

بِالْحَقِّ، وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين : أحد فريقنا على هدى ، والآخر على ضلال ، لا نسألون أنتم عما أجرمنا نحن من جرّم ، وركبنا من إثم ، ولا نسأل نحن عما تعملون أنتم من عمل ، قل لهم : يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده ، ثم يفتح بيننا بالحق : يقول : ثم يقضى بيننا بالعدل ، فيتبين عند ذلك المهتدى منا من الضالّ (وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ) يقول : والله القاضى العليم بالقضاء بين خلقه ، لأنه لا تخفى عنه خافية ، ولا يحتاج إلى شهود تعرفه الحق من المبطل .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا) يوم القيامة (ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا) : أى يقضى بيننا .
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ) يقول : القاضى .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ: أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّمُ بِهِ شُرَكَاءَ، كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧)

يقول تعالى ذكره، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد هؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام أروني أيها القوم الذين أحقتموهم بالله فصيرتموهم له شركاء في عبادتكم إياهم: ماذا خلقوا من الأرض، أم لهم شرك في السموات، كلا، يقول تعالى ذكره: كذبوا ليس الأمر كما وصفوا، ولا كما جعلوا، وقالوا من أن لله شريكا، بل هو المعبود الذي لا شريك له، ولا يصلح أن يكون له شريك في ملكه، العزيز في انتقامه، ممن أشرك به من خلقه، الحكيم في تدبيره خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره: وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكننا أرسلناك كافة للناس أجمعين، العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيرا من أطاعك، ونذيرا من كذبتك، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ) قال: أرسل الله محمدا إلى العرب والعجم، فأكرمهم على الله أطوعهم له. ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبشة، وسلمان سابق فارس».

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟ (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ

سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون بالله إذا سمعوا وعيد الله الكفار، وما هو فاعل بهم في معادهم مما أنزل الله في كتابه (متى هذا الوعد) جاثيا، وفي أي وقت هو كائن (إن كنتم) فيما تعدوننا من ذلك (صادقين) أنه كائن، قال الله لنبيه: (قل) لهم يا محمد: (لكم) أيها القوم (ميعاد يوم) هو آتاكم. (لا تستأخرون عنه) إذا جاءكم (ساعة) فتنظروا للتوبة والإنابة (ولا تستقدمون) قبله بالعذاب، لأن الله جعل لكم ذلك أجلا.

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ ، يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا : لَوْلَا أَنَّهُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١)

يقول تعالى ذكره : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) من مشركي العرب (لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ) الذي جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا بالكتاب الذي جاء به غيره من بين يديه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) قال : قال المشركون : لن نؤمن بهذا القرآن ، ولا بالذي بين يديه من الكتب والأنبياء .

وقوله (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يتلاومون ، يحاور بعضهم بعضا ، يقول المستضعفون كانوا في الدنيا ، للذين كانوا عليهم فيها يستكبرون ، لولا أنتم أيها الرؤساء والكبراء في الدنيا ، لكانا مؤمنين بالله وآياته .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا : أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ؟ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) في الدنيا ، فرأسوا في الضلالة والكفر بالله (لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا) فيها فكانوا أتباعا لأهل الضلالة منهم ، إذ قالوا لهم : (لَوْلَا أَنَّهُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ، أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ) ، ومنعناكم من اتباع الحق (بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ) من عند الله ، يبين لكم (بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) فنعكم إيثاركم الكفر بالله على الإيمان ، من اتباع الهدى ، والإيمان بالله ورسوله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ ، وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا ، وَأَسْرَأُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ، وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ، هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره (وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا) من الكفرة بالله في الدنيا ، فكانوا أتباعا لروسائهم

في الضلالة: (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) فيها ، فكانوا لهم رؤساء: (بَلْ مَكْرٌ كَمَ لَنَا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) صدتنا عن الهدى (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ) أمثالا وأشباها في العبادة والألوهة ، فأضيف المكر إلى الليل والنهار . والمعنى ما ذكرنا من مكر المستكبرين بالمستضعفين في الليل والنهار ، على اتساع العرب في الذي قد عُرِف معناها فيه من منطقتها ، من نقل صفة الشيء إلى غيره ، فتقول للرجل : يا فلان نهارك صائم ، وليك قائم ، وكما قال الشاعر :

وَنِمَّتْ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ

وما أشبه ذلك مما قد مضى بياننا له ، في غير هذا الموضع من كتابنا هذا .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بَلْ مَكْرٌ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ ، وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) يقول : بل مكركم بنا في الليل والنهار ، أيها العظماء الرؤساء ، حتى أزلتمونا عن عبادة الله .

وقد ذكر في تأويله عن سعيد بن جبير ، ما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير (بَلْ مَكْرٌ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) قال : مرَّ الليل والنهار . وقوله (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ) يقول : حين تأمروننا أن نكفر بالله . وقوله (وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) يقول : شركاء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) شركاء : قوله (وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) يقول : وندموا على ما فرطوا من طاعة الله في الدنيا ، حين عاينوا عذاب الله الذي أعدّه لهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ) بينهم (لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) : قوله (وَجَعَلْنَا الْأَغْصَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا) وَعَمَلَتْ أَيْدِي الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ فِي جَهَنَّمَ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ ، في جوامع من نار جهنم ، جزاء بما كانوا بالله في الدنيا يكفرون ، يقول الله جل ثناؤه : ما يفعل الله ذلك بهم إلا ثوابا لأعمالهم الحبيثة ، التي كانوا في الدنيا يعملونها ، ومكافأة لهم عليها .

(١) هذا عجز بيت جرير بن الخطمي الشاعر الإسلامي ، وصدره « لقد لمثنا يا أم غيلان في السرى » (ديوانه طبعة الصاوي ٥٥٤) . واستشهد به المؤلف ، على أنك تقول يا فلان نهارك صائم ، وليك قائم ، فتسند الصيام والقيام إلى الليل والنهار إسنادا مجازيا عقليا ، والأصل فيه أن يسند الصيام والقيام للرجل لا للزمان ، وذلك من باب التوسع المجازي ، فالعلاقة هنا الزمانية ، والقرينة عقلية . وذلك نظير قوله تعالى « بل مكر الليل والنهار » . أصله : بل مكركم بنا في الليل والنهار ، ثم أسند الفعل إليهما . قال الفراء في (معاني القرآن ، الورقة ٢٦٤) : وقوله « بل مكر الليل والنهار » : المكر ليس لليل ولا للنهار ، وإنما المعنى : بل مكركم بالليل والنهار . وقد يجوز أن تضيف الفعل إلى الليل والنهار ، ويكونا كالفاعلين ؛ لأن العرب تقول : نهارك صائم ، وليك قائم ، ثم تضيف الفعل إلى الليل والنهار ، وهو في المعنى للادميين ، كما تقول : نام ليك . اهـ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : وما بعثنا إلى أهل قرية نذيرا ينذروهم بأسنا أن ينزل بهم ، على معصيتهم إيانا ، إلا قال كبراؤها ورؤساؤها في الضلالة ، كما قال قوم فرعون من المشركين له : إنا بما أرسلتم به من النذارة ، وبعثتم به من توحيد الله ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، كافرون .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا : إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) قال : هم رعوسهم وقادتهم في الشر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلْ : إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : وقال أهل الاستكبار على الله من كل قرية أرسلنا فيها نذيرا ، لأنبيائنا ورسلنا ، (نحن) أكثر أموالا وأولادا ، وما نحن (في الآخرة) بمُعَذَّبِينَ ؛ لأن الله لو لم يكن راضيا ما نحن عليه من الملة والعمل ، لم يُخَوِّلنا الأموال والأولاد ، ولم يبسط لنا في الرزق ، وإنما أعطانا ما أعطانا من ذلك ، لرضاه أعمالنا ، وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا ، وزلفة لنا عنده . يقول الله لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد : (إن ربي يبسط الرزق) من المعاش والرياش في الدنيا ، (لمن يشاء) من خلقه (ويقدر) ، فيضيق على من يشاء ، لالحبة فيمن يبسط له ذلك ولا خير فيه ، ولا زلفة له ، استحق بها منه ، ولا لبغض منه لمن قدّر عليه ذلك ، ولا ممتت ، ولكنه يفعل ذلك لك محنة لعباده وابتلاء ، وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختبارا لعباده ، ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بسط له ، وممتت لمن قدّر عليه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) . . . الآية ، قال : قالوا : نحن أكثر أموالا وأولادا ، فأخبرهم الله أنه ليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ، (إلا من آمن وعمل صالحا) ، قال : وهذا قول المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قالوا : لو لم يكن الله عنا راضيا ، لم يعطنا هذا ، كما قال

قارون : لولا أن الله رَضِيَ بِي وبِحَالِي مَا أَعْطَانِي هَذَا ، قَالَ : (أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ) . . . إلى آخر الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ ، إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ، وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ (٣٧)

يقول جل ثناؤه : وما أموالكم التي تفتخرون بها أيها القوم على الناس ، ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم ، بالتي تقرّبكم منا قربة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عِنْدَنَا زُلْفَى) قال : قُرْبَى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالآلَتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد ، وإن الكافر قد يُعْطَى المال ، وربما حُبِس عن المؤمن . وقال جل ثناؤه (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالآلَتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) ولم يقل بالآتين ، وقد ذكر الأموال والأولاد ، وهما نوعان مختلفان ، لأنه ذُكر من كل نوع منهما جمع يصلح فيه التي ، ولو قال قائل : أراد بذلك أحد النوعين ، لم يبعد قوله ، وكان ذلك كقول الشاعر :

تَحْنُ بِمَاءِ عِنْدَنَا ، وَأَنْتَ بِمَاءِ عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ

ولم يقل : راضيان .

وقوله (إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى ، إلا من آمن وعمل صالحا ، فإنه تقرّبهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأدائهم فيه حقه إلى الله زلفى دون أهل الكفر بالله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) قال : لم تضرهم أموالهم ولا أولادهم في الدنيا للمؤمنين ، وقرأ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) فالْحُسْنَى : الجنة ، والزيادة : ما أعطاهم الله في الدنيا ، لم يحاسبهم به ، كما حاسب الآخرين ، فن

(١) البيت لقيس بن الخطيم من قصيدة من المنصرح ، كما في معاهد التنصيص ، شرح شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي . وقد تقدم الكلام عليه في (١٠ : ١٢٢) مبسوطا . فراجعه ثمة .

حملا على هذا التأويل نصب بوقوع تقرب عليه ، وقد يحتمل أن يكون « من » في موضع رفع ، فيكون كأنه قيل : وما هو إلا من آمن وعمل صالحا .

وقوله (فَأَوْلَيْتِكَ لَهْمُ جَزَاءُ الضَّعْفِ) يقول : فهؤلاء لهم من الله على أعمالهم الصالحة الضعف من الثواب ، بالواحدة عشر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَوْلَيْتِكَ لَهْمُ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا) قال : بأعمالهم الواحد عشر ، وفي سبيل الله بالواحد سبع مئة .
وقوله (فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ) يقول : وهم في غرفات الجنات آمنون من عذاب الله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ ، أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : والذين يعملون في آياتنا ، يعني : في حججنا وآي كتابنا ، يبتغون إبطاله ، ويريدون إطفاء نوره معاونين ، يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ، ويعجزوننا (أولئك في العذاب محضرون) يعني في عذاب جهنم محضرون يوم القيامة . (قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه ، فيوسعه عليه ، تكرمة له ، وغير تكرمة ، ويتقدر على من يشاء منهم ، فيضيقه ويقتره إهانة له ، وغير إهانة له ، بل محنة واختبارا . (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) يقول : وما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله ، فإن الله يخلفها عليكم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبشير (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) قال : ما كان في غير إسراف ولا تقدير .
وقوله (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) يقول : وهو خير من قبيل إنه يرزق ووصف به ، وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه ، فيقال : فلان يرزق أهله وعياله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا، ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا :
 سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ ، بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ، أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١)
 يقول تعالى ذكره : ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعا ، ثم نقول للملائكة : أهؤلاء كانوا يعبدونكم
 من دوننا ؟ فتبرأ منهم الملائكة (قَالُوا : سُبْحَانَكَ) ربنا ، تنزيها لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء من
 الشركاء والأنداد (أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ) لاتخذ وليا دونك (بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ) .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا) ثم نقول
 لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ؟) استفهام ، كقوله لعيسى (أَمْ تَأْتِي النَّاسَ
 اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ لِلْهَيْبَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) ؟
 وقوله (أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) يقول : أكثرهم بالجن مصدقون ، يزعمون أنهم بنات الله ،
 تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا ، وَتَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا : ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ
 الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : فالיום لا يملك بعضكم أيها الملائكة للذين كانوا في الدنيا يعبدونكم ، نفعاً ينفعونكم به
 ولا ضراً ينالونكم به ، أو تنالونهم به (وَتَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : ونقول للذين عبدوا غير الله ،
 فوضعوا العبادة في غير موضعها ، وجعلوها لغير من تنبغي أن تكون له (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ
 بِهَا) في الدنيا (تُكَذِّبُونَ) فقد وردتموها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَوِيحُوا قَالُوا : مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصِدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ
 ءَابَاؤَكُمْ ، وَقَالُوا : مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ مِمَّا كَفَرْنَا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ : إِنَّ هَذَا
 إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣)

يقول تعالى ذكره: وإذا تُنْتَلَىٰ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا بيِّنَاتٍ : يقول : واضحات أمهنَّ حقَّ من عندنا (قالوا : ما هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ) يقول : قالوا عند ذلك : لا تتبعوا محمدا ، فما هو إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم من الأوثان ، ويغير دينكم ودين آبائكم (وقالوا ما هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ لِمَنْ هُوَ حَقُّهُ) يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون : ما هذا الذي تتلو علينا يا محمد ، يعنون القرآن ، إلا إِنْكَارٌ : يقول : إلا كَذِبٌ مُّفْتَرَىٰ : يقول : مختلفٌ ، متخرَّصٌ (وقال الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) يقول جل ثناؤه : وقال الكفار للحقِّ ، يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لما جاءهم ، يعني : لما بعثه الله نبيا : هذا سحر مبين : يقول : ما هذا إلا سحر مبين ، يبين لمن رآه وتأمله أنه سحر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا ، وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَّذِيرٍ (٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : وما أنزلنا على المشركين القائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم لما جاءهم بآياتنا : هذا سحر مبين بما يقولون من ذلك كتبنا يدرسونها : يقول : يقرءونها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِّنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا) : أى يقرءونها (وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَّذِيرٍ) يقول : وما أرسلنا إلى هؤلاء المشركين من قومك يا محمد ، فيما يقولون ويعملون قبلك ، من نبي ينذرهم بأسنا عليه .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَّذِيرٍ) ما أنزل الله على العرب كتابا قبل القرآن ، ولا بعث إليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم .
وقوله (وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) يقول : وكذب الذين من قبلهم من الأمم رسلنا وتنزلنا : (وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ) يقول : ولم يبلغ قومك يا محمد عُشْرَ ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوة والأيدى والبطش ، وغير ذلك من النعم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ) من القوة فى الدنيا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا تَبَيَّنَّاهُمْ) يقول : ما جاوزوا معشار ما أنعمنا عليهم .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا تَبَيَّنَّاهُمْ) يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يُعْطَكم من القوة وغير ذلك .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا تَبَيَّنَّاهُمْ) قال : ما بلغ هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم معشار ما آتينا الذين من قبلهم ، وما أعطيناهم من الدنيا ، وبسطنا عليهم (فَكَذَّبُوا رِسْلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) يقول : فكذبوا رسلي فيما أتوهم به من رسالي ، فعاقبناهم بتغييرنا بهم ما كنا آتيناهم من النعم ، فانظر يا محمد كيف كان نكير : يقول : كيف كان تغييرى بهم وعقوبتى .

القول في تأويل قوله تعالى

* قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَقُرَادَىٰ ، ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ ، إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك : إنما أعظكم أيها القوم بواحدة ، وهي طاعة الله .
كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ) قال : بطاعة الله .

وقوله (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَقُرَادَىٰ) يقول : وتلك الواحدة التي أعظكم بها : هي أن تقوموا لله اثنين اثنين ، (وَقُرَادَىٰ) قرادى ، فأن في موضع خفض ، ترجمة عن الواحدة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَقُرَادَىٰ) قال : واحدا واثنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ : أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَقُرَادَىٰ) رجلا ورجلين . وقيل : إنما قيل : إنما أعظكم بواحدة ، وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى . (مَشْنَىٰ) : يقول : يقوم الرجل منكم مع آخر ، فيتصاदान على

(١) لعله : وفردا فردا : أي أن تقوموا اثنين ، اثنين وواحدا واحدا .

المناظرة ، هل علمتم بمحمد صلى الله عليه وسلم جنونا قط ، ثم ينفرد كل واحد منكم ، فيتفكر ويعتبر فردا هل كان ذلك به ، فتعلموا حينئذ أنه نذير لكم ؟ .

وقوله (ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ) يقول : لأنه ليس بمجنون . وقوله (إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) يقول : ما محمد إلا نذير لكم ، يندرکم على كفرکم بالله عقابه ، أمام عذاب جهنم ، قبل أن تصلوہا ، وقوله : هو كناية اسم محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لقومك المكذبيك ، الرادين عليك ما أتيتهم به من عند ربك : ما أسألكم من جعل على إنداريتكم عذاب الله ، وتخوفيتكم به بأسه ، ونصحتي لكم في أمري إياكم بالإيمان بالله ، والعمل بطاعته ، فهو لكم لا حاجة لي به . وإنما معنى الكلام : قل لهم : إني لم أسألكم على ذلك جعلا فتهموني ، وتظنوا أني إنما دعوتكم إلى اتباعي لمال آخذه منكم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ) : أي جعل (فَهُوَ لَكُمْ) يقول : لم أسألكم على الإسلام جعلا . وقوله (إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) يقول : ما ثوابي على دعائكم إلى الإيمان بالله ، والعمل بطاعته ، وتبليغكم رسالته ، إلا على الله (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) يقول : والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لي به ، وعلى غير ذلك من الأشياء كلها .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩)

يقول جل ثناؤه لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يا محمد لمشركي قومك (إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) : وهو الوحي ، يقول : ينزله من السماء ، فيقذفه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (عَلَٰمُ الْغُيُوبِ) يقول : علام ما يغيب عن الأبصار ، ولا مظهر لها ، وما لم يكن مما هو كائن ، وذلك من صفة الرب ، غير أنه رفع خبيته بعد الخبر ، وكذلك تفعل العرب إذا وقع النعت بعد الخبر ، في أن أتبعوا النعت إعراب ما في الخبر ، فقالوا : إن أباك يقوم الكريم ، فرفع الكريم على ما وصفت ، والنصب فيه جائز ، لأنه نعت للأب ، فيتبع إعرابه (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ) يقول : قل لهم يا محمد : جاء القرآن ووحى الله (وَمَا يُبْدِيهِ الْبَاطِلُ) يقول :

وما ينشئ الباطل خلقا ؛ والباطل هو فيما فسره أهل التأويل : إبليس (وَمَا يُعِيدُ) يقول : ولا يعيده حيا بعد فنائه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ إِنْ رَبِّي يَتَّقِدُ بِالْحَقِّ) : أى بالوحي (عَلَامُ الْغُيُوبِ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ) : أى القرآن (وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) ، والباطل : إبليس : أى ما يخلق إبليس أحدا ، ولا يعثه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ إِنْ رَبِّي يَتَّقِدُ بِالْحَقِّ عَلَامُ الْغُيُوبِ) ، فقرأ (بَلْ نَقْتَدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ) . . . إلى قوله (وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) قال : يزهد الله الباطل ، ويثبت الله الحق الذى دمع به الباطل ، يدمع بالحق على الباطل ، فيهلك الباطل ، ويثبت الحق ، فذلك قوله (قُلْ إِنْ رَبِّي يَتَّقِدُ بِالْحَقِّ عَلَامُ الْغُيُوبِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ، وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي ، إِنَّهُ سَمِيعٌ

قَرِيبٌ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لقومك : إن ضللت عن الهدى ، فسلكت غير طريق الحق ، فإنما ضللت عن الصواب على نفسى ، يقول : فإن ضللت عن الهدى على نفسى ضره (وَإِنِ اهْتَدَيْتُ) يقول : وإن استقيمت على الحق (فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي) يقول : فبوحى الله الذى يوحى إلى ، وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهدى .

وقوله (إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) يقول : إن ربى سميع لما أقول لكم ، حافظ له ، هو المجازى لى على صدق فى ذلك ، وذلك منى غير بعيد ، فيتعدّر عليه سماع ما أقول لكم ، وما تقولون ، وما يقوله غيرنا ، ولكنه قريب من كل متكلم ، يسمع كل ما ينطق به ، أقرب إليه من جبل الوريد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ ، وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : ولو ترى يا محمد إذ فرغوا .

واختلف أهل التأويل فى المعنيين بهذه الآية ، فقال بعضهم : عسى بها هؤلاء المشركون الذين وصفهم تعالى ذكره بقوله (وَإِذْ أَتَى عَلَىٰهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ)

سَبَأً كَانَ يَعْْبُدُ آبَاؤَكُمْ) قال : وَعِني بقوله (إِذْ فَرَزَعُوا فَلَآ فَوْتٌ ، وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) عند نزول نعمة الله بهم في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَزَعُوا فَلَآ فَوْتٌ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذا من عذاب الدنيا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) قال : هذا عذاب الدنيا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَزَعُوا فَلَآ فَوْتٌ) . . . إلى آخر السورة ، قال : هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر ، نزلت فيهم هذه الآية ، قال : وهم الذين بدلوا نعمة الله كفرا ، وأحلوا قومهم دار البوار جهنم ، أهل بدر من المشركين . وقال آخرون : غنى بذلك جيش يخسف بهم بيداء من الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَزَعُوا فَلَآ فَوْتٌ) قال : هم الجيش الذي يخسف بهم بالبيداء ، يبقى منهم رجل يخبر الناس بما لقي أصحابه .

حدثنا عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد ، قال : ثني منصور بن المعتمر ، عن ربيعة بن حيراش ، قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب . قال : فيما هم كذلك ، إذ خرج عليهم السفباني من الوادي اليابس ، في فوره ذلك ، حتى ينزل دمشق ، فيبعث جيشين : جيشا إلى المشرق ، وجيشا إلى المدينة ، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة المنعونة ، والبقعة الخبيثة ، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ، ويبسقرون بها أكثر من مئة امرأة ، ويقتلون بها ثلاث مئة كبش من بني العباس ، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها ، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام ، فتخرج راية هذا من الكوفة ، فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين فيقتلونهم ، لا يفلت منهم مخبر ، ويستنقذون ما في أيديهم من السببي والغنائم ، ويخلى جيشه التالي بالمدينة ، فيهبونها ثلاثة أيام ولياليها ، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة ، حتى إذا كانوا بالبيداء ، بعث الله جبريل ، فيقول : يا جبرائيل اذهب فأبدؤهم ، فيضربها برجله ، ضربة يخسف الله بهم ، فذلك قوله في سورة سبأ (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَزَعُوا فَلَآ فَوْتٌ) . . . الآية ، ولا يفلت منهم إلا رجلان : أحدهما بشير ، والآخر نذير ، وهما من جهينة ، فلذلك جاء القول :

وَعِنْدَ جَهَنَّمَ الْخَبْرُ الْيَقِينُ ۝

(١) هذا عجز بيت من الوافر . وصدره

• تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلِّ رَكْبٍ •

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني، قال: سألت رواد بن الجراح، عن الحديث الذي حدث به عنه، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن ربعي، عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، عن قصة ذكرها في الفتن، قال: فقلت له: أخبرني عن هذا الحديث، سمعته من سفيان الثوري؟ قال: لا، قلت: فقرأته عليه، قال: لا، قلت: فقري عليه وأنت حاضر؟ قال: لا، قلت: فما قصته؟ فما خبره؟ قال: جاءني قوم، فقالوا: معنا حديث عجيب، أو كلام هذا معنا، نقرؤه وتسمعه، قلت لهم: هاتوه، فقرأوه علي، ثم ذهبوا فحدثوا به عني، أو كلام هذا معنا.

قال أبو جعفر: وقد حدثني ببعض هذا الحديث محمد بن خلف، قال: ثنا عبد العزيز بن أبان، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن ربعي، عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، حديث طويل، قال: رأيت في كتاب الحسين بن علي الصدائي، عن شيخ، عن رواد، عن سفيان بطوله. وقال آخرون: بل عني بذلك المشركون، إذا فرغوا عند خروجهم من قبورهم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا) قال: فَرَعُوا يوم القيامة، حين خرجوا من قبورهم. وقال قتادة (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا، فَلَا قُوَّةَ، وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) حين عاينوا عذاب الله. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن ابن معقل (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ) قال: أفرعهم يوم القيامة فلم يفوتوا.

والذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك، وأشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل: قول من قال: وعيد الله المشركين الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه، لأن الآيات قبل هذه الآية، بالإخبار عنهم، وعن أسبابهم، وبوعيد الله إياهم مغيبته، وهذه الآية في سياق تلك الآيات، فلأن يكون ذلك خيرا عن حالهم، أشبه منه بأن يكون خيرا لما لم يجر له ذكر. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، فتعابنهم حين فرغوا من معاينتهم عذاب الله (فَلَا قُوَّةَ): يقول فلا سبيل حينئذ أن يفوتوا بأنفسهم، أو يعجزونا هربا، وينجوا من عذابنا.

كما حدثنا علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ) يقول: فلا نجاة.

(= (جمع الأمثال للميداني ١: ٣٠٤). والشطر الثاني من الأمثال السائرة، وله قصة مطولة، ذكرها الميداني، خلاصتها أن حصين بن عمرو ابن معاوية بن كلاب، والأخنس بن كعب الجهني، خرجا لما يخرج له الفتيان الصماليك، ليفيرا ويكسبا وينمنا، فلما غمما بعض، التي عدا الجهني على صاحبه فقتله، ثم رجع إلى قومه جهينة، وأخبرهم بالذي صنع بصاحبه، وقال أبياتا من الشعر تتضمن القصة. ويلوح لي أن هذه القصة موضوعة، ولذلك يروى المثل: «وعند جهينة الخبر اليقين» كما في «الاقطصاب شرح أدب الكتاب» لابن السيد البطلوني. وأما استشهاد المؤلف به في قصة السفياني، فيدل على أن جهينة كانت قبيلة مشهورة بتتبع أخبار العرب، ومعرفة الأحداث، حتى كان عندها علم من كل شيء. ولكثرة ذلك فيها، نسب إليها العلم بما يقع من الأحداث المستقبلية.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ) قال : لاهرب .
وقوله (وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) يقول : وأخذهم الله بعذابه من موضع قريب ، لأنهم حيث كانوا فهم من الله قريب ، لا يبعدون عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : ءَأَمْنَا بِهِ ، وَآئِي لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون حين عاينوا عذاب الله : آمنا به ، يعني : آمنا بالله وبكتابه ورسوله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) قالوا : آمنا بالله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) عند ذلك ، يعني : حين عاينوا عذاب الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) بعد القتل .
وقوله (وَآئِي لَهُمُ التَّنَاوُشُ) يقول : ومن أي وجه لهم التناوش .
واختلفت قرآءة الأمصار في ذلك ، فقرآته عامة قرآءة المدينة (التَّنَاوُشُ) بغير همز ، بمعنى : التناول ؛
وقرآته عامة قرآءة الكوفة والبصرة (التَّنَاوُشُ) بالهمز ، بمعنى : التناوش ، وهو الإبطاء ، يقال منه : تناوشت الشيء : أخذته من بعيد ، ونشسته : أخذته من قريب ؛ ومن التناوش قول الشاعر :

تَمَتَّنِي نَتَيْشًا أَنْ يَكُونَ أَطَاعَتِي وَقَدِّ حَدَّثَتْ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورًا

(١) الأبيات لهشل بن حري ، أشدها اللسان في (نأش) المهموز على أنه يقال : جاء نيشا : أي بطينا . أشد يعقوب لهشل بن حري

وَمَوَّلِي عَصَانِي وَأَسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ
فَلَمَّا رَأَى مَا غِيبُ أَمْرِي وَأَمْرِهِ
تَمَتَّنِي نَتَيْشًا أَنْ يَكُونَ أَطَاعَتِي
وَيَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورًا

قوله ، تمى نيشا : أي في الأخير ، وبعد الفتوت : أن لو أطاعني ، وقد حدثت أمور لا يستدرك بها ما فات . أي أطاعني في وقت لا تنفعه فيه الطاعة . قال : ويقال فعله نيشا : أي أخيرا ، واتبعه نيشا : إذا تأخر عنه ، ثم اتبعه على عجلة ، شفقة أن يفوته . والنشيش أيضا : البعيد . عن ثعلب وقال الفراء في معاني القرآن (مصورة بالجمة . الورقة ٢٦٥) وقوله « وآئى لهم التناوش » ؟ قرأ الأعمش وحمزة والكسائي ، بالهمز ، يجعلونه من الشيء العليل من الناس . قال الشاعر : « وجئت نيشا بعدما فاتك الخير » وقال الآخر : تمى نيشا ... الخ البيت . وقد ترك همزها أهل الحجاز وغيرهم ، جعلوها من نشته نوشا ، وهو التناول ، وهما متقاربان ، مثل ذمت الشيء وذامته ، أي عبته . وقال الشاعر : « فهى تنوش الحوض ... الخ » . وتناوش القوم في القتال : إذا تناول بعضهم بعضا ولم يتدانوا كل التذاني . وقد يجوز همزها ، وهى من نشت ، لانضمام الواو ، يعنى التناوش ، مثل قوله : « وإذا الرسل أقتت » .

ومن النَّوْشِ قول الراجز :

فَهَيْ تَنْوُشُ الحَوْضُ نَوْشًا مِنْ عَنَّا نَوْشًا بِهِ تَنْقَطِعُ أَجْوَازَ الفَسَلَا

ويقال للقوم في الحرب ، إذا دنا بعضهم إلى بعض بالرماح ولم يتلاقوا : قد تناوش القوم .
 والصواب من القول في ذلك عندى : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان في آء الأمصار ، متقاربتا المعنى ،
 وذلك أن معنى ذلك : وقالوا آمنا بالله ، في حين لا ينفعهم قيل ذلك ، فقال الله : (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ)
 أى وأين لهم التوبة والرجعة : أى قد بعدت عنهم ، فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولوها ، وإنما وصفت
 ذلك الموضع بالبعيد ، لأنهم قالوا ذلك في القيامة ، فقال الله : أنى لهم بالتوبة المقبولة ، والتوبة المقبولة
 إنما كانت في الدنيا ، وقد ذهبت الدنيا ، فصارت بعيدا من الآخرة ، فبأية القراءتين اللتين ذكرت قرأ القارى ،
 فصيب الصواب في ذلك .

وقد يجوز أن يكون الذين قرءوا ذلك بالهمز همزوا ، وهم يريدون معنى من لم يهمز ، ولكنهم همزوه
 لانضمام الواو ، فقلبوها ، كما قيل : (وَإِذْ الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ) فجعلت الواو من وقتت ، إذ كانت مضمومة همزة .
 وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، قال :
 قلت لابن عباس : رأيت قول الله (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ) قال : يسألون الرد ، وليس يجين رد .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس نحوه .
 حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنَّى
 لَهُمُ التَّنَاطُشُ) يقول : فكيف لهم بالرد .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ) قال : الرد .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ) قال : تناول (مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ، وَأَنَّى

(١) هذان البيتان من الرجز المشطور ، لأبي النجم الراجز (اللسان : علا) . شاهد على أن قوله « من علا » أى من أعلى ، أى من فوق . وفيه لغات أخر . وأورده (اللسان) أيضا في (نوش) ونسبه إلى غيلان بن حريث ، لا إلى أبي النجم . وجعله شاهدا على أن الناقعة تنوش الحوض بفتحها ، أى تتناول ماءه ، قال : وقوله « من علا » أى من فوق . يريد أن ترقه عالية الأجسام ، طول الأعناق ، وذلك النوش الذى تناوله : هو الذى يعيها على قطع الفلوات . والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط . أى تتناول ماء الحوض من فوق ، ونشرب شربا كثيرا . وتقطع بذلك الشرب فلوات ، فلا تحتاج إلى ماء آخر . وأنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢٠٠) ونسبه لغيلان ، وجعله شاهدا على أن التناوش في الآية « وأنى لهم التناوش » : يجعله من لم يهمز من نشت تنوش ، وهو تناول . قال غيلان : « فهى تنوش البيتين . ومن همز جعله من ناشت إليه ، وهو من بعد المطلب . وقال في (اللسان : ناش) التناوش بالهمز : التأخر والتباعد . والتناوش : الأخذ من بعد ، مهموز عن ثعلب ، قال : فإن كان عن قرب فهو التناوش . اهـ قلت : ورواية اللسان متفقة مع رواية أبي عبيدة . وتختلف عنها رواية المؤلف ، في قوله « باتت » في موضع « فهى » .

لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) قال : هؤلاء قتل أهل بدر من قتل منهم ، وقرأ (وَلَوْ تَرَى إِذِ
فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ، وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) . . . الآية ، قال : التناوش :
التناول ، أنى لهم تناول التوبة من مكان بعيد ، وقد تركوها في الدنيا ، قال : وهذا بعد الموت في الآخرة .
قال : وقال ابن زيد في قوله (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) بعد القتل (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ)
وقرأ (وَلَا الَّذِينَ يَمْؤُتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ) قال : ليس لهم توبة ، وقال : عرض الله عليهم أن يتوبوا مرة
واحدة ، فيقبلها الله منهم ، فأبوا أو يعرضون التوبة بعد الموت ، قال : فهم يعرضونها في الآخرة خمس
عرضات ، فيأبى الله أن يقبلها منهم ؛ قال : والثائب عند الموت ليست له توبة (وَلَوْ تَرَى إِذِ وَقِفُوا عَلَى
النَّارِ ، فَقَالُوا يَا لَيْسَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَدُّ بِآيَاتِ رَبِّنَا) . . . الآية ، وقرأ (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ،
فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ) .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (وَأَنَّى لَهُمُ
التَّنَاوُشُ) قال : وأنى لهم الرجعة .

وقوله (مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) يقول : من آخرتهم إلى الدنيا .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا
الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) من الآخرة
إلى الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ، وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣)

يقول تعالى ذكره (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ) يقول : وقد كفروا بما يسألونه ربهم عند نزول العذاب بهم ،
ومعانيهم إياه ، من الإقالة له ، وذلك الإيمان بالله ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاءهم به من عند الله .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) : أى
بالإيمان في الدنيا .

وقوله (وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) يقول : وهم اليوم يقذفون بالغيب محمدا من مكان
بعيد ، يعنى أنهم يرجحونه ، وما أتاهم من كتاب الله ، بالظنون والأوهام ، فيقول بعضهم : هو ساحر ،
وبعضهم شاعر ، وغير ذلك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَيَقْدِرُ فُونًا بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ)
 قال : قولهم ساحر ، بل هو كاهن ، بل هو شاعر .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَقْدِرُ فُونًا بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ)
 أي يَرُجِمُونَ بِالظَّنِّ ، يقولون لا بعث ، ولا جنة ، ولا نار .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَقْدِرُ فُونًا بِالْغَيْبِ مِنْ
 مَكَانٍ بَعِيدٍ) قال : بالقرآن .

القول في تأويل قوله تعالى

وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ، كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ (٥٤)
 يقول تعالى ذكره : وحيل بين هؤلاء المشركين حين فرغوا ، فلا فوت ، وأخذوا من مكان قريب ،
 فقالوا آمنا به (وبين ما يشتهون) حينئذ من الإيمان بما كانوا به في الدنيا قبل ذلك يكفرون ، ولا سبيل لهم إليه .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسماعيل بن حفص الأبلبي ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن ، في قوله (وَحِيلَ
 بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : حيل بينهم وبين الإيمان بالله .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الصمد ، قال : سمعت الحسن ، وسئيل
 عن هذه الآية (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : حيل بينهم وبين الإيمان .
 حدثني ابن أبي زياد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن : (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
 مَا يَشْتَهُونَ) قال : حيل بينهم وبين الإيمان .
 حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصاري ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
 (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : من الرجوع إلى الدنيا ليتوبوا .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) :
 كان القوم يشتهون طاعة الله ، أن يكونوا عملوا بها في الدنيا حين عاينوا ما عاينوا .
 حدثنا الحسن بن واضح ، قال : ثنا الحسن بن حبيب ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن ، في قوله
 (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : حيل بينهم وبين الإيمان .
 وقال آخرون : معنى ذلك : وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، من مال وولد وزهرة الدنيا .
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ)
 قال : من مال أو ولد أو زهرة .

حدثني يونس ، قال : قال أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : في الدنيا التي كانوا فيها والحياة .

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك : لأن القوم إنما تَمَنَّوْا حين عاينوا من عذاب الله ما عاينوا ، ما أخبر الله عنهم أنهم تَمَنَّوْهُ ، وقالوا آمنا به ، فقال الله : وأنى لهم تناوؤش ذلك من مكان بعيد ، وقد كفروا من قبل ذلك في الدنيا . فإذا كان ذلك كذلك ، فلا أن يكون قوله (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) خبرا عن أنه لا سبيل لهم إلى ما تمنوه ، أولى من أن يكون خبرا عن غيره .

وقوله (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِمَّنْ قَبْلُ) يقول : فعلنا بهؤلاء المشركين ، فعلنا بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان بالله عند نزول سخط الله بهم ، ومعابنتهم بأسه ، كما فعلنا بأشياءهم على كفرهم بالله من قبلهم ، من كفار الأمم ، فلم نقبل منهم إيمانهم في ذلك الوقت ، كما لم نقبل في مثل ذلك الوقت من ضرباً بهم . والأشياء : جمع شَيْع ، وشَيْع : جمع شَيْعة ، فأشياء جمع الجمع . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِمَّنْ قَبْلُ) قال الكفار من قبلهم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِمَّنْ قَبْلُ) أي في الدنيا ، كانوا إذا عاينوا العذاب لم يقبل منهم إيمان .

وقوله (إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّريبٍ) يقول تعالى ذكره : وحيل بين هؤلاء المشركين ، حين عاينوا بأس الله ، وبين الإيمان ، إنهم كانوا قبل في الدنيا في شك من نزول العذاب الذي نزل بهم وعائنه ، وقد أخبرهم نبيهم أنهم إن لم ينيبوا مما هم عليه مقيمون ، من الكفر بالله ، وعبادة الأوثان أن الله مهلكهم ، ووحيل بهم عقوبته ، في عاجل الدنيا ، وأجل الآخرة ، قبل نزوله بهم (مُّريبٍ) يقول : موجب لصاحبه الذي هو به ما يريبه من مكروه ، من قولهم : قد أراب الرجل : إذا أتى ريبة ، وركب فاحشة ، كما قال الراجز :

يا قومُ مالي وأبا ذؤيبٍ ؟ كُنْتُ إذا أتوتُهُ مِن غَيْبِ
بِشْمِ عَطِينِي وَيَبْرُ ثَوِي كَأَمَّا أَرَبْتُهُ بِرَيْبِ

يقول : كأنما أتيت إليه ريبة .

آخر تفسير سورة سبأ

(١) هذه أبيات من الرجز المشطور ، أنشدها صاحب (اللسان : أتي) . قال ويقال : أتوتة أتوا : لغة في أتيته . قال خالد بن زهير . « يا قوم مال . . . الأبيات ؟ . وأنشدها أيضا في (اللسان : ريب) ونسبها إلى خالد بن زهير الغدلي . وفيها : أتيته في موضع « أتوته » ، وهي لغة . وجعلها شاهدا على أنه يقال : رابني أمره ريبني ريبا وريبة : بمعنى شككتي ، وأما أراب فإنه يأتي متعديا بمعنى راب ، ولازما بمعنى أتى ريبة . كما نقول : ألام : إذا أتى بما يلام عليه . هـ .

تفسير سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ، يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)

يقول تعالى ذكره : الشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له ، ولا ينبغي أن تكون لغيره ، خالق السموات السبع والأرض ، (جاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا) إلى من يشاء من عباده ، وفيما شاء من أمره ونهيه (أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) يقول : أصحاب أجنحة : يعني ملائكة ، فمنهم من له اثنان من الأجنحة ، ومنهم من له ثلاثة أجنحة ، ومنهم من له أربعة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) : قال بعضهم : له جناحان ، وبعضهم : ثلاثة ، وبعضهم أربعة .

واختلف أهل العربية في علة ترك إجراء مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ، وهي ترجمة عن أجنحة ، وأجنحة نكرة ، فقال بعض نحوي البصرة : ترك إجراءهن ، لأنهن مصروفات عن وجوههن ، وذلك أن مثنى مصروف عن اثنين ، وثلاث عن ثلاثة ، ورباع عن أربعة ، فصرف نظير مُعَمَّرَ ، وَزُقَيْرَ ، إِذْ صُرِفَ ، هذا عن عامر ، إلى عمر ، وهذا عن زافر إلى زُفَرَ ، وأنشد بعضهم في ذلك :

وَلَقَدْ قَتَلْتَكُمُ ثَنَاءً وَمَوْحِشًا وَتَرَكْتُ مِرَّةً مِثْلَ أَمْسِ الْمُدْبِرِ

وقال آخر منهم : لم يصرف ذلك لأنه يوهم به الثلاثة والأربعة ، قال : وهذا لا يستعمل إلا في حال العدد . وقال بعض نحوي الكوفة : هن مصروفات عن المعارف ، لأن الألف واللام لا تدخلها ، والإضافة لا تدخلها ، قال : ولو دخلها الإضافة والألف واللام ، لكانت نكرة ، وهي ترجمة عن النكرة ؛ قال : وكذلك ما كان في القرآن ، مثل (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْنَى وَفِرَادَى) ، وكذلك وحاد وأحاد ، وما أشبهه من مصروف العدد ، وقوله (يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ) وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء ، ونقصانه عن الآخر ما أحب ، وكذلك ذلك في جميع خلقه ، يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه ، وينقص ما شاء من خلق ما شاء ، له الخلق والأمر ، وله القدرة والسلطان . (إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

(١) البيت لصخر بن عمرو بن الشريد السلمي . وقد تقدم الاستشهاد به ، مع شواهد أخرى في (٤ : ٢٣٧) من هذا التفسير . فراجعه ثمة . وأنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢٠١) قال : مثنى وثلاث ورباع : مجازه : اثنين ، وثلاثة ، وأربعة . فزعم النحويون ، أنه لما صرف عن وجهه لم ينون فيهن . قال صخر بن عمرو : «ولقد قتلتم . . . البيت» . هـ .

يقول : إن الله تعالى ذكره ، قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء ، ونقصان ما شاء منه ممن شاء ، وغير ذلك من الأشياء كلها ، لا يمتنع عليه فعل شيء أرادته سبحانه وتعالى .

القول في تأويل قوله تعالى

مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا، وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ (٢)

يقول تعالى ذكره : مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده ، فما يفتح الله للناس من خير فلا مغلاق له ، ولا ممسك عنهم ، لأن ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد ، وكذلك ما يعلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ، ولا يفتح لهم ، فلا فاتح له سواه ، لأن الأمور كلها إليه وله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ) : أي من خير (فَلَا مُمْسِكَ لَهَا) فلا يستطيع أحد حبسها (وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) وقال تعالى ذكره (فَلَا مُمْسِكَ لَهَا) فأنث ما لذكر الرحمة من بعده ، وقال (وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) فذكر للفظ « ما » لأن لفظه لفظ مذكر ، ولو أنث في موضع التذكير للمعنى ، وذكر في موضع التأنيث للفظ جاز ، ولكن الأفصح من الكلام التأنيث ، إذا ظهر بعد ما يدل على تأنيثها ، والتذكير إذا لم يظهر ذلك .

وقوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول : وهو العزيز في نعمته ممن انتقم منه من خلقه ، بحبس رحمته عنه وخيراته ، الحكيم في تدبير خلقه ، وفتح لهم الرحمة إذا كان فتح ذلك صلاحا ، وإمساكه إياهم عنهم ، إذا كان إمساكه حكمة .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ؟ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ (٣)

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ) التي أنعمها (عَلَيْكُمْ) ، بفتحكم لكم من خيراته ما فتح ، وبسطه لكم من العيش ما بسط ، وفكروا فانظروا (هَلْ مِنْ خَلْقٍ) سوى فاطر السموات والأرض ، الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها (يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) فتعبدهوه دونه (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول : لا معبود تدعى له العبادة ، إلا الذي فطر السموات

والأرض ، القادر على كل شيء ، الذي بيده مفاتيح الأشياء وخزائنها ، ومغالق ذلك كله ، فلا تعبدوا أيها الناس شيئا سواه ، فإنه لا يقدر على نفعكم وضرركم سواه ، فله فأخلصوا العبادة ، وإياه فأفردوا بالألوهة .
 (فَأَنِّي تَوَفُّكُونَ) يقول : فأى وجه عن خالقكم ورازقكم الذى بيده نفعكم وضرركم تُصَرِّفُونَ . ؟
 كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَنِّي تَوَفُّكُونَ) يقول الرجل : إنه ليؤفك عني كذا وكذا . وقد بينت معنى الإفك ، وتأويل قوله (تَوَفُّكُونَ) فيما مضى بشواهد المغنية عن تكريره .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤) يَسْأَلُهَا النَّاسُ
 إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله من قومك ، فلا يحزنك ذلك ، ولا يعظم عليك ، فإن ذلك سنة أمثالهم من كفررة الأمم بالله ، من قبلهم ، وتكذيبهم رسل الله التى أرسلها إليهم من قبلك ، ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا مثلهم ، فيتبعوا فى تكذيبك منهاجهم ، ويسلكوا سبيلهم (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) يقول تعالى ذكره : وإلى الله مرجع أمرهم وأمرهم ، فحل بهم العقوبة ، إن هم لم ينيبوا إلى طاعتنا فى اتباعك ، والإقرار بنبوتك ، وقبول مادعوتهم إليه من النصيحة ، نظير ما أحلنا بنظرهم من الأمم المكذبة رسلها قبلك ، ومنجيتك وأتباعك من ذلك ، سنتنا بمن قبلك فى رسلنا وأوليائنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ) يعزى نبيه كما تسمعون .

وقوله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) يقول تعالى ذكره لمشركى قريش ، المكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس إن وعد الله إياكم بأسه ، على إصراركم على الكفر به ، وتكذيب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك حق ، فأيقنوا بذلك ، وبادروا حلول عقوبته بكم بالتوبة والإنابة إلى طاعة الله ، والإيمان به وبرسوله (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) يقول : فلا يغرنكم ما أنتم فيه من العيش فى هذه الدنيا ورياستكم التى ترأسون بها فى ضعفائكم فيها ، عن اتباع محمد والإيمان (وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ) يقول : ولا يخدعنكم بالله الشيطان ، فيمنينكم الأمانى ، ويعدكم من الله للعداات الكاذبة ، ويحملكم على الإصرار على كفركم بالله .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَا يَغْرَبْكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) يقول : الشيطان .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ ، فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ، إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)

يقول تعالى ذكره (إِنَّ الشَّيْطَانَ) الذي نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغيره إياكم بالله (لَكُمْ) عَدُوٌّ ، فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) يقول : فأنزلوه من أنفسكم منزل العدو منكم ، واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه ، حذركم من عدوكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم ، فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته ، فإنه إنما يدعو حزبه ، يعني شيعته ، ومن أطاعه إلى طاعته والقبول منه ، والكفر بالله (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) يقول : ليكونوا من المخلدن في نار جهنم ، التي تتوقد على أهلها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ ، فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) فإنه لحقّ على كل مسلم عداوته ، وعبادته : أن يعاديه بطاعة الله (إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ) : وحزبه : أولياؤه (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) : أي ليسوقهم إلى النار ، فهذه عداوته .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) وقال : هؤلاء حزبه من الإنس ، يقول : أولئك حزب الشيطان ، والحزب : ولاته الذين يتولّاهم ويتولونه ، وقرأ (إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)

يقول تعالى ذكره : (الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) من الله (شَدِيدٌ) وذلك عذاب النار . وقوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا) يقول : والذين صدقوا الله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله ، وانتهوا عما نهاهم عنه (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) من الله لذنوبهم (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) وذلك الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) وهي الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، فَلَا تَذْهَبُ
نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره : أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به ، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان ، فرآه حسنا ، فحسب سببي ذلك حسنا ، وظن أن قبحه جميل ، لتزيين الشيطان ذلك له ، ذهبت نفسك عليهم حسرات ، وحذف من الكلام : ذهبت نفسك عليهم حسرات ، اكتفاء بدلالة قوله (فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) منه . وقوله (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) يقول : فإن الله يخذل من يشاء عن الإيمان به ، واتباعك وتصديقك ، فيضلته عن الرشاد إلى الحق في ذلك (ويهدي من يشاء) : يقول : ويوفق من يشاء للإيمان به واتباعك ، والقبول منك ، فتهديه إلى سبيل الرشاد . (فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) يقول : فلا تهلك نفسك حزنا على ضلالهم ركفهم بالله ، وتكذيبهم لك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) قال قتادة والحسن : الشيطان زين لهم (فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) : أى لا يحزنك ذلك عليهم ، فإن الله يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) قال : الحسرات : الحزن ، وقرأ قول الله : (يَا حَسْرَاتَا عَلَى مَا فرطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ) ، ووقع قوله (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) موضع الجواب ، وإنما هو منبع الجواب ، لأن الجواب هو المتروك الذى ذكرت ، فاكتفى به من الجواب لدلالته على الجواب ومعنى الكلام . واختلفت القراء فى قراءة قوله (فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) فقراءته قرأ الأمصار ، سوى أبى جعفر المدنى (فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ) بفتح التاء من (تَذْهَبُ) ونفسك برفعها . وقرأ ذلك أبو جعفر (فَلَا تَذْهَبُ) بضم التاء من (تَذْهَبُ) ، ونفسك بنصبها ، بمعنى : لا تذهب أنت يا محمد نفسك .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ما عليه قرأ الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) يقول تعالى ذكره : إن الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم ، وهو محصيه عليهم ، ومجازيهم به جزاءهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ ، فَتُشِيرُ سَحَابًا ، فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ ، فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩)

يقول تعالى ذكره : والله الذي أرسل الرياح فتشير السحاب للحيا والغيث (فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) : يقول : فسقناه إلى بلد مجذب الأهل ، محل الأرض ، دائر لانبت فيه ولا زرع (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) يقول : فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الأرض ، التي سقناه إليها بعد جدوبها ، وأنبتنا فيها الزرع بعد المحل (كَذَلِكَ النُّشُورُ) يقول تعالى ذكره : هكذا يُنْشِرُ اللهُ الموتى بعد بلائهم في قبورهم ، فيحييهم بعد فناءهم ، كما أحيينا هذه الأرض بالغيث بعد مماتها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله ، قال : يكون بين النفتختين ما شاء الله أن يكون ، فليس من بني آدم إلا وفي الأرض منه شيء ، قال : فيرسل الله ماء من تحت العرش ، منيّا كمنى الرجل ، فتنبت أجسادهم ولحمانهم من ذلك ، كما تنبت الأرض من الثرى ، ثم قرأ (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُشِيرُ سَحَابًا ، فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) . . . إلى قوله (كَذَلِكَ النُّشُورُ) قال : ثم يقوم ملك بالصُّور بين السماء والأرض ، فينفخ فيه ، فتنتطق كل نفس إلى جسدها ، فتدخل فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُشِيرُ سَحَابًا) قال : يرسل الرياح فتسوق السحاب ، فأحيا الله به هذه الأرض الميتة بهذا الماء ، فكذلك يبعثه يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ، إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (١٠)

يقول : اختلف أهل التأويل في معنى قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) فقال بعضهم : معنى ذلك : من كان يريد العزّة بعبادة الآلهة والأوثان ، فإن العزّة لله جميعا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ) يقول : من كان يريد العزّة بعبادته الآلهة (فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) .
وقال آخرون : معنى ذلك : من كان يريد العزّة فليتعزّز بطاعة الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) يقول : فليتعزّز بطاعة الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : من كان يريد علم العزّة لمن هي ؟ فإنها لله جميعا كلها : أى كل وجه من العزّة فله .

والذى هو أولى الأقوال بالصواب عندي : قول من قال : من كان يريد العزّة ، فبالله فليتعزّز ، فله العزّة جميعا ، دون كل مادونه من الآلهة والأوثان .

وإنما قلت : ذلك أولى بالصواب ، لأن الآيات التى قبل هذه الآية ، جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان ، وتوبيخه إياهم ، ووعيده لهم عليها ، فأولى بهذه أيضا أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك ، فكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وكانت فى سياقها .

وقوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) يقول تعالى ذكره : إلى الله يصعد ذكر العبد إياه ، وثناؤه عليه (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) يقول : ويرفع ذكر العبد ربّه إليه تحمّله الصالح ، وهو العمل بطاعته ، وأداء فرائضه ، والانتهاى إلى ما أمره به .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن إسماعيل الأحمسى ، قال : أخبرنى جعفر بن عون ، عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى ، عن عبد الله بن المخارق ، عن أبيه مخارق بن سليم ، قال : قال لنا عبد الله : إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله « إن العبد المسلم إذا قال : سبحان الله وبحمده ، الحمد لله لا إله إلا الله ، والله أكبر ، تبارك الله ، أخذهن مَسَلَكٌ ، فجعلهن تحت جناحيه ، ثم صعد بهن إلى السماء ، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقاتلهن ، حتى يُحَسِبِيَّ بهن وجه الرحمن ، ثم قرأ عبد الله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا سعيد الجريرى ، عن عبد الله بن شقيق ، قال : قال كعب : إن لسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لدويّا حول العرش ، كدوى النحل ، يذكرن بصاحبهن ، والعمل الصالح فى الخزائن .

حدثنى يونس ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث بن أبى سليم ، عن شهر بن حوشب الأشعرى ، قوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) قال : العمل الصالح يرفع الكلم الطيب

حدثني عليّ ، ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) قال : الكلام الطيب : ذكر الله ، والعمل الصالح : أداء فرائضه ، فمن ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه ، حَمِلَ عليه ذكرُ الله ، فصعد به إلى الله ، ومن ذكر الله ، ولم يؤدِّ فرائضه ، رُدَّ كلامه على عمله ، فكان أولى به .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) قال : العمل الصالح يرفع الكلام الطيب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) قال : قال الحسن وقتادة : لا يقبل الله قولا إلا بعمل ، من قال وأحسن العمل ، قبِل الله منه . وقوله (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ) يقول تعالى ذكره : والذين يكسبون السيئات لهم عذاب جهنم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ كَلِمٌ عِنْدَ آبٍ شَدِيدٌ) قال : هؤلاء أهل الشرك . وقوله (وَمَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ) يقول : وعمل هؤلاء المشركين يبور ، فيبطل فيذهب ، لأنه لم يكن لله ، فلم ينفع عامله . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ) : أي يفسد . حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفیان ، عن ليث بن أبي سليم ، عن شهر بن حوشب (وَمَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ) قال : هم أصحاب الرياء .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا سهل بن أبي عامر ، قال : ثنا جعفر الأحمري ، عن شهر بن حوشب ، في قوله (وَمَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ) قال : هم أصحاب الرياء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ) قال : بار فلم ينفعهم ، ولم ينتفعوا به ، وضرهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى ، وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ، وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١)

﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ) أيها الناس (مِنْ تُرَابٍ) يعني بذلك أنه خلق أباهم آدم من تراب ، فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقا (تُمْ مِنْ نُطْفَةٍ) يقول : ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة (تُمْ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) يعني أنه زوج منهم الأنثى من الذكر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) يعني آدم (تُمْ مِنْ نُطْفَةٍ) يعني ذريته (تُمْ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) فزوج بعضكم بعضا .
وقوله (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) يقول تعالى ذكره : وما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة إلا وهو عالم بحملها إياه ووضعها ، وما هو ذكر أو أنثى ، لا يخفى عليه شيء من ذلك .
وقوله (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وما يعمر من معمر فيطول عمره ، ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عمر عمرًا طويلًا (إِلَّا فِي كِتَابٍ) عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه ، وقيل أن تضعه ، قد أحصى ذلك كله ، وعلمه قبل أن يخلقه ، لا يزداد فيما كتب له ولا ينقص .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ) . . . إلى (يَسِيرٌ) يقول : ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر ، وقد قضيت ذلك له ، وإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت له ، لا يزداد عليه ، وليس أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر ، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت له ، لا يزداد عليه ، فذلك قوله (وَمَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) يقول : كل ذلك في كتاب عنده .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : من قضيت له أن يعمر حتى يدركه الكبر ، أو يعمر أنقص من ذلك ، فكل بالغ أجله الذي قد قضيت له ، كل ذلك في كتاب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) قال : ألا ترى الناس الإنسان يعيش مئة سنة ، وآخر يموت حين يولد ؟ فهذا هذا ، فالهاء التي في قوله (وَمَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ) على هذا التأويل وإن كانت في الظاهر أنها كناية عن اسم المعمر الأول ، فهي كناية اسم آخر غيره ، وإنما حسن ذلك لأن صاحبها لو أظهر لظهر بلفظ الأول ، وذلك كقولهم : عندي ثوب ونصفه ، والمعنى : ونصف الآخر .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره ، بفناء ما فني من أيام حياته ، فذلك هو نقصان عمره ، والهاء على هذا التأويل للمعمر الأول ، لأن معنى الكلام : ما يطول عمر أحد ، ولا يذهب من عمره شيء فينقص ، إلا وهو في كتاب عند الله مكتوب ، قد أحصاه وعلمه .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبّير ، قال : ثنا حصين ، عن أبي مالك في هذه الآية (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) قال : ما يقضى من أيامه التي عددت له إلا في كتاب .

وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب ، التأويل الأول ، وذلك أن ذلك هو أظهر معنيه ، وأشبههما بظاهر التنزيل .

وقوله (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) : يقول تعالى ذكره : إن إحصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل ، طويل ذلك وقصيره ، لا يتعذر عليه شيء منه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ ، هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ، وَمِنَ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ، وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا ، وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ ، لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : وما يعتدل البحرين فيستويان ، أحدهما عذب فُرات ، والفرات : هو عذب العذب ، وهذا ملح أجاج : يقول : والآخر منهما ملح أجاج ، وذلك هو ماء البحر الأخضر ، والأجاج : المر ، وهو أشدّ المياه ملوحة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) والأجاج : المر .

وقوله (وَمِنَ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) يقول : ومن كلّ البحار تأكلون لحما طرياً ، وذلك السمك من عذبها الفرات ، وملحها الأجاج (وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا) يعنى : الدرّ والمرجان ، تستخرجونها من الملح الأجاج . وقد بينا قبل وجه (تَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً) ، وإنما يستخرج من الملح ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته (وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ) يقول تعالى ذكره : وترى السفن في كل تلك البحار مواخر ، تمخرّ الماء بصدورها ، وذلك خرقها إياه إذا مرّت ، واحداً ماخرة ، يقال منه : تمخرّت تمخرّاً ، وتمخرّ تمخرّاً ، وذلك إذا شقت الماء بصدورها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنَ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا

طَرِيًّا) : أى منهما جميعا (وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا) هذا اللؤلؤ ، (وترى الفلک فيه مواخر) : فيه السفن مُقْبِلَةٌ ومدبرة بريح واحدة .

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرَى) والفلک فيه مواخر يقول : جوارى .

وقوله (لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ) يقول : لتطلبوا بركوبكم في هذه البحار في الفلک من معاشكم ، ولتصرفوا فيها في تجارتكم ، وتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم ، وما رزقكم منه من طيبات الرزق ، وفاخر الحلى .

القول في تأويل قوله تعالى

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ لِيَجْزِيَ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى، ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ، وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣)

يقول تعالى ذكره : يدخل الليل في النهار ، وذلك مانقص من الليل أدخله في النهار فزاده فيه ، ويولج النهار في الليل ، وذلك مانقص من أجزاء النهار ، زاد في أجزاء الليل ، فأدخله فيها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) زيادة هذا في نقصان هذا ، ونقصان هذا في زيادة هذا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) يقول : هو انتقاص أحدهما من الآخر .

وقوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ لِيَجْزِيَ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول : وأجرى لكم الشمس والقمر ، نعمة منه عليكم ، ورحمة منه بكم ، لتعلموا عدد السنين والحساب ، وتعرفوا الليل من النهار .

وقوله (كُلَّ يَوْمٍ لِيَجْزِيَ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول : كل ذلك يجري لوقت معلوم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ لِيَجْزِيَ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) أجل معلوم ، وحد لا يتقصر دونه ولا يتعداه .

وقوله (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ) يقول : الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذي لاتصلح العبادة إلا له ، وهو الله ربكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ) : أى هو الذى يفعل هذا .

وقوله (لَهُ الْمُلْكُ) يقول تعالى ذكره : له الملك التام الذى لا شىء إلا وهو فى ملكه وسلطانه .
 وقوله (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) يقول تعالى ذكره والذين
 تعبدون أيها الناس من دون ربكم ، الذى هذه الصفة التى ذكرها فى هذه الآيات ، الذى له الملك الكامل الذى
 لا يشبهه ملك ، صفته (ما يملكون من قِطْمِيرٍ) يقول : ما يملكون قِشْرَ نَوَاةٍ فما فوقها .
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن حدثه ، عن ابن عباس فى قوله :
 (ما يملكون من قِطْمِيرٍ) قال : هو جلد النواة .
 حدثني على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (من قِطْمِيرٍ)
 يقول : الجلد الذى يكون على ظهر النواة .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
 قوله (ما يملكون من قِطْمِيرٍ) يعنى : قشر النواة .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (من قِطْمِيرٍ) قال : لفافة النواة
 كسحاة البيضة .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (ما يملكون من قِطْمِيرٍ)
 والقطمير : القشرة التى على رأس النواة .
 حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جُوَيْرٍ ، عن بعض أصحابه ، فى قوله
 (ما يملكون من قِطْمِيرٍ) قال : هو القميص الذى يكون على التمرة .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا مرة ، عن عطية ، قال : القطمير : قشر النواة .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ، وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ
 بِشِرْكِكُمْ، وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)

قوله (إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ ، وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) : يقول تعالى
 ذكره : إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التى تعبدونها من دون الله ، لا يسمعون دعاءكم ، لأنها جماد لا تفهم
 عنكم ما تقولون (وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) يقول : ولو سمعوا دعاءكم إياهم ، وفهموا عنكم
 أنها قولكم ، بأن جعل لهم سمع يسمعون به ، ما استجابوا لكم ، لأنها ليست ناطقة ، وليس كل سامع قولاً
 متمسراً له الجواب عنه ، يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان ، فكيف تعبدون من دون الله من

هذه صفته ، وهو لانفع لكم عنده ، ولا قدرة له على ضرركم ، وتدعون عبادة الذي بيده نفعكم وضرركم ، وهو الذي خلقكم ، وأنعم عليكم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ** ، **وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ**) : أي ما قبلوا ذلك عنكم ، ولا نفعوكم فيه .

وقوله (**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِيرِكُمْ**) : يقول تعالى ذكره للمشركين من عبدة الأوثان : ويوم القيامة تنبراً آهتكم التي تعبدونها من دون الله ، من أن تكون كانت لله شريكاً في الدنيا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِيرِكُمْ**) إياهم ، ولا يرضون ، ولا يقرون به .

وقوله (**وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**) يقول تعالى ذكره : ولا يخبرك يا محمد عن آلهة هؤلاء المشركين ، وما يكون من أمرها وأمر عبدةها يوم القيامة ، من تسببها منهم ، وكفرها بهم ، مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم ، وذلك الخبير هو الله الذي لا يخفى عليه شيء كان أو يكون ، سبحانه !

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**) والله هو الخبير أنه سيكون هذا منهم يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى

*** يَسْأَلُهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)**

يقول تعالى ذكره : يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقير إلى ربكم ، فإياه فاعبدوا ، وفي رضاه فسارعوا ، يغنكم من فقركم ، وتُسجِّح لديه حوائجكم (**وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ**) عن عبادتكم إياه ، وعن خدمتكم ، وعن غير ذلك من الأشياء ، منكم ومن غيركم ، (**الْحَمِيدُ**) يعني : المحمود على نعمته ، فإن كلَّ نعمة بكم وبغيركم فته ، فله الحمد والشكر بكلِّ حال .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ، (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ، (١٧) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِذْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ، إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ

يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٨)

يقول تعالى ذكره : إن يشأ يهلككم أيها الناس ربكم ، لأنه أنشأكم من غير حاجة به إليكم (ويأت بخلق جديدي) يقول : ويأت بخلق سواكم يطيعونه ، ويأترون لأمره ، وينتهون عما نهاهم عنه . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إن يشأ يذهيكم) ويأت بخلق جديدي) : أي ويأت بغيركم .

وقوله (وما ذلك على الله بعزيز) يقول : وما إذهابكم والإتيان بخلق سواكم على الله بشديد ، بل ذلك عليه يسير سهل ، يقول : فاتقوا الله أيها الناس ، وأطيعوه قبل أن يفعل بكم ذلك .

وقوله (ولا تنزر وأزره وزر أخرى) يقول تعالى ذكره : ولا تحمل آثمة إثم أخرى غيرها. (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) يقول تعالى : وإن تسأل ذات ثقل من الذنوب ، من يحمل عنها ذنوبها ، وتطلب ذلك ، لم تجد من يحمل عنها شيئا منها ، ولو كان الذي سألته ذا قرابة من أب أو أخ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ولا تنزر وأزره وزر أخرى ، وإن تدع مثقلة إلى حملها ، لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) يقول : يكون عليه وزر لا يجد أحدا يحمل عنه من وزره شيئا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء) كنعو : (لا تنزر وأزره وزر أخرى) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وإن تدع مثقلة إلى حملها) إلى ذنوبها (لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) : أي قريب القرابة منها ، لا يحمل من ذنوبها شيئا ، ولا تحمل على غيرها من ذنوبها شيئا (ولا تنزر وأزره وزر أخرى) ، ونصب ذا قربى على تمام كان لأن معنى الكلام : ولو كان الذي سأله أن يحمل عنها ذنوبها ذا قربى لها ، وأنت مثقلة ، لأنه ذهب بالكلام إلى النفس ، كأنه قيل : وإن تدع نفس مثقلة من الذنوب إلى حمل ذنوبها . وإنما قيل كذلك ، لأن النفس تؤدى عن الذكر والأنثى ، كما قيل : (كل نفس ذائقة الموت) يعني بذلك : كل ذكر وأنثى . وقوله (إنما تنذر الدين يخشون ربهم بالغيب) يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : إنما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة ، من غير معاينة منهم لذلك ، ولكن لإيمانهم بما

أَتَيْتَهُمْ بِهِ ، وَتَصَدِّقُهُمْ لَكَ فِيمَا أُنْبَأْتَهُمْ عَنِ اللَّهِ ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْفَعُهُمْ إِذْ نَادَاكَ ، وَيَتَعَطَّوْنَ بِمَوَاعِظِكَ ، لَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَهَمْ لَا يَفْقَهُونَ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ**) : أى يخشون النار .

وقوله (**وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ**) يقول : وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها ، على ما فرضها الله عليهم . وقوله (**وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ**) : يقول تعالى ذكره : ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب ، بالتوبة إلى الله ، والإيمان به ، والعمل بطاعته ، فإنما يتطهر لنفسه ، وذلك أنه يثبها به رضا الله ، والفوز بجنانه ، والنجاة من عقابه ، الذى أعدّه لأهل الكفر به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ**) : أى من يعمل صالحا فإنما يعمل لنفسه .

وقوله (**وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**) يقول : وإلى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس ، مؤمنكم وكافركم ، وبركم وفاجركم ، وهو مجاز جميعكم بما قدم من خير أو شر على ما أهل منه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ ، وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١)
وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ، إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ
فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : (**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى**) : عن دين الله الذى ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (**وَالْبَصِيرُ**) : الذى قد أبصر فيه رشده ، فاتبع محمدا وصدقته ، وقبل عن الله ما ابتعثه به (**وَالظُّلُمَاتُ**) يقول : وما تستوى ظلمات الكفر ، ونور الإيمان (**وَالظُّلُّ**) : قيل : ولا الجنة (**وَالْحَرُورُ**) : قيل : النار . كأن معناه عندهم : وما تستوى الجنة والنار ، والحرور : بمنزلة السموم ، وهى الرياح الحارة . وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى ، عن رؤبة بن العجاج ، أنه كان يقول : الحرور بالليل ، والسموم بالنهار . وأما أبو عبيدة فإنه قال : الحرور فى هذا الموضع : بالنهار مع الشمس . وأما الفراء فإنه كان يقول : الحرور : يكون بالليل والنهار ، والسموم : لا يكون بالليل ، إنما يكون بالنهار .

والقول فى ذلك عندى ، أن الحرور يكون بالليل والنهار ، غير أنه فى هذا الموضع ، بأن يكون كما قال أبو عبيدة : أشبه مع الشمس ، لأن الظل إنما يكون فى يوم شمس ، فذلك يدل على أنه أريد بالحرور : الذى يوجد فى حال وجود الظل .

وقوله (**وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ**) يقول : وما يستوى الأحياء القلوب بالإيمان بالله

ورسوله ، ومعرفة تنزيل الله ، والأموات ، القلوب لغلبة الكفر عليها ، حتى صارت لاتعقل عن الله أمره ونهيه ، ولا تعرف الهدى من الضلال ، وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان ، والكافر والكفر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ) . . . الآية ، قال : هو مثل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل المعصية ، يقول : وما يستوي الأعمى والظلمات والحرور ، ولا الأموات ، فهو مثل أهل المعصية ، ولا يستوي البصير ولا النور ، ولا الظل والأحياء ، فهو مثل أهل الطاعة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ) . . . الآية خلقا فضل بعضه على بعض ، فأما المؤمن فبعد حي ، حتى الأثر ، حتى البصر ، حتى النية ، حتى العمل . وأما الكافر فبعد ميت ، ميت البصر ، ميت القلب ، ميت العمل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ، وَلَا الظُّلُّ وَلَا الحرُّورُ ، وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الأمواتُ) قال : هذا مثل ضربه الله ، فالمؤمن بصير في دين الله ، والكافر أعمى ، كما لا يستوي الظل ولا الحرور ، ولا الأحياء ولا الأموات ، فكذلك لا يستوي هذا المؤمن الذي يبصر دينه ، ولا هذا الأعمى ، وقرأ (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) قال : الهدى الذي هداه الله به ، ونور له ، هذا مثل ضربه الله لهذا المؤمن الذي يبصر دينه ، وهذا الكافر الأعمى ، فجعل المؤمن حيا ، وجعل الكافر ميتا ، ميت القلب ، (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) قال : هديناه إلى الإسلام ، كمن مثله في الظلمات أعمى القلب ، وهو في الظلمات ، أهذا وهذا سواء ؟

واختلف أهل العربية في وجه دخول « لا » مع حرف العطف ، في قوله (وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ، وَلَا الظُّلُّ وَلَا الحرُّورُ) فقال بعض نحوي البصرة : قال : ولا الظل ولا الحرور ، فيشبه أن تكون « لا » زائدة ، لأنك لو قلت : لا يستوي عمرو ولا زيد في هذا المعنى ، لم يجز إلا أن تكون « لا » زائدة ؛ وكان غيره يقول : إذا لم تدخل « لا » مع الواو ، وإنما لم تدخل اكتفاء بدخولها في أول الكلام ، فإذا أدخلت فإنه يراد بالكلام أن كل واحد منهما لا يساوي صاحبه ، فكان معنى الكلام إذا أعيدت « لا » مع الواو عند صاحب هذا القول : لا يساوي الأعمى البصير ، ولا يساوي البصير الأعمى ، فكل واحد منهما لا يساوي صاحبه . وقوله (إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) يقول تعالى ذكره : كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله ، فيهديهم به إلى سبيل الرشاد ، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله ، وبيان حججه ، من كان ميت القلب من إحياء عباده ، عن معرفة الله ، وفهم كتابه وتنزيله ، وواضح حججه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ اللَّهَ يَسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع .
 وقوله (إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ما أنت إلا نذير ، تنذر هؤلاء المشركين بالله ، الذين طبع الله على قلوبهم ، ولم يرسلك ربك إليهم إلا لتبلغهم رسالته ، ولم يكلفك من الأمر ما لا يسبيل لك إليه ، فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جئتهم به ، فإن ذلك بيد الله لا بيدك ، ولا بيد غيرك من الناس ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، إنهم لم يستجيبوا لك .

القول في تأويل قول تعالى

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد (بِالْحَقِّ) وهو الإيمان بالله ، وشرائع الدين التي افترضها على عباده (بَشِيرًا) يقول : مُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ مِنْ صِدْقِكَ ، وقبل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة (وَنَذِيرًا) تُنذِرُ النَّاسَ مَنْ كَذَّبَكَ وَرَدَّ عَلَيْكَ مَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنَ النَّصِيحَةِ . (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) يقول : وما من أمة من الأمم الدائنة بجملة ، إلا خلا فيها من قبلك نذير ، ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) كل أمة كان لها رسول .

وقوله (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول تعالى ذكره ، مسلينا نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يلقي من مشركي قومه من التكذيب ، وإن يكذبك يا محمد مشركو قومك ، فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم ، الذين جاءتهم رسلهم بالبينات : يقول : بحجج من الله واضحة ، وبالزُّبُرِ يقول : وجاءتهم بالكتب من عند الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ) : أى الكتب . وقوله (وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) يقول : وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمله ، وتدبره أنه الحق .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) : يضعف الشيء وهو واحد .

وقوله (ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) يقول تعالى ذكره : ثم أهلكتنا الذين جحدوا رسالة رسلنا ، وحقيقة ما دعوهم إليه من آياتنا ، وأصرّوا على جحودهم . (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) يقول : فانظر يا محمد كيف كان تغييرى بهم ، وحلول عقوبتى بهم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا، وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ
بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا، وَغَرَائِبٌ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ
كَذَلِكَ، إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء غيثا ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها : يقول فسقيناه أشجارا في الأرض ، فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفا ألوانها ، منها الأحمر ، ومنها الأسود والأصفر ، وغير ذلك من ألوانها (ومن الجبال جدد بيض وحمر) : يقول تعالى ذكره : ومن الجبال طرائق ، وهي الجدد ، وهي الخطط تكون في الجبال : بيض وحمر وسود ، كالطرق : واحدها جدة ؛ ومنه قول امرئ القيس في صفة حمار :

كَأَنَّ سَرَاتَهُ وَجَسَدَهُ مَتْنُهُ
كَثَائِنٌ يُجْرِي فَوْقَهُنَّ دَلِيسٌ

يعني بالجدة : الخططة السوداء تكون في متن الحمار .

وقوله (مختلف ألوانها) يعني : مختلف ألوان الجدد (وغرأيب سود) ، وذلك من المقدم الذي هو بمعنى التأخير ، وذلك أن العرب تقول : هو أسود غريب ، إذا وصفوه بشدة السواد ، وجعل السواد هاهنا صفة للغريب . وقوله (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) كما من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحمرة والبياض والسواد والصفرة ، وغير ذلك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) أحر وأخضر وأصفر (ومن الجبال جدد بيض) : أي طرائق بيض (وحمر) مختلف ألوانها : أي جبال حمر وبيض (وغرأيب سود) هو الأسود ، يعني لونه كما اختلف ألوان هذه اختلف ألوان الناس والدواب والأنعام كذلك .

(١) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفي السقا ، طبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده ص ١٢٧) وفيه .
« ظهره » في موضع « منته » . و « بينن » في موضع « فوقهن » . قال شارحه : سراته : ظهره . والجدة : الخط الذي في وسط الظهر .
والكتائن : جعاب السهام ، من جلد أو خشب . والدليس : ماء الذهب . شبه الخط الذي على ظهر الحمار في بريقه ولونه ، بجعاب مذهبة ، مع بريق جلدها وإملاسه . اهـ . واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى « ومن الجبال جدد بيض وحمر » على أن معنى الجدد : الخطط تكون في الجبال : بيض وحمر وسود كالطرق ، واحدها جدة . وقال الفراء في معاني القرآن : (الورقة ٢٦٦) قوله « جدد بيض » الخطط والطرق تكون في الجبال كالعروق : بيض وسود وحمر ، واحدها جدة ، وأنشد بيت امرئ القيس كرواية المؤلف . ثم قال :
والجدة : الخططة السوداء في متن الحمار . وقال الفراء : يقال : أدلست الشيء ودلصته : إذا برق . فكل شيء يرق نحو المرأة والذهب والفضة ، فهو دليس . اهـ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ) طرائق بيض ، وحمرة وسود ، وكذلك الناس مختلف ألوانهم .
حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : ثنا مروان ، عن جويبر ، عن الضحاك قوله (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ) قال : هي طرائق حمرة وسود .
وقوله (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) يقول تعالى ذكره : إنما يخاف الله ، فيتقى عقابه بطاعته ، العلماء بقدرته على ما يشاء من شيء ، وأنه يفعل ما يريد ، لأن من علم ذلك ، أيقن بعقابه على معصيته ، فخافه ورهبه ، خشية منه أن يعاقبه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) قال : الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) قال : كان يقال : كفى بالرهبة علما .
وقوله (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله عزيز في انتقامه ممن كفر به ، غفور لذنوب من آمن به وأطاعه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوفِّيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ، إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : إن الذين يقرءون كتاب الله الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم . (وأقاموا الصلاة) : يقول : وأدوا الصلاة المفروضة لمواقبتها بحدودها ، وقال : وأقاموا الصلاة بمعنى : وقيموا الصلاة . وقوله (وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) يقول : وتصدقوا بما أعطيناكم من الأموال سرا في خفاء ، وعلانية : جهارا . وإنما معنى ذلك أنهم يؤدون زكاة المفروضة ، ويتطوعون أيضا بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه . وقوله (يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ) يقول تعالى ذكره : يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تبور : لن تكسده ولن تهلك ، من قولهم : بارت السوق : إذا كسدت ، وبار الطعام : وقوله (تِجَارَةً) : جواب لأول الكلام . وقوله (لِيُوفِّيَهُمْ أَجْرَهُمْ) يقول : ويوفيهم الله على فعلهم ذلك ، ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا (وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ) يقول : وكنى يزيدهم على الوفاء من فضله ، ما هو له أهل . وكان مطرف بن عبد الله يقول : هذه آية القراء .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عمرو بن عاصم ، قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، عن قتادة ، قال : كان مطرف إذا مر بهذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ) يقول : هذه آية القراء .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يزيد ، عن مطرف بن عبد الله . أنه قال في هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذه آية القراء .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان مطرف بن عبد الله يقول :
هذه آية القراء (لِيُؤْفِقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) .
وقوله (إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) يقول : إن الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم ، شكور
لحسناتهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) : إنه غفور
لذنوبهم ، شكور لحسناتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ، هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ
بَصِيرٌ (٣١)

يقول تعالى ذكره : (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ) يا محمد ، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله
عليه (هُوَ الْحَقُّ) يقول : هو الحقّ عليك وعلى أمتك أن تعمل به ، وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب
التي أوحيت إلى غيرك (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) يقول : هو يصدق ما مضى بين يديه ، فصار أمامه
من الكتب التي أنزلتها إلى من قبلك من الرسل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ
الْكِتَابِ ، هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) : للكتب التي خلت قبله .
وقوله (إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله بعباده لذو علم وخبرة بما يعملون
بصير بما يصلحهم من التدبير .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ،
وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنًا اللَّهُ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)

اختلف أهل التأويل في معنى الكتاب الذي ذكر الله في هذه الآية أنه أورثه الذين اصطفاهم من عباده ،
ومن المصطفون من عباده ، والظالم لنفسه ، فقال بعضهم : الكتاب : هو الكتاب الذي أنزلها الله من قبل
الفرقان ، والمصطفون من عباده : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والظالم لنفسه : أهل الإجماع منهم .
ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ)

أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ) . . . إلى قوله (الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله كل كتاب أنزله ، فظالمهم يغفر له ، ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا ، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن عبد الله بن عيسى ، عن يزيد بن الحارث ، عن شقيق ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه قال : « هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة : ثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ، وثلث يجيئون بذنوب عظام ، حتى يقول : ما هؤلاء ، وهو أعلم تبارك وتعالى ، فتقول الملائكة : هؤلاء جاءوا بذنوب عظام ، إلا أنهم لم يشركوا بك ، فيقول الرب : أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي ، وتلا عبد الله هذه الآية (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) . »

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا عون ، قال : ثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : ثنا كعب الأحبار أن الظالم لنفسه من هذه الأمة ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات : كلهم في الجنة ، ألم تر أن الله قال (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) . . . إلى قوله : (كُلٌّ كَفُورٌ) .

حدثني علي بن سعيد الكندي ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن عوف ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : سمعت كعبا يقول (فَتِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ) قال : كلهم في الجنة ، وتلا هذه الآية (جَنَّاتٌ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن عوف بن أبي جبلة ، قال : ثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : ثنا كعب أن الظالم من هذه الأمة ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ، ألم تر أن الله قال (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) . . . إلى قوله (لُعُوبٍ) والذين كفروا لهم نار جهنم ، قال : قال كعب : فهؤلاء أهل النار .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن عوف ، قال : سمعت عبد الله بن الحارث يقول : قال كعب إن الظالم لنفسه ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات من هذه الأمة : كلهم في الجنة ، ألم تر أن الله يقول : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) . . . حتى بلغ قوله (جَنَّاتٌ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا حميد ، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث عن أبيه ، أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) . . . إلى قوله (بِإِذْنِ اللَّهِ) فقال : تماسمت مناكهم ورب الكعبة ، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن أبي إسحاق السبيعي ، في هذه الآية (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا) قال : قال أبو إسحاق : أما ما سمعت منذ ستين سنة ، فكلهم ناج .

قال : ثنا عمرو ، عن محمد بن الحنفية ، قال : إنها أمة مرحومة ، الظالم مغفور له ، والمقتصد في الجنات عند الله ، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله .

وقال آخرون : الكتاب الذي أورث هؤلاء القوم ، هو شهادة أن لا إله إلا الله ، والمصطفون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والظالم لنفسه منهم هو المنافق ، وهو في النار ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات في الجنة .
ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن حسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن عبد الله (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) قال : اثنان في الجنة ، وواحد في النار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) . . . إلى آخر الآية ، قال : جعل أهل الإيمان على ثلاثة منازل ، كقوله (أَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ، وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) فهم على هذا المثال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) . . . الآية ، قال : الاثنان في الجنة ، وواحد في النار ، وهي بمنزلة التي في الواقعة (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ، وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) .

حدثنا سهل بن موسى ، قال : ثنا عبد المجيد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) قال هم أصحاب المشأمة (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) قال : هم أصحاب الميمنة (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) قال : هم السابقون من الناس كلهم .
حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : قال عوف ، قال الحسن : أما الظالم لنفسه فإنه هو المنافق ، سقط هذا . وأما المقتصد والسابق بالخيرات ، فهما صاحبا الجنة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن عوف ، قال : قال الحسن : الظالم لنفسه : المنافق .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) شهادة أن لا إله إلا الله (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) هذا المنافق في قول قتادة والحسن (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) قال : هذا صاحب اليمين (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) قال : هذا المقرَّب ، قال قتادة : كان الناس ثلاث منازل في الدنيا ، وثلاث منازل عند الموت ، وثلاث منازل في الآخرة . أما الدنيا ، فكانوا : مؤمن ، ومنافق ، ومشرک . وأما عند الموت ، فإن الله قال (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَسَلَامٌ لَّكَ مِنَ أَصْحَابِ)
(١) هو تقدير مبتدأ قبله ، أي هم مؤمن . . الخ . أو بعضهم مؤمن .

اليَمِينِ ؛ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَنِّدِينَ الضَّالِّينَ ، فَسُزِلَ مِنْ تَمِيمٍ وَتَصْلِيَةِ جَحِيمٍ) . وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ فَكَانُوا أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ، (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) قال : هم أصحاب المشأمة (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) قال : أصحاب الميمنة ، (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) قال : فهم السابقون من الناس كلهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) قال : سقط هذا (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ) قال : سبق هذا بالخيرات ، وهذا مقتصد على أثره .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : تأويل من قال : عنى بقوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) الكتب التي أنزلت من قبل الفرقان .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه : وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يتلون غير كتابهم ، ولا يعملون إلا بما فيه من الأحكام والشرائع ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير الذي ذهبت إليه ، وإنما معناه : ثم أورثنا الإيمان بالكتاب الذين اصطفينا ، فمنهم مؤمنون بكل كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به ، لأن كل كتاب أنزل من السماء قبل الفرقان ، فإنه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله ، واتباع من جاء به ، وذلك عمل من أقر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به ، وعمل بما دعاه إليه ، بما في القرآن ، وبما في غيره من الكتب التي أنزلت قبله .

وإنما قيل : عنى بقوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ) الكتب التي ذكرنا ، لأن الله جل ثناؤه قال لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) ، ثم أتبع ذلك قوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا) فكان معلوما ، إذ كان معنى الميراث إنما هو انتقال معنى من قوم إلى آخرين ، ولم تكن أمة على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم انتقل إليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته ، أن ذلك معناه : وإذ كان ذلك كذلك ، فبين أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته ؛ وأما الظالم لنفسه ، فإنه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصي ، التي هي دون النفاق والشرك عندى ، أشبه بمعنى الآية ، من أن يكون المنافق أو الكافر ، وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله (جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا) فعم بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة .

فإن قال قائل : فإن قوله (يَدْخُلُونَهَا) إنما عنى به المقتصد والسابق ؟ قيل له : وما برهانك على أن ذلك كذلك من خبر أو عتل ؟ فإن قال : قيام الحججة أن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار ، ولو لم يدخل

النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد، وجب أن لا يكون لأهل الإيمان وعيد؟ قيل: إنه ليس في الآية خبر أنهم لا يدخلون النار، وإنما فيها إخبار من الله تعالى ذكره، أنهم يدخلون جنات عدن، وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله إياه على ذنوبه التي أصابها في الدنيا، وظلمه نفسه فيها بالنار، أو بما شاء من عقابه، ثم يدخله الجنة، فيكون ممن عمه خبر الله جل ثناؤه بقوله (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا).

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذي قلنا في ذلك أخبار، وإن كان في أسانيدنا نظر مع دليل الكتاب على صحته، على النحو الذي بينت.

ذكر الرواية الواردة بذلك

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد الزبيرى، قال: ثنا سفيان عن الأعمش، قال: ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد، فجلس إلى جنب أبي الدرداء، فقال: اللهم آانس وحشي، وارحم غربي، ويسر لي جليسا صالحا، فقال أبو الدرداء: لئن كنت صادقا لأنا أسعد به منك، سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم أحدث به منذ سمعته ذكر هذه الآية «(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ)»، فأما السابق بالخيرات، فيدخلها بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا، وأما الظالم لنفسه، فيصبيه في ذلك المكان من الغم والحزن، فذلك قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ).

حدثنا ابن المنني، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة عن الوليد بن المغيرة، أنه سمع رجلا من ثقيف حدث عن رجل من كنانة، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية «(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ)» قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة. وعنى بقوله (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا): الذين اخترناهم لطاعتنا واجتبيناهم. وقوله (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ): يقول: فمن هؤلاء الذين اصطفينا من عبادنا، من يظلم نفسه بركوبه المآثم، واجترامه المعاصي، واقترافه الفواحش (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) وهو غير المبالغ في طاعة ربه، وغير المجتهد فيما ألزمه من خدمة ربه، حتى يكون عمله في ذلك قصدا (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) وهو المبرز الذي قد تقدم المجتهدين خدمة ربه، وأداء ما ألزمه من فرائضه، فسبقهم بصالح الأعمال، وهي الخيرات التي قال الله جل ثناؤه: (بِإِذْنِ اللَّهِ) يقول: بتوفيق الله إياه لذلك.

وقوله (ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) يقول تعالى ذكره: سبق هذا السابق من سبقه بالخيرات بإذن الله، هو الفضل الكبير الذي فضل به من كان مقصرا عن منزلته في طاعة الله، من المقتصد والظالم لنفسه.

القول في تأويل قوله تعالى

جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣)
وَقَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ، إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤)

يقول تعالى ذكره: بساتين إقامة، يدخلونها هؤلاء الذين أورثناهم الكتاب، الذين اصطفينا من عبادنا يوم القيامة (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ) يلبسون في جنات عدن أسورة من ذهب (وَلُؤْلُؤًا، وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) يقول: ولباسهم في الجنة حرير.

وقوله (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) اختلف أهل التأويل في الحزن الذي حمد الله على إذهابه عنهم هؤلاء القوم، فقال بعضهم: ذلك الحزن الذي كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار، إذ كانوا خائفين أن يدخلوها.

ذكر من قال ذلك

حدثني قتادة بن سعيد بن قتادة السدوسي، قال: ثنا معاذ بن هشام صاحب الدستوائى، قال: ثنا أبي، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، في قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) قال: حزن النار.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن معمر، عن يحيى بن المختار، عن الحسن (وَإِذَا خَاطَبْتَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) قال: إن المؤمنين قوم ذُلُّ، ذَلَّتْ وَاللَّهِ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ وَالْجَوَارِحُ، حَتَّى يَحْسِبَهُمُ الْجَاهِلُ مَرَضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مَرَضٌ، وَإِنَّهُمْ لِأَصْحَى الْقُلُوبِ، وَلَكِنْ دَخَلَهُمْ مِنَ الْخَوْفِ مَا لَمْ يَدْخُلْ غَيْرُهُمْ، وَمَنْعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا عِلْمُهُمْ بِالْآخِرَةِ، فَقَالُوا: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ)، وَالْحَزْنَ، وَاللَّهُ مَا حَزَنَهُمْ حَزْنَ الدُّنْيَا، وَلَا تَعَاظَمَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا طَلَبُوا بِهِ الْجَنَّةَ، أَبْكَاهُمُ الْخَوْفُ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَتَعَزَّزُ بِعِزِّ اللَّهِ يَقْطَعُ نَفْسَهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسْرَاتٍ، وَمَنْ لَمْ يَرِ اللَّهَ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ إِلَّا فِي مَطْعَمٍ أَوْ مَشْرَبٍ، فَقَدْ قَلَّ عِلْمُهُ، وَحَضَرَ عَذَابُهُ.

وقال آخرون: عني به الموت.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية، في قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) قال: الموت.
وقال آخرون: عني به حزن الحُسْبِزِ.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن حفص، عن يحيى ابن حميد، عن شمر، قال: لما أدخل الله أهل الجنة الجنة، قالوا (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) قال: حزن الحُبِزِ.

(١) كذا في الأصل: الحُبِزِ. ولعل المراد به: هم العيش في الدنيا. والعيش فيها قوامه الطعام والحُبِزِ.

وقال آخرون : عنى بذلك : الحزن من التعب الذى كانوا فيه فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) قال : كانوا فى الدنيا يعملون وينصبون ، وهم فى خوف أو يحزنون .
وقال آخرون : بل عنى بذلك الحزن الذى ينال الظالم لنفسه فى موقف القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، قال : ذكر أبو ثابت أن أبا الدرداء ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ ، فَيُصِيبُهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنَ الْغَمِّ وَالْحَزَنِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) » .
وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به ، أنهم قالوا حين دخلوا الجنة (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) وخوف دخول النار من الحزن ، والجزع من الموت من الحزن ، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن ، ولم يخص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم ، نوعا دون نوع ، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك ، وكذلك ذلك ، لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك ، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معانى الحزن .
وقوله (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة : إن ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم ، فساترها عليهم بعفوه لهم عنها ، شكور لهم على طاعتهم إياه ، وصالح ما قدموا فى الدنيا من الأعمال .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ)
لحسناتهم .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شمر (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) غفر لهم ما كان من ذنب ، وشكر لهم ما كان منهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ، لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ، وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين أدخلوا الجنة (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) ، الذى أحلنا دار المقامة) : أى ربنا الذى أنزلنا هذه الدار ، يعنون الجنة ، فدار المقامة : دار الإقامة التى لا تنقل معها عنها ، ولا تحوّل ، والميم إذا ضمت من المقامة ، فهى من الإقامة ، فإذا فتحت فهى من المجلس ، والمكان الذى يُقام فيه ، قال الشاعر :

يَوْمَانِ يَوْمٌ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَّةٍ وَيَوْمٌ سَتِيرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيلًا
وَبَنَحُو الَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ)
أَقَامُوا فَلَا يَتَحَوَّلُونَ .

وَقَوْلُهُ (لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ) يَقُولُ : لَا يَصِيدُنَا فِيهَا تَعَبٌ وَلَا وَجَعٌ (وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) يَعْنِي
بِاللُّغُوبِ : الْعَنَاءُ وَالْإِعْيَاءُ .

وَبَنَحُو الَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، قَالَ : ثنا مُوسَى بْنُ عَمِيرٍ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِهِ (لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٌ ، وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) قَالَ : اللَّغُوبُ : الْعَنَاءُ .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلَهُ (لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ) : أَيْ وَجَعٌ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ نَرَدُ نَعَالِي

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ، لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ،
كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا
نَعْمَلُ ، أَوْ لَمْ نُعَمَّرْ كَمَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ

بِقَوْلِ تَعَالَى ذَكَرَهُ (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ (لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ) يَقُولُ : لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ
مُخَلَّدِينَ فِيهَا ، لَأَحْظَ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَلَا نَعِيمَها .

كَمَا حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ (لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ)
بِالْمَوْتِ فَيَمُوتُوا ، لِأَنَّهُمْ لَوَمَاتُوا لِاسْتَرَحُوا (وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا) يَقُولُ : وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ
مِنْ عَذَابِ نَارِ جَهَنَّمَ بِإِمَاتَتِهِمْ ، فَيُخَفَّفُ ذَلِكَ عَنْهُمْ .

كَمَا حَدَّثَنِي مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الضَّبِّيُّ ، قَالَ : ثنا أَبُو قَتَيْبَةَ ، قَالَ : ثنا أَبُو هَلَالٍ الرَّاسِبِيُّ ، عَنْ قَتَادَةَ ،
عَنْ أَبِي السُّودَاءِ ، قَالَ : مَسَاكِينُ أَهْلِ النَّارِ لَا يَمُوتُونَ ، لَوَمَاتُوا لِاسْتَرَحُوا .

حَدَّثَنِي عَقَبَةُ بْنُ سَنَانَ الْقُرَازِيُّ ، قَالَ : ثنا غَسَّانُ بْنُ مِصْرٍ ، قَالَ : ثنا سَعِيدُ بْنُ يَزِيدٍ ، وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ،
قَالَ : ثنا ابْنُ عُثَيْمٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدٍ ، وَحَدَّثَنَا سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : ثنا بَشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، ثنا
أَبُو سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُمَّةٌ أَهْلُ النَّارِ

الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيُونَ ، لَكِنَّ نَاسًا ، أَوْ كَمَا قَالَ : تُصَيِّهُمُ النَّارُ بِيَدِنُوبِهِمْ) ، أَوْ قَالَ : يَخْطَايَاهُمْ ، فَيَمَيِّتُهُمْ إِمَاتَةً ، حَتَّى إِذَا صَارُوا فَحْمًا أَذِنَ فِي الشَّقَاعَةِ ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرٍ ، فَبَشُّوا عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، أَفِيضُوا عَلَيْنِهِمْ فَيَتَبَسُّونَ كَمَا تَبَسَّتْ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ حِينَئِذٍ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ .

فإن قال قائل : وكيف قيل : ولا يخفف عنهم من عذابها ، وقد قيل في موضع آخر : (كلما خببت زدناهم سعيراً) ؟ قيل : معنى ذلك : ولا يخفف عنهم من هذا النوع من العذاب .
وقوله (كذلك تجزي كل كفور) يقول تعالى ذكره : هكذا يكافي كل جحود لنعم ربه يوم القيامة ، بأن يدخلهم نار جهنم بسيئاتهم التي قد موها في الدنيا .

وقوله (وهم يصطبرخون فيها ، ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) : يقول تعالى ذكره : هؤلاء الكفار يستغيثون ، ويصججون في النار ، يقولون : يا ربنا أخرجنا نعمل صالحا : أي فعمل بطاعتك (غير الذي كنا نعمل) قبل من معاصيك . وقوله (يصطبرخون) يفتعلون من الصراخ ، حوالت تاؤها طاء ، لقرب مخرجها من الصاد لما ثقلت .

وقوله (أو لم نعمركم ما يتدكر فيه من تدكر) : اختلف أهل التأويل في مبلغ ذلك ، فقال بعضهم : ذلك أربعون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، قال : سمعت ابن عباس يقول : العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم (أو لم نعمركم ما يتدكر فيه من تدكر) : أربعون سنة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق أنه كان يقول : إذا بلغ أحدكم أربعين سنة ، فليأخذ حذر من الله .
وقال آخرون : بل ذلك ستون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن خثيم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (أو لم نعمركم ما يتدكر فيه من تدكر) قال : ستون سنة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة .

حدثنا علي بن شعيب ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فدالك ، عن إبراهيم بن الفضل ، عن أبي حسين المكي ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نُودِيَ : أَيُّنَ أَبْنَاءِ السَّيِّئِينَ ، وَهُوَ الْعُمَرُ النَّدِي قَالَ اللَّهُ (أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ، وَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ) » .

حدثني أحمد بن الفرج الحمصي ، قال : ثنا بقرية بن الوليد ، قال : ثنا مطرف بن مازن الكناني ، قال : ثنا معمر بن راشد ، قال : سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفاري ، يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ أَعْدَرَ اللَّهُ إِلَى صَاحِبِ السَّيِّئِينَ سَنَةً وَالسَّبْعِينَ » .

حدثنا أبو صالح الفزاري ، قال : ثنا محمد بن سوار ، قال : ثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القاري الإسكندر ، قال : ثنا أبو حازم ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ عَمَّرَهُ اللَّهُ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْدَرَ إِلَيْهِ فِي الْعُمَرِ » .

حدثنا محمد بن سوار ، قال : ثنا أسد بن حيد ، عن سعيد بن طريف ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن علي رضي الله عنه ، في قوله (أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ، وَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ) قال : العمر الذي عمركم الله به ستون سنة .

وأشبه القولين بتأويل الآية إذ كان الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبراً في إسناده بعض من يجب التثبت في نقله : قول من قال ذلك أربعون سنة ، لأن في الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه ، وما قبل ذلك وما بعده ، منتقص عن كماله في حال الأربعين .

وقوله (وَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ) اختلف أهل التأويل في معنى النذير ، فقال بعضهم : عنى به محمداً صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ) قال : النذير : النبي . وقرأ (هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى) وقيل : عسى به الشيب .

فتأويل الكلام إذن : أو لم نعمركم يا معشر المشركين بالله من قريش من السنين ، ما يتذكر فيه من تذكر ، من ذوى الألباب والعقول ، واتعظ منهم من اتعظ ، وتاب من تاب ، وجاءكم من الله منذر ينذركم ما أنتم فيه اليوم من عذاب الله ، فلم تتذكروا مواعظ الله ، ولم تقبلوا من نذير الله الذي جاءكم ، ما أتاكم به من عند ربكم .

انقول في تأويل قوله تعالى

فَذُوقُواْ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ (٣٧) إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : (فَذُوقُوا) ناز عذاب جهنم الذي قد صليتموه أيها الكافرون بالله (تَفَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ) يقول : فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم ، فأكسبوا غضب الله بكفرهم بالله في الدنيا ،

من نصير ينصرهم من الله، ليستنقذهم من عقابه . وقوله (إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : إن الله عالم ما تخفون أيها الناس في أنفسكم وتضمرونه ، وما لم تضمروه ولم تنووه مما ستنوونه ، وما هو غائب عن أبصاركم في السموات والأرض ، فاتقوه أن يطلع عليكم ، وأنتم تضمرون في أنفسكم من الشك في وحدانية الله ، أو في نبوة محمد ، غير الذي تبدونه بألسنتكم ، (إِنَّهُ عَلَيْكُمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ) .

القول في تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩)

يقول تعالى ذكره : الله الذي جعلكم أيها الناس خلائف في الأرض من بعد عاد وثمود ، ومن مضى من قبلكم من الأمم ، فجعلكم تخلفونهم في ديارهم ومساكنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ) أمة بعد أمة ، وقرنا بعد قرن .

وقوله (فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) يقول تعالى ذكره : فمن كفر بالله منكم أيها الناس ، فعلى نفسه ، ضره كفره ، لا يضر بذلك غير نفسه ، لأنه المعاقب عليه دون غيره . وقوله (وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا) يقول تعالى : ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بعدا من رحمة الله (وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا) يقول : ولا يزيد الكافرين كفرهم بالله إلا هلاكاً .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ؟ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ؟ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَوَهَّمُوا عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِنْهُ ؟ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠)

يقول تعالى ذكره لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لمشركي قومك (أَرَأَيْتُمْ) أيها القوم (شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) يقول : أروني أي شيء خلقوا من الأرض (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ) يقول : أم لشركائكم شرك مع الله في السموات ، إن لم يكونوا خلقوا من الأرض شيئاً (أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَوَهَّمُوا عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِنْهُ) يقول : أم آتينا هؤلاء المشركين كتاباً أنزلناه عليهم من السماء ، بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام ، فهم على بينة منه ، فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراف .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) لاشيء والله خلقوا منها (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ) لا والله ما لهم فيها شريك (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ) يقول : أم آتيناهم كتابا فهو يأمرهم أن يشركوا .
وقوله (بَلْ إِنْ يَبْعُدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا) وذلك قول بعضهم لبعض (ما نعبدُ آلهتنا إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى) خداعا من بعضهم لبعض وغرورا ، وإنما تزلفهم آلهتهم إلى النار ، وتقصيبهم من الله ورحمته .

القول في تأويل قوله تعالى

* إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ، وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١)

يقول تعالى ذكره : إن الله يمسك السموات والأرض لئلا تزولا من أماكنهما (وَلَئِن زَالَتَا) : يقول : ولو زالتا (إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) يقول : ما أمسكهما أحد سواه ، ووضعت « لئن » في قوله (وَلَئِن زَالَتَا) في موضع لو ، لأنها يجابان بجواب واحد ، فيتشابهان في المعنى ، ونظير ذلك قوله (وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) بمعنى : ولو أرسلنا ريحا ، وكما قال : (وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) بمعنى : لو أتيت . وقد بينا ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) من مكانهما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال : جاء رجل إلى عبد الله ، فقال : من أين جئت ؟ قال : من الشام ، قال : من لقيت ؟ قال : لقيت كعبا ، فقال : ما حدثك كعب ؟ قال : حدثني أن السموات تدور على منكب ملك ، قال : فصدقته أو كذبت به ؟ قال : ما صدقته ولا كذبت به ، قال : لو ددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحتك ورحلها وكذب كعب ؟ إن الله يقول (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ، وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) .

حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : ذهب جندب البجلي إلى كعب الأحبار ، فقدم عليه

ثم رجع ، فقال له عبد الله : حدثنا ما حدثتك ، فقال : حدثني أن السماء في قطب كقطب الرجا ، والقطب عمود على منكب ملك ، قال عبد الله : لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل رحلتك . ثم قال : ما تنتكت اليهودية في قلب عبد ، فكادت أن تفارقه ، ثم قال : إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، كفى بها زوالا أن تدور .

وقوله (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) يقول تعالى ذكره : إن الله كان حلما عن أشرك وكفر به من خلقه ، في تركه تعجيل عذابه له ، غفورا لذنوب من تاب منهم ، وأتاب إلى الإيمان به ، والعمل بما يرضيه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ، وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ، فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ، وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣)

يقول تعالى ذكره : وأقسم هؤلاء المشركون بالله جهد أيمانهم : يقول : أشد الإيمان ، فبالغوا فيها ، لئن جاءهم من الله منذر ينذرهم بأس الله (لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ) يقول : ليكونن أسلك لطريق الحق ، وأشد قبولاً لما يأتيهم به النذير من عند الله ، من إحدى الأمم التي خلت من قبلهم ؛ (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) يعني بالنذير : محمداً صلى الله عليه وسلم ، يقول : فلما جاءهم محمد ينذرهم عقاب الله على كفرهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا) يقول : ما زادهم مجيء النذير من الإيمان بالله واتباع الحق ، وسلوك هدى الطريق إلا نفورا وهربا .

وقوله (اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ) يقول : نفروا استكبارا في الأرض ، وخدعة سيئة ، وذلك أنهم صدوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به ، والمكر هاهنا : هو الشرك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَكْرَ السَّيِّئِ) وهو الشرك ، وأضيف المكر إلى السيئ ، والسيئ من نعت المكر ، كما قيل : (إن هذا لحوحق اليقين) . وقيل : إن ذلك في قراءة عبد الله (وَمَكْرًا سَيِّئًا) ، وفي ذلك تحقيق القول الذي قلناه من أن السيئ في المعنى من نعت المكر ، وقرأ ذلك قرأ الأمصار غير الأعمش وحمة : بهجمة محركة بالخفض . وقرأ ذلك الأعمش وحمة بهجمة وتسكين

الهمزة ، اعتلالا منهما بأن الحركات لما كثرت في ذلك ثقل ، فسكنا الهمزة ، كما قال الشاعر :

• إذا اعوجججنَ قُلْتُ صَاحِبُ قَوْمٍ ١ •

فسكَّن الباء ، لكثرة الحركات .

والصواب من القراءة : ما عليه قرآء الأمصار ، من تحريك الهمزة فيه إلى الخفض ، وغير جائز في القرآن أن يقرأ بكل ما جاز في العربية ، لأن القراءة إنما هي ما قرأت به الأئمة الماضية ، وجاء به السلف على النحو الذي أخذوا عن قبلهم .

وقوله (وَلَا يَحْيِقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) يقول : ولا ينزل المكر السيئ إلا بأهله ، يعني بالذين يمكرونه ، وإنما عسني أنه لا يحل مكروه ذلك المكر الذي مكروه هؤلاء المشركون إلا بهم .

وقال قتادة في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا يَحْيِقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) وهو الشرك .

وقوله (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ) يقول تعالى ذكره : فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على كفرهم به أليم العقاب : يقول : فهل ينتظر هؤلاء إلا أن أحل بهم من نعمتي على شركهم بي ، وتكذيبهم رسولي ، مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالم من الأمم . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ) : أي عقوبة الأولين (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) يقول : فلن تجد يا محمد لسنة الله تغييرا .

وقوله (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) يقول : ولن تجد لسنة الله في خلقه تبديلا : يقول : لن يغير ذلك ، ولا يبدله ، لأنه لا مرد لقضائه .

القول في تأويل قوله تعالى

أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ،
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤)

يقول تعالى ذكره : أو لم يسير يا محمد هؤلاء المشركون بالله ، في الأرض التي أهلكتنا أهلها بكفرهم بنا ،

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٦٧) . قال : وقوله « ومكر السيئ » : أضيف المكر إلى السيئ ، وهو هو ، كما قال : « إن هذا هو حق اليقين » . وتصديق ذلك في قرأة عبد الله : « ومكرا سيئا » . وقوله « مكر السيئ » الهمزة في السيئ مخفوضة ، وقد جزمها الأعمش وحمزة ، لكثرة الحركات ، كما قال : « لا يحزنهم الفرع الأكبر » : قال الشاعر :

إذا اعوجججنَ قُلْتُ صَاحِبُ قَوْمٍ

يريد : صاحب قوم ، فجزم الباء ، لكثرة الحركات . قال الفراء : حدثني الرواسي ، عن أبي عمرو بن العلاء : « لا يحزنهم » جزم : اه .

وتكذيبهم رسلنا ، فإنهم تجار يسلكون طريق الشام (فَيَسْتَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من الأمم التي كانوا بها ، ألم نهلكهم ، ونحرب مساكنهم ، ونجعلهم مثلاً لمن بعدهم ، فيتعضوا بهم ، ويزجرُوا عما هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله ، ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل (وكانوا أشدّ منهنّ قوّةً وبطشاً) لن يتعدّر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك ، من تعجيل النعمة والعذاب لهم .

وبنحو الذي قلنا في قوله (وكانوا أشدّ منهنّ قوّةً) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكانوا أشدّ منهنّ قوّةً) : يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم .

وقوله (وما كان الله ليُعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض) يقول تعالى ذكره : ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبادة الآلهة ، المكذوبون محمداً ، فيسبقونا هرباً في الأرض ، إذا نحن أردنا هلاكهم ، لأن الله لم يكن ليُعجزه شيء يريده في السموات ولا في الأرض ، ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا أقطار السموات والأرض . وقوله (إنّه كان عليهما قديراً) : يقول تعالى ذكره : إن الله كان عليهما بخلقه ، وما هو كائن ، ومن هو المستحقّ منهم تعجيل العقوبة ، ومن هو عن ضلالته منهم راجع إلى الهدى آتئب ، قدير على الانتقام ممن شاء منهم ، وتوفيق من أراد منهم للإيمان .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ، مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ، وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥) .

يقول تعالى ذكره : ولو يؤاخذ الله الناس : يقول : ولو يعاقب الله الناس ، ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي ، واجترحوا من الآثام ، ما ترك على ظهرها من دابة تدبّ عليها (ولكن يؤخرهم إلى أجلٍ مُّسمًّى) يقول : ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا ، إلى أجل معلوم عنده محدود ، لا يُقتصرون دونه ، ولا يجاوزونه إذا بلغوه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ، ما ترك على ظهرها من دابة) إلا ما حمل نوح في السفينة .

وقوله (فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً) يقول تعالى ذكره : فإذا جاء أجل

عقابهم ، فإن الله كان بعباده بصيرا من الذى يستحق أن يعاقب منهم ، ومن الذى يستوجب الكرامة ، ومن الذى كان منهم فى الدنيا له مطيعا ، ومن كان فيها به مشركا ، لا يخفى عليه أحد منهم ، ولا يعزب عنه علم شىء من أمرهم .

آخر تفسير سورة فاطر

تفسير سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

يَسَّ (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤)

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (يس) ، فقال بعضهم : هو قسم أقسم الله به ، وهو من أسماء الله . ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يس) قال : فإنه قسم أقسمه الله ، وهو من أسماء الله . وقال آخرون : معناه : يا رجل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو نميلة ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (يس) قال : يا إنسان بالحبشية .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن شرفى ، قال : سمعت عكرمة يقول : تفسير (يس) : يا إنسان .

وقال آخرون : هو مفتاح كلام افتتح الله به كلامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال (يس) : مفتاح كلام ، افتتح الله به كلامه .

وقال آخرون : بل هو اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يس) قال : كلّ هجاء فى القرآن : اسم من أسماء القرآن .

قال أبو جعفر : وقد بيّنا القول فيما مضى في نظائر ذلك من حروف الهجاء ، بما أغنى عن إعادته وتكريره في هذا الموضع .

وقوله (والقرآن الحكيم) يقول : والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه ، وبيّنات حججه (إنك لمن المرسلين) يقول تعالى ذكره ، مقسما بوحيه وتنزيله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنك يا محمد لمن المرسلين بوحى الله إلى عباده .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين) قسم كما تسمعون (إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم) .

وقوله (على صراط مستقيم) يقول : على طريق لا اعوجاج فيه من الهدى ، وهو الإسلام . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (على صراط مستقيم) : أى على الإسلام .

وفي قوله (على صراط مستقيم) وجهان : أحدهما : أن يكون معناه : إنك لمن المرسلين على استقامة من الحق ، فيكون حينئذ على من قوله (على صراط مستقيم) من صلة الإرسال . والآخر أن يكون خبرا مبتدأ ، كأنه قيل : إنك لمن المرسلين ، إنك على صراط مستقيم .

القول في تأويل قوله تعالى

تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥)

اختلف القراء في قراءة قوله (تنزيل العزيز الرحيم) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (تنزيل العزيز) برفع تنزيل ، والرفع في ذلك يتجه من وجهين : أحدهما : بأن يجعل خبرا ، فيكون معنى الكلام : إنه تنزيل العزيز الرحيم . والآخر : بالابتداء ، فيكون معنى الكلام حينئذ : إنك لمن المرسلين ، هذا تنزيل العزيز الرحيم . وقراءته عامة قراء الكوفة وبعض أهل الشام (تنزيل) نصبا على المصدر . من قوله (إنك لمن المرسلين) لأن الإرسال إنما هو عن التنزيل ، فكأنه قيل : لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقا .

والصواب من القول في ذلك عندى : أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب . ومعنى الكلام : إنك لمن المرسلين يا محمد إرسال الرب العزيز في انتقامه من أهل الكفر به ، الرحيم بمن تاب إليه ، وأناب من كفره وفسوقه ، أن يعاقبه على سالف جرمه ، بعد توبته له .

القول في تأويل قوله تعالى

لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ، (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ ، فَهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ (٧)

﴿ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (لِيَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ) ﴾ فقال بعضهم : معناه : لتنذر قوما ما أنذر الله من قبلهم من آباؤهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سيبك ، عن عكرمة ، في هذه الآية (لِيَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ) قال : قد أنذروا . وقال آخرون : بل معنى ذلك لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ) قال : بعضهم : لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من إنذار الناس قبلهم . وقال بعضهم : لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم : أي هذه الأمة لم يأتهم نذير ، حتى جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم .

واختلف أهل العربية في معنى « ما » التي في قوله (مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ) إذا وُجِّهَ معنى الكلام إلى أن آباءهم قد كانوا أنذروا ، ولم يُرد بها الجحد ، فقال بعض نحويي البصرة : معنى ذلك : إذا أريد به غير الجحد : لتنذرهم الذي أنذر آباؤهم (فَهَمُّ غَافِلُونَ) . وقال : فدخول الفاء في هذا المعنى لا يجوز ، والله أعلم . قال : وهو على الجحد أحسن ، فيكون معنى الكلام : إنك لمن المرسلين إلى قوم لم ينذر آباؤهم ، لأنهم كانوا في الفترة .

وقال بعض نحويي الكوفة : إذا لم يرد بما الجحد ، فإن معنى الكلام : لتنذرهم بما أنذر آباؤهم ، فتلقى الباء ، فتكون « ما » في موضع نصب (فَهَمُّ غَافِلُونَ) يقول : فهم غافلون عما الله فاعل بأعدائه المشركين به ، من إحلال نعمته ، وسطوته بهم .

وقوله (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ ، فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : لقد وجب العقاب على أكثرهم ، لأن الله قد حتم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله ، ولا يصدقون رسوله .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ، فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ ، فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ، (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ، فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩)

﴿ يقول تعالى ذكره : إنا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة إلى أعناقهم بالأغلال ، فلا تبسط بشيء من الخيرات ، وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر : (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَيْمَانِهِمْ أَغْلَالًا ، فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ) . وقوله (إِلَى الْأَذْقَانِ) يعني : فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم ، فكُنِيَ عن الأيمان ، ولم يجر لها ذكر ، لمعرفة السامعين بمعنى الكلام ، وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلا وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها ، فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق ، من ذكر الأيمان ، كما قال الشاعر :

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ وَجْهًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِيَنِي
أَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَسْتَعِيهِ أَمْ الشَّرُّ الَّذِي لَا يَأْتَلِيَنِي ١

فكفى عن الشر ، وإنما ذكر الخير وحده ، لعلم سامع ذلك بمعنى قائله ، إذ كان الشر مع الخير يُذكر .
والأذقان : جمع ذقن ، والذقن : مجمع اللحيين .

وقوله (فَهَمْ مُقْمَحُونَ) والمقْمَح : هو المنع ، وهو أن يحد الذقن حتى يصير في الصدر ، ثم يرفع رأسه في قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة . وفي قول بعض الكوفيين : هو الغاص بصره ، بعد رفع رأسه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ، فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ) قال : هو كقول الله (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ) يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم ، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَهُمْ مُقْمَحُونَ) قال : رافعو رؤوسهم ، وأيديهم موضوعة على أفواههم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ، فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ) : أي فهم مغلولون عن كل خير .

وقوله (وَجَعَلْنَا مِيزَانَ أَيْدِيهِمْ سَدًّا) يقول تعالى ذكره : وجعلنا من بين أيدي هؤلاء المشركين سداً ، وهو الحاجز بين الشينين ، إذا فتح كان من فعل بني آدم ، وإذا كان من فعل الله كان بالضم ، وبالضم قرأ ذلك عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين . وقرأه بعض المكيين وعامة قرآء الكوفيين بفتح السين (سَدًّا) في الحرفين كلاهما ، والضم أعجب القراءتين إلى في ذلك ، وإن كانت الأخرى جائزة صحيحة .

(١) البيتان من الوافر ، وهما لسحيم بن وثيل الرياحي . وقد سبق الاستشهاد بهما في (١٤ : ١٥٧) عند قوله تعالى « سراويل تقيكم الحر » في سورة النحل . واستشهد بهما هنا على أن قوله « أريد الخير أيهما يليني » أي أي الخير والشر يليني ؟ فاكفى بذكر الخير وكفى عن الشر ، إذ كان معلوماً من السياق كما في قوله تعالى « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا » إذ لم يصرح بذكر الإيمان ، لأن الأغلال إنما تكون في الأعناق مع الأغلال . فاكفى بالأغلال عن ذكر الإيمان . قال الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٦٧) وقوله : « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ، فهي إلى الأذقان » فكفى عن هي ، وهي للإيمان ، ولم تذكر . وذلك أن الغل لا يكون إلا في الإيمان والعق ، جامعا للإيمان والعق ، فيكفى ذكر أحدهما من صاحبه ، ومثله قول الشاعر : « وما أدري . . . البيتين » . فكفى عن الشر ، وإنما ذكر الخير وحده . وذلك أن الشر يذكر مع الخير . وهي في قراءة عبدالله : « إنا جعلنا في أيامهم أغلالا ، فهي إلى الأذقان » ، فكفت من ذكر « الأعناق » في حرف عبدالله ، وكفت « الأعناق » من الإيمان ، في قراءة العامة . والذقن : أسفل اللحيين .

وعنى بقوله (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) أنه زين لهم سوء أعمالهم ، فهم يَعْمَهُونَ ، ولا يبصرون رشدا ، ولا يتنبهون حقا .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) قال : عن الحق .
حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) عن الحق ، فهم يترددون .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) قال : ضلالات .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ، فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) قال : جعل هذا سدا بينهم وبين الإسلام والإيمان ، فهم لا يخلصون إليه ، وقرأ (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ، وقرأ (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) . . . الآية كلها ، وقال : من منعه الله لا يستطيع . .

وقوله (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) يقول : فأغشينا أبصار هؤلاء : أى جعلنا عليها غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) هُدًى ، ولا ينتفعون به .

وذكر أن هذه الآية نزلت فى أبى جهل بن هشام حين حلف أن يقتله ، أو يشدخ رأسه بصخرة .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا عمارة بن أبى حفصة ، عن عكرمة قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدا لأفعلن ولأفعلن ، فأنزلت (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) . . . إلى قوله (فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) قال : فكانوا يقولون : هذا محمد ، فيقول : أين هو ؟ أين هو لا يبصره . وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) بالعين ، بمعنى أعشيناها عنه ، وذلك أن العشا هو أن يمشى بالليل ولا يبصر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَسَوْآءَ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ
الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)

يقول تعالى ذكره : وسواء يا محمد على هؤلاء الذين حق عليهم القول ، أى الأمرين كان منك إليهم : الإنذار ، أو ترك الإنذار ، فإنهم لا يؤمنون ، لأن الله قد حكم عليهم بذلك . وقوله (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) يقول تعالى ذكره : إنما ينفع إنذارك يا محمد من آمن بالقرآن ، واتبع ما فيه من أحكام الله . (وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ) يقول : وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين ، لا المنافق الذى يستخف بدين الله إذا خلا ، ويظهر الإيمان فى الملأ ، ولا المشرك الذى قد طبع الله على قلبه . وقوله (فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ) يقول : فبشر يا محمد هذا الذى اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه (وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) يقول : وثواب منه له فى الآخرة كريم ، وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) واتباع الذكر : اتباع القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ
مُّبِينٍ (١٢)

يقول تعالى ذكره : (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ) من خلقنا (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) فى الدنيا من خير وشر ، وصالح الأعمال وسيئها .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ) ، وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) من عمل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) قال : ما عملوا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَا قَدَّمُوا) قال : أعمالهم .

وقوله (وَأَثَرَهُمْ) يعني : وآثار خُطَاهُمْ بأرجلهم ، وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم أرادوا أن يقربوا من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليقرب عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن عليّ الجهضمي ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سيبك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد ، فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت (وَتَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ) فقالوا : ثبت في مكاننا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سيبك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد ، فأرادوا أن ينتقلوا ، قال : فنزلت (وَتَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ) فثبتوا .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا الحريري ، عن أبي نصر ، عن جابر ، قال : أراد بنو سلمية قرب المسجد ، قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني سلمية دياركم إنما تكتب آثاركم » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر ، قال : سمعت كهمساً يحدث ، عن أبي نصر ، عن جابر ، قال : أراد بنو سلمية أن يتحولوا إلى قرب المسجد ، قال : والبقاع خالية ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا بني سلمية دياركم إنما تكتب آثاركم » قال : فأقاموا وقالوا : ما يسرنا أن كنا نحولنا .

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفیان ، عن طريف ، عن أبي نصر ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : « شكت بنو سلمية بعد منازلهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ، وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ) فقال : عَلَيْكُمْ مَنَازِلِكُمْ تَكْتُبُ آثَرَكُمْ » . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، قال : ثنا الحسين ، عن ثابت ، قال : مشيت مع أنس ، فأسرعت المشي ، فأخذ بيدي ، فشينا رويدا ، فلما قضينا الصلاة قال أنس : مشيت مع زيد بن ثابت ، فأسرعت المشي ، فقال : يا أنس أما شعرت أن الآثار تكتب ؟

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن أن بني سلمية كانت دورهم قاصية عن المسجد ، فهموا أن يتحولوا قرب المسجد ، فيشهدون الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « أَلَا تَحْتَسِبُونَ آثَرَكُمْ يَا بَنِي سَلِيمَةَ ؟ فَكُنُوا فِي دِيَارِهِمْ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله (مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ) قال : خُطَاهُمْ بأرجلهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وآثارهم) قال : خطاهم .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وآثارهم) قال : قال الحسن : وآثارهم .
 قال : خطاهم . وقال قتادة : لو كان مغفلا شيئا من شأنك يا بن آدم ، أغفل ماتعني الرياح من هذه الآثار .
 وقوله (وكل شيء أحصيناه في إمام مبین) يقول تعالى ذكره : وكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه ، فأثبتناه في أم الكتاب ، وهو الإمام المبين . وقيل : (مبین) ، لأنه يبين عن حقيقة جميع ما أثبت فيه .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (في إمام مبین) قال : في أم الكتاب .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكل شيء أحصيناه في إمام مبین) : كل شيء محصى عند الله في كتاب .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وكل شيء أحصيناه في إمام مبین) قال : أم الكتاب التي عند الله فيها الأشياء كلها : هي الإمام المبين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ، فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ، فَقَالُوا : إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : ومثل يا محمد لمشركي قومك مثلا أصحاب القرية ، ذكر أنها أنطاكية (إذ جاءها المرسلون) اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل ، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية ، فقال بعضهم : كانوا رسل عيسى بن مريم ، وعيسى الذي أرسلهم إليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ) ، إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما ، فعززنا بثالث) قال : ذكر لنا أن عيسى بن مريم بعث رجلين من الخواريين إلى أنطاكية ، مدينة بالروم ، فكذبوهما ، فأعزهما بثالث ، (فَقَالُوا : إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا السدي ، عن عكرمة (وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ) قال : أنطاكية .

وقال آخرون : بل كانوا رسلا أرسلهم الله إليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب الأحمار ، وعن وهب بن منبه ، قال : كان بمدينة أنطاكية ، فرعون من الفراعنة . يقال له أبطيحس بن أبطيحس . يعبد الأصنام ، صاحب شرك ، فبعث الله المرسلين ، وهم ثلاثة : صادق ، ومصدوق ، وسلوم ، فقدم إليه وإلى أهل مدينته منهم اثنان ، فكذبوهما ، ثم عزز الله بثالث ، فلما دعت الرسل ، ونادته بأمر الله ، وصدعت بالذي أمرت به ، وعابت دينه ، وما هم عليه ، قال لهم : (إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ، لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ ، وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) . وقوله (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ، فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) يقول تعالى ذكره : حين أرسلنا إليهم اثنين يدعوهم إلى الله ، فكذبوهما فشددناهما بثالث ، وقويتهما به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) قال : شددنا . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) قال : زدنا . حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) قال : جعلناهم ثلاثة ، قال : ذلك التعزز ، قال : والتعزز : القوة . وقوله (فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ) يقول : فقال المرسلون الثلاثة لأصحاب القرية : إنا إليكم أيها القوم مرسلون ، بأن تحلصوا العبادة لله وحده ، لا شريك له ، وتبترعوا مما تعبدون من الآلهة والأصنام . وبالتشديد في قوله (فَعَزَّزْنَا) قرأت القراء سيوى عاصم ، فإنه قرأه بالتخفيف ، والقراءة عندنا بالتشديد ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وأن معناه : إذا شدد فقويتم ، وإذا خفف : فغلبن ، وليس لغلبن في هذا الموضع كثير معنى .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ، وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥)

قَالُوا : رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ (١٧)

يقول تعالى ذكره : قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أرسلوا إليهم ، حين أخبروهم أنهم أرسلوا إليهم بما أرسلوا به : ما أنتم أيها القوم إلا أناس مثلنا ، ولو كنتم رسلا ، كما تقولون ، لكنتم ملائكة (وَمَا أَنزَلَ

الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ) يقول : قالوا : وما أنزل الرحمن إليكم من رسالة ولا كتاب ، ولا أمركم فينا بشيء (إن أنتم إلا تكذِّبون) في قيلكم إنكم إلينا مرسلون . (قالوا : ربنا يعلم إننا إليكم مرسَّلون) يقول قال الرسل : ربنا يعلم إننا إليكم مرسلون فيما دعوناكم إليه ، وإننا لصادقون (وما علينا إلا البلاغُ المبين) . يقول : وما علينا إلا أن نبلغكم رسالة الله التي أرسلنا بها إليكم ، بلاغا بين لكم أنا أبلغناكموها ، فان قبلتموها فحظت أنفسكم تصيبون ، وإن لم تقبلوها فقد آدبنا ما علينا ، والله ولي الحكم فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ، لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ ، وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨)

يقول تعالى ذكره : قال أصحاب القرية للرسل : (إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) يعنون : إنا نشاءنا بكم ، فإن أصابنا بلاء فمن أجلكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) قالوا : إن أصابنا شر ، فإنما هو من أجلكم .

وقوله (لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) يقول : لئن لم تنتهوا عما ذكرتم من أنكم أرسلتم إلينا بالبراءة من آلهتنا ، والنهي عن عبادتنا لرجمناكم قبل : عني بذلك لرجمناكم بالحجارة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) بالحجارة (وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) : يقول : ولينالكم منا عذاب موحج .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَن زُكِّرْتُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِقُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ

رَجُلٌ يَسْعَى ، قَالَ : يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) أَتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : قالت الرسل لأصحاب القرية (طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ) أي : أنتم مذكروا : يقولون : أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم ، ذلك كله في أعناقكم ، وما ذلك من شؤنا إن أصابكم سوء فبها كتب عليكم ، وسبق لكم من الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، (قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ) : أي أعمالكم معكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب ، وعن وهب ابن منبه ، قالت لهم الرسل : (طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ) : أي أعمالكم معكم .

وقوله (أئین ذُکِّرْتُمْ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الأمصار (أئین ذُکِّرْتُمْ) بكسر الألف من « إن » وفتح ألف الاستفهام ، بمعنى : إن ذُکِّرْنَاكُمْ فَعَمَّكُمْ طَائِرُكُمْ ، ثم أدخل على « إن » التي هي حرف جزاء ، ألفَ استفهام ، في قول بعض نحويي البصرة ، وفي قول بعض الكوفيين منوياً به التكرير ، كأنه قيل : قالوا طائرکم معکم إن ذُکِّرْتُمْ فَعَمَّكُمْ طَائِرُكُمْ ، فحذف الجواب اكتفاء بدلالة الكلام عليه . وإنما أنکر قائل هذا القول ، القول الأول ، لأن ألف الاستفهام قد حالت بين الجزاء وبين الشرط ، فلا تكون شرطاً لما قبل حرف الاستفهام . وذُکِّرَ عن أبي رزین أنه قرأ ذلك (أئین ذُکِّرْتُمْ) بمعنى : ألان ذُکِّرْتُمْ طَائِرُكُمْ معکم ؟ . وذُکِّرَ عن بعض قارئيه أنه قرأه (قالوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أئین ذُکِّرْتُمْ) بمعنى : حيث ذُکِّرْتُمْ ، بتخفيف الكاف من ذُکِّرْتُمْ .

والقراءة التي لانجيز القراءة بغيرها : القراءة التي عليها قراء الأمصار ، وهي دخول ألف الاستفهام على حرف الجزاء ، وتشديد الكاف ، على المعنى الذي ذكرناه عن قارئيه كذلك ، لإجماع الحجة من القراء عليه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أئین ذُکِّرْتُمْ) : أي إن ذُکِّرْنَاكُمْ اللهُ تطيرتم بنا ؟ (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) .

وقوله (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) يقول : قالوا لهم : ما بكم التطشير بنا ، ولكنكم قوم أهل معاص لله وآثام ، قد غلبت عليكم الذنوب والآثام .

وقوله (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) يقول : وجاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت إليهم هذه الرسل ، رجل يسعى إليهم ، وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا ، واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة ، فيما ذُکِّرَ ، فبلغ ذلك هذا الرجل ، وكان منزله أقصى المدينة ، وكان مؤمناً ، وكان اسمه فيما ذُکِّرَ « حبيب بن مری » .

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار .

ذكر الأخبار الواردة بذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل بن إسماعيل ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي مجلز ، قال : كان صاحب يس « حبيب بن مری » .

حدثنا ابن حيد ، قال : ثنا سلمة ، قال : كان من حديث صاحب يس - فيما حدثنا محمد بن إسحاق ، فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب الأحبار ، وعن وهب بن منبه التيمي ، أنه كان رجلاً من أهل أنطاكية ، وكان اسمه « حبيباً » ، وكان يعمل الحرير ، وكان رجلاً سقيماً ، قد أسرع فيه الجندام ، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصياً ، وكان مؤمناً ذا صدقة ، يجمع كسبه إذا أمسى ، فيما يذكرون ، فيقسمه نصفين ، فيقطع نصفاً عياله ، ويتصدق بنصف ، فلم يُهَيِّمَهُ سقمه ولا عمله ولا ضعفه ، عن عمل ربه ، قال : فلما أجمع

قومه على قتل الرسل ، بلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة الأقصى ، فجاء يسعى إليهم يذكرهم بالله ، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين ، فقال (يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن عمرو بن حزم ، أنه حدث عن كعب الأحبار ، قال : ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بني مازن بن النجار ، الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه باليامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول : نعم ، ثم يقول : أتشهد أني رسول الله ؟ فيقول له : لا أسمع ، فيقول مسيلمة : أسمع هذا ، ولا تسمع هذا ؟ فيقول : نعم . فجعل يقطعه عُضْوًا عُضْوًا ، كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات في يديه . قال كعب حين قيل له اسمه حبيب ، وكان والله صاحب يس اسمه حبيب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عباس ، أنه كان يقول : كان اسم صاحب يس حبيبا ، وكان الجذام قد أسرع فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) قال : ذكر لنا أن اسمه حبيب ، وكان في غار يعبد ربه ، فلما سمع بهم أقبل إليهم ، وقوله (قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) يقول تعالى ذكره : قال الرجل الذي جاء من أقصى المدينة لقومه ؛ يا قوم اتبعوا المرسلين ، الذين أرسلهم الله إليكم ، واقبلوا منهم ما أتوكم به .

وذكر أنه لما أتى الرسل سألهم : هل يطلبون على ما جاءوا به أجرا ؟ فقالت الرسل : لا ، فقال لقومه حينئذ : اتبعوا من لا يسألكم على نصيحتهم لكم أجرا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما انتهى إليهم ، يعني إلى الرسل ، قال : هل تسألون على هذا من أجر ؟ قالوا : لا ، فقال عند ذلك : (يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ، اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب الأحبار ، وعن وهب بن منبه (اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ) : أي لا يسألونكم أموالكم على ما جاءوكم به من الهدى ، وهم لكم ناصحون ، فاتبعوهم تهتدوا بهداهم . وقوله (وَهُمْ مُهْتَدُونَ) يقول : وهم على استقامة من طريق الحق ، فاهتدوا أيها القوم بهداهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ؟ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدَّنْ

الرَّحْمَنُ بَضْرًا لَا تَغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِدُونَ (٢٣) إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي
ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ (٢٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل هذا الرجل المؤمن: (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) : أى وأى شيء
لى لأعبد الرب الذى خلقنى؟ (وَأَلَيْهِ تَرْجِعُونَ) يقول: وإليه تصيرون أنتم أيها القوم، وتردون جميعا،
وهذا حين أبدى لقومه إيمانه بالله وتوحيده.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار،
وعن وهب بن منبه، قال: ناداهم، يعنى نادى قومه، بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام، وأظهر لهم دينه
وعبادته ربه، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه، ولا ضرره غيره، فقال (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي، وَإِلَيْهِ
تَرْجِعُونَ، أَمْ تَأْتِيهِمْ مِنْ دُونِهِ آلِهَةٌ) ، ثم عابها، فقال: (إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ) وشدة
(لَا تَغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِدُونَ) . وقوله (أَمْ تَأْتِيهِمْ مِنْ دُونِهِ آلِهَةٌ) يقول:
أعبد من دون الله آلهة، يعنى معبودا سواه (إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ) يقول: إذ مسنى الرحمن بضر
وشدة (لَا تَغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا) يقول: لا تغنى عنى شيئا بكونها إلى شفاعه، ولا تقدر على
دفع ذلك الضر عنى (وَلَا يُنْقِدُونَ) يقول: ولا يخلصونى من ذلك الضر إذا مسنى . .

وقوله (إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) يقول: (إِنِّي) إن اتخذت من دون الله آلهة هذه صفتها، (إِذْنِ
لِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) لمن تأمله: جوره عن سبيل الحق .

وقوله (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ) فاختلف فى معنى ذلك، فقال بعضهم: قال هذا القول
هذا المؤمن لقومه، يعلمهم إيمانه بالله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب، وعن
وهب بن منبه (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ) إلى آمنت بربكم الذى كفرتم به، فاسمعوا قولى .
وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسل، وقال لهم: اسمعوا قولى، لتشهدوا لى بما أقول لكم عند ربى،
وأنى قد آمنت بكم واتبعكم، فذكر أنه لما قال هذا القول، ونصح لقومه النصيحة التى ذكرها الله فى كتابه،
وثبوا به فقتلوه .

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة قتلهم إياه، فقال بعضهم: رجّوه بالحجارة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ
تَرْجِعُونَ؟) هذا رجل دعا قومه إلى الله، وأبدى لهم النصيحة، فقتلوه على ذلك . وذكر لنا أنهم كانوا

برجمونه بالحجارة ، وهو يقول : اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي ، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي ، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي ، حَتَّى أَقْعُصُوهُ
وهو كذلك :

وقال آخرون : بل وثبوا عليه ، فوطئوه بأقدامهم حتى مات :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب ، وعن وهب
ابن منبه قال لم : (وَمَالِي لَأَعْبُدُ النَّدَى فَطَرْتَنِي) . . . إلى قوله (فَاسْتَمَعُونَ) وثبوا وثبة رجل واحد ،
فقتلوه واستضعفوه ، لضعفه وسقمه ، ولم يكن أحد يدفع عنه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول :
وطئوه بأرجلهم حتى خرج قُصْبُهُ من دُبُرِهِ .

القول في تأويل قوله تعالى

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ، وَجَعَلَنِي مِنَ
الْمُكْرَمِينَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : قال الله له إذ قتلوه كذلك فلقبه : (ادْخُلِ الْجَنَّةَ) فلما دخلها وعابن ما أكرمه
الله به لإيمانه وصبره فيه (قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي) يقول : يا ليتهم يعلمون أن
السبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي ، وجعلني من الذين أكرمهم الله بإدخاله إياه جنته ، كان إيماني
بالله ، وصبري فيه ، حتى قتلت ، فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود
كان يقول : قال الله له : ادخل الجنة ، فدخلها حيا يرزق فيها ، قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها
ونصبها ، فلما أفضى إلى رحمة الله وجنته وكرامته (قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي
وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ) فلما
دخلها (قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) قال : فلا تلقى
المؤمن إلا ناصحا ، ولا تلقاه غاشا ، فلما عابن ما عابن من كرامة الله (قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا
غَفَرَ لِي رَبِّي ، وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) تمنى على الله أن يعلم قومه ما عابن من كرامة الله ، وما هجم عليه .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ) قال : قيل : قد وجبت له الجنة ، قال ذلك حين رأى الثواب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ) قال : وجبت لك الجنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حَكَّام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ) قال : وجبت له الجنة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي مجاز ، في قوله (بِمَا غَفَرْنَا لِي رَبِّي) قال : إيماني بربي ، وتصديقي رسله .

والله أعلم

تم الجزء الثاني والعشرون ، من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

ويليه الجزء الثالث والعشرون

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ) .

جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

نَافِلِ آيِ الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
رحمهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم
« ما أعلم على آدم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠هـ

الجزء الثالث والعشرون

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصرة

كتاب النجاة

كتاب النجاة

كتاب النجاة

كتاب النجاة

كتاب النجاة

كتاب النجاة

فهارس

الجزء الثالث والعشرين من جامع البيان ، للإمام محمد بن جرير الطبري

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٣	٥٠ فلا يستطيعون توصية . . .			تفسير سورة يس	
١٥	٥١ ونُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ ..		١	٢٨ وما أنزلنا على قومه من بعده . . .	
١٥	٥٢ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا . . .		١	٢٩ إن كانت إلا صبيحة واحدة . . .	
١٥	٥٣ إن كانت إلا صبيحة واحدة . . .		٢	٣٠ يا حسرة على العباد . . .	
١٧	٥٤ فالיום لا تظلم نفس شيئا . . .		٣	٣١ ألم يروا كم أهلكنا قبلهم . . .	
١٧	٥٥ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون .		٣	٣٢ وإن كل لما جميع لدينا محضرون .	
١٩	٥٦ هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك ...		٤	٣٣ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها . . .	
١٩	٥٧ لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون .		٤	٣٤ وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب . . .	
١٩	٥٨ سلام قولاً من رب رحيم .		٤	٣٥ لياًكلوا من ثمره وما عملته أيديهم . . .	
٢٢	٥٩ وامتازوا اليوم أيها المجرمون .		٥	٣٦ سبحان الذي خلق الأزواج كلها . . .	
٢٢	٦٠ ألم أعهد إليكم يا بني آدم . . .		٥	٣٧ وآية لهم الليل نساخ منه النهار . . .	
٢٢	٦١ وأن اعبدوني ، هذا صراط مستقيم .		٥	٣٨ والشمس تجري لمستقر لها . . .	
٢٣	٦٢ ولقد أضل منكم جبيلًا كثيرًا . . .		٦	٣٩ والقمر قد رنا منازل . . .	
٢٣	٦٣ هذه جهنم التي كنتم توعدون . . .		٦	٤٠ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر . . .	
٢٣	٦٤ اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون .		٩	٤١ وآية لهم أناحلنا ذُرِّيَّتِهِمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ	
٢٤	٦٥ اليوم نختم على أفواههم . . .		٩	٤٢ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون .	
٢٤	٦٦ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم .		٩	٤٣ وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم . . .	
٢٤	٦٧ ولو نشاء لمسخناهم على مكائهم . . .		٩	٤٤ إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين .	
٢٦	٦٨ ومن نعمه ننكسه في الخلق . . .		١١	٤٥ وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم . . .	
٢٦	٦٩ وما علمناه الشعر . . .		١١	٤٦ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم . . .	
٢٦	٧٠ لينذر من كان حيا . . .		١٢	٤٧ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله . . .	
٢٨	٧١ أو لم يروا أنا خلقنا لهم . . .		١٣	٤٨ ويقولون متى هذا الوعد . . .	
٢٨	٧٢ وذللناها لهم فنها ركوبهم . . .		١٣	٤٩ ما ينظرون إلا صبيحة واحدة . . .	

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧٣	ولم فيها منافع ومشارب . . .	٢٩	١٦	إذا متنا وكنا ترابا وعظاما . . .	٤٤
٧٤	واتخذوا من دون الله آلهة . . .	٢٩	١٧	أو آباؤنا الأولون .	٤٤
٧٥	لا يستطيعون نصرهم . . .	٢٩	١٨	قل نعم وأنتم داخرون .	٤٤
٧٦	فلا يحزنك قولهم . . .	٢٩	١٩	فإنما هي زجرة واحدة .	٤٤
٧٧	أو لم ير الإنسان أنا خلقناه . . .	٣٠	٢٠	وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين .	٤٥
٧٨	وضرب لنا مثلا ونسى خلقه . . .	٣٠	٢١	هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون .	٤٥
٧٩	قل يحييها الذي أنشأها . . .	٣٠	٢٢	احشروا الذين ظلموا وأزواجهم . . .	٤٦
٨٠	الذي جعل لكم من الشجر الأخضر . . .	٣١	٢٣	من دون الله . . .	٤٦
٨١	أو ليس الذي خلق السموات . . .	٣١	٢٤	وقفوهم إنهم مسئولون .	٤٨
٨٢	إنما أمره إذا أراد شيئا . . .	٣٢	٢٥	ما لكم لا تنصرون .	٤٨
٨٣	فسبحان الذي بيده ملكوت . . .	٣٢	٢٦	بل هم اليوم مستسلمون .	٤٨
<u>تفسير سورة الصافات</u>					
١	والصافات صفا .	٣٣	٢٧	وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون .	٤٨
٢	فألزجرت زجرا .	٣٣	٢٨	قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين .	٤٩
٣	فالتاليات ذكرا .	٣٣	٢٩	قالوا بل لم تكونوا مؤمنين .	٤٩
٤	إن إلهم لو احد .	٣٤	٣٠	وما كان لنا عليكم من سلطان .	٤٩
٥	رب السموات والأرض وما بينهما .	٣٤	٣١	فحق علينا قول ربنا . . .	٥٠
٦	إنا زينا السماء الدنيا . . .	٣٤	٣٢	فأغويناكم إنا كنا غاوين .	٥٠
٧	وحفظنا من كل شيطان مارد .	٣٤	٣٣	فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون .	٥٠
٨	لا يسمعون إلى الملا الأعلى . . .	٣٤	٣٤	إنا كذلك نفعل بالمجرمين .	٥٠
٩	دحورا ولم عذاب واصب .	٣٤	٣٥	إنهم كانوا إذا قيل لهم . . .	٥١
١٠	إلا من خطيف الخطفة . . .	٣٤	٣٦	ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا . . .	٥١
١١	فاستفتهم أهم أشد خلقا . . .	٤١	٣٧	بل جاء بالحق وصدق المرسلين .	٥١
١٢	بل عجيب ويسخرون .	٤٢	٣٨	إنكم لذائقو العذاب الأليم .	٥٢
١٣	وإذا ذكروا لا يذكرون .	٤٤	٣٩	وما تجزون إلا ما كنتم تعملون .	٥٢
١٤	وإذا رأوا آية يستسخرون .	٤٤	٤٠	إلا عباد الله المخلصين . . .	٥٢
١٥	وقالوا إن هذا إلا سحر مبين .	٤٤	٤١	أولئك لهم رزق معلوم .	٥٢
			٤٢	فواكه وهم مكرمون .	٥٢
			٤٣	في جنات النعيم .	٥٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٤	على سُرُرٍ متقابلين .	٥٢	٧٢	ولقد أرسلنا فيهم مُنذِرِينَ .	٦٦
٤٥	يطاف عليهم بكأس من مَعِينٍ .	٥٢	٧٣	فانظر كيف كان عاقبة المُنذِرِينَ .	٦٦
٤٦	بيضاء لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ .	٥٢	٧٤	إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ .	٦٦
٤٧	لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ .	٥٢	٧٥	ولقد نادانا نوح فلنعم المحييون .	٦٧
٤٨	وعندهم قاصرات الطرف عِينٍ .	٥٦	٧٦	ونجيناه وأهله من الكرب العظيم .	٦٧
٤٩	كأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ .	٥٦	٧٧	وجعلنا ذريته هم الباقين .	٦٧
٥٠	فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ .	٥٦	٧٨	وتركنا عليه فِي الآخِرِينَ .	٦٨
٥١	قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ .	٥٨	٧٩	سلام على نوح فِي الْعَالَمِينَ .	٦٨
٥٢	يَقُولُ أَتُنكَ لَمَنْ الْمَصْدِقِينَ .	٥٨	٨٠	إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ .	٦٨
٥٣	أِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا . . .	٥٨	٨١	إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ .	٦٨
٥٤	قَالَ هَلْ أُنْتُمْ مَطْلُوعُونَ .	٦٠	٨٢	ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ .	٦٨
٥٥	فَاطَّلِعْ فِي الرَّآءِ فِي سِوَاءِ الْجَحِيمِ . . .	٦٠	٨٣	وَأَنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبِرَاهِيمَ .	٦٩
٥٦	قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتِ لِيَسْتَرْدِينَ . . .	٦٠	٨٤	إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .	٦٩
٥٧	وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ .	٦٠	٨٥	إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ؟	٦٩
٥٨	أَفَمَنْ حَمَلْنَا بِمِيتَتِهِمْ .	٦٢	٨٦	أَفَنُكَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ؟	٦٩
٥٩	إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى .	٦٢	٨٧	فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ؟	٧٠
٦٠	إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .	٦٢	٨٨	فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ .	٧٠
٦١	لِمِثْلِ هَذَا فَايَعْمَلُ الْعَامِلُونَ .	٦٢	٨٩	فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ .	٧٠
٦٢	أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزَلَا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ؟	٦٣	٩٠	فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ .	٧٠
٦٣	إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ .	٦٣	٩١	فَرَاغَ إِلَى آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ؟	٧٠
٦٤	لِإِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ .	٦٣	٩٢	مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ؟	٧٠
٦٥	ظَلَعَهَا كَأَنَّهُ رَعُوسُ الشَّيَاطِينِ .	٦٣	٩٣	فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ .	٧٣
٦٦	فَلْيَنْهَمِ لَّا يَكُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَتَوْنَ مِنْهَا الْبَطُونَ .	٦٣	٩٤	فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ .	٧٣
٦٧	ثُمَّ إِنَّ لَحْمَ عَلَيْهَا لَشَوْبَابًا مِنْ حَمِيمٍ .	٦٤	٩٥	قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ؟	٧٣
٦٨	ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ .	٦٤	٩٦	وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ .	٧٣
٦٩	لِيُنْهَمِ أَلْفَاؤُا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ .	٦٤	٩٧	قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا .	٧٥
٧٠	فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ مُهْرَعُونَ .	٦٤	٩٨	فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ .	٧٥
٧١	وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ .	٦٦	٩٩	وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي .	٧٥

الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة
٩١	١٢٨	إلا عباد الله المخلصين .	٧٥	١٠٠	ربّ هب لي من الصالحين .
٩١	١٢٩	وتركنا عليه في الآخرين .	٧٦	١٠١	فيشركنا بسلام حليم .
٩٤	١٣٠	سلام على إلياسين .	٧٦	١٠٢	فلما بلغ معه السعي . . .
٩٤	١٣١	إنا كذلك نجزي المحسنين .	٧٩	١٠٣	فلما أسلما وتكلّم للجبيين .
٩٤	١٣٢	إنه من عبادنا المؤمنين .	٧٩	١٠٤	ونادينا أن يا إبراهيم .
٩٧	١٣٣	وإن لوطا لمن المرسلين .	٧٩	١٠٥	قد صدقت الرؤيا . . .
٩٧	١٣٤	إذ نجينا وأهله أجمعين .	٧٩	١٠٦	إن هذا هو البلاء المبين .
٩٧	١٣٥	إلا عجوزا في الغابرين .	٨١	١٠٧	وقدّيناه بذبح عظيم .
٩٧	١٣٦	ثم دمرنا الآخرين .	٨١	١٠٨	وتركنا عليه في الآخرين .
٩٧	١٣٧	وإنكم لتمرون عليهم مصبحين .	٨١	١٠٩	سلام على إبراهيم .
٩٧	١٣٨	وبالليل أفلا تعقلون .	٨١	١١٠	كذلك نجزي المحسنين .
٩٨	١٣٩	وإن يونس لمن المرسلين .	٨١	١١١	إنه من عبادنا المؤمنين .
٩٨	١٤٠	إذ أتى إلى الفلك المشحون .	٨٩	١١٢	وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين .
٩٨	١٤١	فساهم فكان من المدحّضين .	٨٩	١١٣	وباركنا عليه وعلى إسحاق .
٩٨	١٤٢	فالتقمه الحوت وهو مليم .	٩٠	١١٤	ولقد مننا على موسى وهارون .
٩٩	١٤٣	فلولا أنه كان من المسيحين .	٩٠	١١٥	ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم .
٩٩	١٤٤	للبث في بطنه إلى يوم يبعثون .	٩٠	١١٦	ونصرناهم فكانوا هم الغالبين .
٩٩	١٤٥	فنبذناه بالعراء وهو سقيم .	٩٠	١١٧	وآتيناهما الكتاب المستبين .
٩٩	١٤٦	وأنبتنا عليه شجرة من يقطين .	٩٠	١١٨	وهديناهما الصراط المستقيم .
١٠٤	١٤٧	وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون .	٩٠	١١٩	وتركنا عليهما في الآخرين .
١٠٤	١٤٨	فآمنوا فمتعتناهم إلى حين .	٩٠	١٢٠	سلام على موسى وهارون .
١٠٤	١٤٩	فاستفتهم الربك البنات . . . ؟	٩٠	١٢١	إنا كذلك نجزي المحسنين .
١٠٦	١٥٠	أم خلقنا الملائكة إناثا . . . ؟	٩٠	١٢٢	إنهما من عبادنا المؤمنين .
١٠٦	١٥١	ألا إنهم من إفكهم ليقولون .	٩١	١٢٣	وإن إلياس لمن المرسلين .
١٠٦	١٥٢	ولقد الله ، وإنهم لكاذبون .	٩١	١٢٤	إذ قال لقرمه ألا تتقون ؟
١٠٦	١٥٣	أصطفى البنات على البنين ؟	٩١	١٢٥	أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ؟
١٠٦	١٥٤	الكم كيف تحكمون ؟	٩١	١٢٦	الله ربكم ورب آبائكم الأولين .
١٠٦	١٥٥	أفلا تذكرون ؟	٩١	١٢٧	فكذبوه فإنهم لمحضرون .

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥٦	أم لكم سلطان مبين ؟	١٠٦	١	صّ والقرآن ذى الذكر .	١١٧
١٥٧	فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين .	١٠٦	٢	بل الذين كفروا في عزة وشقاق .	١١٧
١٥٨	وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا .	١٠٧	٣	كم أهلكنا من قبلهم من قرون . . .	١٢٠
١٥٩	سبحان الله عما يصفون .	١٠٧	٤	وعجبوا أن جاءهم منذر منهم . . .	١٢٤
١٦٠	إلا عباد الله المخلصين .	١٠٧	٥	أجعل الآلهة لها واحدا . . . ؟	١٢٤
١٦١	فإنكم وما تعبدون . . .	١٠٩	٦	وانطلق الملائم منهم أن امشوا . . .	١٢٦
١٦٢	ما أنتم عليه بفاتنين .	١٠٩	٧	ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة . . .	١٢٦
١٦٣	إلا من هو صالح الجحيم .	١٠٩	٨	أ أنزل عليه الذكر من بيننا . . . ؟	١٢٨
١٦٤	وما منا إلا له مقام معلوم .	١٠٩	٩	أم عندهم خزائن رحمة ربك . . .	١٢٨
١٦٥	وإنا لنحن الصافون .	١١١	١٠	أم لهم ملك السموات والأرض . . .	١٢٩
١٦٦	وإنا لنحن المسبحون .	١١١	١١	جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب .	١٢٩
١٦٧	وإن كانوا ليقولون .	١١١	١٢	كذبت من قبلهم قوم نوح وعاد . . .	١٣٠
١٦٨	لو أن عندنا ذكرا من الأولين .	١١١	١٣	وثمود وقوم لوط . . .	١٣٠
١٦٩	لكنا عباد الله المخلصين .	١١١	١٤	إن كلّ إلا كذب الرسل . . .	١٣٠
١٧٠	فكفروا به فسوف يعلمون .	١١٤	١٥	وما ينظر هؤلاء إلا صيحة . . .	١٣٢
١٧١	ولقد سبقت كلمتنا . . .	١١٤	١٦	وقالوا ، بنا عجل لنا قيطنا . . .	١٣٢
١٧٢	إنهم لهم المنصورون .	١١٤	١٧	اصبر على ما يقولون . . .	١٣٥
١٧٣	وإن جندنا لهم الغالبون .	١١٤	١٨	إنا سخرنا الجبال معه . . .	١٣٥
١٧٤	فتولّ عنهم حتى حين .	١١٤	١٩	والطير محشورة كلّ له أوّاب .	١٣٦
١٧٥	وأبصر فسوف يبصرون .	١١٤	٢٠	وشددنا ملكه وآتيناه . . .	١٣٦
١٧٦	أفبعذابنا يستعجلون ؟	١١٤	٢١	وهل أتاك نبأ الخصم . . .	١٤١
١٧٧	فلذا نزل بساحتهم . . .	١١٤	٢٢	إذ دخلوا عليه ففرع منهم . . .	١٤١
١٧٨	وتولّ عنهم حتى حين .	١١٦	٢٣	إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة .	١٤٣
١٧٩	وأبصر فسوف يبصرون .	١١٦	٢٤	قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك . . .	١٤٤
١٨٠	سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون .	١١٦	٢٥	فغفرنا له ذلك . . .	١٥١
١٨١	وسلام على المرسلين .	١١٦	٢٦	يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض . . .	١٥١
١٨٢	والحمد لله ربّ العالمين .	١١٦			

الصفحة	الآية المفسرة	الآية	الصفحة	الآية المفسرة	الآية
١٧٥	هذا وإن للطاغين لشرّ مآب .	٥٥	١٥٢	وما خلقنا السماء والأرض . . .	٢٧
١٧٥	جهنم يصلونها فبئس المهاد .	٥٦	١٥٢	أم نجعل الذين آمنوا . . .	٢٨
١٧٥	هذا فليذوقوه حميم وغساق :	٥٧	١٥٢	كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا . . .	٢٩
١٧٥	وآخر من شكله أزواج .	٥٨	١٥٣	ووهبنا لداود سليمان نعم العبد . . .	٣٠
١٧٥	هذا فوج مقتحم معكم لامرحبا بهم . . .	٥٩	١٥٣	إذ عرض عليه بالعشى الصافنات . . .	٣١
١٧٥	قالوا بل أنتم لامرحبا بكم . . .	٦٠	١٥٣	فقال إني أحببت حبّ الخير . . .	٣٢
١٨٠	قالوا ربنا من قدم لنا هذا . . .	٦١	١٥٣	ردّها علىّ ، فطفق مسّحا . . .	٣٣
١٨٠	وقالوا مالنا لانرى رجالا . . .	٦٢	١٥٦	ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه . . .	٣٤
١٨٠	أتخذناهم سخرى أم زاغت عنهم الأبصار؟	٦٣	١٥٦	قال رب اغفر لي وهب لي ملكا . . .	٣٥
١٨٠	إن ذلك لحقّ تخاصم أهل النار :	٦٤	١٦٠	فسخرنا له الريح تجري بأمره . . .	٣٦
١٨٢	قل إنما أنا منذر . . .	٦٥	١٦٠	والشياطين كلّ بناء وغوّاص :	٣٧
١٨٣	ربّ السموات والأرض وما بينهما . . .	٦٦	١٦٠	وآخرين مقرّنين في الأصفاد :	٣٨
١٨٣	قل هو نبيّ عظيم :	٦٧	١٦٠	هذا عطاؤنا فامنن . . .	٣٩
١٨٣	أتم عنه معرضون :	٦٨	١٦٠	وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب .	٤٠
١٨٣	ما كان لي من علم بالملا الأعلى . . .	٦٩	١٦٥	واذكر عبدنا أيوب . . .	٤١
١٨٣	إن يوحى إلىّ إلاّ أنما أنا نذير مبين .	٧٠	١٦٥	اركض برجلك هذا مغتسل بارد . . .	٤٢
١٨٤	إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا . . .	٧١	١٦٧	ووهبنا له أهله ومثلهم معهم . . .	٤٣
١٨٤	فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي . . .	٧٢	١٦٧	وخذ بيدك ضغثا فاضرب به . . .	٤٤
١٨٤	فسجد الملائكة كلهم أجمعون :	٧٣	١٦٩	واذكر عبادنا إبراهيم وإسماعيل . . .	٤٥
١٨٤	إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين :	٧٤	١٦٩	إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . . .	٤٦
١٨٥	قال يا إبليس مامنك أن تسجد . . .	٧٥	١٦٩	وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . . .	٤٧
١٨٥	قال : أنا خير منه خلقتني من نار . . .	٧٦	١٧٢	واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل . . .	٤٨
١٨٦	قال فاخرج منها فإنك رجيم .	٧٧	١٧٢	هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب :	٤٩
١٨٦	وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين .	٧٨	١٧٣	جنات عدن مفتحة لهم الأبواب :	٥٠
١٨٦	قال ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون .	٧٩	١٧٣	متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة . . .	٥١
١٨٦	قال فإنك من المنظرين :	٨٠	١٧٤	وعندهم قاصرات الطرف أتراب .	٥٢
١٨٦	إلى يوم الوقت المعلوم .	٨١	١٧٤	هذا ما توعدون ليوم الحساب .	٥٣
١٨٦	قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين .	٨٢	١٧٤	إن هذا لرزقنا ماله من نفاد .	٥٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨٣	إلا عبادك منهم المخلصين .	١٨٦	١٢	وأمرت لأن أكون أول المسلمين . . .	٢٠٤
٨٤	قال فالحقُّ والحقُّ أقول .	١٨٧	١٣	قل إني أخاف إن عصيتُ ربي . . .	٢٠٤
٨٥	لأملأنَّ جهنم منك . . .	١٨٧	١٤	قل اللهَ أعبد مخلصا له ديني .	٢٠٤
٨٦	قل ما أسألكم عليه من أجر . . .	١٨٧	١٥	فاعبدوا ما شئتم من دونه . . .	٢٠٤
٨٧	إن هو إلا ذكر للعالمين .	١٨٨	١٦	لهم من فوقهم ظلل من النار . . .	٢٠٥
٨٨	ولتعلمنَّ نبأه بعد حين .	١٨٨	١٧	والذين اجتنبوا الطاغوت . . .	٢٠٥
تفسير سورة الزمّـر					
١	تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم .	١٩٠	١٨	الذين يستمعون القول . . .	٢٠٥
٢	إنا أنزلنا إليك الكتاب . . .	١٩٠	١٩	أفمن حَقَّ عليه كلمة العذاب .	٢٠٧
٣	ألا لله الدين الخالص . . .	١٩٠	٢٠	لكن الذين اتَّقَوْا ربهم . . .	٢٠٧
٤	لو أراد الله أن يتخذ ولدا . . .	١٩٢	٢١	ألم تر أن الله أنزل من السماء . . .	٢٠٨
٥	خلق السموات والأرض بالحق . . .	١٩٢	٢٢	أفمن شرح الله صدره للإسلام . . .	٢٠٩
٦	خلقكم من نفس واحدة . . .	١٩٣	٢٣	الله نزل أحسن الحديث كتابا . . .	٢٠٩
٧	إن تكفروا فإن الله غني عنكم . . .	١٩٧	٢٤	أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب . . .	٢١١
٨	وإذا مسَّ الإنسان ضررٌ دعا ربه . . .	١٩٨	٢٥	كذب الذين من قبلهم . . .	٢١١
٩	أمَّن هو قانت آتاء الليل . . .	٢٠٠	٢٦	فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا . . .	٢١٢
١٠	قل يا عبادِ الذين آمنوا . . .	٢٠٣	٢٧	ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن . . .	٢١٢
١١	قل إني أمرت أن أعبد الله . . .	٢٠٤	٢٨	قرأنا عربيا غير ذي عِوَج . . .	٢١٢
			٢٩	ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء . . .	٢١٣

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٣٠ تأويل قوله « أو لم ير الإنسان » ، وسبب نزول الآية .	١ تأويل قوله تعالى « وما أنزلنا على قومه » ، والصواب في معنى الجند بعد ذكر الخلاف فيه .
تفسير سورة الصافات	
٣٥ عدد مشارق الشمس ومغاريها .	٢ تأويل قوله « يا حسرة على العباد » ، وأن الحسرة من العباد على أنفسها .
٣٦ ما كانت تفعله الشياطين من استراق السمع ، وما فعلته بعد منعها .	٥ معنى سلخ الليل من النهار ، وما ورد في الشمس وغروبها وسجودها .
٣٩ العذاب المرسل على من يسترق السمع الآن من الشياطين .	٦ تأويل قوله « والقمر قدرناه منازل » . . . الآية . ووجه تشبيه القمر بالعرَّجون .
٤٢ ما تفعله العرب من إبدال بعض الحروف ببعض ، والشواهد على ذلك .	١٠ المراد بالمثل في قوله « وخلقنا لهم » . . . الخ .
٤٣ بيان أن القراءتين ربما يختلف معناهما ، ولا يلزم من ذلك التنزيل مرتين .	١١ تأويل قوله « وإذا قيل لهم اتقوا » . . . الآية ، وأن المراد بما بين الأيدي هي الذنوب .
٤٦ تأويل قوله « احشروا الذين ظلموا » . . . الآية ، والمراد من الأزواج .	١٥ الصور والنفخات الثلاث التي تنفخ فيه .
٤٨ ما يتجلى الله به لليهود والنصارى يوم القيامة .	١٧ نعيم أهل الجنة الذي هو شغل لهم .
٥٠ تأويل قوله « قالوا بل لم تكونوا مؤمنين » ، وما يجري بين الإنس والجن من التحاور يوم القيامة .	٢٠ تأويل قوله « هم وأزواجهم » . . . الآية ، والسلام الذي يكون لأهل الجنة من الله .
٥٢ صفة شراب أهل الجنة .	٢٢ ما يأمر الله به جهنم يوم القيامة ، وما يخاطب به أهل الموقف .
٥٧ الصواب في لون نساء أهل الجنة .	٢٤ كيفية الحساب الواقع يوم القيامة للمؤمن والكافر
٥٨ تأويل قوله « قال قائل منهم » . . . الآية ، وسوق قصة شريكين اكتسبا مالا ، فتصدق أحدهما ، وبخل الآخر .	٢٦ تأويل قوله « ومن نُعِمَّه » . . . الآية ، وأن القرآن مستبين أمره لمن كان غير ميت الفؤاد بليد .
	٢٨ ما يطلق عليه النعم من الحيوان .

الصفحة	الصفحة
١٣٢	٦٣
تأويل قوله « وما ينظر هؤلاء » .	الشبهة التي أوردها المشركون على شجرة الزقوم ، وما ردّ الله به عليهم .
١٣٤	٦٤
الخلاف في المراد بالقِطّ .	تأويل قوله « ثم إن لهم عليها لشوبا » . . .
١٣٦	الآية ، ومعنى الشوب .
تأويل قوله « اصبر على ما يقولون » ، وذكر طرف من تاريخ ملك داود .	٦٧
١٤١	نسبة أصناف العالم إلى نوح .
ما حصل لنبيّ الله داود من دخول الملائكة عليه ، وما قيل في أسباب ذلك .	٧٠
١٥٣	ما فعله إبراهيم عليه السلام حين قال « إني سقيم » من إظهار الاعتلال وكسر الأصنام .
تأويل قوله « ووهبنا لداود سليمان » ، وما عرض على نبيّ الله سليمان .	٧٦
١٥٦	تأويل قوله « فبشرناه بغلام حليم » ، وأن المبشر به إسحاق .
١٦٠	٨١
ما قيل في فتنة نبيّ الله سليمان .	تأويل قوله « وفديناه بذبح عظيم » ، والخلاف في الذبيح ، وذكر الدلائل لكلّ .
١٦٥	٨٥
تأويل قوله « واذكر عبدنا أيوب » ، وما حصل له من المرض ، وما تمّ له بعد ذلك .	ما اختاره المفسر من أن الذبيح إسحاق ، وسوق الأدلة على ذلك .
١٦٩	٩١
تأويل قوله « واذكر عبادنا إبراهيم » . . .	إلياس ومبعثه ، وسوق طرف من تاريخه .
الآية ، ومعنى خالصة النار .	٩٨
١٧٥	تأويل قوله « وإن يونس » . . . الآية ، وسوق طرف من تاريخه .
١٨٣	١٠٧
تأويل قوله « قل هو نبيّ عظيم » . . . الآية ، واختصاص الملائ الأعلی في أمر آدم .	تأويل قوله « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا » والقول الذي كانوا يقولونه .
١٨٥	١١٢
من سجد من الملائكة لآدم .	ما ورد من أن السموات مملوءة بالملائكة .
١٩٠	١١٧
تفسير سورة الزمّر	تفسير سورة ص
١٩١	١٢٠
ما كانت تقوله المشركون في عبادتهم لأهلهم .	تأويل قوله « كم أهلكتنا قبلهم من قرن » ، والشواهد على عمل لات .
١٩٣	١٢٥
تأويل قوله « خلقكم من نفس واحدة » .	ما قالته قريش لأبي طالب في شأن رسول الله ، وما فعلوه حين اجتمع بهم عند عمه .
١٩٦	١٣٠
الصواب في الظلمات الثلاث .	السبب في تسمية فرعون ذى الأوتاد .
٢٠٩	
تأويل قوله « أفن شرح الله صدره » ، ووجه ترك المقابل في الآية .	

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٥٣	الأوّل	٧٤	وَأَقَهَّرَا	أ	
١٩٩	يُسَخِّلِ . الخَوْلِ	ص		١٢٢	بَقَاءِ
١٤٢	باطِلِي	١٢٠	وَتَبَّوْصُ	ب	
١٤٥	إِغْفَا لَهَا	ض		١٦٥	وَسَيِّدُ هَبِّ
٦٢	م	١٢٠	مَنَاضُ . خَضَاضُ	٤٢	لَا تَبُّ
١٢٣	لَمْ يَرِمَ	ع		١٧٣	كَاذِبِ . وَالْحَوَاجِبِ
٣	المُطْعِمِ	١٣٣	لَوْ رَضِعَا	٤٢	لَا زِبِ
٩٩	تَمِيمِ	٢٠١	مَدَقَعَا	١٦٥	الْكُؤَاكِبِ
١٢٢	حَكِيمِ	ف		١٦٨	مُنْتَظِبِ
٤٢	مَسْنَدِمْ	٦٤	أَحْلَفُ . أَعْرَفُ	١٤١	مُضْعَبِ
٩٦	لَا زِمِ	٧٣	زُفَفُ	١٠١	ثِيَابِي
١٤٢	المُتَضَاجِمِ	٣٩	قَارِفُ	٤٠	وَأَصْبَا
٩٥	وَحَشَعَمَا . مَحْجَمَا	ق		١٧٤	الرِّقَابَا
	بِالْكِرَامَةِ	١٣٤	وَيَأْفِقُ	ح	
١١٠	ن	١٧٩	مُضَيِّقِ	٦١	شَرَاحِي
٩٥	أَجْمَعِينَا	ك		د	
٩٥	جِينَا . إِسْرَائِينَا	٢٠	الْأَرَائِكِ	٢٠١	عَضْدُ
١٢٢	السَّعْدِينَا	ل		١٤٢	أَبْعَدُ
١٢٣	الْقَرِينَا	١٧٦	تَتَلَوُ	١٧٦	وَمَحْصُودُ
١٨٤	بُهَانَا . تَلَانَا	١٩٩	يُغْلَوَا	١٦٥	وَلَا جُحْدِ
٥٨	أَحْبِرَانَا . عَرِيَانَا	١٩٩	يُحْبَلُوا	١٩٤	التَّعَدَى . الجَهْدِ
٤٩	مَكْنُونِ	١٥٩	النُّوْقِلُ . جَبَلُ	ر	
١٠٣	بِالْيَمِينِ	١٤٢	مُنْتَأَقِلُ	١٩	تَامِرُ
	ي	٥٣	المَحْمَلِ	٧٢	النَّحْرِيرُ
				٥٥	أُجْجَرَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

* وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الذي قتله قومه ، لدعائه إياهم إلى الله ، ونصيحته لهم . (مِّنْ بَعْدِهِ) يعني : من بعد مهلكه (مِّنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ) واختلف أهل التأويل في معنى الجند الذي أخبر الله أنه لم ينزل إلى قوم هذا المؤمن بعد قتلهموه ، فقال بعضهم : عني بذلك أنه لم ينزل الله بعد ذلك إليهم رسالة ، ولا بعث إليهم نبيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِّنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ) قال : رسالة . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ ، وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ) قال : فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ، فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ) .

وقال آخرون : بل عني بذلك أن الله تعالى ذكره لم يبعث لهم جنودا يقاتلهم بها ، ولكنه أهلكتهم بصيحة واحدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، أن عبد الله بن مسعود ، قال : غضب الله له ، يعني لهذا المؤمن ، لاستضعافهم إياه ، غضبة لم تبق من القوم شيئا ، فعجل لهم النعمة

بما استحلوا منه ، وقال : (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ) يقول : ما كاثرتهم بالجموع : أى الأمر أيسر علينا من ذلك (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبْحَةً وَاحِدَةً ، فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية ، فبادوا عن وجه الأرض ، فلم تبق منهم باقية .

وهذا القول الثانى : أولى القولين بتأويل الآية ، وذلك أن الرسالة لا يقال لها جند ، إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرُّسُل ، فيكون وجها ، وإن كان أيضا من المفهوم بظاهر الآية بعيدا . وذلك أن الرُّسُل من بنى آدم لا ينزلون من السماء ، والخبر في ظاهر هذه الآية . عن أنهم ينزل من السماء بعد مهلك هذا المؤمن على قومه جندا ؛ وذلك بالملائكة أشبه منه ببنى آدم .

وقوله (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) يقول : ما كانت هلكتهم إلا صيحة واحدة ، أنزلها الله من السماء عليهم .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبْحَةً وَاحِدَةً) نصبا على التأويل الذى ذكرت ، وأن فى كانت مضمرا . وذكر عن أبي جعفر المدنى : أنه قرأه إلا صيحة واحدة رفعا ، على أنها مرفوعة بكان ، ولا مضمر فى كان .

والصواب من القراءة فى ذلك عندى : النصب ، لإجماع الحجة على ذلك ، وعلى أن فى كانت مضمرا .
وقوله (فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) يقول : فإذا هم هالكون .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : يا حسرة من العباد على أنفسهم ، وتندما وتلهفا فى استهزأهم برسول الله (ما يأتيتهم من رسول) من الله (إلا كانوا به يستهزئون) . وذكر أن ذلك فى بعض القراءات (يا حسرة العباد على أنفسهم) .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا حسرة على العباد) : أى يا حسرة العباد على أنفسهم ، على ما ضيبت من أمر الله ، وفرطت فى جنب الله . قال : وفى بعض القراءات (يا حسرة العباد على أنفسهم) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يا حسرة على العباد) قال : كان حسرة عليهم استهزأهم بالرسول .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ) يقول : يا ويلًا للعباد . وكان بعض أهل العربية يقول : معنى ذلك : يا لها حسرة على العباد .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِن كَلَّمْنَا
جَمِيعًا لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : ألم ير هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد : كم أهلكتنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا ، وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية (أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ) يقول : ألم يَرَوْا أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ) قال : عاد وثمود ، وقرون بين ذلك كثير . و « كم » من قوله (كَمْ أَهْلَكْنَا) في موضع نصب ، إن شئت بوقوع يروا عليها . وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (أَلَمْ يَرَوْا مِّنْ أَهْلَكْنَا) وإن شئت بوقوع أهلكتنا عليها ، وأما أنهم ، فإن الألف منها فتحت بوقوع يروا عليها ، وذكر عن بعضهم أنه كسر الألف منها ، على وجه الاستئناف بها ، وترك إعمال يروا فيها .
وقوله (وَإِن كَلَّمْنَا جَمِيعًا لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ) يقول تعالى ذكره : وإن كل هذه القرون التي أهلكتناها
والذين لم ينهلكهم وغيرهم ، عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِن كَلَّمْنَا جَمِيعًا لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ)
أي هم يوم القيامة .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (وَإِن كَلَّمْنَا)
بالتخفيف ، توجيهها منهم إلى أن ذلك « ما » أدخلت عليها اللام التي تدخل جوابا لأن ، وأن معنى الكلام : وإن
كلّ لجميع لدينا محضرون . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (لَمَّا) بتشديد الميم . ولتشديدهم ذلك عندنا
وجهان : أحدهما : أن يكون الكلام عندهم كان مرادا به ، وإن كلّ لَمَّا جميع ، ثم حذف إحدى الميمات
لما كثرت ، كما قال الشاعر :

غَدَاة طَقَّتْ عَلَمَاءَ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَعَجَّجْنَا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمٍ

(١) هذا بيت من مقطوعة نسبها البلاذري في « أنساب الأشراف » إلى صالح بن عبد الله العبشمي الخارجي ، في محاربة حارثة بن بدر
الغدافي للأزارقة ، قبل أن يجارهم المهلب . ونسبها المبرد في الكامل إلى قطري بن الفجاءة الخارجي في يوم دولا ب . ورواية البلاذري
« طقت في الماء » ورواية المبرد : « طقت علماء » . وأصله على الماء ، كما تقول في بني الحارث : بلحارث . والبيت من شواهد القراء
في معاني القرآن (الورقة ٢٦٩) قال : وقوله « وإن كلّ لَمَّا جميع » : شدها (لَمَّا) الأعمش وعاصم ، وقد خففها قوم كثير من قراء
أهل المدينة . وبلغني أن عليا خففها ، وهو الوجه ؛ لأنها « ما » أدخلت عليها لام ، تكون جوابا لأن ، كأنك قلت : وإن كلّ لجميع =

والآخر : أن يكونوا أرادوا أن تكون (لَمَّا) بمعنى إلا ، مع إن خاصة ، فتكون نظيرة إنما إذا وضعت موضع «إلا» . وقد كان بعض نحوي الكوفة يقول : كأنها «لم» ضمت إليها «ما» ، فصارتا جميعا استثناء ، وخرجتا من حد الححد . وكان بعض أهل العربية يقول : لا أعرف وجه «لَمَّا» بالتشديد .
والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما قراءتان مشهورتان ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيـب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَيُّ لِهْمُ الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ أَحْيَيْنَهَا، وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَا كُلُّونَ، (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ
مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ، وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : ودلالة هؤلاء المشركين على قدرة الله على ما يشاء ، وعلى إحيائه من مات من خلقه ، وإعادته بعد فناءه ، كهيبته قبل مماته ، إحياءه الأرض الميتة ، التي لانبت فيها ولا زرع ، بالغيث الذي ينزله من السماء ، حتى يخرج زرعها ، ثم إخراجها منها الحب ، الذي هو قوت لهم وغذاء ، فنه يأكلون .
وقوله (وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا في هذه الأرض التي أحييناها بعد موتها ، بساتين من نخيل وأعناب (وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ) يقول : وأنبعنا فيها من عيون الماء .

القول في تأويل قوله تعالى

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ، أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : أنشأنا هذه الجنات في هذه الأرض ، ليأكل عبادي من ثمره ، وما عملت أيديهم : يقول : ليأكلوا من ثمر الجنات التي أنشأنا لهم ، وما عملت أيديهم ، مما غرسوا هم وزرعوا . و « ما » التي في قوله (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) : في موضع خفض ، عطفا على الثمر ، بمعنى : ومن الذي عملت ، هي في قراءة عبد الله فيما ذكر (وَمِمَّا عَمِلَتْهُ) بالهاء ، على هذا المعنى ، فالهاء في قراءتنا مضمرة ، لأن العرب تضممرها أحيانا ، وتظهرها في صلوات : من ، وما ، والذي . ولو قيل : « ما » بمعنى المصدر كان مذهبا ، فيكون معنى الكلام : ومن عمل أيديهم . ولو قيل : إنها بمعنى الححد ، ولا موضع لها ، كان أيضا مذهبا ، فيكون معنى الكلام : ليأكلوا من ثمره ، ولم تعمله أيديهم . وقوله (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) يقول : أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق ، من هذه الأرض الميتة التي أحييناها لهم ، من رزقهم ذلك ، وأنعم عليهم به :

= لدينا محضرون ؛ ولم يتقلها من ثقلها إلا عن صواب ، فإن ثبت أردت : وإن كل « لمن ما » جميع ، ثم حذف إحدى الميمات لكثرة تن ، كما قال « غداة طفت علماء . . . البيت » . والوجه الآخر من التثنية : أن يجعلوا « لما » بمنزلة « إلا » مع « إن » خاصة ، فتكون في مذهبها بمنزلة « إنما » إذا وضعت في معنى « إلا » ، كأنها « لم » ضمت إليها « ما » فصارتا جميعا حرفا واحدا ، وخرجتا من حد الححد . وكان الكسائي ينق هذا القول ، يقول : لا أعرف جهة « لما » في التشديد في القراءة . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢٠٤) : « وإن كل » : إذا خففت « إن » رفعتها بها ، وإن ثقلت نصبت . « لما » جميع « تفسيرها » : وإن كل لجميع . و « ما » : مجازها مجاز « مثلا ما بعوضة » ، و « عما قليل » .

وقال بعضهم في ذلك بما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) قال: وقت واحد لا تعدوه.

وقال آخرون: معنى ذلك: تجرى لجرى لها، إلى مقادير مواضعها، بمعنى: أنها تجرى إلى أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع ولا تجاوزه، قالوا: وذلك أنها لا تنزل تتقدم كل ليلة حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها، ثم ترجع.

وقوله (ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) يقول: هذا الذي وصفنا من جرى الشمس لمستقر لها، تقدير العزيز في انتقامه من أعدائه، العليم بمصالح خلقه، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يخفى عليه خافية.

القول في تأويل قوله تعالى

وَالْقَمَرَ قَدَّرَ لَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)

اختلفت القراء في قراءة قوله (وَالْقَمَرَ قَدَّرَ لَهُ مَنَازِلَ) فقرأه بعض المكيين، وبعض المدنين، وبعض البصريين: (وَالْقَمَرَ) رفعا عطفًا بها على الشمس، إذ كانت الشمس معطوفة على الليل، فأتبعوا القمر أيضا الشمس في الإعراب، لأنه أيضا من الآيات، كما الليل والنهار آيتان، فعلى هذه القراءة تأويل الكلام: وآية لهم القمر قدرناه منازل، وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنين وبعض البصريين، وعامة قراء الكوفة نصبا (وَالْقَمَرَ قَدَّرَ لَهُ) بمعنى: وقدرنا القمر منازل، كما فعلنا ذلك بالشمس، فردّوه على الهاء من الشمس في المعنى، لأن الواو التي فيها للفعل المتأخر.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فصيب، فتأويل الكلام: وآية لهم: تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتماهيه واستوائه، حتى عاد كالعرجون القديم، والعرجون: من العذق من الموضع النابت في النخلة، إلى موضع الشاربخ، وإنما شبهه جل ثناؤه بالعرجون القديم، والقديم هو اليابس، لأن ذلك من العذق، لا يكاد يوجد إلا متقوسا منحنيا، إذا قدم ويس، ولا يكاد أن يصاب مستويا معتدلا، كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكذلك القمر إذا كان في آخر الشهر قبل استساراه، صار في انحنائه وتقوسه نظير ذلك العرجون.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (حتى عاد كالعرجون القديم) يقول: أصل العذق العتيق.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (حتى عاد كالعرجون القديم) يعني بالعرجون: العذق اليابس.

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيْبَةَ ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (والقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) قال : كِعَدُّقِ النَّخْلَةِ إِذَا قَدُمُ فَانْحَى .
حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، قال : ثنا أبو يزيد الحرَّاز ، يعنى خالد بن حيان الرقي ، عن جعفر ابن برقان ، عن يزيد بن الأصم في قوله (حتى عاد كالعرجون القديم) قال : عَدُّقِ النَّخْلَةِ إِذَا قَدُمُ انْحَى .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد ، عن عكرمة ، في قوله :
(كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) قال : النَّخْلَةُ الْقَدِيمَةُ .

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى عن مجاهد (كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) قال : الْعِدْقُ الْيَابِسُ .
حدثني محمد بن عمر بن عليّ المقدمي وابن سنان القرَّاز ، قالا : ثنا أبو عاصم والمقدمي ، قال : سمعت أبا عاصم يقول : سمعت سليمان التيمي في قوله (حتى عاد كالعرجون القديم) قال : الْعِدْقُ .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حتى عاد كالعرجون القديم) قال : قَدَرَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ ، فَجَعَلَ يَنْقُصُ حَتَّىٰ كَانَ مِثْلَ عِدْقِ النَّخْلَةِ ، شَبَّهَ بِعِدْقِ النَّخْلَةِ .
وقوله (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) يقول تعالى ذكره : لَا الشَّمْسُ يَصْلَحُ لَهَا إِدْرَاكُ الْقَمَرِ ، فَيَذْهَبُ ضَوْءُهَا بِضَوْئِهِ ، فَتَكُونُ الْأَوْقَاتُ كُلُّهَا نَهَارًا لِأَنَّ اللَّيْلَ فِيهَا (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : وَلَا اللَّيْلُ بِفَائِتِ النَّهَارِ ، حَتَّىٰ تَذْهَبَ ظِلْمَتُهُ بِضِيَّائِهِ ، فَتَكُونُ الْأَوْقَاتُ كُلُّهَا لَيْلًا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، على اختلاف منهم في ألفاظهم في تأويل ذلك ، إلا أن معاني عامتهم الذي قلناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) قال : لَا يَشْبَهُ ضَوْءُهَا ضَوْءَ الْآخَرِ ، لَا يَنْبَغِي لَهَا ذَلِكَ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) قال : لَا يَشْبَهُ ضَوْءُ أَحَدِهِمَا ضَوْءَ الْآخَرِ ، وَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ لهما . وفي قوله (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) قال : يَتَطَالَبَانِ حَيْثُيْنِ ، يَنْسَلِخُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح : (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) قال : لَا يَدْرِكُ هَذَا ضَوْءَ هَذَا وَلَا هَذَا ضَوْءَ هَذَا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحَّاك يقول ، في قوله

(لَا الشَّمْسُ يُنَبِّغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) وهذا في ضوء القمر وضوء الشمس ، إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء ، وإذا طلع القمر بضوئه لم يكن للشمس ضوء (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) قال : في قضاء الله وعلمه أن لا يفوت الليل النهار حتى يدركه ، فيذهب ظلمته ، وفي قضاء الله أن لا يفوت النهار الليل حتى يدركه ، فيذهب بضوئه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا الشَّمْسُ يُنَبِّغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) ولكل حدٍّ وعلم لا يعده ، ولا يقصر دونه : إذا جاء سلطان هذا ، ذهب سلطان هذا ، وإذا جاء سلطان هذا ، ذهب سلطان هذا .

وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَا الشَّمْسُ يُنَبِّغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) يقول : إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر ، فإذا غابا غاب أحدهما بين يدي الآخر . وأن من قوله (أَنْ تُدْرِكَ) في موضع رفع بقوله : ينبغي .
وقوله (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يقول : وكل ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يجرون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا أبو الزعمان الحكم بن عبد الله العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) قال : في فلك كفلك المغزّل .
حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن أبي ابن نجيح ، عن مجاهد ، قال : مجرى كل واحد منهما ، يعني الليل والنهار : في فلك يسبحون : يجرون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) : أي في فلك السماء يسبحون .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) دوراناً ، يقول : دوراناً يسبحون : يقول : يجرون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يعني : كل في فلك في السموات .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢)

وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ ، وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : ودليل لهم أيضا ، وعلامة على قدرتنا على كل ما نشاء ، حملنا ذريتهم ، يعنى من نجا من ولد آدم فى سفينة نوح ، وإياها عنى جل ثناؤه بالفلك المشحون ، والفلك : هى السفينة ، والمشحون المملوء الموقر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله (أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) يقول : الممتلى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) يعنى المثقل .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد : (الْفُلُّ الْمَشْحُونُ) قال : الموقر .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، فى قوله (الْمَشْحُونِ) قال : المحمول .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) يعنى : سفينة نوح عليه السلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) الموقر ، يعنى سفينة نوح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الْفُلُّ الْمَشْحُونُ) قال : الفلك المشحون : المركب الذى كان فيه نوح ، والذرية التى كانت فى ذلك المركب ؛ قال : والمشحون : الذى قد شحى ، الذى قد جعل فيه ليركبه أهله ، جعلوا فيه ما يريدون ، فرجما امتلاً ، ورجما لم يمتلى .

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جببير ، عن ابن عباس ، قال : أتدرون ما الفلك المشحون ؟ قلنا : لا ، قال : هو الموقر .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملى ، قال : ثنا هارون ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (الْفُلُّ الْمَشْحُونُ) قال : الموقر .

وقوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) يقول تعالى ذكره : وخلقنا لهؤلاء المشركين المكذّبيك يا محمد ، تفضلاً منا عليهم ، من مثل ذلك الفلك الذي كنا حملنا من ذرية آدم من حملنا فيه ، الذي يركبونه من المراكب .

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله (ما يركبُونَ) فقال بعضهم : هي السفن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس قال : تدرون ما (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) ؟ قلنا : لا قال : هي السفن جعلت من بعد سفينة نوح على مثلها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك في قوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : السفن الصغار .

قال : ثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، في قوله : (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : السفن الصغار ، ألا ترى أنه قال : (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ) ؟

حدثنا ابن المنثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن في هذه الآية (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : السفن الصغار .

حدثنا حاتم بن بكر الضبي ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، عن شعبة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح : (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : السفن الصغار .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) يعني : السفن التي اتخذت بعدها ، يعني بعد سفينة نوح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : هي السفن التي ينتفع بها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : وهي هذه الفلك .

حدثني يونس ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله : (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : نعم من مثل سفينة .

وقال آخرون : بل عني بذلك الإبل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) يعنى : الإبل ، خَلَقَهَا اللهُ كما رأيت ، فهى سفن البرِّ ، يُحْمَلُونَ عليها ويركبونها .

حدثنا نصر بن على ، قال : ثنا غندر ، عن عثمان بن غياث ، عن عكرمة (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : الإبل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدى ، قال : قال عبد الله بن شداد (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) هى الإبل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : من الأنعام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : هى الإبل .
وأشبه القولين بتأويل ذلك قول من قال : عَسَى بِذَلِكَ السفن ، وذلك لدلالة قوله (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ) على أن ذلك كذلك ، وذلك أن الغرق معلوم أنه لا يكون إلا فى الماء ، ولا غرق فى البرِّ ، وقوله (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ) يقول تعالى ذكره : وإن نشأ نغرق هؤلاء المشركين إذا ركبوا الفلك فى البحر (فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ) يقول : فلا مغيث لهم إذا نحن غرقناهم يُخَيِّبُهُمْ ، فينجيهم من الغرق .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ) : [أى لا مغيث] .

وقوله (وَلَا هُمْ يُنقذُونَ) يقول : ولا هو ينقذهم من الغرق شيء ، إن نحن أغرقناهم فى البحر ، إلا أن ننقذهم نحن رحمة منا لهم ، فننجيهم منه .

وقوله (وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) يقول : ولنمتعهم إلى أجل هم بالغوه ، فكأنه قال : ولا هم يُنقذُونَ ، إلا أن نرحمهم فنمتعهم إلى أجل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) : أى إلى الموت .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ، وَمَا خَلْفَكُمْ ، لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥) ، وَمَا تَأْتِيهِمْ
مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهُؤلاء المشركين بالله ، المكذبين رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم :

احذروا ما مضى بين أيديكم من نعم الله ومثلاته بمن حل ذلك به من الأمم قبلكم، أن يحل مثله بكم، بشركم وتكذيبكم رسوله . (وَمَا خَلَقْنَاكُمْ) يقول : وما بعد هلاككم ، مما أنتم لاقوه إن هلكتم على كفركم الذي أنتم عليه (لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ) يقول : ليرحمكم ربكم إن أنتم حذرتهم ذلك ، واتقيتموه بالتوبة من شرككم ، والإيمان به ، ولزوم طاعته فيما أوجب عليكم من فرائضه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) : وقائع الله فيمن خلا قبلهم من الأمم ، وما خلفهم من أمر الساعة .
وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما بين أيديكم) قال : ما مضى من ذنوبهم ، وهذا القول قريب المعنى من القول الذي قلنا ، لأن معناه : اتقوا عقوبة ما بين أيديكم من ذنوبكم ، وما خلفكم ، مما تعملون من الذنوب ، ولم تعملوه بعد ، فذلك بعد تخويف لهم العقاب على كفرهم .
وقوله (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) يقول تعالى ذكره : وما تجيء هؤلاء المشركين من قریش آية ، يعنى حجة من حجج الله ، وعلامة من علاماته على حقيقة توحيده ، وتصديق رسوله ، إلا كانوا عنها معرضين ، لا يتفكرون فيها ، ولا يتدبرونها ، فيعلموا بها ما احتج الله عليهم بها .

فإن قال قائل : وأين جواب قوله : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلَقْنَاكُمْ) ؟ قيل : جوابه وجواب قوله (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ) . . . قوله (إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) ، لأن الإعراض منهم كان عن كل آية لله ، فاكتفى بالجواب عن قوله (اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) وعن قوله (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ) بالخبر عن إعراضهم عنها لذلك ، لأن معنى الكلام : وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا ، وإذا أتتهم آية أعرضوا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ، قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، أَنْطَعِمُ مِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ، إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل ل هؤلاء المشركين بالله : أنفقوا من رزق الله الذي رزقكم ، فأدثوا منه ما فرض الله عليكم فيه لأهل حاجتكم ومسكنتكم ، قال الذين أنكروا وحدانية الله ، وعبدوا من دونه ، للذين آمنوا بالله ورسوله ، أنطعم أموالنا وطعامنا من لو يشاء الله أطعمه .
وفى قوله (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) وجهان : أحدهما أن يكون من قبل الكفار للمؤمنين ،

فيكون تأويل الكلام حينئذ: ما أنتم أيها القوم في قيلكم لنا: أنفقوا مما رزقكم الله على مساكينكم، إلا في ذهاب عن الحق، وجور عن الرشد، مسيين لمن تأمله وتدبره، أنه في ضلال، وهذا أولى وجهيه بتأويله. والوجه الآخر: أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين، فيكون تأويله حينئذ: ما أنتم أيها الكافرون في قيلكم للمؤمنين: أنظعم من لو يشاء الله أطعمه، إلا في ضلال مبين، عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال.

القول في تأويل قول تعالى

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون المكذبون وعيد الله، والبعث بعد الممات، يستعجلون ربهم بالعذاب (متى هذا الوعد؟): أي الوعد بقيام الساعة (إن كنتم صادقين) أيها القوم، وهذا قولهم لأهل الإيمان بالله ورسوله.

القول في تأويل قول تعالى

مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره: ما ينظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم، إلا صيحة واحدة تأخذهم، وذلك نفخة الفزع عند قيام الساعة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل، وجاءت الآثار.

ذكر من قال ذلك، وما فيه من الأثر

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر، قالوا: ثنا عوف بن أبي جميلة، عن أبي المغيرة القواسم، عن عبد الله بن عمرو، قال: «لُيُنْفَخَنَّ فِي الصُّورِ، وَالنَّاسُ فِي طَرْفِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ، حَتَّىٰ إِنْ الثُّوبَ لِيَكُونَ بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ يَتَسَاوَمَانِ، فَمَا يُرْسَلُهُ أَحَدُهُمَا مِنْ يَدِهِ حَتَّىٰ يُنْفَخَ فِي الصُّورِ، وَحَتَّىٰ إِنْ الرَّجُلَ لِيُغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَلَا يَرْجِعُ حَتَّىٰ يَنْفَخَ فِي الصُّورِ، وَهِيَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) . . . الآية».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ). ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «تَهْبِجُ السَّاعَةُ بِالنَّاسِ وَالرَّجُلُ يَسْتَقِي مَا شِئْتَهُ، وَالرَّجُلُ يُصَلِّحُ حَوْضَهُ، وَالرَّجُلُ يُقِيمُ سِلْعَتَهُ فِي سَوْقِهِ، وَالرَّجُلُ يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرْفَعُهُ، وَتَهْبِجُ بِهِمْ وَهُمْ كَذَلِكَ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ».

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (ما ينظرون إلا صيحة واحدة) قال : النفخة نفخة واحدة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن إسماعيل بن رافع ، عن ذكره ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض ، خلق الصور ، فأعطاه إسرافيل ، فهو وأضعه على فيه ، شاخص يبصره إلى العرش ، ينتظر متى يؤمر ؟ قال أبو هريرة : يا رسول الله : وما الصور ؟ قال : قرن ، قال : وكيف هو ، قال : قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفحات ، الأولى نفخة الفرع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى ، فيقول : انفخ نفخة الفرع ، فينفخ أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله ، ويأمره الله فيدبمها ويطنونها ، فلا يتمر ، وهي التي يقول الله (ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لنا من فوق) ، ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق ، فيقول : انفخ نفخة الصعق ، فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ، فإذا هم خامدون ثم يميت من بقي ، فإذا لم يبق إلا الله الواحد الصمد ، بدّل الأرض غير الأرض والسموات ، فيبدّلها ويسطحها ، ويمدّها مدّة الأديم العكاظي ، لا تترى فيها عوجا ولا أمنا ، ثم يزجر الله الخلق زجرة ، فإذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم من الأولى ، ما كان في بطونها كان في بطونها ، وما كان على ظهرها كان على ظهرها . »

واختلفت القراءة في قوله (وهم يختصمون) فقرأ ذلك بعض قرآء المدينة (وهم يختصمون) بسكون الخاء وتشديد الصاد ، فجمع بين الساكنين ، بمعنى : يختصمون ، ثم أدمم التاء في الصاد ، فجعلها صادًا مشددة ، وترك الخاء على سكونها في الأصل . وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين (وهم يختصمون) بفتح الخاء وتشديد الصاد ، بمعنى : يختصمون ، غير أنهم نقلوا حركة التاء ، وهي الفتحة التي في (يفتعلون) إلى الخاء منها ، فحركوها بتحريكها ، وأدمموا التاء في الصاد وشدّوها . وقرأ ذلك بعض قرآء الكوفة : (يختصمون) بكسر الخاء ، وتشديد الصاد ، فكسروا الخاء بكسر الصاد ، وأدمموا التاء في الصاد وشدّوها . وقرأ ذلك آخرون منهم (يختصمون) بسكون الخاء وتخفيف الصاد ، بمعنى (يفتعلون) من الخصومة ، وكان معنى قارئ ذلك كذلك : كأنهم يتكلمون ، أو يكون معناه عنده : كان وهم عند أنفسهم يختصمون من وعدم مجيء الساعة ، وقيام القيامة ، ويغلبونه بالجدل في ذلك .

والصواب من القول في ذلك عندنا أن هذه قراءات مشهورات ، ومعروفات في قرآء الأمصار ، متقاربات المعاني ، فبأيهن قرأ القارئ فصيب .

وقوله (فلا يستطيعون توصية) يقول تعالى ذكره : فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ

في الصُّور أن يوصوا في أموالهم أحدا (وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) يقول : ولا يستطيع من كان منهم خارجا عن أهله أن يرجع إليهم ، لأنهم لا يُمهلون بذلك . ولكن يُعَجَّلون بالهلاك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) : أي فيما في أيديهم (وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) قال : أُعْجِلُوا عن ذلك .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) . . . الآية ، قال : هذا مبتدأ يوم القيامة ، وقرأ (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) حتى بلغ (إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا : يَا وَيْلَنَا ، مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ؟ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ، وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ، فَإِذَا هُم جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) ، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين ، والصواب من القول فيه بشواهد فيما مضى قبل . ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، ويُعْتَنَى بهذه النفخة ، نفخة البعث .
وقوله (فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ) يعني من أجسادهم ، وهي قبورهم ، واحدا جَدَث ، وفيها لغتان ، فأما أهل العالية ، فتقوله بالثاء : جَدَث ، وأما أهل السافلة فتقوله بالفاء : جَدَف .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (مِن مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) يقول : من القبور .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ) : أي من القبور .
وقوله (إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) يقول : إلى ربهم يخرجون سِراعا ، والنَّسْلَان : الإسراع في المشي .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَنْسِلُونَ) يقول : يخرجون .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) : أى يخرجون ، وقوله (قَالُوا : يَا وَيْلَتَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ، هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء المشركون لما نُفِخَ في الصور نفخة البعث ، لموقف القيامة ، فردت أرواحهم إلى أجسامهم ، وذلك بعد نومة ناموها (يا وَيْلَتَنَا ، مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ؟) وقد قيل : إن ذلك نومة بين النفختين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن خيشمة ، عن الحسن ، عن أبي بن كعب ، فى قوله (يا وَيْلَتَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) قال : ناموا نومة قبل البعث .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن رجل يقال له خيشمة فى قوله (يا وَيْلَتَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) قال : ينامون نومة قبل البعث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالُوا يَا وَيْلَتَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ؟) هذا قول أهل الضلالة . والرقدة : ما بين النفختين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يا وَيْلَتَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا) قال : الكافرون يقولونه .

ويعنى بقوله (مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا) من أيقظنا من منامنا ، وهو من قولهم : بعث فلان ناقته فانبعث ، إذا أثارها فنارت . وقد ذكر أن ذلك فى قراءة ابن مسعود (مَنْ أَهْبَتْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا) . وفى قوله « هَذَا » وجهان : أحدهما : أن تكون إشارة إلى « ما » ، ويكون ذلك كلاما مبتدأ بعد تناهى الخبر الأول بقوله (مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ؟) فتكون « ما » حينئذ مرفوعة بهذا ، ويكون معنى الكلام : هذا وعد الرحمن ، وصدق المرسلون . والوجه الآخر : أن تكون من صفة المرقد ، وتكون خفصا ، رداً على المرقد ، وعند تمام الخبر عن الأول ، فيكون معنى الكلام : من بعثنا من مرقدنا هذا ، ثم يبتدىء الكلام فيقال : ما وعد الرحمن ، بمعنى : بعثكم وعد الرحمن ، فتكون « ما » حينئذ رفعا على هذا المعنى .

وقد اختلف أهل التأويل فى الذى يقول حينئذ : هذا ما وعد الرحمن ، فقال بعضهم : يقول ذلك أهل الإيمان بالله .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ) مما سر المؤمنون يقولون هذا حين البعث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) قال : قال أهل الهدى : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون .
وقال آخرون : بل كلا القولين ، أعني (يَا وَيْلَتَنَا مَنِ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) : من قول الكفار .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَا وَيْلَتَنَا مَنِ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا) ثم قال بعضهم لبعض : (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) كانوا أخبرونا أنا نبعت بعد الموت ، ونحاسب ونجازي .

والقول الأول : أشبه بظاهر التنزيل ، وهو أن يكون من كلام المؤمنين ، لأن الكفار في قيلهم (مَنِ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ؟) دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مرقدهم جهلاً ، ولذلك من جهلهم استنبتوا ، ومحال أن يكونوا استنبتوا ذلك إلا من غيرهم ، ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك .
وقوله (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) يقول تعالى ذكره إن كانت إعادتهم أحياء بعد مماتهم إلا صيحة واحدة ، وهي النفخة الثالثة في الصور (فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) يقول : فإذا هم مجتمعون لدينا قد أحضروا ، فأشهدوا موقف العرض والحساب ، لم يتخلف عنه منهم أحد . وقد بينا اختلاف المختلفين في قراءتهم (إِلَّا صَيْحَةً) بالنصب والرفع فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ

فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره (فالْيَوْمَ) يعني يوم القيامة (لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا) كذلك ربنا لا يظلم نفساً شيئاً ، فلا يوفى بها جزاء عملها الصالح ، ولا يحمل عليها وزر غيرها ، ولكنه يوفى كل نفس أجر ما عملت من صالح ، ولا يعاقبها إلا بما اجترمت واكتسبت من شيء (وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : ولا تكافئون إلا مكافأة أعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا .

وقوله (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ) اختلف أهل التأويل في معنى الشغل الذي وصف الله جل ثناؤه أصحاب الجنة أنهم فيه يوم القيامة ، فقال بعضهم : ذلك افتضاض العذارى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شير بن عطية ، عن شقيق بن سلمة ،

عن عبد الله بن مسعود ، في قوله (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِيهُونَ) قال : شغلهم افتضاض العذارى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن أبي عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِيهُونَ) قال : افتضاض الأبقار .

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِيهُونَ) قال : افتضاض الأبقار .

حدثني الحسن بن زُرَيْقِ الطَّهَوِيِّ ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني الحسين بن عليّ الصدائى ، قال : ثنا أبو النضر ، عن الأشجعيّ ، عن وائل بن داود ، عن سعيد بن المسيب ، في قوله (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِيهُونَ) قال : في افتضاض العذارى . وقال آخرون : بل عَسَىٰ بذلك : أنهم في نعمة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِيهُونَ) قال : في نعمة .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان ، عن جُوَيْرٍ ، عن أبي سهل ، عن الحسن ، في قول الله : (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) . . . الآية ، قال : شَغَلَهُمُ النِّعَمُ عما فيه أهل النار من العذاب . وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم في شغل عما فيه أهل النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن عليّ الجهضمي ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن أبان بن تغلب ، عن إسماعيل ابن أبي خالد (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) . . . الآية ، قال : في شغل عما يلقي أهل النار .
 وَأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال كما قال الله جل ثناؤه : (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) وهم أهلها ، (فِي شُغْلٍ فَكِيهُونَ) بنعم تأتيهم في شغل ، وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة ، وافتضاض أبقار ، وهو ولذّة ، وشغل عما يلقي أهل النار .

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله (فِي شُغْلٍ) ، فقرأت ذلك عامة قراء المدينة . وبعض البصريين على اختلاف عنه (فِي شُغْلٍ) بضم الشين وتسكين الغين . وقد رُوِيَ عن أبي عمرو الضم في الشين والتسكين في الغين ، والفتح في الشين والغين جميعا في شغل . وقرأ ذلك بعض أهل المدينة والبصرة وعامة قراء أهل الكوفة (فِي شُغْلٍ) بضم الشين والغين .

والصواب في ذلك عندي : قراءته بضم الشين والغين ، أو بضم الشين وسكون الغين ، بأي ذلك قرأه القارى

فهو مصيب ، لأن ذلك هو القراءة المعروفة في قرآء الأمصار مع تقارب معنيهما . وأما قرآءته بفتح الشين والغين ، فغير جائزة عندي ، لإجماع الحجة من القرآء على خلافها .
واختلفوا أيضا في قراءة قوله (فَاكِهُونَ) فقرأت ذلك عامة قرآء الأمصار (فَاكِهُونَ) بالألف .
وذكر عن أبي جعفر القارئ ، أنه كان يقرؤه (فَاكِهُونَ) بغير ألف .
والصواب من القراءة في ذلك عندي : قراءة من قرأه بالألف ، لأن ذلك هو القراءة المعروفة .
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فرحون .
ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (في شُغُلٍ فَاكِهُونَ) يقول : فرحون .
وقال آخرون : معناه : عجبون .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَاكِهُونَ) قال : عجبون .
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَاكِهُونَ) قال : عجبون .

واختلف أهل العلم بكلام العرب في ذلك ، فقال بعض البصريين : منهم الفكه الذي يتفكّه . وقال : تقول العرب للرجل الذي يتفكّه بالطعام أو بالفاكهة ، أو بأعراض الناس : إن فلانا لفكّه بأعراض الناس ، قال : ومن قرأها (فَاكِهُونَ) جعله كثير الفواكه ، صاحب فاكهة ، واستشهد لقوله ذلك بيت الحطيطية :
وَدَعَوْتَنِي وَرَعَمْتَ أُنْكَ لَابِنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرًا
أى عنده لبن كثير ، وتمر كثير ، وكذلك عاسل ، ولاحم ، وشاحم . وقال بعض الكوفيين : ذلك بمنزلة حاذرون وحذرون ، وهذا القول الثاني أشبه بالكلمة .

القول في تأويل قوله تعالى

هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْآئِكِ مُتَكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ (٥٧)

سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ (٥٨)

(١) البيت للحطيطية ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٠٧ - ١) قال في تفسير قوله تعالى : « في شغل فكهون » : الفكه الذي يتفكّه ، تقول العرب للرجل إذا كان يتفكّه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس : إن فلانا لفكّه بأعراض الناس . ومن قرأها « فاكهون » : جعلها كثير الفواكه ، صاحب فاكهة : قال الحطيطية : « ودعوتني . . . » البيت ، أى عنده لبن كثير ، وتمر كثير . وكذلك عاسل ، ولاحم ، وشاحم . اهـ . وفي (اللسان : فكه) : رجل فكه : يأكل الفاكهة ، وفاكه : عنده فاكهة . وكلاهما على النسب . أبو معاذ النهوي : الفاكه : الذي كثرت فاكهته . والفكه : الذي ينال من أعراض الناس . اهـ .

﴿ يعني تعالى بقوله (هُمْ) أصحاب الجنة (وَأَزْوَاجُهُمْ) من أهل الجنة في الجنة .

كما حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ) قال : حلالهم في ظلل .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (فِي ظُلُلٍ) بمعنى : جمع ظلة ، كما تُجمع الحُلَّة حُلَلًا . وقرأه آخرون : (فِي ظِلَالٍ) وإذا قرئ ذلك كذلك كان له وجهان : أحدهما : أن يكون مراداً به جمع الظلل الذي هو بمعنى الكين ، فيكون معنى الكلمة حينئذ : هم وأزواجهم في كين لا يضحون لشمس كما يضحى لها أهل الدنيا ، لأنه لا شمس فيها . والآخر : أن يكون مراداً به جمع ظلة ، فيكون وجه جمعها كذلك نظير جمعهم الحُلَّة في الكثرة : الحلال ، والقلَّة : قلال .

وقوله (عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ) والأرائك : هي الحجال فيها السرر والفرش : واحدها أريكة . وكان بعضهم يزعم أن كل فراش أريكة ، ويستشهد لقوله ذلك بقول ذى الرمة :

كأَنَّما يَبْأَثِرْنَ بِالْمَعْرَافِ مَسَّ الْأَرَائِكِ ١

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله : (عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ) قال : هي السرر في الحجال .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن مجاهد ، في قول الله (عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ) قال : الأرائك : السرر عليها الحجال .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال ثنا سفيان ، قال : ثنا حصين ، عن مجاهد ، في قوله : (مُتَكِئِينَ عَلَى الْأَرَائِكِ) قال : الأرائك : السرر في الحجال .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن مجاهد ، في قوله (عَلَى الْأَرَائِكِ) قال : سرر عليها الحجال .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : زعم محمد أن عكرمة قال : الأرائك : السرر في الحجال .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن ، وسأله رجل عن الأرائك

= وفي معاني القرآن للفراء (مصورة الجامعة ص ٢٧٠) : وقوله « فاكهون » بالألف ، وتقرأ « فكهون » . وهي بمنزلة « حذرون » و « حاذرون » . وهي في قراءة عبد الله : « فاكهين » بالألف . وقد نقله عنه المؤلف ، ورجحه .

(١) هذا جزء من بيت لذي الرمة (ديوانه ٤٢٢) وصدره : « خدودا جفت في السير حتى كأنما » . . . خدودا منصوب مفعول به لكسا في البيت الذي قبله . وقال شارح ديوانه : أراد كسوا حيث موتت الرياح خدودا . . . الخ . أي صبروا المكان الذي ناموا فيه كسوة الخلود . هـ . والمعزاء : الأرض فيها الحجارة والحصى . والأرائك : واحدها أريكة وهي السرير في الحجلة . يقول : من شدة النوم يرون الأرض ذات الحجارة مثل الفرش على الأرائك . واستشهد أبو عبيدة بالبيت في مجاز القرآن (الورقة ٢٠٧) عند قوله تعالى « على الأرائك » وقال : واحدها : أريكة ، وهو الفرش في الحجال . قال ذو الرمة : « خدودا . . . البيت » ، جعلها فراشا .

قال: هي الحججال. أهل اليمن، يقولون: أريكة فلان، وسمعت عكرمة، وسئل عنها فقال: هي الحججال على السرر. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (على الأرائك مشكثون) قال: هي الحججال فيها السرر.

وقوله (لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ): يقول هؤلاء الذين ذكروهم تبارك وتعالى من أهل الجنة في الجنة فاكهة. (وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ) يقول: : ولم فيها ما يسمنون. وذكر عن العرب أنها تقول: دع على ماشئت: أي: تمن على ماشئت.

وقوله (سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ) في رفع سلام وجهان، في قول بعض نحوي الكوفة: أحدهما: أن يكون خبر الما يدعون، فيكون معنى الكلام: ولم ما يدعون مسلم لهم خالص. وإذا وجّه معنى الكلام إلى ذلك، كان القول حينئذ منصوباً، توكيداً خارجاً من السلام، كأنه قيل: ولم فيها ما يدعون مسلم خالص حقاً، كأنه قيل: قاله قولاً. والوجه الثاني: أن يكون قوله (سَلَامٌ) مرفوعاً على المدح، بمعنى: هو سلام لهم قولاً من الله. وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله (سَلَامًا قَوْلًا) على أن الخبر متناه عند قوله: (وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ) ثم نصب سلاماً على التوكيد، بمعنى: مسلماً قولاً. وكان بعض نحوي البصرة يقول: انتصب قولاً على البدل من اللفظ بالفعل، كأنه قال: أقول ذلك قولاً. قال: ومن نصبها، نصبها على خبر المعرفة على قوله (وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَدْعُونَ).

والذي هو أولى بالصواب، على ما جاء به الخبر عن محمد بن كعب القرظي: أن يكون (سَلَامٌ) خبراً لقوله (وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ)، فيكون معنى ذلك: ولم فيها ما يدعون، وذلك هو سلام من الله عليهم، بمعنى: تسليم من الله، ويكون سلام ترجمة عما يدعون، ويكون القول خارجاً من قوله: سلام.

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لما حدثنا به إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: ثنا أبو عبد الرحمن المقرئ عن حرمة، عن سليمان بن حميد، قال: سمعت محمد بن كعب، يحدث عمر بن عبد العزيز، قال: «إذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار، أقبل يمشي في ظلل من الغمام والملائكة، فيقف على أول أهل درجة، فيسلم عليهم، فيردون عليه السلام، وهو في القرآن (سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ) فيقول: سلّوا، فيقولون: ما نسألك وعزتك وجلالك، لو أنك قسمت بيننا أرزاق الثقلين لأطعمناهم وسقيناهم وكسوناهم، فيقول: سلّوا، فيقولون: نسألك رضاك، فيقول: رضائي أحلكم دار كرامتي، فيفعل ذلك بأهل كل درجة حتى ينتهي، قال: ولو أن امرأة من الحور العين طلعت، لأطفأ ضوء سوارها الشمس والقمر، فكيف بالمسورة».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا حرمة، عن سليمان بن حميد، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عمر بن عبد العزيز، قال: «إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار، أقبل في ظلل من الغمام والملائكة، قال: فيسلم على أهل الجنة، فيردون عليه السلام، قال القرظي: وهذا في كتاب الله (سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ)؟ فيقول: سلّوني، فيقولون: ماذا نسألك؟ أي ربّ، قال: بل سلّوني،

قالوا : نسألك أي ربّ رضاك ، قال : رضائي أحلكم دار كرامتي ، قالوا : يا ربّ وما الذي نسألك ؟ فوعزتك وجلالك ، وارتفاع مكانك ، لو قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم ، ولأسقيناهم ، ولألبسناهم ولأخدمناهم ، لا ينقصنا ذلك شيئا ، قال : إن لدى مزيدا ، قال : فيفعل الله ذلك بهم في درجهم ، حتى يستوي في مجلسه ، قال : ثم تأتيهم التحف من الله تحملها إليهم الملائكة . ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عبد الرحمن ، قال : ثنا حرملة ، قال : ثنا سليمان بن حميد ، أنه سمع محمد بن كعب القرظي يحدث عمر بن عبد العزيز ، قال : « إذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار ، أقبل يمشي في ظلل من الغمام ويقف ، قال : ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : فيقولون : فإذا نسألك يا ربّ ؟ فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك ، لو أنك قسمت علينا أرزاق الثقلين ، الجن والإنس . لأطعمناهم ، ولأسقيناهم ، ولأخدمناهم ، من غير أن ينتقص ذلك شيئا مما عندنا ، قال : بلى فسوفي ، قالوا : نسألك رضاك قال : رضائي أحلكم دار كرامتي ، فيفعل هذا بأهل كل درجة ، حتى ينتهي إلى مجلسه . وسائر الحديث مثله . فهذا القول الذي قاله محمد بن كعب ، ينبي عن أن « سلام » بيان عن قوله (ما يدعون) ، وأن القول خارج من السلام . وقوله (من ربّ رحيم) يعني : رحيم بهم ، إذ لم يعاقبهم بما سلف لهم من من جرّم في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَمْتَارُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ، يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١)

يعني بقوله (وأمتاروا) : تميزوا ، وهي افعلوا ، من ماز يميز ، فعل يفعل منه : امتاز يمتاز امتيازاً . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأمتاروا اليوم أيها المجرمون) قال : عزّلوا عن كل خير .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن إسماعيل بن رافع ، عن حماد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم ، فيخرج منها عنق ساطع مظلم ، ثم يقول : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) . . . الآية ، إلى قوله (هذه جهنم التي كنتم تؤعدون ، وأمتاروا اليوم أيها المجرمون) ، فيتمسيز الناس ويحشون ، وهي قول الله : (وتبرئ كل أمة) . . . الآية .

فتأويل الكلام إذن : وتميزوا من المؤمنين اليوم أيها الكافرون بالله ، فإنكم واردون غير موردهم ، داخلون غير مدخلهم .

وقوله (أَلَمْ أَعْهَدْ لِيَتَّبِعُوا كَلِمَةَ رَبِّهِمْ وَأَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ) ، وفي الكلام متروك استغنى بدلالة الكلام عليه منه ، وهو ثم يقال : ألم أعهد إليكم يا بني آدم ، يقول : ألم أوصمكم وأمركم في الدنيا أن لاتعبدوا الشيطان ، فتطيعوه في معصية الله (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) يقول : وأقول لكم : إن الشيطان لكم عدو مبين ، قد أبان لكم عدواته ، بامتناعه من السجود لأبيكم آدم ، حسدا منه له ، على ما كان الله أعطاه من الكرامة ، وغروره إياه ، حتى أخرجه وزوجته من الجنة .
وقوله (وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) يقول : وألم أعهد إليكم أن اعبدوني دون كل ما سواي من الآلهة والأنداد ، وإياي فأطيعوا ، فإن إخلاص عبادتي ، وإفراد طاعتي ، ومعصية الشيطان ، هو الدين الصحيح ، والطريق المستقيم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا) : ولقد صد الشيطان منكم خلقا كثيرا عن طاعتي ، وإفراذى بالآلوهة حتى عبده ، واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا) قال : خلقا .
واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين (جِبِلًّا) بكسر الجيم ، وتشديد اللام ، وكان بعض المكيين وعامة قراء الكوفة يقرءونه (جِبْلًا) بضم الجيم والباء ، وتخفيف اللام . وكان بعض قراء البصرة يقرؤه (جِبْلًا) بضم الجيم . وتسكين الباء ، وكل هذه لغات معروفة ، غير أني لأحب القراءة في ذلك إلا بإحدى القراءتين اللتين إحداهما بكسر الجيم وتشديد اللام ، والأخرى : ضم الجيم والباء وتخفيف اللام ، لأن ذلك هو القراءة التي عليها عامة قراء الأمصار .

وقوله (أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) يقول : أفلم تكونوا تعقلون أيها المشركون ، إذ أطعم الشيطان في عبادة غير الله ، أنه لا ينبغي لكم أن تطيعوا عدوكم وعدو الله ، وتعبدوا غير الله . وقوله (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) يقول : هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله ، وتكذيبكم رسله ، فكنتم بها تكذبون . وقيل : إن جهنم أول باب من أبواب النار . وقوله (أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) يقول : احرقوها اليوم وردوها ، يعني باليوم : يوم القيامة (بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) : يقول : بما كنتم تجحدونها في الدنيا ، وتكذبون بها .

القول في تأويل قوله تعالى

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ، وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ، وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥)

يعنى تعالى ذكره بقوله (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ) : اليوم نطبع على أفواه المشركين ، وذلك يوم القيامة (وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ) بما عملوا في الدنيا من معاصي الله (وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ) قيل : إن الذى ينطق من أرجلهم : أفخاذهم من الرجل اليسرى (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) في الدنيا من الآثام .
وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّةَ ، قال : ثنا يونس بن عُبَيْد ، عن حميد بن هلال ، قال : قال أبو بُرْدَةَ : قال أبو موسى : « يُدْعَى الْمُؤْمِنُ لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَعْرَضُ عَلَيْهِ رَبُّهُ عَمَلَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، فَيَعْتَرِفُ فَيَقُولُ : نَعَمْ أَيْ رَبِّ ، عَمَلْتُ عَمَلْتُ عَمَلْتُ ، قَالَ : فَيَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ ، وَيَسْتَرُهُ مِنْهَا ، فَمَا عَلَى الْأَرْضِ خَلِيقَةٌ تَرَى مِنْ تِلْكَ الذُّنُوبِ شَيْئًا ، وَتَبْدُو حَسَنَاتِهِ ، فَوَدَّ أَنْ النَّاسَ كُلَّهُمْ يَرَوْهَا ، وَيُدْعَى الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ لِلْحِسَابِ ، فَيَعْرَضُ عَلَيْهِ رَبُّهُ عَمَلَهُ فَيَجْحَدُهُ ، وَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، وَعَزَّتْكَ لَقَدْ كَتَبَ عَلَيَّ هَذَا الْمَلِكُ مَا لَمْ أَعْمَلْ ، فَيَقُولُ لَهُ الْمَلِكُ : أَمَا عَمَلْتَ كَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا فِي مَكَانٍ كَذَا ؟ فَيَقُولُ : لَا وَعَزَّتْكَ أَيْ رَبِّ ، مَا عَمَلْتُهُ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ خَتَمَ عَلَيْهِ . قَالَ الْأَشْعَرِيُّ : فَإِنِّي أَحْسِبُ أَوَّلَ مَا يَنْطِقُ مِنْهُ لِفَخْذِهِ الْيَمِينِي ، ثُمَّ تَلَا : (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ ، وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ ، وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .
حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا يحيى ، عن أبي بكر بن عِيَّاشٍ ، عن الأعمش ، عن الشعبي ، قال : « يُقَالُ لِلرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : عَمَلْتَ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : مَا عَمَلْتُ ، فَيَخْتَمُ عَلَيْهِ ، وَتَنْطِقُ جَوَارِحُهُ ، فَيَقُولُ لْجَوَارِحِ : أَبْعَدَ كُنَّ اللَّهُ مَا خَاصَمْتَ إِلَّا فَيَكُنَّ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ) . . . الآية ، قال : قد كانت خصومات وكلام ، فكان هذا آخره ، (وَنَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ) .

حدثني محمد بن عوف الطائى ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن عِيَّاشٍ ، عن ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن عقبة بن عامر ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أَوَّلُ شَيْءٍ يَتَكَلَّمُ مِنْ الْإِنْسَانِ ، يَوْمَ يَخْتِمُ اللَّهُ عَلَى الْأَفْوَاهِ ، فَخِذُهُ مِنْ رِجْلِهِ الْيُسْرَى » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ

عَلَىٰ مَكَاتِهِمْ ، فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (٦٧)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : ولو نشاء لأعميهم عن الهدى ، وأضللناهم عن قصد المَحَجَّةِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) يقول : أضللتهم وأعميتهم عن الهدى . وقال آخرون : معنى ذلك : ولو نشاء لتركناهم عميا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) قال : لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عميا يتردّون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) يقول : لو شئنا لتركناهم عميا يتردّون . وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقتادة أشبه بتأويل الكلام ، لأن الله إنما تهدّد به قوما كفارا ، فلا وجه لأن يقال : وهم كفار ، لو نشاء لأضللتناهم وقد أضلهم ، ولكنه قال : لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم ، فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عميا لا يبصرون طريقا ، ولا يهتدون له ، والطمس على العين : هو ألا يكون بين جفني العين غرّاً ، وذلك هو الشقّ الذي بين الجفنين^١ ، كما تطمس الريح الأثر ، يقال : أعمى مطموس وطميس . وقوله (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) يقول : فابتدروا الطريق .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) قال الطريق . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) : أي الطريق . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) قال : الصراط : الطريق .

وقوله (فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) يقول : فأى وجه يبصرون أن يسلكوه من الطرق ، وقد طمسنا على أعينهم . كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) وقد طمسنا على أعينهم .

وقال الذين وجهوا تأويل قوله (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) إلى أنه معنى به العمى عن الهدى : تأويل قوله (فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) : فأنى يهتدون للحق .

(١) كذا في مجاز القرآن لأبي عبيدة (مصورة الجامعة ، الورقة ٢٠٧) .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (فَأَتَى بُصَيْرُونَ) يقول : فكيف يهتدون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَأَتَى بُصَيْرُونَ) يقول : لا يبصرون الحق .

وقوله (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ) يقول تعالى ذكره : ولو نشاء لأقعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم (فَأَمَّا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ) يقول : فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ، ولا أن يرجعوا وراءهم .
وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : نحو الذي قلنا في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ) قال : لو نشاء لأقعدناهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، ثنا سعيد عن قتادة (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ) : أي لأقعدناهم على أرجلهم (فَأَمَّا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ) فلم يستطيعوا أن يتقدموا ولا تأخروا . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولو نشاء لأهلكناهم في منازلهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ) : أي لو نشاء لأقعدناهم في مساكنهم ، والمكانة والمكان بمعنى واحد . وقد بينا ذلك فيما مضى قبل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ ؟ (٦٨) وَمَا عَلَّمَهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ) (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ) فتمدد له في العمر (نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) نردّه إلى مثل حاله في الصبا من الهرم والكبر ، وذلك هو النكس في الخلق ، فيصير لا يعلم شيئا بعد العلم الذي كان يعلمه .
وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) يقول : من تمدد له في العمر نكسه في الخلق ، لكيلا يعلم بعد علم شيئا ، يعني الهرم .

واختلفت القراءة في قراءة قوله (نُنَكِّسُهُ) فقراءه عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : (نَنَكِّسُهُ) بفتح النون الأولى ، وتسكين الثانية ، وقراءته عامة قراء الكوفة (نُنَكِّسُهُ) بضم النون الأولى وفتح الثانية ، وتشديد الكاف .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار ، فأبتهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن التي عليها عامة قراء الكوفيين أعجب إلى ، لأن التنكيس من الله في الخلق إنما هو حال بعد حال ، وشيء بعد شيء ، فذلك تأييد للتشديد .

وكذلك اختلفوا في قراءة قوله (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) فقراءته قراء المدينة (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) بالثاء على وجه الخطاب . وقراءته قراء الكوفة بالياء على الخبر ، وقراءة ذلك بالياء أشبه بظاهر التنزيل ، لأنه احتجاج من الله على المشركين الذين قال (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ) فأخرج ذلك خبراً على نحو ماخرج قوله (لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ) أعجب إلى ، وإن كان الآخر غير مدفوع .

ويعنى تعالى ذكره بقوله (أَفَلَا يَعْقِلُونَ ؟) : أفلا يعقل هؤلاء المشركون قدرة الله على ما يشاء بمعابنتهم ما يعابنون من تصرفه خلقه فيما شاء وأحب ، من صغر إلى كبير ، ومن تنكيس بعد كبر في هرم .

وقوله (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) يقول تعالى ذكره : وما علمنا محمدا الشعر ، وما ينبغي له أن يكون شاعرا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) قال : « قيل لعائشة : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت : كان أبغض الحديث إليه ، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس ، فيجعل آخره أوله ، وأوله آخره ، فقال له أبو بكر : إنه ليس هكذا ، فقال نبي الله : إني والله ما أنا بشاعر ، ولا يَنْبَغِي لي » .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذَكَرُ) يقول تعالى ذكره : ما هو إلا ذكر ، يعنى بقوله (إِنَّهُ هُوَ) : أى محمداً إلا ذكر لكم أيها الناس ، ذكركم الله بإرساله إياهم إليكم ، وتبهم به على حظكم . (وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ) يقول : وهذا الذي جاءكم به محمد قرآن مبين ، يقول : يبين لمن تدبره بعقل ولب ، أنه تنزيل من الله ، أنزله إلى محمد . وأنه ليس بشعر ولا يجمع كاهن .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ) قال : هذا القرآن . وقوله (لَيْسَ لَكَ مِنَ الشَّيْءِ حَيٌّ) يقول : إن محمداً إلا ذكر لكم لينذر منكم ، أيها الناس من كان حي القلب ، يعقل ما يقال له ، ويفهم ما يُبَسِّئ له ، غير ميت الفؤاد بليد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن رجل ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، في قوله :

(لَيْسَ لَكَ مِنَ الشَّيْءِ حَيٌّ) قال : من كان عاقلاً .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيُسْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) : حتى القلب ، حتى البصر .

قوله (وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) يقول : ويحق العذاب على أهل الكفر بالله ، الموليين عن اتباعه ، المعرضين عما أتاهم به من عند الله .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) بأعمالهم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢)

يقول تعالى ذكره (أَوَلَمْ يَرَوْا) هؤلاء المشركون بالله الآلهة والأوثان (أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) يقول : مما خلقنا من الخلق (أَنْعَامًا) وهي المواشى التي خلقها الله لبنى آدم ، فسخرها لهم من الإبل والبقر والغنم (فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) يقول : فهم لها مصرفون كيف شاءوا بالقهر منهم لها والضبط .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) : أى ضابطون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) فقيل له : أى الإبل ؟ فقال : نعم ، قال : والبقر من الأنعام ، وليست بداخلة في هذه الآية ، قال : والإبل والبقر والغنم من الأنعام ، وقرأ (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) قال : والبقر والإبل هي النعم ، وليست تدخل الشاء في النعم .

وقوله (وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ) يقول : وذللنا هذه الأنعام لهم (فَفِيْنَهَا رَكُوبُهُمْ) يقول : فيها ما يركبون كالإبل يسافرون عليها ، يقال : هذه دابة ركوب ، والركوب بالضم : هو الفعل (وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) لحومها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَفِيْنَهَا رَكُوبُهُمْ) : يركبونها يسافرون عليها (وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) لحومها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ، أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ
يُنصَرُونَ (٧٤)

يقول تعالى ذكره : ولهم في هذه الأنعام منافع ، وذلك منافع في أصوافها وأوبارها وأشعارها ، باتخاذهم
من ذلك أثاثا ومتاعا ، ومن جلودها أكنانا ، ومشارب يشربون ألبانها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) : يلبسون أصوافها
(وَمَشَارِبُ) يشربون ألبانها .

وقوله (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) يقول : أفلا يشكرون نعمتي هذه ، وإحساني إليهم بطاعتي ، وإفراد
الالهوية لي والعبادة ، وترك طاعة الشيطان وعبادة الأصنام .

قوله (وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً) يقول : واتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها ،
(لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ) يقول : طمعا أن تنصرهم تلك الآلهة من عقاب الله وعذابه .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ ، (٧٥) فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ
مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦)

يقول تعالى ذكره : لا يستطيع هذه الآلهة نصرهم من الله إن أراد بهم سوءا ، ولا تدفع عنهم ضرا .
وقوله (وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ) يقول : وهؤلاء المشركون لأنهم جند محضرون .
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (مُّحَضَّرُونَ) وأين حضورهم إياهم ، فقال بعضهم : عنى بذلك :
وهم لهم جند محضرون عند الحساب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ) قال :
عند الحساب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وهم لهم جند محضرون في الدنيا يغضبون لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ) الآلهة
(وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ) والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا ، وهي لا تسوق إليهم خيرا ، ولا
تدفع عنهم سوءا ، إنما هي أصنام .

وهذا الذي قاله قتادة أولى القولين عندنا بالصواب في تأويل ذلك ، لأن المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام ، وما كانوا يعبدونه ، فكيف يكونون لها جندا حينئذ ، ولكنهم في الدنيا لهم جنود يغيثون لهم ، ويقاتلون دونهم .

وقوله تعالى (فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين بالله من قومك لك : إنك شاعر ، وما جئنا به شعر ، ولا تكذبهم بآيات الله وجحودهم نبوتك . وقوله (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) يقول تعالى ذكره : إنا نعلم أن الذي يدعوهم إلى قبل ذلك الحسد ، وهم يعلمون أن الذي جئتهم به ليس بشعر ، ولا يشبه الشعر ، وأنت لست بكذاب ، فنعلم ما يسرون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوهم إليه ، وما يعلنون من جحودهم ذلك بالسنتهم علانية .

القول في تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ، (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ : مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟ (٧٨) قُلْ : يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)

يقول تعالى (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ) واختلّف في الإنسان الذي عني بقوله (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ) فقال بعضهم : عني به أبي بن خلف .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن ثمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، في قوله (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) قال : أبي بن خلف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا) أبي بن خلف . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) : ذكر لنا أن أبي بن خلف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ، ففتته ، ثم ذراه في الريح ، ثم قال : يا محمد من يحيي هذا وهو رميم ، قال : الله يحييه ، ثم يميته ، ثم يدخلك النار ، قال : فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

وقال آخرون : بل عني به : العاصم بن وائل السهمي .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم . قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : « جاء العاصم بن وائل السهمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ، ففتته بين يديه ، فقال : يا محمد

أبيعت الله هذا حياً بعدما أرم؟ قال : نَعَمْ يَبْعَثُ اللهُ هَذَا ، ثُمَّ يُمَيِّتُكَ ثُمَّ يُحْيِيكَ ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ قال : ونزلت الآيات : (أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) . . . إلى آخر الآية .

وقال آخرون : بل عُنِيَ به : عبدُ الله بن أبي .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ) . . . إلى قوله (وَهِيَ رَمِيمٌ) قال : « جاء عبد الله بن أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ، فكسره بيده ، ثم قال : يا محمد كيف يبعث الله هذا وهو رميم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يَبْعَثُ اللهُ هَذَا ، وَيُمَيِّتُكَ ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ ، فقال الله (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) » .

فتأويل الكلام إذن : أو لم ير هذا الإنسان الذي يقول : (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟) أنا خلقناه من نطفة فسويتناه خلقاً سويّاً (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ) يقول : فإذا هو ذو خصومة لربه ، يخاصمه فيما قال له ربه إنى فاعل . وذلك إخبار لله إياه أنه يُحْيِي خلقه بعد مماتهم ، فيقول : مَنْ يُحْيِي هذه العظام وهي رميم ؟ إنكاراً منه لقُدرة الله على إحيائها .

وقوله (مُبِينٌ) يقول : يبين لمن سمع خصومته وقيله ذلك ، أنه يخاصم ربه الذي خلقه . وقوله (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَتَسَى خَلْقَهُ) يقول : ومثّل لنا شبيها بقوله (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) إذ كان لا يقدر على إحياء ذلك أحد ، يقول : فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق (وَتَسَى خَلْقَهُ) يقول : ونسى خلقنا إياه كيف خلقناه ، وأنه لم يكن إلا نطفة ، فجعلناها خلقاً سويّاً ناطقاً . يقول : فلم يفكر في خلقناه ، فيعلم أن من خلقه من نطفة أحى صار بشراً سويّاً ناطقاً متصرفاً ، لا يعجز أن يعيد الأموات أحياء ، والعظام الرميم بشراً كهيئتهم التي كانوا بها قبل الفناء ، يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) لهذا المشرك القائل لك : من يُحْيِي العظام وهي رميم (يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) يقول : يحييها الذي ابتدع خلقها أول مرة ولم تكن شيئاً (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت ، وكيف يحيي ، وكيف يبدئ ، وكيف يعيد ، لا يخفى عليه شيء من أمر خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١)

يقول تعالى ذكره : قل يحييها الذي أنشأها أول مرة (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا) يقول : الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر نارا تُحْمَرُق الشجر ، لا يمتنع عليه فعل ما أراد ، ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رمت ، وإعادتها بشرا سويا ، وخالقا جديدا ، كما بدأها أول مرة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا) يقول : الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه .
قوله (فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) يقول : فإذا أنتم من الشجر توقدون النار ، وقال (مِنْهُ) والماء من ذكر الشجر ، ولم يقل : منها ، والشجر جمع شجرة ، لأنه خرج مخرج الثمر والحصى ، ولو قيل : منها كان صوابا أيضا ، لأن العرب تُذَكِّر مثل هذا وتؤنثه . وقوله (أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) : يقول تعالى ذكره منها هذا الكافر الذي قال (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) على خطأ قوله ، وعظيم جهله (أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ) مثلكم ، فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السموات والأرض يقول : فن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم ، فكيف يتعذر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمت وبليت ؟ وقوله (بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) يقول : بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم ، وهو الخلاق لما يشاء ، الفعَّال لما يريد ، العليم بكل ما خلق ويخلق ، لا يخفى عليه خافية .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)

يقول تعالى ذكره : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) .
وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) ، بلى وهو الخلاق العليم) قال : هذا مثل إنمأ أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، قال : ليس من كلام العرب شيء هو أخف من ذلك ، ولا أهون ، فأمر الله كذلك .

وقوله (فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) يقول تعالى ذكره : فتزيه الذي بيده ملك كل شيء وخزائنه . وقوله (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه تردون ، وتصيرون بعد مماتكم .

آخر تفسير سورة يس

تفسير سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

وَالصَّفَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّلِيَّاتِ ذِكْرًا (٣)

قال أبو جعفر : أقسم الله تعالى ذكره بالصافات ، والزاجرات ، والتليات ذكرا ، فأما الصافات : فإنها الملائكة الصافات لربها في السماء ، وهي جمع صافئة ، فالصافات : جمع جمع ، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني سلم بن جنادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، قال : كان مسروق يقول في الصافات : هي الملائكة .

حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا شعبة ، عن سليمان ، قال : سمعت أبا الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، بمثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والصافات صفاً) قال : قسم أقسم الله بخلق ثم خلق ثم خلق ، والصافات : الملائكة صوفوا في السماء .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله : (والصافات) قال : هم الملائكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (والصافات صفاً) قال : هذا قسم أقسم الله به .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (فالزاجرات زجراً) فقال بعضهم : هي الملائكة تزجر السحاب تسوقه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فالزاجرات زجراً) : قال : الملائكة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله : (فالزاجرات زجراً) قال : هم الملائكة .

وقال آخرون : بل ذلك آى القرآن التي زجر الله بها عما زجر بها عنه في القرآن .

ذَكَرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) قال : ما زَجَرَ الله عنه في القرآن .

والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا : ما قال مجاهد ، ومن قال هم الملائكة ، لأن الله تعالى ذكره ، ابتداء القسم بنوع من الملائكة ، وهم الصافئون بإجماع من أهل التأويل ، فلأن يكون الذي بعده قسما بسائر أصنافهم أشبه .

وقوله (فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) يقول : فالقارئات كتابا .

واختلف أهل التأويل في المعنى بذلك ، فقال بعضهم : هم الملائكة .

ذَكَرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) قال : الملائكة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) قال : هم الملائكة .

وقال آخرون : هو ما يتلى في القرآن من أخبار الأمم قبلنا .

ذَكَرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) قال : ما يتلى عليكم في القرآن من أخبار الناس والأمم قبلكم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ (٥) إِنَّا زَيْنًا
السَّمَاءِ الدُّنْيَا بَزِينَةَ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ
الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ
فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)

يعني تعالى ذكره (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ) والصفات صفًا ، إن معبودكم الذي يستوجب عليكم أيها الناس العبادة ، وإخلاص الطاعة منكم له ، لو اختلف لثاني له ولا شريك له ، يقول : فأخلصوا العبادة ، وإياه فأفردوا بالطاعة ، ولا تجعلوا له في عبادتكم إياه شريكا . وقوله (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) يقول : هو واحد خالق السموات السبع وما بينهما من الخلق ، ومالك ذلك كله ، والقيم على جميع ذلك ،

يقول : فالعبادة لاتصلح إلا لمن هذه صفته ، فلا تعبدوا غيره ، ولا تشركوا معه في عبادتكم إياه من لا يضر ولا ينفع ، ولا يخلق شيئاً ولا يُفْسِنِيهِ .

واختلف أهل العربية في وجه رفع ربّ السموات ، فقال بعض نحويّ البصرة : رُفِعَ على معنى : إن إلهكم لربّ . وقال غيره : هو رَدَّ على أن إلهكم لواحد . ثم فسّر الواحد ، فقال : ربّ السموات ، وهو رَدَّ على واحد . وهذا القول عندي أشبه بالصواب في ذلك ، لأن الخبر هو قوله (لَوَاحِدٌ) ، وقوله (رَبُّ السَّمَوَاتِ) ترجمة عنه ، وبيان مردود على إعرابه .

وقوله (وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) يقول : ومدبّر مشارق الشمس في الشتاء والصيف ومغاريها ، والقيم على ذلك ومصلحه ، وترك ذكر المغرب ، لدلالة الكلام عليه ، واستغنى بذكر المشارق من ذكرها ، إذ كان معلوماً أن معها المغرب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ إلهَكُمْ لَوَاحِدٌ) وقع القسم على هذا ، إن إلهكم لواحد (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) قال : مشارق الشمس في الشتاء والصيف .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (رَبُّ الْمَشَارِقِ) قال : المشارق ستون وثلاث مئة مشرق ، والمغرب مثلها ، عدد أيام السنة . وقوله (إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزَيْنَةِ الْكَوَاكِبِ) اختلفت القراء في قراءة قوله (بِزَيْنَةِ الْكَوَاكِبِ) فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة : بزينة الكواكب ، بإضافة الزينة إلى الكواكب ، وخفض الكواكب : (إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا) التي تليكم أيها الناس وهي الدنيا ، إليكم بزيناها الكواكب : أي بأن زينتها الكواكب . وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة (بِزَيْنَةِ الْكَوَاكِبِ) بتووين زينة ، وخفض الكواكب ردّها على الزينة ، بمعنى : إنا زينا السماء الدنيا بزينة هي الكواكب ، كأنه قال : زينناها بالكواكب . ورؤي عن بعض قراء الكوفة ، أنه كان ينون الزينة ، وينصب الكواكب ، بمعنى : إنا زينا السماء الدنيا بزيناها الكواكب . ولو كانت القراءة في الكواكب جاءت رفعا ، إذا نونت الزينة ، لم يكن لحنا ، وكان صوابا في العربية ، وكان معناه : إنا زينا السماء الدنيا بزيناها الكواكب : أي بأن زينتها الكواكب وذلك أن الزينة مصدر ، فجاءت توجيهها إلى أي هذه الوجوه التي وُصِفَتْ في العربية .

وأما القراءة فأعجبها إلى بإضافة الزينة إلى الكواكب وخفض الكواكب ، لصحة معنى ذلك في التأويل والعربية ، وأنها قراءة أكثر قراء الأمصار . وإن كان التووين في الزينة وخفض الكواكب عندي صحيحا أيضا ، فأما النصب في الكواكب والرفع ، فلا أستجيز القراءة بهما ، لإجماع الحجة من القراء على خلافهما ، وإن كان لهما في الإعراب والمعنى وجه صحيح .

وقد اختلف أهل العربية في تأويل ذلك إذا أضيفت الزينة إلى الكواكب ، فكان بعض نحوِّي البصرة يقول : إذا قرئ ذلك كذلك ، فليس يعنى بعضها ، ولكن زينتها حسنها ، وكان غيره يقول : معنى ذلك : إذا قرئ كذلك : إنا زينا السماء الدنيا بأن زينتها الكواكب . وقد بيننا الصواب في ذلك عندنا .

وقوله (وَحَفِظْنَا) يقول تعالى ذكره : (وَحَفِظْنَا) للسماء الدنيا زينها بزينة الكواكب .

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب قوله (وَحَفِظْنَا) فقال بعض نحوِّي البصرة : قال وحفظا ، لأنه بدل من اللفظ بالفعل ، كأنه قال ، وحفظناها حفظا . وقال بعض نحوِّي الكوفة : إنما هو من صلة التزيين أنا زينا السماء الدنيا حفظا لها ، فأدخل الواو على التكرير : أي وزيناها حفظا لها ، فجعله من التزيين ، وقد بيننا القول فيه عندنا وتأويل الكلام : وحفظا لها من كل شيطان عات خبيث زينها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله (وَحَفِظْنَا) يقول : جعلها حفظا من كل شيطان مارد .

وقوله (لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى) اختلفت القراء في قراءة قوله (لَا يَسْمَعُونَ) ، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : (لَا يَسْمَعُونَ) بتخفيف السين من يسمعون ، بمعنى أنهم يسمعون ولا يسمعون . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بعد لا يسمعون ، بمعنى : لا يسمعون ، ثم أدغموا التاء في السين فشدّوها .

وأولى القراءتين في ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه بالتخفيف ، لأن الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ، أن الشياطين قد تسمع الوحي ، ولكنها تُرْمَى بالشهب لئلا تسمع .

ذكر رواية بعض ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : كانت للشياطين مقاعد في السماء ، قال : فكانوا يسمعون الوحي ، قال : وكانت النجوم لا تجرى ، وكانت الشياطين لا ترمى ، قال : فإذا سمعوا الوحي ، نزلوا إلى الأرض ، فزادوا في الكلمة تسعا ؛ قال : فلما بُعِثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاء شهاب ، فلم يُخْطِبه حتى يجرقه ، قال : فشكوا ذلك إلى إبليس ، فقال : ما هو إلا لأمر حدث ؛ قال : فبعث جنوده ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي بين جبلتي نخلة ؛ قال أبو كُرَيْب ، قال وكيع : يعني بطن نخلة ، قال : فرجعوا إلى إبليس فأخبروه ، قال : فقال هذا الذي حدث .

حدثنا ابن وكيع وأحمد بن يحيى الصوفى ، قالوا : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : كانت الجن يصعدون إلى السماء الدنيا ، يستمعون الوحي ، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا ، فأما الكلمة فتكون حقا ، وأما ما زادوا فيكون باطلا ؛ فلما بُعِثَ النبي صلى الله عليه وسلم قاموا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولم تكن النجوم تُرْمَى بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس :

ما هذا إلا لأمر حدث في الأرض ، فبعث جنوده ، فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يصلي ، فأتوه فأخبروه ، فقال : هذا الحدث الذي حدث .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الجن لهم مقاعد ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا الزهري ، عن علي بن الحسين ، عن أبي إسحاق ، عن ابن عباس ، قال : حدثني رهط من الأنصار ، قالوا : « بينا نحن جلوس ذات ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ رأى كوكباً رمى به ، فقال : ما تقولون في هذا الكوكب الذي يرمى به ؟ فقلنا : يولد مولود ، أو يهلك هالك ، ويموت ملك ، ويملك ملك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس كذلك ، ولكن الله كان إذا قضى أمراً في السماء ، سبَّح لذلك حملة العرش ، فيُسبَّح لتسبيحهم من يليلهم من تحتهم من الملائكة ، فما يزالون كذلك حتى ينتهي التسبيح إلى السماء الدنيا ، فيقول أهل السماء الدنيا لمن يليلهم من الملائكة : «م سبَّحتم ؟ فيقولون : ما ندري سمعنا من فوقنا من الملائكة سبَّحوا ، فسبَّحنا الله لتسبيحهم ، ولكننا سنسأل ، فيسألون من فوقهم ، فما يزالون كذلك حتى ينتهي إلى حملة العرش ، فيقولون : قضى الله كذاً وكذاً ، فيخبرون به من يليلهم حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا ، فتسترق الجن ما يقولون ، فيتنزلون إلى أوليائهم من الإنس ، فيلقونه على ألسنتهم ، يتوهم منهم ، فيخبروهم به ، فيكون بعضهم حقاً وبعضه كذباً ، فلم تزل الجن كذلك حتى رموا بهذه الشهب » .

حدثنا ابن وكيع وابن المثنى ، قالوا : ثنا عبد الأعلى ، عن معمر ، عن الزهري ، عن علي بن حسين ، عن ابن عباس ، قال : « بينا النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من الأنصار ، إذ رمى بنجم ، فاستنار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتُموه ؟ قالوا : كنا نقول : يموت عظيم ، أو يولد عظيم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنه لا يرمى به لموت أحد ولا حياته ، ولكن ربنا تبارك اسمه إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش ، ثم سبَّح أهل السماء الذين يلوونهم ، ثم الذين يلوونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء ، ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش : فإذا قال ربنا ، فيخبرونهم ، ثم يستخبر أهل كل سماء ، حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا ، وتخطف الشياطين السَّمْع ، فيرمون ، فيقنذونه إلى أوليائهم ، فما جاءوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يزيدون » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : أخبرنا معمر ، قال : ثنا ابن شهاب ، عن علي بن حسين ، عن ابن عباس ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من أصحابه ، قال : فرمى بنجم ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه زاد فيه : قلت للزهري : أكان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنها غالطت حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم » .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عاصم بن علي ، قال : ثنا أبي علي بن عاصم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « كان للجن مقاعد في السماء ، يستمعون الوحي ، وكان الوحي إذا أوحى سمعت الملائكة كهيئة الحديد يرمى بها على الصقوان ، فإذا سمعت الملائكة صلصلة الوحي خرّ لجباهم من في السماء من الملائكة ، فإذا نزل عليهم أصحاب الوحي (قالوا ماذا قال ربكم) ؟ قالوا الحق ، وهو العلي الكبير) قال : فيتنادون ، قال : ربكم الحق وهو العلي الكبير ، قال : فإذا أنزل إلى السماء الدنيا ، قالوا : يكون في الأرض كذا وكذا موتا ، وكذا وكذا حياة ، وكذا وكذا جدوبة ، وكذا وكذا خصبا ، وما يريد أن يصنع ، وما يريد أن يبتدىء تبارك وتعالى ، فنزلت الجن ، فأوحوا إلى أوليائهم من الإنس ، مما يكون في الأرض ، فيبناهم كذلك ، إذ بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم ، فجزت الشياطين عن السماء ورموهم بالكواكب ، فجعل لا يصعد أحد منهم إلا احترق ، وفزع أهل الأرض لما رأوا في الكواكب ، ولم يكن قبل ذلك ، وقالوا : هلك من في السماء ، وكان أهل الطائف أول من فزع ، فينطلق الرجل إلى إبله ، فينحصر كل يوم بعيرا لأهلهم . وينطلق صاحب الغنم ، فيذبح كل يوم شاة ، وينطلق صاحب البقر ، فيذبح كل يوم بقرة ، فقال لهم رجل : ويئسكم ! لا تهلكوا أموالكم ، فإن معالكم من الكواكب التي تهتون بها لم يسقط منها شيء ، فألقوا وقد أسرعوا في أموالهم . وقال إبليس : حدث في الأرض حدث ، فأتى من كل أرض بترية ، فجعل لا يؤتى بترية أرض إلا شمها ، فلما أتى بترية تهامة قال : ها هنا حدث الحدث ، وصرف الله إليه نفرا من الجن وهو يقرأ القرآن ، فقالوا (إننا سمعنا قرآنا عجباً ؟ حتى ختم الآية ، فولّوا إلى قومهم منذرين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن كعب ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن عروة ، عن عائشة : أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب ، فتدكر ما قضى في السماء ، فتسترق الشياطين السمع ، فتسمع ، فتوحيه إلى الكهّان ، فيكذبون معها مئة كذبة من عند أنفسهم » ، فهذه الأخبار تنبئ عن أن الشياطين تسمع ، ولكنها تُرْمَى بالشهب لئلا تسمع .
فإن ظنّ ظان أنه لما كان في الكلام « إلى » ، كان التسمع أولى بالكلام من السمع ، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظنّ ، وذلك أن العرب تقول : سمعت فلانا يقول كذا ، وسمعت إلى فلان يقول كذا ، وسمعت من فلان .

وتأويل الكلام : إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظنا من كل شيطان مارد أن لا يسمع إلى الملائكة الأعلى ، فحذفت « إن » اكتفاء بدلالة الكلام عليها ، كما قيل : « كذلك سلكناه في قلوب الخرمين لا يؤمنون به » ، بمعنى : أن لا يؤمنوا به ، ولو كان مكان « لا » أن ، لكان فصيحاً ، كما قيل : (يَبْسِئُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَصِلُوا) بمعنى : أن لا تنزلوا ، وكما قال : (وَالْقَسَى فِي الْأَرْضِ رَوَّابِي أَنْ تُبَدِّلَ بَيْتَكُمْ)

بمعنى : أن لا تميد بكم . والعرب قد تجزم مع « لا » في مثل هذا الموضع الكلام ، فتقول : ربطت الفرس لا يَنْفَلِتُ ، كما قال بعض بني عَقِيل :

وَحَتَّى رَأَيْنَا أَحْسَنَ الْوُدِّ بَيْنَنَا مُسَاكِنَةً لَا يَقْرِفُ الشَّرَّ قَارِفًا

ويروى : لا يقرف رفعا ، والرفع لغة أهل الحجاز فيما قيل .

وقال قتادة في ذلك ما حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى) قال : منعوا . ويعنى بقوله (إلى المَلَأِ) : إلى جماعة الملائكة التي هم أعلى ممن هم دونهم . وقوله (وَيَقْدَفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا) ويرمونها من كل جانب من جوانب السماء دُحُورًا ، والدحور : مصدر من قولك : دَحَرْتَهُ أَدْحَرَهُ دَحْرًا ودُحُورًا ، والدَحْرُ : الدفع والإبعاد . يقال منه : ادْحَرْتُ عَنْكَ الشَّيْطَانَ : أى ادفعه عنك وأبعده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَقْدَفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا) قذفًا قذفًا بالشهب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَيَقْدَفُونَ) يرمونها (مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ) قال : من كل مكان . وقوله (دُحُورًا) قال : مطرودين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيَقْدَفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا) قال : الشياطين يدحرون بها عن الاستماع ، وقرأ وقال (إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) .

وقوله (وَهُمْ عِنْدَ رَبِّ وَاصِبٌ) يقول تعالى ذكره : ولهذا الشياطين المسترقة السمع عذاب من الله واصلب .

واختلف أهل التأويل فى معنى الواصب ، فقال بعضهم : معناه : الموجه .

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧١) قال فى تفسير قوله تعالى : « لا يسمعون » قرأها عبد الله بالتشديد ، على معنى « لا يسمعون » . وكذلك قرأها ابن عباس ، وقال : يسمعون ولا يسمعون . قال الفراء : ومعنى « لا » كقوله « كذلك سلكنا » فى قلوبنا المحرمين . لا يؤمنون به ، لو كان فى موضع « لا » « أن » صلح ذلك ، كما قال : « بين الله لكم أن تغفلوا » . وكما قال : « وأنتى فى الأرض رواسى أن تميد بكم » . ويصلح فى « لا » على هذا المعنى الجزم . العرب تقول : ربطت الفرس لا ينفلت ، وأوثقت عبدي لا يفرر . وأنشد بعض بني عقيل « وحتى رأينا البيت » . وبعضهم يقول : لا يقرف الشر (برفع الفعل) قال : والرفع لغة أهل الحجاز ، وبذلك جاء القرآن . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (وَكَلَّمُوا عَذَابًا وَاصِبًا) قال : موجه .
وحدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله :
(عَذَابٌ وَاصِبٌ) قال : الموجه .
وقال آخرون : بل معناه : الدائم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَلَّمُوا عَذَابًا وَاصِبًا) : أي دائم .
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَذَابٌ وَاصِبٌ) قال : دائم .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
(وَكَلَّمُوا عَذَابًا وَاصِبًا) يقول لهم عذاب : دائم .
حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن ذكره ، عن عكرمة (وَكَلَّمُوا عَذَابًا وَاصِبًا)
قال : دائم .
حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَكَلَّمُوا عَذَابًا وَاصِبًا)
قال : الواصب : الدائب .
وأولى التأويلين في ذلك بالصواب : تأويل من قال : معناه : دائم خالص ، وذلك أن الله قال (وَلَهُ الدِّينُ
وَاصِبًا) فمعلوم أنه لم يصفه بالإيلام والإيجاع ، وإنما وصفه بالثبات والخلوص ؛ ومنه قول أبي الأسود الدؤلي
لا أَشْتَرِي الحَمْدَ القَلِيلَ بِقَاؤِهِ يَوْمًا بِدَمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعِ وَاصِبًا
أي دائما .
وقوله (إِلَّا مَنْ خَطِيفَ الخَطِيفَةِ) يقول : إلا من استرق السمع منهم (فَأَتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثاقِبٌ) :
يعنى : مضى متوقد .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثاقِبٌ) من نار
وثقوبه : ضوءه .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٠٨ - ١) قال في تفسير قوله تعالى «عذاب واصب» : دائم
قال أبو الأسود الدؤلي : «لا أشترى الحمد» . البيت . ٥١ . وفي معاني القرآن للفراء (مصورة الجامعة ٢٧١) : وقوله «عذاب
واصب» «وله الدين واصبا» : دائم خالص . ٥١ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (شهابٌ ثاقِبٌ) قال : شهاب مضيء يحرقه حين يُرمى به .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَتَّبَعَهُ شِهَابٌ) قال : كان ابن عباس يقول : لا يقتلون الشهاب ، ولا يموتون ، ولكنهم تحرقهم من غير قتل ، وَتُحْبَلٌ وَتُخَدِّجٌ من غير قتل .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثاقِبٌ) قال : والثاقب : المستوقد ؛ قال : والرجل يقول : آتقِب نارك ، ويقول : استثقب نارك ، استوقد نارك .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : سئل الضحاك ، هل للشياطين أجنحة ؟ فقال : كيف يطفرون إلى السماء إلا ولهم أجنحة .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَسْتَفْتِيهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ، إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَأَرَبِ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاستفت يا محمد هؤلاء المشركين الذين يُنكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء : يقولون : فسلّهم : أهم أشدُّ خلقًا ؟ يقول : أحلقتهم أشدُّ ؟ أم خلق من عددنا أحلقتهم من الملائكة والشياطين والسموات والأرض .
 وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله بن مسعود : (أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ عَدَدْنَا) ؟
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا) ؟ قال : السموات والأرض والجهال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك أنه قرأ (أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ عَدَدْنَا) ؟ . وفي قراءة عبد الله بن مسعود (عَدَدْنَا) يقول : (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) يقول : أهم أشدُّ خلقًا ، أم السموات والأرض ؟ يقول : السموات والأرض أشدُّ خلقًا منهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَسْتَفْتِيهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ عَدَدْنَا) من خلق السموات والأرض ، قال الله : (تَخَلَّقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فاستفتيهم^١ أنهم أشد خلقا) قال يعني المشركين ، سلمهم أهم أشد خلقا (أم من خلقنا) ؟
وقوله (إننا خلقناهم من طين لازب) يقول : إنا خلقناهم من طين لاصق . وإنما وصفه جل ثناؤه باللزوب ، لأنه تراب مخلوط بماء ، وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء ، والتراب إذا خلط بماء صار طينا لازبا ، والعرب تبدل أحيانا هذه الباء ميمًا ، فتقول : طين لازم ؛ ومنه قول النجاشي الحارثي :

بَنَى اللُّؤْمُ بَيْتًا فَاسْتَقَرَّتْ عِمَادُهُ عَلَيْكُمْ بَنِي النَّجَّارِ ضَرْبَةَ لَازِمٍ^١

ومن اللازب قول نابغة بنى ذبيان :

وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَأَشْرَبَعْدَهُ وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبٍ^٢

وربما أبدلوا الزاي التي في اللازب تاء ، فيقولون : طين لاتب ، وذكر أن ذلك في قيس ، زعم الفراء أن أبا الجراح أنشده :

صُدَاعٌ وَتَوْصِيمُ الْعِظَامِ وَقَسْرَةٌ وَعَسَىٰ مَعَ الْإِشْرَاقِ فِي الْجَوْفِ لَاتِبٌ^٣

بمعنى : لازم ، والفعل من لازب : لَزِبَ يَلْزُبُ لَزْبًا^١ ولزوبا ، وكذلك من لاتب : لَتَبَ يَلْتَبُ لَتُوبًا .
وبنحو الذي قلنا في معنى (لازب) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبيد الله بن يوسف الجُبَيْرِي ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (من طين لازب) قال : هو الطين الحر الجيد اللزج .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : اللازب : الجيد .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٨ - ١) قال في قوله تعالى « من طين لازب » : مجازه مجاز لازم . قال النجاشي : « بنى اللؤم البيت » . هـ .

(٢) وهذا البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٨ - ١) . وهو كالشاهد الذي قبله على أن معنى اللازب اللازم . قال نابغة بنى ذبيان : ولا يحسبون الخير البيت : هـ .

(٣) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧١) قال : اللازب : اللاصق . قال : وقيس تقول : « طين لاتب » أنشد بعضهم : صداع وتوصيم البيت . قال : والعرب تقول : ليس هذا بضربة لازب ، ولازم ؛ يدلون الباء ميمًا ، لتقارب المخرج . هـ . وفي (اللسان) « لتب » اللاتب : الثابت ؛ تقول منه : لتب يلتب . (بوزن يقتل) لتبا ولتوبا ، وأنشد أبو الجراح :

فإن يك هذا من نبيذ شربته فإني من شرب النبيذ لتائب
صداع وتوصيم

البيت : وفي اللسان عن الفراء في قوله تعالى « من طين لازب » : قال : اللازب واللاتب واحد . قال : وقيس تقول : طين لاتب . واللاتب : اللازق ، مثل اللازب . وهذا النبيذ ضربة لاتب كضربة لازم . هـ .

(٤) في الأصل : ويلزب . وهو تحريف عما أثبتناه . لتصريحهم بأن الفعل من باب نقد . وأن المصدر لزبا ولزوبا . (انظر اللسان وانصاح : لزب) . وضبط في التاج كككرم .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي رَوْحٍ ، عن الضحاک ، عن ابن عباس قال : اللازب : اللّزج : الطيب .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (مِنْ طِينٍ لَازِبٍ) يقول : ملتصق .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ) قال : من التراب والماء فيصير طينا يلتزق .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ) قال : اللازب : اللّزج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاک (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ) واللازب : الطين الجيد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ) واللازب : الذي يلتزق باليد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مِنْ طِينٍ لَازِبٍ) قال : لازم .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأمليّ ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : ثنا جويبر ، عن الضحاک ، في قوله (مِنْ طِينٍ لَازِبٍ) قال : هو اللازق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ) قال : اللازب : الذي يلتصق كأنه غيراء ، ذلك اللازب .

قوله (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة : (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) بضم التاء من عَجِبْتَ ، بمعنى : بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكا ، وتكذيبهم تنزيلى وهم يسخرون . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (بَلْ عَجِبْتَ) بفتح التاء بمعنى : بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن .

والصواب من القول في ذلك : أن يُقال : إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار ، فبأيهما قرأ القارى فمصيب .

فإن قال قائل : وكيف يكون مصيبا القارى بهما مع اختلاف معنيهما ؟ قيل : إنهما وإن اختلف معنيهما فكل واحد من معنييه صحيح ، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل ، وسخر منه أهل الشرك بالله ، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله ، وسخّير المشركون بما قالوه .

فإن قال : أكان التنزيل بإحدهما أو بكليتهما ؟ قيل : التنزيل بكليتهما . فإن قال : وكيف يكون تنزيل

حرف مرتين ؟ قيل : إنه لم ينزل مرتين ، إنما أنزل مرة ، ولكنه أمر صلى الله عليه وسلم أن يقرأ بالقراءتين كلتيهما ، ولهذا موضع سنستقصي إن شاء الله فيه البيان عنه ، بما فيه الكفاية .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلَّ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) قال :
عجب محمد عليه السلام من هذا القرآن حين أُعطيته ، وسخر منه أهل الضلالة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : وإذا ذُكِّر هؤلاء المشركون حُجِّجَ اللهُ عليهم ، ليعتبروا ويفكروا ، فينبوا إلى طاعة الله (لا يذكرون) : يقول : لا ينتفعون بالتذكير فيتذكروا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ) : أي لا ينتفعون ولا يبصرون .

وقوله (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ) يقول : وإذا رأوا حُجَّةً من حجج الله عليهم ، ودلالة على نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، يستسخرون : يقول : يستهزئون .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ) :
يستسخرون منها ويستهزئون .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ) قال :
يستهزئون ، يستسخرون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَعِزَّامِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْنَا لَمُبْعُوثُونَ (١٦)
أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَإِذَا هُمْ
يَنْظُرُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون من قريش بالله لمحمد صلى الله عليه وسلم : ما هذا الذي جئتنا به إلا سحرٌ مبين : يقول : يبين لمن تأمله وراه أنه سحر (أَيْدَا مَيْتَنَا وَكُنْنَا تُرَابًا وَعِظَامًا أَتَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ) يقولون : منكرين بعث الله إليهم بعد بلائهم ، أئنا لمبعوثون أحياء من قبورنا بعد مماتنا ، ومصيرنا ترابا وعظاما ، قد ذهب عنها اللحوم (أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ) الذين مضوا من قبلنا ، فبادوا وهلكوا ؟ يقول الله لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل هؤلاء : نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم ترابا وعظاما أحياء ، كما كنتم قبل مماتكم وأنتم داخرون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَيْدَا مَيْتَنَا وَكُنْنَا تُرَابًا وَعِظَامًا أَتَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ) تكذيبا بالبعث (قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ) .
وقوله (وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ) يقول تعالى ذكره : وأنتم صاغرون أشد الصغرة من قولهم صاغر داخر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ) : أي صاغرون .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ) قال : صاغرون .
وقوله (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ) يقول تعالى ذكره : وإنما هي صيحة واحدة ، وذلك هو الانفخ في الصور (فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ) يقول : فإذا هم شاخصة أبصارهم ينظرون إلى ما كانوا يوعدونه من قيام الساعة ويعاينونه .
كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) قال : هي النفخة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : يَوْمَئِذٍ هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون المكذَّبون إذا زُجِرَتْ زَجْرَةٌ واحدة ، ونُفِخَ في الصور نفخة واحدة : يا ويلنا هذا يوم الدين . يقولون : هذا يوم الجزاء والمحاسبة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) قال : يدِينُ اللهُ فِيهِ الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) قال : يوم الحساب .

وقوله (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبُونَ) يقول تعالى ذكره : هذا يوم فصل الله بين خلقه بالعدل من قضاائه ، الذي كنتم به تكذبون في الدنيا فتنكرونه .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبُونَ) يعني : يوم القيامة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ) قال : يوم يُقْضَى بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ .

القول في تأويل قوله تعالى

* أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَأَهْدُوهُمْ إِلَى

صِرَاطِ الْجِيمِ (٢٣)

وفي هذا الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر عما تترك ، وهو : فيقال : احشروا الذين ظلموا ، ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله في الدنيا ، وعصوه وأزواجهم وأشياعهم ، على ما كانوا عليه من الكفر بالله ، وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سيبك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب (أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) قال : ضُرَبَاءَهُمْ .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) يقول : نظراءهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) يعني : أتباعهم ، ومن أشبههم من الظلمة .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، قال : سألت أبا العالية ، عن قول الله

(احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) قال : الذين ظلموا وأشياعهم .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن أبي العالية ، أنه قال في هذه الآية (احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) قال : وأشياعهم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا داود ، عن أبي العالية مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) : أي وأشياعهم الكفار مع الكفار .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) قال : وأشباهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) قال : أزواجهم في الأعمال ، وقرأ (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً) ، فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (فالسابقون زوج ، وأصحاب الميمنة زوج ، وأصحاب الشمال زوج ، قال : كل من كان من هذا حشره الله معه . وقرأ (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : زوجت على الأعمال ، لكل واحد من هؤلاء زوج ، زوج الله بعض هؤلاء بعضا ، زوج أصحاب اليمين أصحاب اليمين ، وأصحاب المشأمة أصحاب المشأمة ، والسابقين السابقين ، قال : فهذا قوله (احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) قال : أزواج الأعمال التي زوجهن الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأَزْوَاجَهُمْ) قال : أمثالهم .
وقوله (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَاهْتَدَوْهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) يقول تعالى ذكره : احشروا هؤلاء المشركين وآلهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ، فوجهوهم إلى طريق الجحيم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) الأصنام .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَاهْتَدَوْهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) يقول : وجهوهم ، وقيل : إن الجحيم الباب الرابع من أبواب النار .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمْ أَلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)
وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره (وَقِفُّهُمْ) : احبسوهم : أى احبسوا أيها الملائكة هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم ، وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة (إِنَّهُمْ مُسْتُولُونَ) فاختلف أهل التأويل في المعنى الذى يأمر الله تعالى ذكره بوقفهم لمسألهم عنه ، فقال بعضهم : يسألهم : هل يعجبهم ورود النار؟

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، قال : « كنا عند عبد الله ، فذكر قصة ، ثم قال : يتمثل الله للخلق فيلقاهم ، فليس أحد من الخلق كان يعبد من دون الله شيئا إلا وهو مرفوع له يتبعه ، قال : فيلقى اليهود فيقول : من تعبدون ؟ فيقولون : نعبد عزيرا ، قال : فيقول : هل يسركم الماء ؟ فيقولون : نعم ، فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ، ثم قرأ (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا) قال : ثم يلقى النصارى فيقول : من تعبدون ؟ فيقولون : المسيح ، فيقول : هل يسركم الماء ؟ فيقولون : نعم ، فيريهم جهنم ، وهي كهيئة السراب ، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئا ، ثم قرأ عبد الله (وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مُسْتُولُونَ) .
وقال آخرون : بل ذلك للسؤال عن أعمالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا معتمر ، عن ليث ، عن رجل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَيْمَانًا رَجُلٌ دَعَا رَجُلًا إِلَى شَيْءٍ كَانَ مَوْقُوفًا لَازِمًا بِهِ ، لَا يُغَادِرُهُ ، وَلَا يُفَارِقُهُ ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مُسْتُولُونَ » .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقفوا هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم ، إنهم مستولون عما كانوا يعبدون من دون الله .

وقوله (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ) يقول : مالكم أيها المشركون بالله لا ينصر بعضكم بعضا (بَلْ هُمْ أَلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) يقول : بل هم اليوم مستسلمون لأمر الله فيهم وقضائه ، موقنون بعذابه .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ) لا والله لا يتناصرون ، ولا يدفع بعضهم عن بعض (بَلْ هُمْ أَلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) في عذاب الله .
وقوله (وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) قيل : معنى ذلك : وأقبل الإنس على الجن يتساءلون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) الإنسُ على الجن .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا : بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩)
وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَنِ ، بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَغِينَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : قالت الإنس للجن : إنكم أيها الجن كنتم تأتوننا من قبيل الدين والحق ، فتحذعوننا بأقوى الوجوه ، واليمين : القوة والقدرة في كلام العرب ؛ ومنه قول الشاعر :

إِذَا مَارَأَيْتُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

يعنى : بالقوة والقدرة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) قال : عن الحق ، الكفار تقولون للشياطين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) قال : قالت الإنس للجن : إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ، قال : من قبل الخير ، فتهنوننا عنه ، وتبطئوننا عنه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) قال : تأتوننا من قبل الحق ، تزيئون لنا الباطل ، وتصدوننا عن الحق . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) قال : قال بنو آدم للشياطين الذين كفروا : إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ، قال : تحوله بيننا وبين الخير ، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان ، والعمل بالخير الذي أمر الله به .

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة بجامعة اليرموك ٢٧٢) قال في قوله تعالى : « كنتم تأتوننا عن اليمين » : يقول : كنتم تأتوننا من قبل اليمين ، أي تأتوننا تحذعوننا بأقوى الوجوه . واليمين أي بالقوة والقدرة . قلت : والبيت للشايع يمدح عرابة الأوسى ، وقوله :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَسِيرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَمَرِينَ

انظر (اللسان: يمين) . وفسره كما فسره الفراء . ورواية الأوسى : هو ابن أوس بن قيطي ، قيل : هو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : في غزوة الخندق : « إن بيوتنا عورة » . قال السجستاني في « الروض الأنف ٢ : ١٩٠ » : وكان عرابة الأوسى سيدا ، ولا محبة له ، وقد قيل له محبة ، وذكرناه فيمن استصغر يوم أحد ، وهو الذي يقول فيه الشايع : « إذا ما راية رفعت لمجد . . . البيت » .

وقوله (قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ، وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) يقول تعالى ذكره : قالت الجن للإنس مجيبة لهم : بل لم تكونوا بتوحيد الله مُقِرِّين ، وكنتم للأصنام عابدين (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) يقول : قالوا : وما كان لنا عليكم من حُجَّة ، فنصدكم بها عن الإيمان ، ونحول بينكم من أجلها وبين اتباع الحق (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِيْنَ) يقول : قالوا لهم : بل كنتم أيها المشركون قوما طاغين ، على الله متعدين ، إلى ما ليس لكم التعدى إليه ، من معصية الله وخلاف أمره . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قالت لهم الجن (بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) حتى بلغ (قَوْمًا طَٰغِيْنَ) .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) قال : الحجة . . وفي قوله (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِيْنَ) قال : كفَّار ضلال .

القول في تأويل قوله تعالى

فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : فحق علينا قول ربنا ، فوجب علينا عذاب ربنا ، إنا لذائقون العذاب نحن وأنتم ، بما قدّمنا من ذنوبنا ومعصيتنا في الدنيا ، فهذا خبر من الله عن قيل الجن والإنس .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا) . . . الآية ، قال : هذا قول الجن .

وقوله (فَأَغْوَيْنَاكُمْ) إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ) يقول : فأضللناكم عن سبيل الله ، والإيمان به ، إنا كنا ضالين ، وهذا أيضا خبر من الله عن قيل الجن والإنس ، قال الله : (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) .
يقول : فإن الإنس الذين كفروا بالله وأزواجهم ، وما كانوا يعبدون من دون الله ، والذين آغَوْا الإنس من الجن يوم القيامة ، في العذاب مشركون جميعا في النار ، كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) قال : هم والشياطين . (إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره : إنا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على طاعته ، والكفر به على الإيمان ، فنذيقهم العذاب الأليم ، ونجمع بينهم وبين قرنائهم في النار .

القول في تأويل قول تعالى

إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَأْتِيَنَّكُمْ آيَاتُ اللَّهِ مُتَوَاتِرًا مِنْ بَيْنِنَا لَئِن لَّمْ يَظْهَرِ عَلَيْنَا دَلِيلٌ مِنْهُ لَأَعْتَابُكُمْ عَذَابًا مُؤْتًا بِالنُّفُوسِ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره: وإن هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم في هذه الآيات، كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: قولوا (لا إله إلا الله يستكبرون) يقول: يتعظمون عن قيل ذلك ويتكبرون، وترك من الكلام قولوا، اكتفاء بدلالة الكلام عليه من ذكره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، في قوله (إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) قال: يعني المشركين خاصة. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) قال: قال عمر بن الخطاب: احضروا موتاكم، ولقنوهم لا إله إلا الله، فإنهم يرون ويسمعون.

وقوله (ويقولون إننا لتأتيكم آياتنا لشاعري مجنون) يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون من قريش: أنترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون. يقول: لاتباع شاعر مجنون، يعنون بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم، ونقول لا إله إلا الله؟

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (ويقولون إننا لتأتيكم آياتنا لشاعري مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم.

وقوله (بل جاء بالحق) وهذا خبر من الله مكذبا للمشركين الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: شاعر مجنون: كذبوا، ما محمد كما وصفوه به، من أنه شاعر مجنون، بل هو الله نبي جاء بالحق من عنده، وهو القرآن الذي أنزله عليه، وصدق المرسلين الذين كانوا من قبله.

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (بل جاء بالحق) بالقرآن (وصدق المرسلين): أي صدق من كان قبله من المرسلين.

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١)

يقول تعالى ذكره هؤلاء المشركين من أهل مكة ، القائلين لحمد : شاعر مجنون (إِنَّكُمْ) أيها المشركون (لَذَائِقُوا الْعَذَابِ) الموجه في الآخرة ، (وَمَا تُجْزَوْنَ) يقول : وما تُثابون في الآخرة إذا ذُقم العذاب الأليم فيها (إِلَّا) ثواب (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) في الدنيا ، معاصي الله . وقوله (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) يقول : إلا عباد الله الذين أخلصهم يوم خلقهم لرحمته ، وكتب لهم السعادة في أم الكتاب ، فإنهم لا يذوقون العذاب ، لأنهم أهل طاعة الله ، وأهل الإيمان به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) قال : هذه تسمية الله .

وقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ) يقول : هؤلاء وهم عباد الله المخلصون لهم رزق معلوم ، وذلك الرزق المعلوم : هو القواكه التي خلقها الله لهم في الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ) في الجنة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ) قال : في الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى

فَوَاكِهَ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ (٤٥) بَيِّنَاتٍ لَدَّةٍ لِلشَّرِيبِ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧)

يقول (فَوَاكِهَ) رداً على الرزق المعلوم ، تفسيرا له ، ولذلك رفعت . وقوله (وَهُم مُّكْرَمُونَ) يقول : وهم مع الذي لهم من الرزق المعلوم في الجنة ، مكرمون بكرامة الله التي أكرمهم الله بها (فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ) يعني : في بساطين النعيم (عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) يعني : أن بعضهم يقابل بعضا ، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض . وقوله (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ) يقول تعالى ذكره : يطوف الخدم عليهم بكأس من خمر جارية ، ظاهرة لأعينهم غير غائرة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ) قال : كأس من خمر جارية . والمعين : هي الجارية .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم ، في قوله (بكأسٍ من مَعِينٍ) قال : كل كأس في القرآن فهو خمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال : كل كأس في القرآن فهو خمر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (بكأسٍ من مَعِينٍ) قال : الخمر . والكأس عند العرب : كل إناء فيه شراب ، فإن لم يكن فيه شراب لم يكن كأسا ، ولكنه يكون إناء .

وقوله (بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) يعني بالبيضاء : الكأس ، ولتأنيث الكأس أنثت البيضاء ، ولم يقل أبيض ، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله : صفراء .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (بَيْضَاءَ) قال السدي في قراءة عبد الله : صفراء .

وقوله (لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) يقول : هذه الخمر لذة يلتذها شاربوها .

وقوله (لَافِيهَا غَوْلٌ) يقول : لافي هذه الخمر غَوْلٌ ، وهو أن تغتال عقولهم : يقول : لا تذهب هذه الخمر بعقول شاربها ، كما تذهب بها خمر أهل الدنيا إذا شربوها ، فأكثروا منها ، كما قال الشاعر :

وَمَا زَالَتِ الكَأْسُ تُغْتَالُنَا وَتَذْهَبُ بِالْأَوَّلِ الْأَوَّلِ ١

والعرب تقول : ليس فيها غَيْبِلَةٌ وَغَائِلَةٌ وَغَوْلٌ ، بمعنى واحد ، ورفع غَوْلٌ ولم ينصب بلا ، لدخول حرف الصفة بينها وبين الغَوْل ، وكذلك تفعل العرب في التبرئة ، إذا حالت بين لا والاسم ، بحرف من حروف الصفات ، رفعوا الاسم ولم ينصبوه ، وقد يحتمل قوله (لَافِيهَا غَوْلٌ) أن يكون مَعْنِيًا به : ليس فيها ما يؤذيهم من مكروه . وذلك أن العرب تقول للرجل يصاب بأمر مكروه ، أو ينال بدهاية عظيمة : غال فلانا غَوْلٌ . وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : ليس فيها صداع .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَافِيهَا غَوْلٌ) يقول : ليس فيها صداع .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليس فيها أذى ، فتشكى منه بطونهم .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة : الورقة ٢٠٩ - ١) قال : « لافيها غول » : مجازة : ليس فيها غول . والغول : أن تغتال عقولهم . قال الشاعر : « وما زالت الكأس . . . البيت » . وقال الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧٢) : وقوله : « لافيها غول » : لو قلت : لاغول فيها ، كان رفعا ونصبا (أي كانت « لا » عاملة عمل ليس ، أو عمل إن) . قال فإذا حلت بين الغول بلام أو غيرها من الصفات (حروف الجر) لم يكن إلا الرفع . والنول : يقول : ليس فيها غيلة ، وغائلة وغول . اهـ . وأنشد البيت في (اللسان : غول) عن أبي عبيدة ، وفيه ، « الخمر » في موضع « الكأس » . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لافيها غَوَلٌ) قال : هي الخمر ليس فيها وجع بطن .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قوله لافيها غَوَلٌ) قال : وجع بطن .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لافيها غَوَلٌ) قال : الغَوَلُ ما يوجع البطن ، وشارب الخمر هاهنا يشتكى بطنه .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لافيها غَوَلٌ) يقول : ليس فيها وجع بطن ، ولا صداع رأس .
 وقال آخرون : معنى ذلك : أنها لاتغول عقولهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لافيها غَوَلٌ) قال : لاتغتال عقولهم .
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليس فيها أذى ولا مكروه .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن إسرائيل ، عن سالم الأبطس ، عن سعيد بن جببير ، في قوله (لافيها غَوَلٌ) قال : أذى ولا مكروه .
 حدثنا محمد بن سنان القزازي ، قال : ثنا عبد الله بن بزيع ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سالم ، عن سعيد بن جببير ، في قوله (لافيها غَوَلٌ) قال : ليس فيها أذى ولا مكروه .
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليس فيها إثم .
 ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها وجه ، وذلك أن الغَوَلَ في كلام العرب : هو ما غال الإنسان ، فذهب به ، فكل من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل ، فقالوا : غالت فلانا غَوَلَ . فالذاهب العقل من شرب الشراب ، والمشتكى البطن منه ، والمصدع الرأس من ذلك ، والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غَوَلَ .
 فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره قد نَسَنَى عن شراب الجنة أن يكون فيه غَوَلَ ، فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه ، كما قال جل ثناؤه (لافيها غَوَلٌ) فيعم بنى كل معاني الغَوَلَ عنه ، وأعم ذلك أن يقال : لأذى فيها ولا مكروه على شاربها ، في جسم ولا عقل ، ولا غير ذلك .
 واختلفت القراء في قراءة قوله (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (يُنْزَفُونَ) بفتح الزاي . بمعنى : ولا هم عن شربها تُنْزَفَ عقولهم . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) بكسر الزاي ، بمعنى : ولا هم عن شربها يُنْزَفُ شرابهم .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، صحيحتا المعنى ، غير مختلفتيه ، فبأيهما قرأ القارئ فصيبي . وذلك أن أهل الجنة لا ينفد شرابهم ، ولا يسكرهم شرابهم إياه ، فيذهب عقولهم . واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : لا تذهب عقولهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (ولا همّ عنها يسزفون) يقول : لا تذهب عقولهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ولا همّ عنها يسزفون) قال : لا تسزف ، فتذهب عقولهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ولا همّ عنها يسزفون) قال : لا تذهب عقولهم . حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (ولا همّ عنها يسزفون) قال : لا تسزف عقولهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ولا همّ عنها يسزفون) قال : لا تسزف العقول .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ولا همّ عنها يسزفون) قال : لا تغلبهم على عقولهم .

وهذا التأويل الذي ذكرناه عن ذكرنا عنه ، لم تفصل لنا رواة القراءة الذي هذا تأويلها ، وقد يحتمل أن يكون ذلك تأويل قراءة من قرأها يسزفون ويسزفون كليهما ، وذلك أن العرب تقول : قد نزف الرجل فهو منزوف : إذا ذهب عقله من السكر ، وأنزف فهو مسزف . محكية عنهم اللغتان كلتاها ، في ذهاب العقل من السكر ؛ وأما إذا فسيت خمر القوم ، فإن لم أسمع فيه إلا أنزف القوم بالألف ، ومن الإنزاف بمعنى ذهاب العقل من السكر ، قول الأبيرد :

لَعَمْرِي لَيْنٌ أَنْزَفْتُمْ أَوْ صَحَوْتُمْ لَيْئَسَ النَّدَامَى كُنْتُمْ آلَ أُبَيْرِ

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٩ - ١) قال في «ولاهم عنها يزفون» : تقول العرب لا تقطع عنه وتنزف سكرًا . وقال الأبيرد الرياحي من بني عجل : «لعمري . . . البيت» قال : «آل أبحرا» : آل أبحر من عجل . وقال الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧٢) : «وقوله «ولاهم عنها يزفون» ويزفون (مبينتا للمجهول والمعلوم) وأصحاب عبد الله يقرءون : يزفون ، وله معنيان يقال : قد أنزف الرجل : إذا فسيت خمره ، وأنزف : إذا ذهب عقله . فهذا وجهان . ومن قال : يزفون يقول : لا تذهب عقولهم ، وهو منزوف . وفي (اللسان : نزف) : وفي التزويل : «لا يصدعون عنها ولا يزفون» : أي لا يسكرون . وأنشد الجوهري للأبيرد :

لَعَمْرِي لَيْنٌ أَنْزَفْتُمْ أَوْ صَحَوْتُمْ لَيْئَسَ النَّدَامَى كُنْتُمْ آلَ أُبَيْرِ
شَرِبْتُمْ وَمَنْدَرْتُمْ وَكَانَ أَبُوكُمْ كَذَا كُمْ إِذَا مَا يَشْرَبُ الْكَاسَ مَدْرًا =

القول في تأويل قوله تعالى

وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ (٤٨) كَمَا مَهَنَ يَيْضُ مَكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : وعند هؤلاء المخلصين من عباد الله في الجنة قاصرات الطرف ، وهن النساء اللواتي قَصَرْنَ أطرافهن على بُعُولتهن ، ولا يُرَدْنَ غيرهم ، ولا يَمُدُّنَ أبصارهن إلى غيرهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ) يقول : عن غير أزواجهن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ) قال : عليّ أزواجهن ؛ زاد الحارث في حديثه : لا تبغى غيرهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قوله (وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ) قال : قَصَرْنَ أبصارهنّ وقلوبهنّ على أزواجهن ، فلا يُرَدْنَ غيرهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قال : ذُكِرَ أيضا عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ) قال : قَصَرْنَ طرفهنّ على أزواجهنّ ، فلا يُرَدْنَ غيرهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (قاصيرات الطرف) قال : لا ينظرن إلا إلى أزواجهنّ ، قد قَصَرْنَ أطرافهنّ على أزواجهنّ ، ليس كما يكون نساء أهل الدنيا .

وقوله (عَيْنٌ) يعني بالعين : النُّجُجَلُ العيون عظامها ، وهي جمع عَيْنَاءَ ، والعيناء : المرأة الواسعة العين عظيبتها ، وهي أحسن ما تكون من العيون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قوله (عَيْنٌ) قال : عظام الأعين .

قال ابن بري : هو أجزء بن جابر العجلي ، وكان نصرانيا . قال : وقوم يحملون المزرف مثل المزوف ، الذي قد زُفَ دمه . وقال الحياني : زُفَ الرجل ، فهو مزوف وزريف سكر ، فذهب عقله . اهـ . وقول الأبيرد « شربتم ومدرتم » لعله يريد : سلحتم على أنفسكم لدهاب عقولكم ، من قولهم : مدرت الضبع : إذا سلحت . وانظر (اللسان : مدر) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (عَيْنٌ) قال : العَيْنَاءُ :
العظيمة العين .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا محمد بن الفرج الصدقي الدمشقي ، عن عمرو بن
هاشم ، عن ابن أبي كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن أبيه ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
أنها قالت : « قلت يا رسول الله ، أخبرني عن قول الله (حُورٌ عِينٌ) قال : العَيْنُ : الضَّخَامُ العَيْنُونَ شُفْرُ
الْحَوْرَاءِ بِمَثَرَلَةٍ جَنَاحِ النَّسْرِ » .

وقوله (كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) اختلف أهل التأويل في الذي به شُبِّهْنَ مِنَ البَيْضِ بهذا القول ،
فقال بعضهم : شُبِّهْنَ ببطن البيض في البياض ، وهو الذي داخل القِشْر ، وذلك أن ذلك لم يمسه شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جببير ، في قوله
(كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) قال : كأنهن بطن البيض .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ
مَكْنُونٌ) قال : البيض حين يُقَشَّرُ قبل أن تمسه الأيدي .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) لم تمر به
الأيدي ، ولم تمسه ، يشبهن بياضه .

وقال آخرون : بل شبهن بالبيض الذي يحضنه الطائر ، فهو إلى الصفرة ، فشبه بياضهن في الصفرة بذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ)
قال : البيض الذي يُكِنُّه الريش ، مثل بيض النعام الذي قد أكنه الريش من الريح ، فهو أبيض إلى الصفرة ،
فكأنه يُسْبَرُ ، نللك المكنون .

وقال آخرون : بل عني بالبيض في هذا الموضع : اللؤلؤ ، وبه شُبِّهْنَ في بياضه وصفائه .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (كَأَنَّهِنَّ
بَيْضٌ مَكْنُونٌ) يقول : اللؤلؤ المكنون .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي : قول من قال : شبهن في بياضهن ، وأنهن لم يمسن قبل
أزواجهن لأنس ولا جان ، ببياض البيض ، الذي هو داخل القشر ، وذلك هو الجلدة الملبسة المح ، قبل أن تمسه
يد أو شيء غيرها ، وذلك لاشك هو المكنون : فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسه ، والأيدي تباشرها ،
والعش يلقاها . والعرب تقول لكل مصون : مكنون . ما كان ذلك الشيء : لؤلؤا كان ، أو بيضا ، أو متاعا ،
كما قال أبو دهبيل :

وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةٍ الْغَوَّاصِ مَيِّزَتُ مِينَ جَوْهَرٍ مَكْنُونٍ^(١)
وتقول لكل شيء أضمرته الصدور : أكننته ، فهو مكن .

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا محمد بن الفرج الصدقي الدمياطي ، عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة ، عن هشام ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة ، قلت : « يا رسول الله أخبرني عن قوله (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) قال : رِقَّتُهُنَّ كَرِقَّةِ الْجِلْدَةِ الَّتِي رَأَيْتَهَا فِي دَاخِلِ الْبَيْضَةِ ، الَّتِي تَلِي الْقِشْرَ ، وَهِيَ الْغِرْقَمِيُّ » .

وقوله (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) يقول تعالى ذكره : فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون : يقول : يسأل بعضهم بعضا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) : أهل الجنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) قال : أهل الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : قال قائل من أهل الجنة ، إذ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) . فاختلف أهل التأويل في القرين الذي ذكر في هذا الموضع ، فقال بعضهم : كان ذلك القرين شيطانا ، وهو الذي كان يقول له (أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ) بالبعث بعد الممات .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) قال : شيطان . وقال آخرون : ذلك القرين شريك كان له من بنى آدم ، أو صاحب .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٩ - ١) قال في قوله تعالى : « بئس مكنون » أي مصون . كل لؤلؤ أو بيض أو متاع صنعه ، فهو مكنون . وكل شيء أضمرته في نفسك فقد أكننته . قال الشاعر : « وهي زهراء . . . البيت » اه . ولم يصرح باسم القائل ، وصرح به المؤلف .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قال قائلٌ مِنْهُمْ "إِنِّي كَانَ لِي قَبْرَيْنِ" يَقُولُ أَتَيْتَكَ لِمَنِ الْمُصَدَّقِينَ) قال : هو الرجل المشرك يكون له الصاحب في الدنيا من أهل الإيمان ، فيقول له المشرك : إنك لتصدق بأنك مبعوث من بعد الموت أتذا كنا ترابا ؟ فلما أن صاروا إلى الآخرة ، وأدخل المؤمن الجنة ، وأدخل المشرك النار ، فاطلع المؤمن ، فرأى صاحبه في سواء الجحيم (قَالَ تَاللَّهِ إِن كِيدَتَ لِمُتْرِدِينَ) .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن فترات بن ثعلبة البهرازي في قوله (إِنِّي كَانَ لِي قَبْرَيْنِ) قال : إن رجلين كانا شريكين ، فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار ، وكان أحدهما له حرفة ، والآخر ليس له حرفة ، فقال الذي له حرفة للآخر : ليس لك حرفة ، ما أراني إلا مفارقك ومفاسمك ، ففاسمه وفارقه . ثم إن الرجل اشترى دارا بألف دينار ، كانت للملك مات ، فدعا صاحبه فأراه ، فقال : كيف ترى هذه الدار ، ابتعتها بألف دينار ؟ قال : ما أحسنها ! فلما خرج قال : اللهم إن صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار ، وإني أسألك دارا من دور الجنة ، فتصدق بألف دينار ؛ ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم إنه تزوج امرأة بألف دينار ، فدعاه وصنع له طعاما ؛ فلما أتاه قال : إنني تزوجت هذه المرأة بألف دينار ؛ قال : ما أحسن هذا ؛ فلما انصرف قال : يا رب إن صاحبي تزوج امرأة بألف دينار ، وإني أسألك امرأة من الحور العين ، فتصدق بألف دينار ؛ ثم إنه مكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم اشترى بستانين بألف دينار ، ثم دعاه فأراه ، فقال : إنني ابتعت هذين البستانين ، فقال : ما أحسن هذا ! فلما خرج قال : يا رب إن صاحبي قد اشترى بستانين بألف دينار ، وأنا أسألك بستانين من الجنة ، فتصدق بألف دينار ؛ ثم إن الملك أتاهما فتوفاهما ؛ ثم انطلق بهذا المتصدق ، فأدخله دارا تعجبه ، فإذا امرأة تطلُّع يضيء ما تحبها من حسنها ، ثم أدخله بستانين ، وشيئا الله به عليم ، فقال عند ذلك : ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا ، قال : فإنه ذاك ، ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة ، قال : فإنه كان لي صاحب يقول : (أَتَيْتَكَ لِمَنِ الْمُصَدَّقِينَ) ؟ قيل له : فإنه في الجحيم ، قال : فهل أنتم مطَّلعون ، فاطلَّع فرآه في سواء الجحيم ، فقال عند ذلك (تَاللَّهِ إِن كِيدَتَ لِمُتْرِدِينَ ، وَلَتَوَلَّا نِعْمَةَ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) . . . الآيات .

وهذا التأويل الذي تأوله فترات بن ثعلبة يقوى قراءة من قرأ (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدَّقِينَ) بتشديد الصاد بمعنى : لمن المتصدقين ، لأنه يذكر أن الله تعالى ذكَّره ، وإنما أعطاه ما أعطاه على الصدقة ، لأعلى التصديق ، وقراءة قرآء الأمصار على خلاف ذلك ، بل قراءتها بتخفيف الصاد ، وتشديد الدال ، بمعنى : إنكار قرينه عليه التصديق أنه يبعث بعد الموت ، كأنه قال : أتصدق بأنك تُبعث بعد مماتك ، وتُجزى بعملك ، وتحاسب ؟ يدل على ذلك قول الله (أُنذِرًا مِمَّنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَتَيْنَا لَمَدِينُونَ) وهي القراءة الصحيحة عندنا ، التي لا يجوز خيلافها . لإجماع الحجة من القراء عليها .

وقوله (أَيْنَمَا لَمَدِ يَنْوُنَ) يقول : أئنا لحاسبون ومجزئيون بعد مصيرنا عظاما ، ولخومنا ترابا ؟
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (أَيْنَمَا لَمَدِ يَنْوُنَ) يقول : أئنا لحجازون بالعمل كما تدب يدان .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَيْنَمَا لَمَدِ يَنْوُنَ) : أئنا لحاسبون .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أَيْنَمَا لَمَدِ يَنْوُنَ) :
محاسبون .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ هَلْ أُنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَأَلَّهَ إِنْ كَدَتَ
لُتْرِدِينَ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضِرِينَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه : (هل أنتم مُطَّلِعُونَ) في النار ، لعلني أرى
قربني الذي كان يقول لي : إنك لمن المصدِّقين بأننا مبعوثون بعد الممات . وقوله (فاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ
الْجَحِيمِ) يقول : فاطَّلَعَ في النار ، فرآه في وَسَطِ الْجَحِيمِ . وفي الكلام متروك استغنى بدلالة الكلام عليه من
ذكره ، وهو فقالوا : نعم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (فاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) قال : أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فِي سَوَاءِ
الْجَحِيمِ) يعني : في وَسَطِ الْجَحِيمِ .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
(فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) يعني : في وسط الجحيم .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن الحسن ، في قوله (فِي سَوَاءِ
الْجَحِيمِ) يقول : في وسط الجحيم .
حدثنا ابن سنان ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا عباد بن راشد ، قال : سمعت الحسن ، فذكر مثله .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، في قوله (سَوَاءِ
الْجَحِيمِ) قال : وَسَطُهَا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (هَلْ أُنْتُمْ مُطَّلِعُونَ) قال :
سأل ربه أن يطلعه ، قال (فاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) : أي في وسط الجحيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن خُلَيْدِ الْعَصْرِيِّ ، قال : لولا أن الله عرفه إياه ما عرفه ، لقد تغير حَبْرُهُ وَسَبْرُهُ بعده . وذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم ، فقال : (تالله إن كِيدَتَ لَسْتَرْدِينَ ، وَلَوْ لَا نِعْمَةَ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا إبراهيم بن أبي الوزير ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، في قوله (فاطَّلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) قال : والله لولا أنه عرفه ما عرفه ، لقد غيرت النار حَبْرَهُ وَسَبْرَهُ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ) قال : كان ابن عباس يقرأها (هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ) ، فاطَّلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ . قال : في وسط الجحيم .

وهذه القراءة التي ذكرها السدي ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ في (مُطَّلِعُونَ) ، إن كانت محفوظة عنه ، فإنها من شواذ الحروف ، وذلك أن العرب لا تؤثر في المكني من الأسماء إذا اتصل بفاعل على الإضافة ، في جمع أو توحيد ، لا يكادون أن يقولوا أنت مُكَلَّمَتِي ، ولا أنتما مُكَلَّمَاتِي ، ولا أنتم مُكَلَّمُونِي ، ولا مُكَلَّمُونَتِي ، وإنما يقولون : أنت مُكَلَّمِي ، وأنتما مُكَلَّمَايَ ، وأنتم مُكَلَّمَتِي ؛ وإن قال قائل منهم ذلك ، قاله على وجه الغلط ، توهمًا به : أنت تكلمني ، وأنتما تكلماني ، وأنتم تكلموني ، كما قال الشاعر :

وَمَا أَدْرِي وَظَنِّي كُلَّ ظَنٍّ أَمْ سُلَيْمِي إِلَى قَوْمِي شَرَّاحِي؟^٢

فقال : مسلمي ، وليس ذلك وجه الكلام ، بل وجه الكلام أمسلمي ؛ فأما إذا كان الكلام ظاهرًا ولم يكن متصلًا بالفاعل ، فإنهم ربما أضافوا ، وربما لم يضيفوا ، فيقال : هذا مكلم أخاك ، ومكلم أخيك ، وهذا مكلم أخيك ، ومكلمان أخاك ، وهؤلاء مكلمو أخيك ، ومكلمون أخاك ؛ وإنما تختار الإضافة في المكني المتصل بفاعل ، لمصير الحرفين باتصال أحدهما بصاحبه ، كالحرف الواحد .

وقوله (تالله إن كِيدَتَ لَسْتَرْدِينَ) يقول : فلما رأى قرينه في النار قال : تالله إن كدت في الدنيا لتهلكني بصدك إياي عن الإيمان بالبعث والثواب والعقاب .

(١) في (اللسان : حبر) الخبر والسبر : الحسد والبهاؤ .

(٢) البيت من شواهد القراءة في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧٢) قال في قوله تعالى « هل أنتم مطلمون » : وقرأ بعض القراء : « هل أنتم مطلمون فاطلع » فكسر النون ، وهو شاذ ؛ لأن العرب لا تختار على الإضافة إذا أسندوا فاعلا مجموعا أو موحدًا ، إلى مكني عنه . فن ذلك أن يقولوا : أنت ضاربي ، ويقولون للثنتين : أنتما ضاربتني ، وللجميع أنتم ضاربتني ، ولا يقولون للثنتين أنتما ضاربتني ، ولا للجميع : أنتم ضاربتوني ؛ وإنما تكون هذه النون في يضربتوني يضربتني ووربما غلط الشاعر ، فيذهب إلى المعنى ، فيقول : أنت ضاربتني؟ يتوهم أنه أراد : هل تضربتني ، فيكون ذلك على غير صحة ، قال الشاعر : « وما أدري وظني . . . البيت » ، يريد شراحيل ، ولم يقل : أمسلمي ، وهو وجه الكلام . وقال آخر :

هم القائلون الخبر والفاعلونه إذا ما خشوا من محدث الأمر معظما

ولم يقل : « الفاعلوه » ، وهو وجه الكلام . وإنما اختاروا (العرب) الإضافة في الاسم المكني ، لأنه يختلط بما قبله (أي يلتصق به) فيصير الحرفان كالحرف الواحد ، فلذلك استحبوا الإضافة في المكني ، وقالوا هما ضاربان زيدًا ، وضاربا زيدًا ، لأن زيدًا في ظهوره لا يختلط بما قبله ، لأنه ليس بحرف واحد ، والمكني (الضمير) : حرف . فأما قوله « فاطلع » : فإنه على جهة فعل ذلك به ، كما تقول : دعا فأجيب يا هذا . ويكون : هل أنتم مطلمون فاطلع أنا ، فيكون منصوبًا بجواب الفاء . ١٠

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين . قال : ثنا أحمد . قال : ثنا أسباط . عن السدي قوله (إن كيدت لسترد بين) قال : لم يكن . يقال منه : أردى فلان فلانا : إذا أهلكه . وردى فلان : إذا هلك . كما قال الأعشى :

آفِي الطَّوْفِ خِفْتُ عَلَى الرَّدَى وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلَهُ لَمْ يَرِمْ^١

يعنى بقوله : « وكم من رد » : وكم من هالك .

وقوله (وَلَوْ لَا نِعْمَةٌ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) يقول : ولولا أن الله أنعم على بهديته ، والتوفيق للإيمان بالبعث بعد الموت ، لكنت من المحضرين معك في عذاب الله .

كما حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة (لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) : أى في عذاب الله .

حدثنا محمد بن الحسين . قال : ثنا أحمد . قال : ثنا أسباط . عن السدي . قوله (لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) قال : من المعديين .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ؟ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهَوَ الْفَوْزِ

الْعَظِيمِ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١)

يقول تعالى ذكره خبيرا عن قيل هذا المؤمن ، الذي أعطاه الله ما أعطاه من كرامته في جنته ، سرورا منه بما أعطاه فيها (أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ؟) يقول : أفما نحن بمبتلين غير موتنا الأولى في الدنيا . (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) يقول : وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة . (إِنَّ هَذَا لَهَوَ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ) : يقول : إن هذا الذي أعطانا الله من الكرامة في الجنة ، أنا لانعذب ولا نموت ، هو النجاء العظيم ، مما كنا في الدنيا نحذر من عقاب الله ، وإدراك ما كنا فيها ، نؤمل بإيماننا ، وطاعتنا ربنا .

كما حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . قوله (أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ) . . . إلى قوله (الْفَوْزِ الْعَظِيمِ) قال : هذا قول أهل الجنة .

وقوله (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) يقول تعالى ذكره : لمثل هذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين ، من الكرامة في الآخرة ، فليعمل في الدنيا لأنفسهم العاملون ، ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم .

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٤١) من قصيدة ميمية مطولة يمدح بها قيس بن معد يكرب . والبيت من أبيات في آخرها ، يخاطب الشاعر بها ابنته التي تحشى عليه الموت بسبب طول أسفاره وكثرتها ، فيرد عليها قائلا : أخفت على الموت بسبب السفر ؛ فانظري كم إنسان يموت ولا يرح ديار أهله . والردى : الهلاك ، وهو محل الشاهد على قوله تعالى : « إن كدت لتردين » أي إنك كدت تهلكي . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٩ - ب) : أرديته : أهلكته وردى هو : أى هلك . اه . وقال الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ٢٧٢) قال : « هل أنتم مطعون » : هذا رجل من أهل الجنة ، قد كان له أخ من أهل الكفر ، فأحب أن يرى مكانه ، فيأذن الله له ، فيطلع في النار ويخاطبه ، فإذا رآه قال : « تالله إن كدت لتردين » . وفي قراءة عبدالله : (هو ابن مسعود) : « إن كدت لتعوين . ولولا رحمة ربي لكنت من المحضرين » : أى معك في النار محضرا .

القول في تأويل قوله تعالى

أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره : أهدا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين ، الذين وصفت صفتهم ، من كرامتي في الجنة ، ورزقهم فيها من النعيم خير ، أو ما أعددت لأهل النار من الزقوم . وعيبي بالنزل : الفضل ، وفيه لغتان : نزل ونزل . يقال للطعام الذي له ربيع : هو طعام له نزل ونزل . وقوله (أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ) ذكر أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية ، قال المشركون : كيف ينبت الشجر في النار ، والنار تحرق الشجر ؟ فقال الله : (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) يعني هؤلاء المشركين الذين قالوا في ذلك ما قالوا ، ثم أخبرهم بصفة هذه الشجرة . (فَقَالَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ) ؟ حتى بلغ (فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) قال : لما ذكر شجرة الزقوم افتتن الظالم ، فقالوا : ينبتكم صاحبكم هذا ، أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر ، فأنزل الله ما تسمعون : أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، غلبيت بالنار ، ومنها خلقت .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال أبو جهل : لما نزلت (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ) قال : تعرفونها في كلام العرب : أنا آتيكم بها ، فدعا جارية فقال : اتيني بتمر وزبد ، فقال : دونكم تزقمو ، فهذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد ، فأنزل الله تفسيرها (أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ) ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) قال : لأبي جهل وأصحابه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) قال : قول أبي جهل : إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه .

وقوله (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) يقول تعالى ذكره : كأن طلع هذه الشجرة ، يعني شجرة الزقوم في قبحة وسماجته : رؤوس الشياطين في قبحها .

وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَابِتَةٌ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) قال : شبهه بذلك .

فإن قال قائل : وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برعوس الشياطين في القبح ، ولا علم عندنا بمبلغ قبح رعوس الشياطين ، وإنما يمثل الشيء بالشيء تعريفًا من الممثل للممثل له . قرب اشتباه الممثل أحدهما بصاحبه ، مع معرفة الممثل له الشئين كليهما ، أو أحدهما ، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين ، لم يكونوا عارفين شجرة الزقوم ، ولا برعوس الشياطين ، ولا كانوا رأوها ، ولا واحدا منهما ؟

قيل له : أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى ذكره ولم يبينها ، حتى عرفوها ماهي وما صفتها ، فقال لهم (شجرة) تخرج في أصل الجحيم ، طلعها كأنه رءوس الشياطين فلم يتركهم في عماء منها . وأما في تمثيها طلوعها برعوس الشياطين ، فأقوال ، لكل منها وجه مفهوم : أحدها أن يكون مثل ذلك برعوس الشياطين ، على نحو ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم ، وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم ، إذا أراد أحدهم المبالغة في تقيح الشيء ، قال : كأنه شيطان ، فذلك أحد الأقوال . والثاني : أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب ، تسمى شيطانا ، وهي حية له عرف فيما ذكر ، قبيح الوجه والمنظر ، وإياه عنى الراجز بقوله :

عَنْجَرِدٌ تَحْلِفُ حِينَ أَحْلِفُ كَيْشَلِ شَيْطَانِ الْحَمَاطِ أَعْرَفُ

ويروي : عجيز . والثالث : أن يكون مثل نبت معروف برعوس الشياطين ذكر أنه قبيح الرأس (فلأنهم لا يكلون منها فالبطون منها البطون) يقول تعالى ذكره : فإن هؤلاء المشركين الذين جعل الله هذه الشجرة لهم فتنه ، لا يكلون من هذه الشجرة التي هي شجرة الزقوم ، فالتون من زقومها بطونهم .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِمَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا
ءَابَاءَهُمْ صَاحِبِينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّهْرَعُونَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ) ثم إن هؤلاء المشركين على ما يأكلون من هذه الشجرة شجرة الزقوم ، شوبًا . وهو الحماط من قول العرب : شاب فلان طعامه فهو يشوبه شوبًا وشيبًا (من حميم) والحميم : الماء المحموم ، وهو الذي أُنْتِخِنُ فأنتهى حره ، وأصله مفعول ، صرف إلى فاعيل .

(١) هذان البيتان من مشطور الرجز ، أنشدهما القراء في معاني القرآن . (مصورة الجامعة ٢٧٣) عند تفسير قوله تعالى : « كأنه رعوس الشياطين » قال : فإن فيه في العربية ثلاثة أوجه : أحدها : أن تشبه طلوعها في قبحه برعوس الشياطين ، لأنها موصوفة بالقبح ، وإن كانت لا ترى ، وأنت قائل للرجل كأنه شيطان : إذا استقبته . والآخرون : العرب تسمى بعض الحيات شيطانا ، وهو حية ذو عرف ، قال الشاعر وهو يذم امرأة له : « عنجرد تحلف . . . البيت » . ويقال : إنه نبت قبيح يسمى برعوس الشياطين . والأوجه الثلاثة إلى معنى واحد في القبح . اهـ . وفي (اللسان : عنجرد) : الأزهرى - الفراء : امرأة عنجرد خبيثة سيئة الخلق ، وأنشد بيت الشاهد . وقال غيره : امرأة عنجرد : سليطة . وفي (اللسان : حط) عن الجوهرى : الحماط بييس الأفاعي ، تألفه الحيات ، يقال شيطان حماط ، كما يقال : ذئب غصى ، وتيس حلب . وقال الأزهرى العرب تقول بلحسن من الحيات : شيطان الحماط . وقيل الحماطة بلغة هذيل : شجر عظام تنبت في بلادهم ، تألفها الحيات . والحماط : تبين الذرة خاصة عن أبي حنيفة . اهـ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (**ثُمَّ إِنَّ كَلِمَ عَسَىٰ لَهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ**) . يقول : **الْمَرْجَا** .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (**ثُمَّ إِنَّ كَلِمَ عَسَىٰ لَهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ**) . يعني : شرب الحميم على الزقوم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**ثُمَّ إِنَّ كَلِمَ عَسَىٰ لَهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ**) قال : **مِزَاجًا مِنْ حَمِيمٍ** .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (**ثُمَّ إِنَّ كَلِمَ عَسَىٰ لَهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ**) قال : **الشَّوْبُ** : الخَلْطُ ، وهو **الْمَرْجُ** .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (**ثُمَّ إِنَّ كَلِمَ عَسَىٰ لَهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ**) قال : **حَمِيمٌ** يُشَابُ لَمْ يَغْسَاقُ مِمَّا تَغْسِقُ أَعْيُنُهُمْ ، وَصَدِيدٌ مِنْ قِيحِهِمْ وَدِمَائِهِمْ ، مِمَّا يُخْرَجُ مِنْ أَجْسَادِهِمْ .

وقوله (**ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ**) يقول تعالى ذكره : **ثُمَّ إِنَّ مَأْوَهُمْ وَمَصِيرُهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ** . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (**ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ**) فهم في عناء وعذاب من نار جهنم ، وتلا هذه الآية (**يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آناً**) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قوله (**ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ**) قال في قراءة عبد الله (**ثُمَّ إِنَّ مَسْقَلِبَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ**) وكان عبد الله يقول : « **والذي**

نفسى بيده ، لا ينتصف النهار يوم القيامة ، حتى ينقل أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، ثم قال (**أَحْسَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا**) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (**ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ**) قال : موتهم .

وقوله (**إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ**) يقول : إن هؤلاء المشركين الذين إذا قيل لهم : قولوا

لا إله إلا الله يستكبرون ، وجدوا آباءهم ضالًّا عن قصد السبيل ، غير سالكين **مَحَجَّةَ الْحَقِّ** (**فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ**) يقول : فهؤلاء يسرع بهم في طريقهم ، ليقتفوا آثارهم وسنتهم ، يقال منه : **أُهْرِعَ**

فلان : إذا سار سيرا حثيثا ، فيه شبهة بالرعدة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس قوله (**إِنَّهُمْ**

أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ) : أى وجدوا آباءهم ضالِّين .

(١) لعله : مفرم أو مالم .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . قوله (**لَأَنَّهُمْ لَأَفْمَقُوا آبَاءَهُمْ**) : أى وجدوا آباءهم .

وبنحو الذى قلنا فى **يُهْرَعُونَ** أيضا ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الجارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا . عن ابن أبى نجيح . عن مجاهد . قوله (**فَهَمُّ عَلَى آثَارِهِمْ يَهْرَعُونَ**) قال : كهيفة الحرولة .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة (**فَهَمُّ عَلَى آثَارِهِمْ يَهْرَعُونَ**) : أى يسرعون إسراعا فى ذلك .

حدثنا محمد بن الحسين . قال : ثنا أحمد بن المفضل . قال : ثنا أسباط . عن السدى . فى قوله : (**يَهْرَعُونَ**) قال : يسرعون .

حدثنى يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد . فى قوله (**يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ**) قال : يستعجلون إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ (٧٢) فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤)

يقول تعالى ذكره : ولقد ضلّ يا محمد عن قصد السبيل ومحجة الحق قبل مشركى قومك من قريش ، أكثر الأمم الخالية من قبلهم (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ**) يقول : ولقد أرسلنا فى الأمم التى خلت من قبل أمتك ، ومن قبل قومك المكذبيك ، منذرين تنذروهم بأسنا على كفرهم بنا . فكذبوهم ولم يقبلوا منهم نصائحهم ، فأحللنا بهم بأسنا وعقوبتنا (**فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ**) يقول : فتأمل وتبين كيف كان غيب أمر الذين أنذرتهم أنبيأؤنا ، وإلآم صار أمرهم ؟ وما الذى أعقبهم كفرهم بالله ؟ ألم نهلكهم فنصيرهم للعباد عبرة ؟ ولئن بعدهم عظة ؟

وقوله (**إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ**) يقول تعالى : فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ، إلا عباد الله الذين أخلصناهم للإيمان بالله وبرسوله ، واستثنى عباد الله من المنذرين . لأن معنى الكلام : فانظر كيف أهلكتنا المنذرين إلا عباد الله المؤمنين ، فلذلك حسن استثنائهم منهم .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (**إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ**) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (إلا عباد الله المُخْلِصِينَ) قال : الذين استخلصهم الله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَتَجَيَّنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦)
وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره : لقد نادانا نوح بمسئته إيانا هلاك قومه . فقال : (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَلَمْ يَبْرُدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا) . . . إلى قوله (رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دِيَارًا) . وقوله (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) يقول : فلنعم المجيبون كنا له إذ دعانا ، فأجبنا له دعاءه ، فأهلكنا قومه (وَتَجَيَّنَاهُ وَأَهْلَهُ) يعني : أهل نوح الذين ركبوا معه السفينة . وقد ذكرناهم فيما مضى قبل ، وبيننا اختلاف العلماء في عددهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) قال : أجابه الله .

وقوله (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) يقول : من الأذى والمكروه الذي كان فيه من الكافرين ، ومن كرب الطوفان والغرق الذي هلك به قوم نوح .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَتَجَيَّنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) قال : من الغرق .

وقوله (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) يقول : وجعلنا ذرية نوح هم الذين بقوا في الأرض بعد مهلك قومه ، وذلك أن الناس كلهم من بعد مهلك نوح إلى اليوم ، إنما هم ذرية نوح ، فالعجم والعرب أولاد سام ابن نوح ، والترک والصقالبة والخرز أولاد يافث بن نوح ، والسودان أولاد حام بن نوح ، وبذلك جاءت الآثار ، وقالت العلماء .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن عثمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) قال : سام وحام ويافث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) قال : فالناس كلهم من ذرية نوح .

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ) يقول : لم يبق إلا ذرية نوح .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ (٨٢)

يعني تعالى ذكره بقوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) وأبقينا عليه ، يعني على نوح ذكرا جميلا ، وثناء حسنا في الآخِرِينَ . يعني : فيمن تأخّر بعده من الناس ، يذكرونه به .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) يقول : يذكّر بخير .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) يقول : جعلنا لسان صدق للأنبياء كلهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) قال : أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخِرِينَ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) قال : الثناء الحسن .

وقوله (سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) يقول : آمنته من الله لنوح في العالمين ، أن يذّكره أحد بسوء ، وسلام مرفوع بعليّ . وقد كان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول : معناه : وتركنا عليه في الآخِرِينَ . (سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ) : أي تركنا عليه هذه الكلمة ، كما تقول : قرأت من القرآن (الحمد لله رب العالمين) ، فتكون الجملة في معنى نصب ، وترفعها باللام ، كذلك سلام على نوح ترفعه بعليّ ، وهو في تأويل نصب ، قال : ولو كان : تركنا عليه سلاما ، كان صوابا .

وقوله (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : إنا كما فعلنا بنوح ، مجازاة له على طاعتنا ، وصبره على أذى قومه في رضانا (فَأَجْزَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ، وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ) ، وأبقينا عليه ثناء في الآخِرِينَ (كَذَلِكَ نَجْزِي) الذين يُحْسِنُونَ فِطْعُونَنَا ، وينتهون إلى أمرنا ، ويصبرون على الأذى فينا . وقوله (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) يقول : إن نوحا من عبادنا الذين آمنوا

بنا ، فوحدونا ، وأخلصوا لنا العبادة ، وأفردونا بالألوهة . وقوله (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ) يقول تعالى ذكره : ثم أغرقنا حين نجينا نوحا وأهله من الكرب العظيم ، من بيتي من قومه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ) قال : أنجاه الله ومن معه في السفينة ، وأغرق بقية قومه .

القول في تأويل قوله تعالى

* وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ؟ (٨٥) أَفَنُكَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ؟ (٨٦)

يقول تعالى ذكره : وإن من أشياع نوح على منهاجه وملته ، والله لإبراهيم خليل الرحمن . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ) يقول : من أهل دينه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ) قال : على منهاج نوح وسنته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ) قال : على منهاجه وسنته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ) قال : على دينه وملته .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ) قال : من أهل دينه .

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك : وإن من شيعته محمد لإبراهيم ، وقال ذلك مثل قوله (وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) بمعنى : أنا حملنا ذرية من هم منه ، فجعلها ذرية لهم ، وقد سبقهم .

وقوله (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) يقول تعالى ذكره : إذ جاء إبراهيمُ ربَّه بقلب سليم من الشرك ، مخلص له التوحيد .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) والله من الشرك .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : سليم من الشرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : لاشك فيه .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام بن علي ، قال : ثنا هشام ، عن أبيه ، قال : يا بني لا تكونوا لعانين ، ألم تروا إلى إبراهيم لم يلعن شيئا قط ، فقال الله (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) .

وقوله (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ؟) يقول حين قال : يعنى إبراهيم لأبيه وقومه : أى شيء تعبدون ؟

وقوله (أَيْفُكَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ؟) يقول : أكذبا معبودا غير الله تريدون ؟

القول في تأويل قوله تعالى

فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ؟ (٨٧) فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمْ ، فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ؟ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ؟ (٩٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم لأبيه وقومه : (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ؟ يقول : فأى شيء تظنون أيها القوم أنه يصنع بكم إن لقيتموه وقد عبدتم غيره .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره .

وقوله (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) أي نظروا نظرا في النجوم فقال إني سقيم) ذكر أن قومه كانوا أهل تنجيم ، فرأى نجما قد طلع ، فعصب رأسه وقال : إني مطعون ، وكان قومه يهربون من الطاعون ، فأراد أن يتركوه في بيت آلهم ، ويخرجوا عنه ، ليخالفهم إليها فيكسرها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ فِي النُّجُومِ) فقال إني سقيم) قال : قالوا له وهو في بيت آلهم : اخرج ، فقال إني مطعون ، فتركوه مخافة الطاعون .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عتيبة ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ فِي النُّجُومِ) فقال إني سقيم) : رأى نجما طالع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، أنه رأى نجماً طلع فقال (إني سقيم) قال : كأيدي نبي الله عن دينه ، فقال : إني سقيم .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (فَتَنْظُرَ نَظْرَةً فِي الشُّجُومِ) فقال (إني سقيم) قالوا لإبراهيم وهو في بيت آلهم : اخرج معنا ، فقال لهم : إني مطعون ، فتركوه مخافة أن يعذبهم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، عن أبيه ، في قول الله (فَتَنْظُرَ نَظْرَةً فِي الشُّجُومِ) فقال (إني سقيم) قال : أرسل إليه ملكهم ، فقال : إن غداً عيدنا ، فاحضر معنا ، قال : فنظر إلى نجم ، فقال : إن ذلك النجم لم يطلع قط إلا طلع بسم لي ، فقال : (إني سقيم) .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَتَنْظُرَ نَظْرَةً فِي الشُّجُومِ) فقال (إني سقيم) يقول الله (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) . وقوله (إني سقيم) : أي طعين ، أو لسقم كانوا يهربون منه إذا سمعوا به ، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه ، ليلبغ من أصنامهم الذي يريد .
واختلف في وجه قيل إبراهيم لقومه : (إني سقيم) وهو صحيح ، فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ غَيْرَ ثَلَاثِ كَذَبَاتٍ ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، قَوْلَهُ : إني سقيم » ، وقوله : بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ، وقوله في سارة : هِيَ أُخْتِي » .
حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو الزناد ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ » ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن المسيب بن رافع ، عن أبي هريرة ، قال : « ما كذب إبراهيم غير ثلاث كذبات ، قوله (إني سقيم) ، وقوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ، وإنما قاله موعظة ، وقوله حين سأله الملك ، فقال أختي سارة ، وكانت امرأته » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن محمد ، قال : « إن إبراهيم ما كذب إلا ثلاث كذبات ، ثنتان في الله ، وواحدة في ذات نفسه : فأما الثنتان فقوله (إني سقيم) ، وقوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) وقصته في سارة ، وذكر قصتها وقصة الملك » .

وقال آخرون : إن قوله (إني سقيم) كلمة فيها معراض ، ومعناها أن كل من كان في عقبه الموت فهو سقيم ، وإن لم يكن به حين قالها سقم ظاهر ، والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف هذا القول ،

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحقّ دون غيره ، قوله (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) يقول : فتولّوا عن إبراهيم مدبرين عنه ، خوفاً من أن يعدّ يهّم السقم الذي ذكر أنه به .
كما حدثت عن يحيى بن زكريا ، عن بعض أصحابه ، عن حكيم بن جبّير ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس (إني سقيمت) يقول : مطعون ، فتولّوا عنه مدبرين ، قال سعيد : إن كان الفرار من الطاعون لقديمًا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فتَوَلَّوْا) فنكصوا عنه مدبرين منطلقين . وقوله (فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ) يقول تعالى ذكره : فمال إلى آلهتهم بعدما خرجوا عنه وأدبروا ، وأرى أن أصل ذلك من قولهم : راغ فلان عن فلان : إذا حاد عنه ، فيكون معناه إذا كان كذلك : فراغ عن قومه ، والخروج معهم إلى آلهتهم ؛ كما قال عدى بن زيد :

حِينَ لَا يَنْفَعُ الرَّوَاعُ وَلَا يَنْفَعُ إِلَّا الْمُصَادِقُ النَّحْرِيرُ

يعنى بقوله : « لا ينفع الرواع » : الحياء . أما أهل التأويل فإنهم فسّروه بمعنى : فقال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ) : أى فمال إلى آلهتهم ، قال : ذهب .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ) قال : ذهب .

وقوله (فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ؟ مَا لَكُمْ لَا تَنْتَضِقُونَ ؟) هذا خبر من الله عن قيل إبراهيم للآلهة ، وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة الكلام عليه من ذكره ، وهو فقرب إليها الطعام فلم يرها تأكل ، فقال لها : (أَلَا تَأْكُلُونَ ؟) فلما لم يرها تأكل قال لها : مالكم لا تأكلون ، فلم يرها تنطق ، فقال لها : (مَا لَكُمْ لَا تَنْتَضِقُونَ) مسهّزًا بها ، وكذلك ذكر أنه فعّل بها ، وقد ذكرنا الخبر بذلك فيما مضى قبل .
وقال قتادة فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ؟) يستنطقهم : (مالكم لا تنتضقون) ؟

(١) البيت نسبة المؤلف لعدي بن زيد العبادى ، ولم أجده فى ترجمته فى الأغاني ، ولا فى شعره فى شعراء النصرانية . ولعله من قصيدته التى مطلعها « أرواح مودع أم بكور » . واستشهد به المؤلف عند قول الله تعالى : « فراغ عليهم ضربا باليمين » ، على أن معنى راغ : حاد ، وفسره بعضهم بمال . وفى (اللسان : روغ) : راغ يروغ روغًا وروغًا : حاد . وراغ : إلى كذا : أى مال إليه سرا وحاد . وقوله تعالى : « فراغ عليهم ضربا » أى مال وأقبل . اهـ . وفى (اللسان : نحر) : والنحر (بكسر النون) والنحرير : الحاذق الماهر العاقل المحجرب . وقيل : النحرير : الرجل الطين الفطن المتقن البصير فى كل شئ . . وجمعه : النحارير . اهـ .
وقال الفراء فى معانى القرآن ٢٧٣ : « فراغ عليهم ضربا باليمين » : أى مال عليهم ضربا ، واغتم خلوتهم من أهل دينهم . وفى قراءة عبد الله (أى ابن مسعود) : « فراغ عليهم صفا باليمين » .

القول في تأويل قوله تعالى

فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ
مَا تَنْحِتُونَ؟ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)

يقول تعالى ذكره : قال على آلهة قومه ضربا لهما باليمين ، بفأس في يده يكسرن .
كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
قال : لما خلا جعل يضرب آلهم باليمين .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، فذكر مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) فأقبل
عليهم يكسرنهم .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، ثم أقبل عليهم كما قال الله ضربا باليمين ، ثم جعل
يكسرن بفأس في يده .

وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى : فراغ عليهم ضربا بالقوة والقدرة ، ويقول : اليمين في هذا
الموضع : القوة . وبعضهم كان يتأول اليمين في هذا الموضع : الخلف ، ويقول : جعل يضربهن باليمين التي
حلف بها بقوله (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَكُّوا مُدْبِرِينَ) .
وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَفْقًا بِالْيَمِينِ) . ورؤى نحو ذلك عن الحسن .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا خالد بن عبد الله الجشمي ، قال : سمعت الحسن
قرأ (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَفْقًا بِالْيَمِينِ) : أي ضربا باليمين .

وقوله (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ،
وبعض قراء الكوفة (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) بفتح الياء وتشديد الفاء من قولهم : زَفَّتِ النعامة ، وذلك
أول عدوها ، وآخر مشيها ؛ ومنه قول الفرزدق :

وَجَاءَ قَرِيبُ الشَّوْلِ قَبْلَ إِفَالِهَاتِهَا يَزْفُ وَجَاءَتْ خَلْفَهُ وَهِيَ زُقْفٌ

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة (يَزْفُونَ) بضم الياء ، وتشديد الفاء ، من أَرْفَ فهو يَزْفُ . وكان القراء يزعم
أنه لم يسمع في ذلك إلا زَفَفْت ، ويقول : لعل قراءة من قرأه (يَزْفُونَ) بضم الياء من قول العرب :

(١) البيت للفرزدق (ديوانه طبعه الصاوي ٥٥٨) من قصيدته التي مطلعها : « عزفت بأعشاش وما كدت تعزف » . وفي (اللسان
قرع) : القرع من الابل الذي يأخذ بقراع الناقة فينيحها . وقيل سمى قريبا ، لأنه يقرع الناقة ، قال الفرزدق (وأنشد بيت الشاهد) .
والإفال : جمع أفيل وأفيلة ، وهو الفصيل . وقال أبو عبيد : الإفال : بنات الخنازير . وفي (اللسان : زف) : سرعة المشي
مع تقارب وسكون . وقيل : هو أول عدو النعام . زف يزف زفا ، وزفيفا ، وزفوقا ، وأزف عن ابن الأعرابي . قال القراء في معاني
القرآن : والناس يزفون ، بفتح الياء ، أي يسرعون . وقرأها الأعمش يزفون (بضم الياء) أي يجيئون على هيئة الزفيف ، بمنزلة
الزفوفة على هذه الحال . وقال الزجاج : يزفون : يسرعون . وأصله من زفيف النعامة ، وهو ابتداء عدوها . . ام .

أَطْرَدْتُ الرَّجُلَ : أَي صيرته طريدا ، وطردته : إذا أنت خسأته ، إذا قلت : اذهب عنا ، فيكون يزفون : أَي جاءوا على هذه الهيئة بمنزلة المزفوفة على هذه الحالة ، فتدخل الألف كما تقول : أهدت الرجل : إذا أظهرت حده ، وهو محمد إذا رأيت أمره إلى الحمد ، ولم تنشر حده ؛ قال : وأنشدني المفضل :

تَمَسَّنِي حُصَيْنٌ أَنْ يَسُودَ جِدَاعَهُ فَأَمَسَى حُصَيْنٌ قَدَّ أَذْلًا وَأَقْهَرًا

فقال : أَقْهَرَ ، وإنما هو قَهْرٌ ، ولكنه أراد : صار إلى حال قهر . وقرأ ذلك بعضهم (يَزْفُونَ) بفتح الياء ، وتخفيف الفاء ، من وَزَفَ يَزْفُ . وذُكِرَ عن الكسائي أنه لا يعرفها ، وقال الفراء : لا أعرفها إلا أن تكون لغة لم أسمعها . وذُكِرَ عن مجاهد أنه كان يقول : الوَزْفُ : النَّسْلَانُ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَيْهِ يَزْفُونَ) قال : الوزيف : النَّسْلَانُ . والصواب من القراءة في ذلك عندنا : قراءة من قرأه بفتح الياء ، وتشديد الفاء ، لأن ذلك هو الصحيح المعروف من كلام العرب ، والذي عليه قراءة الفصحاء من القراء .

وقد اختلف أهل التأويل في معناه ، فقال بعضهم : معناه : فأقبل قوم إبراهيم إلى إبراهيم يَجْرُونَ .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس . قوله (فَأَقْبَسُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) : فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَجْرُونَ . وقال آخرون : أَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَمْسُونَ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين . قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قوله (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) قال : يَمْسُونَ . وقال آخرون : معناه : فَأَقْبَلُوا يَسْتَعْجِلُونَ .

(١) البيت للمخيل السعدي يهجو الزبرقان . واستشهد به الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ٢٧٣) لتخريج قراءة الأعمش قوله تعالى : « فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ » بضم الياء . قال كأنها من أزفقت ، ولم نسمعها إلا زفقت . تقول للرجل : جاءنا يزف (بفتح الياء) . ولعل قراءة الأعمش من قول العرب : قد أطردت الرجل : أي صيرته طريدا ، وطردته : إذا أنت قلت له : اذهب عنا . « يزفون » : أي جاءوا على هذه الهيئة بمنزلة المزفوفة على هذه الحال ، فتدخل الألف ، كما تقول للرجل : هو محمود : إذا أظهرت حده ، وهو محمد : إذا رأيت أمره إلى الحمد ؛ ولم تنشر حده . قال : وأنشدني المفضل : « تمى حصين . . . البيت » فقال : أقهر : أي صار إلى القهر ، وإنما هو قهر . وقرأ الناس بعد « يزفون » بفتح الياء ، وكسر الزاي . وقد قرأ بعض القراء : « يزفون » بالتخفيف كأنها من وزف يزف . وزعم الكسائي أنه لا يعرفها . وقال الفراء : لا أعرفها أيضا ، إلا أن تكون لم تقع إلينا . وفي اللسان والمحكم : جذع : (وجذاع الرجل : قومه ، لا واحد لها) . قال المخيل يهجو الزبرقان : « تمى . . . البيت » . أي قد صار أصحابه أذلاء مقهورين . ورواه الأصمعي : قد أذل وأقهر (بالبناء للمجهول) : فأقهر على هذا ، لغة في « قهر » (مبنيا للمجهول) . أو يكون « أقهر » وجد مقهورا . وخص أبو عبيدة بالجداع رجع الزبرقان .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، عن أبيه (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ)
قال : يستعجلون ، قال : يَزْفٌ : يستعجل .

وقوله (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لقومه : أتعبدون أيها القوم
ما تنحتون بأيديكم من الأصنام .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) الأصنام .
وقوله (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) : يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل إبراهيم لقومه : والله
خلقكم أيها القوم وما تعملون . وفي قوله (وَمَا تَعْمَلُونَ) وجهان : أحدهما : أن يكون قوله « ما » بمعنى
المصدر ، فيكون معنى الكلام حينئذ : والله خلقكم وعملكم . والآخر : أن يكون بمعنى الذى ، فيكون معنى
الكلام عند ذلك : والله خلقكم والذى تعملونه : أى والذى تعملون منه الأصنام ، وهو الخشب والنحاس
والأشياء التى كانوا ينحتون منها أصنامهم .

وهذا المعنى الثانى قصد إن شاء الله فتادة بقوله الذى حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ،
عن قتادة (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ بِأَيْدِيكُمْ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : أَبْنَاؤُهُ بُنِينًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨)

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)

يقول تعالى ذكره : قال قوم إبراهيم لما قال لهم إبراهيم : (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ
وَمَا تَعْمَلُونَ) : ابنوا لإبراهيم بنيانا . ذكر أنهم بنوا له بنيانا يشبه التنور . ثم نقلوا إليه الحطب ، وأوقدوا
عليه . (فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ) والجحيم عند العرب : جمر النار بعضه على بعض ، والنار على النار .

وقوله (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) يقول تعالى ذكره : أراد قوم إبراهيم بإبراهيم كيذا ، وذلك ما كانوا
أرادوا من إحراقه بالنار ، يقول الله (فَجَعَلْنَاهُمْ) أى فجعلنا قوم إبراهيم (الْأَسْفَلِينَ) يعنى الأدلئين
حججة ، وغلبنا إبراهيم عليهم بالحجة ، وأنقذناه مما أرادوا به من الكيد .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ
الْأَسْفَلِينَ) قال : فما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم .

وقوله (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ) يقول : وقال إبراهيم لما أفلتجه الله على قومه ، ونجاهه
من كيدهم (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) يقول : إني مهاجِرٌ من بلدة قومي إلى الله : أى إلى الأرض المقدسة ،
ومفارقهم ، فمعتزهم لعبادة الله .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين) : ذاهب بعمله وقلبه ونيتته .

وقال آخرون في ذلك : إنما قال إبراهيم : (إني ذاهب إلى ربي) حين أرادوا أن يلقوه في النار .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت سليمان بن صرد يقول : لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار (قال إني ذاهب إلى ربي سيهدين) فجمع الحطب ، فجاءت عجوز على ظهرها حطب ، فقيل لها : أين تريدين ؟ قالت : أريد أذهب إلى هذا الرجل الذي يلقى في النار ، فلما ألتى فيها ، قال : حسبي الله عليه توكلت ، أو قال : حسبي الله ونعم الوكيل ، قال : فقال الله : (يا نار كوني برّداً وسلاماً على إبراهيم) قال : فقال ابن لوط ، أو ابن أخي لوط ، إن النار لم تحرقه من أجلى ، وكان بينهما قرابة ، قال : فأرسل الله عليه عنقاً من النار فأحرقته .

وإنما اخترت القول الذي قلت في ذلك ، لأن الله تبارك وتعالى ذكر خبره وخبر قومه في موضع آخر ، فأخبر أنه لما نجاه مما حاول قومه من إحراقه ، قال : (إني مهاجِرٌ إلى ربي) ففسر أهل التأويل ذلك أن معناه : إني مهاجر إلى أرض الشام ، فكذلك قوله (إني ذاهب إلى ربي) لأنه كقوله (إني مهاجِرٌ إلى ربي) .
وقوله (سيهدين) يقول : سيثبتني على الهدى الذي أبصرته ، ويعينني عليه .

وقوله (رب هب لي من الصالحين) وهذا مسئلة إبراهيم ربه أن يرزقه ولدا صالحا ، يقول : قال : يارب ، هب لي منك ولدا يكون من الصالحين ، الذين يطيعونك ، ولا يعصونك ، ويصلحون في الأرض ، ولا يفسدون .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (رب هب لي من الصالحين) قال : ولدا صالحا ، وقال : من الصالحين ، ولم يقل : صالحا من الصالحين ، اجتزأ بمن ذكر المتروك ، كما قال عز وجل (وكانوا فيه من الزاهدين) بمعنى : زاهدين من الزاهدين .

القول في تأويل قوله تعالى

فَبَشِّرْهُ بِبُحْبُوحِهِ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ، قَالَ يَبْنَئِي إِنْ أَرَى فِي الْمَنَامِ
أَنِّي آذِنُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ؟ قَالَ : يَا سَابِتُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّابِرِينَ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره : فبشّر به إبراهيم بسلام حليم ، يعني بسلام إذا هو كبير ، فأما في طفولته في المهد ، فلا يوصف بذلك . وذكر أن الغلام الذي بشر الله به إبراهيم : إسحاق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة :
(فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) قال : هو إسحاق .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) بشر بإسحاق ،
قال : لم يُسْتَنَّ بالحلم على أحد غير إسحاق وإبراهيم .
وقوله (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) يقول : فلما بلغ الغلام الذي بُشِّرَ به إبراهيم ، مع إبراهيم العمل ،
وهو السعي ، وذلك حين أطاق معاونته على عمله .
وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَمَّا
بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) يقول : العمل .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) قال : لما شبَّ
حتى أدرك سعيه سَعَى إبراهيم في العمل .
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله ، إلا أنه
قال : لما شبَّ حين أدرك سعيه .
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ
السَّعْيَ) قال : سعى إبراهيم .
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ
السَّعْيَ) : سَعَى لإبراهيم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ)
قال : السَّعْيُ هاهنا : العبادة .
وقال آخرون : معنى ذلك : فلما مشى مع إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) : أي لما
مشى مع أبيه .
وقوله (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم خليل
الرحمن لابنه : (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) وكان فيما ذُكِرَ أن إبراهيم نذر حين بشرته
الملائكة بإسحاق ولدا ، أن يجعله إذا ولدته سارة لله ذبيحا ، فلما بلغ إسحاق مع أبيه السَّعْيَ أَرَى إبراهيم في المنام ،

فقيل له : أوف لله بنذرك، ورؤيا الأنبياء يقين ، فلذلك مضى لما رأى في المنام ، وقال له ابنه إسحاق ما قال .
ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : « قال جبرائيل لسارة : أبشري بولد اسمه إسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب . فضربت جبهتها عجباً ، فذلك قوله (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ أَلَيْدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ، وَهَذَا بَعِثَ شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) . . . إلى قوله (حميدٌ حميدٌ) قالت : سارة لجبريل : ما آية ذلك ، فأخذ بيده عودا يابسا ، فلواه بين أصابعه ، فاهتز أخضر ، فقال إبراهيم : هو الله إذن ذبيح : فلما كبر إسحاق أتى إبراهيم في النوم ، فقيل له : أوف بنذرك الذي نذرت ، إن الله رزقك غلاما من سارة أن تدبجه ، فقال لإسحاق : انطلق نقرّب قربانا إلى الله ، وأخذ سكيننا وحبلنا ، ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال ، قال له الغلام : يا أبت أين قربانك ؟ قال : (يا بني إني رأيت في المنام أني أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) فقال له إسحاق : يا أبت أشدّ درباطي حتى لا أضطرب ، واكفف عني ثيابك ، حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء ، فتراه سارة فتحزن ، وأسرع مرّ السكين على حلقه ، ليكون أهون للموت على ، فإذا أتت سارة ، فاقرا عليها مني السلام ، فأقبل عليه إبراهيم يقبله ، وقد ربطه وهو يبكي ، وإسحاق يبكي ، حتى استنقع الدموع تحت خدّ إسحاق ، ثم إنه جرّ السكين على حلقه ، فلم تحك السكين ، وضرب الله صفيحة من نحاس على حلق إسحاق ؛ فلما رأى ذلك ، ضرب به على جبينه ، وحزّ من قفاه ، فذلك قوله : (فَلَمَّا أَسْلَمَا) يقول : سلّمنا لله الأمر (وَتَلَّه لُجْبَيْنِ) ، فنودي يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا بالحق ، فالتفت فإذا بكبش ، فأخذه وحسّلى عن ابنه ، فأكبّ على ابنه يقبله ، وهو يقول اليوم : يا بني وهبت لي ، فلذلك يقول الله (وَقَدِ يَسَّاهُ بِنَدِيحٍ عَظِيمٍ) فرجع إلى سارة ، فأخبرها الخبر ، فجزعت سارة ، وقالت : يا إبراهيم أردت أن تدبح ابني ولا تعلمني .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) قال : رؤيا الأنبياء حق ، إذا رأوا في المنام شيئا فعلوه .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ، قال : رؤيا الأنبياء وحى ، ثم تلا هذه الآية (إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) .

وقوله (فانتظر ماذا ترى) : اختلفت القراء في قراءة قوله (ماذا ترى) ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ، وبعض قراء أهل الكوفة (فانتظر ماذا ترى) بفتح التاء ، بمعنى : أي شيء تأمر ، أو فانظر ما الذي تأمر ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (ماذا ترى) بضم التاء ، بمعنى : ماذا تشير ، وماذا ترى من صبرك أو جزعك من الذبح .

والذي هو أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأه (ماذا ترى) بفتح التاء ، بمعنى : ماذا ترى من الرأي .

فإن قال قائل : أو كان إبراهيم يؤامر ابنه في المضي لأمر الله ، والانتهاه إلى طاعته ؟ قيل : لم يكن ذلك منه مشاورة لابنه في طاعة الله ، ولكنه كان منه ليعلم ما عند ابنه من العزم : هل هو من الصبر على أمر الله على مثل الذي هو عليه ، فيسر بذلك ؟ أم لا ، وهو في الأحوال كلها ماض لأمر الله .
وقوله (قال يا أبتِ افعلْ ما تؤمَرُ) يقول تعالى ذكره : قال إسحاق لأبيه : يا أبتِ افعل ما يأمرُك به ربك من ذبحي . (ستَجِدُنِي إن شاء الله من الصَّابِرِينَ) يقول : ستجدني إن شاء الله صابرا من الصابرين لما يأمرنا به ربنا ، وقال : افعل ما تؤمر ، ولم يقل : ما تؤمر به ، لأن المعنى : افعل الأمر الذي تؤمره ، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله : (إني أرى في المنام افعل ما أمِرتُ به) .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَدَيْنَهُ أَنْ يَسْأِرْ هَيْمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦)

يقول تعالى ذكره : فلما أسلما أمرهما الله ، وفوضاه إليه ، واتفقا على التسليم لأمره ، والرضا بقضائه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا ثابت بن محمد ، وحدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مسلم بن صالح ، قالوا : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (فَلَمَّا أَسْلَمَا) قال : اتفقا على أمر واحد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، قوله (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) قال : أسلما جميعا لأمر الله ، ورضى الغلام بالذبح ، ورضى الأب بأن يذبحه ، فقال : يا أبتِ اقدفني لوجهه ، كيلا تنظر إلى فترحنى ، وأنظر أنا إلى الشفرة فأجزع ، ولكن أدخل الشفرة من تحتي ، وامض لأمر الله ، فذلك قوله (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) فلما فعل ذلك (نَادَيْتَنَاهُ أَنْ يَسْأِرْ هَيْمُ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا أَسْلَمَا) قال : أسلم هذا نفسه لله ، وأسلم هذا ابنه لله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : (فَلَمَّا أَسْلَمَا) قال : أسلما ما أمرا به .
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا أَسْلَمَا) يقول : سلما لأمر الله .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا أَسْلَمَا) : أي سلّم إبراهيم للذبح حين أمر به ، وسلّم ابنه للصبر عليه ، حين عرف أن الله أمره بذلك فيه .

وقوله (وَتَلَّهَ لِلْجَبِينِ) يقول: وصَرَعه للجبين ، والجبينان ما عن يمين الجبهة ، وعن شمالها ، ولوجه جبينان ، والجبهة بينهما .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَتَلَّهَ لِلْجَبِينِ) قال : وضع وجهه للأرض ، قال : لاتذبحني وأنت تنظر إلى وجهي ، عسى أن ترحمي ، ولا تجهز علي ، أربط يدي إلى رقبتي ، ثم ضع وجهي للأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَلَّهَ لِلْجَبِينِ) : أي وكبه لفيه ، وأخذ الشفرة (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا) حتى بلغ (وَقَدْ يَنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَتَلَّهَ لِلْجَبِينِ) قال : أكبته على جبهته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَلَّهَ لِلْجَبِينِ) قال : جبينه ، قال : أخذ جبينه ليذبحه .

حدثنا ابن سنان ، قال : ثنا حجاج ، عن حماد ، عن أبي عاصم الغنوي ، عن أبي الطمقيل ، قال : قال ابن عباس : « إن إبراهيم لما أُمِرَ بالمناسك ، عرض له الشيطان عند المسعى فسأقه ، فسبمه إبراهيم ، ثم ذهب به جبريل إلى جمره العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمره الوسطى ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم تله للجبين ، وعلى إسماعيل قميص أبيض ، فقال له : يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفني فيه غير هذا ، فاخلعه حتى تكفني فيه ، فالتفت إبراهيم ، فإذا هو بكباش أعين أبيض ، فذبحه ، فقال ابن عباس : لقد رأيتنا نتبع هذا الضرب من الكباش » .

وقوله (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا) . وهذا جواب قوله (فَلَمَّا أَسْلَمَا) . ومعنى الكلام : فلما أسلما وتله للجبين ، نادينا : أن يا إبراهيم ، وأدخلت الواو في ذلك ، كما أدخلت في قوله (حتى إذا جاءوها وقُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) وقد تفعل العرب ذلك ، فتدخل الواو في جواب فلما ، وحتى إذا ، وتلقيا .
ويعنى بقوله (قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا) التي أرينا كها في منامك بأمرناك بذبح ابنك .

وقوله (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول : إنا كما جزيناك بطاعتنا يا إبراهيم ، كذلك نجزي الذين أحسنوا ، وأطاعوا أمرنا ، وعملوا في رضانا .

وقوله (إِنَّ هَذَا لَهَوَ الْبَلَاءِ الْمُبِينُ) : يقول تعالى ذكره : إن أمرنا إياك يا إبراهيم بذبح ابنك إسحاق ، هو البلاء ، يقول : هو الاختبار الذي يبين لمن فكَّر فيه ، أنه بلاء شديد ومحنة عظيمة . وكان ابن زيد يقول : البلاء في هذا الموضع : الشر ، وليس باختبار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ هَذَا لَهَوُ الْبَلَاءِ الْمُسِينُ) قال : هذا في البلاء الذي نزل به ، في أن يذبح ابنه . (صدقت الرؤيا) : ابتليت ببلاء عظيم أمرت أن تذبح ابنك ، قال : وهذا من البلاء المكروه ، وهو الشر ، وليس من بلاء الاختبار .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَدَيْتَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَ كُنَّا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرَيْنَ (١٠٨) سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩)
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١)

وقوله (وَقَدَيْتَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) يقول : وفدينا إسحاق بذبح عظيم ، والفدية : الجزاء ، يقول : جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم ، وأفقدناه من الذبح .

واختلف أهل التأويل في المفدى من الذبح ، من ابني إبراهيم ، فقال بعضهم : هو إسحاق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس

ابن عبد المطلب (وَقَدَيْتَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسحاق .

حدثني الحسين بن يزيد بن إسحاق ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن داود ، بن أبي هند ، عن عكرمة ،

عن ابن عباس ، قال : الذي أمر بذبحه إبراهيم : هو إسحاق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَقَدَيْتَهُ

بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسحاق .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الذبح إسحاق .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن الحسن بن دينار ، عن علي بن زيد بن جدعان ،

عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث

ذكره ، قال : هو إسحاق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ،

قال : افتخر رجل عند ابن مسعود ، فقال : أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام . فقال عبد الله : ذلك

يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا إبراهيم بن المختار ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ،

عن الزهري ، عن العلاء بن حارثة الثقفي ، عن أبي هريرة ، عن كعب في قوله (وَقَدَيْتَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ)

قال : من ابنه إسحاق .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا زكريا وشعبة ، عن ابن إسحاق ، عن مسروق ، في قوله

(وَقَدَيْتَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسحاق .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبيد بن عمير ، قال : هو إسحاق .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عمير قال : « قال موسى : يا ربّ ، يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فبم قالوا ذلك ؟ قال : إن إبراهيم لم يعدل بي شيئا قطّ إلا اختارني عليه ، وإن إسحاق جادل بالذبح ، وهو بغير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظنّ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد ابن عمير ، عن أبيه ، قال : « قال موسى : أي ربّ ، بم أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما أعطيتهم ؟ » ، فذكر معنى حديث عمرو بن عليّ .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبي ستان الشيبانيّ ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : الذبيح هو إسحاق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب : أن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن حارثة الثقفيّ ، أخبره أن كعبا ، قال لأبي هريرة : ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبيّ ، قال أبو هريرة : بل ، قال كعب : لما رأى إبراهيم ذبح إسحاق ، قال الشيطان : والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم ، لأفتن أحدا منهم أبدا ، فتمثل الشيطان لهم رجلا يعرفونه ، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه ، دخل على سارة امرأة إبراهيم ، فقال لها : أين أصبح إبراهيم غاديا بإسحاق ، قالت سارة غدا لبعض حاجته . قال الشيطان : لا والله ما لذلك غدا به . قالت سارة : فلم غدا به ؟ قال : غدا به ليذبحه ، قالت سارة : ليس من ذلك شيء ، لم يكن ليذبح ابنه ، قال الشيطان : بلى والله ، قالت سارة : فلم يذبحه ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قالت سارة : فهذا أحسن ، بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك . فخرج الشيطان من عند سارة ، حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على إثر أبيه ، فقال : أين أصبح أبوك غاديا بك ؟ قال : غدا بي لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله ، ما غدا بك لبعض حاجته ، ولكن غدا بك ليذبحك ، قال إسحاق : ما كان أبي ليذبحني ، قال : بلى ، قال : لم ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك . قال إسحاق : فوالله لئن أمره بذلك ليطيعنّه ، قال : فتركه الشيطان ، وأسرع إلى إبراهيم ، فقال : أين أصبحت غاديا بابنك ، قال : غدوت به لبعض حاجتي ، قال : أما والله ما غدوت به إلا لتذبحه ، قال : لم أذبحه ؟ قال : زعمت أن ربك أمرك بذلك ، قال : الله ، فوالله لئن كان أمرني بذلك ربي لأفعلنّ ، قال : فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه ، وسلم إسحاق ، أعفاه الله ، وفداه بذبح عظيم ، قال إبراهيم لإسحاق : قم أي بنيّ ، فإن الله قد أعفأك ، وأوحى الله إلى إسحاق : إني قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها ، قال إسحاق : اللهم إني أدعوك أن تستجيب لي ، أيما عبد لتيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئا ، فأدخله الجنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن محمد بن

مسلم الزهرى ، عن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة الثقفى ، حليف بنى زهرة ، عن أبي هريرة ، عن كعب الأحبار : أن الذى أمر إبراهيم بذبحه من ابنه إسحاق ، وأن الله لما فرج له ولابنه من البلاء العظيم الذى كان فيه ، قال الله لإسحاق : إني قد أعطيتك بصبرك لأمرى ، دعوة أعطيتك فيها سألت ، فسئلتنى ، قال : رب أسألك أن لاتعذب عبدا من عبادك ، لقيك وهو مؤمن بك ، فكانت تلك مسئلته التى سألت .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن ابن سابط ، قال : هو إسحاق .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سفيان بن عثبة ، عن حمزة الزيات ، عن أبي ميسرة ، قال : قال يوسف للملك فى وجهه : ترغب أن تأكل معى ، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

قال : ثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : قال يوسف للملك ، فذكر نحوه .

وقال آخرون : الذى فدى بالذبيح العظيم من بنى إبراهيم : إسماعيل .
ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قالا : ثنا يحيى بن يمان ، عن إسرائيل ، عن ثور ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : الذبيح : إسماعيل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا بيان ، عن الشعبي ، عن ابن عباس (وَقَدْ يَنَاهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ) قال : إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن محمد بن ميمون السكرى ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : إن الذى أمر بذبحه إبراهيم : إسماعيل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن على بن زيد ، عن عمار ، مولى بنى هاشم ، أو عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : هو إسماعيل ، يعنى (وَقَدْ يَنَاهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عثبة ، قال : ثنا داود ، عن الشعبي ، قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .

وحدثنى به يعقوب مرة أخرى ، قال : ثنا ابن عثبة ، قال : سئل داود بن أبي هند : أى ابنى إبراهيم الذى أمر بذبحه ، فزعم أن الشعبي قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن بيان ، عن الشعبي ، عن ابن عباس ، أنه قال فى الذى فداه الله بذبح عظيم ، قال : هو إسماعيل .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عثبة ، قال : ثنا ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَدْ يَنَاهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسماعيل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن هب ، قال : أخبرني عمر بن قيس ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عباس : أنه قال : المفسد يسمي إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود .
حدثنا محمد بن سنان القرّاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن مبارك ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مِهْران ، عن ابن عباس : الذي فداه الله : هو إسماعيل .
حدثنا ابن سنان القرّاز ، قال : ثنا حجاج بن حماد ، عن أبي عاصم الغنويّ ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر ، قال : الذي أراد إبراهيم ذبحه : إسماعيل .
حدثني المتني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر أنه قال في هذه الآية (وَقَدْ يَنْبَاهُ بِذِيحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسماعيل ، قال : وكان قرّنا الكبش منوطين بالكعبة .
حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبي ، قال : الذبيح إسماعيل .
قال : ثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبي ، قال : رأيت قرني الكبش في الكعبة .
قال : ثنا ابن يمان ، عن مبارك بن فضالة ، عن عليّ بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مِهْران ، قال : هو إسماعيل .

قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هو إسماعيل .
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (وَقَدْ يَنْبَاهُ بِذِيحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول :
إن الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من بنيه إسماعيل ، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن إبراهيم ، وما أمر به من ذبح ابنه إسماعيل ، وذلك أن الله يقول : حين فرغ من قصة المذبح من إبراهيم ، قال (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) يقول : بشّرناه بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، يقول : بابن وابن ابن ، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الله الموعود ما وعده الله ، وما الذي أمر به إلا إسماعيل .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري : أنه كان لا يشك في ذلك ، أن الذي أمر به من ابني إبراهيم : إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول ذلك كثيرا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بُرَيْدَةَ بن سفيان بن قَرْوَةَ الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، أنه حدثهم أنه ذكّر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة ، إذ كان معه بالشام ، فقال له عمر : إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه ، وإني لأراه كما هو ، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام ،

كان يهوديا ، فأسلم فحسُن إسلامه ، وكان يرى أنه من علماء يهود ، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك ، فقال محمد بن كعب : وأنا عند عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : أي ابني إبراهيم أمير بذبحه ؟ فقال : إسماعيل والله يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ، على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه ، والفضل الذي ذكره الله منه ، لصبره لما أمر به ، فهم يجحدون ذلك ، ويزعمون أنه إسحاق ، لأن إسحاق أبوهم ، والله أعلم أيهما كان ، كلُّ قد كان طاهرا طيبا مطيعا لربه .

حدثني محمد بن عمار الرازي ، قال : ثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة ، قال : ثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي ، عن عبيد الله بن محمد العُتبي ، من ولد عتبة بن أبي سفيان ، عن أبيه ، قال : ثنا عبد الله بن سعيد ، عن الصنابحي ، قال : كنا عند معاوية بن أبي سفيان ، فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق ، فقال : علي الخبير سقطتم : « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه رجل ، فقال : يا رسول الله عدُّ عليّ مما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين ، فضحك عليه الصلاة والسلام ، فقلنا له : يا أمير المؤمنين ، وما الذبيحان ؟ فقال : إن عبد المطلب لما أمر بحضرة زمزم ، نذر لله ثن سَهْل عليه أمرها ، ليذبحنَّ أحد ولده ، قال : فخرج السهم على عبد الله ، ففنع أخواله ، وقالوا : افدِّ ابنك بمئة من الإبل ، ففداه بمئة من الإبل ، وإسماعيل الثاني . »

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا ابن جريج ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : الذي فدَّى به إسماعيل ، ويعني تعالى ذكره الكبش الذي فدَّى به إسحاق ، والعرب تقول : لكلِّ ما أُعِدَّ للذبح ذبَّح ، وأما الذَّبَّحُ بفتح الـذال ، فهو الفعل .

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب في المفدَّى من ابني إبراهيم خليل الرحمن ، على ظاهر التنزيل ، قول من قال : هو إسحاق ، لأن الله قال (وَقَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) فذكر أنه فدَّى الغلامَ الحليمَ الذي بُشِّرَ به إبراهيم ، حين سأله أن يهب له ولدا صالحا من الصالحين ، فقال (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) فإذا كان المفدَّى بالذبح من ابنيه هو المبتشَّر به ، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بُشِّرَ به هو إسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فقال جلَّ ثناؤه (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد ، فإنما هو معنى به إسحاق ، كان بينا أن تبشيره إياه بقوله (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) في هذا الموضع ، نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن .

وبعد ، فإن الله أخبر جلَّ ثناؤه في هذه الآية عن خليله أنه بشَّره بالغلام الحليم ، عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين ، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا في حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين ، لأنه لم يكن من ابنيه له إلا إمام الصالحين ، وغير موهوم منه أن يكون سأل ربه في هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له ، فإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الذي ذكر تعالى ذكره في هذا الموضع ، هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشَّره به ، وذلك لاشك أنه إسحاق ، إذ كان المفدَّى هو المبتشَّر به . وأما الذي اعتلَّ به من اعتلَّ في أنه إسماعيل ، أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن ابن ، فلم يكن جائزا أن يأمره بذبحه ، مع الوعد الذي قد تقدم ، فإن الله إنما أمره

بذبحه بعد أن بلغ معه السعي ، وتلك حال غير ممكن أن يكون قد وُلد لإسحاق فيها أولاد ، فكيف الواحد ؟
وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفدى من ولد إبراهيم بقوله (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا) ، ولو كان
المفدى هو إسحاق لم يبشّر به بعد ، وقد ولد ، وبلغ معه السعي ، فإن البشارة بنبوة إسحاق من الله فيما جاءت
به الأخبار ، جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فُدى ، تكرمه من الله له على صبره لأمر به ، فيما امتحنه به من الذبح ،
وقد تقدمت الرواية قبلُ عن ذلك . وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقا في الكعبة ، فغير
مستحيل أن يكون حُمِل من الشام إلى مكة . وقد روى عن جماعة من أهل العلم ، أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه
إسحاق بالشام ، وبها أراد ذبحه .

واختلف أهل العلم في الذبح الذي فُدى به إسحاق ، فقال بعضهم : كان كبشا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ (وَقَدَّيْنَاهُ
بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : كبش أبيض أقرن أعين ، مربوط بسمرة في تسيير .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن
ابن عباس (وَقَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : كبش ، قال عبيد بن عمير ، ذُبح بالمقام ، وقال مجاهد :
ذبح بمي في المنححر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن خثيم ، عن سعيد ، عن ابن عباس
قال : الكبش الذي ذبحه إبراهيم ، هو الكبش الذي قرّبه ابن آدم ، فتقبل منه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا سيار ، عن عكرمة ، أن ابن عباس كان
أقنى الذي جعلَ عليه أن ينحر نفسه ، فأمره بمئة من الإبل ، قال : فقال ابن عباس بعد ذلك : لو كنت
أفتيته بكبش ، لأجزأه أن يذبح كبشا ، فإن الله قال في كتابه (وَقَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وَقَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : ذُبح : كبش .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : قال
ابن عباس : التفت فإذا كبش ، فأخذه فذبحه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبّير (وَقَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ)
قال : كان الكبش الذي ذبحه إبراهيم رعى في الجنة أربعين سنة ، وكان كبشا أملح ، صوفه مثل العهن الأحمر .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ
عَظِيمٍ) قال : بكبش .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَية ، قال : أخبرنا ليث ، قال : قال مجاهد : الذبح العظيم : شاة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (بِيَدِ بَيْحٍ عَظِيمٍ) قال : بكبش .
وحدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (وَقَدْ بَيَّنَّاهُ بِيَدِ بَيْحٍ عَظِيمٍ) قال : الذَّبْحُ الكَبِشُ .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قال : التفت ، يعني إبراهيم ، فإذا بكبش ، فأخذه وختلى عن ابنه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الذَّبْحُ العَظِيمُ : الكَبِشُ الذي فَدَى الله به إسحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن قتادة بن دعامة ، عن جعفر بن إياس ، عن عبد الله بن العباس ، في قوله (وَقَدْ بَيَّنَّاهُ بِيَدِ بَيْحٍ عَظِيمٍ) قال : خرج عليه كبش من الجنة ، قدرعاها قبل ذلك أربعين خريفا ، فأرسل إبراهيم ابنه ، واتبع الكبش ، فأخرجه إلى الجمرة الأولى ، فرمى بسبع حصيات ، فأفلته عنده ، فجاء الجمرة الوسطى ، فأخرجه عندها ، فرماه بسبع حصيات ، ثم أفلته ، فأدركه عند الجمرة الكبرى ، فرماه بسبع حصيات ، فأخرجه عندها ، ثم أخذه فأتى به المنحر من مِيَنِي ، فذبحه ، فوالذي نفس ابن عباس بيده ، لقد كان أول الإسلام ، وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه عند ميزاب الكعبة قد حُشَّ ، يعني يبس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ابن إسحاق : ويزعم أهل الكتاب الأول وكثير من العلماء ، أن ذبيحة إبراهيم التي فدى بها ابنه كبش أملح أقرن أعين .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله : (وَقَدْ بَيَّنَّاهُ بِيَدِ بَيْحٍ عَظِيمٍ) قال : بكبش .
وقال آخرون : كان الذَّبْحُ وَعِيلا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن رجل ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس (وَقَدْ بَيَّنَّاهُ بِيَدِ بَيْحٍ عَظِيمٍ) قال : كان وَعِيلا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول : ما فُدِيَ إسماعيل إلا بتيس من الأروى ، أهبط عليه من ثبير .

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل للذَّبْحِ الذي فدى به إسحاق : عظيم ، فقال بعضهم : قيل ذلك كذلك ، لأنه كان رَعَى في الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عبد الله بن عيسى ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (وَقَدْ بَيَّنَّاهُ بِيَدِ بَيْحٍ عَظِيمٍ) قال : رعى في الجنة أربعين خريفا .

وقال آخرون : قيل له عظيم ، لأنه كان ذبجاً متقبلاً .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عظيم ، قال : متقبّل .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد في (وَقَدَيْتَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : العظيم : المتقبل .

وقال آخرون : قيل له عظيم ، لأنه ذُبِحَ ذُبُوحٌ بِالْحَقِّ ، وذلك ذبحه بدين إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول : ما يقول الله (وَقَدَيْتَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) لذبيحته التي ذبح فقط ، ولكنه الذَّبْحُ على دينه ، فتلك السنة إلى يوم القيامة ، فاعلموا أن الذبيحة تدفع ميتة السوء ، فضحوا عباد الله .

قال أبو جعفر : ولا قول في ذلك أصح مما قال الله جل ثناؤه ، وهو أن يقال : فداه الله بذبح عظيم ، وذلك أن الله عمّ وصفه إياه بالعظم ، دون تخصيصه ، فهو كما عمه به .

وقوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) يقول تعالى ذكره : وأبقينا عليه فيمن بعده إلى يوم القيامة ، ثناءً حسناً .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) قال : أبق الله عليه الثناء الحسن في الآخرين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) قال : سألت إبراهيم ، فقال : واجعل لي لسان صدق في الآخرين ، قال : فترك الله عليه الثناء الحسن في الآخرين ، كما ترك اللسان السوء على فرعون وأشباهه ، كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على هؤلاء . وقيل : معنى ذلك : وتركنا عليه في الآخرين السلام ، وهو قوله (سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) ، وذلك قول يروى عن ابن عباس ، تركنا ذكره ، لأن في إسناده من لم نستجز ذكره ، وقد ذكرنا الأخبار المروية في قوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) فيما مضى قبل . وقيل : معنى ذلك : وتركنا عليه في الآخرين : أن يقال سلام على إبراهيم .

وقوله (سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) يقول تعالى ذكره : أَمْسَةً من الله في الأرض لإبراهيم ، أن لا يذكّر من بعده إلا بالجميل من الذكر . وقوله (كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول : كما جزينا إبراهيم على طاعته إيانا ، وإحسانه في الانتهاء إلى أمرنا ، كذلك نجزي المحسنين . (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) يقول : إن إبراهيم من عبادنا المخلصين لنا الإيمان .

القول في تأويل قول تعالى

وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا

مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣)

يقول تعالى ذكره : وبشّرنا إبراهيم بإسحاق نبيا ، شكرنا له على إحسانه وطاعته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) .

قال : بشر به بعد ذلك نبيا ، بعد ما كان هذا من أمره ، لما جاد الله بنفسه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الذبيح

إسحاق ، قال : وقوله (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) : قال بَشَّرَ بِنُبُوَّتِهِ . قال : وقوله : (وَوَهَبْنَا لَهُ إِخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا) قال : كان هارون أكبر من موسى ، ولكن أراد : وهب الله له نبوته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، قال : سمعت داود يحدث ، عن عكرمة ، عن

ابن عباس في هذه الآية (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) قال : إنما بشّره به نبيا حين فداه من الذبيح ، ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده .

حدثني الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،

في قول الله (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا) قال : إنما بَشَّرَ بالنبوة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) قال : بَشَّرَ إبراهيم بإسحاق .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ

الصَّالِحِينَ) قال : بِنُبُوَّتِهِ .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن شيخ من أهل المسجد ، قال : بَشَّرَ

لإبراهيم سبع عشرة ومئة سنة .

وقوله (وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ) يقول تعالى ذكره : وباركنا على إبراهيم وعلى إسحاق (وَمِنَ

ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ) يعني بالحسن : المؤمن المطيع لله ، المحسن في طاعته إياه (وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ) ويعني

بالظالم لنفسه : الكافر بالله ، الخالب على نفسه بكفره عذاب الله وأليم عقابه (مبين) : يعني الذي قد أبان

ظلمته نفسه بكفره بالله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله :

(مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ) قال : الحسن : المطيع لله ، والظالم لنفسه : العاصي لله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥)
وَنَصَرْنَاهُمْ فَمَا نَوَّاهُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦)

يقول تعالى ذكره : ولقد فضلنا على موسى وهارون ابني عمران ، فجعلناهما نبين ، ونجيناهما وقومهما من الغم ، والمكروه العظيم الذي كانوا فيه ، من عبودية آل فرعون ، ومما أهلكنا به فرعون وقومه من العرق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله : (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ) قال : من العرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ) : أي من آل فرعون .

وقوله (وَنَصَرْنَاهُمْ) يقول : ونصرنا موسى وهارون وقومهما ، على فرعون وآله بتغريقناهم ، (فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ) لهم .

وقال بعض أهل العربية : إنما أريد بالهاء والميم في قوله (وَنَصَرْنَاهُمْ) موسى وهارون ، ولكنها أخرجت على مخرج مكني الجمع ، لأن العرب تذهب بالرئيس كالنبي والأمير وشبهه ، إلى الجمع بجنوده وأتباعه ، وإلى التوحيد ، لأنه واحد في الأصل ، ومثله (على خوف من فرعون وملئهم) وفي موضع آخر : وملئه . قال : وربما ذهبت العرب بالاثنتين إلى الجمع ، كما تذهب بالواحد إلى الجمع ، فتخاطب الرجل ، فتقول : ما أحسنتم ولا أجملتم ، وإنما تريده بعينه ، وهذا القول الذي قاله هذا الذي حكينا قوله في قوله (وَنَصَرْنَاهُمْ) وإن كان قولاً غير مدفوع ، فإنه لا حاجة بنا إلى الاحتياط به لقوله (وَنَصَرْنَاهُمْ) ، لأن الله أتبع ذلك قوله (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ) ثم قال : (وَنَصَرْنَاهُمْ) يعني : هما وقومهما ، لأن فرعون وقومه ، كانوا أعداء لجميع بني إسرائيل ، قد استضعفوهم ، يلذبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، فنصرهم الله عليهم ، بأن غرقهم ، ونجى الآخرين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩) سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٢٢)

يقول تعالى ذكره : وآتينا موسى وهارون الكتاب : يعني التوراة .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وآتينا ههما الكتاب المستبين) :
التوراة . ويعني بالمستبين : المتبين هدى مافيه وتفصيله وأحكامه .
وقوله (وهدينا ههما الصراط المستقيم) يقول تعالى ذكره : وهدينا موسى وهارون الطريق
المستقيم ، الذي لا عوجاج فيه ، وهو الإسلام دين الله ، الذي ابعث به أنبياءه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وهدينا ههما الصراط المستقيم) : الإسلام .
وقوله (وتركنا عليهما في الآخريين) يقول : وتركنا عليهما في الآخريين بعدهم الثناء الحسن عليهما .
وقوله (سلام على موسى وهارون) يقول : وذلك أن يقال : سلام على موسى وهارون .
وقوله (إننا كذلك نجزي المحسنين) يقول : هكذا نجزي أهل طاعتنا ، والعاملين بما يرضينا عنهم
(إن هما من عبادنا المؤمنين) يقول : إن موسى وهارون من عبادنا المخلصين لنا الإيمان .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ
أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ (١٢٥) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَنهَم
مُخْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (١٢٨) وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩)

يقول تعالى ذكره : وإن إلياس ، وهو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران ،
فيما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

وقيل : إنه إدريس ، حدثنا بذلك بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان
يقال : إلياس هو إدريس ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل .

وقوله (لمن المرسلين) يقول جل ثناؤه : لمسل من المرسلين (إذ قال لقومه أَلَا تَتَّقُونَ) ؟
يقول حين قال لقومه من بني إسرائيل : أَلَا تَتَّقُونَ الله أيها القوم ، فتخافونه ، وتحدرون عقوبته على عبادتكم
ربا غير الله ، وإلهاسواه (وتذرون أحسن الخلقين) يقول : وتذرون عبادة أحسن من قيل له خالق .
وقد اختلف في معنى بعل ، فقال بعضهم : معناه : أتدعون ربا ؟ ، وقالوا : هي لغة لأهل اليمن ،
معروفة فيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا حري بن عمار ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عمار ، عن عكرمة ،
في قوله (أتدعون بعلًا) ؟ قال : إلهاس .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا عمارة ، عن عكرمة ، في قوله (أَتَدْعُونَ بَعَلًّا ؟) يقول : أتدعون ربا ؟ وهي لغة أهل اليمن ، تقول : مَنْ بَعَلَّ هذا الثور : أى من ربه ؟
حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو ، قالا : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أَتَدْعُونَ بَعَلًّا ؟) قال : ربا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَتَدْعُونَ بَعَلًّا) قال : هذه لغة باليانية : أتدعون ربا دون الله ؟

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (أَتَدْعُونَ بَعَلًّا ؟) قال : ربًّا .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن عبد الله بن أبي يزيد ، قال : كنت عند ابن عباس ، فسألوه عن هذه الآية (أَتَدْعُونَ بَعَلًّا ؟) قال : فسكت ابن عباس ، فقال رجل : أنا بعليها ، فقال ابن عباس : كفاني هذا الجواب .

وقال آخرون : هو صنم كان لهم يقال له بَعَلٌ ، وبه سميت بعبك .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أَتَدْعُونَ بَعَلًّا ؟) يعني : صنم كان لهم يسمى بَعَلًّا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَتَدْعُونَ بَعَلًّا وَتَدْرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ؟) قال : بعل : صنم كانوا يعبدون ، كانوا يبعلك ، وهي وراء دمشق ، وكان بها البعل الذي كانوا يعبدون .

وقال آخرون : كان بَعَلٌ : امرأة كانوا يعبدونها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سمعت بعض أهل العلم يقول : ما كان بَعَلٌ إلا امرأة يعبدونها من دون الله .

وللبعل في كلام العرب أوجه : يقولون لرب الشيء هو بَعَلُّه ، يقال : هذا بَعَلُّ هذه الدار ، يعني ربها ، ويقولون لزوج المرأة بعلها ، ويقولون لما كان من الغروس والزرور مستغنيا بماء السماء ، ولم يكن سقيًّا هو بعل ، وهو العبدى . وذكر أن الله بعث إلى بني إسرائيل إلياس بعد مهلك حيزقيل بن يوزا .

وكان من قصته ، وقصة قومه فيما بلغنا ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن وهب بن منبه ، قال : إن الله قبض حيزقيل ، وعظمت في بني إسرائيل الأحداث ، ونسوا ما كان من عهد الله إليهم ، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله ، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فنحاص بن ار بن هارون بن عمران نبيا . وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يُبعثون إليهم بتجديد ما نسوا

من التوراة ، فكان إيلياس مع ملك من ملوك بني إسرائيل ، يقال له : أحاب ، كان اسم امرأته : أربل ، وكان يسمع منه ويصدقّه ، وكان إيلياس يقيم له أمره ، وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه من دون الله ، يقال له بعل .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت بعض أهل العلم يقول : « ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون الله ، يقول الله لمحمد : (وَإِنَّ إِيْلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ . أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ حَسَنَ الْخَالِقِينَ . اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ؟) فجعل إيلياس يدعوهم إلى الله ، وجعلوا لا يسمعون منه شيئا إلا ما كان من ذلك الملك ، والملوك متفرقة بالشام ، كل ملك له ناحية منها يأكلها ، فقال ذلك الملك الذي كان إيلياس معه يقوّم له أمره ، ويراه على هدى من بين أصحابه يوما : يا إيلياس ، والله ما أرى ماتدعو إليّ إلا باطلا ، والله ما أرى فلانا وفلاتا ، يعدّد ملوكا من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله ، الأعلى مثل ما نحن عليه ، يأكلون ويشربون وينعمون مملكين ، ما ينقص دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل ، وما نرى لنا عابهم من فضل ، فيزعمون والله أعلم ، أن إيلياس استرجع ، وقام شعر رأسه وجلده ، ثم رفضه وخرج عنه ، ففعل ذلك الملك فعل أصحابه : عبد الأوثان ، وصنع ما يصنعون ، فقال إيلياس : اللهم إن بني إسرائيل قد أبوا إلا أن يكفروا بك والعبادة لغيرك ، فغسيّر ما بهم من نعمتك ، أو كما قال . »

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : فذكر لي أنه أوحى إليه : إنا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك ، حتى تكون أنت الذي تأذن في ذلك ، فقال إيلياس : اللهم فأمسك عليهم المطر ، فحبس عنهم ثلاث سنين ، حتى هلكت الماشية والحوام والدواب والشجر ، وجهيد الناس جهدا شديدا . وكان إيلياس فيما يذكرون حين دعا بذلك على بني إسرائيل ، قد استخفى ، شققا على نفسه منهم ، وكان حينما كان وضع له رزق ، وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في دار أو بيت ، قالوا : لقد دخل إيلياس هذا المكان فطلبوه ، ولقي منهم أهل ذلك المنزل شرا . ثم إنه أوى ليلة إلى امرأة من بني إسرائيل لها ابن ، يقال له : اليسع ، فخطب به ضرا ، فأوته وأخفت أمره ، فدعا إيلياس لابنها ، فعوفى من الضرا الذي كان به ، واتبع اليسع إيلياس ، فأمن به وصدقّه ولزمه ، فكان يذهب معه حيثما ذهب . وكان إيلياس قد أسنّ وكبر ، وكان اليسع غلاما شابا ، فيزعمون والله أعلم أن الله أوحى إلى إيلياس : إنك قد أهلك كثيرا من الخلق ممن لم يعص ، سوى بني إسرائيل من البهائم والدواب والطيور والحوام والشجر ، بحبس المطر عن بني إسرائيل ، فيزعمون والله أعلم أن إيلياس قال : أي رب ، دعني أنا الذي أدعو لهم ، وأكون أنا الذي آتيتهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي أصابهم ، لعلهم أن يرجعوا ويتزعموا عما هم عليه من عبادة غيرك . قيل له : نعم ، فجاء إيلياس إلى بني إسرائيل ، فقال لهم : إنكم قد هلكتم جهدا ، وهلكت البهائم والدواب والطيور والحوام والشجر ، بخطاياكم ، وإنكم على باطل وغرور ، أو كما قال لهم ، فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك ، وتعلموا أن الله عليكم ساخط فيما أنتم عليه ، وأن الذي أدعوكم إليه الحق ، فاخرجوا بأصنامكم هذه التي تعبدون ، وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه ، فإن استجابت لكم ، فذلك كما تقولون . وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل ،

فنزعم ، ودعوت الله ، ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء . قالوا : أنصفت . فخرجوا بأوثانهم ، وما يتقربون به إلى الله من إحدائهم الذي لا يرضى ، فدعوها ، فلم تستجب لهم ، ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ، حتى عرفوا ما هم فيه من الضلالة والباطل ، ثم قالوا لإلياس : يا إلياس ، إنا قد هلكنا ، فادع الله لنا ، فدعا لهم إلياس بالفرج مما هم فيه ، وأن يسقوا ، فخرجت سخابة مثل الترس بإذن الله ، على ظهر البحر ، وهم ينظرون ، ثم تراءى إليه السحاب ، ثم أذحست ، ثم أرسل المطر ، فأغاثهم ، فحييت بلادهم ، وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ، فلم ينزعوا ، ولم يرجعوا ، وأقاموا على أعبث ما كانوا عليه ؛ فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم ، دعا ربه أن يقبضه إليه ، فيريخه منهم ، فقيل له فيما يزعمون : انظر يوم كذا وكذا ، فأخرج فيه إلى بلد كذا وكذا ، فإذا جاءك من شيء ، فاركبه ولا تهبه ، فخرج إلياس وخرج معه اليسع بن أخطوب ، حتى إذا كان في البلد الذي ذكر له ، في المكان الذي أمر به ، أقبل إليه فرس من نار ، حتى وقف بين يديه ، فوثب عليه ، فانطلق به ، فناداه اليسع : يا إلياس يا إلياس ما تأمرني ؟ فكان آخر عهدهم به ، فكساه الله الريش ، وألبسه النور ، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، وطار في الملائكة ، فكان إنسيا ملكيا ، أرضيا سماويا .

واختلفت القراء في قراءة قوله : (اللَّهُ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) فقرأته عامة قراء مكة والمدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (اللَّهُ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) رفعا على الاستئناف ، وأن الخبر قد تنهى عند قوله (أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة : (اللَّهُ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) نصبا ، على الرد على قوله (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) على أن ذلك كله كلام واحد . والصواب من القول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، مع استفاضة القراءة بهما في القراء ، فبأي ذلك قرأ القارئ فصيب . وتأويل الكلام : ذلك معبودكم أيها الناس ، الذي يستحق عليكم العبادة ، ربكم الذي خلقكم ، ورب آبائكم الماضين قبلكم ، لا الضم الذي لا يخلق شيئا ، ولا يضر ولا ينفع . وقوله (فَكَذَّبُوهُ فَأَتَاهُمُ الْمُحْضَرُونَ) يقول : فكذب إلياس قومه . فإنهم لمحضرون يقول : فإنهم لمحضرون في عذاب الله ، فيشبهونه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَتَاهُمُ الْمُحْضَرُونَ) في عذاب الله . (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) يقول : فإنهم يُحْضَرُونَ في عذاب الله ، إلا عباد الله الذين أخلصهم من العذاب (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) يقول : وأبقينا عليه الثناء الحسن في الآخريين من الأمم بعده .

القول في تأويل قوله تعالى

سَلَّمَ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢)

يقول تعالى ذكره : أمنة من الله لآل ياسين .

واختلفت القراء في قراءة قوله (سَلَّمَ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ) فقرأته عامة قراء مكة والبصرة والكوفة : (سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ) بكسر الألف من ياسين ، فكان بعضهم يقول : هو اسم إلياس ، ويقول : إنه

كان يُسمى باسمين : إلياس ، وإلياسين ، مثل إبراهيم ، وإبراهيم ؛ يُستشهد على أن ذلك كذلك ، بأن جميع ما في السورة من قوله (سلام) فإنه سلام على النبي الذي ذكر دون آله ، فكذلك إلياسين ، وإنما هو سلام على إلياس دون آله . وكان بعض أهل العربية يقول : إلياس : اسم من أسماء العبرانية ، كقولهم : إسماعيل وإسحاق ، والألف واللام منه ، ويقول : لو جعلته عربيا من الألس ، فتجعله إفعالا ، مثل الإخراج ، والإدخال أُجْرِي . ويقول : قال سلام على إلياسين ، فتجعله بالنون والعجمي من الأسماء قد تفعل به هذا العرب ، تقول : ميكال وميكايل وميكاين ، وهي في بني أسد تقول : هذا إسماعين قد جاء ، وسائر العرب باللام ؛ قال : وأنشدني بعض بني نُمير لضبّ صاده :

يَقُولُ رَبُّ السُّوقِ لَمَّا جِينَا هَذَا وَرَبَّ الْبَيْتِ إِسْرَائِيلِيْنَا

قال : فهذا كقوله : إلياسين ؛ قال : وإن شئت ذهبت بإلياسين إلى أن تجعله جمعا ، فتجعل أصحابه داخلين في اسمه ، كما تقول لقوم رئيسهم المهلب : قد جاءكم المهالبة والمهلبون ، فيكون بمنزلة قولهم الأشعرين بالتخفيف ، والسعدين بالتخفيف وشبهه ، قال الشاعر :

أَنَا ابْنُ سَعْدٍ سَيْدِ السَّعْدِيْنَ

قال : وهو في الاثنين أن يضم أحدهما إلى صاحبه إذا كان أشهر منه اسما كقول الشاعر :

جَزَانِي الزَّهْدَمَانِ جَزَاءَ سَوْءٍ وَكُنْتُ الْمَرْءَ يُجْزَى بِالْكَرَامَةِ

(١) هذان البيتان من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧٤) قال : وقوله : « وإن إلياس لبن المرسلين » : ذكر أنه نبي ، وأن هذا الاسم اسم من أسماء العبرانية ، كقولهم : إسماعيل وإسحاق ، والألف واللام منه . ولو جعلته عربيا من الألس ، فتجعل إفعالا ، مثل الإخراج والإدخال ، لجري (أي صرف) . ثم قال : « سلام على إلياسين » ، فجعله بالنون ، والعجمي من الأسماء قد يفعل به هذا العرب . تقول : ميكال وميكايل وميكاين ، بالنون ، وهي في بني أسد ، يقولون : هذا إسماعين قد جاء ، بالنون ، وسائر العرب باللام . قال : وأنشدني بعض بني نُمير ، لضب صاده بعضهم : « يقول أهل السوق . . . البيت » . فهذا وجه لقوله « إلياسين » وقال أبو عبيدة في (مجاز القرآن : مصورة الجامعة الورقة ٢١٠ - ١) قال أبو عبيدة : « سلام على إلياسين » : أي سلام على إلياس وأهله ، وعلى أهل دينه جميعهم ، بغير إضافة الياء على العدد . قال الشاعر : « قدني من نصر الخبيبين قدني » فجعل عبد الله بن الزبير أبا خبيب مصغرا ومن كان على رأيه عددا ، ولم يصفهما بالياء (أي لم ينسبهم إليه بياء النسب) فيقول خبيبيون وقال أبو عمرو بن العلاء : نادى مناد يوم الكلاب فقال : هلك البيزليون . يعني يزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن هوير ، ويزيد بن عزيمة الخارثيون . ويقال : جارك الخارثيون والأشعرين . (٢) وهذا أيضا من شواهد الفراء في معاني القرآن ، جاء بعد الشاهد الذي قبله . قال الفراء : بعد كلامه السابق في أن إلياسين لغة في إلياس عند بني أسد : « وإن شئت ذهبت بإلياسين » إلى أن تجعله جمعا ، فتجعل أصحابه داخلين في اسمه ، كما تقول للقوم رئيسهم المهلب : قد جاءكم المهالبة والمهلبون ، فيكون بمنزلة قوله : الأشعرين والسعدين وشبهه . قال الشاعر : « أنا ابن سعد . . . البيت » . وهذا يشبه كلام أبي عبيدة في مجاز القرآن ، وقد نقلناه في آخر الشاهد السابق على هذا .

(٣) هذا الشاهد الثالث على قرأة قوله تعالى : « سلام على إلياسين » . نقله الفراء وأبو عبيدة في كتابيهما . قال الفراء بعد كلامه السابق . وهو في الاثنين أكثر أن يضم أحدهما إلى صاحبه ، إذا كان أشهر منه اسما ، كقول الشاعر : « جزاني الزهدمان . . . البيت » . واسم أحدهما زهدم . وقال أبو عبيدة : وكذلك يقال في الاثنين . وأنشد البيت ، ونسبه إلى قيس بن زهير . ثم قال بعده : وإنما هو زهدم وكردم العيسيان ، أخوان . وقيل لعل بن أبي طالب : نسألك سنة العمرين : يعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما . ثم ذكر أبو عبيدة بعد ذلك وجه آخر ، فقال : إن أهل المدينة يقولون : « سلام على آل ياسن » أي على أهل ياسين . فقال سعد بن أبي وقاص وأبو عمرو وأهل الشام : هم قومه ومن كان معه على دينه . وقالت الشمة : آل محمد أهل بيته . واحتجوا بأنك تصغر الآل ، فتجعله أهيلا . اهـ . وذكر بعد كلامه السابق في الموضوع ، وجه آخر ، فقال : وقد قرأ بعضهم : « وإن إلياس » يجعل اسمه « ياسا » أدخل عليه الألف واللام . ثم يقرءون : « سلام على آل ياسين » . جاء التفسير في التفسير الكلبي : على آل ياسين : على آل محمد صلى الله عليه وسلم =

واسم أحدهما : زهدم ؛ وقال الآخر :

جَزَى اللهُ فِيهَا الْأَعْوَرَيْنِ ذِمَامَةً^١ وَفَرَوَةَ تَفَرَّ الشُّورَةَ الْمُتَضَاجِمِ^٢

واسم أحدهما أعور .

وقرأ ذلك عامة قرآء المدينة : (سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ) بقطع آل من ياسين ، فكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى : سلام على آل محمد . وذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ قوله (وَإِنَّ الْيَاسَ) بترك الهمز في الياس ، ويجعل الألف واللام داخلتين على « ياس » لتعريف ، ويقول : إنما كان اسمه « ياس » ، أدخلت عليه ألف ولام ، ثم يقرأ على ذلك سلام على الياسين .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : قراءة من قرأه سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ (بكسر ألفها ، على مثال إدراسين ، لأن الله تعالى ذكره إنما أخبر عن كل موضع ذكر فيه نبيا من أنبيائه صلوات الله عليهم في هذه السورة ، بأن عليه سلاما ، لا على آله ، فكذلك السلام في هذا الموضع ، ينبغي أن يكون على إلياس كسلامه على غيره من أنبيائه ، لا على آله ، على نحو ما بيئنا من معنى ذلك .

فإن ظنَّ ظانٌ أن إلياسين غير إلياس ، فإن فيما حكينا من احتجاج من احتج بأن إلياسين هو إلياس غنى عن الزيادة فيه .

مع أن فيما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ) قال : إلياس . وفي قراءة عبد الله بن مسعود : (سَلَامٌ عَلَى إِدْرَاسِينَ) دلالة واضحة على خطأ قول من قال : عنى بذلك سلام على آل محمد ، وفساد قراءة من قرأ (وَإِنَّ الْيَاسَ) بوصل النون من « إن » بالياس ، وتوجيه الألف واللام فيه ، إلى أنهما أدخلتا تعريفا للاسم الذي هو ياس ، وذلك أن عبد الله كان يقول : إلياس هو إدريس ، ويقرأ (وَإِنَّ إِدْرِيْسَ الْمِنْ الْمُرْسِيْنَ) ، ثم يقرأ على ذلك (سلامٌ عَلَى إِدْرَاسِينَ) ، كما قرأ الآخرون (سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ) ، فلا وجه على ما ذكرنا من قراءة عبد الله ، لقراءة من قرأ ذلك : (سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ) بقطع الآل من ياسين ، ونظير تسمية إلياس بالياسين : (وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ) ، ثم قال في موضع آخر (وَطُورِ سَيْنِينَ) ، وهو موضع واحد ، سمى بذلك .

وقوله (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : إنا هكذا نجزي أهل طاعتنا والمحسنين أعمالا . وقوله (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) يقول : إن إلياس عبد من عبادنا الذين آمنوا ، فوحدونا ، وأطاعونا ، ولم يُشركوا بنا شيئا .

« والأول أشبه بالصواب والله أعلم ، لأن في قراءة عبد الله (يعنى ابن مسعود) : « وإن إدريس من المرسلين » « سلام على إدراسين » . وقد يشهد على صواب هذا قوله : « وشجرة تخرج من طور سيناء » . ثم قال في موضع آخر : « وطور سينين » ، وهو معنى واحد . والله أعلم .

(١) هذا هو الشاهد الرابع في الموضوع نفسه ، أنشده القراء في معاني القرآن بعد سابقه . وأنشده صاحب اللسان في ضجج ، ونسبه إلى الأخطل ، وروايته فيه « ملامة » في موضع « ذمامة » . وقال : الضجج : العوج في الأنف ، يميل إلى أحد شقيه . والمتضاجج : المعوج القم . قال لأخطل : « جزى الله . . . البيت » . وفروة : اسم رجل . اه . وموضع الشاهد فيه قوله « الأعورين » كالذى قبله تماما .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ (١٣٦)

يقول تعالى ذكره : وإن لوطا المرسل من المرسلين (إذ نجيناه وأهله أجمعين) يقول : إذ نجينا لوطا وأهله أجمعين من العذاب الذي أحلناه بقومه ، فأهلكناهم به (إلا عجوزا في الغابرين) يقول : إلا عجوزا في الباقيين ، وهي امرأة لوط ، وقد ذكرنا خبرها فيما مضى ، واختلاف المختلفين في معنى قوله (في الغابرين) ، والصواب من القول في ذلك عندنا .

وقد حدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك (إلا عجوزا في الغابرين) يقول : إلا امرأته تخلقت ، فسخت حجرا ، وكانت تسمى هيشفع^١ . حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (إلا عجوزا في الغابرين) قال : الهالكين .

وقوله (ثم دمرنا الآخرين) يقول : ثم قذفناهم بالحجارة من فوقهم ، فأهلكناهم بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِالْأَيْلِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ (١٣٨)

يقول تعالى ذكره لمشركي قريش : وإنكم تمرّون على قوم لوط الذين دمرناهم عند إصباحكم نهارا وبالليل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين) قالوا : نعم والله صباحا ومساء ، يظنونها وطئا ، من أخذ من المدينة إلى الشام ، أخذ على سدوم ، قرية قوم لوط .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله (لتمرّون عليهم مصبحين) قال : في أسفاركم .

وقوله (أفلا تعقلون) يقول : أفليس لكم عقول تتدبرون بها وتفكّرون ، فتعلمون أن من سلك من عباد الله في الكفر به ، وتكذيب رسله ، مسلك هؤلاء الذين وصف صفتهم من قوم لوط ، نازل بهم من عقوبة الله ، مثل الذي نزل بهم على كفرهم بالله ، وتكذيب رسوله ، فيزجركم ذلك عما أنتم عليه من الشرك بالله ، وتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أفلا تعقلون) قال : أفلا تفكّرون ما أصابهم في معاصي الله أن يصيبكم ما أصابهم ، قال : وذلك المرور أن يمر عليهم .

(١) في عرائس المجالس للعلبي ، طبعة الحلبي ١٠٦ : وكانت تسمى هيشفع .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ يُونسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَمَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢)

يقول تعالى ذكره : وإن يونس لم يرسل من المرسلين إلى أقوامهم (إذ أبق إلى الفلك المشحون) يقول حين فر إلى الفلك ، وهو السفينة ، المشحون : وهو المملوء من الحمولة الموقرة . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إلى الفلك المشحون) كنا نحدث أنه الموقر من الفلك .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (الفلك المشحون) قال : الموقر . وقوله (فساهم) يقول : فقارع . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فساهم) يقول : أقرع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فساهم فكان من المدحضين) قال : فاحتبست السفينة ، فعلم القوم أنما احتبست من حدث أحدثوه ، فساهموا ، فقارع يونس ، فرمى بنفسه ، فالتممه الحوت .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (فساهم) قال : قارع . وقوله (فكان من المدحضين) يعني : فكان من المسهومين المغلوبين ، يقال منه : أدحض الله حجة فلان فدحضت : أي أبطلها فبطلت ، والدحض : أصله الزلق في الماء والطين ، وقد ذكر عنهم : دحض الله حجته ، وهي قليلة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فكان من المدحضين) يقول : من المقروعين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (من المدحضين) قال : من المسهومين . حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (فكان من المدحضين) قال : من المقروعين .

وقوله (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) يقول : فابتلعه الحوت ، وهو افتعل من اللقَم . وقوله (وَهُوَ مُلِيمٌ) يقول : وهو مكتسب اللوم ، يقال : قد ألام الرجل ؛ إذا أتى ما يلام عليه من الأمر ، وإن لم يَلَمْ ، كما يقال : أصبحتُ مُحْمِقًا مُعْطِشًا : أى عندك الحمق والعطش ؛ ومنه قول لبيد :

سَفَّهَا عَدَاكَتَ وَوَلَمْتَ غَيْرَ مُلِيمٍ وَهَذَاكَ قَبْلَ الْيَوْمِ غَيْرُ حَكِيمٍ ١

فأما الملوم ، فهو الذى يلام باللسان ، ويعذل بالقول .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَهُوَ مُلِيمٌ) قال : مذنب . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُوَ مُلِيمٌ) : أى فى صنعه . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَهُوَ مُلِيمٌ) قال : وهو مذنب ، قال : والمليم : المذنب .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) * فَبَدَّدَهُ
بِالْعُرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ٢ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ (١٤٦)

يقول تعالى ذكره : (فَلَوْلَا أَنَّهُ) أى يونس (كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) المصلين لله قبل البلاء الذى ابتلى به ، من العقوبة بالحبس فى بطن الحوت (لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) يقول : لبقى فى بطن الحوت إلى يوم القيامة ، يوم يعث الله فيه خلقه ، محبوسا ، ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء ، فذكره الله فى حال البلاء ، فأنقذه ونجّاه .

وقد اختلف أهل التأويل فى وقت تسبيح يونس الذى ذكره الله به ، فقال (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) فقال بعضهم : نحو الذى قلنا فى ذلك ، وقالوا مثل قولنا فى معنى قوله (مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) كان كثير الصلاة فى الرخاء ، فنجّاه الله بذلك ؛ قال : وقد كان يقال فى الحكمة : إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عسى ، فإذا صرع وجد متكئا .

(١) البيت لبيد بن ربيعة العامرى . استشهد به أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢١١ - ١) قال فى قوله تعالى « وهو ملِيم » يقول العرب : ألام فلان فى أمره ؛ وذلك إذا أتى أمرا يلام عليه . وقال لبيد : « سفها . . . البيت » . ه . واستشهد به فى (اللسان : لوم) على مثل ما استشهد به أبو عبيدة . وقال : لام فلان غير ملِيم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن بعض أصحابه ، عن قتادة ، في قوله (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : كان طويل الصلاة في الرخاء ؛ قال : وإن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر ، وإذا صرع وجد متكنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا أبو صخر ، أن يزيد الرقاشي حدثه ، قال : سمعت أنس بن مالك ، قال : ولا أعلم إلا أن أنسا يرفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم « أن يونس النبي حين بدأ له أن يدعو الله بالكلمات ، حين ناداه وهو في بطن الحوت ، فقال : اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك إني كنت من الظالمين ، فأقبلت الدعوة تحت العرش ، فقالت الملائكة : يارب هذا صوت ضعيف معروف في بلاد غريبة ، قال : أما تعرفون ذلك ؟ قالوا : يارب ومن هو ؟ قال : ذلك عبدي يونس ، قالوا : عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ، ودعوة مستجابة ، قالوا : يارب أولا يرحم بما كان يصنع في الرخاء ، فتنجيه من البلاء ، قال بلى ، فأمر الحوت فطرحه بالعراء . »

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : من المصلين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبيرة (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : من المصلين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : كان له عمل صالح فيما خلا .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : المصلين .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا جعفر ، قال : ثنا ميمون بن مهران ، قال : سمعت الضحاك بن قيس يقول على منبره : اذكروا الله في الرخاء ، يذكركم في الشدة ، إن يونس كما عبدا لله ذاكرا ، فلما أصابته الشدة دعا الله فقال الله (لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ) فذكره الله بما كان منه ، وكان فرعون طاغيا باغيا (فلما أدركه الغرق قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين ، آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) قال الضحاك : فاذكروا الله في الرخاء ، يذكركم في الشدة .

قال أبو جعفر : وقيل : إنما أحدث الصلاة التي أخبر الله عنه بها ، فقال : (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) في بطن الحوت .

وقال بعضهم : كان ذلك تسيحا ، لا صلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا عمران القطان ، قال : سمعت الحسن يقول في قوله (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : فوالله ما كانت إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت ؛ قال عمران : فذكرت ذلك لقتادة ، فأنكر ذلك وقال : كان والله يكثر الصلاة في الرخاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جببير : (فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ) قال : قال (لِإِلَهٍ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) . فلما قالها ، قذفه الحوت ، وهو مغرب .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَلْبِيتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) : لصار له بطن الحوت قبرا إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : لبث يونس في بطن الحوت أربعين يوما .

وقوله (فَتَنبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ) يقول : فقدفناه بالفضاء من الأرض ، حيث لا يواريه شيء من شجر ولا غيره ؛ ومنه قول الشاعر :

وَرَفَعْتُ رَجُلًا لَا أَخَافُ عِثَارَهَا وَتَبَدَّتْ بِالْبَلَدِ الْعَرَاءِ ثِيَابِي ١

يعنى بالبلد : الفضاء .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَتَنبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ) يقول : ألقيناه بالساحل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَتَنبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ) بأرض ليس فيها شيء ولا نبات .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (بِالْعَرَاءِ) قال : بالأرض .

وقوله (وَهُوَ سَقِيمٌ) يقول : وهو كالصبي المنفوس لحم فيء .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ، الورقة ٢١١ - ب) . قال في قوله تعالى : « فنبذناه بالعراء » : يقول العرب : « نبذته بالعراء » : أي الأرض الفضاء . قال الخزازي : « ورفعت رجلا ... الخ البيت » . العراء : لاشيء يواريه من شجر ، ولا من غيره . اه . وأنشده صاحب (اللسان : عرا) ولم ينسبه . قال وقال أبو عبيدة : إنما قيل له عراء ، لأنه لاشجر فيه ، ولا شيء يغطيه . وقيل إن العراء وجه الأرض الخالي ، وأنشد : « ورفعت رجلا ... البيت » . ونقل بعد ذلك كلام الزجاج في معنى العراء ، فراجعه ثمه .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَهُوَ سَقِيمٌ) كههيئة الصبيّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : خرج به ، يعني الحوت حتى لفظه في ساحل البحر ، فطرحة مثل الصبيّ المنفوس ، لم ينقص من خلقه شيء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ما لفظه الحوت حتى صار مثل الصبيّ المنفوس ، قد نشر اللحم والعظم ، فصار مثل الصبيّ المنفوس ، فألقاه في موضع ، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين .

وقوله (وَأُنْبِتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ) يقول تعالى ذكره : وأنبتنا على يونس شجرة من الشجر التي لا تقوم على ساق ، وكل شجرة لا تقوم على ساق كالدُّبَّاء والبَطِيخ والحنظل ونحو ذلك ، فهي عند العرب يَقْطِين .

واختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبّير ، في قوله (وَأُنْبِتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ) قال : هو كل شيء ينبت على وجه الأرض ليس له ساق .

حدثني مطر بن محمد الضبيّ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الأصمغ بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبّير ، في قوله (وَأُنْبِتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ) قال : كل شيء ينبت ثم يموت من عامه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : (شَجَرَةٌ مِّنْ يَقْطِينٍ) فقالوا عنده : القرع ؛ قال : وما يجعله أحقّ من البطيخ . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (شَجَرَةٌ مِّنْ يَقْطِينٍ) قال : غير ذات أصل من الدُّبَّاء ، أو غيره من نحوه . وقال آخرون : هو القرع .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَأُنْبِتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ) قال : القرع .

حدثنا محمد بن المثنيّ ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، أنه قال في هذه الآية (وَأُنْبِتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ) قال : القرع .

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا عبد الله بن داود الواسطي ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، في قوله (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقْطِينٍ) قال : القرع .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقْطِينٍ)
كنا نحدث أنها الدُّبَاءُ ، هذا القرع الذي رأيتم ، أنبتنا الله عليه يأكل منها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ثني أبو صخر ، قال : ثني ابن قسيط ، أنه سمع
أبا هريرة يقول : « طُرِحَ بالعراء ، فأثبت الله عليه يقطينة ، فقلنا : يا أبا هريرة وما اليقطينة ؟ قال : الشجرة
الدُّبَاءُ ، هيأ الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض أو هشاش ، فتفشح عليه ، فترويه من لبنها كل
عشية وبكرة ، حتى نبت » . وقال ابن أبي الصلت قبل الإسلام في ذلك بيتا من شعر :

فَأَنْبَتَ يَّقْطِينًا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ أَلْفَى صَاحِبًا

حدثني يحيى بن طلحة البربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن مغيرة في قوله (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ
شَجَرَةً مِّنْ يَّقْطِينٍ) قال : القرع .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله
(شَجَرَةً مِّنْ يَّقْطِينٍ) قال : القرع .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أنبت الله عليه شجرة من يقطين ،
قال : فكان لا يتناول منها ورقة فيأخذها إلا أروته لبنا ، أو قال : شرب منها ماشاء حتى نبت .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (شَجَرَةً
مِّنْ يَّقْطِينٍ) قال : هو القرع ، والعرب تسميه الدُّبَاءُ .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن ورقاء ، عن سعيد بن جبيرة في قول
الله (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقْطِينٍ) قال : هو القرع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ
يَّقْطِينٍ) قال : القرع .

وقال آخرون : كان اليقطين شجرة أظلمت يونس .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ثابت بن يزيد ، عن هلال بن خباب ، عن سعيد بن
جبيرة ، قال : اليقطين : شجرة سماها الله يقطينا أظلمته ، وليس بالقرع . قال : فيما ذكر أرسل الله عليه

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت كما قال المؤلف ، ولم أجده في شعراء النصرانية ولا في ترجمته في الأغاني . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن
(الورقة ٢١١ - ب) : في قوله تعالى « شجرة من يقطين » : كل شجرة لا تقوم على ساق فهي يقطين ، مثل الدباء والحنظل والبليخ .
أه . وفي (اللسان : قطن) : قال الفراء قيل عند ابن عباس : هو ورق القرع . وما جعل القرع من بين الشجر يقطينا ؛ كل ورقة
اتسعت وشررت ، فهي يقطين . قال الفراء : وقال مجاهد : كل شيء ذهب بسطا في الأرض : يقطين . ونحو ذلك قال الكلبي . قال :
ومذ اللرع ، والبليخ ، والنشاء والشربان . وقال سعيد بن جبيرة : كل شيء ينبت ثم يموت من عامه فهو يقطين . أه .

دابة الأرض ، فجعلت تقرض عروقها ، وجعل ورقها يتساقط حتى أفضت إليه الشمس وشكاها ، فقال : يا يونس ، جزعت من حرّ الشمس ، ولم تجزع لمئة ألف أو يزيدون تابوا إلى ، فنبت عليهم ؟

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَتَأَمَّنُوا فَمَرَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (١٤٨) فَاسْتَفْتِهِمْ
الرَّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ (١٤٩)

يقول تعالى ذكره : فأرسلنا يونس إلى مئة ألف من الناس ، أو يزيدون على مئة ألف . وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول : معنى قوله (أو) : بل يزيدون .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن الحكم بن عبد الله بن الأزور ، عن ابن عباس ، في قوله (وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون) قال : بل يزيدون ، كانوا مئة ألف وثلاثين ألفا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جببر ، في قوله (مئة ألف أو يزيدون) قال : يزيدون سبعين ألفا ، وقد كان العذاب أرسل عليهم ، فلما فرقوا بين النساء وأولادها ، والبهائم وأولادها ، وعجوا إلى الله ، كشف عنهم العذاب ، وأمطرت السماء دما .

حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سمعت زهيراً ، عن سمع أبا العالية ، قال : ثنى أبي بن كعب « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون) قال : يزيدون عشرين ألفا » .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك : معناه إلى مئة ألف أو كانوا يزيدون عندكم ، يقول : كذلك كانوا عندكم .

ولما عني بقوله (وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون) أنه أرسله إلى قومه الذين وعدهم العذاب ، فلما أظلمهم تابوا ، فكشف الله عنهم . وقيل : إنهم أهل نينوى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون) أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل ، قال : قال الحسن : بعثه الله قبل أن يصيبه ما أصابه (فتأمنوا فمرعناهم إلى حين) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلى مئة ألف أو يزيدون) قال : قوم يونس الذين أرسل إليهم قبل أن يلتقمه الحوت .

وقيل : إن يونس أرسل إلى أهل نِينَوَى بعد ما نبذه الحوت بالعرء .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : سمعت أبا هلال محمد بن سليمان ، قال : ثنا شهر بن حوشب ، قال : «أناه جبرائيل ، يعني يونس وقال انطلق إلى أهل نِينَوَى ، فأندِرهم أن العذاب قد حضرهم ، قال : أتمس دابة ، قال : الأمر أعجل من ذلك ، قال : أتمس حذاء ، قال : الأمر أعجل من ذلك ، قال : فغضب ، فانطلق إلى السفينة فركب ؛ فلما ركب احتبست السفينة ، لا تُقَدِّم ولا تُؤَخَّر ؛ قال : فقساهموا ، قال : فسُهِم ، فجاء الحوت يبصص بذنبه ، فنودي الحوت : أيا حوت ، إنا لم نجعل يونس لك رزقا ، إنما جعلناك له حوزا ومسجدا ؛ قال : فالتقمه الحوت ، فانطلق به من ذلك المكان ، حتى مر به على الأيلة ، ثم انطلق به ، حتى مر به على دجلة ، ثم انطلق به حتى ألقاه في نِينَوَى .»

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا شهر بن حوشب ، عن ابن عباس قال : إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت .

وقوله (فَآمَنُوا) يقول : فوحّدوا الله الذي أرسل إليهم يُؤنِّس ، وصدقوا بحقيقة ما جاءهم به يونس من عند الله .

وقوله (فَتَتَعَنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) يقول : فأخترنا عنهم العذاب ، ومتعناهم إلى حين بحياتهم ، إلى بلوغ آجالهم من الموت .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَتَتَعَنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) : الموت .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله :
(فَتَتَعَنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) قال : الموت .

وقوله (فَاسْتَفْتَيْهِمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : سل يا محمد مشركي قومك من قريش .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَاسْتَفْتَيْهِمْ : أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) : يعني مشركي قريش .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَاسْتَفْتَيْهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) قال : سلهم ، وقرأ (وَيَسْتَفْتُونَكَ) قال : يسألونك .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَاسْتَفْتَيْهِمْ) يقول : يا محمد سلهم .
وقوله (أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) : ذكّر أن مشركي قريش كانوا يقولون : الملائكة بنات الله ، وكان يعبدونها ، فقال الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام : سلهم ، وقل لهم : أَلرَّبُّ الْبَنَاتِ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، (أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) ؟ لأنهم قالوا : يعنى مشركى قريش : لله البنات ، ولهم البنون .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، في قوله : (فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) قال : كانوا يعبدون الملائكة .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١)
وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢)

يعنى تعالى ذكره : أم شهد هؤلاء القائلون من المشركين : الملائكة بنات الله ، خلقى الملائكة وأنا أخلقهم إناثا ، فشهدوا هذه الشهادة ، ووصفوا الملائكة بأنها إناث ؟
وقوله (أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ) يقول تعالى ذكره : ألا إن هؤلاء المشركين من كذبهم (لَيَقُولُونَ) ولقد الله ، وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) في قلوبهم ذلك .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ) يقول : من كذبهم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥)
أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ (١٥٦) فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧)

يقول تعالى ذكره مؤيخاً هؤلاء القائلين لله البنات ، من مشركى قريش : (أَصْطَفَى) الله أيها القوم (الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) ؟ والعرب إذا وجهوا الاستفهام إلى التوبيخ أثبتوا ألف الاستفهام أحيانا ، وطرحوها أحيانا ، كما قيل : أَذْهَبْتُمْ ، بالقصر ، طبيباتكم في حياتكم الدنيا ؟ يستفهم بها ، ولا يُستفهم بها ، والمعنى في الحالين واحد ، وإذا لم يستفهم في قوله (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ) ذهب ألف اصطفى في الوصل ، وابتدأ بها بالكسر ، وإذا استفهم فُتحت وقطعت .

وقد ذكر عن بعض أهل المدينة أنه قرأ ذلك بترك الاستفهام والوصل . فأما قراءة الكوفة والبصرة ، فإنهم في ذلك على قراءته بالاستفهام ، وفتح ألفه في الأحوال كلها ، وهى القراءة التى نختار ، لإجماع الحجة من القراء عليها ،

وقوله (مَالِكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟) يقول: بئس الحكمُ تحكمون أيها القوم، أن يكون لله البنات ولكم البنون، وأنتم لاترضون البنات لأنفسكم، فتجعلون له مالا ترضونه لأنفسكم؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟) يقول: كيف يجعل لكم البنين، ولنفسه البنات؟ مالكم كيف تحكمون؟ وقوله (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟) يقول: أفلا تتدبرون ما تقولون؟ فتعرفوا خطأه، فذنبوا عن قبله. وقوله (أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ) يقول: ألكم حجة تبيِّن صحها لمن سمعها بحقيقة ما تقولون. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ): أي عذر مبين.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، في قوله (سُلْطَانٌ مُّبِينٌ) قال حجة. وقوله (فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ) يقول: فأتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله، بأن الذي تقولون، من أن له البنات ولكم البنين، كما تقولون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ): أي بعذرکم إن كنتم صادقين). حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي (فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ) أن هذا كذا، بأن له البنات ولكم البنون. وقوله (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول: إن كنتم صادقين أن لكم بذلك حجة.

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا، وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٠)

يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء المشركون بين الله وبين الجنة نسا. واختلف أهل التأويل في معنى النسب، الذي أخبر الله عنهم أنهم جعلوه لله تعالى، فقال بعضهم: هو أنهم قالوا، أعداء الله: إن الله وإبليس أخوان.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا) قال : زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى وإبليس أخوان . وقال آخرون : هو أنهم قالوا : الملائكة بنات الله ، وقالوا : الجنة : هي الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا) قال : قال كفار كفار قريش : الملائكة بنات الله ، فسأل أبو بكر : مَنْ أمهاتهن ؟ فقالوا : بنات سرّوات الجن ، يحسبون أنهم خلّقوا مما خلّق منه إبليس .

حدثنا عمرو بن يحيى بن عمران بن عفرة ، قال : ثنا عمرو بن سعيد الأبح ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، في قوله (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا) قالت اليهود : إن الله تبارك وتعالى تزوج إلى الجن ، فخرج منهما الملائكة ، قال : سبحانه ، سبح نفسه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا) قال : الجنة : الملائكة ، قالوا : هن بنات الله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا) : الملائكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا) قال : بين الله وبين الجنة نسا ، افتروا .

وقوله (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : ولقد علمت الجنة إنهم لمشهدون الحساب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) : أنها ستحضر الحساب .

وقال آخرون : معناه : إن قائل هذا القول سيحضر العذاب في النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) إن هؤلاء الذين قالوا هذا لمحضرون : لمعدّيون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن العشرة الذين دخلوا على عمر بن عبد العزيز ، وكانوا متكلمين كلهم ، فتكلموا ، ثم إن عمر بن عبد العزيز تكلم بشيء ، فظننا أنه تكلم بشيء رد به ما كان في أيدينا ، فقال لنا : هل تعرفون تفسير هذه الآية (فإنكم وما تعبدون ، ما أنتم عليه بفاتنين ، إلا من هو صالح الجحيم) قال : إنكم والآفة التي تعبدونها لستم بالذي تفتنون عليها إلا من قضيت عليه أنه يصلي الجحيم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (إلا من هو صالح الجحيم) قال : ما أنتم بمضلين إلا من كتب عليه أنه يصلي الجحيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فإنكم وما تعبدون) حتى بلغ (صالح الجحيم) يقول : ما أنتم بمضلين أحدا من عبادي بباطلكم هذا ، إلا من تولاكم بعمل النار . حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدي (ما أنتم عليه بفاتنين) بمضلين (إلا من هو صالح الجحيم) إلا من كتب الله أنه يصلي الجحيم .

حدثنا عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صالح الجحيم) يقول : لا تضلون بأهنتكم أحدا ، إلا من سبقت له الشقاوة ، ومن هو صالح الجحيم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صالح الجحيم) يقول : لا تفتنون به أحدا ، ولا تضلونه ، إلا من قضى الله أنه صالح الجحيم ، إلا من قد قضى أنه من أهل النار .

وقيل (بفاتنين) من فتنت أفن ، وذلك لغة أهل الحجاز ، وأما أهل نجد فإنهم يقولون : أفتنته فأنا أفتنه . وقد ذكر عن الحسن أنه قرأ (إلا من هو صالح الجحيم) برفع اللام من «صالح» ، فإن كان أراد بذلك الجمع كما قال الشاعر :

إذا ما حاتمٌ وُجد ابنٌ عميَّ مجذنا من تكلمم أجمعينا

فقال : أجمعينا ، ولم يقل : تكلموا ، وكما يقال في الرجال : من هو إخوتك ، يذهب بهو إلى الاسم المجهول

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٧٥) ولم ينسبه . قال : وقد يكون أن تجعل «صالح» جمعا ، كما تقول : من الرجال من هو إخوتك . تذهب بهو إلى الاسم المجهول ، وتخرج فعله على الجمع ، كما قال الشاعر : «إذا ما حاتم . . . البيت» . ولم يقل تكلموا . وأجود ذلك في العربية ، إذا أخرجت الكناية ، أن تخرجها على المعنى والعدد ، لأنك تنوي تحقيق الاسم . اهـ . وفي فتح القدير للشوكاني (٤ : ٤٠٣) في تفسير قوله تعالى : «إلا من هو صالح الجحيم» : قرأ الجمهور : «صالح» بكسر اللام ، لأنه متقوس مضاف ، حذف الياء لا لبقاء الساكنين ، وحل على لفظ من ، وأفرد ، كما أفرد «هو» . وقرأ الحسن وابن أبي عمير ، بضم اللام ، مع واو بعدها ؛ وروى عنهما قرأ بضم اللام بدون واو . فأما مع الواو فعل أنه جمع سلامة بالواو ، خلا على معنى «من» وحذف نون الجمع للإضافة . وأما بدون الواو ، فيحتمل أن يكون جمعا ، وإنما حذف الواو خطأ ، كما حذف لفظا . ويحتمل أن يكون مفردا ؛ وحقه على هذا كسر اللام . قال النحاس : وجماعة أهل التفسير يقولون : إنه لحن ، لأنه لا يجوز : هذا قاص المدينة . والمعنى أن الكفار وما يعبدونه ، لا يقدر ون على إضلال أحد من عباد الله ، إلا من هو من أهل النار . أي يدخلها . اهـ .

ويخرج فعله على الجمع ، فذلك وجه ، وإن كان غيره أفسح منه ، وإن كان أراد بذلك واحدا ، فهو عند أهل العربية لحن ، لأنه لحن عندهم أن يقال : هذا رامٌ وقاصٌ ، إلا أن يكون سمي في ذلك من العرب لغة مقلوبة ، مثل قولهم : شكُّ السلاح ، وشاكى السلاح ، وعاث وعاثا ، وعاق وعاقا ، فيكون لغة ، ولم أسمع أحدا يذكر سماع ذلك من العرب .

وقوله (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) وهذا خبر من الله عن قِبل الملائكة أنهم قالوا : وما منا معشر الملائكة ، إلا من له مقام في السماء معلوم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) قال : الملائكة .

حدثني يونس ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) قال الملائكة .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) هؤلاء الملائكة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَإِنَّا لَنَسْحَنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَسْحَنُ الْمُسَبِّحُونَ) كان مسروق بن الأجدع يروى عن عائشة ، أنها قالت : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « مَا فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا مَوْضِعٌ قَدَمٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ » ، فذلك قول الملائكة : (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ، وَإِنَّا لَنَسْحَنُ الصَّافُونَ ، وَإِنَّا لَنَسْحَنُ الْمُسَبِّحُونَ) .

حدثني موسى بن إسحاق الجببي المعروف بابن القوَّاس ، قال : ثنا يحيى بن عيسى الرملي ، عن الأعمش عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : « لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الدنيا ، لأفسدت على الناس معاشهم ، وإن ناركم هذه لتعود من نار جهنم » .

حدثنا موسى بن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، قال : قال عبد الله بن مسعود : « إن ناركم هذه لما أنزلت ، ضُربت في البحر مرتين ، ففترت ، فلولا ذلك لم تنتفعوا بها » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ

أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأُولِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (١٦٩)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قِبل ملائكته : (وَإِنَّا لَنَسْحَنُ الصَّافُونَ) لله لعبادته (وَإِنَّا لَنَسْحَنُ الْمُسَبِّحُونَ لَهُ) : يعني بذلك : المصلون له .

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال به أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن علي بن الحسن بن شقيق المرزوي ، قال : ثنا أبو معاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد ابن سليمان ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول قوله : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) كان مسروق بن الأجدع ، يروى عن عائشة أنها قالت : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « مَا فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَوْضِعٌ قَدَّمَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ » ، فذلك قول الله (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : إن من السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جهة ملك أو قدمه قائما ؛ قال : ثم قرأ : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق عن عبد الله ، قال : إن من السموات سماء ما فيها موضع إلا فيه ملك ساجد ، أو قدمه قائم ، ثم قرأ : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا الجريري ، عن أبي نضرة ، قال : كان عمر إذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه ، فقال : يا أيها الناس استنوا ، إن الله إنما يريد بكم هدى الملائكة (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) استنوا ، تقدم أنت يافلان ، تأخر أنت أي هذا ، فاذا استنوا تقدم فكبر .

حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا الجريري سعيد بن إياس أبو مسعود ، قال : ثنا أبو نضرة ، كان عمر إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ، ثم قال : أقيموا صفوفكم واستنوا ، فإنما يريد الله بكم هدى الملائكة ، يقول : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) ثم ذكر نحوه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) قال : يعني الملائكة (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) قال : الملائكة صافون تسبح لله عز وجل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) قال : الملائكة . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) قال : الملائكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ) قال : صفوف في السماء . (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) : أى المصلون . هذا قول الملائكة يشنون بمكانهم من العبادة . حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ) قال : للصلاة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط عن السدى ، قال : وذكر السدى ، عن عبد الله ، قال : ما فى السماء موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماء ، ساجدا أو قائما أو راكعا ، ثم قرأ هذه الآية : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ) : قال : الملائكة ، هذا كله لهم .

وقوله (وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ : لَوْ أَنَّا عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ، لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ) : يقول تعالى ذكره : وكان هؤلاء المشركون من قريش يقولون ، قبل أن يبعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم نبيا . (لَوْ أَنَّا عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ) يعنى كتابا أنزل من السماء ، كالتوراة والإنجيل ، أو نبى آتانا ، مثل الذى أتى اليهود والنصارى (لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ) الذين أخلصهم لعبادته ، واصطفاهم لحنته .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ : لَوْ أَنَّا عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) قال : قد قالت هذه الأمة ذلك قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم : لو كان عندنا ذكر من الأولين ، لكننا عباد الله المخلصين ؛ فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به ، فسوف يعلمون .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى فى قوله (ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ) قال : هؤلاء ناس من مشركى العرب قالوا : لو أن عندنا كتابا من كتب الأولين ، أو جاءنا علم من علم الأولين ؟ قال : قد جاءكم محمد بذلك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : رجع الحديث إلى الأولين أهل الشرك : (وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ : لَوْ أَنَّا عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (لَوْ أَنَّا عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ، لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) هذا قول مشركى أهل مكة ؛ فلما جاءهم ذكر الأولين وعلم الآخرين ، كفروا به ، فسوف يعلمون .

القول في تأويل قوله تعالى

فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ
الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)

يقول تعالى ذكره : فلما جاءهم الذكر من عند الله كفروا به ، وذلك كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ،
وبما جاءهم به من عند الله من التنزيل والكتاب ، يقول الله : فسوف يعلمون إذا وردوا على ، ماذا لهم من
العذاب ، بكفرهم بذلك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولَى لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) قال : لما جاء المشركين من أهل
مكة ذكر الأولين وعلم الآخرين ، كفروا بالكتاب (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) يقول : قد جاءكم محمد بذلك ،
فكفروا بالقرآن ، وبما جاء به محمد .

وقوله (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) يقول تعالى
ذكره : ولقد سبق منا القول لرسلائنا : إنهم لهم منصورون : أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أم الكتاب ،
وهو أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا
الْمُرْسَلِينَ) حتى بلغ (كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا) قال : سبق هذا من الله لهم : أن ينصرهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ : إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) يقول : بالحجج .

وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك : ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين بالسعادة . وذكر أن ذلك
في قراءة عبد الله (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا عَلَى عِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) فجعلت «على» مكان اللام ، فكان
المعنى : حقت عليهم ولهم ، كما قيل : على ملك سليمان ، وفي ملك سليمان ، إذ كان معنى ذلك واحدا .

وقوله (وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) يقول : وإن حزبنا وأهل ولايتنا لهم الغالبون ، يقول : لهم
الظفر والفلاح على أهل الكفر بنا ، والخلاف علينا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦)
فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٧)

﴿يَعْنَى تَعَالَى ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ) : فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ إِلَى حِينٍ .
وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي هَذَا الْحِينِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : : مَعْنَاهُ إِلَى الْمَوْتِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ) : أَيْ
إِلَى الْمَوْتِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : إِلَى يَوْمِ بَدْرٍ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضَلِ ، قَالَ : ثَنَا أُسْبَاطٌ ، عَنْ السُّدِيِّ ، فِي قَوْلِهِ (فَتَوَلَّ
عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ) قَالَ : حَتَّى يَوْمِ بَدْرٍ .
وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ) ،
قَالَ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ السُّدِيُّ ، أَشْبَهَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَوَعَّدَهُمُ بِالْعَذَابِ الَّذِي
كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَهُ ، فَقَالَ : (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ) ، وَأَمْرُنِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِمْ
إِلَى مَجِيئِهِ حِينَهُ . فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ : فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِلَى حِينٍ مَجِيئِ عَذَابِنَا ، وَنَزُولِهِ بِهِمْ .
وَقَوْلُهُ (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) : وَأَنْظِرْهُمْ فَسَوْفَ يَرَوْنَ مَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنْ عِقَابِنَا .
وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) حِينٍ
لَا يَنْفَعُهُمُ الْبَصَرُ .

حَدَّثَنِي يُونُسٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ) يَقُولُ : أَنْظِرْهُمْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ مَا لَهُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ قَالَ : يَقُولُ : يَبْصُرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا ضَيَّعُوا مِنْ
أَمْرِ اللَّهِ ، وَكَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكُتَابِهِ ، قَالَ : فَأَبْصِرْهُمْ ، وَأَبْصِرْ وَاحِدًا .

وَقَوْلُهُ (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ) يَقُولُ : فَبِنَزُولِ عَذَابِنَا بِهِمْ يَسْتَعْجِلُونَكَ يَا مُحَمَّدُ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ
لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .

وَقَوْلُهُ (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) يَقُولُ : فَإِذَا نَزَلَ بِهِمْ لَئِلَافُ الْمُشْرِكِينَ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِعَذَابِ اللَّهِ الْعَذَابِ :
الْعَرَبُ تَقُولُ : نَزَلَ بِسَاحَةِ فَلَانِ الْعَذَابِ وَالْعُقُوبَةِ ، وَذَلِكَ إِذَا نَزَلَ بِهِ ، وَالسَّاحَةُ : هِيَ فَنَاءُ دَارِ الرَّجُلِ ،

(فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ) يقول: فبئس صباح القوم الذين أنذرهم رسولنا نزول ذلك العذاب بهم، فلم يصدّقوا به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، في قوله (فإذًا نزلَ بساحتِهِمْ) قال: بدارهم، (فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ) قال: بئس ما يصبحون.

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩) سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)

يقول تعالى ذكره لتبني محمد صلى الله عليه وسلم: وأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين، وخلصهم وفريتهم على ربهم (حتى حين) يقول: إلى حين يأذن الله بهلاكهم (وأبصر فسوف يبصرون) يقول: وأنظرهم فسوف يرون ما يحلّ بهم من عقابنا، في حين لا تنفعهم التوبة، وذلك عند نزول بأس الله بهم. وقوله (سبحان ربك رب العزة عما يصفون): يقول تعالى ذكره: تنزيها لربك يا محمد، وتبرئة له: (رب العزة): يقول: رب القوة والبطش (عما يصفون) يقول: عما يصف هؤلاء المفترون عليه من مشركي قريش، من قولهم ولد الله، وقولهم: الملائكة بنات الله، وغير ذلك من شركهم وفريتهم على ربهم. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون): أي عما يكذبون، يسبح نفسه إذا قيل عليه البهتان.

وقوله (وسلام على المرسلين) يقول: وأمنة من الله للمرسلين، الذين أرسلهم إلى أممهم الذين ذكرهم في هذه السورة وغيرهم، من فزع يوم العذاب الأكبر، وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قبل الله تبارك أو تعالى. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وسلام على المرسلين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا سلمتم علىّ فسلموا على المرسلين، فإنما أنا رسول من المرسلين». (والحمد لله رب العالمين) يقول تعالى ذكره: والحمد لله رب الثقلين الجن والإنس، خالصا دون ماسواه، لأن كلّ نعمة لعباده فنه، فالحمد له خالص لا شريك له، كما لا شريك له في نعمه عندهم، بل كلها من قبلك، ومن عنده.

آخر تفسير سورة الصافات

تفسير سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢)

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في معنى قول الله عز وجل (ص) ، فقال بعضهم : هو من المصاداة ، من صادت فلانا ، وهو أمر من ذلك ، كأن معناه عندهم : صاد بعملك القرآن : أى عارضه به ، ومن قال هذا تأويله ، فإنه يقرؤه بكسر الدال ، لأنه أمر ، وكذلك روى عن الحسن .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن (ص) قال : حادث القرآن .

وحدثت عن علي بن عاصم ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، في قوله (ص) قال : عارض القرآن بعملك .

حدثت عن عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله (ص والقرآن) قال : عارض القرآن ، قال عبد الوهاب : يقول لعرضه على عملك ، فانظر أين عملك من القرآن .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن إسماعيل ، عن الحسن أنه كان يقرأ (ص والقرآن) بخفض الدال ، وكان يجعلها من المصاداة ، يقول : عارض القرآن . وقال آخرون : هي حرف هجاء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما (ص) فن الحروف .

وقال آخرون : هو قسم أقسم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (ص) قال : قسم أقسمه الله ، وهو من أسماء الله .

وقال آخرون : هو اسم من أسماء القرآن ، أقسم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ص) قال : هو اسم من أسماء القرآن ، أقسم الله به .

وقال آخرون : معنى ذلك : صدق الله .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك في قوله (ص) قال : صدق الله .
واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار ، خلا عبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر ،
بسكون الدال ، فأما عبد الله بن أبي إسحاق فإنه كان يكسرها ، لاجتماع الساكنين ، ويجعل ذلك بمنزلة الأداة ،
كقول العرب : تركته حاثٍ باثٍ ، وخازٍ بازٍ ، يخفضان من أجل أن الذي يلي آخر الحروف ألف ، فيخفزون
مع الألف ، وينصبون مع غيرها ، فيقولون حيث بيث ، ولأجعلنك في حيص بيص : إذا ضيق عليه .
وأما عيسى بن عمر فكان يوفق بين جميع ما كان قبل آخر الحروف منه ألف ، وما كان قبل آخره ياء أو واو
فيفتح جميع ذلك وينصبه ، فيقول : صـ وقـ ونـ ويسـ ، فيجعل ذلك مثل الأداة ، كقولهم : ليت ، وأينـ
وما أشبه ذلك .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : السكون في كل ذلك ، لأن ذلك القراءة التي جاءت بها قراء الأمصار
مستفيضة فيهم ، وأنها حروف هجاء لأسماء المسميات ، فيعربن إعراب الأسماء والأدوات والأصوات ،
فيسلك بهن مسالكهن ، فتأويلها إذ كانت كذلك تأويل نظائرها التي قد تقدم بيانها قبل فيما مضى .
وكان بعض أهل العربية يقول : (ص) في معناها كقولك : وجب والله ، نزل والله ، وحق والله ،
وهي جواب لقوله (والقرآن) كما تقول : حقا والله ، نزل والله .
وقوله (والقرآن ذي الذكر) وهذا قسم أقسمه الله تبارك وتعالى بهذا القرآن ، فقال (والقرآن
ذي الذكر) .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (ذي الذكر) فقال بعضهم : معناه : ذي الشرف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا أبو أحمد ، عن قيس ، عن أبي حصين ، عن سعيد (ص) والقرآن
ذي الذكر) قال : ذي الشرف .

حدثنا نصر بن علي وابن بشار ، قالا : ثنا أبو أحمد ، عن مسعر ، عن أبي حصين (ذي الذكر) :
ذي الشرف .

قال : ثنا أبو أحمد ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح أو غيره (ذي الذكر) : ذي الشرف .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (والقرآن
ذي الذكر) قال : ذي الشرف .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن يحيى بن عمار ، عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس (ص) والقرآن ذي الذكر) : ذي الشرف .

وقال بعضهم : بل معناه : ذي التكبير ، ذكركم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك (ذِي الذِّكْرِ) قال : فيه ذكركم ، قال : ونظيرتها (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ) .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذِي الذِّكْرِ) : أى ما ذكر فيه .
وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : ذى التذكير لكم ، لأن الله أتبع ذلك قوله : (بَلِّغِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) فكان معلوماً بذلك ، أنه إنما أخبر عن القرآن ، أنه أنزله ذكراً لعباده ذكراً بهم ، وأن الكفار من الإيمان به في عزة وشقاق .
واختلف في الذى وقع عليه اسم القسم ، فقال بعضهم : وقع القسم على قوله (بَلِّغِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلِّغِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ) قال : هاهنا وقع القسم .
وكان بعض أهل العربية يقول : « بل » دليل على تكذيبهم ، فاكتفى ببل من جواب القسم ، وكأنه قيل : ما الأمر كما قلتم ، بل أنتم في عزة وشقاق . وكان بعض نحوي الكوفة يقول : زعموا أن موضع القسم في قوله (إن كُفِّرُوا كَذَّبَ الرُّسُلَ) . وقال بعض نحوي الكوفة : قد زعم قوم أن جواب (وَالْقُرْآنِ) قوله (إن ذلك لحقّ تحاصم أهل النار) قال : وذلك كلام قد تأخر عن قوله (وَالْقُرْآنِ) تأخراً شديداً ، وجرت بينهما قصص مختلفة ، فلا نجد ذلك مستقيماً في العربية ، والله أعلم .
قال : ويقال : إن قوله (وَالْقُرْآنِ) يمين ، اعترض كلام دون موقع جوابها ، فصار جوابها للمعترض ولليمين ، فكأنه أراد : وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ لَكُمْ أَهْلَكُنَا ، فلما اعترض قوله (بَلِّغِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ) صارت كم جواباً للعزة واليمين . قال : ومثله قوله : (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) اعترض دون الجواب قوله (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا) فصارت قد أفلح تابعة لقوله : فألمها ، وكفى من جواب القسم ، فكأنه قال : والشمس وضحاها لقد أفلح .
والمصواب من القول في ذلك عندي : القول الذى قاله قتادة ، وأن قوله (بَلِّغِ) لما دللت على التكذيب ، وحللت محل الجواب ، استغنى بها من الجواب ، إذ عرف المعنى ، فعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) ما الأمر ، كما يقول هؤلاء الكافرون : بل هم في عزة وشقاق .
وقوله (بَلِّغِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) يقول تعالى ذكره : بل الذين كفروا بالله من شركى قريش : في حمية ومشاقة ، وفراق لحمد وعداوة ، وما بهم أن لا يكونوا أهل علم ، بأنه ليس بساحر ولا كذاب .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) قال : مُعَازِينَ . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) : أى في حمية ووفراق . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) قال : يعادون أمر الله ورسوله وكتابه ، ويشاقون ، ذلك عزة وشقاق ، فقلت له : الشقاق : الخلاف ، فقال نعم .

القول في تأويل قوله تعالى

كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ، فَنَادَوْا وَوَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣)

يقول تعالى ذكره : كثيرا أهلكتنا من قبل هؤلاء المشركين من قريش الذين كذبوا رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عندنا من الحق (مِنْ قَرْنٍ) يعنى : من الأمم الذين كانوا قبلهم ، فسلكوا سبيلهم في تكذيب رسالهم فيما أتوهم به من عند الله (فَنَادَوْا) يقول : فعَجَّوْا إلى ربهم ، وضجوا واستغاثوا بالتوبة إليه ، حين نزل بهم بأس الله ، وعابنوا به عذابه ، فرارا من عقابه ، وهربا من أليم عذابه (وَوَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) يقول : وليس ذلك حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة ، وقد حَقَّتْ كلمة العذاب عليهم ، وتابوا حين لا تنفعهم التوبة ، واستقالوا في غير وقت الإقالة . وقوله (مَنَاصٍ) مَفْعَلٌ مِنَ النَّوْصِ ، والنوص في كلام العرب : التأخر ، والمناص : المفسر ؛ ومنه قول امرئ القيس :

أَمِنْ ذِكْرِ سَلَمَى إِذْ نَأْتِكَ تَنْوُصٌ فَتَقْصِرُ عَنْهَا خَطْوَةً وَتَبْوُصُ^١

يقول : أو تقدم ، يقال من ذلك : ناصنى فلان : إذا ذهب عنك ، وباصنى : إذا سبقك ، وناص في البلاد : إذا ذهب فيها ، بالضاد . وذكر الفراء أن العقبلى أنشده :

إِذَا عَاشَ إِسْحَاقُ وَشَيْخُهُ لَمْ أُبَلِّ فَقَيْدًا وَلَمْ يَصْعُبْ عَلَيَّ مَنَاصُ^٢

وَلَوْ أَشْرَقَتْ مِنْ كُفَّةِ السَّيْرِ عَاطِلًا لَقَلْتُ غَزَالَ مَا عَلَيَّ خُضَّاصُ

والخضاص : الخلى .

(١) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلح السقا ، طبعة الحلبي ١٢٧) قال : نأتك : بعدت عنك ، وتبوص : تتأخر ؛ فتقصر عنها : يقال : أقصر عنه خطوه : إذا كفه عنه . وتبوص : تتقدم . يقول : أمن حقلك إذ نأت عنك سلمى ، وذكرتها واشتقت إليها ، أن تتأخر عنها . وتقصر خطايك دونها ، أم تتقدم نحوها ، جادا في أثرها . والبيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (٢٧٦) قال في تفسير قوله تعالى : « ولات حين مناص » يقول : ليس حين فرار . والنوص : التأخر في كلام العرب . والبوص : التقدم ، وقال امرئ القيس : « أمن ذكر . . . البيت » . فناص : مفعول ، مثل مقام . ومن العرب من يضيف « لات » ، فيخفف . أنشدوني : « لات ساعة مندم » . اهـ .

(٢) قال المؤلف إن الفراء ذكر أن العقبلى أنشده البيتين . ويفهم منه أن البيتين نقلهما الفراء في معاني القرآن عند تفسير قوله تعالى « ولات حين مناص » . فقلعهما في نسخة غير التي في أيدينا منه . وذكر صاحب اللسان البيت الثاني في (خضض) وقال قبله : الخضاص : =

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق عن التيمي ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلا تَحِينَ مَنَاصٍ) قال : ليس بحين نزو ، ولا حين فرار .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن التيمي ، قال : قلت لابن عباس : رأيت قول الله (وَلا تَحِينَ مَنَاصٍ) قال : ليس بحين نزو ولا فرار ، ضبط القوم .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق الحمداني ، عن التيمي ، قال : سألت ابن عباس ، قول الله (وَلا تَحِينَ مَنَاصٍ) قال : ليس حين نزو ولا فرار .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَحِينَ مَنَاصٍ) قال : ليس حين نزو ولا فرار .
 حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَحِينَ مَنَاصٍ) يقول : ليس حين مَغَاث .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَلا تَحِينَ مَنَاصٍ) قال : ليس هذا بحين فرار .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَتَادُوا وَلا تَحِينَ مَنَاصٍ) قال : نادى القوم على غير حين نداء ، وأرادوا التوبة حين عاينوا عذاب الله ، فلم يقبل منهم ذلك .
 حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (وَلا تَحِينَ مَنَاصٍ) قال : حين نزل بهم العذاب لم يستطيعوا الرجوع إلى التوبة ، ولا فرارا من العذاب .
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فَتَادُوا وَلا تَحِينَ مَنَاصٍ) يقول : وليس حين فرار .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلا تَحِينَ مَنَاصٍ) :
 ولات حين منجى ينجون منه ، ونصب حين في قوله (وَلا تَحِينَ مَنَاصٍ) تشبيها للاث بليس ، وأضمر فيها اسم الفاعل .
 وحكى بعض نحوِّي أهل البصرة الرفع مع لات ، في حين زعم أن بعضهم رفع (وَلا تَحِينَ مَنَاصٍ) فجعله في قوله ليس ، كأنه قال : ليس وأضمر الحين ؛ قال : وفي الشعر :

« الشيء اليسير من الحل . وأنشد القناني : « ولو أشرفت . . . البيت » - قلت : ولعل لفظنا العقيل والقناني محرفة إحداهما عن الأخرى .
 ومحل الشاهد والبيت الأول في قوله « مناص » : أي ذهاب في الأرض ، فهو مصدر ميمي . وهو قريب في معناه من معنى مناص ، بالصاد المهملة ، أي مفر . قال في (اللسان : نوض) : وناض فلان يروض نوضا : ذهب في البلاد . وناض نوضا : كناض : عدل . اهـ .

طَلَبُوا صَلْحَنَا وَلَاتَ أَوَانَ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءٍ^١
فجرت «أوان» وأضمر الحين إلى أوان ، لأن لات لاتكون إلا مع الحين ؛ قال : ولا تكون لات إلا مع
حين . وقال بعض نحوبي الكوفة من العرب من يضيف لات فيخفف بها ، وذكر أنه أنشد :

« لات ساعةً منّدم^٢ »

بخفف الساعه ؛ قال : والكلام أن ينصب بها ، لأنها في معنى ليس ، وذكر أنه أنشد :

تَدَكَّرَ حُبَّ لَيْسَى لَاتَ حِينًا وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدًا قَطَعَ الْقَرِينَا^٣

قال : وأنشدني بعضهم :

طَلَبُوا صَلْحَنَا وَلَاتَ أَوَانَ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءٍ؛

بخفف «أوان» ؛ قال : وتكون لات مع الأوقات كلها .

واختلفوا في وجه الوقف على قراءة (لات حِين) فقال بعض أهل العربية : الوقف عليه ولاتٌ بالفاء ،

(١) وهذا البيت لأبي زبيد المذنب بن حرملة الطائي النصراني ، وقد أدرك الإسلام . وكان عثمان رضي الله عنه يقربه ، ويدني مجلسه .
(فرائد القلائد ، في مختصر شرح الشواهد ، للعينى) قال : والشاهد في قوله : «ولات أوان» «حيث وقع خبره (خبر لات) لفظة أوان
كالحين ، أى ليس الأوان أوان صلح ، فحذف المضاف إليه ، ثم بنى أوان ، كما بنى قبل وبعد عند حذف المضاف إليه ، ولكنه بنى
على الكسر ، بشبهه بنزال في الوزن ، ثم نون للضرورة . وأن : تفسيرية . وليس للنون واسمه محذوف . وحين بقاء : خبره . أى ليس
الحين حين بقاء الصلح . اه . قال الفراء بعد كلامه الذى نقلناه تحت الشاهد السابق : وأنشدني بعضهم : «طلبوا صلحنا . . . فحفف
أوان . اه . قلت : ولم يقل إنه بنى على الكسر .

(٢) هذا جزء من بيت . هو يتأمة كما في «فرائد القلائد ، في مختصر شرح الشواهد ، للعينى (ص ١٠٥ مستقلة عن الخزانة للبغدادى) .

نَدِمَ البُعَاةُ وَلَاتَ سَاعَةً مَنَّدَمٍ وَالبَعِيُّ مَرْتَعٌ مُبْتَغِيهِ وَحِيمٌ

والرواية فيه عند العينى ينصب ساعة ، لا يجرها . وقال في شرحه : وقائله محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي ، وقيل : مهلهل بن مالك
الكناني . وقال الفراء : بعد أن أنشد البيت (٢٧٦) : والكلام : أن ينصب بها في معنى ليس . اه . قلت : وفي خزانة الأدب للبغدادى (٢) :
١٤٤ - ١٤٧) تقاس كثير بين النحويين في إعراب «ساعة» في البيت : أبا لنصب ، وهى الرواية المشهورة ، وقد وافق عليها الفراء
في آخر كلامه . وأما الجر فإنه يحكيه عن أنشده هذا الجزء من البيت ، الذى قال إنه لا يحفظ صدره ، ولم يرض الفراء عن الجر بلات ،
وإنما قرر أن وجه الكلام النصب بها ، لأنها في معنى ليس ، وأنشد عليه الشاهد الذى بعده ، مؤكداً لكلامه ، في عملها النصب .
وأما رواية البيت فقد ذكرنا روايته عند ابن عقيل وغيره من شراح الألفية . ونسبته إلى رجل من طي . وفي خزانة الأدب (٢) :
١٤٧) أن ابن السكيت رواه في كتاب الأضداد ، وهو :

وَلَتَعْرِفَنَّ خَلَائِقًا مَشْمُولَةً وَلَتَسْتَدَمَنَّ وَلَاتَ سَاعَةً مَنَّدَمٍ

قال ابن الأعرابي في تفسير قوله «مشمولة» : يقال أخلاق مشمولة : أى مشومة ، وأخلاق سوء . قال : ويقال أيضا : رجل مشمول
الخلائق : أى كرم الأخلاق .

(٣) البيت من شواهد الفراء (الورقة ٢٧٦) على أن لات تعمل النصب فيما بعدها . قال في معاني القرآن ميثاق الوجه في عمل لبت :
والكلام : أن ينصب بها في معنى ليس . أنشدني المفضل : «تذكر حب . . . البيت . ثم قال : بعده : فهذا نصب ، ثم أنشد شاهدا
آخر على الجر بها ، وهو قول الشاعر : «طلبوا صلحنا ولات أوان . . . البيت . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢١٠ - ١)
في أول سورة ص : و «لات حين مناص» : إنما هى : «ولا» . وبعض العرب يزيد فيها الهاء ، فيقول : «ولاه» فيزيد فيها هاء
لوقف ، فإذا اتصلت صارت تاء . والمناص : مصدر ناص ينوص . وهو المنحى والفوت . قال عمرو بن شأس الأسيدي : «تذكرت
ليل لات حين تذكر» . وقال الفراء في معاني القرآن (٢٧٦) : أنف على «لات» بالفاء . والكسائي يقف عليها بالهاء . اه .
(٤) تقدم الكلام على البيت قريبا ، فراجع في موضعه .

ثم يبدأ حين مناص ، قالوا : وإنما هي « لا » التي بمعنى : « ما » ، وإن في الجحد وُصِلت بالهاء ، كما وُصِلت ثم بها ، فقيل : ثمت ، وكما وصلت ربّ ، فقيل : ربت .
وقال آخرون منهم : بل هي هاء زيدت في لا ، فالوقف عليها لاه ، لأنها هاء زيدت للوقف ، كما زيدت في قولهم :

العاطِفُونَ حِينَ مَا مِنْ عَاطِفٍ والمُطْعِمُونَ حِينَ أَيْنَ الْمُطْعِمِ ١؟

فإذا وُصِلت صارت تاء . وقال بعضهم : الوقف على « لا » ، والابتداء بعدها تحين ، وزعم أن حكم التاء أن تكون في ابتداء حين ، وأوان ، والآن ؛ ويستشهد لقيه ذلك بقول الشاعر :

تَوَلَّى قَبْلَ يَوْمِ سَبِيِّ جَمَانَا وَصَلِينَا كَمَا زَعَمْتَ تَلَانَا ٢

وأنه ليس هاهنا « لا » فيوصل بها هاء أو تاء ؛ ويقول : إن قوله (لات حِينَ) إنما هي : ليس حين ، ولم توجد لات في شيء من الكلام .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن « لا » حرف جحد كما ، وإن وُصِلت بهاء تصير في الوصل تاء ، كما فعلت العرب ذلك بالأدوات ، ولم تستعمل ذلك كذلك مع « لا » المُدَّة ، إلا للأوقات دون غيرها ، ولا وجه للعلة التي اعتلّ بها القائل : إنه لم يجد لات في شيء من كلام العرب ، فيجوز توجيه قوله (وَلا ت حِينَ) إلى ذلك ، لأنها تستعمل الكلمة في موضع ، ثم تستعملها في موضع آخر بخلاف ذلك ، وليس ذلك بأبعد في القياس من الصحة من قولهم : رأيت بالهمز ، ثم قالوا : فأنا أراه بترك الهمز ، لما جرى به استعمالهم ، وما أشبه ذلك من الحروف التي تأتي في موضع على صورة ، ثم تأتي بخلاف ذلك في موضع آخر ، للجاري من

(١) هذا الشاهد أيضا أنشده صاحب الخزانة (٢ : ١٤٧) ونقل كثيرا من أقوال النحويين في تحريكه . ومن أحسن تحريكه قول ابن جني الذي نقله صاحب الخزانة عن « سر صناعة الإعراب » لابن جني ، قال : وسبقه ابن السبكي في شرح شواهد الغريب المصنف ، وأبوعل الفارسي ، في المسائل المثورة . وهو أنها (التاء في العاطفونة) في الأصل هاء السكت ، لاحقة لقوله : « العاطفون » ، اضطر الشاعر إلى تحريكها ، فأبدلها تاء ، وفتحها . قال ابن جني أراد أن يجريه في الأصل على حد ما يكون عليه في الوقف . وذلك أن يقال في الوقف : هؤلاء مسلمونه ، وضاربونه ، فتلق الهاء لبيان حركة التون . فصار التقرير : العاطفونه . ثم إنه شبه هاء الوقف بهاء التأنيث ، فلما احتاج لإقامة الوزن ، إلى حركة الهاء ، قلبها تاء ، كما تقول في الوقف : هذا طلحه ، فإذا وصلت صارت الهاء تاء ، فقلت : هذا طلحتنا . وعلى هذا قال : العاطفونة . قال : ويؤنس لصحة هذا قول الراجز :

من بعد ما وبعد ما وبعد مت صارت نفوس القوم عند الغلصت

أراد : وبعد ما ، فأبدل الألف في التقدير هاء ، فصارت : بعده ، ثم إنه أبدل الهاء تاء ، التوافق بقية القوافي التي تليها . وشجعه شبه الهاء المقدر في قوله : « وبعده » بهاء التأنيث في طلحة وحزمة . الخ . وذكر ابن مالك في التسهيل أن التاء بقية لات . فحذفت لا ، وبقيت التاء . وربما استغنى مع التقدير عن (لا) بالتاء هـ . والبيت من قصيدة لأبي وجزة السعدي ، مدح بها آل الزبير ابن العوام ، لكنه مركب من مصراعين بيتين . والمصراع الثاني منه « والمسيفون يدا إذا ما أنعموا » .

(٢) البيت لعمرو بن أحمr الباهل ، كما في هامش رقم ١ من الجزء الأول من سر صناعة الإعراب ١٨٥ طبعة الحلبي ، وروايته في الأصل :

نولى قبل نأى دار جمانا وصليه كما زعمت تلاتنا

ورواه ابن الأنباري في كتاب « الإنصاف في مسائل الخلاف » . (طبعة ليدن سنة ١٩١٣ ص ٥١) :

نولى قبل يوم نأى جمانا وصلينا كما زعمت تلاتنا

نولى : من التوال ، وأصله العطاء . والمراد هنا ما يزود به الحب من قبة . وجمانا : مرخم : جمانة ، وهو اسم امرأة ، والألف للإطلاق . والشاهد في قوله « تلاتنا » حيث زاد تاء قبل الآن ، كما زاد قبل حين .

استعمال العرب ذلك بينها . وأما ما استشهد به من قول الشاعر : « كما زعمت تلاتنا » ، فإن ذلك منه غلط في تأويل الكلمة ، وإنما أراد الشاعر بقوله : « وصليتنا كما زعمت تلاتنا » : وصليتنا كما زعمت أنت الآن ، فأسقط الهمزة من أنت ، فلقبت التاء من زعمت النون من أنت ، وهي ساكنة ، فسقطت من اللفظ ، وبقيت التاء من أنت ، ثم حذفت الهمزة من الآن ، فصارت الكلمة في اللفظ كهيئة تلاتن ، والتاء الثانية على الحقيقة منفصلة من الآن ، لأنها تاء أنت . وأما زعمه أنه رأى في المصحف الذي يقال له الإمام ، التاء متصلة بحين ، فإن الذي جاءت به مصاحف المسلمين في أمصارها ، هو الحجة على أهل الإسلام ، والتاء في جميعها منفصلة عن حين ، فلذلك اخترنا أن يكون الوقف على الهاء في قوله (وَاَلَاتِ حِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ، وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ : هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجْعَلِ الْآلِهَةَ

إِلَٰهًا وَاحِدًا ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ (٥)

يقول تعالى ذكره : وعجب هؤلاء المشركون من قريش ، أن جاءهم منذر ينذرهم بأس الله ، على كفرهم به من أنفسهم ، ولم يأتيهم ملك من السماء بذلك (وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سَاْحِرٌ كَذَّابٌ) يقول : وقال المنكرون وحدانية الله : هذا : يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم : ساحر كذاب . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سَاْحِرٌ كَذَّابٌ) .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (سَاْحِرٌ كَذَّابٌ) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم .

وقوله (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا) يقول : وقال هؤلاء الكافرون الذين قالوا : محمد ساحر كذاب ، أجعل محمد المعبودات كلها واحدا ، يسمع دعاءنا جميعا ، ويعلم عبادة كل عابده عبده منا . (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ) : أى إن هذا لشيء عجيب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ؟) إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ) قال : عجب المشركون أن دُعُوا إلى الله وحده ، وقالوا : يسمع لحاجتنا جميعا إله واحد ؟ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة .

وكان سبب قيل هؤلاء المشركين ، ما أخبر الله عنهم أنهم قالوه من ذلك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : « أَسَأَلُكُمْ أَنْ تُجِيبُونِي إِلَى وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَرَبُ ، وَتُعْطِيَكُمْ بِهَا »

الْحَرَاجَ الْعَجَمُ ، فقالوا : وما هي ؟ فقال : تقولون لإلهة إلا الله ، فعند ذلك قالوا : (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلهًا وَاحِدًا) تعجباً منهم من ذلك .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كُرَيْبٍ وابن وكيع ، قالوا : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا الأعمش ، قال : ثنا عباد ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : « لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فقالوا : إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ، ويفعل ويفعل ، ويقول ويقول ، فلو بعثت إليه فنبهته ، فبعثت إليه ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل البيت ، وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل ، قال : فخشى أبو جهل إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون ، أرق له عليه ، فوثب فجلس في ذلك المجلس ، ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً قرب عمه ، فجلس عند الباب ، فقال له أبو طالب : أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك ؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم ، وتقول وتقول ؛ قال : فأكثروا عليه القول . وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا عمّ إني أريدُهم على كلمة واحدة يقولونها ، تدّين لهم بها العرب ، وتؤدّي إليهم بها العجم الجزية ، ففزعوا لكلمته ولقوله ، فقال القوم كلمة واحدة ؟ نعم وأبيك عشرة . فقالوا : وما هي ؟ فقال أبو طالب : وأي كلمة هي يا ابن أخي ؟ قال : لإلهة إلا الله ؛ قال : فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلهًا وَاحِدًا) ؟ إن هذا لشيءٌ عجبٌ) قال : ونزلت من هذا الموضع إلى قوله (لَمَّا يَدْعُوا عِدَابٍ) . اللفظ لأبي كُرَيْبٍ .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن يحيى بن عمارة ، عن سعيد بن جبّير عن ابن عباس ، قال : « مرض أبو طالب ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودده ، وهم حوله جلوس ، وعند رأسه مكان فارغ ، فقام أبو جهل فجلس فيه ، فقال أبو طالب : يا ابن أخي ما لقومك يشكونك ؟ قال : يا عمّ ، أريدُهم على كلمة تدّين لهم بها العرب ، وتؤدّي إليهم بها العجم الجزية . قال : ما هي ؟ قال : لإلهة إلا الله ، فقاموا وهم يقولون : (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة) ، إن هذا لإلهة اختلاقٌ) ونزل القرآن : (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) ذِي الشَّرْفِ (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) حتى قوله (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلهًا وَاحِدًا) ؟

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمارة ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : مرض أبو طالب ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه لم يقل ذى الشرف ، وقال : إلى قوله : (إن هذا لشيءٌ عجبٌ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمارة ، عن سعيد بن جبّير ، قال : « مرض أبو طالب ، قال : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودده ، فكان عند رأسه مقعدٌ رجل ، فقام أبو جهل ، فجلس فيه ، فشكوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب ، وقالوا : إنه يقع في آلهتنا ، فقال : يا ابن أخي ما تريد إلى هذا ؟ قال : يا عمّ إني أريدُهم على كلمة تدّين لهم بها العرب ، وتؤدّي إليهم بها العجم الجزية ، ففزعوا لكلمته ولقوله ، فقال القوم كلمة واحدة ؟ نعم وأبيك عشرة . فقالوا : لإلهة إلا الله ؛ قال : فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون : (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة) ، إن هذا لإلهة اختلاقٌ) ونزل القرآن : (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) ذِي الشَّرْفِ (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) حتى قوله (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلهًا وَاحِدًا) ؟

كُفُّوا بِهَا الْعَرَبُ ، وَتُوذَىٰ لِتَيْهِمِ الْعَجَمِ الْجَزِيَّةَ ؟ قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالُوا : (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ لَهَا وَاحِدًا ؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ) !

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا
بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ، إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْتَلَقُ (٧)

يقول تعالى ذكره : وانطلق الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش ، القائلين : (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ لَهَا وَاحِدًا) بأن امشوا فاصبروا على دينكم وعبادة آلهتكم . فأن من قوله (أَنْ امشُوا) في موضع نصب ، بتعلق انطلقوا بها ، كأنه قيل : انطلقوا مشيا ، ومضيا على دينكم . وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله : (وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ يَمْشُونَ ، أَنْ اصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ) . وذكر أن قائل ذلك كان عقبة ابن أبي معيط .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد : (وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ) قال عقبة بن أبي معيط .

وقوله (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ) : أي إن هذا القول الذي يقول محمد ، ويدعونا إليه ، من قول لا إله إلا الله ، شيء يريد منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا ، وأن نكون له فيه أتباعا ، ولستنا مجيبه إلى ذلك . وقوله (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) اختلف أهل التأويل في إيتاويله ، فقال بعضهم : معناه : ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد ، من البراءة من جميع الآلهة ، إلا من الله تعالى ذكره ، وبهذا الكتاب الذي جاء به في الملة النصرانية ، قالوا : وهي الملة الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) يقول : النصرانية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) يعني النصرانية ، فقالوا : لو كان هذا القرآن حقا ، أخبرتنا به النصارى .

حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن معين ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي لييد ، عن القُرَظِيِّ في قوله (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) قال : ملة عيسى .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدي (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) النصرانية .

وقال آخرون : بل عَسَوْا بذلك : ما سمعنا بهذا في ديننا دين قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله (ما سمعنا بهذا في المِلَّةِ الآخِرَةِ) قال : ملة قريش .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (في المِلَّةِ الآخِرَةِ) قال : ملة قريش .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما سمعنا بهذا في المِلَّةِ الآخِرَةِ) : أى في ديننا هذا ، ولا في زماننا قط .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : (ما سمعنا بهذا في المِلَّةِ الآخِرَةِ) قال : الملة الآخرة : الدين الآخر . قال : والملة : الدين .
وقيل : إن الملائ الذين انطلقوا نفر من مشيخة قريش ، منهم أبو جهل ، والعاص بن وائل ، والأسود ابن عبد يعوث .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أن أناسا من قُرَيْشٍ اجتمعوا ، فيهم أبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يعوث ، في نفر من مشيخة قريش ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى أبي طالب ، فلنكلمه فيه ، فلينصفنا منه ، فيأمره فليكف عن شتم آلهتنا ، وتدعاه وإلهه الذي يعبد ، فإننا نخاف أن يموت هذا الشيخ ، فيكون منا شيء ، فتعيرنا العرب ، فيقولون : تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه ؛ قال : فبعثوا رجلا منهم يدعى المطلب ، فاستأذن لهم على أبي طالب ، فقال : هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم يستأذنون عليك ، قال : أدخلهم ؛ فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، فأنصفنا من ابن أخيك ، ففره فليكف عن شتم آلهتنا ، وتدعاه وإلهه ؛ قال : فبعث إليه أبو طالب ؛ فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا بن أخي ، هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم ، وقد سألوك النصف ، أن تكف عن شتم آلهتهم ، ويدعووك وإلهك ؛ قال : فقال : أى عم ، أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها ؟ قال : وإلام تدعوهم ؟ قال : أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدبر بها العرب ، ويملكون بها العجم ؛ قال : فقال أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيك ؟ لنعطينكها وعشر أمثالها ، قال : تقولون لإله إلا الله ، قال : فنفروا وقالوا : سلنا غير هذه ، قال : لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ، ما سألتكم غيرها ؛ قال : فغضبوا ، وقاموا من عنده غضابا ، وقالوا : والله لنشتمنك والذي يأمرك بهذا . (وانطلق الملائ منهم أن امشوا وأصبروا على آلهتكم ، إن هذا لشيء يراد) . . . إلى قوله (إلا اختلاق) وأقبل على عمه ، فقال له عمه : يا بن أخي ، ما شططت عليهم ، فأقبل على عمه

فدعاه ، فقال : قل ° كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تَقُولُ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، فقال : لولا أن تعيكم بها العرب ، يقولون جزع من الموت لأعطيتموها ، ولكن على ملّة الأشياخ ؛ قال : فنزلت هذه الآية : (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ) ، (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ) قال : نزلت حين انطلق أشراف قريش إلى أبي طالب ، فكلّموه في النبي صلى الله عليه وسلم . وقوله (إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل هؤلاء المشركين في القرآن : ما هذا القرآن إلا اختلاق : أي كذب اختلقه محمد وتخرّصه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) يقول : تخرّص .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) قال : كذب . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد (إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) : يقول : كذب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) إلا شيء تخلقه . حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) قالوا : إن هذا إلا كذب .

القول في تأويل قوله تعالى

أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي ، بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ (٨)

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل هؤلاء المشركين من قريش : أنزل على محمد الذكر من بيننا ، فخص به ، وليس بأشرف منا حسبا ؟ وقوله (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي) يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين أن لا يكونوا أهل علم بأن محمدا صادق ، ولكنهم في شك من وحينا إليه ، وفي هذا القرآن الذي أنزلناه إليه أنه من عندنا (بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ) يقول : بل لم ينزل بهم بأسنا ، فيذوقوا وبال تكذيبهم محمدا ، وشكهم في تنزيلنا هذا القرآن عليه ، ولو ذاقوا العذاب على ذلك علموا وأيقنوا حقيقة ما هم به

مكذبون ، حين لا ينفعمهم علمهم (أمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ) : يقول تعالى ذكره : أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحي الله إلى محمد ، خزائن رحمة ربك ، يعنى مفاتيح رحمة ربك يا محمد ، العزيز فى سلطانه ، الوهاب لمن يشاء من خلقه ، ما يشاء من ملك و سلطان و نبوة ، فيمنعوك يا محمد ، ما من الله به عليك من الكرامة ، وفضلك به من الرسالة .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (١٠) جُنْدٌ مَّا هُنَا لِكَ

مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ (١١)

يقول تعالى ذكره : أم لهؤلاء المشركين الذين هم فى عزّة و شقاق (مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) فإنه لا يُعَاذُنِي وَيُشَاقُّنِي من كان فى ملكى و سلطانى . وقوله (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) يقول : وإن كان لهم ملك السموات و الأرض و ما بينهما ، فليصعدوا فى أبواب السماء و طرقها ، فإن من كان له ملك شىء ، لم يتعدّر عليه الإشراف عليه ، و تفقّده و تعهّده .

واختلف أهل التأويل فى معنى الأسباب التى ذكرها الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عىنى بها أبواب السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) قال : طرق السماء و أبوابها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) يقول : فى أبواب السماء .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (فِي الْأَسْبَابِ) قال : أسباب السموات .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) قال : طرق السموات .

حدثت عن المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : (أمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) : يقول : إن كان (لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) ، فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) يقول : فليرتقوا إلى السماء السابعة .

حدثنى على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) يقول : فى السماء .

وذكر عن الربيع بن أنس في ذلك ما حدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، قال : الأسباب : أدق من الشعر ، وأشد من الحديد ، وهو بكل مكان ، غير أنه لا يرى . وأصل السبب عند العرب : كل ما تسبب به إلى الوصول إلى المطلوب ، من حبل ، أو وسيلة ، أو رحم ، أو قرابة ، أو طريق ، أو محجة ، وغير ذلك .

وقوله (جُنْدٌ مَّا هُنَا لِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ) يقول تعالى ذكره هم (جُنْدٌ) يعني الذين في عزة وشقاق هنالك ، يعني : بيدر مهزوم . وقوله (هُنَا لِكَ) من صلة مهزوم وقوله (مِّنَ الْأَحْزَابِ) يعني من أحزاب إبليس وأتباعه ، الذين مضوا قبلهم ، فأهلكهم الله بذنوبهم . و«مِنَ» من قوله (مِّنَ الْأَحْزَابِ) من صلة قوله جند ، ومعنى الكلام : هم جند من الأحزاب مهزوم هنالك ، و«مَا» في قوله (جُنْدٌ مَّا هُنَا لِكَ) صلة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (جُنْدٌ مَّا هُنَا لِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ) قال : قريش من الأحزاب ، قال : القرون الماضية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : : ثنا سعيد ، عن قتادة (جُنْدٌ مَّا هُنَا لِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ) قال : وعده الله وهو بمكة يومئذ أنه سيهزم جندا من المشركين ، فجاء تأويلها يوم بدر . وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك (جُنْدٌ مَّا هُنَا لِكَ) مغلوب عن أن يصعد إلى السماء .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ،
أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ (١٤)

يقول تعالى ذكره : كذبت قبل هؤلاء المشركين من قريش ، القائلين : أجعل الآلهة إلها واحدا ، رسلها ، قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد .
واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله قيل لفرعون ذو الأوتاد ، فقال بعضهم : قيل ذلك له لأنه كانت له ملاعب من أوتاد ، يُلْعَبُ له عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن علي بن الهيثم ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس (وَفِرْعَوْنُ ذِي الْأَوْتَادِ) قال : كانت ملاعب يلعب له تحيا .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ) قال : كان له أوتاد وأرسان ، وملاعب يلعب له عليها .

وقال آخرون : بل قيل ذلك له كذلك لتعذيبه الناس بالأوتاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (ذُو الأوتادِ) قال : كان يعذب الناس بالأوتاد ، يعذبهم بأربعة أوتاد ، ثم يرفع صخرة تمتد بالحبال ، ثم تُلقي عليه فتشده . حدثت عن علي بن الهيثم ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : كان يعذب الناس بالأوتاد .

وقال آخرون : معنى ذلك : ذوالبنيان ، قالوا : والبنيان : هو الأوتاد .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (ذُو الأوتادِ) قال : ذوالبنيان . وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : عني بذلك الأوتاد ، إما لتعذيب الناس ، وإما للعب ، كان يُلعب له بها ، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد ، وثمود وقوم لوط ، وقد ذكرنا أخبار كل هؤلاء فيما مضى قبل من كتابنا هذا (وأصحاب الأيكة) يعني : وأصحاب الغيضة . وكان أبو عمرو بن العلاء فيما حدثت عن معمر بن المثنى ، عن أبي عمرو : يقول : الأيكة : الحرجة من النبع والسدر ، وهو الملتف منه ، قال الشاعر :

أفمن بكاء حمامة في أيكة يرفض دمعك فوق ظهر المحمل

يعني : محمل السيف .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأصحاب الأيكة) قال : كانوا أصحاب شجر ، قال : وكان عامّة شجرهم الدوم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (وأصحاب الأيكة) قال : أصحاب الغيضة .

وقوله (أولئك الأحزاب) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الجماعات المجتمعة ، والأحزاب المتحزبة على معاصي الله والكفر به ، الذين منهم يا محمد مشركو قومك ، وهم مسلوك بهم سبيلهم (إن كل إلا كذب الرسل) يقول : ما كل هؤلاء الأمم إلا كذب رسل الله ، وهي في قراءة عبد الله كما ذكر لي ، (إن كل لما كذب الرسل فحق عقاب) يقول : فوجب عليهم عقاب الله إياهم .

(١) البيت لعنرة العبيسي (مختار الشعر الجاهل ، شرح مصطلق السقا طبعة الحلبي ٣٨٧) وهو الرابع من قصيدة يهجو بها قيس ابن زهير ، قائد تميم في بعض حروبها مع عيس . قال شارحه : الأيكة الشجر الكثير الملتف . وذرفت دموعك : سالت . والمحمل علاقة السيف . واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢١٣ - ١) وقال : الأيكة : الحرجة : من النبع والسدر . وهو الملتف قال رجل ، وهو يستدل عننرة : « أفن بكاء . . . » البيت . يعني بحمل السيف . وهو الجمالة والحمال . وجماع المحمل : محامل . وبعضهم يقول : « ليكة » . لا يقطعون الألف ، ولم يعرفوا معناها . هـ .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إن كلَّ إلاَّ كذَّابٍ أَسْلَفَ فَحَقَّقَ عِقَابٍ) قال : هؤلاء كلهم قد كذبوا الرسل ، فحقَّ عليهم العذاب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِّمَّا هُمْ قَوَّاقٍ (١٥) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا لَنَا قِطْنًا قَبْلَ

يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦)

يقول تعالى ذكره : (وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ) المشركون بالله من قريش (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) يعني بالصيحة الواحدة : النفخة الأولى في الصور (مَا هُمْ مِّنْ قَوَّاقٍ) يقول : ما لتلك الصيحة من فيقة ، يعني من فتور ولا انقطاع .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) يعني : أمة محمد (ما هُمْ مِّنْ قَوَّاقٍ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المخاري ، عن إسماعيل بن رافع ، عن يزيد بن زياد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ لَمَّا فَرَعَ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلَقَ الصُّورَ ، فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ ، فَهَوَّ وَأَضِعَهُ عَلَى فِيهِ شَاحِصٌ يَبْصُرُهُ إِلَى الْعَرْشِ ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤَمَّرُ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الصُّورُ ؟ قَالَ : قَرْنٌ ، قَالَ : كَيْفَ هُوَ ؟ قَالَ : قَرْنٌ عَظِيمٌ يَنْفُخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفْخَاتٍ : نَفْخَةُ الْفِرْعَ الْأُولَى ، وَالثَّانِيَّةُ : نَفْخَةُ الصَّعَقِ ، وَالثَّلَاثَةُ : نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، يَا مُرُّ اللَّهِ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الْفِرْعَ ، فَيَفْرَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَيَأْمُرُهُ اللَّهُ فَيُدْجِمُهَا وَيُطَوِّئُهَا ، فَلَا يَفْسُرُ وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ (وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِّمَّا هُمْ قَوَّاقٍ) » .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (ما هُمْ مِّنْ قَوَّاقٍ) فقال بعضهم : يعني بذلك : ما لتلك الصيحة من ارتداد ولا رجوع .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (ما هُمْ مِّنْ قَوَّاقٍ) يقول : من ترداد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ما هُمْ مِّنْ قَوَّاقٍ) يقول : ما لها من رجعة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) قال : من رجوع . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) يعني الساعة ما لها من رجوع ولا ارتداد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما لهؤلاء المشركين بعد ذلك إفاقة ، ولا رجوع إلى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) يقول : ليس لهم بعدها إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا . وقال آخرون : الصيحة في هذا الموضع : العذاب . ومعنى الكلام : ما ينتظر هؤلاء المشركون إلا عذابا يهلكهم ، لا إفاقة لهم منه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) قال : ما ينتظرون إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ، يا لها من صيحة لا يفتقون فيها ، كما يفتق الذي يغشى عليه ، وكما يفتق المريض يهلكهم ، ليس لهم فيها إفاقة .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (مِنْ فَوَاقٍ) بفتح الفاء . وقرأته عامة أهل الكوفة (مِنْ فَوَاقٍ) بضم الفاء .

واختلف أهل العربية في معناها إذا قرئت بفتح الفاء وضمها ، فقال بعض البصريين منهم : معناها : إذا فتحت الفاء ما لها من راحة ، وإذا ضمت جعلها فواق ناقة : ما بين الحلبتين . وكان بعض الكوفيين منهم يقول : معنى الفتح والضم فيها واحد ، وإنما هما لغتان مثل السَّوَّافِ والسَّوَّافِ ، وجمام المَكْرُوكِ وجمامه ، وقصاص الشعر وقصاصه .

والصواب من القول في ذلك : أنهما لغتان ، وذلك أنا لم نجد أحدا من المتقدمين على اختلافهم في قراءته ، يفرقون بين معنى الضم فيه والفتح ، ولو كان مختلف المعنى باختلاف الفتح فيه والضم ، لقد كانوا فرقوا بين ذلك في المعنى . فإذا كان ذلك كذلك ، فبأي القراءتين قرأ القارئ فصيحا ، وأصل ذلك من قولهم : أفأقت الناقة ، فهي تُفَيِّقُ إفاقة ، وذلك إذا ردت ما بين الرضعتين ولدها إلى الرضعة الأخرى ، وذلك أن ترضع البهيمة أمها ، ثم تركها حتى ينزل شيء من اللبن ، فنلك الإفاقة ؛ يقال إذا اجتمع ذلك في الضرع فيقة . كما قال الأعشى :

حَتَّى إِذَا فَيِّقَةً فِي ضَرْعِهَا اجْتَمَعَتْ
جَاءَتْ لِتَرْضِعَ شَيْقَ النَّفْسِ لَوْ رَضِعَا

(١) البيت في ديوان الأعشى ميمون بن قيس ص ١٣ وهو الثالث والثلاثون من قصيدة يمدح بها هودبة بن علي الحنق . والغنية : اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين . وشق الشيء : شطره ، والقطعة منه ، وشق النفس : ولدها ، لأنه قطعة منها . يقول : حتى إذا =

وقوله (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش ، يا ربنا عجل لنا كتبنا قبل يوم القيامة . والقطف في كلام العرب : الصحيفة المكتوبة ؛ ومنه قول الأعشى :

وَلَا الْمَلِكُ النُّعْمَانُ يَوْمَ لَقِيْتَهُ
بِنِعْمَتِهِ يُعْطَى الْقَطُوطَ وَيَأْفِقُ^١

يعنى بالقطوط : جمع القيط ، وهى الكتب بالجواز .

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أراد هؤلاء المشركون بمسألتهم ربهم تعجيل القطف لهم ، فقال بعضهم : إنما سألوهم تعجيل حظهم من العذاب ، الذى أعد لهم فى الآخرة فى الدنيا ، كما قال بعضهم (إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأمنظير علينا حجارة من السماء ، أو اثنتينا بعدآب اليم) . ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ) يقول : العذاب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) قال : سألو الله أن يعجل لهم العذاب قبل يوم القيامة حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد ، فى قوله (عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ) قال : عذابنا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الجارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ) قال : عذابنا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) : أى نصيبنا حظنا من العذاب قبل يوم القيامة ، قال : قد قال ذلك أبو جهل : اللهم إن كان ما يقول محمد حقا (فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ) . . . الآية .

= اجتمع اللبن فى ضرعها ، عادت ترضع ولدها ، لو أنه حى يرضع . والضمير فى ضرعها : راجع إلى راحته المذكورة قبل . واستشهد المؤلف بالبيت على معنى قوله تعالى : « ما لها من فواق » . قال أبو عبيدة (٢١٣ - ١) من فتحها قال : ما لها من راحة . ومن ضمها قال فواق ، وجعلها من « فواق ناقة » : ما بين الخلبتين . وقوم قالوا : هما واحد . بمنزلة حمام المكوك وحمام المكوك ، وقصاص الشعر وقصاص الشعر (الأول بضم أوله ، والثانى بفتح فيهن) . اه . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٧٧) : « ما لها من فواق » : من راحة ولا إفاقة . وأصله من الإفاقة فى الرضاع ، إذا ارتضعت الهمة أمها ، ثم تركها حتى تنزل شيئا من اللبن ، فذلك الإفاقة والفواق بغير همز . وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العيادة قدر فواق ناقة » . وقرأها الحسن ، وأهل المدينة ، وعاصم : فواق بالفتح ؛ وهى لغة جيدة عالية . وضم حمزة ، ويحيى ، والأعمش ، والكسائى . اه .

(١) البيت للأعشى يمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة) (ص ٣٣) من قصيدة يمدح بها المخلوق بن خنم بن شداد بن ربيعة . وفيه « بأمته فى مكان » بنمته . والقطوط : جمع قطف بكسر القاف ، وهو الصك بالجائزة . ويأفق كيشرب : يفضل بعض الناس فى الجواز على بعض . وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن ، الورقة ٢١٣ - ١) قال فى قوله تعالى : « ربنا عجل لنا قطننا » القط : الكتاب . قال الأعشى : « ولا الملك . . . » البيت . القطوط : الكتب بالجواز . يأفق : يفضل ويعلو . يقال : ناقة أفقة ، وفرس آفق إذا فضله على غيره .

وقال آخرون : بل إنما سألوهم ربهم تعجيل أنصباهم ومنازلهم من الجنة حتى يروها ، فيعلموا حقيقة ما يعدهم محمد صلى الله عليه وسلم ، فيؤمنوا حينئذ به ويصدقوه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (عَجَّلْ لَنَا قِطْنًا) قالوا : أرنا منازلنا في الجنة حتى نتابعك .

وقال آخرون : مسألهم نصيبهم من الجنة ، ولكنهم سألوهم تعجيله لهم في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ثابت الحدّاد ، قال : سمعت سعيد بن جبّير يقول في قوله (عَجَّلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) قال : نصيبنا من الجنة .

وقال آخرون : بل سألوهم تعجيل الرزق .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمر بن عليّ ، قال : ثنا أشعث السجستاني ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل بن أبي خالد في قوله (عَجَّلْ لَنَا قِطْنًا) قال : رزقنا .

وقال آخرون : سألوهم أن يعجل لهم كتبهم التي قال الله (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يُبَيِّنُهَا) ، وأما من أُوْتِيَ كتابه بشماله في الدنيا ، لينظروا بأيمانهم يُعْطَوْنَهَا أم بشمالهم ؟ ولينظروا من أهل الجنة هم ، أم من أهل النار ، قبل يوم القيامة ، استهزاء منهم بالقرآن وبوعد الله .

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب : أن يقال : إن القوم سألوهم تعجيل صيكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشرّ ، الذي وعد الله عباده أن يؤتيهموها في الآخرة ، قبل يوم القيامة في الدنيا ، استهزاء بوعد الله .

وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لأن القطّ هو ما وصفت من الكتب بالجوائز والحظوظ ، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوهم تعجيل ذلك لهم ، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه (اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) فكان معلوما بذلك أن مسألهم ما سألوهم النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم ، لم يكن بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه ، ولكن لما كان ذلك استهزاء ، وكان فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أذى ، أمره الله بالصبر عليه منهم ، حتى يأتيه قضاؤه فيهم ، ولما لم يكن في قوله (عَجَّلْ لَنَا قِطْنًا) بيان أي القُطُوط إرادتهم ، لم يكن لنا توجيه ذلك إلى أنه معنى به القُطُوط ، ببعض معاني الخير أو الشرّ ، فلذلك قلنا إن مسألهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشرّ .

القول في تأويل قوله تعالى

اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ، وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ، إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إنا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ

يُسَبِّحَنَّ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَمْنَاهُ
الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ (٢٠)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : اصبر يا محمد على ما يقول مشركو قومك لك مما
تكروه قبلهم لك ، فلما تمتحنوك بالمكاره ، امتحاننا سائر رسلنا قبلك ، ثم جاعلو العلو والرفعة والظفر لك ، على
من كذبك وشاقك ، سنتنا في الرسل الذين أرسلناهم إلى عبادنا قبلك ، فمنهم عبدنا أيوب وداود بن إيشا ، فاذا ذكره
ذا الأيد ، ويعنى بقوله (ذَا الْأَيْدِ) ذا القوَّة والبطش الشديد في ذات الله ، والصبر على طاعته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
(دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ) قال : ذا القوَّة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثني أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ذَا الْأَيْدِ) قال : ذا القوَّة في طاعة الله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَذْكَرُ عَبِيدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ)
قال : أُعْطِيَ قُوَّةَ فِي الْعِبَادَةِ ، وَفَقَّهًا فِي الْإِسْلَامِ .

وقد ذكر لنا أن داود صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (دَاوُدَ
ذَا الْأَيْدِ) ذا القوَّة في طاعة الله .

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ) قال :
ذا القوَّة في عبادة الله ، الأيد : القوَّة ، وقرأ (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) قال : بقوَّة .

وقوله (إِنَّهُ أَوَّابٌ) يقول : إن داود رجَّاع لما يكرهه الله ، إلى ما يرضيه أواب ، وهو من قولهم : آب
الرجل إلى أهله : إذا رجع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : رجاع عن الذنوب .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّهُ أَوَّابٌ)
قال : الراجع عن الذنوب .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّهُ أَوَّابٌ) : أى كان مطيعاً لله كثير الصلاة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : المسيح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : الأواب التواب الذى يثوب إلى طاعة الله ويرجع إليها ، ذلك الأواب . قال : والأواب : المطيع .

وقوله (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) يقول تعالى ذكره : إنا سخرنا الجبال يسبحن مع داود بالعشى ، وذلك من وقت العصر إلى الليل . والإشراق ، وذلك بالغداء وقت الضحى . ذكر أن داود كان إذا سبح سبحت معه الجبال .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) يسبحن مع داود إذا سبح بالعشى والإشراق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) قال : حين تشرق الشمس وتضحى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مسعر بن عبد الكريم ، عن موسى بن أبي كثير ، عن ابن عباس ، أنه بلغه « أن أم هانئ ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، صلى الضحى إثماني ركعات ، فقال ابن عباس : قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة ، يقول الله (يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) » .

حدثنا ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : ثنا صدقة ، قال : ثنا سعيد بن أبي عمرو ، عن أبي المتوكل ، عن أيوب بن صفوان ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل « أن ابن عباس كان لا يصلى الضحى ، قال : فأدخلته على أم هانئ ، فقلت : أخبرنى هذا بما أخبرتنى به ، فقالت أم هانئ : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فى بيتى ، فأمر بقاء ، فصب فى قصعة ، ثم أمر بثوب ، فأخذ بينى وبينه ، فاعتسل ، ثم رش ناحية البيت ، فضلى ثمان ركعات ، وذلك من الضحى ، قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء ، قريب بعضهن من بعض . فخرج ابن عباس ، وهو يقول : لقد قرأت ما بين اللوحين ، ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن (يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) وكنت أقول : أين صلاة الإشراق ، ثم قال : بعدهن صلاة الإشراق » .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد بن أبي عمرو ، عن متوكل ، عن أيوب بن صفوان ، مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن الحارث « أن أم هانئ ابنة أبي طالب ، حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، دخل عليها ، ثم ذكر نحوه » .

وعن ابن عباس فى قوله (يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ) مثل ذلك .

وقوله (وَالطَّيِّبَاتِ مَحْشُورَةً) يقول تعالى ذكره : وسخرنا الطير يسبحن معه محشورة ، بمعنى : مجموعة

له ، ذكر أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا سبَّح أجابته الجبال ، واجتمعت إليه الطير ، فسبَّحت معه ، واجتمعوا إليه كان حشرها . وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل في معنى الحشر فيما مضى ، فكرهنا إعادته .
وكان قتادة يقول في ذلك في هذا الموضع ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والطَّيْرَ مَحْشُورَةً) : مسخرة .

وقوله (كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ) يقول : كل ذلك له مطيع ، رجَّاع إلى طاعته وأمره . ويعني بالكل : كل الطير .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ) : أى مطيع .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (والطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ) قال : كل له مطيع .
وقال آخرون : معنى ذلك : كل ذلك لله مسبيح .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (والطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ) يقول : مسبيح لله .
وقوله (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) : اختلف أهل التأويل في المعنى الذي به شدد ملكه ، فقال بعضهم : شدد ذلك بالجنود والرجال ، فكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف ، أربعة آلاف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) قال : كان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف ، أربعة آلاف .
وقال آخرون : كان الذي شدد به ملكه ، أن أعطى هبة من الناس له ، لقضية كان قضاها .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن حرب ، قال : ثنا موسى ، قال : ثنا داود ، عن علباء بن أحر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس « أن رجلا من بني إسرائيل استعدي على رجل من عظمائهم ، فاجتمعوا عند داود النبي صلى الله عليه وسلم فقال المستعدي : إن هذا اغتصبني بقراي ، فسأل داود الرجل عن ذلك ، فجحده ، فسأل الآخر البينة ، فلم يكن له بينة ، فقال لهما داود ، قوما حتى أنظر في أمركما ، فقاما من عنده ، فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الرجل الذي استعدي عليه ، فقال : هذه رؤيا ولست أعجل حتى أثبت ، فأوحى الله إلى داود في منامه مرة أخرى أن يقتل الرجل ، وأوحى الله إليه الثالثة أن يقتله ، أو تأتيه العقوبة من الله ، فأرسل داود إلى الرجل : إن الله قد أوحى إلى أن أقتلك ، فقال الرجل : تقتلني بغير بينة ولا تثبت ؟ فقال له

داود : نعم ، والله لأنفذن أمر الله فيك ؛ فلما عرف الرجل أنه قاتله ، قال : لانتعجل عليّ حتى أخبرك ، إني والله ما أخذت بهذا الذنب ، ولكني كنت اغتلت والد هذا ، فقتلته ، فبذلك قُتلت ، فأمر به داود فقتل ، فاشتدت هيبة بني إسرائيل عند ذلك لداود ، وشدّد به ملكه ، فهو قول الله (وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُ) .
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تبارك وتعالى أخبر أنه شدّد ملك داود ، ولم يحصر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود ، دون الهيبة من الناس له ، ولا على هيبة الناس له دون الجنود . وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ما ذكرنا ، وجائز أن يكون كان بجميعها ، ولا قول أولى في ذلك بالصحة من قول الله ، إذ لم يحصر ذلك على بعض معاني التشديد ، خبر يجب التسليم له .
 وقوله (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) اختلف أهل التأويل في معنى الحكمة في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى بها النبوة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدي ، قوله (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) قال : النبوة .
 وقال آخرون : عنى بها أنه علم السنن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) : أي السنة .
 وقد بيننا معنى الحكمة في غير هذا الموضع بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .
 وقوله (وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : عنى به أنه علم القضاء والفهم به .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) قال : أعطى الفهم .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد (وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) قال : إصابة القضاء وفهمه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) قال : علم القضاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) قال : الخصومات التي يخاصم الناس إليه فصل ذلك الخطاب ، الكلام الفهم ، وإصابة القضاء والبيّنات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، قال : سمعت أبا عبد الرحمن يقول : فصل الخطاب : القضاء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وفصل الخطاب ، بتكليف المدعى البينة ، واليمين على المدعى عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، قال : ثنى الشعبي أو غيره ، عن شريح ، أنه قال في قوله (وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) قال : بيّنة المدعى ، أو يمين المدعى عليه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن داود بن أبي هند ، في قوله (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) قال : نُبِّئْتُ عن شريح أنه قال : شاهدان أو يمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر ، قال : سمعت داود ، قال : بلغني أن شريحا ، قال : (فَصَّلَ الْخِطَابِ) : الشاهدان على المدعى ، واليمين على المنكر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن طاوس ، أن شريحا قال لرجل : إن هذا يعيب على ما أُعْطِيَ داود : الشهود والأيمان .

حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن شريح أنه قال في هذه الآية (وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) قال : الشهود والأيمان .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا داود ، عن الشعبي ، في قوله (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) قال : يمين أو شاهد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) البينة على الطالب ، واليمين على المطلوب ، هذا فصل الخطاب .

وقال آخرون : بل هو قول : أما بعد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا إسماعيل ، عن الشعبي في قوله (وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) قال : قول الرجل : أما بعد .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر أنه آتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب : والفصل : هو القسط ، والخطاب هو المخاطبة ، ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه ، قطع المحتكم إليه الحكم بين المحتكم إليه وخصمه ، بصواب من الحكم ، ومن قطع مخاطبته أيضا صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ، ما يجب عليه إن كان مدعيا ، وإقامة البينة على دعواه ، وإن كان مدعى عليه ، فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه . ومن قطع الخطاب أيضا ، الذي هو خطبة ، عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى ، الفصل بينهما بأما بعد ؛ فإذا كان ذلك كله محتملا ظاهر الخبر ، ولم تكن في هذه الآية دلالة على

أى ذلك المراد ، ولا ورد به خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثابت ، فالصواب أن يعم الخبر ، كما عمه الله ، فيقال : أوتى داود فصل الخطاب ، في القضاء والمخاطبة والخطب .

القول في تأويل قوله تعالى

«وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤًا أَخَصَمَ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ، قَالُوا : لَا تَخَفْ ، خَصِمَانِ بَغِيٍّ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ، فَأَحْكُمَ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ ، وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢)»

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وهل أتاك يا محمد نبأ الخصم . وقيل : إنه عنى بالخصم في هذا الموضع ملكان ، وخرج في لفظ الواحد ، لأنه مصدر مثل الزور والسفر ، لا يثنى ولا يجمع ؛ ومنه قول لبيد :

وَخَصَمٌ يَعْدُونَ الدُّحُولَ كَأَنَّهُمْ قُرُومٌ غِيَارَى كُلُّ أَزْهَرَ مُصْعَبِيَا

وقوله (إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) يقول : دخلوا عليه من غير باب المحراب ، والمخرب مقدم كل مجلس وبيت وأشرفه . وقوله (إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ) فكرر إذ مرتين . وكان بعض أهل العربية يقول في ذلك : قد يكون معناه كالمواحد ، كقولك : ضربتك إذ دخلت على ، إذ اجترأت ، فيكون الدخول هو الاجترأ ، ويكون أن تجعل إحداهما على مذهب لما ، فكأنه قال : إذ تسوَّروا المحراب لما دخلوا ، قال : وإن شئت جعلت لما في الأول ، فإذا كان لما أولاً أو آخر ، فهي بعد صاحبها ، كما تقول : أعطيته لما سألتني ، فالسؤال قبل الإعطاء في تقدمه وتأخره .

وقوله (فَفَزِعَ مِنْهُمْ) يقول القائل : وما كان وجه فزعه منهما ، وهما خصيمان ، فإن فزعه منهما كان لدخولهما عليه من غير الباب الذي كان المدخل عليه ، فزعه دخولهما كذلك عليه . وقيل : إن فزعه كان منهما ، لأنهما دخلا عليه ليلاً في غير وقت نظره بين الناس ، قالوا (لَا تَخَفْ) يقول تعالى ذكره : قال له الخصم : لا تخف يا داود ، وذلك لما رآياه قد ارتاع من دخولهما عليه من غير الباب . وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ظهر من الكلام منه ، وهو مرفاع خصمان ، وذلك نحن . وإنما جاز ترك إظهار ذلك مع حاجة الخصمين إلى المرفاع ، لأن قوله (خَصِمَانِ) فعل للمتكلم ، والعرب تضمير للمتكلم والمكلم والمخاطب ما يرفع أفعالهما ، ولا يكادون أن يفعلوا ذلك بغيرهما ، فيقولون للرجل يخاطبونه : أمنتلق يا فلان؟ ويقول المتكلم لصاحبه : أحسن إليك وتجمل ، وإنما يفعلون ذلك كذلك في المتكلم والمكلم ، لأنهما حاضران

(١) البيت لبيد (مجاز القرآن لأبي عبيدة ، الورقة ٢١٣ - ب) . قال : « نأ الخصم » : يقع على الواحد والجمع . قال لبيد :

« وخصم . . . البيت » . والدخول : جمع دخل ، وهو الثأر . والقروم : جمع قرم ، وهو الفحل العظيم من الإبل . وغيارى : جمع غيران . والأزهر : الأبيض والمصعب : الشديد القوى ، الذي يودع من الركوب والعمل ، للفحلة . (اللسان : صعب) . اه . شبه الخصوم الأقوياء بالفحول من الإبل .

يعرف السامع مراد المتكلم إذا حذف الاسم ، وأكثر ما يجيء ذلك في الاستفهام ، وإن كان جائزا في غير الاستفهام ، فيقال : أجالس راكب ، فمن ذلك قوله خصمان ؛ ومنه قول الشاعر :

وَقُولَا إِذَا جَاوَزْتُمَا أَرْضَ عَامِرٍ وَجَاوَزْتُمَا الْحَيَّيْنِ نَهْدًا وَخَشَعَمَا
نَزْرِيْعَانِ مِنْ جَرْمِ بَنِ رَبَّانَ لَهُمْ أَبْوَا أَنْ يُمَيِّرُوا فِي الْمَرَْاهِنِ مَحْجَمَا!

وقول الآخر :

تَقُولُ ابْنَةُ الْكَعْبِيِّ يَوْمَ لَقِيَتْهَا أَمْسُنْطَلِقُ فِي الْحَيْشِ أَمْ مَشَاقِلُ^٢

ومنه قولهم : « مُحْسِنَةٌ فَهَيْلِي » . وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « آتِبُونَ تَائِبُونَ » . وقوله : « جاء يوم القيامة مكثوبٌ بين عينيه ايس من رحمة الله » كل ذلك بضمير رفعه . وقوله عز وجل (بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ) يقول : تعدى أحدنا على صاحبه بغير حق (فاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ) يقول : فاقض بيننا بالعدل (وَلَا تَشْطِطْ) : يقول : ولا تجر ، ولا تُسْرِف في حكمك ، بالميل منك مع أحدنا على صاحبه . وفيه لغتان : أَشْطَطَ ، وَشَطَّ . ومن الإشطاط قول الأحوص :

أَلَا يَا لِقَوْمٍ قَدْ أَشْطَطَتْ عَوَازِلِي وَيَزْعُمْنَ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّي بَاطِلِي^٣

ومسموع من بعضهم : شَطَطَتْ عَلَى فِي السَّوْمِ . فأما في البعد فان أكثر كلامهم : شَطَطَتْ الدار ، فهي تَشِيطُ ، كما قال الشاعر :

تَشِيطُ غَسَدًا دَارُ جَيْرَانِنَا وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ^٤

وقوله (وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) يقول : وأرشدنا إلى قصد الطريق المستقيم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (وَلَا تَشْطِطْ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَشْطِطْ) : أي لا تمل .

- (١) البيتان : من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٧٨) على أن خصمان من قوله تعالى : « قالوا خصمان » : رفع بإضمار نحن ، قال : والعرب تضرر للمتكلم والمخاطب ما يرفع فعله ، ولا يكادون يفعلون ذلك بغير المخاطب أو المتكلم . من ذلك أن تقول للرجل : أذهب ؟ أو أن يقول المتكلم : واصلكم إن شاء الله ، ومحسن إليكم . وذلك أن المتكلم والمكلم حاضران ، فتعرف معنى اسميهما إذ تركزت . وأكثره في الاستفهام ، يقولون : أجداد ؟ أمطلق وقد يكون في غير الاستفهام . فقوله « خصمان » من ذلك . وقال الشاعر : « وقولا إذا . . . البيتين » . وقد جاء في آثار للراجع من سفر : « تائبون آيون ، لربنا حامدون » . . . الخ . قلت : والشاهد في البيتين قوله « نزيعان » : أي نحن نزيعان . فهو مرفوع على تقدير مضر قبله ، وإن لم يكن معه استفهام .
- (٢) وهذا البيت أيضا من شواهد الفراء في معاني القرآن ، على أنه قد يكون المبتدأ مخلوفا ، ويكثر أن يكون ذلك مع وجود الاستفهام في الكلام ، كقوله في البيت : أمطلق في الجيش أم متناقل ؟ أي أنت متناقل . . . الخ .
- (٣) وهذا البيت للأحوص ، وهو كسابقه مروى في اللسان : « شطط » وفي جاز القرآن لأبي عبيدة ، شاهدا على أن معنى أشطت : بالهز في أوله : أبعدت . وأودى بحقه : ذهب بهو أهلكه .
- (٤) البيت من شواهد أبي عبيدة في جاز القرآن (الورقة ٢١٣) عند قوله تعالى : « ولا تشطط » أي : لا تسرف . وأنشد : « تشط غدا دار جيراننا . . . البيت » . ويقال : كلفتني شططا : منه . وشطت الدار : بعدت . اه . وفي اللسان : (شطط) : وفي التنزيل « ولا تشطط » . وقرئ : « ولا تشطط » بضم الطاء الأولى ، وفتح التاء ، ومعناها : لا تبعد عن الحق . اه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَا تُشْطِطُ) يقول : لا تحف .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تُشْطِطُ) : تخالف عن الحق . وكالذي قلنا أيضا في قوله (وَآهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) قالوا .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَآهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) إلى عدله وخيره حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَآهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) إلى عدل القضاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَآهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) قال : إلى الحق الذي هو الحق : الطريق المستقيم (وَلَا تُشْطِطُ) تذهب إلى غيرها .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : (وَآهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) : أي احملنا على الحق ، ولا تخالف بنا إلى غيره .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي

فِي الْخِطَابِ (٢٣)

وهذا مثل ضربه الخصم المتسورون على داود محرابه له ، وذلك أن داود كانت له فيما قيل : تسع وتسعون امرأة ، وكانت للرجل الذي أغراه حتى قُتل ، امرأة واحدة ؛ فلما قُتل نكح (فيما) ذكر داود امرأته ، فقال له أحدهما : (إِنَّ هَذَا أَخِي) يقول : أخي على ديني .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : (إِنَّ هَذَا أَخِي) : أي على ديني (لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ، وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً) . وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله : (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أَنْثَى) وذلك على سبيل توكيد العرب الكلمة ، كقولهم : هذا رجل ذكر ، ولا يكادون أن يفعلوا ذلك إلا في المؤنث ، والمذكر الذي تذكره وتأنيثه في نفسه كالمراة والرجل والناقة ، ولا يكادون أن يقولوا هذه دار أنثى ، ومليحة أنثى ، لأن تأنيثها في اسمها ، لاني معناها . وقيل : عني بقوله : أنثى : أنها حسنة .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أَنْثَى) ، يعني بتأنيثها : حسنها .

وقوله (فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا) يقول : فقال لي : انزل عنها لي ، وضمها إلى .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَكْفَلْنِيهَا) قال : أعطنيها ، طلقها لي أنكحها ، ونخل سبيلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، فقال : (أَكْفَلْنِيهَا) أي احملي عليها .

وقوله (وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ) يقول : وصار أعز مني في مخاطبته إياي ، لأنه إن تكلم فهو أبين مني ، وإن بطش كان أشد مني فقهرني .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله في قوله (وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ) قال : ما زاد داود على أن قال : انزل لي عنها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبي ، عن المسعودي ، عن المنهال ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس ، قال : ما زاد على أن قال : انزل لي عنها .

وحدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : ما زاد داود على أن قال (أَكْفَلْنِيهَا) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ) قال : إن دعوت ودعا كان أكثر ، وإن بطشت وبطش كان أشد مني ، فذلك قوله (وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ) : أي ظمني وقهرني .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ) قال : قهرني ، وذلك العز : قال : والخطاب : الكلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه (وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ) : أي قهرني في الخطاب ، وكان أقوى مني ، فحاز نعجته إلى نعاجه ، وتركني لاشيء لي .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ) قال : إن تكلم كان أبين مني ، وإن بطش كان أشد مني ، وإن دعا كان أكثر مني .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ، وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ، فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : قال داود للمخضم المنظلم من صاحبه : لقد ظلمك صاحبك بسؤاله نعتك إلى نعاجه . وهذا مما حذفت منه الهاء ، فأضيف بسقوط الهاء منه إلى المفعول به ، ومثله قوله عز وجل : (لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) والمعنى : من دعائه بالخير ؛ فلما أُلْقِيَتْ الهاء من الدعاء ، أضيف إلى الخير ، وألتي من الخير الباء ، وإنما كُتِبَ بالنعجة هاهنا عن المرأة ، والعرب تفعل ذلك ؛ ومنه قول الأعشى :

قَدَّ كُنْتُ رَائِدَهَا وَشَاةٍ مُحَاذِرٍ حَذَرًا يُقِيلُ بِعَيْنَيْهِ إِغْفَالَهَا

يعنى بالشاة : امرأة رجل يحذر الناس عليها ، وإنما يعنى : لقد ظلمت بسؤال امرأتك الواحدة إلى التسع والتسعين من نسائه .

وقوله (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) يقول : وإن كثيرا من الشركاء ليتعدى بعضهم على بعض (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا) بالله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : وعملوا بطاعة الله ، وانتهوا إلى أمره ونهيه ، ولم يتجاوزوه (وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) وفى « ما » التى فى قوله (وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) وجهان : أحدهما أن تكون صلة ، بمعنى : وقليل هم ، فيكون إثباتها وإخراجها من الكلام لا يفسد معنى الكلام والآخر : أن تكون اسما ، وهم صلة لها ، بمعنى : وقليل ما تجدهم ، كما يقال : قد كنت أحسبك أعقل مما أنت ، فتكون أنت صلة لما ، والمعنى : كنت أحسب عقلك أكثر مما هو ، فتكون « ما » والاسم مصدرا ، ولو لم ترد المصدر لكان الكلام بمن ، لأن من التى تكون للناس وأشباههم ، ومحكى عن العرب ، قد كنت أراك أعقل منك مثل ذلك ، وقد كنت أرى أنه غير ما هو ، بمعنى : كنت أراه على غير ما رأيت . ورؤى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى به على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) يقول : وقليل الذين هم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) قال : قليل من لا يبغي . فعلى هذا التأويل الذى تأوله ابن عباس . معنى الكلام : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل الذين هم كذلك ، بمعنى : الذين لا يبغي بعضهم على بعض ، و « ما » على هذا القول بمعنى : من .

وقوله (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) يقول : وعلم داود أنما ابتليناه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَظَنَّ دَاوُدُ) : علم داود .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عثية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) قال : ظن : أنما ابتلى بذلك .

(١) البيت فى ديوان الأعشى ميمون بن قيس (طبعة القاهرة ص ٢٧) من لاميته التى مطلعها : « رحلت سمية غدوة أجمالها ... البيت وفيه : « بت » فى مكان « كنت » . والضمير فى رائدها : راجع إلى الأرض التى تزينت بأنواع النبات فى البيت السابق . والشاة من الحيوان : يكفى بها عن المرأة . ومحاذر : شديد المحاذرة عليها دائم المراقبة لها ، وهو زوجها . وقوله « شاة » بالجر : معطوف على قوله فى بيت سابق : « رب غائبة صرمت وصلها » . يقول : رب مصاب سحابة بت رائدها ، ورب امرأة لها زوج يحذر عليها ويراقبها مراقبة شديدة ، حتى إذا غفل عنها آخر الليل ، دنوت منها . الخ .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) قال : ظنّ أنّما ابتليّ بذلك .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) اختبرناه . والعرب توجه الظنّ إذا أدخلته على الإخبار كثيرا إلى العلم ، الذي هو من غير وجه العيان .

وقوله (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ) يقول : فسأل داود ربه غفران ذنبه (وَخَرَّ رَاكِعًا) يقول : وخرّ ساجدا لله (وَأَنَابَ) يقول : ورجع إلى رضا ربه ، وتاب من خطيئته .

واختلف في سبب البلاء الذي ابتليّ به نبيّ الله داود صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من حسن الثناء الباقي لهم في الناس ، فتمنى مثله ، فقيل له : إنهم امتحنوا فصبروا ، فسأل أن يبنتليّ كالذي ابتلوا ، ويعطى كالذي أعطوا إن هو صبر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) قال : إن داود قال : ياربّ قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله . قال الله : إنى ابتليتهم بما لم آبتك به ، فإن شئت آبتيك بمثل ما ابتليتهم به ، وأعطيتك كما أعطيتهم . قال : نعم . قال له : فاعمل حتى أرى بلاءك ، فكان ماشاء الله أن يكون ، وطال ذلك عليه ، فكاد أن ينساه ، فبينما هو في محرابه ، إذ وقعت عليه حمامة من ذهب ، فأراد أن يأخذها ، فطارت إلى كوة المحراب ، فذهب ليأخذها ، فطارت ، فاطلع من الكوة ، فرأى امرأة تغتسل ، فنزل نبيّ الله صلى الله عليه وسلم من المحراب ، فأرسل إليها فجاءته ، فسألها عن زوجها وعن شأنها ، فأخبرته أن زوجها غائب ، فكتب إلى أمير تلك السرية أن يؤمّره على السرايا ، ليهلك زوجها ، ففعل ، فكان يُصاب أصحابه وينجو ، وربما نُصروا ، وإن الله عزّ وجلّ لما رأى الذي وقع فيه داود ، أراد أن يستنقذه ، فبينما داود ذات يوم في محرابه ، إذ تسوّر عليه الخصمان من قبيل وجهه ؛ فلما رآهما وهو يقرأ ، فرع وسكت ، وقال : لقد استضعفت في ملكي ، حتى إن الناس يتسوّرون على محرابي ، قالوا له (لَا تَحْتَفِ ، خَصْمَانِ بِنَعْيِ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ) ولم يكن لنا بدّ من أن نأتيك ، فاسمع منا ؛ قال أحدهما : (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً) أنثى (وَوَلَى نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ) ، فقال أكفيلنيها يريد أن يتمم بها مئة ، ويتركني ليس لي شيء (وَعَزَّزْنِي فِي الْخَطَابِ) قال : إن دعوت ودعا كان أكثر ، وإن بطشت وبتش كان أشدّ مني ، فذلك قوله (وَعَزَّزْنِي فِي الْخَطَابِ) . قال له داود : أنت كنت أحوج إلى نعتك منه (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ) ... إلى قوله (وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) ، ونسى نفسه صلى الله عليه وسلم ، فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر ، حين قال ذلك ، فتبسّم أحدهما إلى الآخر ، فرآه داود ، وظنّ أنّما فتن ، (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) أربعين ليلة ، حتى نبتت الحضرة من دموع عينيه ، ثم شدد الله له ملكه .

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، في قوله (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) قال: كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام: يوم يَقْضِي فيه بين الناس، ويوم يخلو فيه لعبادة ربه، ويوم يخلو فيه لنسائه، وكان له تسع وتسعون امرأة، وكان فيما يقرأ من الكتب، أنه كان يجد فيه فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب، قال: يا رب إن الخير كله قد ذهب به آباءى الذين كانوا قبلى، فأعطينى مثل ما أعطيتهم، وافعل بي مثل ما فعلت بهم. قال: فأوحى الله إليه: إن آباءك ابتلوا ببلايا لم تُبْتَلِ بها، ابتلى إبراهيم بذبح ابنه، وابتلى إسحاق بذهاب بصره، وابتلى يعقوب بحزنه على يوسف، وإنك لم تُبْتَلِ من ذلك بشيء، قال: يا رب ابتلى بمثل ما ابتليتهم به، وأعطينى مثل ما أعطيتهم؛ قال: فأوحى إليه: إنك مبتلى فاحترس؛ قال: فكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث، إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب، حتى وقع عند رجله وهو قائم يصلى، فمدَّ يده ليأخذه، فتنحى، فتنحى، فتنحى، حتى وقع في كوة، فذهب ليأخذه، فطار من الكوة، فنظر أين يقع، فبعث في أثره. قال: فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها، فرأى امرأة من أجهل الناس خلقتا، فحانت منها التفاتة فأبصرته، فألقت شعرها، فاستترت به، قال: فزاده ذلك فيها رغبة، قال: فسأل عنها، فأخبر أن لها زوجا، وأن زوجها غائب بمسلة كذا وكذا؛ قال: فبعث إلى صاحب المسلة أن يبعث «أهريرا» إلى عدو كذا وكذا، قال: فبعثه، ففتش له. قال: وكتب إليه بذلك، قال: فكتب إليه أيضا: أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا، أشد منهم بأسا، قال: فبعثه، ففتش له أيضا. قال: فكتب إلى داود بذلك، قال: فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا، فبعثه فقتل المرأة الثالثة، قال: وتزوج امرأته.

قال: فلما دخلت عليه، قال: لم تلبث عنده إلا يسيرا، حتى بعث الله ملكين في صورة إنسيين، فطلبا أن يدخلوا عليه، فوجداه في يوم عبادته، فنعهما الحرس أن يدخلوا، فتساوروا عليه الخراب، قال: فما شعر وهو يصلى إذ هو بهما بين يديه جالسين، قال: ففزع منهما، فقالا: (لَا تَخَفْ) إنما نحن (خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، فَاحْكُم بَيْنُنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ) يقول: لا تخف (واهدنا إلى سواء الصراط): إلى عدل القضاء. قال: فقال: قُصَا عَلَى قِصَّتِكَمَا. قال: فقال أحدهما: (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَكَانَ أَخِي لَهُ نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ) فهو يريد أن يأخذ نعجتي، فيكمل بها نعاجه مئة. قال: فقال للآخر: ما تقول؟ فقال: إن لي تسعا وتسعين نعجة، ولأخي هذا نعجة واحدة، فأنا أريد أن آخذها منه، فأكمل بها نعاجي مئة، قال: وهو كاره؟ قال: وهو كاره، قال: فإني ذهبت تروم ذلك أو تريد، ضربنا منك هذا لاندعك وذاك، قال: ما أنت على ذلك بقادر، قال: فإني ذهبت تروم ذلك أو تريد، ضربنا منك هذا وهذا وهذا، وفسر أسباط طرف الأنف، وأصل الأنف والجهة؛ قال: يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وهذا، حيث لك تسع وتسعون نعجة، امرأة، ولم يكن لأهريرا إلا امرأة واحدة، فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتلته، وتزوجت امرأته. قال: فنظر فلم ير شيئا، فعرف ما قد وقع فيه، وما قد ابتلى به. قال: ففخر ساجدا، قال: فبكى. قال: فكث يبكي ساجدا أربعين يوما، لا يرفع رأسه إلا

لحاجة منها ، ثم يقع ساجدا يبكي ، ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه . قال : فأوحى الله إليه بعد أربعين يوما : ياداود ارفع رأسك ، فقد غفرت لك ، فقال : يارب كيف أعلم أنك قد غفرت لي وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء ، إذا جاءك أهريا يوم القيامة آخذاً رأسه يمينه أو بشماله ، تشخب أوداجه دما في قبل عرشك يقول : يارب سل هذا فيم قتلتني ؟ قال : فأوحى إليه : إذا كان ذلك دعوت أهريا ، فأستوهبك منه ، فيهلك لي ، فأثيبه بذلك الجنة ، قال : رب الآن علمت أنك قد غفرت لي ، قال : فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه ، حتى قبض صلى الله عليه وسلم .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال : ثنى عطاء الخراساني ، قال : نقش داود خطيئته في كفه ، لكيلا ينساها ، قال : فكان إذا رآها خفقت يده واضطربت . وقال آخرون : بل كان ذلك لعارض كان عرض في نفسه ، من ظن أنه يُطبق أن يتم يوما لا يصيب فيه حوبة ، فابتلى بالفتنة التي ابتلى بها في اليوم الذي طمع في نفسه بإتمامه بغير إصابة ذنب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن مطر ، عن الحسن : إن داود جزأ الدهر أربعة أجزاء : يوما لنسائه ، ويوما لعبادته ، ويوما لقضاء بني إسرائيل ، ويوما لبني إسرائيل ، يذاكرهم ويذاكرونه ، ويُسبِّحهم ويُسبِّحونه ؛ فلما كان يوم بني إسرائيل قال : ذكروا فقالوا : هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبا ؟ فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك ؛ فلما كان يوم عبادته ، أغلق أبوابه ، وأمر أن لا يدخل عليه أحد ، وأكب على التوراة ، فبينما هو يقرؤها ، فإذا حمامة من ذهب ، فيها من كل لون حسن ، قد وقعت بين يديه ، فأهوى إليها ليأخذها ، قال : فطارت ، فوَقعت غير بعيد ، من غير أن تُؤيسه من نفسها ، قال : فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل ، فأعجبه خلقها وحسنها ؛ قال : فلما رأت ظله في الأرض ، جللت نفسها بشعرها ، فزاده ذلك أيضا إعجابا بها ، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه ، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا ، مكان إذا سار إليه لم يرجع ، قال : ففعل ، فأصيب فخطبها فزوجها . قال : وقال قتادة : بلغنا أنها أم سليمان ، قال : فبينما هو في الخراب ، إذ تسور الملتكان عليه ، وكان الحصان إذا أتوه يأتونه من باب الخراب ، ففزع منهم حين تسوروا الخراب ، فقالوا (لا تخف ، خصمان بغي بعضنا على بعض) . . . حتى بلغ (ولا تُشطط) : أي لا تميل (وأهدنا إلى سواء الصراط) : أي أعدله وخيره (إن هداً أخى له تسع وتسعون نعجة) ، وكان لداود تسع وتسعون امرأة (ولى نعجة واحدة) قال : وإنما كان للرجل امرأة واحدة (فقال أكفليئنيها ، وعزني في الخطاب) : أي ظلمني وقهرني ، فقال : (لقد ظلمتكم بسؤال نعجتك إلى نعاجه) . . . إلى قوله (وقليل ما هم ، وظن داود) فعلم داود أنما صمده : أي عني به ذلك (فخر رآكعاً وأتاب) قال : وكان في حديث مطر ، أنه سجد أربعين ليلة ، حتى أوحى الله إليه : إنى قد غفرت لك ، قال : رب وكيف تغفر لي

وأنت حكم عدل ، لا تنظلم أحدا ؟ قال : إني أقضيك له ، ثم أستوهبه دمك أو ذنبك ، ثم أثيبه حتى يرضى ، قال : الآن طابت نفسي ، وعلمت أنك قد غفرت لي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه اليماني ، قال : لما اجتمعت بنو إسرائيل ، على داود ، أنزل الله عليه الزبور ، وعلمه صنعة الحديد ، فألانه له ، وأمر الجبال والطيور أن يسبحن معه إذا سبح . ولم يعط الله فيها يذكر أحد من خلقه مثل صوته . كان إذا قرأ الزبور فيما يذكر ، تدنو له الوحوش ، حتى يأخذ بأعناقها ، وإنها لمصيخة تسمع لصوته ، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج ، إلا على أصناف صوته ، وكان شديد الاجتهاد ، دائب العبادة ، فأقام في بني إسرائيل ، يحكم فيهم بأمر الله نبياً مستخلفاً ، وكان شديد الاجتهاد من الأنبياء ، كثير البكاء ، ثم عرض من فتنة تلك المرأة ما عرض له ، وكان له محراب يتوحد فيه لتلاوة الزبور ، ولصلاته إذا صلى ، وكان أسفل منه جنينة لرجل من بني إسرائيل ، كان عند ذلك الرجل ، المرأة التي أصاب داود فيها ما أصابه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، أن داود حين دخل محرابه ذلك اليوم ، قال : لا يدخلن علي محرابي اليوم أحد حتى الليل ، ولا يشغلني شيء عما خلوت له حتى أمسي ، ودخل محرابه ونشر زبوره يقرؤه . وفي المحراب كوة تطلعه على تلك الجنينة ، فيبينا هو جالس يقرأ زبوره ، إذ أقبلت حمامة من ذهب ، حتى وقعت في الكوة ، فرفع رأسه فرآها ، فأعجبته ، ثم ذكر ما كان قال : لا يشغله شيء عما دخل له ، فنكس رأسه . وأقبل على زبوره ، فتصوّبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوة ، فوقعت بين يديه ، فتناولها بيده ، فاستأخرت غير بعيد ، فاتبعها ، فنهضت إلى الكوة ، فتناولها في الكوة ، فتصوّبت إلى الجنينة ، فاتبعها بصره أين تقع ، فإذا المرأة جالسة تغتسل ، بهيئة الله أعلم بها في الجمال والحسن والخلق . فيزعمون أنها لما رأتها نقضت رأسها فوارت به جسدها منه ، واختطف قلبه ، ورجع إلى زبوره ومجلسه ، وهي من شأنه ، لا يفارق قلبه ذكرها ، وتماذى به البلاء ، حتى أغزى زوجها ، ثم أمر صاحب جيشه فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدم زوجها للمهالك ، حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك ، ولداود تسع وتسعون امرأة ، فلما أصيب زوجها خطبها داود ، فنكحها ، فبعث الله إليه وهو في محرابه ملكين يختصمان إليه ، مثلاً يضربه له ولصاحبه ، فلم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه ، فقال : ما أدخلكما علي ؟ قالوا : لا تخف ، لم ندخل لبأس ولا لريبة (خصمان بغنى بعضنا على بعض) فجنناك لتقضى بيننا (فاحكمم بيننا بالحق ولا تشطط ، وأهدنا إلى سواء الصراط) : أي احملنا على الحق ، ولا تخالف بنا إلى غيره ، قال الملك الذي يتكلم عن أوريا بن حنانيا زوج المرأة (إن هذا أخي) : أي على ديني (له تسع وتسعون نعجة) ولي نعجة واحدة ، فقال أكفلسنيتها : أي احملني عليها ، ثم عزتي في الخطاب : أي قهرني في الخطاب ، وكان أقوى مني هو وأعز ، فجاز نعجتي إلى نعاجه ، وتركني لاشيء لي . فغضب داود ، فنظر إلى خصمه الذي لم يتكلم ، فقال : لئن كان صدقتي ما يقول : لأضربن بين عينيك بالفأس ، ثم ارعوى داود ، فعرف أنه هو الذي يراد بما صنع في امرأة « أوريا » ، فوقع

ساجدا تائباً مئيباً باكياً ، فسجد أربعين صباحاً صائماً لا يأكل فيها ولا يشرب ، حتى أنبت دمعته الخضر تحت وجهه ، وحتى أندب السجود في لحم وجهه ، فتاب الله عليه ، وقبل منه .
 ويزعمون أنه قال : أي رب هذا غفرت ما جنيت في شأن المرأة ، فكيف بدم القتل المظلوم ؟ قيل له : يادود ، فيما زعم أهل الكتاب : أما إن ربك لم يظلمه بدمه ، ولكنه سيأله إياك فيعطيه ، فيضعه عنك ؛ فلما فرج عن داود ما كان فيه ، رسم خطيئته في كفه النبي : بطن راحته ، فما رفع إلى فيه طعاماً ولا شرباً قط إلا بكى إذا رآها ، وما قام خطيباً في الناس قط إلا نشر راحته ، فاستقبل بها الناس ، ليروا رسم خطيئته في يده .
 حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثاً يذكر عن مجاهد قال : « لما أصاب داود الخطيئة خرّ لله ساجدا أربعين يوماً ، حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطى رأسه ، ثم نادى : رب قرح الجبين ، وجمدت العين ، وداود لم يرجع إليه في خطيئته شيء ، فنودي : أجاجع فنعطم ، أم مريض أفتشى ، أم مظلوم فينتصر لك ؟ قال : فنحّب نخبّة هاج كل شيء كان نبت ، فعند ذلك غفر له ، وكانت خطيئته مكتوبة بكفه يقرؤها ، وكان يوثق بالإناء ليشرّب فلا يشرب إلا ثلثه أو نصفه ، وكان يذكر خطيئته ، فينحّب النخبّة تكاد مفاصله تزول بعضها من بعض ، ثم ما يتمّ شرابه حتى يملاؤه من دموعه ، وكان يقال : إن دمة داود ، تعدل دمة الخلائق ، ودمة آدم تعدل دمة داود ودمة الخلائق ، قال : فهو يحيى يوم القيامة خطيئته مكتوبة بكفه ، فيقول : رب ذنبي ، ذنبي قد منى ، قال : فينقدهم ، فلا يأمن ، فيقول : رب أحرني ، فيؤخر فلا يأمن » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن هبة ، عن أبي صخر ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، سمعه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن داود النبي صلى الله عليه وسلم ، حين نظرت إلى المرأة ، فأهمّ ، قطع على بني إسرائيل ، فأوصى صاحب البعث ، فقال : إذا حضر العدو ، فقترب فلانا بين يدي التابوت ، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ، من قدم بين يدي التابوت ، لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش ، فقتل زوج المرأة ، ونزل الملكان على داود بمقضان عليه قصته ، ففطن داود ، فسجد ، فكثرت أربعين ليلة ساجداً ، حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه ، وأكلت الأرض جببته ، وهو يقول في سجوده ، فلم أحص من الرقاشي إلا هؤلاء الكلمات : رب زك داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب ، إن لم تر رحم ضعف داود وتغفر ذنبه ، جعلت ذنبه حديثاً في الخلوفا من بعده . فجاءه جبرائيل صلى الله عليه وسلم من بعد الأربعين ليلة ، فقال : يادود إن الله قد غفر لك الهم الذي هممت به ، فقال داود : عذمت أن الرب قادر على أن يغفر لي الهم الذي هممت به ، وقد عرفت أن الله عدل لا يميل ، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة ؟ فقال : يارب دمي الذي عند داود ، فقال جبرائيل صلى الله عليه وسلم : ما سألت ربك عن ذلك ، ولست شئت لأفعلن ، فقال : نعم ، فعرج جبرائيل وسجد داود ، فكث ما شاء الله ، ثم نزل فقال : قد سألت ربك عزّ

وَجَلَّ يَا دَاوُدُ، عَنِ الَّذِي أُرْسَلْتَنِي فِيهِ، فَقَالَ: قُلْ لِدَاوُدَ: إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: هَبْ لِي دَمَكَ الَّذِي عِنْدَ دَاوُدَ، فَيَقُولُ: هُوَ لَكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: فَإِنَّكَ فِي الْجَنَّةِ مَا شِئْتِ وَمَا اشْتَهَيْتِ عَوَضًا.»

حدثني علي بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا ابن جابر، عن عطاء الخراساني: «أن كتاب صاحب البعث جاء ينعي من قُتل؛ فلما قرأ داود نعي رجل منهم، رجع، فلما انتهى إلى اسم الرجل قال: كتب الله على كل نفس الموت، قال: فلما انقضت عديتها خطبها.»

القول في تأويل قوله تعالى

«فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ، وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْن مَّآبٍ (٢٥) يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)»

يعني تعالى ذكره بقوله (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ) فغفونا عنه، وصفحنا له عن أن نؤاخذه بخطيئته وذنبه ذلك. (وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ) يقول: وإن له عندنا للقرربة منا يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في قوله (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ) الذنب. وقوله (وَحُسْن مَّآبٍ) يقول: مَرَجِعٍ وَمُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَحُسْن مَّآبٍ): أي حسن مصير. حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قوله (وَحُسْن مَّآبٍ) قال: حسن المنقلب.

وقوله (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره: وقلنا لداود: يا داود إنا استخلفناك في الأرض، من بعد من كان قبلك من رسلنا، حكما بين أهلها.

كما حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي (إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً) ملكه في الأرض (فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) يعني: بالعدل والإنصاف (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ) يقول: ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم، على الحق والعدل فيه، فتجور عن الحق (فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)

يقول : فيميل بك اتباعك هو اك في قضائك على العدل والعمل بالحق عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان به ، فتكون من المالكين بضلالك عن سبيل الله .

وقوله (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) يقول تعالى ذكره : إن الذين يميلون عن سبيل الله ، وذلك الحق الذي شرعه لعباده ، وأمرهم بالعمل به ، فيجورون عنه في الدنيا ، لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد ، على ضلالهم عن سبيل الله ، بما نسوا أمر الله ، يقول : بما تركوا القضاء بالعدل ، والعمل بطاعة الله (يَوْمَ الْحِسَابِ) من صلة العذاب الشديد .
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام ، عن عكرمة ، في قوله (عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) قال : هذا من التقديم والتأخير ، يقول : لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) قال : نسوا : تركوا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ، ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ، أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ؟ (٢٨) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)

يقول تعالى ذكره (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) عبثا ولها ، ما خلقناهما إلا ليعمل فيهما بطاعتنا ، وينتهي إلى أمرنا ونهيها . (ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي ظن أنا خلقنا ذلك باطلا ولعبا ، ظن الذين كفروا بالله فلم يوحدوه ، ولم يعرفوا عظمته ، وأنه لا ينبغي أن يعبث ، فيتقنوا بذلك أنه لا يخلق شيئا باطلا (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) يعني : من نار جهنم . وقوله (أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ) يقول : أنجعل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر الله به ، وانتهوا عما نهاهم عنه (كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ) يقول : كالذين يشركون بالله ويعصونه ويخالفون أمره ونهيه (أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ) يقول : الذين اتقوا الله بطاعته وراقبوه ، فحذروا معاصيه (كَالْفُجَّارِ) يعني : كالكفار المنهكين حرمت الله . وقوله (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) يقول تعالى ذكره

لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وهذا القرآن كتاب أنزلناه إليك يا محمد مبارك (لِيَسْأَلُوا بِآيَاتِهِ) : يقول : ليتدبروا حُجَجَ الله التي فيه ، وما شرع فيه من شرائعه ، فيتعظوا ويعملوا به .
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة القراء (لِيَسْأَلُوا) بالياء ، يعنى : ليتدبر هذا القرآن من أرسلناك إليه من قومك يا محمد . وقرأه أبو جعفر وعاصم (لِيَسْأَلُوا آيَاتِهِ) بالتاء ، بمعنى : لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك .

وأولى القراءتين عندنا بالصواب في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب (وَلِيَسْأَلُوا كَثْرًا أَوْ لَوْ الْأَلْبَابِ) يقول : وليعتبر أولو العقول والحجج ما في هذا الكتاب من الآيات ، فيرتدعوا عما هم عليه مقيمين من الضلالة ، وينتهوا إلى ما دلم عليه من الرشاد وسبيل الصواب .
وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (أَوْ لَوْ الْأَلْبَابِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (أَوْ لَوْ الْأَلْبَابِ) قال : أولو العقول من الناس . وقد بيننا ذلك فيما مضى قبل بشواهد ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصُّفُوفُ الْجِيَادُ (٣١)
فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا
بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣)

يقول تعالى ذكره (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ) ابنه ولدا (نِعْمَ الْعَبْدُ) يقول : نعم العبد سليمان (إِنَّهُ أَوَّابٌ) يقول : إنه رجاء إلى طاعة الله ، تَوَّابٌ إليه مما يكرهه منه . وقيل : إنه عَسِيٌّ به أنه كثير الذكر لله والطاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن ابن عباس (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : الأَوَّابُ : المسبِّح .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : كان مطيعا لله كثير الصلاة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : المسبِّح ، والمسبِّح قد يكون فى الصلاة والذكر . وقد بيننا معنى الأَوَّابِ ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ها هنا .

وقوله (إِذْ عَرَضَ عَلَيْنَهُ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) يقول تعالى ذكره: إنه توّاب إلى الله من خطيئته التي أخطأها، إذ عرض عليه بالعشيّ الصافنات، فإذ من صلة أوّاب، والشافنات: جمع الصافن من الخيل، والأثني: صافنة، والشافن منها عند بعض العرب: الذي يجمع بين يديه، ويثنى طرف سنّيك إحدى رجله، وعند آخرين: الذي يجمع يديه. وزعم الفراء أن الصافن: هو القائم، يقال منه: صَفَنَتِ الخيلُ تُصَفِّنُ صُفُونًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) قال: صُفُونُ الفرس: رَفَعُ إحدى يديه، حتى يكون على طرف الحافر. حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: صَفَنَ الفرسُ: رفع إحدى يديه، حتى يكون على طرف الحافر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِذْ عَرَضَ عَلَيْنَهُ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) يعني: الخيل، وُصِفُونَهَا: قيامها وبسطها قوائمها.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: الصافنات، قال: الخيل. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) قال: الخيل، أخرجها الشيطان لسليمان، من مَرَجٍ من مروج البحر، قال: الخيل والبغال والحمير تُصَفِّنُ، والصفن: أن تقوم على ثلاث، وترفع رجلا واحدة، حتى يكون طرف الحافر على الأرض.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الصافنات: الخيل، وكانت لها أجنحة. وأما الجياد: فإنها السراع، واحدها: جواد.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: الجياد: قال: السراع. وذكر أنها كانت عشرين فرسا ذوات أجنحة.

ذكر الخبير بذلك

حدثنا محمد بن بشر، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن أبيه، عن إبراهيم التيمي، في قوله: (إِذْ عَرَضَ عَلَيْنَهُ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) قال: كانت عشرين فرسا ذات أجنحة.

وقوله (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي، حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه من ذكره، فلتهي عن الصلاة حتى فاتته، فقال: إني أحببت حبّ الخير. ويعنى بقوله: (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ): أي أحببت حبا للخير، ثم أضيف الحبّ إلى الخير، وعنى بالخير في هذا الموضع: الخيل، والعرب فيما بلغني تسمى الخيل الخير، والمال أيضا يسمونه الخير.

(١) لم نجد «الصفن» يسكون الفاء مصدرا لصفنت الخيل، وإنما مصدره الصفون مثل جلس يجلس جلوسا، وهو القياس، لأن الفعل لازم، والصفن: مصدر للمعتنى.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، (فَتَقَالَ لَاتِي أَحَبَبْتُ حُبَّ الْحَبِيرِ) :
أى المال والخيل ، أو الخير من المال .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفیان ، عن السديّ (قَالَ لَاتِي أَحَبَبْتُ حُبَّ الْحَبِيرِ)
قال : الخيل .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قوله (لَاتِي أَحَبَبْتُ حُبَّ الْحَبِيرِ)
قال : المال .

وقوله (عَنَّا ذِكْرُ رَبِّي) يقول : إني أحببت حب الخير ، حتى سهوت عن ذكر ربي ، وأداء فريضته .
وقيل : إن ذلك كان صلاة العصر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَنَّا ذِكْرُ رَبِّي) عن صلاة العصر .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (عَنَّا ذِكْرُ رَبِّي) قال : صلاة العصر .
حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبو زرعة ، قال : ثنا حيوة بن شريح ، قال : ثنا
أبو صخر ، أنه سمع أبا معاوية البجليّ من أهل الكوفة يقول : سمعت أبا الصهباء البكريّ يقول : سألت عليّ
ابن أبي طالب ، عن الصلاة الوسطى ، فقال : هي العصر ، وهي التي فتن بها سليمان بن داود .

وقوله (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) يقول : حتى توارت الشمس بالحجاب ، يعني : تغيبت في مغيبها .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ميكائيل ، عن داود بن أبي هند ، قال : قال ابن
مسعود ، في قوله (لَاتِي أَحَبَبْتُ حُبَّ الْحَبِيرِ عَنَّا ذِكْرُ رَبِّي) ، حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) قال : توارت
الشمس من وراء ياقوتة خضراء ، فبخضرة السماء منها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) حَتَّى دَكَّكَتْ
بِرَّاح . قال قتادة : فوالله ما نازعته بنو إسرائيل ولا كاهنوه ، ولكن ولّوه من ذلك ما ولّاه الله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (حَتَّى تَوَارَتْ
بِالْحِجَابِ) حتى غابت .

وقوله (رُدُّوْهَا عَلَيَّ) يقول : ردوا عليّ الخيل التي عرضت عليّ ، فشفغتنى عن الصلاة ، فكرّوها عليّ .
كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (رُدُّوْهَا
عَلَيَّ) قال : الخيل .

وقوله (فَطَطَّقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) يقول : فجعل يمسح منها السُّوقَ ، وهي جمع الساق والأعناق .

واختلف أهل التأويل في معنى مَسْحٍ سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أنه عقرها وضرب أعناقها ، من قولهم : مَسَحَ علاوته : إذا ضرب عنقه .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَطَطَّقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) قال : قال الحسن : قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك ، قال قولها فيه ، يعني قتادة والحسن قال : فكسف عراقيا ، وضرب أعناقها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَطَطَّقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) فضرب سوقها وأعناقها .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : أمر بها فعقرت .

وقال آخرون : بل جعل يمسح أعرافها وعراقيا بيده ، حباً لها .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَطَطَّقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) يقول : جعل يمسح أعراف الخيل ، وعراقيا : حباً لها . وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية ، لأن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعرقبة ، ويهلك مالا من ماله بغير سبب ، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : ولقد ابتلينا سليمان ، وألقينا على كرسيه جسداً ، شيطاناً ممثلاً بإنسان ، ذكروا أن اسمه صخر . وقيل : إن اسمه آصف . وقيل : إن اسمه آصر . وقيل : إن اسمه حقيق .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً) قال : هو صخر الجني ، ثمَّثل على كرسيه جسداً .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ، ثُمَّ أَنَابَ) قال : الجسد : الشيطان الذي كان دفع إليه سليمان خاتمه ، فقدفه في البحر ، وكان ملك سليمان في خاتمه ، وكان اسم الجني صحرا . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال : شيطانا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبيرة (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال : شيطانا . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال : شيطانا يقال له آصر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال : شيطانا يقال له آصف ، فقال له سليمان : كيف تفتنون الناس ؟ قال : أرني خاتمك أخبرك ، فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر ، فساح سليمان وذهب ملكه ، وقعد آصف على كرسيه ، ومنعه الله نساء سليمان ، فلم يقربهن ، وأنكرنه ؛ قال : فكان سليمان يستطعم ، فيقول : أتعرفوني ، أطعموني أنا سليمان ، فيكذبونه ، حتى أعطته امرأة يوما حوتا يطيب بطنه ، فوجد خاتمه في بطنه ، فرجع إليه ملكه ، وفر آصف ، فدخل البحر فارا . حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه ، غير أنه قال في حديثه ، فيقول : لو تعرفوني أطعمتموني .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ) قال : حدثنا قتادة أن سليمان أمر ببناء بيت المقدس ، فقيل له : ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد ، قال : فطلب ذلك فلم يقدر عليه ، فقيل له : إن شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد ، قال : فطلبه ، وكانت عين في البحر ، يردها في كل سبعة أيام مرة ، فنزح ماؤها ، وجعل فيها خمر ، فجاء يوم وروده ، فإذا هو بالخمر ، فقال : إنك لشراب طيب ، إلا أنك تُصِّبِينِ الحليم ، وتريدين الجاهل جهلا ، قال : ثم رجع حتى عطش عطشا شديدا ، ثم أتاها فقال : إنك لشراب طيب ، إلا أنك تُصِّبِينِ الحليم ، وتريدين الجاهل جهلا ؛ قال : ثم شربها حتى غلبت على عقله ، قال : فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفيه ، فذل ، قال : فكان ملكه في خاتمه ، فأتى به سليمان ، فقال : إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت . وقيل لنا : لا يسمعن فيه صوت حديد ، قال : فأتى ببيض المهدد ، فجعل عليه زجاجة ، فجاء المهدد ، فدار حولها ، فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه ، فذهب فجاء بالماس ، فوضعه عليه ، فقطعها به ، حتى أفضى إلى بيضه ، فأخذ الماس ، فجعلوا يقطعون به الحجارة ، فكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام ، لم يدخلها بخاتمه ؛ فانطلق يوما إلى الحمام ، وذلك الشيطان صخر معه ، وذلك عند مقارفة ذنب قارف

فيه بعض نساته ، قال : فدخل الحمام ، وأعطى الشيطان خاتمه ، فألقاه في البحر ، فالتقمته سمكة ، ونزع ملك سليمان منه ، وأتى على الشيطان شبه سليمان ؛ قال : فجاء فقعده على كرسيه وسريره ، وسلط على ملك سليمان كله غير نساته ؛ قال : فجعل يقضى بينهم ، وجعلوا ينكرون منه أشياء ، حتى قالوا : لقد فُتِنَ نبي الله ، وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب في القوة ، فقال : والله لأجربنه ؛ قال : فقال له : يانبي الله ، وهو لا يرى إلا أنه نبي الله ، أهدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة ، فيدع الغسل عمدا ، حتى تطلع الشمس ، أترى عليه بأسا؟ قال : لا . قال : فيينا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة ، فأقبل فجعل لا يستقبله حتى ولا طير إلا سجد له ، حتى انتهى إليهم (وألقيناه على كرسيه جسداً) ، قال : هو الشيطان صخر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) قال : لقد ابتلينا (وألقيناه على كرسيه جسداً) قال : الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوماً ؛ قال : كان لسليمان مئة امرأة ، وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة ، وهي آثر نساته عنده ، وآمنه عنده ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ، ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها ، فجاءته يوماً من الأيام ، فقالت : إن أخى بينه وبين فلان خصومة ، وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك ، فقال لها : نعم ، ولم يفعل ، فابتلى وأعطاهما خاتمه ، ودخل المخرج ، فخرج الشيطان في صورته ، فقال لها : هاتي الخاتم ، فأعطته ، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعد ، فسألها أن تعطيه خاتمه ، فقالت ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا ، وخرج مكانه تأمها ؛ قال : ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً . قال : فأنكر الناس أحكامه ، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلمائهم ، فجاءوا حتى دخلوا على نساته ، فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان ، فقد ذهب عقله ، وأنكرنا أحكامه . قال : فبكى النساء عند ذلك ، قال : فأقبلوا يمشون حتى أتوه ، فأحدقوا به ، ثم نشروا التوراة ، فقرعوا ؛ قال : فطار من بين أيديهم ، حتى وقع على شرفة الخاتم معه ، ثم طار حتى ذهب إلى البحر ، فوق الخاتم منه في البحر ، فابتلعه حوت من حيتان البحر . قال : وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع ، وقد اشتد جوعه ، فاستطعمهم من صيدهم ، قال : إني أنا سليمان ، فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجّه ، فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر ، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه ، فقالوا : بئس ما صنعت حيث ضربته ، قال : إنه زعم أنه سليمان ، قال : فأعطوه سمكتين ، مما قد مَدِرَ عندهم ، ولم يشغله ما كان به من الضرر ، حتى قام إلى شطّ البحر ، فشق بطونهما ، فجعل يغسل ، فوجد خاتمه في بطن إحداهما ، فأخذه فلبسه ، فردّ الله عليه بهاءه وملكه ، وجاءت الطير ، حتى حامت عليه ، فعرف القوم أنه سليمان ، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا ، فقال : ما أهدكم على عذرکم ، ولا ألومکم على ما كان منكم ، كان هذا الأمر لا بد منه ، قال : فجاء حتى أتى ملكه ، فأرسل إلى الشيطان ، فجىء به ، وسخر له الريح والشياطين به منذ ، ولم تكن سُخِّرَتْ له قبل ذلك ، وهو قوله (وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ، إِنَّكَ

أُنْتِ الْوَهَّابُ) قال: وبعث إلى الشيطان، فأتى به، فأمر به، فجعِل في صندوق من حديد، ثم أُطْبِق عليه، فأقفل عليه بقل، وخصم عليه بخاتمه، ثم أمر به، فأُلْسِق في البحر، فهو فيه حتى تقوم الساعة، وكان اسمه حقيق.

وقوله (ثم أناب) سليمان، فرجع إلى ملكه من بعد ما زال عنه ملكه فذهب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المحاربي، عن عبد الرحمن، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله (ثم أناب) قال: دخل سليمان على امرأة تبيع السمك، فاشتري منها سمكة، فشق بطنها، فوجد خاتمه، فجعل لايمر على شجر ولا حجر ولا شيء إلا سجد له، حتى أتى ملكه وأهله، فذلك قوله (ثم أناب): يقول: ثم رجع.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (ثم أناب) وأقبل، يعني سليمان.

قوله (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لايتبعني لاحد من بعدي) يقول تعالى ذكره: قال سليمان راغبا إلى ربه: رب استر علي ذنبي الذي أذنبت بيني وبينك، فلا تعاقبني به (وهب لي ملكا لايتبعني لاحد من بعدي) لايسلبني احد كما سلبنيه قبل هذه الشيطان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لايتبعني لاحد من بعدي) يقول: ملكا لاأسلبه كما سلبته. وكان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله (لايتبعني لاحد من بعدي) إلى أن لا يكون لاحد من بعدي، كما قال ابن أحر:

ما أم غفر على دعجاء ذي علق
بشي القراميد عنها الأعصم الوقل

في رأس حلقاء من عنقاء مشرفة
لايتبعني دونها سهل ولا جبل!

بمعنى: لا يكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها.

(١) البيت لابن أحر الباهل. أنشد أوهما صاحب اللسان في (دعج، علق) وأنشد الثاني في (علق)، وقال: دعجاء: هضبة عن أبي عبيدة. والغفر، بضم أوله وفتح: ولد الأروية، والأنثى بالهاء والقراميد في البيت والقراميد: أولاد الوعول. والقرمود: ذكر الوعول. والقراميد في غير هذا: الصخور وطوايق الدار والحمامات. وبناء مقرم: منى بالأجر أو الحجارة. والأعصم: الوعل الذي في دراعيه أو أحدهما بياض والوعل بكسر القاف وضمها: الذي يسرع في الصعود في الجبل. وهضبة خلقاء: مصطبة ملساء، لاتبات فيها. ويقال: هضبة معنقة وعنقاء: إذا كانت مرتفعة طويلة في السماء. ولاينبي: أي لا يكون مثلها في سهل أو جبل. وهذا محل الشاهد في البيت، وهو مثل قوله تعالى: «هب لي ملكا لاينبغي لاحد من بعدي». قال أبو عبيدة وأنشد البيت (الورقة ٢١٤) لاينبي أن يكون فوقها سهل ولا جبل أعز منها أو أحصن منها. ورواية البيت الثاني في (اللسان: علق): لاينبغي، تحريف. وقد مر هذا البيت في شواهد المؤلف مرتين في الجزء (١٦: ٨٤، ١٣١). هـ.

وقوله (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) يقول : إنك وهاب ما تشاء لمن تشاء ، بيدك خزائن كل شيء ، تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت .

القول في تأويل قوله تعالى

فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ (٣٧)
وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ
عِنْدَنَا لَازِفِينَ وَحُسْنَ مَثَابٍ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : فاستجبنا له دعاءه ، فأعطيناه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، فسخرنا له الريح مكان الخليل التي شغلته عن الصلاة (تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً) يعني : رِخوة لينة ، وهي من الرِّخاوة .

كما حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، أن نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه الخليل ، فشغله النظر إليها عن صلاة العصر (حتى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) فغضب لله . فأمر بها فعُقِرَتْ ، فأبدله الله مكانها أسرع منها ، سخر الريح تجرى بأمره رُخَاءً حيث شاء ، فكان يغدو من إيلياء ، ويقيل بقرظون ، ثم يروح من قزوين ويبيت بكابل .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُتَّبِعُنِي إِلَّا أَحَدٌ مِّنْ بَعْدِي) فإنه دعا يوم دعا ، ولم يكن في ملكه الريح ، وكل بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ من الشياطين ، فدعا ربه عند توبته واستغفاره ، فوهب الله له ما سأل ، فتم ملكه . واختلف أهل التأويل في معنى الرخاء ، فقال فيه بعضهم : نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً) قال : طَيِّبَةٌ .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ) قال : سريعة طيبة ، قال : ليست بعاصفة ولا بطيئة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (رُخَاءً) قال : الرخاء اللينة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، في قوله (رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ)

قال : ليست بعاصفة ، ولا الهينة ، بين ذلك رُخَاءً .

وقال آخرون : معنى ذلك : مطيعة لسليمان .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (رُخَاءٌ) يقول : مطيعة له .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءٌ) قال : يعني بالرخاء : المطيعة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكيم بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءٌ) قال : مطيعة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (رُخَاءٌ) يقول : مطيعة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قوله (رُخَاءٌ) قال طوعا ، وقوله (حَيْثُ أَصَابَ) يقول : حيث أراد من قولهم : أصاب الله بك خيرا : أي أراد الله بك خيرا . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (حَيْثُ أَصَابَ) يقول : حيث أراد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حَيْثُ أَصَابَ) يقول : حيث أراد انتهى عليها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حَيْثُ أَصَابَ) قال : حيث شاء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكيم بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (حَيْثُ أَصَابَ) : قال : حيث أراد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حَيْثُ أَصَابَ) قال : إلى حيث أراد . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (حَيْثُ أَصَابَ) قال : حيث أراد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (حَيْثُ أَصَابَ) : أي حيث أراد .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (حَيْثُ أَصَابَ) قال : حيث أراد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (حَيْثُ أَصَابَ) قال : حيث أراد .

وقوله (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ) يقول تعالى ذكره : وسخرنا له الشياطين ، فسلطناه عليها ، مكان ما ابتليناه بالذي ألقينا على كرسيه منها ، يستعملها فيما شاء من أعماله ، من بناء وغواص ، فالبناة منها يصنعون محاريب وتماثيل ، والغاصّة يستخرجون له الحليّ من البحار ، وآخرون ينحتون له جفانا وقدورا ، والمردة في الأغلال مُقَرَّرُونَ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ) قال : يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ، وغواص يستخرجون الحليّ من البحر (وآخريين مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ) قال : مَرْدَة الشياطين في الأغلال .

حدثت عن الخاربيّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ) قال : لم يكن هذا في مُلْك داود ، أعطاه الله مُلْك داود ، وزاده الريح ، (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ، وآخريين مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ) يقول : في السلاسل .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قوله (الْأَصْفَادِ) : قال : تجمع اليدين إلى عنقه ، والأصفاذ : جمع صفد وهي الأغلال .
وقوله (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

بعضهم اختلف أهل التأويل في المشار إليه بقوله (هَذَا) من العطاء ، وأى عطاء أريد بقوله : عَطَاؤُنَا ، فقال بعضهم : عنيّ به الملك الذي أعطاه الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) قال : قال الحسن : الملك الذي أعطيناك ، فأعط ماشئت ، وامنع ما شئت .
حدثت عن الخاربيّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (هَذَا عَطَاؤُنَا) : هذا ملكنا .
وقال آخرون : بل عنيّ بذلك تسخير له الشياطين ، وقالوا : ومعنى الكلام هذا الذي أعطيناك من كلّ بناء وغواص ، من الشياطين وغيرهم ، عَطَاؤُنَا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) قال : هؤلاء الشياطين ، احبس من شئت منهم في وثاقك ، وفي عذابك ، أو سرح من شئت منهم ، تتخذ عنده يدا ، اصنع ما شئت .

وقال آخرون : بل ذلك ما كان أوتي من القوة على الجماع .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن أبي يوسف ، عن سعيد بن طريف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان

في ظهره ماء مِثَّة رجل، وكان له ثلاث مئة امرأة، وتسع مِثَّة سُرِّيَّة، هذا عطاؤنا فامسِّنْ أو أمسِكْ بغيرِ حسابٍ .

وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب: القول الذي ذكرناه عن الحسن والضحاك، من أنه عني بالعتاء ما أعطاه من الملك تعالى ذكره، وذلك أنه جل ثناؤه ذكر ذلك عقيب خبره عن مسألة نبيه سليمان، صلوات الله وسلامه عليه، إياه ملوكا لا ينبغي لأحد من بعده، فأخبر أنه سخر له ما لم يُسَخَّر لأحد من بني آدم، وذلك تسخير له الريح والشياطين على ما وصفت، ثم قال له عز ذكره: هذا الذي أعطيناك من الملك، وتسخيرنا ما سخرنا لك، عطاؤنا، ووهبنا لك ما سألتنا أن نهبه لك، من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك، (فامسِّنْ أو أمسِكْ بغيرِ حسابٍ) .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (فامسِّنْ أو أمسِكْ بغيرِ حسابٍ) فقال بعضهم: عني ذلك: فأعط من شئت ما شئت من الملك الذي آتيناك، وامنع من شئت منه ما شئت، لاحساب عليك في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الحسن (فامسِّنْ أو أمسِكْ بغيرِ حسابٍ) الملك الذي أعطيناك، فأعط ما شئت، وامنع ما شئت، فليس عليك تبعية ولا حساب . حدثت عن المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك (فامسِّنْ أو أمسِكْ بغيرِ حسابٍ): سأل ملكا هنيئا، لأيجاسب به يوم القيامة، فقال: ما أعطيت، وما أمسكت، فلا حرج عليك . حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرمة (فامسِّنْ أو أمسِكْ بغيرِ حسابٍ) قال: أعط أو أمسك، فلا حساب عليك .

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (فامسِّنْ) قال: أعط أو أمسك بغير حساب . وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعتق من هؤلاء الشياطين الذين سخرناهم لك من الخدمة، أو من الوثاق، ممن كان منهم مقرنا في الأصفاد، من شئت، واحبس من شئت، فلا حرج عليك في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فامسِّنْ أو أمسِكْ بغيرِ حسابٍ) يقول: هؤلاء الشياطين، احبس من شئت منهم في وثاقك وفي عذابك، وسرح من شئت منهم، تتخذ عنده يدا، اصنع ما شئت لاحساب عليك في ذلك .

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عيسى، قال: ثنا أبي، عن ابن عباس (فامسِّنْ أو أمسِكْ بغيرِ حسابٍ) يقول: أعتق من الجن من شئت، وأمسك من شئت .

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قوله (فامسِّنْ أو أمسِكْ بغيرِ حسابٍ) قال: تمن على من تشاء منهم فتعتقه، وتمسك من شئت فتستخدمه، ليس عليه في ذلك حساب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : هذا الذى أعطيناك من القوة على الجماع عطاؤنا ، فجامع من شئت من نساءك وجواريك ما شئت ، بغير حساب ، واترك جماع من شئت ممنهن .

وقال آخرون : بل ذلك من المقدم والمؤخر . ومعنى الكلام : هذا عطاؤنا بغير حساب ، فامتنن أو أمسك . وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (هذا فامتنن أو أمسك ، عطاؤنا بغير حساب) .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول فى قوله (بغير حساب) وجهان : أحدهما : بغير جزاء ولا ثواب ، والآخر : مينة : ولا قيلة .

والصواب من القول فى ذلك : ما ذكرته عن أهل التأويل : من أن معناه : لا يحاسب على ما أعطى من ذلك الملك والسلطان .

ولنما قلنا ذلك هو الصواب ، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه .

وقوله (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ) يقول : وإن لسليمان عندنا لقربة ، بإنابته إلينا وتوبته ، وطاعته لنا ، وحسن مآب : يقول : وحسن مرجع ومصير فى الآخرة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ) : أى مصير .

إن قال لنا قائل : وما وجه رغبة سليمان إلى ربه فى الملك ، وهو نبي من الأنبياء ، ولنما يرغب فى الملك أهل الدنيا ، المؤثرون لها على الآخرة ؟ أم ما وجه مسئلته إياه ، إذ سأله ذلك ، ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، وما كان يضره أن يكون كل من بعده يؤتى مثل الذى أوتى من ذلك ؟ ، أكان به بخل بذلك ، فلم يكن من ملكه ، يعطى ذلك من يعطاه ، أم حسد للناس ، كما ذكر عن الحجاج بن يوسف ، فإنه ذكر أنه قرأ قوله (وَهَبْ لِي مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) فقال : إن كان لحسودا ، فإن ذلك ليس من أخلاق الأنبياء ؟ قيل : أما رغبته إلى ربه فيما يرغب إليه من الملك ، فلم تكن إن شاء الله به رغبة فى الدنيا ، ولكن إرادة منه أن يعلم منزلته من الله ، فى إجابته فيما رغب إليه فيه ، وقبوله توبته ، وإجابته دعاءه .

وأما مسئلته ربه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فإننا قد ذكرنا فيما مضى قبل قول من قال : إن معنى ذلك : هب لى ملكا لا أسأله كما سألته قبل . وإنما معناه عند هؤلاء : هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى أن يسألني . وقد يتجه ذلك أن يكون بمعنى : لا ينبغى لأحد سوى من أهل زمانى ، فيكون حجة وعلماء على نبوتى ، وآتى رسولك إليهم مبعوث ، إذ كانت الرسل لا بد لها من أعلام تفارق بها سائر الناس سواهم ؛ ويتجه أيضا لأن يكون معناه : وهب لى ملكا تحصى به ، لاتعطيه أحدا غيرى تشريفا منك لى بذلك ، وتكرمة ، لتبين منزلتى منك به من منازل من سواى ، وليس فى وجه من هذه الوجوه مما ظنه الحجاج فى معنى ذلك شىء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأذْكَرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَيُّ مَسْنَى الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) أَرْ كَضُ

بِرَجْلِكَ هَذَا مُعْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم (وَأذْكَرُ) أيضا يا محمد (عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ) مستغيثا به ، فإنا نزل به من البلاء : يا رب (إِنِّي مَسْنَى الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ) فاختلقت القراء في قراءة قوله (بِنُصْبٍ) ، فقرأته عامة قراء الأمصار ، خلا أبي جعفر القارئ (بِنُصْبٍ) بضم النون ، وسكون الصاد . وقرأ ذلك أبو جعفر : بضم النون والصاد كليهما . وقد حكي عنه بفتح النون والصاد ، والنُصْبُ والنُصْبُ بمنزلة الحُزْن والحُزْن ، والعُدْم والعُدْم ، والرُّشْد والرُّشْد ، والصَّلْب والصَّلْب . وكان القراء يقول : إِذَا ضَمَّ أَوْلَهُ لَمْ يَثْقُلْ ، لأنهم جعلوهما على سَمْتَيْنِ : إِذَا فَتَحُوا أَوْلَهُ ثَقَلُوا ، وَإِذَا ضَمُّوا أَوْلَهُ خَفُوا . قال : وَأَنشَدَنِي بَعْضُ الْعَرَبِ :

لَيْنٌ بَعَثَتْ أُمُّ الْحَمَيْدِ بَيْنَ مَائِرًا لَقَدَّ غَنِيَّتٌ فِي غَيْرِ بُوْسٍ وَلَا جُحْدًا

من قولهم : جَحِدَ عَيْشُهُ : إِذَا ضَاقَ وَاشْتَدَّ ؛ قال : فلما قال جُحْدٌ خَفَّفَ . وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين : النُصْبُ من العذاب ؛ وقال العرب : تقول : أَنصَبِي : عَذَّبِي وَبَرِّحِي . قال : وبعضهم يقول : نَصَبْتِي ، واستشهد لقيه ذلك بقول بشر بن أبي خازم :

تَعَنَّكَ نَصْبٌ مِّنْ أُمَيْمَةَ مُنْصَبٌ كَذِي الشَّجْوِ لَمَّا يَسْلُهُ وَسَيْدَهُ هَبُّ

وقال : يعنى بالنُصْبُ : البلاء والشر ؛ ومنه قول نابغة بنى ذُبْيَان :

كَلِيلِي لِي لَهْمٌ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلِي أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٠) . قال : وقوله « بنصب وعذاب » : اجتمعت القراء على ضم النون من نصب وتخفيفها (أى الكلمة بتسكين وسطها) ، وذكروا أن أبا جعفر المدينى قرأ : « بنصب وعذاب » بنصب النون والصاد . وكلاهما في التفسير واحد . وذكروا أنه المرض ، وما أصابه من العناء فيه والنصب ، بمنزلة الحزن والحزن ، والعدم والعدم ، والرشد والرشد ، والصلب والصلب : إِذَا خَفَّفَ ضَمَّ أَوْلَهُ ، وَلَمْ يَثْقُلْ ، لأنهم جعلوها على سمتين : إِذَا فَتَحُوا أَوْلَهُ ، ثَقَلُوا ، وَإِذَا ضَمُّوا أَوْلَهُ خَفُّوا ؛ قال : وَأَنشَدَنِي بَعْضُ الْعَرَبِ : « لَنْ بَعَثَ أُمُّ الْحَمَيْدِ . . . » . البيت . قال : والعرب تقول : جحد عيشهم جحدا : إِذَا ضَاقَ وَاشْتَدَّ . فلما قال جحد وضم أوله خفف . فأبى على هذا ما رأيت من هاتين الفتين . اهـ . قلت : والمائر الذى يجلب الميرة .

(٢) البيت لبشر بن أبي خازم « مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ٢١٥) قال : بنصب وعذاب » : قال بشر بن أبي خازم . . . البيت . وقال النابغة : « كليلي لهم يا أميمة ناصب . . . » . البيت . ثم قال بعد البيتين : تقول العرب : أنصبي : أى عذبي وبرح بي . وبعضهم يقول : نصبي . والنصب : إِذَا فَتَحْتَ وَحَرَكْتَ حُرُوفَهَا ، كَانَتْ مِنَ الْإِعْيَاءِ . والنصب ، إِذَا فَتَحَ أَوْلَاهَا وَأَسْكَنَ ثَانِيَهَا : وَاحِدَ أَنْصَابِ الْحَرَمِ ، وَكُلِّ شَيْءٍ نَصَبْتُهُ وَجَعَلْتُهُ عَلَمَا . يقال : لَأَنْصَبَنَّكَ نَصْبَ الْعُودِ .

(٣) البيت للتابعة الذبياني (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة الحلبي ص ١٥٩) قال شارحه : كليلي : دعيني . وأميمة بالفتح (والأحسن بالضم) : منادى . قال الحلبي : من عادة العرب أن تنادى المؤنث بالترخيم ، فلما لم يرعها هنا (بسبب الوزن) : أجزأها على لفظها مرحة ، وأتى بها بالفتح . وناصر : متعب . وبطيء الكواكب : أى لا تغور كواكبه ، وهو كناية عن الطول ، لأن الشاعر كان قلقا . اهـ . وقد تقدم ذكر البيت في شرح الشاهد الذى قبله ، عن أبي عبيدة لأن موضع الشاهد فيها مشترك .

قال : والنَّصَبُ إذا فُتِحَتْ وحرُكَتْ حروفها ، كانت من الإعياء . والنَّصَبُ إذا فُتِحَ أوله وسكن ثانيه : واحد أنصاب الحرم ، وكل ما نصب علما ؛ وكأن معنى النَّصَبُ في هذا الموضع : العلة التي نالته في جسده ، والعناء الذي لاقى فيه ، والعذاب في ذهاب ماله .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ما عليه قرآء الأمصار ، وذلك الضم في النون ، والسكون في الصاد .
وأما التأويل ، فبنحو الذي قلنا فيه قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَذْكَرُ عَبِيدَنَا أَيُّوبَ) حتى بلغ (يَنْصَبُ وَعَذَابِ) : ذهاب المال والأهل ، والضرر الذي أصابه في جسده ، قال : ابتلى سبع سنين وأشهرها ، ملأ على كُناسة لبنى إسرائيل ، تختلف الدواب في جسده ، ففرج الله عنه ، وعظم له الأجر ، وأحسن عليه الثناء .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (مَسْنَى الشَّيْطَانُ يَنْصَبُ وَعَذَابِ) قال : نصب في جسدي ، وعذاب في مالي .

حدثت عن الحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (أ تَى مَسْنَى الشَّيْطَانُ يَنْصَبُ) يعني : البلاء في الجسد (وَعَذَابِ) . قوله : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ) .

وقوله (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) ومعنى الكلام : إذ نادى ربه مستغيثا به ، أنى مسنى الشيطان ببلاء في جسدي ، وعذاب بذهاب مالي وولدي ، فاستجبتنا له ، وقلنا له : اركض برجلك الأرض : أى حرّكها وادفعها برجلك ، والركض : حركة الرجل ، يقال منه : ركضت الدابة ، ولا تركض ثوبك برجلك .
وقيل : إن الأرض التي أمر أيوب أن يركضها برجله : الجابية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) . . . الآية ، قال : ضرب برجله الأرض ، أرضا يقال لها الجابية .

وقوله (هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) ذكر أنه نبتعت له حين ضرب برجله الأرض عينان ، فشرب من إحداهما ، واغتسل من الأخرى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ضرب برجله الأرض ، فإذا عينان تنبعان ، فشرب من إحداهما ، واغتسل من الأخرى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ، هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) قال : فركض برجله ، فانفجرت له عين ، فدخل فيها واغتسل ، فأذهب الله عنه كل ما كان من البلاء .

حدثني بشر بن آدم ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت الحسن ، في قول الله : (اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ) : فركض بـرجله ، فنبعت عين ، فاغتسل منها ، ثم مشى نحواً من أربعين ذراعاً ، ثم ركض بـرجله ، فنبعت عين ، فشرب منها ، فذلك قوله (اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ ، هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) وعنى بقوله (مُغْتَسِلٌ) : ما يُغْتَسَلُ به من الماء ، يقال منه : هذا مُغْتَسِلٌ ، وَغَسُولٌ لِلَّذِي يُغْتَسَلُ به من الماء . وقوله (وَشَرَابٌ) يعني : ويشرب منه ، والموضع الذي يغتسل فيه ، يسمى مغتسلاً .

القول في تأويل قوله تعالى

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ، رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ ، وَلَا تَحْنَثْ ، إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ، نِعِمَّ الْعَبْدُ ، إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)

✽ اختلف أهل التأويل في معنى قوله (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) ، وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك . والصواب من القول عندنا فيه ، في سورة الأنبياء ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . فتأويل الكلام : فاغتسل وشرب ، ففرجنا عنه ما كان فيه من البلاء ، ووهبنا له أهله ، من زوجة وولد (وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ، رَحْمَةً مِنَّا) له ورأفة (وَذِكْرَى) يقول : وتذكيراً لأولى العقول ، ليعتبروا بها فيتعظوا .

وقد حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني نافع بن يزيد ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنْ نَسِيَ اللَّهُ أَيُّوبَ لَبِثَ بِهِ بِلَاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ، فَرَقَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ ، إِلَّا رَجُلَانِ مِنْ إِخْوَانِهِ ، كَانَا مِنْ أَحْصَى إِخْوَانِهِ بِهِ ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : تَعَلَّمْ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ ، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : مِنْ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرَحِمَهُ اللَّهُ ، فَيَكْشِفُ مَا بِهِ ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ كَمْ يَصْبِرُ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ أَيُّوبُ : لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَتَى كُنْتُ أَمْرٌ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ ، فَيَدْكُرَانِ اللَّهَ ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي ، فَأَكْفُرُ عَنْهُمَا ، كَرَاهِيَةً أَنْ يُذَكَّرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقِّ ، قَالَ : وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ ، فَإِذَا قَضَاهَا أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ ، حَتَّى يَبْلُغَ ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ أَبْطَأَ عَلَيْهَا ، وَأَوْحَى إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ : (أَنْ اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) ، فَاسْتَبْطَأَتْهُ ، فَتَلَقَّتْهُ تَنْظُرٌ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَهُوَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ ؛ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ : أَيُّ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ، هَلْ رَأَيْتَ نَسِيَ اللَّهُ هَذَا الْمُبْتَلَى ، فَوَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا ؛ قَالَ : فَإِنِّي أَنَا هُوَ ؛ قَالَ : وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ : أَنْدَرٌ لِلْقَمْحِ ، وَأَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ ، فَسَبَعَتِ اللَّهُ صَحَابَتَيْنِ ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ ، أَفْرَعَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ ، وَأَفْرَعَتْ الْأُخْرَى فِي أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ ، حَتَّى فَاضَ . »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَعَهُمْ)
قال : قال الحسن وقاتدة : فأحياهم الله بأعيانهم ، وزادهم مثلهم .

حدثني محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن جبير ،
قال : «لما ابتلي نبي الله أيوب صلى الله عليه وسلم ، بماله وولده وجسده ، وطُرح في مَرَبْلَةٍ ، جَعَلَتْ امرأته
نخرج تكسب عليه ما تطعمه ، فحسده الشيطان على ذلك ، وكان يأتي أصحاب الخبز والشوى الذين كانوا
يتصدقون عليها ، فيقول : اطردوا هذه المرأة التي تغشاكم ، فإنها تعالج صاحبها وتلمسُه بيدها ، فالناس
يتقدرون طعامكم ، من أجل أنها تأتيكم وتغشاكم على ذلك ، وكان يلقاها إذ خرجت كالحزون لما لقي أيوب ،
فيقول : لَجَّ صاحبك ، فأبي إلا ما أتى ، فوالله لو تكلم بكلمة واحدة لكشف عنه كل ضرر ، ولرجع إليه
ماله وولده ، فتجىء ، فتخبر أيوب ، فيقول لها : لقيك عدو الله ، فلقاك هذا الكلام ، وملك إنما مثلك
كمثل المرأة الزانية إذا جاء صديقها بشيء ، قبلته وأدخلته ، وإن لم يأتها بشيء طردته ، وأغلقت بابها عنه ،
لما أعطانا الله المال والولد آمننا به ، وإذا قبض الذي له منا نكفر به ، ونبدل غيره إن أقامني الله من مرضي
هذا لأجلدتك مئة ، قال : فلذلك قال الله (وَخَذُ بِيَدِكَ ضِغْنًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ) .

وقوله (وَخَذُ بِيَدِكَ ضِغْنًا) يقول : وقلنا لأيوب : خذ بيدك ضغنا ، وهو ما يجمع من شيء ، مثل
حزمة الرطبة ، وكملة الكف من الشجر أو الحشيش والشماريح ، ونحو ذلك مما قام على ساق ؛ ومنه قول
عوف بن الحرع :

وَأَسْفَلَ مَيِّ تَهْدَةٌ قَدَ رَبَطْتَهَا وَالْتَقَيْتُ ضِغْنًا مِنْ خَلَا مُسْطَبِّبًا
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية عن ، علي ، عن ابن عباس ، قوله
(وَخَذُ بِيَدِكَ ضِغْنًا) يقول : حزمة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وَخَذُ بِيَدِكَ ضِغْنًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ) : قال : أمر أن يأخذ ضغنا من رطبة ، بقدر
ما حلف عليه ، فيضرب به .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، في قوله (وَخَذُ بِيَدِكَ
ضِغْنًا) قال : عيدان رطبة .

(١) البيت لعوف بن الحرع ، (مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ٢١٥ - ب) ويؤيده أنه في معجم الشعراء : عوف بن عطية بن الحرع ،
وكذا في التاج . قال أبو عبيدة عند تفسير قوله تعالى : « وخذ بيدك ضغنا » : وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش والشماريح وما أشبه
ذلك ، قال عوف بن الحرع : « وأسفل مئ . . . البيت . . . وفي اللسان : وفرس نهد جسيم مشرف وقيل النهد الضخم القوي .
والأنثى نهدة . والخلا : الرطب من الحشيش (مثل البرسيم ، أو هو البرسيم) .

حدثنا أبو هشام الرِّفَاعِيُّ ، قال : ثنا يَحْيَى ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَخَذُّ بِيَدِكَ ضِعْثًا) : قال : هو الأَثَل .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَخَذُّ بِيَدِكَ ضِعْثًا) . . . الآية ، قال : كانت امرأته قد عَرَضَتْ له بأمر ، وأرادها إبليس على شيء ، فقال : لو تكلمت بكذا وكذا ، وإنما حملها عليها الجَنَزَع ، فحلف نبي الله : لئن الله شفاه ليجلدنَّها مئة جلدة ؛ قال : فأمر بغصن فيه تسعة وتسعون قضيبا ، والأصل تكلمة المِثْمَةِ ، فضربها ضربة واحدة ، فأبرئ نبي الله ، وختمف لله عن أمته ، والله رحيم .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله : (وَخَذُّ بِيَدِكَ ضِعْثًا) يعني : ضِعْثًا من الشجر الرُّطْب ، كان حلف على يمين ، فأخذ من الشجر عدد ما حلف عليه ، فضرب به ضربة واحدة ، فبرت يمينه ، وهو اليوم في الناس يمين أيوب ، من أخذ بها فهو حسن .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَخَذُّ بِيَدِكَ ضِعْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ) قال : ضِعْثًا واحدا من الكَلَأ ، فيه أكثر من مئة عود ، فضرب به ضربة واحدة ، فذلك مئة ضربة .

حدثني محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن جبشير (وَخَذُّ بِيَدِكَ ضِعْثًا فَاضْرِبْ بِهِ) يقول : فاضرب زوجتك بالضَّعْث ، لتبر في يمينك التي حلفت بها عليها أن تضربها ، (وَلَا تَحْنُتْ) يقول : ولا تحنث في يمينك .
وقوله (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ) يقول : إنا وجدنا أيوب صابرا على البلاء ، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله ، والدخول في معصيته (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) يقول : إنه إلى طاعة الله مقبل ، وإلى رضاه رجَّاع .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرَ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ

بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧)

اختلفت القراءة في قراءة قوله (عِبَادِنَا) فقرأته عامة قراء الأمصار (وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا) على الجماع غير ابن كثير ، فإنه ذكر عنه أنه قرأه (وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا) على التوحيد ، كأنه يوجه الكلام إلى أن إسحاق ويعقوب من ذرية إبراهيم ، وأنهما ذكرا من بعده .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، سمع ابن عباس يقرأ (وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ) قال : إنما ذكير إبراهيم ، ثم ذكير ولده بعده .

والصواب عندنا من القراءة في ذلك : قراءة من قرأه على الجماع ، على أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب بيان عن العباد ، وترجمة عنه ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

وقوله (أولى الأيدي والأبصار) ويعنى بالأيدي : القوة ، يقول أهل القوة على عبادة الله وطاعته .
ويعنى بالأبصار : أنهم أهل أبصار القلوب ، يعنى به : أولى العقول للحق .
وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم في ذلك نحواً مما قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أولى
الأيدي والأبصار) يقول : أولى القوة والعبادة (والأبصار) يقول : الفقه في الدين .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (أولى الأيدي والأبصار) قال : فُضِّلوا بالقوة والعبادة .
حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور أنه قال في هذه الآية
(أولى الأيدي) قال : القوة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ،
عن مجاهد ، في قوله (أولى الأيدي) قال : القوة في أمر الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (أولى الأيدي) قال :
الأيدي : القوة في أمر الله ، والأبصار : العقول .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أولى الأيدي والأبصار) قال : القوة في طاعة
الله ، والأبصار : قال : البصر في الحق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أولى الأيدي والأبصار)
يقول : أعطوا قوة في العبادة ، وبصراً في الدين .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (أولى الأيدي والأبصار)
قال : الأيدي : القوة في طاعة الله ، والأبصار : البصر بعقولهم في دينهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (أولى الأيدي والأبصار)
قال : الأيدي : القوة ، والأبصار : العقول .

فإن قال لنا قائل : وما الأيدي من القوة ، والأيدي : إنما هي جمع يد ، واليد جارحة ، وما العقول من
الأبصار ، وإنما الأبصار جمع بصر؟ قيل : إن ذلك مثل ، وذلك أن باليد البطش ، وبالبطش تُعرف قوة
القوى ، فلذلك قيل للقوى : ذويدي ؛ وأما البصر ، فإنه عُنِيَ به بصر القلب ، وبه تنال معرفة الأشياء ، فلذلك
قيل للرجل العالم بالشيء : بصير به . وقد يُمكن أن يكون عُنِيَ بقوله (أولى الأيدي) : أولى الأيدي
عند الله بالأعمال الصالحة ، فجعل الله أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا أدياً لهم عند الله ، تمثيلاً لها باليد ،
تكون عند الرجل لآخر .

(١) لعل العبارة قد سقط منها كلمة « والإبصار » . كما يفهم مما قبله ، وما يجي .

وقد ذكر عن عبد الله أنه كان يقرؤه : (أُولَى الْأَيْدِي) بغير ياء ، وقد يُحتمل أن يكون ذلك من التأييد ، وأن يكون بمعنى الأيدي ، ولكنه أسقط منه الياء ، كما قيل (يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ) بحذف الياء ، وقوله عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّا أَخْلَصْنَاكُمْ بِخَالِصَةٍ) يقول تعالى ذكره : إنا خصصناهم بخالصة ذكرى الدار . واختلفت القراء في قراءة قوله (بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) فقرأته عامة قراء المدينة (بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) بإضافة خالصة إلى ذكرى الدار ، بمعنى : أنهم أُخْلِصُوا بخالصة الذكرى ، والذكرى إذا قرئ كذلك غير الخالصة ، كما المتكبر إذا قرئ على كل قلب متكبر ، بإضافة القلب إلى المتكبر ، هو الذي له القلب وليس بالقلب . وقرأ ذلك عامة قراء العراق (بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) بتنوين قوله (خَالِصَةٍ) ورد ذكرى عليها ، على أن الدار هي الخالصة ، فردوا الذكرى وهي معرفة ، على خالصة ، وهي نكرة ، كما قيل : لشر مآب : جهنم ، فرد جهنم وهي معرفة على المآب وهي نكرة . والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما قراءتان مستفيضتان في قرآنة الأمصار ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .

وقد اختلف أهل التأويل ، في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار : أي أنهم كانوا يُذَكَّرُونَ الناس الدار الآخرة ، ويدعونهم إلى طاعة الله ، والعمل للدار الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا أَخْلَصْنَاكُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قال : بهذه أخلصهم الله ، كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه أخلصهم بعملهم للآخرة ، وذكركم لها .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّا أَخْلَصْنَاكُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قال : بذكر الآخرة ، فليس لهم هم غيرها .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّا أَخْلَصْنَاكُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قال : بذكرهم الدار الآخرة ، وعملهم للآخرة .

وقال آخرون : معنى ذلك : إنا أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة ، وهذا التأويل على قراءة من قرأه بالإضافة . وأما القولان الأولان فعلى تأويل قراءة من قرأه بالتنوين .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّا أَخْلَصْنَاكُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قال : بأفضل ما في الآخرة أخلصناهم به ، وأعطيناهم إياه ؛ قال : والدار : الجنة ، وقرأ (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ) قال : الجنة ، وقرأ (وَكَانَ عَمْدَ دَارِ الْمُتَّقِينَ) قال : هذا كله الجنة ، وقال : أخلصناهم بخير الآخرة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : خالصة عُقْبِي الدار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبّير (بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الدَّارِ) قال : عُقْبِي الدار .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بخالصة أهل الدار .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن ابن أبي زائدة ، عن ابن جرير ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، أنه سمع مجاهدا يقول : (بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الدَّارِ) هم أهل الدار ، وذو الدار ، كقولك : ذو الكلاع ، وذو يزن . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين ، يتأول ذلك على القراءة بالتنوين (بِخَالِصَةِ) عميل في ذكرى الآخرة .

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ، على قراءة من قرأه بالتنوين : أن يقال : معناه : إنا أخلصناهم بخالصة ، هي ذكرى الدار الآخرة ، فعملوا لها في الدنيا ، فأطاعوا الله وراقبوه ، وقد يدخل في وصفهم بذلك ، أن يكون من صفتهم أيضا الدعاء إلى الله ، وإلى الدار الآخرة ، لأن ذلك من طاعة الله ، والعمل للدار الآخرة ، غير أن معنى الكلمة ما ذكرت . وأما على قراءة من قرأه بالإضافة ، فأن يقال : معناه : إنا أخلصناهم بخالصة ما ذكر في الدار الآخرة ، فلما لم تُذكر « في » أضيفت الذكري إلى الدار ، كما قد بينا قبل في معنى قوله : (لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) ، وقوله (بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ) ، وقوله (وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ) يقول : وإن هؤلاء الذين ذكرنا عندنا من الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة ، الأخيار ، الذين اخترناهم لطاعتنا ، ورسالتنا إلى خلقنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكَانَ مِنْ الْأَخْيَارِ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ ، وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ

حَسَنَ مَثَابٍ (٤٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد إسماعيلَ واليسعَ وذا الكفل ، وما ألبوا في طاعة الله ، فتأس بهم ، واسلك منها جُهم في الصبر على ما نالك في الله ، والنفاذ لبلاغ رسالته . وقد بينا قبل من أخبار إسماعيلَ واليسعَ وذا الكفل ، فيما مضى من كتابنا هذا ، ما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، والكفّل في كلام العرب : الحظّ والحقد .

وقوله (هَذَا ذِكْرٌ) يقول تعالى ذكره : هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد ، ذِكرٌ لك ولقومك ، ذكرناك وإياهم به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (هَذَا ذِكْرٌ)
قال : القرآن .

وقوله (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ) يقول : وإن للمتقين الذين اتَّقَوْا الله فخافوه ، بأداء فرائضه ،
واجتناب معاصيه ، لحسن مَرَجِعٍ ، يرجعون إليه في الآخرة ، ومَصِيرٍ يصيرون إليه . ثم أخبر تعالى ذكره
عن ذلك الذي وعدهم من حُسْنِ المَآبِ ما هو ؟ فقال : (جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَّةٍ لَهُمُ الْبُيُوتُ) .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ
لَحُسْنَ مَآبٍ) قال : لحسن منقلب .

القول في تأويل قوله تعالى

جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَّةٍ لَهُمُ الْبُيُوتُ (٥٠) مُتَّكِنِينَ فِيهَا يُدْعُونَ فِيهَا بِكُحْبَةٍ كَثِيرَةٍ

وَشَرَابٍ (٥١)

وقوله تعالى ذكره (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) : بيان عن حسن المآب ، وترجمة عنه ، ومعناه : بساكنة إقامة .
وقد بينا معنى ذلك بشواهد ، وذكرنا ما فيه من الاختلاف فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .
وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) قال : سألت
عمر كعبا ما عدن ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، قصور في الجنة من ذهب ، يسكنها النبيون والصدّيقون والشهداء
وأئمة العدل .

وقوله (مُمْتَحَّةٍ لَهُمُ الْبُيُوتُ) يعني : مفتحة لهم أبوابها ، وأدخلت الألف واللام في الأبواب
بدلا من الإضافة ، كما قيل (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) بمعنى : هي مأواه ، وكما قال الشاعر :

مَا وَلَدَتْكُمْ حَيَّةٌ بِنَّةٌ مَالِكٍ سِفَاحًا وَمَا كَانَتْ أَحَادِيثَ كَاذِبٍ

وَلَكِنَّ نَرَى أَقْدَامَنَا فِي نِعَالِكُمْ وَأَنْفُنَا بَيْنَ اللَّحَى وَالْحَوَاجِبِ !

بمعنى : بين لحاكم وحواجبكم ، ولو كانت الأبواب جاءت بالنصب ، لم يكن لحنا ، وكان نصبه على توجيه
المفتحة في اللفظ إلى جنات وإن كان في المعنى للأبواب ، وكان كقول الشاعر :

(١) البيتان من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨١) على أن قوله تعالى «مفتحة لهم الأبواب» برفع الأبواب ، لأن المعنى
مفتحة لهم أبوابها . والعرب تجعل الألف واللام خلفا من الإضافة ، ومنه قوله : «فإن الجحيم هي المأوى» فالمعنى والله أعلم : مأواه .
ومثله قول الشاعر : «ما ولدتكم حية ربيعة . . . البيتين» . فمعناه : ونرى أنفسنا بين لحاكم وحواجبكم في الشبه . اهـ . وحية
ابنة مالك : قبيلة . وسفاحا : زفا . واللحى : جمع لحية .

وَمَا قَوْمِي بِشَعْلَبَةَ بِنِ سَعْدٍ وَلَا بِفَزَارَةَ الشَّعْرِ الرَّقَابَا

ثم نونت مفتحة ، ونصبت الأبواب .

فإن قال لنا قائل : وما في قوله (مُفْتَحَةٌ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ) من فائدة خبر حتى ذكر ذلك ؟ قيل : فإن الفائدة في ذلك إخبار الله تعالى عنها أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها إياها ، بمعاناة يدي ولا جارحة ، ولكن بالأمر فيما ذكر .

كما حدثنا أحمد بن الوليد الرملي ، قال : ثنا ابن نفيل ، قال : ثنا ابن دعيح ، عن الحسن ، في قوله (مُفْتَحَةٌ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ) قال : أبواب تكلم ، فتكلم : انفتحي ، انغلقى .

وقوله (مُتَّكِيَتِينَ فِيهَا يَدْعُونَ بِنَفَاكِهِمْ كَثِيرَةً وَشَرَابٍ) يقول : متكئين في جنات عدن ، على سرر يدعون فيها بنفاكهة ، يعني بثمار من ثمار الجنة كثيرة ، وشراب من شرابها .

القول في تأويل قوله تعالى

* وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ أَرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٤) إِنَّ هَذَا

لَرِزْقًا مَّا لَمِنْ نَفَادٍ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : عند هؤلاء المتقين الذين أكرمهم الله بما وصف في هذه الآية من إسكانهم جنات عدن (قاصيراتُ الطرفِ) يعني : نساء قصرن أطرافهن على أزواجهن ، فلا يردن غيرهم ، ولا يمددن أعينهن إلى سواهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَعِنْدَهُمْ قاصيراتُ الطرفِ) قال : قصرن طرفهن على أزواجهن ، فلا يردن غيرهم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قاصيراتُ الطرفِ) قال : قصرن أبصارهن وقلوبهن وأسماعهن على أزواجهن ، فلا يردن غيرهم .
وقوله (أَرَابٌ) يعني : أسنان واحدة .

(١) البيت للحارث بن ظالم المري ، من قصيدة من الوافر ، قالها لما هرب من النعمان بن المنذر ، فلحق بقريش . (انظر فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد للعتبي ص ٢٦٤) والرواية فيه « الشعر بدون ألف بعد الواو . قال : والشاهد في الشعر الرقابا » فإنه مثل الحسن الوجه ينصب الوجه (على أنه شبيه بالمفعول به) لأن الشعر جمع أشعر ، كثير شعر الجسد ، صفة مشبهة . وأنشد الفراء البيت في معاني القرآن (الورقة ٢٨١) مع الشاهد السابق وقال في قوله تعالى « مفتحة لهم الأبواب » : « ولو قال : « مفتحة لهم الأبواب » (ينصب الأبواب) على أن تجعل المفتحة في اللفظ للجنات ، وفي المعنى للأبواب ، فيكون مثل قول الشاعر :

ما قومي بشعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعرى رقابا

ولم يأت الفراء في كلامه بجواب لو . . . أي لكان وجهها . والخلاصة أن لفظة « الأبواب » من قوله تعالى « مفتحة لهم الأبواب » وجهات من الإعراب : الرقع على أنه نائب فاعل ، أي مفتحة لهم أبوابها . والنصب على أن نائب الفاعل ضمير راجع إلى الجنات ، وتنصب الأبواب على أنه شبيه بالمفعول به . وكذلك في قوله : « الشعر الرقابا » النصب فيه على أنه شبيه بالمفعول به ، لأن فعله « شعر » لازم لا ينصب المفعول به ، وعلى رواية « الشعرى رقابا » : تنصب رقابا على أنه تمييز . وانظر معمول اسم المفعول ومعمول الصفة المشبهة في التصريح والاشتمال . .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بين أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قاصرات الطرف أتراب) قال : أمثال . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أتراب) : سن واحدة . حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أتراب) قال : مستويات . قال : وقال بعضهم : متواخيات لا يتباغضن ، ولا يتعادين ، ولا يتغايرن ، ولا يتحاسدن . وقوله (هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ) يقول تعالى ذكره : هذا الذي يعدكم الله في الدنيا أيها المؤمنون به من الكرامة لمن أدخله الله الجنة منكم في الآخرة .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ) قال : هو في الدنيا ليوم القيامة .

وقوله (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) يقول تعالى ذكره : إن هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في جنات عدن من الفاكهة الكثيرة والشراب ، والقاصرات الطرف ، ومكنائهم فيها من الوصول إلى اللذات وما اشبهته فيها أنفسهم ، لرزقنا ، لرزقنا ، رزقناهم فيها كرامة منا لهم (ما له من نفاذ) يقول : ليس له عنهم انقطاع ، ولا له فناء ، وذلك أنهم كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها فأكلوها ، عادت مكانها أخرى مثلها ، فذلك لهم دائم أبدا ، لا ينقطع انقطاع ما كان أهل الدنيا أوتوه في الدنيا ، فانقطع بالفناء ، ونفد بالإنفاد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) قال : رزق الجنة ، كلما أخذ منه شيء ، عاد مثله مكانه ، ورزق الدنيا له نفاذ . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما له من نفاذ) : أي ماله انقطاع .

القول في تأويل قوله تعالى

هَذَا ، وَإِنَّ لِلطَّغْيِينِ لَشَرًّا مَثَابٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبئسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذوقوه حَمِيمٌ
وَعَسَاقُ (٥٧) وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجُ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ ، لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ، إِيَّاهُمْ
صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا : بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَحِبًا بِكُمْ ، أَنْتُمْ قَدِمْتُمُوهُ لَنَا فَبئسَ الْقَرَارُ (٦٠)

يعني تعالى ذكره بقوله (هَذَا) الذي وصفت هؤلاء المتقين . ثم استأنف جل وعز الخبر عن الكافرين به الذين طغوا عليه وبعثوا ، فقال : (وَإِنَّ لِلطَّغْيِينِ) وهم الذين تمردوا على ربهم ، فعصوا أمره ،

مع إحسانه إليهم (لَشَرَّ مَأْبٍ) يقول: لشر مرجع ومصير، يصيرون إليه في الآخرة، بعد خروجهم من الدنيا. كما حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي (وَأَنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ) قال: لشر منقلب. ثم بين تعالى ذكره، ما ذلك الذي إليه ينقلون ويصيرون في الآخرة، فقال (جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا) فترجم عن جهنم بقوله (لَشَرَّ مَأْبٍ). ومعنى الكلام: إن للكافرين لشر مصير يصيرون إليه يوم القيامة، لأن مصيرهم إلى جهنم، وإليها منقلبهم بعد وفاتهم (فَيُنْزَلُ فِيهَا) يقول تعالى ذكره: فينزل الفرائش الذي افترشوه لأنفسهم جهنم.

وقوله (هَذَا فَلْيَسُدُّوْهُ وَحَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) يقول تعالى ذكره: هذا حميم، وهو الذي قد أغلى حتى انتهى حره، وغساق فليذوقوه، فالحميم مرفوع بهذا، وقوله (فَلْيَسُدُّوْهُ وَحَمِيمٌ) معناه التأخير، لأن معنى الكلام ما ذكرت، وهو: هذا حميم وغساق فليذوقوه. وقد يتجه ذلك إلى أن يكون هذا مكتفياً بقوله فليذوقوه ثم يبتدأ فيقال: حميم وغساق، بمعنى: منه حميم ومنه غساق؛ كما قال الشاعر:

حتى إذا ما أضاء الصُّبْحُ في غَلَسٍ وَغُودِرَ البَقْلُ مَلْوِيٌّ وَمَحْضُودٌ

وإذا وُجِّهَ إلى هذا المعنى، جاز في هذا النصب والرفع. النصب: على أن يُضْمَرَ قبلها لها ناصب، كما قال الشاعر:

زِيَادَتَنَا نَعْمَانُ لَا تَحْرِمَتَنَا تَقَى اللهُ فِينَا وَالكِتَابَ الَّذِي تَتَلَوْنَ

والرفع بالهاء في قوله (فَلْيَسُدُّوْهُ) كما يقال: الليل فبادروه، والليل فبادروه.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي (هَذَا فَلْيَسُدُّوْهُ وَحَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) قال: الحميم: الذي قد انتهى حره.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الحميم: دموع أعينهم، تجمع في حياض النار، فيسقونه.

وقوله (وَغَسَّاقٌ) اختلفت القراء في قراءته، فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين والشام بالتحفيف (وَغَسَّاقٌ) وقالوا: هو اسم موضوع. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (وَغَسَّاقٌ) مشددة، ووجهه إلى أنه صفة من قولهم: غَسَّقَ يَغْسِقُ غَسُوقًا: إذا سال، وقالوا: إنما معناه: أنهم يُسْقَوْنَ الحميم، وما يسيل من صديدهم.

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨١) قال في قوله تعالى: «هذا فليذوقوه حميم وغساق»: رفعت الحميم والغساق بهذا، مقدما ومؤخرا. والمعنى: هذا حميم وغساق فليذوقوه. وإن شئت جعلته (حميم وغساق): مستأفا، وجعلت الكلام قبله مكتفيا، كأنك قلت: «هذا فليذوقوه» ثم قلت: منه غساق. كقول الشاعر: «حتى إذا... البيت». اهـ.

(٢) هذا البيت لعبد الله بن همام السلولي (اللسان: وفي) يخاطب النعمان بن بشير الأنصاري، وكان قد ولي الكوفة لمعاوية، وكان معاوية قد زادنا ناسا في أعليتهم عشرة، فأنفذ النعمان، وترك بعضهم، لأنهم جاءوا يكتب بعد ما فرغ من الحملة، وكان ابن همام من تخلف، فكلمه، فأبى عليه، فقال ابن همام قصيدة يرقفه عليه، ويتشفع بالأنصار، ويمدح معاوية. وقوله «زيادتنا» منصوب بفعل محذوف يفهمه الفعل المؤكدة بالنون. لأنه لا يعمل فيما قبله، كما قال الرضي. والفعل المؤكدة يروى: لا تفسئها، ويروى: لا تحرمنا. (انظر شرح شواهد الشافية للرضي ص ٤٩٧).

والصواب من القول في ذلك عندى أنهما قراءتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارىء فصيبي ، وإن كان التشديد في السين أتمّ عندنا في ذلك ، لأن المعروف ذلك في الكلام ، وإن كان الآخر غير مدفوعة صحته .

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : هو ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَذَا فَلْيَسِدْ وَقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) قال : كنا نحدث أن الغساق : ما يسيل من بين جلده ولحمه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : الغساق : الذي يسيل من أعينهم من دموعهم ، يستقوناه مع الحميم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : الغساق : ما يسيل من سرهم ، وما يسقط من جلودهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (الغساق) : الصديد الذي يجمع من جلودهم ، مما تصهرهم النار ، في حياض يجتمع فيها فيستقونه .

حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا ابن أبي عمير ، قال : ثنا أبو قبيل ، أنه سمع أبا هبيرة الزبيدي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : أي شيء الغساق ؟ قالوا : الله أعلم ، فقال عبد الله بن عمرو : هو القبيح الغليظ ، لو أن قطرة منه تهراق في المغرب ، لأنتنت أهل المشرق ، ولو تهراق في المشرق لأنتنت أهل المغرب .

قال : يحيى بن عثمان ، قال أبي : ثنا ابن أبي عمير ، فقال : ثنا أبو قبيل ، عن عبد الله بن هبيرة ، ولم يذكر لنا أبا هبيرة .

حدثنا ابن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا أبو يحيى عطية الكلاعي ، أن كعبا كان يقول : هل تدرون ما غساق ؟ قالوا : لا والله ، قال : عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة ، من حية أو عقرب أو غيرها ، فيستنقع فيؤتى بالآدمي ، فيغمس فيها نمسة واحدة ، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ، حتى يتعلق جلده في كعبيه وعقبه ، وينجر لحمه كجر الرجل ثوبه . وقال آخرون : هو البارد الذي لا يستطاع من برده .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن يحيى بن أبي زائدة ، عن ابن جرير ، عن مجاهد : وغساق : قال : بارد لا يستطاع ، أو قال : برد لا يستطاع .

حدثني علي بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (هَذَا فَلْيَسِدْ وَقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) قال : يقال : الغساق : أبرد البرد . ويقول آخرون : لابل هو أثن النسن .

وقال آخرون : بل هو المنتن .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب ، عن إبراهيم النكري ، عن صالح بن حيان ، عن أبيه ، عن عبد الله بن بريدة ، قال : الغساق : المنتن ، وهو بالطخارية ١ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ أَنَّ دَلَّوْا مِّنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا لَأَنْتَنَ أَهْلُ الدُّنْيَا » .

وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب : قول من قال : هو مايسيل من صديدهم ، لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغسوق ، وإن كان للآخر وجه صحيح .

وقوله (وَآخِرُ مَنِ شَكَّلِهِ أَزْوَاجٌ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراءة المدينة والكوفة : (وَآخِرُ مَنِ شَكَّلِهِ أَزْوَاجٌ) على التوحيد ، بمعنى : هذا حميم وغساق فليذوقوه ، وعذاب آخر من نحو الحميم ألوان وأنواع ، كما يقال : لك عذاب من فلان ضروب وأنواع . وقد يحتمل أن يكون مرادا بالأزواج ، الخبر عن الحميم والغساق ، وآخر من شكله ، وذلك ثلاثة ، فقيل أزواج ، يراد أن ينعت بالأزواج تلك الأشياء الثلاثة . وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين (وَآخِرُ) على الجماع ، وكأن من قرأ ذلك كذلك ، كان عنده لا يصلح أن يكون الأزواج وهي جمع ، نعنا لواحد ، فلذلك جمع آخر ، لتكون الأزواج نعنا لها ، والعرب لا تمنع أن ينعت الاسم إذا كان فعلا بالكثير والقليل والاثنين ، كما بينا ، فتقول : عذاب فلان أنواع ، ونوعان مختلفان .

وأعجب القراءتين إلى أن أقرأ بها (وَآخِرُ) على التوحيد ، وإن كانت الأخرى صحيحة ، لاستفاضة القراءة بها في قراءة الأمصار ، وإنما اخترنا التوحيد ، لأنه أصح مخرجا في العربية ، وأنه في التفسير بمعنى التوحيد . وقيل إنه الزمهرير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله : (وَآخِرُ مَنِ شَكَّلِهِ أَزْوَاجٌ) قال : الزمهرير .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ، بمثله . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معاوية ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أخبره عن عبد الله ، بمثله ، إلا أنه قال : عذاب الزمهرير .

حدثنا محمد قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : هو الزمهرير .

حدثت عن يحيى بن أبي زائدة ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : ذكر الله العذاب ، فذكر السلاسل والأغلال ، وما يكون في الدنيا ، ثم قال (وَآخِرُ مَنِ شَكَّلِهِ أَزْوَاجٌ) قال : وآخر لم يبر في الدنيا .

(١) لعله يريد بالطخارية : المنسوبة إلى طخارستان ، بضم أوله ، وهو إقليم من بلاد العجم ، شرق جرجان . يريد أن لفظه « غساق » ليست عربية الأصل .

وأما قوله (مِنْ شَكْلِهِ) فإن معناه : من ضربه ونحوه ، يقول الرجل للرجل : ما أنت من شكلي ، بمعنى : ما أنت من ضربى ، بفتح الشين . وأما الشكّل فإنه من المرأة : ما عَلَّقَتْ مما تتحسن به ، وهو الدَلُّ أيضا منها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَرْوَاجٌ) يقول : من نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَرْوَاجٌ) من نحوه .
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَرْوَاجٌ) قال : من كلّ شكّل ذلك العذاب الذى سمى الله ، أزواج لم يسمها الله ، قال : والشكّل : الشبيه .
وقوله (أَرْوَاجٌ) يعنى : ألوان وأنواع .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَرْوَاجٌ) قال : ألوان من العذاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَرْوَاجٌ) : زوج زوج من العذاب .
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَرْوَاجٌ) قال : أزواج من العذاب فى النار .

وقوله (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ) : يعنى تعالى ذكره بقوله (هَذَا فَوْجٌ) : هذا فرقة وجماعة مقتحمة معكم أيها الطاغون للنار ، وذلك دخول أمة من الأمم الكافرة بعد أمة ، لامرحبا بهم ، وهذا خبر من الله عن قبيل الطاغين الذين كانوا قد دخلوا النار قبل هذا الفوج المقتحم ، للفوج المقتحم فيها عليهم ، لامرحبا بهم ، ولكن الكلام اتصل ، فصار كأنه قول واحد ، كما قيل : (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَهَذَا تَأْمُرُونَ) فاتصل قول فرعون بقول ملائه ، وهذا كما قال تعالى ذكره مخبرا عن أهل النار (كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا) .

ويعنى بقوله (لَا مَرْحَبًا بِهِمْ) : لا اتسعت بهم مداخلهم ، كما قال أبو الأسود :

لَا مَرْحَبَ وَأَدِيكَ غَيْرُ مُضَيِّقٍ ١

(١) هذا شطربيت لأبي الأسود الدؤلى ، ذكره أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢١٢ من مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٥٩) قال عند قوله تعالى : «لامرحبا بهم» : تقول العرب للرجل : «لامرحبا بك» أى لارحبت عليك ، أى لا اتسعت . قال أبو الأسود : «لامرحب وأديك غير مضيق» . ولم أجده فى ترجمته فى الأغاني ، ولا فى معجم ياقوت .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ ،) في النار (لَامْرَحِبًا بِهِمْ . لَأَنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ . قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَامْرَحِبًا بِكُمْ) . . . حتى بلغ : (فَيَبْسُ الْقَرَارُ) قال : هؤلاء التباع . يقولون للرءوس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ . لَامْرَحِبًا بِهِمْ) قال : الفوج : القوم الذين يدخلون فوجا بعد فوج ، وقرأ : (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا) التي كانت قبلها . وقوله (لَأَنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ) يقول : إنهم واردوا النار وداخلوها ، (قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَامْرَحِبًا بِكُمْ) يقول : قال الفوج واردون جهنم ، على الطاغين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم لهم : بل أنتم أيها القوم لامرحبا بكم : أي لاتسعت بكم أما كنكم ، (أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا) يعنون : أنتم قدمتم لنا سكني هذا المكان ، وصيلى النار بإضلالكم إيانا ، ودعائكم لنا إلى الكفر بالله ، وتكذيب رسله ، حتى ضلكننا باتباعكم ، فاستوجبنا سكني جهنم اليوم ، فذلك تقديمهم لهم ما قدموا في الدنيا ، من عذاب الله لهم في الآخرة . (فَيَبْسُ الْقَرَارُ) يقول : فبئس المكان يُسْتَقَرُّ فِيهِ جَهَنَّمُ .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١)

وهذا أيضا قول الفوج المقتحم على الطاغين ، وهم كانوا أتباع الطاغين في الدنيا ، يقول جل ثناؤه : وقال الأتباع : (رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا) يعنون : من قدم لهم في الدنيا ، بدعائهم إلى العمل الذي يوجب لهم النار التي وردوها ، وسكني المنزل الذي سكنوه منها . ويعنون بقولهم (هَذَا) : العذاب الذي وردناه . (فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ) يقولون : فأضعف له العذاب في النار على العذاب الذي هو فيه فيها ، وهذا أيضا من دعاء الأتباع للمتبوعين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقُّ تَخَاصُّمِ أَهْلِ النَّارِ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : قال الطاغون الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه الآيات ، وهم فيما ذكر أبو جهل والوليد بن المغيرة وذو وهما : (مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا) يقول : ما بالنا لا نرى معنا في النار رجلا (كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ) يقول : كنا نعدُّهم في الدنيا من أشرارنا ، وعصنا بذلك فيما ذكر صهيبيًا ، وخببًا ، وبيلالا ، وسلمان .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله : (ما لنا لا نرى رجالاتنا كئنا نعددهم من الأشرار) قال : ذلك أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة ، وذكر أناسا : صهبيا ، وعمارة ، وخبابا ، كئنا نعددهم من الأشرار في الدنيا .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر عن مجاهد في قوله (وقالوا ما لنا لا نرى رجالاتنا كئنا نعددهم من الأشرار) قال : قالوا : أين سلیمان ؟ أين خببأب ؟ أين ببال . وقوله (أآخذناهم سخرينا) اختلفت القراء في قراءته ، فقرأته عامة قراء المدينة والشام وبعض قراء الكوفة (أآخذناهم) بفتح الألف من أخذناهم ، وقطعها على وجه الاستفهام . وقراءته عامة قراء الكوفة والبصرة ، وبعض قراء مكة ، بوصل الألف من الأشرار (أآخذناهم) . وقد بينا فيما مضى قبل ، أن كل استفهام كان بمعنى التعجب والتوبيخ ، فإن العرب تستفهم فيه أحيانا ، وتخرجه على وجه الخبر أحيانا . وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه بالوصل ، على غير وجه الاستفهام ، لتقدم الاستفهام قبل ذلك في قوله (ما لنا لا نرى رجالاتنا كئنا) فيصير قوله (أآخذناهم) بالخبر أولى ، وإن كان للاستفهام وجه مفهوم ، لما وصفت قبل ، من أنه بمعنى التعجب .

وإذ كان الصواب من القراءة في ذلك ما اخترنا ، لما وصفنا ، فغنى الكلام : وقال الطاغون : ما لنا لا نرى سلیمان وبيلا وخببأبا ، الذين كئنا نعددهم في الدنيا أشرارا ، أخذناهم فيها سخرينا ، نهأ بهم فيها معنا اليوم في النار . وكان بعض أهل العلم بالعربية من أهل البصرة يقول : من كسر السين من السخرى ، فإنه يريد به الهزء ، يريد : يسخر به ، ومن ضمها فإنه يجعله من السخرة ، يستسخرونهم : يستدلونهم ، أزاحت عنهم أبصارنا وهم معنا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (أآخذناهم سخرينا أم زأغت عنهم الأبنصار) يقول : أم في النار ، لانعرف مكانهم ؟

وحدثت عن المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (وقالوا ما لنا لا نرى رجالاتنا كئنا نعددهم من الأشرار) قال : هم قوم كانوا يسخرون من محمد وأصحابه ، فانطلق به بأصحابه إلى الجنة ، وذهب بهم إلى النار (فقالوا ما لنا لا نرى رجالاتنا كئنا نعددهم من الأشرار) أآخذناهم سخرينا أم زأغت عنهم الأبنصار) يقولون : أزاحت أبصارنا عنهم ، فلا ندرى أين هم ؟

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (**أَتَّخَذْنَا لَهُمْ سَخِرِيًّا**) قال : أخطأناهم (**أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ**) ولا نراهم ؟

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**وَقَالُوا مَا لَنَا لَنَرِي رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِثْلَ الْأَشْرَارِ**) قال : فقدوا أهل الجنة (**أَتَّخَذْنَا لَهُمْ سَخِرِيًّا**) في الدنيا (**أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ**) وهم معنا في النار .

وقوله (**إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ**) يقول تعالى ذكره : إن هذا الذي أخبرتكم أيها الناس ، من الخبر عن تراجع أهل النار ، ولعن بعضهم بعضا ، ودعاء بعضهم على بعض في النار ، لحق يقين ، فلا تشككوا في ذلك ، ولكن استيقنوه تخاصم أهل النار . وقوله (**تَخَاصُمُ**) رد على قوله (**لَحَقٌّ**) . ومعنى الكلام : إن تخاصم أهل النار الذي أخبرتكم به لحق .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجه معنى قوله (**أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ**) إلى : بل زاغت عنهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (**إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ**) (**أَهْلُ النَّارِ**) ، فقرأ (**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنَرِي ضَالِّا مُبِينِ** ، **إِذْ نَسُوْبِكُمْ بِيْرَبِّ الْعَالَمِينَ**) ، وقرأ (**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيْعًا**) . . . حتى بلغ (**إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ**) قال : إن كنتم تعبدوننا كما تقولون : إن كنا عن عبادتكم لغافلين ، ما كنا نسمع ولا نبصر ، قال : وهذه الأصنام ، قال : هذه خصومة أهل النار ، وقرأ : (**وَوَضَّلَ عَنْهُمْ**) ما كانوا يفتترونها (**قَالَ** : **وَضَّلَ عَنْهُمْ** يوم القيامة ما كانوا يفترون في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ، وَمَا مِنِّي إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : (**قُلْ**) يا محمد لمشركي قومك : (**إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ**) لكم يا معشر قريش ، بين يدي عذاب شديد ، أنذركم عذاب الله ويخطه أن يحل بكم ، على كفركم به ، فاحذروه وبادروا حلوله بكم بالتوبة (**وَمَا مِنِّي إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**) يقول : وما من معبود تصلح له العبادة ، وتبغى له الربوبية ، إلا الله الذي يدين له كل شيء ، ويعبده كل خلق ، الواحد الذي لا ينبغي أن يكون له في ملكه شريك ، ولا ينبغي أن تكون له صاحبة ، القهار لكل ما دونه بقدرته ، رب السموات والأرض ، يقول : مالك السموات والأرض وما بينهما من الخلق : فهذا الذي هذه صفته ، هو الإله الذي لا إله سواه ، لا الذي لا يملك شيئا ، ولا يضر ، ولا ينفع . وقوله (**الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**)

يقول : العزيز في نعمته من أهل الكفر به ، المدّعين معه لها غيره ، الغضار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم ، من كفره ومعاصيه ، فأنايب إلى الإيمان به ، والطاعة له . بالانتباه إلى أمره ونهيه .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ هُوَ نَبِيُّ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا آتَمًا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠)

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يا محمد لقومك المكذّبيك فيما جئتهم به من عند الله من هذا القرآن ، القائلين لك فيه : إن هذا إلا اختلاق ، (هُوَ نَبِيٌّ عَظِيمٌ) يقول : هذا القرآن خبر عظيم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل الأسدي ، قال : ثنا أبا أسامة ، عن شبيل بن عباد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : (قُلْ هُوَ نَبِيٌّ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) قال : القرآن .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن شريح ، أن رجلا قال له : أتقضى علىّ بالنبأ ؟ قال : فقال له شريح : أو ليس القرآن نبأ ؟ قال : وتلا هذه الآية : (قُلْ هُوَ نَبِيٌّ عَظِيمٌ) قال : وقضى عليه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (قُلْ هُوَ نَبِيٌّ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) قال : القرآن . وقوله (أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) يقول : أنتم عنه منصرفون ، لاتعملون به ، ولا تصدقون بما فيه من حجج الله وآياته .

وقوله (مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى) يقول لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركي قومك (ما كان لي من علم بالملاء الأعلى إذ يختصمون) في شأن آدم من قبل أن يوحى إلى ربّي ، فيعلمني ذلك ، يقول : ففي إخباري لكم عن ذلك ، دليل واضح على أن هذا القرآن وحى من الله ، وتنزيل من عنده ، لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن ، ولا هو مما شاهدته فعابته ، ولكني علمت ذلك بإخبار الله إياي به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ) قال : الملاء الأعلى : الملائكة حين شووروا في خلق آدم ، فاختصموا فيه ، وقالوا : لاتجعل في الأرض خليفة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (بالملأ الأعلى إذ يختصمون) : هو (إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى) قال : هم الملائكة ، كانت خصومتهم في شأن آدم حين قال ربك للملائكة : (إني خالق بشر من طين) . . . حتى بلغ (ساجدين) ، وحين قال : (إني جاعل في الأرض خليفة) . . . حتى بلغ (ويستفك الدماء) ، ففي هذا اختصم الملأ الأعلى .

وقوله (إن يوحى إلى إلا أنما أنا نذير مبين) يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركي قريش : ما يوحى الله إلى علم مالا علم لي به ، من نحو العلم بالملأ الأعلى ، واختصامهم في أمر آدم إذ أراد خلقه ، إلا لأني إنما أنا نذير مبين ، «فإنما» على هذا التأويل : في موضع خفض ، على قول من كان يرى أن مثل هذا الحرف الذي ذكرنا لا بد له من حرف خافض ، فسواء إسقاط خافضه منه وإثباته . وأما على قول من رأى أن مثل هذا ينصب إذا أسقط منه الخافض ، فإنه على مذهبه نصب ، وقد بينا ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقد يتجه لهذا الكلام وجه آخر ، وهو أن يكون معناه : ما يوحى الله إلا إنذاركم . وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى ، كانت أنما في موضع رفع ، لأن الكلام يصير حينئذ بمعنى : ما يوحى إلى إلا الإنذار . قوله (إلا أنما أنا نذير مبين) يقول : إلا أني نذير لكم ، مبين لكم إنذاره إياكم . وقيل : إلا أنما أنا ، ولم يقل : إلا أنما أنك ، والخبر من محمد عن الله ، لأن الوحى قول ، فصار في معنى الحكاية ، كما يقال في الكلام : أخبروني أنى مسيء ، وأخبروني أنك مسيء ، بمعنى واحد ، كما قال الشاعر :

رَجُلَانِ مِنْ ضَبَّةٍ أَخْبَرَانَا أَنَّا رَأَيْنَا رَجُلًا عُرْيَانًا
بمعنى : أخبرانا أنهما رأيا ، وجاز ذلك لأن الخبر أصله حكاية .

القول في تأويل قوله تعالى

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤)

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٢) قال : وقوله « إن يوحى إلى إلا أنما أنا نذير مبين » : إن شئت جعلت « أنما » في موضع رفع (نائب فاعل يوحى) كأنك قلت : ما يوحى إلى إلا الإنذار ، وإن شئت جعلت المعنى : ما يوحى إلى أنى نبي ونذير . فإذا أقيمت اللام كان موضع « إنما » نصبا ، ويكون في هذا الموضع ما يوحى إلى إلا أنك نذير مبين ، لأن المعنى حكاية ، كما تقول في الكلام : أخبروني أنى مسيء ، وأخبروني أنك مسيء . وهو كقوله : « رجلان من ضبة . . . البيت » . والمعنى : أخبرانا أنهما رأيا . فجاز ذلك ، لأن أصله الحكاية . اهـ .

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ قوله (إِذْ قَالَ رَبُّكَ) من صلة قوله (إِذْ يَخْتَصِمُونَ) ، وتأويل الكلام : ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون حين قال ربك : يا محمد (لَمَلَأَكِيكَةَ إِتَى خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ) يعني بذلك خلق آدم .

وقوله (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) يقول تعالى ذكره : فإذا سويت خلقه ، وعدت صورته ، ونفخت فيه من روحي ، قيل : عني بذلك : ونفخت فيه من قدرتي .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) قال : من قدرتي .

(فَتَقَعُوا لَهُ سُجُودًا) يقول : فاسجدوا له وخيروا له سجدا . وقوله (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) يقول تعالى ذكره : فلما سوى الله خلق ذلك البشر ، وهو آدم ، ونفخ فيه من روحه ، سجد له الملائكة كلهم أجمعون ، يعني بذلك : الملائكة الذين هم في السموات والأرض (إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ) يقول : غير إبليس ، فإنه لم يسجد ، استكبر عن السجود له ، تعظما وتكبرا (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) يقول : وكان بتعظيمه ذلك ، وتكبره على ربه ، ومعصيته أمره ، ممن كفر في علم الله السابق ، فجحده ربوبيته ، وأنكر ما عليه الإقرار له به ، من الإذعان له بالطاعة .

كما حدثنا أبو كريب ، قال : قال أبو بكر في (إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) قال قال ابن عباس : كان في علم الله من الكافرين .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)

قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦)

﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ﴾ يقول تعالى ذكره : (قَالَ) الله لإبليس ، إذ لم يسجد لآدم ، وخالف أمره : (يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ) يقول : أي شيء منعك من السجود (لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي) يقول : لخلق يدي ، يخبر تعالى ذكره بذلك ، أنه خلق آدم بيديه .

كما حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عبيد المكثيب ، قال : سمعت مجاهدا يحدث عن ابن عمر ، قال : خلق الله أربعة بيده : العرش ، وعدن ، والقلم ، وآدم ، ثم قال لكل شيء كنف ، فكان .

وقوله (أَسْتَكْبَرْتَ؟) يقول لإبليس : تعظمت عن السجود لآدم ، فتركت السجود له استكبارا عليه ، ولم تكن من المتكبرين العالمين قبل ذلك؟ (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ؟) يقول : أم كنت كذلك من قبل

ذا علو وتكبر على ربك؟ (قال أنا خير منه، خلقتني من نار) يقول جل ثناؤه: قال إبليس لربه: فعلت ذلك، فلم أعبد للذي أمرتني بالسجود له، لأنني خير منه، وكنت خيراً، لأنك خلقتني من نار، وخلقته من طين، والنار تأكل الطين وتحرقه، فالنار خير منه، يقول: لم أفعل ذلك استكباراً عليك، ولا لأنني كنت من العالمين، ولكني فعلته من أجل أني أشرف منه، وهذا تفرغ من الله للمشركين، الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأبوا الانقياد له، واتباع ما جاءهم به من عند الله، استكباراً عن أن يكونوا تبعاً لرجل منهم، حين قالوا (أَنْزَلَ عَلَيْنَا الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا)؟ (وهل هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) فقص عليهم تعالى ذكره قصة إبليس وإهلاكه، باستكباره عن السجود لآدم، بدعواه أنه خير منه، من أجل أنه خلق من نار، وخلق آدم من طين، حتى صار شيطاناً رجياً، وحققت عليه من الله لعنته، محذراًهم بذلك أن يستحقوا باستكبارهم على محمد، وتكذيبهم إياه فيما جاءهم به من عند الله، حسداً وتعظماً من اللعن والسخط، ما استحقه إبليس بتكبره عن السجود لآدم.

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٧٩)

يقول تعالى ذكره لإبليس: (فأخرج منها) يعني من الجنة (فإنك راجم) يقول: فإنك مرجوم بالقول، مشتوم ملعون.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فأخرج منها فإنك راجم) قال: والراجم: اللعين.

حدثت عن الحارثي، عن جويبر، عن الضحاك بمثله.

وقوله (وإن عليك لعنتي) يقول: وإن لك طردى من الجنة (إلى يوم الدين) يعني: إلى يوم مجازاة العباد ومحاسبتهم (قال: رب فأنظرنني إلى يوم يبعثون) يقول تعالى ذكره: قال إبليس لربه: رب فأذ لعنتي، وأخرجتني من جنتك (فأنظرنني) يقول: فأخرني في الأجل، ولا تهلكني (إلى يوم يبعثون) يقول: إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم.

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)

يقول تعالى ذكره: قال الله لإبليس: فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، وذلك الوقت الذي

جعله الله أجلا لهلاكه . وقد بينت وقت ذلك فيما مضى ، على اختلاف أهل العلم فيه ، وقال : (فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) يقول تعالى ذكره : قال إبليس : فبعزتك : أى بقدرتك وسلطانك وقهرك مادونك
من خلقك (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) يقول : لأضلن بنى آدم أجمعين (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)
يقول : لإامن أخلصته منهم لعبادتك ، وعصمته من إضلالى ، فلم تجعل لى عليه سبيلا ، فإنى لأقدر على
إضلاله وإغوائه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)
قال : عليمُ عدو الله أنه ليست له عزة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ
مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦)

اختلفت القراء فى قراءة قوله (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ) فقرأه بعض أهل الحجاز وعامة الكوفيين
برفع الحقّ الأول ، ونصب الثانى . وفى رفع الحقّ الأول إذا قرئ كذلك وجهان : أحدهما رفعه بضمير
لله الحقّ ، أو أنا الحقّ . وأقول الحقّ . والثانى : أن يكون مرفوعا بتأويل قوله (لَأَمْلَأَنَّ) فيكون
معنى الكلام حينئذ : فالحقّ أن أملا جهنم منك ، كما يقول : عزيمة صادقة لا تينك ، فرفع عزيمة بتأويل
لا تينك ، لأن تأويله أن آتيتك ، كما قال : (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ) من بعد ما رأوا الآيات ليسجسشنه)
فلا بدأ لقوله (بَدَأَ لَهُمْ) من مرفوع ، وهو مضمرة فى المعنى . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض
المكيين والكوفيين ، بنصب الحقّ الأول والثانى كليهما ، بمعنى : حقا لأ، لأن جهنم ، والحقّ أقول ، ثم أدخلت
الألف واللام عليه ، وهو منصوب ، لأن دخل لهما - إذا كان كذلك معنى الكلام - وخرجهما منه سواء ، كما
سواء قولهم : حمدا لله ، والحمد لله عندهم إذا نصب . وقد يحتمل أن يكون نصبه على وجه الإغراء ، بمعنى :
الزموا الحقّ ، واتبعوا الحقّ ، والأول أشبه ، لأنه خطاب من الله لإبليس ، بما هو فاعل به وبتباعه .
بقرئ وأولى الأقرال فى ذلك عندى بالصراب : أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان فى قرآنة الأوصار ، فبأيهما
قرأ القارئ فصيب ، لصحة معنيهما .

وأما الحقّ الثانى ، فلا اختلاف فى نصبه بين قراء الأوصار كلهم ، بمعنى : وأقول الحقّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، فى قوله (فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ)
يقول الله : أنا الحقّ ، والحقّ أقول .

وحدثت عن ابن أبي زائدة ، عن ابن جرير ، عن مجاهد (فالحقُّ والحقُّ أقولُ) يقول الله :
الحقُّ مني ، وأقول الحق .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : ثنا أبان بن تغلب ،
عن طلحة البامي ، عن مجاهد ، أنه قرأها (فالحقُّ) بالرفع (والحقُّ أقولُ) نصباً وقال : يقول الله : أنا
الحقُّ ، والحقُّ أقول .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (الحقُّ والحقُّ أقولُ)
قال : قسم أقسم الله به .

وقوله (أَلَمْ سَأَلْنَاهُمْ مَنِكَ) يقول لإبليس : لأملأن جهنم منك ومن تبعك من بني آدم
أجمعين . وقوله (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم
قل يا محمد لمشركي قومك ، القائلين لك (أَلَمْ نُنزِلْ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ؟) : ما أسألكم على هذا الذكر ،
وهو القرآن الذي أتيتكم به من عند الله ، أجراً ، يعني ثواباً وجزاء (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) يقول : وما أنا
ممن يتكلف تحريضه وافتراءه ، فتقولون : (إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ) و (إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ) .
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) قال : لا أسألكم على القرآن أجراً تعطوني شيئاً ، وما أنا من المتكلفين :
أتحرض وأتكلف ما لم يأمرني الله به .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٧٨) وَتَتَعَلَّمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) .

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل هؤلاء المشركين من قومك : (إِنَّ هُوَ) يعني :
ما هذا القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) يقول : إلا تذكير من الله (لِلْعَالَمِينَ) من الجن والإنس ، ذكرهم ربهم إرادة
استنقاذ من آمن به منهم من الهلكة . وقوله (وَتَتَعَلَّمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) يقول : وتتعلمنَّ أيها المشركون
بالله من قريش نباءه ، يعني : نباء هذا القرآن ، وهو خبره ، يعني حقيقة ما فيه من الوعد والوعيد ، بعد حين .
وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَتَعَلَّمُنَّ نَبَأَهُ) قال :
صدق هذا الحديث نبأ ما كذبوا به . وقيل : نباء حقيقة أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، أنه نبي .
ثم اختلفوا في مدة الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع : ماهي ، وما نهايتها ؟ فقال بعضهم : نهايتها
الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكَتَعَلَّمُنْ نَبَأَهُ بِعَدِّ حِينٍ) :
أى بعد الموت ، وقال الحسن : يا بن آدم عند الموت يأتيك الخبير اليقين .
وقال بعضهم : كانت نهايتها إلى يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : في قوله (وَكَتَعَلَّمُنْ نَبَأَهُ بِعَدِّ حِينٍ)
قال : يوم بدر .
وقال بعضهم : يوم القيامة . وقال بعضهم : نهايتها القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَكَتَعَلَّمُنْ نَبَأَهُ بِعَدِّ حِينٍ)
قال : يوم القيامة يعلمون نبأ ما كذبوا به بعد حين من الدنيا ، وهو يوم القيامة . وقرأ (لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) قال : وهذا أيضا الآخرة يستقر فيها الحق ، ويبطل الباطل .
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أعلم المشركين المكذبين بهذا القرآن ، أنهم يعلمون نبأه
بعد حين ، من غير حد منه لذلك الحين بحد ، وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا إلى ظهور حقيقته ،
ووضوح صحته في الدنيا ، ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه بدر ، وقبل ذلك ، ولا حد عند العرب للحين
لأبجواز ، ولا يقصر عنه . فإذا كان ذلك كذلك ، فلا قول فيه أصح من أن يُطْلَقَ كما أطلقه الله ، من غير
حصر ذلك على وقت دون وقت .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، قال : قال عكرمة : سئلت عن
رجل حلف أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين ، فقلت : إن من الحين حيناً لا يدرك ، ومن الحين حيناً يدرك
فالحين الذي لا يدرك قوله (وَكَتَعَلَّمُنْ نَبَأَهُ بِعَدِّ حِينٍ) ، والحين الذي يدرك قوله (تَوْرِي أْكُلْنَهَا
كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) وذلك من حين تبصرم النخلة إلى حين تطلّع ، وذلك ستة أشهر .

آخر تفسير سورة ص

تفسير سورة الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله عز وجل

تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ، وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ .

يقول تعالى ذكره : (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) الذي نزلناه عليك يا محمد (مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ) في انتقامه من أعدائه (الْحَكِيمِ) في تدبيره خلقه ، لا من غيره ، فلا تكونن في شك من ذلك ، ورفع قوله (تَنْزِيلُ) بقوله (مِنْ اللَّهِ) . وتأويل الكلام : من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب . وجائر رفعه بإضمار هذا ، كما قيل (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا) غير أن الرفع في قوله (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) بما بعده ، أحسن من رفع سورة بما بعدها ، لأن تنزيل ، وإن كان فعلا ، فانه إلى المعرفة أقرب ، إذ كان مضافا إلى معرفة ، فحسن رفعه بما بعده ، وليس ذلك بالحسن في «سورة» ، لأنه نكرة .

وقوله (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : إنا أنزلنا إليك يا محمد الكتاب ، يعني بالكتاب : القرآن ، بالحق ، يعني بالعدل : يقول : أنزلنا إليك هذا القرآن يأمر بالحق والعدل ، ومن ذلك الحق والعدل : أن تعبد الله مخلصا له الدين ، لأن الدين له ، لا للأوثان التي لا تملك ضرا ولا نفعا .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (الْكِتَابَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) يعني : القرآن .

وقوله (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) يقول تعالى ذكره : فاحشع لله يا محمد بالطاعة ، وأخلص له الألوهة ، وأفرده بالعبادة ، ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكا ، كما فعلت عبدة الأوثان .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شمر ، قال : يؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب ، وفي صحيفته أمثال الجبال من الحسنات ، فيقول رب العزة جل وعز : صليت يوم كذا وكذا ، ليقال :

صَلَّى فَلَانَ أَنَا اللَّهُ لِإِلَهِ إِلَّا أَنَا ، لى الدين الخالص . صمتَ يوم كذا وكذا ، ليقال : صام فلان ، أنا الله لِإِلَهِ إِلَّا أَنَا ، لى الدين الخالص ، تصدقتَ يوم كذا وكذا ، ليقال : تصدق فلان ، أنا الله لِإِلَهِ إِلَّا أَنَا ، لى الدين الخالص ، فما يزال يمحوشينا بعد شيء ، حتى تبقى صحيفته ما فيها شيء ، فيقول ملكاه : يا فلان ، أَلغير الله كنت تعمل .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، أما قوله (مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) فالتوحيد ، والدين منصوب بوقوع مخلصا عليه .
وقوله (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) يقول تعالى ذكره : أَلَا لِلَّهِ الْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ وَحْدَهُ ، لا شريك له ، خالصة ، لا شريك لأحد معه فيها ، فلا ينبغي ذلك لأحد ، لأن كل مادونه ملكه ، وعلى المملوك طاعة مالكة ، لا من لا يملك منه شيئا .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) شهادة أن لا إله إلا الله .

وقوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) يقول تعالى ذكره : والذين اتخذوا من دون الله أولياء يتوكلونهم ، ويعبدونهم من دون الله ، يقولون لهم : ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زلفى : قرابة ومنزلة ، وتشفعوا لنا عنده فى حاجاتنا ، وهى فيما ذكر فى قراءة آتى (ما نعبدكم) ، وفى قراءة عبد الله (قالوا ما نعبدكم) وإنما حسن ذلك ، لأن الحكاية إذا كانت بالقول ، مضمرا كان أو ظاهرا ، جعل الغائب أحيانا كالمخاطب ، ويترك أخرى كالغائب ، وقد بينت ذلك فى موضعه فيما مضى .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : هى فى قراءة عبد الله (قالوا ما نعبدكم) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ما نعبدكم) إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) قال : قرىش تقوله للأوثان ، ومن قبلهم يقوله للملائكة ولعيسى بن مريم ولعزير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) قالوا : ما نعبد هؤلاء إلا ليقربونا ، إلا ليشفعوا لنا عند الله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) قال : هي منزلة .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (٧) .

وقوله (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا) يقول سبحانه : لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) قالوا : هم شفاعونا عند الله ، وهم الذين يقربونا إلى الله زلفى يوم القيامة ، للأوثان ، والزلفى : القرب .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره : إن الله يفصل بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا في الدنيا من دون الله أولياء يوم القيامة ، فيما هم فيه يختلفون في الدنيا من عبادتهم ما كانوا يعبدون فيها ، بأن يُصَلِّسِيَهُمْ جميعاً جهنم ، إلا من أخلص الدين لله ، فوحده ، ولم يشرك به شيئاً .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأُصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤)

يقول تعالى ذكره (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي) إلى الحق ودينه الإسلام ، والإقرار بوحدانيته ، فيوفقه له (مَنْ هُوَ كَذِبٌ) مفر على الله ، يتقوله عليه الباطل ، ويضيف إليه ما ليس من صفته ، ويزعم أن له ولداً افتراء عليه كفار لجمه ، جحوداً لربوبيته . وقوله (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) يقول تعالى ذكره : لو شاء الله اتخذ ولداً ، ولا ينبغي له ذلك ، لأصطفى مما يخلق ما يشاء ، يقول : لا يختار من خلقه ما يشاء . وقوله (سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) يقول : تنزيهاً لله عن أن يكون له ولد ، وعماً أضاف إليه المشركون به من شركهم (هُوَ اللَّهُ) يقول : هو الذي يعبده كل شيء ، ولو كان له ولد لم يكن له عبداً ، يقول : فالأشياء كلها له ملك ، فأني يكون له ولد ، وهو الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه ، والقهار لخلق بقدرته ، فكل شيء له متذلل ، ومن سطوته خاشع .

القول في تأويل قوله تعالى

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥)

يقول تعالى ذكره واصفاً نفسه بصفته : (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ ،

وَيُكْوَرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ (يقول : يغشى هذا على هذا ، وهذا على هذا ، كما قال (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يُكْوَرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ ، وَيُكْوَرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) يقول : يَحْمِلُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ ، حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (يُكْوَرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ) قال : يُدْهِمُ هَوْرَهُ . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُكْوَرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ ، وَيُكْوَرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) قال : يغشى هذا هذا ، ويغشى هذا هذا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (يُكْوَرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) قال : يجيء بالنهار ، ويذهب بالليل ، ويجيء بالليل ، ويذهب بالنهار . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (يُكْوَرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ ، وَيُكْوَرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) حين يذهب بالليل ، ويكور النهار عليه ويذهب بالنهار ، ويكور الليل عليه . وقوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) يقول تعالى ذكره : وسخر الشمس والقمر لعباده ، ليعلموا بذلك عدد السنين والحساب ، ويعرفوا الليل من النهار لمصلحة معاشهم (كَلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول : (كَلَّ) ذلك يعني الشمس والقمر (يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) يعني إلى قيام الساعة ، وذلك إلى أن تكور الشمس ، وتتكدر النجوم . وقيل : معنى ذلك : أن لكل واحد منهما منازل ، لا تعدوه ، ولا تقصر دونه . (أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ) يقول تعالى ذكره : ألا إن الله الذي فعل هذه الأفعال ، وأنعم على خلقه هذه النعم ، هو العزيز في انتقامه ممن عاداه ، الغفار لذنوب عباده التائبين إليه منها ، بعفوه لهم عنها .

القول في تأويل قوله تعالى

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ مَحْمِيَةَ أَزْوَاجًا يَخْلُقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ، ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَآيٍ تُصْرَفُونَ (٦)

يقول تعالى ذكره : (خَلَقَكُمْ) أيها الناس (مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) يعني من آدم (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) يقول : ثم جعل من آدم زوجه حواء ، وذلك أن الله خلقها من ضلوعه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) يعني آدم، ثم خلق منها زوجها حواء، خلقها من ضلع من أضلاعه.

فإن قال قائل: وكيف قيل: خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها؟ وإنما خلق ولد آدم من آدم وزوجته، ولا شك أن الوالدين قبل الولد، فإن في ذلك أقوالا: أحدها أن يقال: قيل ذلك لأنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن الله لما خلق آدم مسح ظهره، فأخرج كل نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة، ثم أسكنه بعد ذلك الجنة، وخلق بعد ذلك حواء من ضلع من أضلاعه» فهذا قول. والآخر: أن العرب ربما أخبر الرجل منهم عن رجل بفعلين، فيرد الأول منهما في المعنى ثم، إذا كان من خبر المتكلم، كما يقال: قد بلغني ما كان منك اليوم، ثم ما كان منك أمس أعجب، فذلك نسق من خبر المتكلم. والوجه الآخر: أن يكون خلقه الزوج مردودا على واحدتها، كأنه قيل: خلقكم من نفس واحدتها، ثم جعل منها زوجها، فيكون في واحدة معنى: خلقها وحدها، كما قال الراجز:

أَعْدَدْتَهُ لِلْخَصْمِ ذِي التَّعَدَى كَوَوَّحْتَهُ مِنْكَ بِيَدُونَ الْجَهْدِ

بمعنى: الذي إذا تعدى كَوَوَّحْتَهُ، ومعنى: كَوَوَّحْتَهُ: غلبته.

والقول الذي يقوله أهل العلم أولى بالصواب، وهو القول الأول الذي ذكرت أنه يقال: إن الله أخرج ذرية آدم من ضلعه قبل أن يخلق حواء، وبذلك جاءت الرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقولان الآخران على مذاهب أهل العربية.

وقوله (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) يقول تعالى ذكره: وجعل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الإبل زوجين، ومن البقر زوجين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، كما قال جل ثناؤه (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ).

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) قال: من الإبل والبقر والضأن والمعز.

(١) البيتان من الرجز أنشدهما صاحب اللسان في «كوح» شاهدا على أن كوحه بمعنى رده. وقال الأزهري: التكويع التغليب، وأنشد أبو عمرو: «أعدته للخصم... البيت». وهو أيضا من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٣). قال: في تفسير قوله تعالى «خلقكم من نفس واحدة، ثم جعل منها زوجها». يقول القائل: كيف قال: «خلقكم» لبني آدم، ثم قال: «ثم جعل منها زوجها»، والزوج: مخلوق قبل الولد؟ فن ذلك وجهان من العربية. أحدهما: أن العرب إذا خبرت عن رجل بفعلين ردوا الآخر ثم، إذا كان هو الآخر في المعنى. وربما جعلوا «ثم» فيما معناه التقديم. ويجعلون «ثم» من خبر المتكلم. من ذلك أن تقول: قد بلغني ما صنعت يومك هذا، ثم ما صنعت أمس أعجب، فهذا نسق من خبر المتكلم. وتقول: قد أعطيتك اليوم شيئا، ثم الذي أعطيتك أمس أكثر. فهذا من ذلك. والوجه الآخر أن تجعل خلقه الزوج مردودا على واحدة، كأنه قال: خلقكم من نفس واحدتها، ثم جعل منها زوجها، فن «واحدة» معنى خلقها واحد. قال: أنشدني بعض العرب: أعدته للخصم... البيت. ومعناه: الذي إذا تعدى كوحته وكوحته: غلبته. اهـ.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) : من الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين ، ومن الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين ، من كل واحد زوج .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) : يعني من المعز اثنين ، ومن الضأن اثنين ، ومن البقر اثنين ، ومن الإبل اثنين .

وقوله (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) يقول تعالى ذكره : يبتدئ خلقكم أيها الناس في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق ، وذلك أنه يحدث فيها نطفة ، ثم يجعلها علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاما ، ثم يكسو العظام لحما ، ثم ينشئه خلقا آخر ، تبارك الله وتعالى ، فذلك خلقه إياه خلقا بعد خلق .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سيبك ، عن عكرمة (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : نطفة ، ثم ما يتبعها ، حتى تم خلقه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاما ، ثم لحما ، ثم أنبت الشعر ، أطوار الخلق .

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سيبك ، عن عكرمة في قوله (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : يعني بخلق بعد الخلق ، علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاما .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : يكونون نطفة ، ثم يكونون علقا ، ثم يكونون مضغا ، ثم يكونون عظاما ، ثم ينفخ فيهم الروح .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) خلق نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يخلقكم في بطون أمهاتكم من بعد خلقه إياكم في ظهر آدم ، قالوا : فذلك هو الخلق من بعد الخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : خلقا في البطن ، من بعد الخلق الأول الذي خلقهم في ظهر آدم .

* وأولى القولين في ذلك بالصواب : القول الذي قاله عكرمة ومجاهد ، ومن قال في ذلك مثل قوهما ، لأن الله جلّ وعزّ أخبر أنه يخلقنا خلقا من بعد خلق في بطون أمهاتنا في ظلمات ثلاث ، ولم يخبر أنه يخلقنا في بطون أمهاتنا من بعد خلقنا في ظهر آدم ، وذلك نحو قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً) . . . الآية .
وقوله (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) يعني : في ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) قال :
الظلمات الثلاث : البطن ، والرحم ، والمشيمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) قال : البطن ، والمشيمة ، والرحم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :
(فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) قال : يعني بالظلمات الثلاث : بطن أمه ، والرحم ، والمشيمة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) قال : البطن ، والرحم
والمشيمة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) المشيمة ، والرحم ، والبطن .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) قال : ظلمات
المشيمة ، وظلمة الرحم ، وظلمة البطن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) قال :
المشيمة في الرحم ، والرحم في البطن .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله
(فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) : الرحم ، والمشيمة ، والبطن ، والمشيمة : التي تكون على الولد إذا خرج ، وهي
من الدواب السلي .

وقوله (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ) يقول تعالى ذكره : هذا الذي فعل هذه الأفعال أيها الناس هو ربكم ،
لامن لا يجاب لنفسه نفاعا ، ولا يدفع عنها ضررا ، ولا يسوق إليكم خيرا ، ولا يدفع عنكم سوءا ، من
أوثانكم وآلهتكم .

وقوله (لَهُ الْمُلْكُ) يقول جلّ وعزّ : لربكم أيها الناس الذي صفته ما وصف لكم ، وقدرته ما بين

لكم الملك ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما لاغيره ، فأما ملوك الدنيا فإنما يملك أحدهم شيئاً دون شيء ، وإنما له خاص من الملك . وأما الملك التام الذي هو الملك بالإطلاق ، فله الواحد القهار .
وقوله (لا إله إلا هو فأني تُصْرَفُونَ ؟) يقول تعالى ذكره : لا ينبغي أن يكون معبود سواه ، ولا تصلح العبادة إلا له (فأني تُصْرَفُونَ ؟) يقول تعالى ذكره : فأني تصرفون أيها الناس فتذهبون عن عبادة ربكم ، الذي هذه الصفة صفته ، إلى عبادة من لا ضرر عنده لكم ، ولا نفع ؟
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فأني تُصْرَفُونَ ؟) قال : كقوله : (تَتَوَفَّكُونَ) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فأني تُصْرَفُونَ ؟) قال للمشركين : أتني تصرف عقولكم عن هذا ؟

القول في تأويل قوله تعالى

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ، وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ، وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ،
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ، إِنَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (إن تكفروا فإن الله غني عنكم) ، ولا يرضى لعباده الكفراً فقال بعضهم : ذلك لخاص من الناس ، ومعناه : إن تكفروا أيها المشركون بالله ، فإن الله غني عنكم ، ولا يرضى لعباده المؤمنين الذين أخلصهم لعبادته وطاعته الكفر .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إن تكفروا فإن الله غني عنكم) ، ولا يرضى لعباده الكفراً ، يعني الكفار الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، فيقولوا : لا إله إلا الله ، ثم قال : (ولا يرضى لعباده الكفراً) وهم عباده المخلصون الذين قال : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) فألزمهم شهادة أن لا إله إلا الله ، وحببها إليهم .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (ولا يرضى لعباده الكفراً) قال : لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا .

وقال آخرون : بل ذلك عام لجميع الناس ، ومعناه : أيها الناس إن تكفروا ، فإن الله غني عنكم ، ولا يرضى لكم أن تكفروا به .

والصواب من القول في ذلك ما قال الله جلّ وعزّ: **إِنْ تَكْفُرُوا بِاللَّهِ أَيُّهَا الْكُفَّارُ بِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ إِيْمَانِكُمْ وَعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ ، وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ؛ بِمَعْنَى : وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ، كَمَا يُقَالُ : لَسْتُ أَحِبُّ الظُّلْمَ وَإِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ يَظْلِمَ فَلَانِ فَلَانًا فِيَعَاقِبُ .**

وقوله **(وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ)** يقول: **وإن تؤمنوا بربكم وتطيعوه، يرض شكريكم له، وذلك هو إيمانهم به وطاعتهم إياه، فكفى عن الشكر ولم يندكّر، وإنما ذكر الفعل الدالّ عليه، وذلك نظير قوله (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَاجَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا) بمعنى: فزادهم قول الناس لهم ذلك إيمانًا.**

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **(وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ)** قال: **إن تطيعوا يرضه لكم.**

وقوله **(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)** يقول: **لأنّهم آثمة إنّهم آثمة أخرى غيرها، ولا تؤاخذ إلا بإثم نفسها. يُعَلِّمُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ أَنْ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ مَا جَنَّتْ ، وَأَنَّهَا لَا تَأْخُذُ بِذَنْبِ غَيْرِهَا .**

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)** قال: **لا يؤخذ أحد بذنب أحد.**

وقوله **(ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)** يقول تعالى ذكره: **ثم بعد اجتراحكم في الدنيا ما اجتراحتم من صالح وسيئ، وإيمان وكفر أيها الناس، إلى ربكم مصيركم من بعد وفاتكم، فينبئكم: يقول: فيخبركم بما كنتم في الدنيا تعملونه من خير وشر، فيجازيكم على كلّ ذلك جزاءكم، المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بما يستحقه، يقول عزّ وجلّ لِعِبَادِهِ: فَاتَّقُوا أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ وَقَدْ عَمَلْتُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَا لَا يَرْضَاهُ مِنْكُمْ فَهَلِكُوا ، فَإِنَّهُ لَا يُخْفِي عَلَيْهِ عَمَلٌ مِنْكُمْ .**

وقوله **(إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)** يقول تعالى ذكره: **إن الله لا يخفى عليه ما أضمرته صدوركم أيها الناس مما لا تدركه أعينكم، فكيف بما أدركته العيون، ورأته الأبصار؟ وإنما يعنى جلّ وعزّ بذلك، الخبر عن أنه لا يخفى عليه شيء، وأنه مُحْصٍ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَعْمَالَهُمْ ، لِيَجْازِيَهُمْ بِهَا ، كَمَا يَقْوَاهُ فِي سِرِّ أُمُورِهِمْ وَعَلَانِيَتِهَا .**

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ، ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَىٰ إِلَهِهِ مِنْ قَبْلُ ، وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، قُلْ : تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨)﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا مسّ الإنسان بلاء في جسده من مرض ، أو عاهة ، أو شدة في معيشته ، وجهد وضيق (دَعَا رَبَّهُ) يقول : استغاث بربه الذي خلقه من شدة ذلك ، ورغب إليه في كشف ما نزل به من شدة ذلك . وقوله (مُنِيْبًا إِلَيْهِ) يقول : تائبًا إليه مما كان من قبل ذلك عليه من الكفر به ، وإشراك الآلهة والأوثان به في عبادته ، راجعا إلى طاعته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ) قال : الوجع والبلاء والشدة ، (دَعَا رَبَّهُ مُنِيْبًا إِلَيْهِ) قال : مستغيثا به .
وقوله (ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ) يقول تعالى ذكره : ثم إذا منحه ربه نعمة منه ، يعنى عافية ، فكشف عنه ضره ، وأبدله بالسقم صحة ، وبالشدة رخاء . والعرب تقول لكل من أعطى غيره من مال أو غيره : قد خوّله ؛ ومنه قول أبي النجم العجيبى :

أَعْطَى فَلَمْ يُبْخَلْ وَلَمْ يُبْخَلْ كَوْمَ الذَّرَامِينِ خَوَّلِ الْمُخَوَّلِ

وحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه قال : سمعت أبا عمرو يقول في بيت زهير :

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْوَلُوا الْمَالَ يُخْوَلُوا وَإِنْ يُسْتَلُوا يُعْطَوُا وَإِنْ يُبْسِرُوا يُغْلَوُا

قال معمر : قال يونس : إنما سمعناه :

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْبَلُوا الْمَالَ يُجْبَلُوا^٣

قال : وهى بمعناها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ) : إذا أصابته عافية أو خير .

(١) البيت لأبي النجم العجل الراجز المشهور (اللسان : خول) . وهو يمدح إنسانا أنه أعطى من سأله النوق السمينة العالية السنام ، والذرا : جمع ذروة ، وهو أعلى الشيء . وهى بما خوله الله ومنحه ، وكان عطاؤه كثيرا ، فلم يبخل به ، ولم ينسبه أحد إلى البخل . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢١٦) ، عند قوله تعالى : « ثم إذا خوله نعمة منه » : كل مال لك ، وكل شئ أعطيت فقد خولته ؛ قال أبو النجم : « أعطى فلم يبخل . . . البيت » .

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى المزنى (مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلق السقا ص ٢٣٩) والرواية فيه « يستخلبوا » في موضع يستخولوا قال في اللسان : والاستخوال أيضا مثل الاستخبال ، من أخبلته المال : إذا أعرته ناقة ، لينتفع بألبانها وأوبارها ، أو فرسا يفترو عليه . ومنه قول زهير : « هنالك إن يستخولوا المال . . . البيت . ومعنى يبسروا : يقامروا . ويقولوا : يختاروا سمان الإبل بالتمن الغالى ، ويقامروا عليها . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (٢١٦) ب قال : وسمعت أبا عمرو يقول في بيت زهير « هنالك . . . الخ » : قال يونس : إنما سمعناه : « هنالك إن يستخلبوا المال . أى يخبوا ، وهو بمعناها .

(٣) تقدم الكلام على رواية هذا الشطر من بيت زهير بن أبي سلمى ، في الشاهد الذي قبله .

وقوله (نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ) يقول : ترك دعاءه الذي كان يدعو إلى الله من قبل أن يكشف ما كان به من ضرر (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا) يعني : شركاء .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (نَسِيَ) يقول : ترك ، هذا في الكافر خاصة .

و « لما » التي في قوله (نَسِيَ مَا كَانَ) وجهان : أحدهما : أن يكون بمعنى الذي ، ويكون معنى الكلام حينئذ : ترك الذي كان يدعو به في حال الضر الذي كان به ، يعني به الله تعالى ذكره ، فتكون « ما » موضوعة عند ذلك موضع « مَنْ » كما قيل : (وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) يعني به الله ، وكما قيل : (فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) . والثاني أن يكون بمعنى المصدر على ما ذكرت . وإذا كانت بمعنى المصدر ، كان في الهاء التي في قوله (إِلَيْهِ) وجهان : أحدهما : أن يكون من ذكر « ما » . والآخر : من ذكر الرب .

وقوله (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا) يقول : وجعل لله أمثالا وأشباهها .

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي جعلوها فيه : له أندادا ، قال بعضهم : جعلوها له أندادا في طاعتهم إياه ، في معاصي الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا) قال : الأنداد من الرجال : يطيعونهم في معاصي الله .

وقال آخرون : عني بذلك أنه عبد الأوثان ، فجعلها لله أندادا في عبادتهم إياها :

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : عني به أنه أطاع الشيطان في عبادة الأوثان ، فجعل له الأوثان أندادا ، لأن ذلك في سياق عتاب الله إياهم على عبادتها .

وقوله (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) يقول : ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده ، والإقرار به ، والدخول في الإسلام . وقوله (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لفاعل ذلك : تمتع بكفرك بالله قليلا إلى أن تستوفي أجلك ، فتأتيك منيتك (إِنَّكَ مِنَ الْأَخْسَابِ النَّارِ) : أي إنك من أهل النار الماكنين فيها .
وقوله (تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ) : وعيد من الله وتهديد .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمَّنْ هُوَ قَنْتَرْنَا نَاَءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ، قُلْ : هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ، وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)

اختلفت القراء في قراءة قوله (أَمَّنْ) ، فقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وعامة الكوفيين : (أَمَّنْ) ، بتخفيف الميم ، ولقراءتهم ذلك كذلك وجهان : أحدهما أن يكون الألف في « أَمَّنْ » بمعنى الدعاء ، يراد بها : يا من هو قانت آناء الليل ، والعرب تنادى بالألف كما تنادى بيا ، فتقول : أزيد أقبيل ، وبأزيد أقبيل ؛ ومنه قول أوس بن حجر :

أَبْنِي لُبَيْتِي لَسْتُمْ بِبَيْدٍ إِلَّا يَدٌ لَبَسَتْ لَهَا عَضُدًا

وإذا وجهت الألف إلى النداء كان معنى الكلام : قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلا ، إنك من أصحاب النار ، ويا من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ، إنك من أهل الجنة ، ويكون في النار عني للفريق الكافر عند الله من الجزء في الآخرة ، الكفاية عن بيان ما للفريق المؤمن ، إذ كان معلوما اختلاف أحوالهما في الدنيا ، ومعقولا أن أحدهما إذا كان من أصحاب النار لكفره بربه ، أن الآخر من أصحاب الجنة ، فحذف الخبر عما له ، اكتفاء بفهم السامع المراد منه من ذكره ، إذ كان قد دل على المحذوف بالمذكور . والثاني : أن تكون الألف التي في قوله (أَمَّنْ) ألف استفهام ، فيكون معنى الكلام : أهذا كالذي جعل لله أندادا ليضل عن سبيله ، ثم اكتفى بما قد سبق من خبر الله عن فريق الكفر به من أعدائه . إذ كان مفهوما المراد بالكلام ، كما قال الشاعر :

فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنَّ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا

فحذف لدفعناه وهو مراد في الكلام إذ كان مفهوما عند السامع مراده . وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة : (أَمَّنْ) بتشديد الميم ، بمعنى : أم من هو ؟ ويقولون : إنما هي (أَمَّنْ) استفهام اعترض في الكلام بعد كلام قد مضى ، فجاء بأَمْ ، فعلى هذا التأويل ، يجب أن يكون جواب الاستفهام متروكا من أجل أنه قد جرى الخبر عن فريق الكفر ، وما أعد له في الآخرة ، ثم أتبع الخبر عن فريق الإيمان ، فعلم بذلك المراد ، فاستغنى بمعرفة السامع بمعناه من ذكره ، إذ كان معقولا أن معناه : هذا أفضل أم هذا ؟

(١) تقدم الاستشهاد بالبيت في الجزء (١٤ : ١١٠) وشرحناه شرحا مفصلا ، فراجعه ثمة . والبيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٤) وموضع الاستشهاد به في هذا الموضع : أن العرب تنادى بالهمزة ، كما تنادى بيا . قال الفراء : عند قوله تعالى « أم من هو قانت آناء الليل » قرأها يحيى بن وثاب بالتخفيف . وذكر ذلك عن نافع وحزرة ، وفسروها : يريد : يا من هو قانت ، وهو وجه حسن . العرب تدعو بالألف كما يدعون بيا ، فيقولون : يا زيد أقبيل ، وأزيد أقبيل ؛ قال الشاعر : « أبنى لبني . . . البيت » . وقال آخر : « أضمير بن ضمرة . . . البيت » . وهو كثير في الشعر ، فيكون المعنى مردودا بالدعاء ، كالمسوق ، لأنه ذكر التامني الكافر ، ثم قص قصة الصالح بالنداء ، كما تقول في الكلام : فلان لا يصل ولا يصوم ، فيأمن يصل ويصوم أبشر . فهذا هو معناه . وقد تكون الألف استفهاما ، بتأويل أم ، لأن العرب قد تضع « أم » في موضع الألف ، إذا سبقها كلام ، وقد وصفت من ذلك ما يكتفى به ، فيكون المعنى : أم من هو قانت ؟ كالأول الذي ذكره بالنسيان والكفر . ومن قرأها بالتشديد ، فإنه يريد معنى الألف ، وهو الوجه : أن تجعل « أم » إذا كانت مردودة على معنى قد سبق ، قلبها بأَمْ . وقد قرأها الحسن وعاصم وأبو جعفر المدني ، يريدون : « أم من هو » . فقد تبين في الكلام أنه مضمرة قد جرى معناه في أول الكلمة ، إذ ذكر الضال ، ثم ذكر المهتدي بالاستفهام ، فهو دليل على أنه يريد : أهذا مثل هذا ؟ أو أهذا أفضل ؟ ومن لم يعرف مذاهب العرب ، ويتبين له المعنى في هذا وشبهه ، لم يكتف ولم يشفق . اهـ .

(٢) تقدم الاستشهاد بالبيت ، وشرحناه مفصلا في الجزء (١٢ : ١٨) فراجعه ثمة . وقد أورده الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٤) بعقب كلامه التي نقلناه عنه في الشاهد السابق على هذا ، قال : ألا ترى قول الشاعر « فأقسم لو شئنا أنا رسول الله » . البيت « أن معناه : لو أننا رسول غيرك لدفعناه ، فعلم المعنى ولم يظهر . وجرى قوله « أفن شرح الله صدره للإسلام » على مثل هذا .

والقول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان ، قرأ بكل واحدة علماء من القراء ، مع صحة كل واحدة منهما في التأويل والإعراب ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين ، والصواب من القول عندنا فيما مضى قبل ، في معنى القانت ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، غير أننا نذكر بعض أقوال أهل التأويل في ذلك في هذا الموضع ، ليعلم الناظر في الكتاب اتفاق معنى ذلك في هذا الموضع وغيره ، فكان بعضهم يقول : هو في هذا الموضع قراءة القارئ قائماً في الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى ، عن عبيد الله ، أنه قال : أخبرني نافع ، عن ابن عمر ، أنه كان إذا سُئِلَ عن القنوت ، قال : لأعلم القنوت إلا قراءة القرآن وطول القيام ، وقرأ (أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا) .

وقال آخرون : هو الطاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ) يعني بالقنوت : الطاعة ، وذلك أنه قال : (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةَ مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) . . . إلى (كُلُّ لَهُ قَائِمُونَ) قال : مطيعون .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا) قال : القانت : المطيع .

وقوله (آتَاءَ اللَّيْلِ) يعني : ساعات الليل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ آتَاءَ اللَّيْلِ) أوله ، وأوسطه ، وآخره .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (آتَاءَ اللَّيْلِ) قال : ساعات الليل ، وقد مضى بياننا عن معنى الآتاء بشواهد ، وحكاية أقوال أهل التأويل فيها ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (سَاجِدًا وَقَائِمًا) يقول : يقنت ساجداً أحياناً ، وأحياناً قائماً ، يعني : يطيع ، والقنوت عندنا : الطاعة ، ولذلك نصب قوله (سَاجِدًا وَقَائِمًا) لأن معناه : أَمَّنْ هُوَ يقنت آتاء الليل ساجداً طوراً ، وقائماً طوراً ، فهما حال من قانت .

وقوله (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) يقول : يحذر عذاب الآخرة . كما حدثنا علي بن الحسن الأزدي . قال : ثنا يحيى ابن إيمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جببير ، عن ابن عباس ، في قوله (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) قال : يحذر عقاب الآخرة ، ويرجو رحمة ربه ، يقول : ويرجو أن يرحمه الله ، فيدخله الجنة .

وقوله (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لقومك : هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب ، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات ، والذين لا يعلمون ذلك ، فهم يخطون في عشواء ، لا يرجون بحسن أعمالهم خيرا ، ولا يخافون بسئتها شرا ؟ يقول : ما هذان بمتساويين .

وقد روى عن أبي جعفر محمد بن علي في ذلك ما حدثني محمد بن خلف ، قال : ثنا نصر بن مزاحم ، قال : ثنا سفيان بن الحريري ، عن سعيد بن أبي مجاهد ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، رضوان الله عليه (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) قال : نحن الذين يعلمون ، وعدوتنا الذين لا يعلمون . وقوله (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) يقول تعالى ذكره : إنما يعتبر حجج الله ، فيتعظ ، ويتفكر فيها ، ويتدبرها أهل العقول والحجا ، لا أهل الجهل والنقص في العقول .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ، إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)

يقول تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يا محمد لعبادي الذين آمنوا : (يا عِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا) بالله ، وصدقوا رسوله (اتَّقُوا رَبَّكُمْ) بطاعته ، واجتناب معاصيه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) .

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : للذين أطاعوا الله حسنة في هذه الدنيا ، وقال : « في » : من صلة حسنة ، وجعل معنى الحسننة : الصحة والعافية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) قال : العافية والصحة .

وقال آخرون « في » من صلة أحسنوا ، ومعنى الحسننة : الجنة .

وقوله (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) يقول تعالى ذكره : وأرض الله فسيحة واسعة ، فهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) فهاجروا واعتزلوا الأوثان .

وقوله (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يقول تعالى ذكره : إنما يعطي الله أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا ، أجرهم في الآخرة بغير حساب : يقول : ثوابهم بغير حساب .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) : لا والله ما هناك مكيال ولا ميزان .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) قال : في الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ: إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢)

قُلْ: إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركى قومك : إن الله أمرنى أن أعبده مُتَمَرِّدًا له الطاعة ، دون كل ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد (وأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) : يقول : وأمرنى ربى جل ثناؤه بذلك ، لأن أكون بفعل ذلك أول من أسلم منكم ، فخضع له بالتوحيد ، وأخلص له العبادة ، وبرئ من كل ما دونه من الآلهة . وقوله تعالى (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) : يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهم إنى أخاف إن عصيت ربى ، فيما أمرنى به من عبادته ، مخلصا له الطاعة ، ومفرده بالربوبية . (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) : يعنى عذاب يوم القيامة ، وذلك هو اليوم الذى يعظم هولُه .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ، قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ

خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركى قومك : الله أعبد مخلصا ، مفردا له طاعتى وعبادتى ، لأجعل له فى ذلك شريكا ، ولكنى أفرده بالآلوهة ، وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة ، فاعبدوا أنتم أيها القوم ، ما شئتم من الأوثان والأصنام وغير ذلك ، مما تعبدون من سائر خلقه ، فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك إذا لقيتم ربكم .

وقوله (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهم : إن الخالكن الذين غلبتوا أنفسهم ، وهلكت بعذاب الله أهلهم مع أنفسهم ، فلم يكن لهم إذ دخلوا النار فيها أهل ، وقد كان لهم فى الدنيا أهلون .

وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : هم الكفار الذين خلقهم الله للنار ، وخلق النار لهم ، فزالت عنهم الدنيا ، وحرمت عليهم الجنة ، قال الله : (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ) .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : هؤلاء أهل النار ، خسروا أنفسهم في الدنيا ، وخسروا الأهلين ، فلم يجدوا في النار أهلاً ، وقد كان لهم في الدنيا أهل .

حدثت عن ابن أبي زائدة ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، قال : غَسَبُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ ، قال : يخسرون أهلهم ، فلا يكون لهم أهل يرجعون إليهم ، ويخسرون أنفسهم ، فيهلكون في النار ، فيموتون وهم أحياء ، فيخسرونهما .

وقوله (أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) يقول تعالى ذكره : ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ، وذلك هلاكها هو الخسران المبين ، يقول تعالى ذكره : هو الهلاك الذي يُبِينُ لمن عاينه وعلمه أنه الخسران .

القول في تأويل قوله تعالى

لَهُمْ مِّنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ، ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ عِبَادٍ فَاتَّقُونَ (١٦) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ ، لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٨)

يقول تعالى ذكره هؤلاء الخاسرين يوم القيامة في جهنم (مِن قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ) وذلك كهيئة الظلل المبنية من النار (وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) يقول : ومن تحتهم من النار ما يعلوهم ، حتى يصير ما يعلوهم منها من تحتهم ظلالاً ، وذلك نظير قوله جل ثناؤه : (لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ، وَمِن قَوْفِهِمْ غَوَاشٍ) يغشاهم مما تحتهم فيها من المهاد .

وقوله (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ) ، يا عباد فاتقون (يقول تعالى ذكره : هذا الذي أخبرتكم أيها الناس به ، مما للخاسرين يوم القيامة من العذاب ، تخويف من ربكم لكم ، يخوفكم به لتعذروه ، فتجتنبوا معاصيه ، وتنبوا من كفركم إلى الإيمان به ، وتصديق رسوله ، واتباع أمره ونهيه ، فتنجوا من عذابه في الآخرة . (فاتقون) يقول : فاتقون بأداء فرائض عليكم ، واجتناب معاصي ، لتنجوا من عذابي وخطي .

وقوله (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ) : أى اجتنبوا عبادة كل ما عُبِدَ من دون الله من شئ .
وقد بيننا معنى الطاغوت فيما مضى قبلُ بشواهد ذلك ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه ، بما أغنى عن إعادته
في هذا الموضع ، وذكرنا أنه في هذا الموضع : الشيطان ، وهو في هذا الموضع وغيره بمعنى واحد عندنا .
ذكر من قال ما ذكرنا في هذا الموضع

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ)
قال : الشيطان .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ
يَعْبُدُوهَا) قال : الشيطان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا
الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا) قال : الشيطان هو هاهنا واحد وهي جماعة ، والطاغوت على قول ابن زيد
هذا : واحد مؤنث ، ولذلك قيل : أن يعبدوها . وقيل : إنما أنثت لأنها في معنى جماعة .

وقوله (وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ) يقول : وتابوا إلى الله ، ورجعوا إلى الإقرار بتوحيده ، والعمل بطاعته ،
والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ) : وأقبلوا إلى الله .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ) قال :
أجابوا إليه .

وقوله (لَّهُمْ الْبُشْرَى) يقول : لهم البشرى في الدنيا بالجنة في الآخرة : (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ
يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ) يقول جل ثناؤه لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : فبشر يا محمد عبادى الذين يستمعون
القول من القائلين ، فيتبعون أرشده وأهداه إلى الحق ، وأدله على توحيد الله ، والعمل بطاعته ، ويتركون
ما سوى ذلك من القول الذى لا يدل على رشاد ، ولا يهدى إلى سداد .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) وأحسنه طاعة الله .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)
قال : أحسن ما يؤمرون به فيعملون به .

وقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ) يقول تعالى ذكره : الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه :

الذين هداهم الله ، يقول : وفقهم الله للرشاد ، وإصابة الصواب ، لا الذين يُعْرِضُونَ عن سماع الحق ، ويعبدون ما لا يضر ، ولا ينفع . وقوله (أُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) يعني : أولو العقول والحجج . وذكر أن هذه الآية نزلت في رهط معروفين وحدوا الله ، وبرثوا من عبادة كل ما دون الله ، قبل أن يُبعث نبي الله ، فأنزل الله هذه الآية على نبيه يمدحهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا . . .) الآيتين ، حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون : لا إله إلا الله : زيد بن عمرو ، وأبي ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، نزل فيهم (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا) في جاهليتهم (وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ ، لَهُمُ الْبُشْرَى ، فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) لا إله إلا الله ، أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولا نبي (وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ؟ (١٩) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ (٢٠)

يعني تعالى ذكره بقوله (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ) : أفمن وجبت عليه كلمة العذاب في سابق علم ربك يا محمد بكفره به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ) بكفره .

وقوله (أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ؟) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : أفأنت تنقذ يا محمد من هو في النار ، من حق عليه كلمة العذاب ، فأنت تنقذه ، فاستغنى بقوله (تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ) عن هذا . وكان بعض نحوي الكوفة يقول : هذا مما يراد به استفهام واحد ، فيسبق الاستفهام إلى غير موضعه ، فيرد الاستفهام إلى موضعه الذي هو له . وإنما المعنى والله أعلم : أفأنت تنقذ من في النار من حقت عليه كلمة العذاب . قال : ومثله من غير الاستفهام (أَيْعِدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ) فردد أنكم مرتين . والمعنى والله أعلم : أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم ، ومثله قوله (لَا تُحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ، وَيُحْسِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ) . وكان بعضهم يستخطي القول الذي حكيناه عن البصريين ، ويقول لانكون في قوله (أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ) كناية عن تقدم ، لا يقال : القوم ضربت من قام ، يقول

المعنى : التجربة أفأنت تنفذ من في النار منهم . وإنما معنى الكلمة : أفأنت تهدي يا محمد من قد سبق له في علم الله أنه من أهل النار إلى الإيمان ، فتنقذه من النار بالإيمان ، لست على ذلك بقادر .
 وقوله (لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ) يقول تعالى ذكره : لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه ، لم في الجنة غرف من فوقها غرف مبنية ، علالي بعضها فوق بعض (تَجْرِي مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يقول تعالى ذكره : تجري من تحت أشجار جناتها الأنهار .
 وقوله (وَعَدَّ اللَّهُ) يقول جل ثناؤه : وعدنا هذه الغرف التي من فوقها غرف مبنية في الجنة ، هؤلاء المتقين (لَا يُخَلِّفُ اللَّهُ الْمِعَادَ) يقول جل ثناؤه : والله لا يخلفهم وعده ، ولكنه يوفى بوعده .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ، ثُمَّ يَهْبِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَدَلِيلًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (٢١)
 يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : (أَلَمْ تَرَ) يا محمد (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) وهو المطر (فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ) يقول : فأجراه عيوناً في الأرض ، واحدها ينبوع ، وهو ما جاش من الأرض .
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، فى قوله (فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ) قال : كل ندى وماء فى الأرض من السماء نزل .
 قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الحسن بن مسلم بن بيان ، قال : ثم أنبت بذلك الماء الذى أنزله من السماء ، فجعله فى الأرض عيوناً ، زرعاً (مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ) يعنى : أنواعاً مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز ، ونحو ذلك من الأنواع المختلفة (ثُمَّ يَهْبِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا) يقول : ثم يبس ذلك الزرع من بعد خضرته ، يقال للأرض إذا يبس ما فيها من الخضر وذوى : هاجت الأرض ، وهاج الزرع .
 وقوله (فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا) يقول : فتراه من بعد خضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر ، وكذلك الزرع إذا يبس اصفر (ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) والخطام : فتات التبن والحشيش ، يقول : ثم يجعل ذلك الزرع بعد ما صار يابساً فتاتاً متكسراً .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَدَلِيلًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) يقول تعالى ذكره : إن فى فعل الله ذلك ، كالذى وصف ، لذكري وموعظة لأهل العقول والحجا ، يتذكرون به ، فيعلمون أن من فعل ذلك فلن يتعذر عليه إحداث ما شاء من الأشياء ، وإنشاء ما أراد من الأجسام والأعراض ، وإحياء من هلك من خلقه من بعد مماته ، وإعادة

من بعد فنائه ، كهيبته قبل فنائه ، كالذي فُعِلَ بالأرض التي أنزل عليها من بعد موتها الماء ، فأثبت بها الزرعَ المختلف الألوان بقدرته .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ، فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ،

أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : أفمن فسّح الله قلبه لمعرفة ، والإقرار بوحدايته ، والإذعان لربوبيته ، والخضوع لطاعته ، (فهو على نورٍ من ربه) يقول : فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين ، بتنوير الحق في قلبه ، فهو لذلك لأمر الله متبع ، وعمانها عنه منته فيما يرضيه ، كمن أقسى الله قلبه ، وأخلاه من ذكره ، وضيعه عن استماع الحق ، واتباع الهدى ، والعمل بالصواب ، وترك ذكر الذي أقسى الله قلبه ، وجواب الاستفهام ، اجترأ بمعرفة السامعين المراد من الكلام ، إذ ذكر أحد الصنفين ، وجعل مكان ذكر الصنف الآخر الخبر عنه ، بقوله : (فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه) يعني : كتاب الله هو المؤمن به يأخذ ، وإليه ينتهي .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (أفمن شرح الله صدره للإسلام) قال : وسع صدره للإسلام ، والنور : الهدى .

حدثت عن ابن أبي زائدة ، عن ابن جرير ، عن مجاهد (أفمن شرح الله صدره للإسلام) قال : ليس المنشرح صدره مثل القاسي قلبه .

قوله (فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله) يقول تعالى ذكره : فويل للذين جفمت قلوبهم ، ونأت عن ذكر الله وأعرضت ، يعني عن القرآن الذي أنزله تعالى ذكره ، مذكراً به عباده ، فلم يؤمن به ، ولم يصدق بما فيه . وقيل (من ذكر الله) والمعنى : عن ذكر الله ، فوضعت من مكان عن ، كما يقال في الكلام : أتخمت من طعام أكلته ، وعن طعام أكلته ، بمعنى واحد .

وقوله (أولئك في ضلالٍ مبين) يقول تعالى ذكره : هؤلاء القاسية قلوبهم من ذكر الله في ضلالٍ مبين ، لمن تأمله وتدبره بفهم ، أنه في ضلالٍ عن الحق جائر .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي ، تَتَشَعَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ،

ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)

❦ يقول تعالى ذكره : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا) يعنى به القرآن (مُتَشَابِهًا) يقول : يشبهه بعضه بعضا ، لا اختلاف فيه ، ولا تضاد .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا) : الآية تشبه الآية ، والحرف يشبه الحرف .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (كِتَابًا مُتَشَابِهًا) قال : المتشابه : يشبه بعضه بعضا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله (كِتَابًا مُتَشَابِهًا) قال : يشبه بعضه بعضا ، ويصدق بعضه بعضا ، ويدل بعضه على بعض .
وقوله (مَثَانِي) يقول : تُثَنِّي فِيهِ الْأَنْبَاءُ وَالْأَخْبَارُ وَالْقَضَاءُ وَالْأَحْكَامُ وَالْحُجَجُ .
وينحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علبية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي) قال : ثنى الله فيه القضاء ، تكون السورة فيها الآية في سورة أخرى آية تشبهها ، وسئل عنها عكرمة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي) قال : في القرآن كله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَثَانِي) قال : ثنى الله فيه الفرائض ، والقضاء ، والحدود .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَثَانِي) قال : كتاب الله مثنى ، ثنى فيه الأمر مرارا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، في قوله (مَثَانِي) قال : كتاب الله مثنى ، ثنى فيه الأمر مرارا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، في قوله (مَثَانِي) ثنى في غير مكان : حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (مَثَانِي) مردد ، ردد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء في أمكنة كثيرة .

(١) الذى في الدر : وسئل عنها عكرمة ، فقال : ثنى الله فيه القضاء .

وقوله (تَقَشَّعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) : يقول تعالى ذكره : تقشعر من سماعه إذا تلى عليهم ، جلود الذين يخافون ربهم (ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقَلُّوا بِهِمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) يعنى إلى العمل بما فى كتاب الله ، والتصديق به .

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أجل أن أصحابه سألوه الحديث .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأودى ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن أيوب بن موسى ، عن عمرو الملقب عن ابن عباس ، قالوا : « يا رسول الله ، لو حدثتنا ؟ قال : فنزلت (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) » .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، قال : قالوا : يابى الله ، فذكر مثله .

(ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ) : يقول تعالى ذكره : هذا الذى يصيب هؤلاء القوم الذين وصفت صفتهم عند سماعهم القرآن ، من اقشعرار جلودهم ، ثم لينها ولين قلوبهم إلى ذكر الله من بعد ذلك ، (هُدَى اللَّهِ) يعنى : توفيق الله إياهم ، وفهمهم له (يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ) يقول : يهدى تبارك وتعالى بالقرآن من يشاء من عباده .

وقد يتوجه معنى قوله (ذَلِكَ هُدَى) إلى أن يكون ذلك من ذكر القرآن ، فيكون معنى الكلام : هذا القرآن بيان الله يهدى به من يشاء : يوفق للإيمان به من يشاء .

وقوله (وَمَنْ يَضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) يقول تعالى ذكره : ومن يخذله الله عن الإيمان بهذا القرآن ، والتصديق بما فيه ، فيضله عنه ، فما له من هادٍ : يقول : فما له من موقفٍ له ، ومسدد يسدده فى اتباعه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَّجْهِ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤)
كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٥)

اختلف أهل التأويل فى صفة اتقاء هذا الضال بوجهه سوء العذاب ، فقال بعضهم : هو أن يرمى به فى جهنم ، مكبوا على وجهه ، فذلك اتقاؤه إياه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ) قال : يخبر على وجهه فى النار ، يقول : هو مثل (أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَبِيرًا ، أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ؟

وقال آخرون : هو أن يُسْطَلَقَ به إلى النار مكتوفاً، ثم يُرْمَى به فيها ، فأول ما تَمَسَّ النار وجهه ، وهذا قول يُذكر عن ابن عباس ، من وجه كرهت أن أذكره ، لضعف سنده ، وهذا أيضاً مما تُرِكَ جوابه ، استغناءً بدلالة ما ذُكِرَ من الكلام عليه عنه . ومعنى الكلام : أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة خير ، أم من ينعم في الجنان ؟

وقوله (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) يقول : ويُقال يومئذ للظالمين أنفسهم بإكسابهم إياها مُخْطِطُ الله ، ذوقوا اليوم أيها القوم وبال ما كنتم في الدنيا تَكْسِبُونَ من معاصي الله .
وقوله (كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) يقول تعالى ذكره : كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ من قُرَيْشٍ ، من الأمم الذين مَضَوْا في الدهور الخالية رسلهم (فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) : يقول : فجاءهم عذاب الله من الموضع الذي لا يشعرون : أي لا يعلمون بمجيئه منه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَذَاهُمُ اللَّهُ أَلْحَزِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : فعجل الله لهؤلاء الأمم الذين كذبوا رسلهم الهوان في الدنيا ، والعذاب قبل الآخرة ، ولم يُسْطَلِقْهُمُ إذ عتوا عن أمر ربهم (وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ) يقول : والعذاب الله إياهم في الآخرة إذا أدخلهم النار ، فعذبهم بها ، أكبر من العذاب الذي عذبهم به في الدنيا ، لو كانوا يعلمون : يقول : لو علم هؤلاء المشركون من قريش ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ، لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : ولقد مثلنا لهؤلاء المشركين بالله ، من كلِّ مَثَلٍ من أمثال القُرُونِ للأمم الخالية ، تخويفاً منا لهم وتحذيراً (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول : ليتذكروا فينزعوا عما هم عليه مُتَمَيِّمُونَ من الكفر بالله .
وقوله (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) يقول تعالى ذكره : لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلِّ مَثَلٍ قُرْآنًا عَرَبِيًّا (غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) يعني : ذِي لَبْسٍ .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) : غير ذِي لَبْسٍ . ونصب قوله (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) على الحال من قوله : هذا القرآن ، لأن القرآن معرفة ، وقوله (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) نكرة .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يقول : جعلنا قرآنا عربيا ، إذ كانوا عربا ، ليفهموا ما فيه من المواعظ ، حتى يتقوا ما حذرهم الله فيه من بأسه وسطوته ، فينبوا إلى عبادته ، وإفراد الألوهة له ، ويتبرءوا من الأنداد والآلهة .

القول في تأويل قوله تعالى

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ ، وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ ، هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : مثل الله مثلا للكافر بالله ، الذي يعبد آلهة شتى ، ويطيع جماعة من الشياطين ؛ والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد ، يقول تعالى ذكره : ضرب الله مثلا لهذا الكافر رجلا فيه شركاء . يقول : هو بين جماعة مالكين متشاكسين ، يعنى مختلفين متنازعين ، سيئة أخلاقهم ، من قولهم : رجل شكيس : إذا كان سيئ الخلق ، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه وميلته فيه ، ورجلا سلما لرجل : يقول : ورجلا خلوصا لرجل ، يعنى المؤمن الموحد ، الذي أخلص عبادته لله ، لا يعبد غيره ، ولا يدين لشيء سواه بالربوبية ؛ واختلفت القراء في قراءة قوله (وَرَجُلًا سَلَمًا) فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والبصرة (وَرَجُلًا سَالِمًا لِرَجُلٍ) ، وتأولوه بمعنى : رجلا خالصا لرجل . وقد روى ذلك أيضا عن ابن عباس .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن جرير بن حازم ، عن حميد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : أنه قرأها (سَالِمًا لِرَجُلٍ) يعنى بالألف ، وقال : ليس فيه لأحد شيء . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة (وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ) بمعنى : صلحا .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، وذلك أن السلم مصدر ، من قول القائل : سلم فلان لله سلما ، بمعنى : خلص له خلوصا ، تقول العرب : ربح فلان في تجارته ربحا وربحا ، وسلم سلما وسلما ، وسلامة ، وأن السلم من صفة الرجل ، وسلم مصدر من ذلك . وأما الذي توهمه من رغب عن قراءة ذلك ، سلما من أن معناه صلحا ، فلا وجه للصلح في هذا الموضع ، لأن الذي تقدم من صفة الآخر ، إنما تقدم

(١) قائل هذا : هو أبو عبيدة في مجاز القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٦٣٩٠ الورقة ١٥٩) .

(٢) ثم أجد في اللسان (سلم لله سلما) بالتحريك ، بالمعنى الذي أورده المؤلف هنا .

(٣) في (اللسان : ربح) : الربح (بالكسر) ، والرريح (بالتحريك) ، والرباح (بفتح الراء) : الخاء في التجار . قلت : وعل هذا ، فهما مصدران كما قال المؤلف . وقال : قال ابن الأعرابي : الربح والربيع ، مثل البذل والبذل . وقال الجوهري : مثل شبه وشبهه : هو اسم ما ربحه .

(٤) ضبط الثاني في اللسان ضبط قلم ، بفتح السين وسكون اللام ، عن أبي إسحاق الزجاج ، على أنه قراءة ، ولعله خطأ من الناسخ .

بالخبر عن اشراك جماعة فيه دون الخبر عن حربه بشيء من الأشياء فالواجب أن يكون الخبر عن مخالفه بخلوصه لواحد لا شريك له ، ولا موضع للخبر عن الحرب والصلح في هذا الموضع .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَالِمًا لِرَجُلٍ) قال : هذا مثل إله الباطل ، وإله الحق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) قال : هذا المشرك تتنازعه الشياطين ، لا يُقَرَّبُهُ بعضهم لبعض (وَرَجُلًا سَالِمًا لِرَجُلٍ) قال : هو المؤمن أخلص الدعوة والعبادة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) . . . إلى قوله (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) قال : الشركاء المتشاكسون : الرجل الذي يعبد آلهة شتى ، كل قوم يعبدون إلهًا يرضونه ، ويكفرون بما سواه من الآلهة ، فضرب الله هذا المثل لهم ، وضرب لنفسه مثلا ، يقول : رجلا سلِّم لرجل ، يقول : يعبدون إلهًا واحدا لا يختلفون فيه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) قال : مثل لأوثانهم التي كانوا يعبدون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ، وَرَجُلًا سَالِمًا لِرَجُلٍ) قال : رأيت الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون ، كلهم سبي الخلق ، ليس منهم واحد إلا تلقاه آخذًا بطرف من مال ، لاستخدامه أسوأؤهم ، والذي لا يملكه إلا واحد ، وإنما هذا مثل ضرب به الله هؤلاء الذين يعبدون الآلهة ، وجعلوا لها في أعناقهم حقوقًا ، فضربه الله مَثَلًا لهم ، وللذي يعبد وحده (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .
وفي قوله (وَرَجُلًا سَالِمًا لِرَجُلٍ) يقول : ليس معه شرك .

وقوله (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) يقول تعالى ذكره : هل يستوي مثل هذا الذي يخدم جماعة شركاء سيئة أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته ، مع منازعته شركاءه فيه ، والذي يخدم واحدا لا ينازعه فيه منازع ، إذا أطاعه عرف له موضع طاعته وأكرمه ، وإذا أخطأ صفح له عن خطيئته . يقول : فأى هذين أحسن حالا ، وأروح جسما ، وأقل تعبا ونصبا .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

(هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول: مَنْ اِخْتَلَفَ فِيهِ خَيْرٌ، أَمْ
مَنْ لَمْ يُخْتَلَفْ فِيهِ؟

وقوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ) يقول: الشكر الكامل ، والحمد التام لله وحده، دون كل معبود سواه :
وقوله (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول جل ثناؤه : وما يستوى هذا المشرك فيه، والذي هو منفرد
ملكته لواحد، بل أكثر هؤلاء المشركين بالله، لا يعلمون أنهما لا يستويان ، فهم يجاهلهم بذلك يعبدون آلهة
شئى من دون الله. وقيل : (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) ولم يقل : مَثَلَيْنِ لِأَنَّهُمَا كِلَاهُمَا ضَرْبًا مَثَلًا وَاحِدًا،
فجرى المثل بالتوحيد ، كما قال جل ثناؤه : (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً) إذ كان معناهما واحدا
في الآية .

والله أعلم .

تم الجزء الثالث والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

وبإيه الجزء الرابع والعشرون

أوله : القول في تأويل قوله تعالى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِلَهُمَّ مَيِّتُونَ)

جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

نَافِلَاتِ الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم
« ما أعلم على أديم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى ٣١٠ هـ

الجزء الرابع والعشرون

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

كتاب التبيان في

منه

كتاب التبيان في

في بيان...
...
...
...
...
...
...

في

كتاب التبيان في

كتاب التبيان في

كتاب التبيان في

كتاب التبيان في

كتاب التبيان في

كتاب التبيان في

فهارس الجزء الرابع والعشرين

من

جامع البيان ، عن تاويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للوضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
				سورة الزُّمَر	
٣٠	إنك ميّت وإنهم يميتون .	١	٥٢	أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق . . .	١٣
٣١	ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون .	١	٥٣	قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم . . .	١٣
٣٢	فمن أظلم ممن كذب على الله . . .	١	٥٤	وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له . . .	١٧
٣٣	والذي جاء بالصدق وصدق به . . .	٣	٥٥	واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم . . .	١٧
٣٤	لهم ما يشاءون عند ربهم . . .	٣	٥٦	أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت . . .	١٨
٣٥	ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا . . .	٥	٥٧	أو تقول لو أن الله هداني . . .	٢٠
٣٦	أليس الله بكاف عبده . . . ؟	٥	٥٨	أو تقول حين ترى العذاب . . .	٢٠
٣٧	ومن يهد الله فما له من مُضِلٍّ . . .	٥	٥٩	بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها . . .	٢١
٣٨	ولئن سألتهم من خلق السموات . . .	٦	٦٠	ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله . . .	٢١
٣٩	قل يا قوم اعملوا على مكانتكم . . .	٧	٦١	وينجي الله الذين اتقوا بمفاضتهم . . .	٢٢
٤٠	من يأتيه عذاب يُخزّيه . . .	٧	٦٢	الله خالق كل شيء . . .	٢٢
٤١	إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق . . .	٨	٦٣	له مقاليد السموات والأرض . . .	٢٣
٤٢	الله يتوفى الأنفس حين موتها . . .	٨	٦٤	قل أغير الله تأمروني أعبد . . .	٢٤
٤٣	أم اتخذوا من دون الله شفعاء . . .	٩	٦٥	ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك . . .	٢٤
٤٤	قل لله الشفاعة جميعا . . .	٩	٦٦	بل الله فاعبد وكن من الشاكرين .	٢٤
٤٥	وإذا ذكر الله وحده اشمأزت . . .	١٠	٦٧	وما قدروا الله حق قدره . . .	٢٤
٤٦	قل اللهم فاطر السموات والأرض . . .	١١	٦٨	ونفخ في الصور فصعق . . .	٢٩
٤٧	ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض . . .	١١	٦٩	وأشرق الأرض بنور ربها . . .	٣٢
٤٨	وبدا لهم سيئات ما كسبوا . . .	١١	٧٠	ووفيت كل نفس ما عملت . . .	٣٣
٤٩	فإذا مسّ الإنسان ضرر دعانا . . .	١٢	٧١	وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا . . .	٣٣
٥٠	قد قالها الذين من قبلهم . . .	١٢	٧٢	قيل : ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها .	٣٤
٥١	فأصابهم سيئات ما كسبوا . . .	١٢	٧٣	وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا .	٣٤
			٧٤	وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده . . .	٣٤
			٧٥	وترى الملائكة حافين من حول . . .	٣٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
				<u>سورة المؤمن</u>	
١	حم	٣٩	٢٧	وقال موسى إني عدتُ بربي . . .	٥٧
٢	تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم .	٣٩	٢٨	وقال رجل مؤمن من آل فرعون . . .	٥٧
٣	غافر الذنب وقابل التوب . . .	٣٩	٢٩	يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين .	٥٩
٤	ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا ... ٤٢	٣٩	٣٠	وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف . . .	٥٩
٥	كذبت قبلهم قوم نوح . . .	٤٢	٣١	مثل دأب قوم نوح . . .	٥٩
٦	وكذلك حقّت كلمة ربك . . .	٤٣	٣٢	ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد .	٦٠
٧	الذين يحملون العرش ومن حوله . . .	٤٣	٣٣	يوم تولون مدبرين . . .	٦٠
٨	ربنا وأدخلهم جناتٍ عدنٍ . . .	٤٥	٣٤	ولقد جاءكم يوسف من قبل . . .	٦٣
٩	وقهيم السيات، ومن تق السيات . . .	٤٥	٣٥	الذين يبادلون في آيات الله . . .	٦٣
١٠	إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر . . .	٤٦	٣٦	وقال فرعون: يا هامان ابن لي صرّحاً . . .	٦٤
١١	قالوا ربنا أمتنا اثنتين . . .	٤٦	٣٧	أسباب السموات ، فأطلع إلى إله . . .	٦٤
١٢	ذلكم بأنه إذا دُعِيَ الله وحده . . .	٤٨	٣٨	وقال الذي آمن يا قوم اتبعون . . .	٦٧
١٣	هو الذي يريكم آياته ، وينزل لكم . . .	٤٩	٣٩	يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع . . .	٦٧
١٤	فادعوا الله مخلصين له الدين . . .	٤٩	٤٠	من عمل سيئة فلا يُجزي إلا مثلها . . .	٦٧
١٥	رفيع الدرجات ذو العرش . . .	٤٩	٤١	ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة . . .	٦٨
١٦	يوم هم بارزون لا يخفى على الله . . .	٤٩	٤٢	تدعونني لأكفر بالله وأشرك به . . .	٦٨
١٧	اليوم تُجزى كل نفس بما كسبت . . .	٥١	٤٣	لاجرم أنما تدعونني إليه . . .	٦٨
١٨	وأنذرهم يوم الآزفة . . .	٥٢	٤٤	فستذكرون ما أقول لكم . . .	٧٠
١٩	يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .	٥٢	٤٥	فوقاه الله سيئات ما مكروا . . .	٧٠
٢٠	والله يقضى بالحق . . .	٥٢	٤٦	النارُ يعرضون عليها غدواً وعشياً . . .	٧١
٢١	أو لم يسيروا في الأرض . . .	٥٤	٤٧	وإذ يتحاجون في النار . . .	٧٣
٢٢	ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم . . .	٥٥	٤٨	قال الذين استكبروا إنا كل فيها . . .	٧٣
٢٣	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا . . .	٥٥	٤٩	وقال الذين في النار لخزنة جهنم . . .	٧٣
٢٤	إلى فرعون وهامان وقارون . . .	٥٥	٥٠	قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات . . .	٧٣
٢٥	فلما جاءهم بالحق من عندنا . . .	٥٦	٥١	إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا . . .	٧٤
٢٦	وقال فرعون : ذروني أقتل موسى . . .	٥٦	٥٢	يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم . . .	٧٤
			٥٣	ولقد آتينا موسى الهدى . . .	٧٦
			٥٤	هدى وذكرى لأولى الألباب .	٧٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٥	فاصبر إن وعد الله حق . . .	٧٦	٨٣	فلما جاءتهم رسلهم بالبينات	٨٨
٥٦	إن الذين يجادلون في آيات الله . . .	٧٦	٨٤	فلما رأوا بأسنا قالوا . . .	٨٩
٥٧	نخلقت السموات والأرض أكبر . . .	٧٧	٨٥	فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا . . .	٨٩
٥٨	وما يستوى الأعمى والبصير . . .	٧٧	<u>سورة فُصِّلَت</u>		
٥٩	إن الساعة لآتية لا ريب فيها . . .	٧٨	١	حم . . .	٩٠
٦٠	وقال ربكم ادعوني أستجب لكم . . .	٧٨	٢	تنزيل من الرحمن الرحيم . . .	٩٠
٦١	الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه . . .	٧٩	٣	كتاب فُصِّلَت آياته قرآنا عربيا . . .	٩٠
٦٢	ذلكم الله ربكم خالق كل شيء . . .	٨٠	٤	بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم . . .	٩٠
٦٣	كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله . . .	٨٠	٥	وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه . . .	٩١
٦٤	الله الذي جعل لكم الأرض قرارا . . .	٨٠	٦	قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي . . .	٩٢
٦٥	هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين . . .	٨٠	٧	الذين لا يؤتون الزكاة . . .	٩٢
٦٦	قل إنى نهيئت أن أعبد الذين تدعون . . .	٨١	٨	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٩٣
٦٧	هو الذى خلقكم من تراب . . .	٨٢	٩	قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق . . .	٩٣
٦٨	هو الذى يُنجي ويُميت . . .	٨٢	١٠	وجعل فيها رواسى من فوقها . . .	٩٥
٦٩	ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله . . .	٨٢	١١	ثم استوى إلى السماء وهى دُخان . . .	٩٥
٧٠	الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا . . .	٨٣	١٢	فقضاهن سبع سموات في يومين . . .	٩٩
٧١	إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل . . .	٨٣	١٣	فإن أعرضوا فقل أنذرتمكم . . .	١٠٠
٧٢	في الحميم ثم في النار يسجرون . . .	٨٣	١٤	إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم . . .	١٠٠
٧٣	ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون ؟ . . .	٨٣	١٥	فأما عاد فاستكبروا في الأرض . . .	١٠١
٧٤	من دون الله قالوا ضلوا عنا . . .	٨٣	١٦	فأرسلنا عليهم ريحا صرّصرا . . .	١٠١
٧٥	ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض . . .	٨٥	١٧	وأما ثمود فهديناهم . . .	١٠٤
٧٦	ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها . . .	٨٥	١٨	ونجيننا الذين آمنوا وكانوا يتقون . . .	١٠٤
٧٧	فاصبر إن وعد الله حق . . .	٨٦	١٩	ويوم يُحشر أعداء الله إلى النار . . .	١٠٦
٧٨	ولقد أرسلنا رسلا من قبلك . . .	٨٦	٢٠	حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم . . .	١٠٦
٧٩	الله الذى جعل لكم الأنعام . . .	٨٧	٢١	وقالوا بلخودهم لم شهدتم علينا . . .	١٠٦
٨٠	ولكم فيها منافع . . .	٨٧	٢٢	وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم . . .	١٠٦
٨١	ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون . . .	٨٧	٢٣	وذلكم ظنكم الذى ظنتم بربكم . . .	١٠٩
٨٢	أفلم يسيروا في الأرض فينظروا . . .	٨٨			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٤	فإن يصبروا فالنار مثوى لهم . . .	١١٠	٣٥	وما يُلقَّأها إلا الذين صبروا . . .	١٢٠
٢٥	وقيضنا لهم قنءا . . .	١١١	٣٦	ولما ينزغناك من الشيطان نزع . . .	١٢٠
٢٦	وقال الذين كفروا لا تسمعوا . . .	١١٢	٣٧	ومن آياته الليل والنهار . . .	١٢١
٢٧	فلنذيقن الذين كفروا عذابا . . .	١١٢	٣٨	فإن استكبروا . . .	١٢١
٢٨	ذلك جزاء أعداء الله النار .	١١٣	٣٩	ومن آياته أنك ترى الأرض . . .	١٢٢
٢٩	وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلنا .	١١٣	٤٠	إن الذين يُدحدون في آياتنا . . .	١٢٣
٣٠	إن الذين قالوا ربنا الله . . .	١١٤	٤١	إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم . . .	١٢٤
٣١	نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا . . .	١١٧	٤٢	لا يأتيه الباطل من بين يديه . . .	١٢٤
٣٢	نزلنا من غفور رحيم . . .	١١٧	٤٣	ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل . . .	١٢٥
٣٣	ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله . . .	١١٧	٤٤	ولو جعلناه قرآنا أعجميا . . .	١٢٦
٣٤	ولا تستوى الحسنة ولا السيئة . . .	١١٧	٤٥	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	١٢٩
			٤٦	من عمل صالحا فلنفسه . . .	١٣٠

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٣٩	تفسير سورة الزمّر
٤٥	١ تأويل قوله « إنك ميّت وإنهم ميتون » . والخصام الذى يكون يوم القيامة .
٤٦	٣ تأويل « والذى جاء بالصدق » . وأن الآية عامة .
٤٦	٦ بعث خالد بن الوليد لكسر العزّى .
٥٠	٩ ما يحصل للإنسان وقت نومه .
٥٢	١٠ تأويل « وإذا ذكر الله وحده » ومعنى الاشتمزاز .
٥٧	١٤ تأويل قوله « قل يا عبادى الذين أسرفوا » . . . الآية ، ومن أنزلت فيه ، وأسباب نزولها .
٦٠	١٨ بيان أن الناس يوم القيامة يكونون أصنافا .
٦٣	٢٢ تأويل قوله « وينجى الله الذين اتقوا بمغازتهم »
٦٤	٢٤ بيان أن الشرك يُحبط العمل في سائر الشرائع .
٧٠	٢٤ تأويل قوله « بل الله فاعبد » . . . الآيات . ومعنى اليمين في حقه تعالى ، وسبب النزول .
٧١	٢٩ النفخات التى تنفخ في الصور ، ومن الموكّل بها وما يجرى عند فناء الخلق وبعثهم .
٧٣	٣٢ تأويل قوله « وأشرق الأرض بنور ربها » ، وأن يوم القيامة يوم صحو لا دخن فيه .
	٣٤ حشر المتقين على نجائب ، وسوق غيرهم دَعَا .
	٣٧ تأويل قوله (وترى الملائكة حاقّين) . . . الآية .
٤٥	٤٥ يدخل الجنة مع الرجل زوجته وأبواه وولده وإن لم يكونوا عملوا عمله .
٤٦	٤٦ أنصح العباد للعباد الملائكة ، وأغشهم لهم الشياطين .
٤٦	٤٦ للإنسان حياتان وموتتان .
٥٠	٥٠ الخلق يوم القيامة بارزون لا يحجبهم شيء .
٥٢	٥٢ تأويل قوله « وأنذرهم يوم الآزفة » . . . الآية ، وما للقاء الله يوم القيامة من شدة الفرع .
٥٧	٥٧ مؤمن آل فرعون ، وذكر الخلاف فيه .
٦٠	٦٠ تأويل قوله « ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد » . . . الآية . وما يحصل عند النفخة وبعدها .
٦٣	٦٣ يوسف بن يعقوب رسول إلى أهل مصر .
٦٤	٦٤ طلب فرعون لبناء الصرح ، وأنه أوّل من طبخ الآجر .
٧٠	٧٠ تأويل قوله « فستذكرون » . . . الآية . وما صنعه مؤمن آل فرعون مما يدل على يقينه الكامل .
٧١	٧١ كيفية عذاب قوم فرعون في الدنيا . وأن الآخرة لاليل فيها ولا نهار .
٧٣	٧٣ تأويل قوله « وإذ يتحاجّون في النار » . وأن ضعف الأصاغر لا يكون عنرا لهم في الكفر .

الصفحة	الصفحة
١٠١	٧٤
الرياح المرسلّة على عاد ، والأيام النَّحِيسَات :	تأويل قوله « إنا لننصر رسلنا » . . . الآية .
١٠٦	٧٦
تأويل قوله « ويوم يُخَشِرُ أعداء الله » . . .	ومعنى نصر الرسل في الدنيا بجملة وجوه .
الآية ، والخلاف في معنى الجلود التي تشهد .	٧٦
١٠٦	٧٨
تأويل قوله « وقالوا لجاودهم » . . . الآية .	معنى العشيّ والإبكار ، والخلاف في ذلك .
وأول ما يشهد على المرء .	٧٨
١٠٩	٨١
عمل الإنسان على حسب علمه بربه .	الدعاء يُطلق على العبادة .
١١٣	٨٣
تأويل قوله « وقال الذين كفروا » . . .	الدليل على أنه يُطلب من قائل لا إله إلا الله
الآية . وبيان الفريق المضل من الإنس	أن يضمّ إليها الحمد .
والجنّ .	٨٣
١١٤	٩٠
تأويل قوله « إن الذين قالوا ربنا الله » . . .	تأويل قوله « الذين كذّبوا بالكتاب » . . .
الآية . والخلاف في الاستقامة .	الآية . وكيفية عذابهم يوم القيامة .
١٢٦	٩٠
تأويل قوله « ولو جعلناه قرآنا أعجميا »	تفسير سورة فُصِّلَتْ
وكون القرآن شفاء .	٩٠
	٩٢
	تأويل قوله « قل إنما أنا بشر مثلكم » .
	٩٤
	والخلاف في معنى الزكاة هنا ، وذكر
	الصواب في ذلك .
	٩٤
	الأيام التي خلقت فيها السموات والأرض .
	وذكر بعض خواصّ الأيام .

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٣٦	بِخَيَالٍ	٤٤	مَعْدُودٌ		ب
٣٦	بِهَشَلَا	٣٦	الشَّرْدَا	٤٠	ومُعْرِبٌ
	م		ر	١٨	الحوَاطِبِ
١٠٩	لم يَرمِ	٤٠	الجُزْرِ		ت
٢٠	يَمَسُوا	٤٠	الأُزْرُ	٦٥	دُولَاتِهَا
٤١	دُوهُمِ	١٠٤	نَحْسِ	٦٥	لَمَّاتِهَا
٣٩	التَقْدُمِ	١٠٤	نَحْسَا	٦٥	زَفْرَاتِهَا
٨٤	الأَرْقَمَا	٢٢	مُضَاعَا		ح
	ه	١٩	أَسَلِ		ذُبَاحَا
١٠٢	بِالمُسْقَمِ	٩٩	الْأَجَلِ	١٠٢	

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١) * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصُّدُقِ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٢)

يُؤَيِّدُ بِقَوْلِ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ مَيِّتٌ عَنْ قَلِيلٍ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ قَوْمِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ مَيِّتُونَ . (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) يَقُولُ : ثُمَّ إِنْ جَمِيعَكُمْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ، فَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنْكُمْ مِنَ الظَّالِمِ ، وَيَفْصِلُ بَيْنَ جَمِيعِكُمْ بِالْحَقِّ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : عُنِيَ بِهِ اخْتِصَامُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ ، وَاخْتِصَامُ الْمَظْلُومِ وَالظَّالِمِ .

ذكر من قال ذلك

حَدَّثَنَا عَلِيُّ ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) يَقُولُ : يَخَاصِمُ الصَّادِقُ الْكَاذِبَ ، وَالْمَظْلُومُ الظَّالِمَ ، وَالْمُهْتَدِي الصَّالِحَ ، وَالضَّعِيفُ الْمُسْتَكْبِرَ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) قَالَ : أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلُ الْكُفْرِ .

حَدَّثَنِي ابْنُ الْبَرَقِيِّ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ الدَّرَاوَرْدِيِّ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : « لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ » قَالَ الزُّبَيْرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيْنَكَرُ

علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نَعَمْ، حَتَّى يُؤَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقُّهُ .

وقال آخرون: بل عُنِيَ بذلك اختصام أهل الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عمر ، قال : نزلت علينا هذه الآية وما ندرى ما تفسيرها ، حتى وقعت الفتنة ، فقلنا : هذا الذي وَعَدْنَا رَبَّنَا أَنْ نَخْتَصِمَ فِيهِ (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : ثنا ابن عون ، عن إبراهيم ، قال : لما نزلت (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ) . . . الآية ، قالوا : ما خصومتنا بيننا ونحن إخوان ، قال : فلما قُتِلَ عُمَانُ بْنُ عَفَانَ ، قالوا : هذه خصومتنا بيننا .

حدثت عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) قال : هم أهل القبلة .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : عُنِيَ بذلك : إنك يا محمد ستموت ، وإنكم أيها الناس ستموتون ، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم ، مؤمنكم وكافركم ، ومحقوقكم ومبطلوكم ، وظالموكم ومظلوموكم ، حتى يؤخذ لكل منكم من لصاحبه قيسله حتى حقه .

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب : لأن الله عم بقوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) خطاب جميع عباده ، فلم يخص بذلك منهم بعضا دون بعض ، فذلك على عمومته على ماعمه الله به ، وقد نزل الآية في معنى ، ثم يكون داخلا في حكمها كل ما كان في معنى ما نزلت به .

وقوله (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ ، وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) يقول تعالى ذكره : فَمَنْ مِّنْ خَلْقِ اللَّهِ أَعْظَمُ فِرْيَةً مِّنْ كَذِبِ عَلَى اللَّهِ ، فَادْعِي أَنْ لَهُ وَلِدًا وَصَاحِبَةً ، أَوْ أَنَّهُ حَرَمٌ مَّا لَمْ يَحْرَمْهُ مِنَ الْمَطَاعِمِ (وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) يقول : وكذب بكتاب الله إذ أنزله على محمد ، وابتعثه الله به رسولا ، وأنكر قول لا إله إلا الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) : أي بالقرآن . وقوله (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ) يقول تبارك وتعالى : أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله ، وامتنع من تصديق محمد صلى الله عليه وسلم ، وابتاعه على ما يدعوه إليه ، مما أتاه به من عند الله من التوحيد ، وحكم القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد قوله (وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ) قال : الذين يحيئون بالقرآن يوم القيامة ، فيقولون : هذا الذي أعطيتمونا ، فاتبعنا ما فيه .

قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ) قال : هم أهل القرآن ، يحيئون به يوم القيامة يقولون : هذا الذي أعطيتمونا ، فاتبعنا ما فيه .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله تعالى ذكره عَسَى يَقُولَهُ (وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ) كل من دعا إلى توحيد الله ، وتصديق رسوله ، والعمل بما ابتعث به رسوله صلى الله عليه وسلم من بين رسول الله وأتباعه والمؤمنين به . وأن يقال الصدق : هو القرآن ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، والمصدق به : المؤمنون بالقرآن ، من جميع خلق الله كائنا من كان من نبي الله وأتباعه .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب : لأن قوله تعالى ذكره : (وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ) عَقِيبُ قَوْلِهِ (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ ، وَكَذَبَ بِالصَّدَقِ إِذْ جَاءَهُ) ، وذلك ذم من الله للمفترين عليه ، المكذبين بتزويله ووحيه ، الجاحدين وحدانيته ، فالواجب أن يكون عقيب ذلك مدح من كان بخلاف صفة هؤلاء المذمومين ، وهم الذين دعواهم إلى توحيد الله ، ووصفه بالصفة التي هو بها ، وتصديقهم بتزويل الله ووحيه ، والذين هم كانوا كذلك يوم نزلت هذه الآية ، رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم ، القائمون في كل عصر وزمان بالدعاء إلى توحيد الله ، وحكم كتابه ، لأن الله تعالى ذكره ، لم يخص وصفه بهذه الصفة التي في هذه الآية ، على أشخاص بأعيانهم ، ولا على أهل زمان دون غيرهم ، وإنما وصفهم بصفة ، ثم مدحهم بها ، وهي الحجيء بالصدق والتصديق به ، فكل من كان كذلك وصفه ، فهو داخل في جملة هذه الآية ، إذا كان من بني آدم .

ومن الدليل على صحة ما قلنا أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود (وَالَّذِينَ جَاءُوا بِالصَّدَقِ وَصَدَّقُوا بِهِ) فقد بين ذلك من قراءته ، أن الذي من قوله (وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ) لم يعن بها واحد بعينه ، وأنه مراد بها جماع ذلك صفتهم ، ولكنها أخرجت بلفظ الواحد ، إذ لم تكن موقفة . وقد زعم بعض أهل العربية من البصريين ، أن الذي في هذا الموضع ، جُعِلَ في معنى جماعة ، بمنزلة مَنْ ، ومما يؤيد ما قلنا أيضا قوله (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) فجعل الخبر عن الذي جماعا ، لأنها في معنى جماع ، وأما الذين قالوا : عُنِيَ بقوله : (وَصَدَّقَ بِهِ) : غير الذي جاء بالصدق ، فقول بعيد من المفهوم ، لأن ذلك لو كان كما قالوا ، لكان التنزيل والذي جاء بالصدق ، والذي صدق به ، أولئك هم المتقون ، فكانت تكون الذي مكررة مع التصديق ، ليكون المصدق غير المصدق ؛ فأما إذ لم يكرر ، فإن المفهوم من الكلام ، أن التصديق من صفة الذي جاء بالصدق ، لاوجه للكلام غير ذلك . وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت الذي في معنى الجماع ، بما قد بيننا ، كان الصواب من القول في تأويله ما بيننا .

وقوله (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) يقول جل ثناؤه : هؤلاء الذين هذه صفتهم ، هم الذين اتقوا الله ، بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد ، وأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، فخافوا عقابه .
كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) يقول : اتقوا الشرك .

وقوله (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول تعالى ذكره : لهم عند ربهم يوم القيامة ، ما تشبهه أنفسهم ، وتلذذه أعينهم (ذلك جزاء المحسنين) يقول تعالى ذكره : هذا الذي لهم عند ربهم ، جزاء من أحسن في الدنيا ، فأطاع الله فيها ، وأتمر لأمره ، وانتهى عما نهاه فيها عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : ويجزي هؤلاء المحسنين ربهم بإحسانهم ، كي يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال ، فيما بينهم وبين ربهم ، بما كان منهم فيها من توبة ، وإنبابة مما اجترحوا من السيئات فيها (ويجزئهم أجرهم) يقول : ويثيبهم ثوابهم (بأحسن الذي كانوا) في الدنيا (يعملون) مما يرضي الله عنهم ، دون أسوأها .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : (وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) : أي أولم ذنوب ، أي رب نعم (لَهُمْ) فيها (ما يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) ، ذلك جزاء المحسنين ، ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ، ويجزئهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) . وقرأ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) . . . إلى أن بلغ (وَمَغْفِرَةٌ) لثلاثين من لهم الذنوب ، أن لا يكونوا منهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) ، وقرأ (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) . . . إلى آخر الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ؟ وَيَخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ، وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦)

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ؟ (٣٧)

اختلقت القراء في قراءة (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) على الجماع ، بمعنى : أليس الله بكاف محمداً وأنباءه من قبله ما خوفتهم أمهم ، من أن تنالهم آفتهم بسوء ، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض قراء الكوفة (بِكَافٍ عَبْدَهُ) على التوحيد ، بمعنى : أليس الله بكاف عبده محمداً .

(١) في الأصل : ألهم ذنوب ، وهو استفهام لامعنى له في هذا المقام ، وقد أصاحناه على هذا النحو ، ليتفق مع ما تضمنته الحديث به .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان في قرآنة الأمصار . فبأيتهما قرأ القارى فصيبي ، لصحة معنيهما ، واستفاضة القراءة بهما في قرآنة الأمصار .
وينحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) يقول : محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) : قال : بلى ، والله ليكفينه الله ، ويعززه وينصره كما وعده .

وقوله (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) يقول تعالى ذكره لنيه محمد صلى الله عليه وسلم : ويخوفك هؤلاء المشركون يا محمد ، بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة ، أن تصيبك بسوء ، ببراءتك منها ، وعيبك لها ، والله كافيك ذلك .
وينحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) الآلهة ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى شعب بسقام ليكسر العزى ، فقال سادنها ، وهو قيسمها : يا خالد ، أنا أخذت ركهها ، إن لها شدة لا يقوم إليها شيء ، فشى إليها خالد بالفأس ، فهشم أنفها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) يقول : بألهتهم التي كانوا يعبدون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) قال : يخوفونك بألهتهم التي من دونه .

وقوله (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) يقول تعالى ذكره : ومن يخذله الله ، فيضله عن طريق الحق وسبيل الرشده ، فما له سواه من مرشد وسد إلى طريق الحق ، وموفق للإيمان بالله ، وتصديق رسوله ، والعمل بطاعته (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ) يقول : ومن يوفقه الله للإيمان به ، والعمل بكتابه ، فما له من مضل ، يقول : فما له من مزريغ يزيغه عن الحق الذى هو عليه إلى الارتداد إلى الكفر . (أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ) يقول جل ثناؤه : أليس الله يا محمد بعزير في انتقامه من كفره خلقه ، ذى انتقام من أعدائه ، الجاحدين وحدانيته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ ، قُلْ : أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ

(١) سقام كدراب : راد بالحجاز ، حته فريش للعزى ، يضاهنون به حرم الكعبة . اه من معجم ياقوت .

اللَّهِ، إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ، هَلْ هُنَّ كَشَفَتْ ضُرَّهُ؟ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ، هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ؟ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ، عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين، العادلين بالله الأوثان والأصنام: مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ لَيَقُولُنَّ الَّذِي خَلَقَهُنَّ اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ، فَقُلْ: أَفَرَأَيْتُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ، هَذَا الَّذِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَلْهَةِ (إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ) يَقُولُ: بِشِدَّةٍ فِي مَعِشَتِي، هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتٌ عَنِّي مَا يَصِيبُنِي بِهِ رَبِّي مِنَ الضَّرِّ؟ (أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ) يَقُولُ: إِنْ أَرَادَنِي رَبِّي أَنْ يَصِيبَنِي سَعَةٌ فِي مَعِشَتِي، وَكَثْرَةٌ مَالِي، وَرِخَاءٌ وَعَافِيَةٌ فِي بَدَنِي، هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتٌ عَنِّي مَا أَرَادَ أَنْ يَصِيبَنِي بِهِ مِنْ تِلْكَ الرَّحْمَةِ؟ وَتَرِكَ الْجَوَابَ لِاسْتِغْنَاءِ السَّمَاعِ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ، وَدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ. وَالْمَعْنَى: فَإِنَّهُمْ سَيَقُولُونَ لَا، فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ، مِمَّا سِوَاهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، إِيَّاهُ أَعْبُدْ، وَإِلَيْهِ أَفْرَعُ فِي أُمُورِي، دُونَ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ، فَإِنَّهُ الْكَافِي، وَبِيَدِهِ الضَّرُّ وَالنَّفْعُ، لِأَنَّ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ، الَّتِي لَا تَنْضُرُ وَلَا تَنْفَعُ، (عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) يَقُولُ: عَلَى اللَّهِ يَتَوَكَّلُ مَنْ هُوَ مُتَوَكِّلٌ، وَبِهِ فَلْيَتَّقِ لِابْتِغَائِهِ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَيِّنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) حَتَّى بَلَغَ (كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) يَعْنِي: الْأَصْنَامَ (أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ).

واختلفت القراء في قراءة (كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) و (مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ)، فقرأه بعضهم بالإضافة، وأخفض الضر والرحمة، وقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء البصرة بالتنوين، ونصب الضر والرحمة. والصواب من القول في ذلك عندنا: أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، مَتَقَارِبَتَا الْمَعْنَى، فَبِأَيْتِهِنَّ قَرَأَ الْقَارِئُ فَصِيبٌ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ (كَيْدِ الْكَافِرِينَ) فِي حَالِ الْإِضَافَةِ وَالتَّنْوِينِ.

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٤٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِشُرَكَائِكَ قَوْمِكَ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، اعْمَلُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَىٰ تَمَكُّنِكُمْ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي تَعْمَلُونَ وَمَنَازِلِكُمْ. كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: ثَنَا عَيْمِيُّ، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: ثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: ثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ، قَوْلُهُ (عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ) قَالَ: عَلَىٰ

ناحيتمكم (إني عاملٌ) كذلك على تودة، على عمل من سلف من أنبياء الله قبلي (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) إذا جاءكم بأس الله، ممن المحق منا من المبطل، والرشيد من الغوي.

وقوله (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ) يقول تعالى ذكره (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) بما أتاه من ذلك العذاب، يعنى بذله وبينه (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) يقول: وينزل عليه عذاب دائم لا يفارقه.

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ، فَمَنْ أُهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٤١)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: إنا أنزلنا عليك يا محمد الكتاب تبيانا للناس بالحق، (فَمَنْ أُهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ) يقول: فمن عمل بما في الكتاب الذي أنزلناه إليك واتبعه، فلنفسه، يقول: وإنما عمل بذلك لنفسه، وإياها يعي الخير لا غيرها، لأنه أكسبها رضا الله والفوز بالجنة، والنجاة من النار. (وَمَنْ ضَلَّ) يقول: ومن جار عن الكتاب الذي أنزلناه إليك، والبيان الذي بينناه لك، فضل عن قصد الحق، وزال عن سواء السبيل، وإنما يجور على نفسه، وإليها يسوق العطب والهلاك، لأنه يكسبها سخط الله، وأليم عقابه، والخزي الدائم (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) يقول تعالى ذكره: وما أنت يا محمد على من أرسلتك إليه من الناس، برفيق ترقب أعمالهم، وتحفظ عليهم أفعالهم، إنما أنت رسول، وإنما عليك البلاغ، وعلينا الحساب.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) أي بحفيظ.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، في قوله (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) قال: بحفيظ.

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره: ومن الدلالة على أن الألوهة لله الواحد القهار خالصة، دون كل ما سواه، أنه يميت ويحيي، ويفعل ما يشاء، ولا يقدر على ذلك شيء سواه، فجعل ذلك خبرا نبههم به على عظيم قدرته، فقال: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) فيقبضها عند فناء أجلها، وانقضاء مدة حياتها، ويتوفى أيضا التي لم تمت في منامها، كما التي ماتت عند مماتها (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ) : ذكر أن

أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها ، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها ، أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها ، وأرسل أرواح الأحياء ، حتى ترجع إلى أجسادها ، إلى أجل مسمى ، وذلك إلى انقضاء مدة حياتها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جببير ، في قوله (اللهُ يُتَوَوِّفِي الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) . . . الآية قال : يجمع بين أرواح الأحياء ، وأرواح الأموات ، فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجسادها .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (اللهُ يُتَوَوِّفِي الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) قال : تُقَبِّضُ الْأَرْوَاحَ عِنْدَ نِيَامِ النَّائِمِ ، فَتَقْبِضُ رُوحَهُ فِي مَنَامِهِ ، فَتَلْقَى الْأَرْوَاحَ بَعْضُهَا بَعْضًا ، أَرْوَاحَ الْمَوْتَى وَأَرْوَاحَ النَّيَامِ ، فَتَلْتَقِي فَتَسْأَلُ ، قَالَ : فَيُخَلِّي عَنْ أَرْوَاحِ الْأَحْيَاءِ ، فَتَرْجِعُ إِلَى أَجْسَادِهَا ، وَتُرِيدُ الْأُخْرَى أَنْ تَرْجِعَ ، فَيُحْبَسُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ ، وَيُرْسَلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجْلِ مَسْمُومٍ ، قَالَ : إِلَى بَقِيَّةِ آجَالِهَا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (اللهُ يُتَوَوِّفِي الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) قال : فالنوم وفاة (فَيُؤَمِّسُكَ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى) التي لم يقبضها (إلى أجل مسمى) .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في قبض الله نفس النائم والميت ، وإرساله بعد نفس هذا ترجع إلى جسمها ، وحبسه لغيرها عن جسمها ، لعلها وعظة لمن تفكر وتدبر ، وبيانا له ، أن الله يجزي من يشاء من خلقه إذا شاء ، ويميت من شاء إذا شاء .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ، قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَآيِمِلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ، لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله ، في حاجاتهم . وقوله (قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَآيِمِلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهم : أتتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون . « وَأَلَوْ كَانُوا لَآيِمِلِكُونَ لَكُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا » ولا يعقلون شيئا ، قل لهم : إن تكونوا تعبدونها لذلك ، وتشفع لكم عند الله ، فأخلصوا عبادتكم لله ، وأفردوه بالألوهة ، فإن الشفاعة جميعا له ، لا يشفع عنده إلا من أذن له ، ورضي له

قولا ، وأنتم متى أخلصتم له العبادة فدعوتموه ، شفعمكم ، (له مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، يقول : له سلطان السموات والأرض وملكها ، وما تعبدون أيها المشركون من دونه مِلْكٌ له : يقول : فاعبدوا الملك لا المملوك ، الذي لا يملك شيئا (ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ) يقول : ثم إلى الله مصيركم ، وهو معاقبكم على إشراككم به ، إن ممت على شرككم .

ومعنى الكلام : لله الشفاعة جميعا ، له مُلْكُ السموات والأرض ، فاعبدوا المالك الذي له مُلْكُ السموات والأرض ، الذي يقدر على نفعكم في الدنيا ، وعلى ضرركم فيها ، وعند مرجعكم إليه بعد مماتكم ، فإنكم إليه ترجعون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ) الآلهة (قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا) الشفاعة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) قال : لا يشفع عنده أحد إلا بأذنه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ، وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : وإذا أُفِرِدَ اللهُ جل ثناؤه بالذكر ، فدُعِيَ وحده ، وقيل : لإلهه إلا الله ، اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْمَعَادِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ . وعنى بقوله (اشْمَأَزَّتْ) : نفرت من توحيد الله ، (وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) يقول : وإذا ذُكِرَ الآلهة التي يدعونها من دون الله مع الله ، فقيل : تلك الغرائق العُلَى ، وإن شفاعتها لُتْرَجَّحَى ، إذا الذين لا يؤمنون بالآخرة يستبشرون بذلك ويفرحون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) : أى نفرت قلوبهم واستكبرت (وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) الآلهة (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (اشْمَأَزَّتْ) قال : انقبضت ، قال : وذلك يوم قرأ عليهم النجم عند باب الكعبة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله (اشْمَأَزَّتْ) قال : نفرت ، (وَإِذَا ذُكِرَ النَّدِينَ مِنْ دُونِهِ) : أو ثأبهم .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد ، الله خالق السموات والأرض (عالم الغيب والشهادة) الذي لا تراه الأبصار ، ولا تُحِسُّهُ العيون . (والشهادة) : الذي تشهده أبصار خلقه ، وتراه أعينهم (أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ) فتفصل بينهم بالحق ، يوم تجمعهم لفصل القضاء بينهم (فيما كانوا فيه) في الدنيا (يَخْتَلِفُونَ) من القول فيك ، وفي عظمتك وسلطانك ، وغير ذلك من اختلافهم بينهم ، فتقضى يومئذ بيننا وبين هؤلاء المشركين ، الذين إذا ذُكِرَتْ وحدك اشْمَأَزَّتْ قلوبهم ، وإذا ذُكِرَ مَنْ دُونِكَ استبشروا بالحق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فاطر : قال : خالق . وفي قوله (عالم الغيب) قال : ما غاب عن العباد فهو يعلمه ، (وَالشَّهَادَةِ) : ما عرَّفَ العباد وشهدوا ، فهو يعلمه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : ولو أن لظلمة المشركين بالله يوم القيامة ، وهم الذين ظلموا أنفسهم (ما في الأرض جميعا) : في الدنيا من أهوالها وزينتها (ومثله معه) مضاعفا ، فقبل ذلك منهم عوضا من أنفسهم ، لقدوا بذلك كله أنفسهم عوضا منها ، لينجوا من سوء عذاب الله ، الذي هو معذبهم به يومئذ (وبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ) يقول : وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه ، الذي كان أعداه لهم ، (مَا لَمْ يَكُونُوا) قبل ذلك (يَحْتَسِبُونَ) أنه أعداه لهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا، وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَمِرُّونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره: وظهر هؤلاء المشركين يوم القيامة (سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا) من الأعمال في الدنيا، إذ أعطوا كتبهم بشمائلهم (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) ووجب عليهم حينئذ، فلزمهم عذاب الله الذي كان نبي الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا يعدهم على كفرهم بربهم، فكانوا به يسخرون، إنكاراً أن يصيبهم ذلك أو ينالهم، تكذيباً منهم به، وأحاط ذلك بهم.

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا، ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتَهُ نِعْمَةً مِّنَّا، قَالَ: إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ، بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره: فإذا أصاب الإنسان بؤس وشدّة دعانا مستغيثاً بنا، من جهة ما أصابه من الضرّ، (ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتَهُ نِعْمَةً مِّنَّا) يقول: ثم إذا أعطينا فرجاً مما كان فيه من الضرّ، بأن أبدلناه بالضرّ رخاء وسعة، وبالسقم صحة وعافية، فقال: إنما أعطيت الذي أعطيت من الرخاء والسعة في المعيشة، والصحة في البدن والعافية، على علم عندي، يعني على علم من الله، بأنّي له أهل، لشرفي ورضاه بعملي عندي، يعني فيما عندي، كما يقال: أنت محسن في هذا الأمر عندي: أي فيما أظنّ وأحسب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتَهُ نِعْمَةً مِّنَّا) حتى بلغ (عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) : أي على خير عندي. حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (إِذَا خَوَّلْتَهُ نِعْمَةً مِّنَّا) قال: أعطينا. وقوله (أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) : أي على شرف أعطائه. وقوله (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) يقول تعالى ذكره: بل عطيتنا إياهم تلك النعمة من بعد الضرّ الذي كانوا فيه فتنّة لهم: يعني بلاء ابتليناهم به، واختباراً اختبرناهم به (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ) لجهلهم، وسوء رأيهم (لَا يَعْلَمُونَ) لأي سبب أعطوا ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) : أي بلاء.

القول في تأويل قوله تعالى

قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ، فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ

(١) قوله (عندي) : أضافه المؤلّف إلى معنى الآية، بحيث في حديث قتادة بعده بقليل. وليس في الآية في هذا الموضع لفظة «عندي»، وإنما هي في آية القصص، إذ جاء على لسان قارون: (قال إنما أوتيته على علم عندي).

مَا كَسَبُوا ، وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا لَهُمْ مُعْجِزِينَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : قد قال هذه المقالة ، يعنى قولهم : لنعمة الله التى خوّلهم وهم مشركون : أوتيناها على علم عندنا (الَّذِينَ مِنَ قَبْلِهِمْ) يعنى : الذين من قبل مشركى قُرَيْش من الأمم الخالية ، لرسالتها ، تكديبا منهم لهم ، واستهزاء بهم . وقوله (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : فلم يغن عنهم حين أتاهم بأس الله على تكذيبهم رسل الله ، واستهزأهم بهم ، ما كانوا يكسبون من الأعمال ، وذلك عبادتهم الأوثان ، يقول : لم تنفعهم خدمتهم إياها ، ولم تشفع آفتهم لهم عند الله حينئذ ، ولكنها أسلمتهم ، وتبرأت منهم . وقوله (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) : يقول : فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الأمم الخالية ، وبال سيئات ما كسبوا من الأعمال ، فعوجلوا بالخزى فى دار الدنيا ، ، وذلك كقارون الذى قال حين وعظ : (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي) ، فخسف الله به وبداره الأرض ، (فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ) يقول الله جل ثناؤه : (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ) : يقول لئنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : والذين كفروا بالله يا محمد من قومك ، وظلموا أنفسهم ، وقالوا هذه المقالة ، (سَيُصِيبُهُمْ) أيضا وبال (سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) ، كما أصاب الذين من قبلهم بقبلهموها (وَمَا لَهُمْ مُعْجِزِينَ) يقول : وما يفوتون ربهم ، ولا يسبقونه هربا فى الأرض من عذابه إذا نزل بهم ، ولكنه يصيبهم ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ففعل ذلك بهم ، فأحل بهم خزيه فى عاجل الدنيا ، فقتلهم بالسيف يوم بدر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (قَدْ قَالَهُ الَّذِينَ مِنَ قَبْلِهِمْ) (الْأُممُ الْمَاضِيَةُ) (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ) ، قال : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم :

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره : أو لم يعلم يا محمد هؤلاء الذين كشفنا عنهم ضرهم ، فقالوا : إنما أوتيناها على علم منا ، أن الشدة والرخصاء ، والسعة والضيق والبلاء ، بيد الله ، دون كل من سواه ، يبسط الرزق لمن يشاء ، فيوسعه عليه ، ويقدر ذلك على من يشاء من عباده ، فيضيقه ، وأن ذلك من حُجج الله على عباده ، ليعتبروا به ويتذكروا ، ويعلموا أن الرغبة إليه والرغبة ، دون الآلهة والأنداد (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) يقول : إن فى بسط الله الرزق لمن يشاء ، وتقديره على من أراد ، لآيات : يعنى دلالات وعلامات (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) : يعنى : يصدقون بالحق ، فيقرّون به إذا تبيّنوه ، وعلموا حقيقته ، أن الذى يفعل ذلك هو الله ، دون كل ما سواه .

القول في تأويل قوله تعالى

* قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)

اختلف أهل التأويل في الذين عُسُوا بهذه الآية ، فقال بعضهم : عُنِيَ بها قوم من أهل الشرك ، قالوا لما دُعُوا إلى الإيمان بالله : كيف نؤمن وقد أشركنا وزيننا ، وقتلنا النفس التي حرم الله ، والله يعد فاعل ذلك النار ، فما ينفعنا مع ما قد سلف منا الإيمان ، فنزلت هذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) وذلك أن أهل مكة قالوا : يزعم محمد أنه من عبد الأوثان ، ودعا مع الله لها آخر ، وقتل النفس التي حرم الله ، لم يغفر له ، فكيف نهاجر ونسلم ، وقد عبدنا الآلهة ، وقتلنا النفس التي حرم الله ، ونحن أهل الشرك ، فأنزل الله : (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) يقول : لا تيأسوا من رحمتي (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) وقال : وأنبؤوا إلى ربكم وأسلموا له ، وإنما يعاتب الله أولى الألباب ، وإنما الحلال والحرام لأهل الإيمان ، فإياهم عاتب ، وإياهم أمر ، إن أسرف أحدهم على نفسه ، أن لا يقنط من رحمة الله ، وأن ينيب ولا يبطئ بالتوبة من ذلك الإسراف ، والذنب الذي عمل ، وقد ذكر الله في سورة آل عمران المؤمنين ، حين سألو الله المغفرة ، فقالوا : (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ، وَتَوْبَتْنَا أَقْدَامَنَا) ، فينبغي أن يعلم أنهم قد كانوا يصيبون الإسراف ، فأمرهم بالتوبة من إسرافهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) قال : قَتَلَ النَّفْسَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : نزلت هذه الآيات الثلاث بالمدينة في وحشي أو أصحابه (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) إلى قوله (مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، قال : قال زيد بن أسلم ، في قوله (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) قال : إنما هي للمشركين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) حتى بلغ (الذُّنُوبَ جَمِيعًا) قال : ذكر لنا أن ناسا أصابوا ذنوبا عظاما في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أشفقوا أن لا يتاب عليهم ، فدعاهم الله بهذه الآية : (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) .

(١) هو وحشي بن حرب الحبشي مولى جبير بن مطعم ، وهو قاتل حمزة بن عبد المطلب في غزوة أحد ، وكان فاتكا يشرب الخمر ، ثم أسلم بعد . (انظر خلاصة الخزرجي) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله : (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) قال : هؤلاء المشركون من أهل مكة ، قالوا : كيف نجيبك وأنت تزعم أنه من زني ، أو قتل ، أو أشرك بالرحمن ، كان هالكا من أهل النار ، فكل هذه الأعمال قد عملناها ، فأنزلت فيهم هذه الآية : (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) . . . الآية قال : كان قوم مسخوطين في أهل الجاهلية ، فلما بعث الله نبيه قالوا : لو أتينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأمننا به واتبعناه ، فقال بعضهم لبعض : كيف يقبلكم الله ورسوله في دينه ؟ فقالوا : ألا نبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ؟ فلما بعثوا ، نزل القرآن : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) ، فقرأ حتى بلغ : (فأكون من المحسنين) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الشعبي ، قال : تجالس شستير بن شكمل ومسروق ، فقال شستير : إما أن تحدث ما سمعت من ابن مسعود فأصدقك ، وإما أن أحدث فتصدقني ، فقال مسروق : لا ، بل حدث فأصدقك ، فقال : سمعت ابن مسعود يقول : إن أكبر آية فرجا في القرآن (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) فقال مسروق : صدقت . وقال آخرون : بل عني بذلك أهل الإسلام ، وقالوا : تأويل الكلام : إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء ، قالوا : وهي كذلك في مصحف عبد الله ، وقالوا : إنما نزلت هذه الآية في قوم صدقهم المشركون عن الهجرة وفتنهم ، فأشفقوا أن لا يكون لهم توبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : ثنا يحيى بن سعيد الأموي ، عن ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال : يعني عمر : كنا نقول : ما لمن افتتن من توبة ، وكانوا يقولون : ما الله بقابل منا شيئا ، تركنا الإسلام ببلاء أصابنا بعد معرفته ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أنزل الله فيهم : (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) . . . الآية ، قال محمد بن يحيى : فكتبتها بيدي ، ثم بعث بها إلى هشام بن العاص ، قال هشام : فلما جاءني جعلت أقرؤها ولا أفهمها ، فوقع في نفسي أنها أنزلت فينا ، لما كنا نقول ، فجلست على بعيري ، ثم لحقت بالمدينة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : إنما أنزلت هذه الآيات في عيشاش بن أبي ربيعة ، والوليد بن الوليد ، ونفر من المسلمين ، كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذبوا ، فافتنوا ، كنا نقول : لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا ، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبوه ، فنزلت هؤلاء الآيات ، وكان عمر بن الخطاب كاتباً ، قال : فكتبتها بيده ، ثم بعث بها إلى عيشاش بن أبي ربيعة ، والوليد بن الوليد ، إلى أولئك النفر ، فأسلموا وهاجروا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيْبَةَ ، قال : ثنا يونس ، عن ابن سيرين ، قال : قال علي رضي الله عنه : أى آية في القرآن أوسع ؟ فجعلوا يذكرون آيات من القرآن : (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا ، أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ، يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) ونحوها ، فقال علي : ما في القرآن آية أوسع من : (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سعيد الأزدي ، عن أبي الكنود ، قال : دخل عبد الله المسجد ، فإذا قاص يذكر النار والأغلال ، قال : فجاء حتى قام على رأسه ، فقال : ما يندكر أكثر أتقنظ الناس ؟ (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) . . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن القُرَظِيِّ ، أنه قال في هذه الآية : (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) قال : هي للناس أجمعين .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن أبي قنبل ، قال : سمعت أبا عبد الرحمن المزني يقول : ثنا أبو عبد الرحمن الجلافي ، أنه سمع ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهتده الآية : يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ . . . الآية ، فقال رجل : يا رسول الله ، ومن أشرك ؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ألا ومن أشرك ، ألا ومن أشرك ، ثلاث مرآت . »

وقال آخرون : نزل ذلك في قوم كانوا يرون أهل الكباثر من أهل النار ، فأعلمهم الله بذلك أنه يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : ثنا أبو معاذ الخراساني ، عن مقاتل بن حيان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول : إنه ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة ، حتى نزلت هذه الآية (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) فلما نزلت هذه الآية قلنا : ما هذا الذي يبطل أعمالنا ؟ فقلنا : الكباثر والفواحش ، قال : فكنا إذا رأينا من أصاب شيئا منها قلنا : قد هلك ، حتى نزلت هذه الآية : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) فلما نزلت هذه الآية كففنا عن القول في ذلك ، فكنا إذا رأينا أحدا أصاب منها شيئا خفنا عليه ، وإن لم يصب منها شيئا رجونا له .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : عنى تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك ، لأن الله عم بقوله (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) جميع المسرفين ، فلم يخص به مسرفا دون مسرف .

فإن قال قائل : فيغفر الله الشرك؟ قيل : نعم إذا تاب منه المشرك . وإنما عني بقوله (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) لمن يشاء ، كما قد ذكرنا قبل أن ابن مسعود كان يقرؤه ، وأن الله قد استثنى منه الشرك إذا لم يتب منه صاحبه ، فقال : إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فأخبر أنه لا يغفر الشرك إلا بعد توبة بقوله (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً) فأما ما عداه ، فإن صاحبه في مشيئة ربه ، إن شاء تفضل عليه ، فعفا له عنه ، وإن شاء عدل عليه ، فجازاه به .
وأما قوله (لا تتقنطوا من رحمة الله) فإنه يعني : لا تيأسوا من رحمة الله ، كذلك حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس .
وقد ذكرنا ما في ذلك من الروايات قبل ، فيما مضى ، وبيننا معناه .
وقوله (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) يقول : إن الله يستر على الذنوب كلها ، بعفوه عن أهلها ، وتركه عقوبتهم عليها إذا تابوا منها ، إنه هو الغفور الرحيم بهم ، أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ (٥٤)
وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : وأقبلوا أيها الناس إلى ربكم بالتوبة ، وارجعوا إليه بالطاعة له ، واستجيبوا له إلى ما دعاكم إليه من توحيده ، وإفراد الألوهة له ، وإخلاص العبادة له .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ) : أي أقبلوا إلى ربكم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَنْبِئُوا) قال : أجيئوا .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ) قال : الإنابة : الرجوع إلى الطاعة ، والنزوع عما كانوا عليه ، ألا تراه يقول : (مُسْبِئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ) .
وقوله (وَأَسْلِمُوا لَهُ) يقول : واخضعوا له بالطاعة والإقرار بالدين الحنيفي (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ) من عنده على كفركم به (ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ) يقول : ثم لا ينصركم ناصر ، فينقذكم من عذابه النازل بكم .

وقوله (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) يقول تعالى ذكره : واتبعوا أيها الناس ما أمركم به ربكم في تنزيهه ، واجتنبوا ما نهاكم فيه عنه ، وذلك هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا .
فإن قال قائل : ومن القرآن شيء هو أحسن من شيء؟ قيل له : القرآن كله حسن ، وليس معنى ذلك

ما توهمت ، وإنما معناه ، واتبعوا مما أنزل إليكم ربكم من الأمر ، والنهي ، والخبر ، والمثل ، والقصاص ، والحدك ، والوعد ، والوعيد ، أحسنه ، وأحسنه أن تأتمروا لأمره ، وتنبهوا عما نهى عنه ، لأن النهي مما أنزل في الكتاب ، فلو عملوا بما نهوا عنه كانوا عاملين بأقبحه ، فذلك وجهه .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) يقول : ما أمرتم به في الكتاب (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ) .
وقوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَعَثَةً) يقول : من قبل أن يأتيكم عذاب الله فجأة (وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) يقول : وأنتم لا تعلمون به حتى يغشاكم فجأة .

القول في تأويل قوله تعالى

أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ : يَحْسَرْتُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ (٥٦)
أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : وأنيبوا إلى ربكم ، وأسلموا له (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ) بمعنى : لتلا تقول نفس : (يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ) ، وهو نظير قوله : (وَأَلْتَقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) بمعنى : أن لا تميد بكم ، فإن إذ كان ذلك معناه في موضع نصب .
وقوله (يَا حَسْرَتَا) يعني أن تقول : يا ندما .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (يَا حَسْرَتَا) قال : الندامة ، والألف في قوله (يَا حَسْرَتَا) هي كناية المتكلم ، وإنما أريد : يا حسرتي ، ولكن العرب تحول الياء التي في كناية اسم المتكلم في الاستغاثة ألفا ، فتقول : يا ويلتا ، وياندما ، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء ، وربما قيل : يا حسرة على العباد ، كما قيل : يا لهف ، ويا لهفا عليه ؛ وذكر الفراء أن أبا ثروان أنشده :

تَزُورُوتَهَا وَلَا أَزُورُ نِسَاءَ كُمْ * أَلْهَفَ لِأَوْلَادِ الْإِمَاءِ الْخَوَاطِبِ

خفضا كما يخفض في النداء إذا أضافه المتكلم إلى نفسه ، وربما أدخلوا الهاء بعد هذه الألف ، فيخفضونها

(١) البيت لأبي ثروان العكلي . وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٥) قال : وقوله « يا حسرتا ، يا ويلتا » مضاف إلى المتكلم : يحول العرب الياء إلى الألف في كل كلام كان معناه الاستغاثة ، يخرج على لفظ الدعاء . وربما قالوا : يا حسرة ، كما قالوا : يا لهف على فلان ، ويا لهفا عليه . قال : أنشدني أبو ثروان العكلي : « تزورونها ولا أزور . . . البيت . اه . فخفض كما يخفض المنادي إذا أضافه المتكلم إلى نفسه . والإماء : الجوارى من الرقيق يتخذن للخدمة والعمل عند ساداتهن واحدها أمة . والخواطب : جمع حاطبة ، وهي التي ترسل في جمع الحطب للوقود . والتهف بسكون الهاء وفتحها : الأسف والحزن والغيظ .

أحيانا ، ويرفعونها أحيانا ؛ وذكر الفراء أن بعض بني أسد أنشد :

يا رَبَّ يا رَبَّاهِ إِيَّاكَ أَسَّسْ عَفْرَاءَ يا رَبَّاهِ مِنْ قَبْلِ الأَجَلِ^١

خفضا ، قال : والخفض أكثر في كلامهم ، إلا في قولهم : ياهناه ، وياهنتاه ، فإن الرفع فيهما أكثر من الخفض ، لأنه كثير في الكلام ، حتى صار كأنه حرف واحد .

وقوله (على ما فَرَطْتُ فِي جَنِّبِ اللَّهِ) يقول : على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به ، وقصرت في الدنيا في طاعة الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله (يا حَسْرَتًا على ما فَرَطْتُ فِي جَنِّبِ اللَّهِ) يقول : في أمر الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (على ما فَرَطْتُ فِي جَنِّبِ اللَّهِ) قال : في أمر الله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (على ما فَرَطْتُ فِي جَنِّبِ اللَّهِ) قال : تركت من أمر الله .

وقوله (وَإِنْ كُنْتُمْ لِمَنِ السَّخِرِينَ) يقول : وإن كنت لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في قوله (أَنْ تَقُولَ نَقَسٌ يا حَسْرَتًا على ما فَرَطْتُ فِي جَنِّبِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ لِمَنِ السَّخِرِينَ) قال : فلم يكفه أن ضيع طاعة الله ، حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله . قال : هذا قول صنف منهم .

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٦) قال بعد كلامه الذي نقلناه في الشاهد السابق في إعراب المضاف إلى ياء المتكلم بعد حذف الياء ، أو قلبها ألفا : وربما أدخلت العرب الهاء (التي لسكت) بعد الألف التي في « حسرتا » ، فيخفصونها مرة ، ويرفعونها . قال : أنشدني أبو فقعس لبعض بني أسد : « يا رب يا رباه إياك أسل . . . البيتين » . فخفص . قال : وأنشدني أبو فقعس :

يا مَرَّحِبَاهُ بِجِجَارِ نَاهِيَّهُ إِذَا أَتَى قَرِيْبَتَهُ لِسَانِيَهُ

والخفص أكثر في كلام العرب إلا في قولهم : ياهناه ، وياهنتاه ، والرفع في هذا أكثر من الخفض ، لأنه كثر في الكلام ، فكانه حرف واحد مدعو (أي كأن اللفظ كله صار كلمة واحدة في النداء) . وفي خزنة الأدب الكبرى للبغدادى (٣ : ٢٦٣) : وهذا من رجز أورده أبو محمد الأسود الأعرابي في رسالة الأديب ، ولم ينسبه إلى أحد . وفيها أيضا : وقال الزمخشري في المفصل : وحق هاء السكت أن تكون ساكنة ، وتحريكها لحن ، نحو ما في إصلاح المنطق لابن السكيت ، من قوله : « يا مرجباه بجمار ناجيه » ، فما لامعرج عليه لتقياس ، واستعمال الفصحاء . ومعدرة من قال ذلك : أنه أجرى الوصل مجرى الوقف ، مع تشبيه هاء الوقف بها ، الضمير . اهـ .

فنصب تسأل، عطفًا بها على موضع الذكري، لأن معنى الكلام: فمالك^١ يرسل على موضع الوحي في قوله (إِلَّا وَحْيًا).

القول في تأويل قول تعالى

بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكْءَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره مكذبا للقائل: (لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)، وللقائل: (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ): ما القول كما تقولون، (بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكْءَ) أيها المتمنى على الله الرد إلى الدنيا، لتكون فيها من المحسنين (آيَاتِي) يقول: قد جاءتك حُجَجِي من بين رسول أرسلته إليك، وكتاب أنزلته يتلى عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير (فَكَذَّبْتَ) أي آياتي (وَاسْتَكْبَرْتَ) عن قبولها واتباعها (وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ): يقول: وكنت ممن يعمل عمل الكافرين، ويستن بسنتهم، ويتبع منهاجهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة يقول الله رداً لقولهم، وتكذيباً لهم، يعني لقول القائلين: (لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي)، والصفة الآخر: (بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكْءَ آيَاتِي) . . . الآية، وفتح الكاف والناء من قوله (قَدْ جَاءَ تَكْءَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ) على وجه الخطاب للذكور، قرأه القراء في جميع أمصار الإسلام، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قرأ ذلك بكسر جميعه، على وجه الخطاب للنفس، كأنه قال: أن تقول نفس: يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله، بلى قد جاءتك أيها النفس آياتي، فكذبت بها، أجرى الكلام كله على النفس، إذ كان ابتداء الكلام بها جرى، والقراءة التي لا أستجيز خلافها، ما جاءت به قراء الأمصار مجمعة عليه، نقلًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الفتح في جميع ذلك.

القول في تأويل قول تعالى

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠)

«فأكون»: جواب لو. وإن شئت مردودا على تأويل «أن» تصرفها في الكثرة، كما يقولون: لو أن لي أن أكر فأكون. ومثله ما نصب على إضمار أن قوله «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب، أو يرسل» المعنى - والله أعلم - ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا». ولو رفع «فيوحى» إذ لم يظهر أن قبله ولا معه، كان صوابا. وقد قرأ به بعض القراء. وأشدني بعض القراء: «فالك منها غير ذكري وحسرة البيت». وقال الكسائي: سمعت من العرب: «ماهى إلا ضربة من الأسد، فيحطم ظهره، أى يرفع الفعل ونصبه». اهـ.

(١) في الكلام سقط من النسخ، ولعل الأصل: فالك غير أن تذكر وتساءل: ونظيره (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل) فعطف بـ يرسل ... الخ.

يقول تعالى ذكره : (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى) يا محمد هؤلاء (الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى اللَّهِ) من قومك فزعوا أن له ولدا ، وأن له شريكا ، وعبدوا آلهة من دونه (وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ) ، والوجوه وإن كانت مرفوعة بمسودة ، فإن فيها معنى نصب ، لأنها مع خبرها تمام ترى ، ولو تقدم قوله (مسودة) قبل الوجوه ، كان نصبا ، ولو نصب الوجوه المسودة ناصب في الكلام لافي القرآن ، إذا كانت المسودة مؤخره ، كان جائزا ، كما قال الشاعر :

ذَرَيْتَنِي إِنْ أَمْرَكَ لَنْ يُطَاعَا وَمَا أَلْفَيْتَنِي حِلْمِي مُضَاعَا

فنصب الحلم والمضاع على تكرير ألفيتني ، وكذلك تفعل العرب في كل ما احتاج إلى اسم وخبر ، مثل ظن وأخواتها . ، وفي مسودة للعرب لغتان : مسودة ، ومسودة . وهي في أهل الحجاز ، يقولون فيما ذكر عنهم ، قد اسود وجهه ، واحمار ، واشهاب . وذكر بعض نحويي البصرة ، عن بعضهم ، أنه قال : لا يكون افعال إلا في ذى اللون الواحد نحو الأشهب ، قال : ولا يكون في نحو الأحمر ، لأن الأشهب لون يحدث ، والأحمر لا يحدث .

وقوله (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) يقول : أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله ، فامتنع من توحيده ، والانتهاء إلى طاعته ، فيما أمره ونهاه عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) اللَّهُ خَاقِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : وينجي الله من جهنم وعذابها ، الذين اتقوه ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه في الدنيا ، بمفازتهم : يعنى بفوزهم ، وهي متفعلة منه .

وبنحو الذى قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ، وإن خالفت ألفاظ بعضهم اللفظة التى قلناها في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، في قوله (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ) قال : بفضائلهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا)

(١) البيت لعدي بن زيد ، كما قال الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٦ من مخطوطة الجامعة) . وهو من أبيات الكتاب لسبيويه ١ : ٨٧ . ومن شواهد (خزنة الأدب الكبرى للبغدادى ٢ : ٣٦٨) . وموضع الشاهد فيه : أن قوله « حلمى » بدل اشتمال من الياء في « ألفتني » . قال ابن جني في إعراب الحماسة : « إنما يجوز البدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب ، إذا كان بدل البعض أو بدل الاشتمال ، نحو قولك : عجبت منك عقلك ، وضربتك رأسك . اهـ . وقال في الخزنة : والبيت نسبة سبيويه لرجل من خثعم أو بجيلة ، وتبه ابن السراج في أصوله . وعزاه الفراء والزجاج ، إلى عدي بن زيد العبادي . وهو الصحيح ، وكذلك قال صاحب الحماسة البصرية وأورد من القصيدة بعده أبياتا . اهـ .

(بِمَفَازِهِمْ) قال : بأعمالهم ، قال : والآخرون يحملون أوزارهم يوم القيامة « وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلِيسَاءَ مَا يَزِرُونَ » .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة ، وبعض قراء مكة والبصرة (بِمَفَازِهِمْ) على التوحيد . وقراءته عامة قراء الكوفة (بِمَفَازَاتِهِمْ) على الجماع .

والصواب عندي من القول في ذلك : أنهما قراءتان مستفيضتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، لاتفاق معنيهما ، والعرب توحّد مثل ذلك أحيانا وتجمع ، بمعنى واحد ، فيقول أحدهم : سمعت صوت القوم ، وسمعت أصواتهم ، كما قال جل ثناؤه : « إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » ، ولم يقل : أصوات الحمير ، ولو جاء ذلك كذلك كان صوابا .

وقوله (لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) يقول تعالى ذكره : لا يمسّ المتقين من أذى جهنم شيء ، وهو السوء الذي أخبر جل ثناؤه أنه لن يمسهم ، ولا هم يحزنون : يقول : ولا هم يحزنون على ما فاتهم من آراب الدنيا ، إذ صاروا إلى كرامة الله ، ونعيم الجنان .

وقوله (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) يقول تعالى ذكره : الله الذي له الألوهة من كل خلقه ، الذي لاتصلح العبادة إلا له ، خالق كل شيء ، لا ما لا يقدر على خلق شيء ، وهو على كل شيء وكيل : يقول : وهو على كل شيء قسيم بالحفظ والكلالة .

القول في تأويل قوله تعالى

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : له مفاتيح خزائن السموات والأرض ، يفتح منها على من يشاء ، ويمسكها عن أحب من خلقه . واحدها : مقليد . وأما الإقليد : فواحد الأقاليد . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مفاتيحها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي مفاتيح السموات والأرض .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قوله (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال : خزائن السموات والأرض .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال : المقاليد : المفاتيح ، قال : له مفاتيح خزائن السموات والأرض .

وقوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) يقول تعالى ذكره : والذين كفروا بحجج الله فكذبوا بها وأنكروها ، أولئك هم المغبونون حظوظهم من خير السموات ، التي بيده مفاتيحها ، لأنهم حرموا ذلك كله في الآخرة ، بخلودهم في النار ، وفي الدنيا بخذلانهم عن الإيمان بالله عز وجل .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ،
لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لمشركي قومك ، الداعيك إلى عبادة الأوثان (أَفَغَيْرَ اللَّهِ) أيها الجاهلون بالله (تَأْمُرُونِي) أن (أَعْبُدُ) ولا تصلح العبادة لشيء سواه .

واختلف أهل العربية في العامل ، في قوله (أَفَغَيْرَ) النصب ، فقال بعض نحويي البصرة : قل أفغير الله تأمروني ، يقول : أفغير الله أعبد تأمروني ؟ كأنه أراد الإلغاء ، والله أعلم ، كما تقول : ذهب فلان أيدري ، جعله على معنى : فما يدري . وقال بعض نحويي الكوفة : غير منتصبه بأعبد ، وأن تحذف وتدخل ، لأنها عِلْمٌ للاستقبال كما تقول : أريد أن أضرب ، وأريد أضرب ، وعسى أن أضرب ، وعسى أضرب ، فكانت في طلبها الاستقبال ، كقولك : زيدا سوف أضرب ، فلذلك حذفت وعمل ما بعدها فيما قبلها ، ولا حاجة بنا إلى اللغو .
وقوله (وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ) يقول تعالى ذكره : ولقد أوحى إليك يا محمد ربك ، وإلى الذين من قبلك من الرسل (لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) يقول : لئن أشركت بالله شيئا يا محمد ، ليبطلن عملك ، ولا تنال به ثوابا ، ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله ، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم . . ومعنى الكلام : ولقد أوحى إليك لئن أشركت ليحبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين ، وإلى الذين من قبلك ، بمعنى : وإلى الذين من قبلك من الرسل من ذلك ، مثل الذي أوحى إليك منه ، فاحذر أن تشرك بالله شيئا فهلك .

ومعنى قوله (وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ولتكونن من الخاسرين ، بالإشراك بالله إن أشركت به شيئا .

القول في تأويل قوله تعالى

بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لاتعبد ما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبادته ، بل الله فاعبد ، دون كل ما سواه من الآلهة والأوثان والأنداد (وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) لله على

(١) كذا في الأصل ، وهو غير واضح . وقد وضع الشوكاني في فتح القدير (٤ : ٤٦١) عامل النصب في « غير » توضيحا شافيا ، فراجع ، ولعل أصل العبارة : « ذهب فلا أن يدري » . . . الخ .

نعمته عليك عليك ، بما أنعم من الهداية لعبادته ، والبراءة من عبادة الأصنام والأوثان . ونصب اسم الله بقوله (فاعْبُدْ) وهو بعده ، لأنه ردّ كلام ، ولونصب بمضمر قبله ، إذ كانت العرب تقول : زيد فليقيم ، وزيدا فليقيم رفعا ونصبا . الرفع على فلينظر زيد فليقيم ، والنصب على انظروا زيدا فليقيم ، كان صحيحا جائزا . وقوله (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) يقول تعالى ذكره : وما عظم الله حقّ عظمته ، هؤلاء المشركون بالله ، الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) قال : هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدره الله عليهم ، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير ، فقد قدر الله حقّ قدره ، ومن لم يؤمن بذلك ، فلم يقدر الله حقّ قدره .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) : ما عظموا الله حقّ عظمته .

وقوله (وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول تعالى ذكره : والأرض كلها قبضته في يوم القيامة (وَالسَّمَوَاتُ) كلها (مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) فالخبر عن الأرض متناه عند قوله : يوم القيامة ، والأرض مرفوعة بقوله (قَبْضَتُهُ) ، ثم استأنف الخبر عن السموات ، فقال : (وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) وهي مرفوعة بمطويات .

وروى عن ابن عباس وجماعة غيره ، أنهم كانوا يقولون : الأرض والسموات جميعا في يمينه يوم القيامة .

ذكر الرواية بذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول : قد قبض الأرضين ، والسموات جميعا بيمينه ، ألم تسمع أنه قال : (مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) يعني : الأرض والسموات بيمينه جميعا ، قال ابن عباس : وإنما يستعين بشياله المشغولة بيمينه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثني أبي عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : ما السموات السبع ، والأرضون السبع في يد الله ، إلا كخردلة في يد أحدكم .
قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثني أبي ، عن قتادة ، قال : ثنا النضر بن أنس ، عن ربيعة الجرمي ، قال : (وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) قال : ويده الأخرى خيلو ليس فيها شيء .

حدثني عليّ بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن عمار بن عمرو ، عن الحسن ، في قوله (وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : كأنها جوزة بقضها وقضيضها .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول : السموات والأرض مطويات بيمينه جميعا . وكان ابن عباس يقول : إنما يستعين بشماله ، المشغولة بيمينه ، وإنما الأرض والسموات كلها بيمينه ، وليس في شماله شيء .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرني أسامة بن زيد ، عن أبي حازم ، عن عبد الله بن عمر « أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على المنبر يخطب الناس ، فمر بهذه الآية (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يَا خُدَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ فَيَجْعَلُهَا فِي كَفِّهِ ، ثُمَّ يَقُولُ بِهِمَا كَمَا يَقُولُ الْغُلَامُ بِالْكُرَّةِ : أَنَا اللَّهُ الْوَاحِدُ ، أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْنَا الْمُنْبَرِ ، وَإِنَّهُ لَيَكَادُ أَنْ يَسْقُطَ بِهِ . »

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، قال : ثنا منصور وسليمان ، عن إبراهيم ، عن عبيدة السلماني ، عن عبد الله ، قال : « جاء يهودى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن الله يمسك السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال على أصبع ، والخلائق على أصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، قال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، وقال : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) . » حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة عن عبد الله ، قال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، تعجبا وتصديقا .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، عن منصور ، عن خيثمة بن عبد الرحمن ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين جاءه خبر من أحبار اليهود ، فجلس إليه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : حدثنا ، قال : إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ، جعل السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال على أصبع ، والماء والشجر على أصبع ، وجميع الخلائق على أصبع ، ثم يهزهن ، ثم يقول : أنا الملك ، قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، تصديقا لما قال ، ثم قرأ هذه الآية : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) . . . الآية . »

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، نحو ذلك .

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، وعباس بن أبي طالب ، قالا : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس ، قال : « مر يهودى بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، فقال : يَا يَهُودِيَّ حَدِّثْنَا ، فقال : كيف تقول يا أبا القاسم ، يوم يجعل الله السماء على ذه ، والأرض على ذه ، والجبال على ذه ، وسائر الخلق على ذه ، فأنزل الله (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) . . . الآية . »

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ،

قال : « أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من أهل الكتاب ، فقال : يا أبا القاسم ، أبلغك أن الله يحمل الخلائق على أصبع ، والسموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والشجر على أصبع ، والثرى على أصبع ، قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، فأنزل الله (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قِبْضَتُهُ) . . . إلى آخر الآية . »

وقال آخرون : بل السموات في يمينه ، والأرضون في شماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن داود . قال : ثنا ابن أبي مرجم ، قال : أخبرنا ابن أبي حازم ، قال : ثنى أبو حازم ، عن عبيد الله بن مِقْسَم ، أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : يَا خُذْ الْجَبَّارُ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدَيْهِ ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، وجعل يقبضهما ويبسطهما ، قال : ثم يَقُولُ : أَنَا الرَّحْمَنُ ، أَنَا الْمَلِكُ ، أَيُّنَ الْجَبَّارُونَ ، أَيُّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ » وتمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه ، وعن شماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إنى لأقول : أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم . »

حدثني أبو علقمة الفَرَوِيُّ عبد الله بن محمد ، قال : ثنى عبد الله بن نافع ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن عبيد بن عمير ، عن عبد الله بن عمر ، أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يَا خُذْ الْجَبَّارُ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدَيْهِ ، وقبض يده ، فجعل يقبضها ويبسطها ، ثم يقول : أَنَا الْجَبَّارُ ، أَنَا الْمَلِكُ ، أَيُّنَ الْجَبَّارُونَ ، أَيُّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ » قال : ويميل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إنى لأقول : أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ »

حدثني الحسن بن علي بن عياش الحمصي ، قال : ثنا بشر بن شعيب ، قال : أخبرني أبي ، قال : ثنا محمد بن مسلم بن شهاب ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، أنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَقْبِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ أَيُّنَ مَلُوكِ الْأَرْضِ ؟ » . »

حدثت عن حرمة بن يحيى ، قال : ثنا إدريس بن يحيى القائد ، قال : أخبرنا حبان ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني نافع مولى ابن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَدَيْهِ ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ وَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ . » حدثني محمد بن عون ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا ابن أبي مرجم ، قال : ثنا سعيد بن ثوبان الكلاعي ، عن أبي أيوب الأنصاري ، قال : « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حبر من اليهود ، قال : رأيت إذ يقول الله في كتابه (وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قِبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) فأين الخلق عند ذلك ؟ قال : هم فيها كرقم الكتاب . »

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا عمرو بن حمزة ، قال : ثنا سلم ، عن أبيه ، أنه أخبره ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ ، فَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ ، وَيَطْوِي الأَرْضَ ، فَيَأْخُذُهَا بِشِمَالِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ؟ أَيْنَ الْجِبَارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَسِّرُونَ » .
وقيل : إن هذه الآية نزلت من أجل يهودى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة الرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن محمد ، عن سعيد ، قال : « أتى رهط من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هذا الله خلق الخلق ، فمن خلقه ؟ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتفخ لونه ، ثم ساورهم غضبا لربه ، فجاءه جبريل فسكته ، وقال : اخفض عليك جناحك يا محمد ، وجاءه من الله جواب ما سأله عنه ، قال : يقول الله تبارك وتعالى (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) فلما تلاها عليهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : صف لنا ربك ؟ كيف خلقه ؟ وكيف عَضُدُه ؟ وكيف ذِرَاعُه ؟ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول ، ثم ساورهم ، فأناه جبريل ، فقال مثل مقالته ، وأناه بجواب ما سأله عنه ، (وَمَا قَدَرُوا اللهُ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : تكلمت اليهود في صفة الرب ، فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (وَمَا قَدَرُوا اللهُ حَقَّ قَدْرِهِ) ثم بين للناس عظمته ، فقال : (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) ، فجعل صفتهم التي وصفوا الله بها شركا .

وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) يقول في قدرته ، نحو قوله (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) : أى وما كانت لكم عليه قدرة ، وليس الملك لليمين دون سائر الجسد ، قال : وقوله (قَبْضَتُهُ) نحو قولك للرجل هذا يدك ، وفي قبضتك ، والأخبار التي ذكرناها عن رسول الله وعن أصحابه وغيرهم ، تشهد على بَطُولِ هذا القول .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن عائشة ، قالت : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قوله (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فأين الناس يومئذ ؟ قال : على الصراط » .

وقوله سبحانه وتعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره ، تنزيها وتبرئة لله ، وعلوا وارتفاعا عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد ، القائلون لك : أَعْبُدِ الأوثان من دون الله ، واحجد لأهلنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ
أُخْرِي فَأِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : ونفخ إسرافيل في الصور ، وقد بيننا معنى الصور فيما مضى بشواهدنا ، وذكرنا
اختلاف أهل العلم فيه ، والصواب من القول فيه بشواهدنا ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع :
وقوله (فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) يقول : مات ، وذلك في النفخة الأولى .
كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ
فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) قال : مات .
وقوله (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) اختلف أهل التأويل في الذي عصى الله بالاستثناء في هذه الآية ، فقال بعضهم
عصى به جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ
فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) قال : جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت .
حدثني هارون بن إدريس الأصم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد الحاربي ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ،
قال : ثنا الفضل بن عيسى ، عن عمه يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، قال : « قرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) فقيل : من
هؤلاء الذين استثنى الله يارسول الله ؟ قال : جبرائيل ، وميكائيل ، وملك الموت ، فإذا قبض
أرواح الخلائق قال : يا مملك الموت من بقي ؟ وهو أعلم ؛ قال : يقول : سبحانك
تباركت ربّي ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، بقي جبريل وميكائيل وملك الموت ؛ قال : يقول
يا مملك الموت ، خذ نفس ميكائيل ؛ قال : فيقع كالطود العظيم ، قال : ثم يقول
يا مملك الموت من بقي ؟ فيقول : سبحانك ربّي يا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، بقي جبريل
وملك الموت ، قال : فيقول : يا مملك الموت مت ، قال : فيموت ؛ قال : ثم يقول :
يا جبريل من بقي ؟ قال : فيقول جبريل : سبحانك ربّي يا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، بقي
جبريل ، وهو من الله بالمكان الذي هو به ؛ قال : فيقول يا جبريل ، لا بدّ من موته ؛
قال : فيقع ساجداً يخفق بخناحيه ، يقول : سبحانك ربّي ، تباركت وتعاليت يا ذَا الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ ، أنت الباقي ، وجبريل الميت الثاني ، قال : وبأخذ روحه في الحلقة التي خلق منها ،
قال : فيقع على ميكائيل إن فضل خلقه على خلق ميكائيل ، كفضل الطود العظيم على
الطرب من الطراب » .

(١) في اللسان : الطرب : الجبل المنبسط . وقيل : هو الجبل الصغير ، وقيل : الروابي الصغار . والجمع : طراب .

وقال آخرون : عَنِّي بِذَلِكَ الشَّهَدَاءِ .

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن عمارة ، عن ذى حجر اليحمدي ، عن سعيد بن جبير ، في قوله : (فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) قال : الشهداء ثنية الله حول العرش ، متقلدين السيوف .

وقال آخرون : عني بالاستثناء في الفزع : الشهداء ، وفي الصعق : جبريل ، وملك الموت ، وحملة العرش .

ذكر من قال ذلك ، والخبر الذي جاء فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي عبد الرحمن بن محمد ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن يزيد عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ : الْأُولَى : نَفْخَةُ الْفَزَعِ ، وَالثَّانِيَةُ : نَفْخَةُ الصَّعْقِ ، وَالثَّلَاثَةُ : نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، يَا مُرُّ اللَّهِ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الْفَزَعِ ، فَتَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَنِ اسْتَسْتَسْنِي حِينَ يَقُولُ : (فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) قَالَ : أَوْلَيْكَ الشَّهَدَاءُ ، وَإِنَّمَا يَصِلُ الْفَزَعُ إِلَى الْأَحْيَاءِ ، وَأَوْلَيْكَ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، وَقَاهُمُ اللَّهُ فَزَعَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَمَنَهُمْ ، ثُمَّ يَا مُرُّ اللَّهِ إِسْرَافِيلَ بِنَفْخَةِ الصَّعْقِ ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الصَّعْقِ ، فَيَصْعَقُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ، ثُمَّ يَا أَيُّ مَلَكِ الْمَوْتِ إِلَى الْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ قَدْ مَاتَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شِئْتَ ، فَيَقُولُ لَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ : فَمَنْ بَقِيَ ؟ فَيَقُولُ : بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ، وَبَقِيَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : اسْكُتْ ، إِنِّي كَتَبْتُ الْمَوْتَ عَلَى مَنْ كَانَ سَحْتًا عَرْشِي ؛ ثُمَّ يَا أَيُّ مَلَكِ الْمَوْتِ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ قَدْ مَاتَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ وَهُوَ أَعْلَمُ : فَمَنْ بَقِيَ ؟ فَيَقُولُ : بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ، وَبَقِيَتْ أَنَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ : فَلْيَمُتْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ، فَيَمُوتُونَ ؛ وَيَا مُرُّ اللَّهِ تَعَالَى الْعَرْشِ فَيَقْبِضُ الصُّورَ ، فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ قَدْ مَاتَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ؟ فَيَقُولُ : مَنْ بَقِيَ ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ ، فَيَقُولُ : بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَبَقِيَتْ أَنَا ، قَالَ : فَيَقُولُ اللَّهُ : أَنْتَ مِنْ خَلْقِي خَلَقْتُكَ لِمَا رَأَيْتَ ، فَهْتَ لَا تَحْيَى ، فَيَمُوتُ » .

وهذا القول الذي روى في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالصحة ، لأن الصعقة في هذا الموضع : الموت . والشهداء وإن كانوا عند الله أحياء ، كما أخبر الله تعالى ذكره ، فإنهم قد ذاقوا الموت قبل ذلك . وإنما عني جل ثناؤه بالاستثناء في هذا الموضع ، الاستثناء من الذين صعقوا عند نفخة الصعق ، لامن الذين قد ماتوا قبل ذلك بزمان ودهر طويل ، وذلك أنه لو جاز أن يكون الماد بذلك من قد هلك ، وذاق

الموت قبل وقت نفخه الصعق ، وجب أن يكون المراد بذلك من قد هلك ، فذاق الموت من قبل ذلك ، لأنه ممن لا يصعق في ذلك الوقت ، إذا كان الميت لا يجد له موت آخر في تلك الحال .

وقال آخرون في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) قال الحسن : يستثنى الله وما يدع أحدا من أهل السموات ولا أهل الأرض إلا أذاقه الموت ؟ قال قتادة : قد استثنى الله ، والله أعلم إلى ما صارت تثنيتها . قال : ذكر لنا أن نبي الله قال : « أَنَا فِي مَلَكٌ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ اخْتَرْ نَبِيًّا مَلَكَ ، أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا ، فَأَوْمَأَ إِلَى أَنْ تَوَاضَعَ ، قَالَ : نَبِيًّا عَبْدًا ، قَالَ : فَأَعْطَيْتَ خَصَلَتَيْنِ : أَنْ جُعِلْتُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأَجِدُ مُوسَى آخِذًا بِالْعَرْشِ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَصْعِقَ بَعْدَ الصَّعْقَةِ الْأُولَى أَمْ لَا ؟ »

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : « قَالَ يَهُودَى بِسُوقِ الْمَدِينَةِ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ ، قَالَ : فَرَفَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَدَهُ ، فَصَكَ بِهَا وَجْهَهُ ، فَقَالَ : تَقُولُ هَذَا وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَتُفِيحُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نَفِيحٌ فِيهِ الْآخِرَى ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، فَأَكُونُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ، فَإِذَا مُوسَى آخِذًا بِقَائِمَةٍ مِنَ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي أَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلِي ، أَوْ كَانَ يَمِّنَ اسْتَنَى اللَّهُ ؟ » حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن الحسن ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كَأَنِّي أَنْفُضُ رَأْسِي مِنَ التُّرَابِ أَوَّلَ خَارِجٍ ، فَأَلْتَمَعْتُ فَلَا أَرَى أَحَدًا إِلَّا مُوسَى مُتَعَلِّقًا بِالْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي أَمَّنْ اسْتَنَى اللَّهُ أَنْ لَا تُصَيِّبَهُ النَّفْحَةُ ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِي ؟ » وقوله (ثُمَّ نَفِيحٌ فِيهِ الْآخِرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) يقول تعالى ذكره : ثُمَّ نَفْحٌ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ أُخْرَى ، وَالْهَاءُ الَّتِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الصُّورِ .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (ثُمَّ نَفِيحٌ فِيهِ الْآخِرَى) قال : في الصور ، وهي نفخة البعث .
وذكر أن بين النفختين أربعين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا بَيْنَ النَّفْحَتَيْنِ أَرْبَعُونَ ، قَالُوا : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا ؟ قَالَ : أَبَيْتُ ، قَالُوا : أَرْبَعُونَ شَهْرًا ؟ قَالَ : أَبَيْتُ ، قَالُوا : أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قَالَ : أَبَيْتُ ، ثُمَّ يُنَزَّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ، فَتَتَّبِعُونَ كَمَا يَنْبَغُ الْبَقْلُ ، قَالَ : وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْتَلَى ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا ، وَهُوَ عَجَبُ الدَّنْبِ ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . »

حدثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا البلخى بن إياس ، قال : سمعت عكرمة يقول في قوله (فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) . . . الآية ، قال : الأولى من الدنيا ، والأخيرة من الآخرة .
حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَى ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) قال نبي الله : « بَيْنَ التَّمَحُّتَيْنِ أَرْبَعُونَ » - قال : قال أصحابه : فما سألناه عن ذلك ، ولا زادنا على ذلك ، غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة .

وذكر لنا أنه يبعث في تلك الأربعين مطر ، يقال له مطر ، الحياة ، حتى تطيب الأرض وتهتز ، وتنبت أجساد الناس نبات البقل ، ثم ينفخ فيه الثانية (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) قال : « ذكر لنا أن معاذ بن جبل ، سأل نبي الله صلى الله عليه وسلم : كيف يبعث المؤمنون يوم القيامة ؟ قال ؟ يُبْعَثُونَ جُرْدًا مُرْدًا مُكْحَلِينَ بَنِي ثَلَاثِينَ سَنَةً » .

وقوله (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) يقول : فإذا من صعق عند النفخة التي قبلها وغيرهم ، من جميع خلق الله الذين كانوا أمواتا قبل ذلك ، قيام من قبورهم وأما كتبهم من الأرض أحياء ، كهيئتهم قبل مماتهم ، ينظرون أمر الله فيهم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) قال : حين يبعثون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ، وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩)

يقول تعالى ذكره : فأضاءت الأرض بنور ربها ، يقال : أشرقت الشمس : إذا صفت وأضاءت ، وأشرقت : إذا طلعت ، وذلك حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) قال : فما يتضارون في نوره إلا كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) قال : أضاءت .

وقوله (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) يعني : كتاب أعمالهم لحاسبهم ومجازاتهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) قال : كتاب أعمالهم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَوَضِعَ الْكِتَابُ) قال : الحساب . وقوله (وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ) يقول : وجيء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجايبهم به أممهم ، وردت عليهم في الدنيا ، حين أتتهم رسالة الله والشهداء ، يعني بالشهداء : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، يستشهدهم ربهم على الرسل ، فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله التي أرسلهم بها ربهم إلى أممها ، إذ وجدت أممهم أن يكونوا أبلغهم رسالة الله . والشهداء : جمع شهيد ، وهذا نظير قول الله (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ، لَتَسْكُوتُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) وقيل : عنتي بقوله (الشُّهَدَاءِ) : الذين قتلوا في سبيل الله ، وليس لما قالوا من ذلك في هذا الموضع كبير معنى ، لأن عقيب قوله (وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ، وَقَضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ) ، وفي ذلك دليل واضح على صحة ما قلنا ، من أنه إنما دُعي بالنبيين والشهداء ، للقضاء بين الأنبياء وأممها ، وأن الشهداء إنما هي جمع شهيد ، الذين يشهدون للأنبياء على أممهم ، كما ذكرنا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ) فإنهم ليشهدون للرسل بتبليغ الرسالة ، وبتكذيب الأمم إياهم .
ذكر من قال ما حكينا قوله من القول الآخر

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ) : الذين استشهدوا في طاعة الله .
وقوله (وَقَضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ) يقول تعالى ذكره : وقضى بين النبيين وأممها بالحق ، وقضاؤه بينهم بالحق ، ألا يحمل على أحد ذنب غيره ، ولا يعاقب نفسا إلا بما كسبت .

القول في تأويل قوله تعالى

وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا ، وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، قَالُوا بَلَىٰ ، وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١)

يقول تعالى ذكره : ووُفِّيَتْ كل نفس جزاء عملها من خير وشر ، وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا ؛ من طاعة أو معصية ، ولا يعزب عنه علم شيء من ذلك ، وهو مجازيهم عليه يوم القيامة ، فنصيب المحسن بإحسانه ، والمسيء بما أساء .

وقوله (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ) يقول : وحُشِرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ ، إِلَىٰ نَارِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَمَاعَاتٍ ، جَمَاعَةٌ جَمَاعَةٌ ، وَحِزْبًا حِزْبًا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (زُمَرًا) قال : جماعات . وقوله (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أُولَٰئِكَ فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) السبعة (وَقَالَ لَهُمْ خُزِّنْتُمْ هَٰذَا) قَوْمًا : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) يعني : كتاب الله المنزل على رسله ، وحُجِّجَهُ الَّتِي بَعَثَ بِهَا رُسُلَهُ إِلَىٰ أُمَّمِهِمْ (وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا) يقول : وينذرونكم ما تلقون في يومكم هذا ، وقد يحتمل أن يكون معناه : وينذرونكم مصيركم إلى هذا اليوم (قَالُوا : بَلَىٰ) يقول : قال الذين كفروا مجيبين لخزنة جهنم : بلى ؛ قد أتتنا الرسل منا ، فأندرتنا لقاءنا هذا اليوم (وَلَكِنَّ حَقَّقَتْ كَلِمَةَ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) يقول : قالوا : ولكن وجبت كلمة الله ، أن عذابه لأهل الكفر به علينا ، بكفرنا به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَكِنَّ حَقَّقَتْ كَلِمَةَ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) بأعمالهم .

القول في تأويل قوله تعالى

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : فتقول خزنة جهنم للذين كفروا حينئذ : (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ) السبعة ، على قدر منازلكم فيها (خَالِدِينَ فِيهَا) يقول : ما كثرين فيها ، لا يُسْقَلُونَ عَنْهَا إِلَىٰ غَيْرِهَا . (فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) يقول : فبئس مسكن المتكبرين على الله في الدنيا ، أن يوحدوه ويفردوا له الألوهة ، جهنم يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أُولَٰئِكَ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ، وَقَالَ لَهُمْ خُزِّنْتُمْ هَٰذَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ، وَأَوْزَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ، فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤)

يقول تعالى ذكره : وحُشِرَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَخْلَصُوا لَهُ فِيهَا الْأُلُوهَةَ ، وَأَفْرَدُوا لَهُ الْعِبَادَةَ ، فَلَمْ يَشْرِكُوا فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ شَيْئًا (إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا) يعني جماعات ، فكان سوق هؤلاء إلى منازلهم من الجنة وفدًا ، على ما قد بيننا قبل في سورة مريم ، على نجائب من نجائب الجنة ، وسوق الآخرين إلى النار دعاءً وورداً ، كما قال الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، وقد ذكرنا ذلك في أماكنه من هذا الكتاب .

وقد حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) ، وفي قوله (وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) قال : كان سوق أولئك عُنُقًا وتعبا ودفعا ، وقرأ (يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً) قال : يدفعون دفعا ، وقرأ (فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ) قال : يدفعه ، وقرأ (وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ، وَتَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًّا) ثم قال : فهو لاء وفد الله .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا شريك بن عبد الله ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم بن ضمره ، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه قوله (وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) حتى إذا انتهوا إلى بابها ، إذا هم بشجرة يخرج من أصلها عينان ، فعمدوا إلى إحداهما ، فشربوا منها ، كأنما أمروا بها ، فخرج ما في بطونهم من قدر أو أذى أو قَدَى ، ثم عمدوا إلى الأخرى ، فتوضؤوا منها كأنما أمروا به ، فجرت عليهم نَضْرَةٌ النعيم ، فلن تشعث رءوسهم بعدها أبدا ، ولن تبلى ثيابهم بعدها ، ثم دخلوا الجنة ، فتلقاهم الولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون ، فيقولون : أبشر ، أعد الله لك كذا ، وأعد لك كذا وكذا ، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه ، جندل اللؤلؤ الأحمر والأصفر والأخضر ، يتلأأ كأنه البرق ، فلولا أن الله قضى ألا يذهب بصره لذهب ، ثم يأتي بعضهم إلى بعض أزواجه ، فيقول : أبشرى قد قدم فلان ابن فلان ، فيسميه باسمه واسم أبيه ، فتقول : أنت رأيت؟ أنت رأيت؟ فيستخفها الفرح حتى تقوم ، فتجلس على أسكفة بابها ، فيدخل فيتكى على سريره ، ويقرأ هذه الآية : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) . . . الآية .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ذكر أبو إسحاق عن الحارث ، عن علي رضي الله عنه ، قال : يساقون إلى الجنة ، فينهبون إليها ، فيجدون عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان تجريان ، فيعمدون إلى إحداهما ، فيغتسلون منها ، فمجرى عليهم نَضْرَةٌ النعيم ، فلن تشعث رءوسهم بعدها أبدا ، ولن تغبر جلودهم بعدها أبدا ، كأنما دُهِنوا بالدهان ، ويعمدون إلى الأخرى ، فيشربون منها ، فيذهب ما في بطونهم من قدر أو أذى ، ثم يأتون باب الجنة فيستفتحون ، فيفتح لهم ، فتلقاهم خَيْرَةٌ الجنة فيقولون (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ؛ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ !) قال : وتلقاهم الولدان اِخْتَلِدُونَ ، يُطِيفُونَ بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم إذا جاء من الغيبة ، يقولون : أبشر أعد الله لك كذا ، وأعد لك كذا ، فينطلق أحدهم إلى زوجته ، فيبشرها به ، فيقول : قدم فلان ، باسمه الذي كان يسمى به في الدنيا ، وقال : فيستخفها الفرح ، حتى تقوم على أسكفة بابها ، وتقول : أنت رأيت؟ أنت رأيت؟ قال : فيقول : نعم ، قال : فيجيء حتى يأتي منزله ، فإذا أصوله من جندل اللؤلؤ ، من بين أصفر وأحمر وأخضر ، قال : فيدخل ، فإذا الأكواب موضوعة ، والتمارق مصفوفة ، والزرابي مبهوثة ، قال : ثم يدخل إلى زوجته من الحور العين ، فلولا أن الله أعد لها ، لانتفع بصره من نورها وحسبها ، قال : فاتكأ عند ذلك ويقول :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) قال: فتناديهم الملائكة: أن تلکم الجنة أورتموها بما كنتم تعملون .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، قال : ذكر السدي نحوه أيضا ، غير أنه قال : هو أهدي إلى منزله في الجنة ، منه إلى منزله في الدنيا ، ثم قرأ السدي (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَافًا) .
واختلف أهل العربية في موضع جواب « إذا » التي في قوله (حتى إذا جاءوها) فقال بعض نحويي البصرة : يقال إن قوله (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) في معنى : قال لهم ، كأنه يلغى الواو ، وقد جاء في الشعر شيء يشبه أن تكون الواو زائدة ، كما قال الشاعر :

فَإِذَا وَذَلِكَ يَا كُبَيْشَةَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوَهَّم حَالِمٍ بِخَيْالٍ

فيشبه أن يكون يريد : فإذا ذلك لم يكن . قال : وقال بعضهم : فأضمر الخبر ، وإضمار الخبر أيضا أحسن في الآية ، وإضمار الخبر في الكلام كثير . وقال آخر منهم : هو مكفوف عن خبره ، قال : والعرب تفعل مثل هذا ، قال عبد مناف بن ربيع في آخر قصيدة :

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدَةٍ شَلَا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَةَ الشَّرْدَا

وقال الأخطل في آخر قصيدة :

خَلَا أَنْ حَيًّا مِنْ قُرَيْشٍ تَفَضَّلُوا عَلَى النَّاسِ أَوْ أَنْ الْأَكَارِمَ نَهَشَلَا

وقال بعض نحويي الكوفة: أدخلت في حتى إذا وفي فلما، الواو في جوابها وأخرجت، فأما من أخرجها فلا شيء فيه ، ومن أدخلها شبه الأوائل بالتعجب ، فجعل الثاني نسقا على الأول ، وإن كان الثاني جوابا، كأنه قال : أتعجب لهذا وهذا .

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: قول من قال : الجواب متروك ، وإن كان القول الآخر غير مدفوع ، وذلك أن قوله (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ، فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) يدل على أن في الكلام متروكا ، إذ كان عقيبها (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ) ، وإذا كان ذلك كذلك ، فعنى الكلام : حتى إذا جاءوها ، وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها : سلام عليكم طبتم فادخلوها

(١) هذا البيت لم نقف على قائله . استشهد به المؤلف عند قوله تعالى « حتى إذا جاءوها وفتحت » على أن الواو زائدة في قوله تعالى « وفتحت أبوابها » كزيادتها في قول الشاعر : « فإذا وذلك » لأن الشاعر يريد : « فإذا ذلك » بدون واو .

(٢) البيت لعبد مناف بن ربيع الهذلي (اللسان: جل) . و(خزاة الأدب الكبرى للبندادي ٣ : ١٧٠) شاهد على أن جواب إذ عند الرضى شارح كافية ابن الحاجب محذوف لتفخيم الأمر . (وقد تقدم الاستشهاد به على هذا وغيره في الجزء ١٤ : ٩) فراجعه بجمه . وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (الورقة ٢١٧) قال : وقوله « حتى إذا جاءوها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » : مكفوف عن خبره (أي محذوف خبره) والعرب تفعل مثل هذا . قال عبد مناف : « حتى إذا أسلكوهم . . . البيت . . . وفي خزاة الأدب للبندادي (٣ : ١٧١) : وقال في الصحاح : إذا : زائدة . أو يكون قد كفت عن خبره ، لعلم السامع . اهـ . ورد قوله بأن إذا اسم ، والاسم لا يكون لتوا . اهـ .

(٣) البيت للأخطل ، قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢١٧) وذكر البيت بعقب البيت الذي قبله ، ولم يبين موضع الشاهد فيه ، وهو قوله « أو أن الأكارم نهشلا » . فلم يذكر خبر أن الثانية ، كما لم يذكر جواب « إذا » في بيت عبد مناف قبله . والعرب تفعل ذلك إذا كان مفهوما من السياق . وتقدير المحذوف في هذا البيت : أو أن الأكارم نهشلا تفضلوا على الناس .

خالدين ، دخلوها وقالوا : الحمد لله الذي صدقنا وعده . وَعَسَىٰ بِقَوْلِهِ (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) : أُمَّةٌ مِنْ اللَّهِ لَكُمْ ، أَنْ يَنَالَكُمْ بَعْدُ مَكْرُوهٌ أَوْ أَذَىٌ وَقَوْلِهِ (طِيبَتْ) يقول : طابت أعمالكم في الدنيا ، فطاب اليوم مَشَواكُمْ .

وكان مجاهد يقول في ذلك ، ما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (طِيبَتْ) قال : كنتم طيبين في طاعة الله .

وقوله (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) يقول : وقال الذين سيقتلوا زُمَرًا ودخلوها : الشكر خالص لله ، الذي صدقنا وعده ، الذي كان وعده في الدنيا على طاعته ، فحققه بإنجازه لنا اليوم ، (وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ) يقول : وجعل أرض الجنة التي كانت لأهل النار ، لو كانوا أطاعوا الله في الدنيا ، فدخلوها ، ميراثا لنا عنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ) قال : أرض الجنة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ) أرض الجنة . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ) قال : أرض الجنة ، وقرأ (أَنْ الْأَرْضَ يَبْرُئُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) . وقوله (نَتَّبِعُوا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) يقول : نتخذ من الجنة بيتا ، ونسكن منها حيث نحب ونشهى .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (نَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ نَشَاءُ) : نزل منها حيث نشاء .

وقوله (فَتَنَعِمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) يقول : فنعم ثواب المطيعين لله ، العاملين له في الدنيا ، الجنة لمن أعطاه الله إياها في الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ، وَقُضِيَ لِيَنَّهُمْ بِالْحَقِّ ،
وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)

يقول تعالى ذكره : وترى بالملائكة مُحَدِّقِينَ مِنْ حَوْلِ عَرْشِ الرَّحْمَنِ ، ويعني بالعرش : السرير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) : مُحَدِّقِينَ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) قال : مُحَمَّدِ قَيْنَ حَوْلِ الْعَرْشِ ، قال : العرش : السرير ، واختلف أهل العربية في وجه دخول « مِنْ » في قوله : (حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) والمعنى : حافين حول العرش .
وفي قوله (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) ، فقال بعض نحويي البصرة : أدخلت « مِنْ » في هذين الموضعين توكيدا ، والله أعلم ، كقولك : ما جاءني من أحد ، وقال غيره : قبل وحول وما أشبههما : ظروف تدخل فيها « مِنْ » ونخرج ، نحو : أتيتك قبل زيد ، ومن قبل زيد ، وطفنا حولك ومن حولك ، وليس ذلك من نوع : ما جاءني من أحد ، لأن موضع « مِنْ » في قولهم : ما جاءني من أحد : رفع ، وهو اسم .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن « مِنْ » في هذه الأماكن ، أعني في قوله (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) ومن قبلك ، وما أشبه ذلك ، وإن كانت دخلت على الظروف ، فإنها بمعنى التوكيد .

وقوله (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) : يقول : يُصَافُونَ حول عرش الله ، شكره له . والعرب تدخل الباء أحيانا في التسبيح ، وتخذفها أحيانا ، فتقول : سبح بحمد الله ، وسبح حمد الله ، كما قال جل ثناؤه (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) ، وقال في موضع آخر : (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) .

وقوله (وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ) يقول : وقضى الله بين النبيين الذين جاء بهم ، والشهداء وأممها بالعدل ، فأسكن أهل الإيمان بالله ، وبما جاءت به رسله الجنة ، وأهل الكفر به ، وبما جاءت به رسله النار . (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) : يقول : وختمت خاتمة القضاء بينهم بالشكر للذي ابتداء خلقهم ، الذي له الألوهية ، ومُلك جميع ما في السموات والأرض من الخلق ، من ملك وجن وإنس ، وغير ذلك من أصناف الخلق .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) . . . الآية ، كلها قال : فتح أول الخلق بالحمد لله ، فقال : الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وختم بالحمد فقال : (وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

تفسير سورة المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

حَمَّ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ

العِقَابِ ، ذِي الطَّوْلِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرُ (٣)

يختلف أهل التأويل في معنى قوله (حَمَّ) فقال بعضهم : هو حروف مقطعة من اسم الله ، الذي هو الرحمن الرحيم ، وهو الحاء والميم منه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الله بن أحمد بن شيبويه المرزوزي ، قال : ثنا علي بن الحسن ، قال : ثنا أبي ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : الرّ ، وحَمَّ ، ونّ ، حروف الرحمن مقطعة .

وقال آخرون : هو قسم أقسمه الله ، وهو اسم من أسماء الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : (حَمَّ) : قسم أقسمه الله ، وهو اسم من أسماء الله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (حَمَّ) : من حروف أسماء الله .

وقال آخرون : بل هو اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حَمَّ) قال : اسم من أسماء القرآن .

وقال آخرون : هو حروف هجاء .

وقال آخرون : بل هو اسم ، واحتجوا لقولهم ذلك ، بقول شريح بن أوفى العبسي :

يُنْدَكِرُنِي حَامِيمٌ وَالرُّمُحَ شَاجِرٌ فَهَلَا تَلَاحِمَ قَبِيلَ التَّقْدُمِ

(١) البيت لشريح بن أوفى العبسي ، كما قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢١٧ ب) وكما في (اللسان : حمم) وقال : وأنشده غير أبي عبيدة للأشتر النخعي . وقال : قال ابن مسعود : « آل حاميم » : ديباج القرآن . قال الفراء : هو كقولك آل فلان وآل فلان . وقال الجوهري : أما قول العامة « الحواميم » فليس من كلام العرب . قال أبو عبيدة : « الحواميم » : سور في القرآن ، على غير قياس ، وأنشده :

وَبِالطَّوَّاسِينَ الَّتِي قَدْتُ ثُلُثْتُ وَبِالْحَوَامِيمِ الَّتِي قَدْتُ سُبِعْتُ

قال : والأولى أن تجمع « بنوات حاميم » . وأنشده أبو عبيدة في « حاميم » لشريح بن أوفى العبسي : « يذكرني حاميم . . . البيت » قال : وأنشده غيره للأشتر النخعي . والضمير في « يذكرني » : هو محمد بن طلحة ، وقتله الأشتر أو شريح . (أي في يوم الجمل) اهـ .

وبقول الكُفْمِيَّتِ :

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً تَأْوَلَهَا مِنَّا تَقِيٍّ وَمُعْرِبٍ ۱

وحُدثت عن معمر بن المثنى أنه قال : قال يونس : يعنى الجرمي ۱ ، ومن قال هذا القول فهو منكّر عليه ، لأن السورة (حم) ساكنة الحروف ، فخرجت مخرج التهجى ، وهذه أسماء سور خرجت متحركات وإذا سميت سورة بشيء من هذه الأحرف المجزومة ، دخله الإعراب .

والقول في ذلك عندي : نظير القول في أخواتها ، وقد بيننا ذلك ، في قوله (الم) ، ففي ذلك كفاية عن إعادته في هذا الموضع ، إذ كان القول في حم ، وجميع ما جاء في القرآن على هذا الوجه ، أعنى حروف التهجى ، قولاً واحداً .

وقوله (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) : يقول الله تعالى ذكره : من الله العزيز في انتقامه من أعدائه ، والعليم بما يعملون من الأعمال وغيرها تنزيل هذا الكتاب ، فالتنزيل مرفوع بقوله (مِنَ اللَّهِ) وفي قوله (غَافِرِ الذَّنْبِ) وجهان : أحدهما : أن يكون بمعنى يغفر ذنوب العباد ، وإذا أريد هذا المعنى ، كان خفض غافر وقابل من وجهين ، أحدهما : من نية تكرير «مِنَ» ، فيكون معنى الكلام حينئذ : تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، من غافر الذنب ، وقابل التوب ، لأن غافراً الذنب نكرة ، وليس بالأفصح أن يكون نعناً للمعرفة ، وهو نكرة ، والآخر : أن يكون أجرى في إعرابه وهو نكرة ، على إعراب الأول ، كالنعت له ، لوقوعه بينه وبين قوله (ذِي الطُّوْلِ) وهو معرفة . وقد يجوز أن يكون أتبع إعرابه وهو نكرة إعراب الأول ، إذ كان مدحاً ، وكان المدح يتبع إعرابه ما قبله أحياناً ، ويعدل به عن إعراب الأول أحياناً ، بالنصب والرفع ، كما قال الشاعر :

لَا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سَمُّ الْعُسْدَاةِ وَآفَةُ الْجُرُزِ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَبَرِكٍ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ ٢

(١) البيت للكثير بن زيد الأسدي (بجاء القرآن لأبي عبيدة ٢١٨ - ١) وديوانه مطبعة الموسوعات بالقاهرة ١٨ . وآل حاميم وذوات حاميم : السور التي أوها «حم» ، نص الحريري في درة الفواص ، عل أنه يقال : آل ، حاميم وذوات حاميم ، وآل طم ، ولا يقال : حواميم ولا طواسيم اه . والآية هي قوله تعالى في سورة الشورى : «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» . وفي سورة الأحزاب من غير آل حاميم : «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيرا» . والتقى : الساكت عن التفضيل ، والمغرب : الناطق به ، ورواية البيت في مجاز القرآن :

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَمِّ آيَةً ۱ وَفِي غَنَبِهَا آيٌ ۲ ، وَأَيُّ يُعْرَبُ ۳

ثم قال : قال يونس : من قال هذا القول ، فهو منكّر عليه ، لأن السورة «حم» ساكنة الحروف ، فخرجت مخرج حروف التهجى ، وهذه أسماء سور خرجت متحركات ، وإذا سميت سورة بشيء من هذه الأحرف المجزومة (كذا) ، دخلها الإعراب . اه . وقول المؤلف : يعنى الجرمي : تبيننا عليه فيما مضى ، لأن الجرمي اسمه صالح ابن إسحاق أبو عمر .

(٢) البيتان لخرنق بنت هفان من قصبدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبي ، وابنها علقمة بن بشر وجماعة من قومها قتلوا في معركة (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٢ : ٣٠٦) ومحل الشاهد في البيتين أنه يجوز قطع نعت المعرفة بالواو ، فقولها : والطيبون نعت مقطوع بالواو من قومي ، للمدح والتعظيم ، يجعله خبر مبتدأ محذوف ، أى هم الطيبون . وقوله : «النازلين» : مقطوع بالنصب ، مع أنه نعت لقومي المرفوع . وإنما نصب بفعل مقدر ، أى أمدح أو أعنى ، أو نحوها ، واستشهد بهما المؤلف (الطبرى) على أن قوله تعالى : «غافر الذنب» نعت لفظ «الله» المحرور بمن ، ويجوز في هذا التثنية الجر على الإتيان ، كما يجوز فيه القطع بالنصب ، بتقدير فعل : أى أخص غافر الذنب ، أو بالرفع ، بتقدير مبتدأ : أى هو غافر الذنب .

وكما قال جل ثناؤه (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ، فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) فرفع فعَّال وهو نكرة محضة ، وأتبع إعراب الغفور الودود ، والآخر : أن يكون معناه : أن ذلك من صفته تعالى ، إذ كان لم يزل لذنوب العباد غفورا من قبل نزول هذه الآية ، وفي حال نزولها ، ومن بعد ذلك ، فيكون عند ذلك معرفة صحيحة ، ونعنا على الصحة . وقال (غافِرِ الذَّنْبِ) ولم يقل الذنوب ، لأنه أريد به الفعل . وأما قوله (وَقَابِلِ التَّوْبِ) فإن التوب قد يكون جمع توبة ، كما يجمع الدومة دوما ، والعمومة عوما ، من عمومة السفينة ، كما قال الشاعر :

عَوْمَ السَّفِينِ فَلَمَّا حَالَ دُونَهُمْ ۱

وقد يكون مصدر : تاب يتوب توبا .

وقد حدثني محمد بن عبيد المخاربي ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق ، قال : جاء رجل إلى عمر ، فقال : إني قتلت فهل لي من توبة ؟ قال : نعم ، اعمل ولا تيأس ، ثم قرأ (حمّ - تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، غَافِرِ الذَّنْبِ ، وَقَابِلِ التَّوْبِ) .
وقوله (شَدِيدِ الْعِقَابِ) يقول تعالى ذكره : شديد عقابه لمن عاقبه من أهل العصيان له ، فلا تتكلموا على سعة رحمته ، ولكن كونوا منه على حذر ، باجتناب معاصيه ، وأداء فرائضه ، فإنه كما أنه لا يؤيس أهل الإجمام والآثام من عفوه ، وقبول توبة من تاب منهم من جرّمه ، كذلك لا يؤمنهم من عقابه وانتقامه منهم بما استحلوا من إجمارمه ، وركبوا من معاصيه .
وقوله (ذِي الطَّوْلِ) يقول : ذى الفضل والنعم المبسوطة على من شاء من خلقه ، يقال منه : إن فلانا لذو طولٍ على أصحابه : إذا كان ذا فضل عليهم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ذِي الطَّوْلِ) يقول : ذى السعة والغنى .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (ذِي الطَّوْلِ) : الغنى .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذِي الطَّوْلِ) : أى ذى النعم .
وقال بعضهم : الطَّوْلُ : القدرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذِي الطَّوْلِ) قال : الطول القدرة ، ذاك الطول .

(١) هذا صدر بيت لم نعرف قائله ، ولا عجزه . استشهد به المؤلف على أن التوب فى قوله تعالى : « قابِلِ التَّوْبِ » : قد يكون جمع توبة ، كما يجمع الدومة دوما ، والعمومة عوما ، من عوم السفينة .

وقوله (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ) يقول : لامعبود تصلح له العبادة إلا الله العزيز العليم ، الذي صفته ما وصف جل ثناؤه ، فلا تعبدوا شيئا سواه (إِلَهِي الْمَصِيرُ) يقول تعالى ذكره : إلى الله مصيركم ومرجعكم أيها الناس ، فإياه فاعبدوا ، فإنه لا ينفعكم شيء عبدتموه عند ذلك سواه .

القول في تأويل قوله تعالى

مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥)

يقول تعالى ذكره : ما يخاصم في حجج الله وأدلته على وحدانيته بالإلكار لها ، إلا الذين جحدوا توحيديه . وقوله (فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) : يقول جل ثناؤه : فلا يخدعك يا محمد تصرفهم في البلاد ، وبقاؤهم ومكثهم فيها ، مع كفرهم بربهم ، فتحسب أنهم إنما أمهلوا وتقلبوا ، فنصرفوا في البلاد مع كفرهم بالله ، ولم يعاجلوا بالنقمة والعذاب على كفرهم ، لأنهم على شيء من الحق ، فإنما لم نمهلهم لذلك ، ولكن ليبلغ الكتاب أجله ، ولتحق عليهم كلمة العذاب ، عذاب ربك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) : أسفارهم فيها ، ومجيئهم وذهابهم ، ثم قص على رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص الأمم المكذبة رسلها ، وأخبره أنهم كانوا من جدالهم لرسله ، على مثل الذي عليه قومه الذين أرسل إليهم ، وأنه أحل بهم من نعمته عند بلوغهم أمدهم ، بعد إعدار رسله إليهم ، وإنذارهم بأسه ما قد ذكر في كتابه ، إعلاما منه بذلك نبيه ، أن سنته في قومه الذين سلخوا سبيل أولئك في تكذيبه وجداله ، سنته من إحلال نعمته بهم ، وسطوته بهم ، فقال تعالى ذكره : كذبت قبل قومك المكذبين لرسالتك إليهم رسولا ، المخادليك بالباطل ، قوم نوح والأحزاب من بعدهم ، وهم الأمم الذين تحزبوا وتجمعوا على رسلهم بالتكذيب لها ، كعاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وأصحاب مدائن وأشباهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ) قال : الكفار .
وقوله (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) يقول تعالى ذكره : وهمت كل أمة من هذه الأمم المكذبة رسلها ، المتحزبة على أنبيائها ، برسولهم الذي أرسل إليهم ، ليأخذوه فيقتلوه .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ)

لِيَأْخُذُوهُ) : أى ليقتلوه ، وقيل برسوخم ، وقد قيل : كل أمة ، فوجّهت الهاء والميم إلى الرجل دون لفظ الأمة ، وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله برسولها ، يعنى برسول الأمة .
 وقوله (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) يقول : وخصموا رسولهم بالباطل من الخصومة ، ليبتلوا بجادلهم إياه ، وخصومتهم له ، الحق الذى جاءهم به من عند الله ، من الدخول فى طاعته ، والإقرار بتوحيده ، والبراءة من عبادة ما سواه ، كما يخاصمك كفار قومك يا محمد بالباطل .
 وقوله (فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) يقول تعالى ذكره : فأخذت الذين هموا برسوخم ليأخذوه ، بالعذاب من عندي ، فكيف كان عقابي إياهم ، ألم أهلكهم فأجعلهم للخلق عبرة ، ولن بعدهم عظة ؟ وأجعل ديارهم ومسكنهم منهم خللاء ، ولوحوش ثواء ؟
 وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) قال : شديد والله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦)

يقول تعالى ذكره : وكما حق على الأمم التى كذبت رسلها ، التى قصصت عليك يا محمد قصصها ، عذابي ، وحل بها عقابي ، بتكذيبهم رسلهم ، وجدالهم إياهم بالباطل ، ليدحضوا به الحق ، كذلك وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك ، الذين يجادلون فى آيات الله .
 وقوله (أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) اختلف أهل العربية فى موضع قوله (أَنَّهُمْ) ، فقال بعض نحويى البصرة : معنى ذلك : حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار : أى لأنهم ، أو بأنهم ، وليس أنهم فى موضع مفعول ، ليس مثل قولك : أحققت أنهم ، لو كان كذلك كان أيضا أحققت لأنهم : وكان غيره يقول : « أنهم » بدل من الكلمة ، كأنه حقت الكلمة حقا : أنهم أصحاب النار .
 والصواب من القول فى ذلك ، أن قوله « أنهم » ترجمة عن الكلمة ، بمعنى : وكذلك حق عليهم عذاب النار ، الذى وعد الله أهل الكفر به .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا : رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ، وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧)

يقول تعالى ذكره : الذين يحملون عرش الله من ملائكته ، ومن حول عرشه ، ممن يحف به من الملائكة .

(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يقول : يصلون لربهم بحمده وشكره (وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) يقول : ويقرون بالله أنه لا إله لهم سواه ، ويشهدون بذلك ، لا يستكبرون عن عبادته (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) : يقول : ويسألون ربهم أن يغفر للذين أقرؤا بمثل إقرارهم من توحيد الله ، والبراءة من كل معبود سواه ، ذنوبهم ، فيغفوها عنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) : لأهل لا إله إلا الله .

وقوله (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا) ، وفي هذا الكلام محذوف ، وهو يقولون : ومعنى الكلام : ويستغفرون للذين آمنوا يقولون : يا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما . ويعنى بقوله : (وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا) : وسعت رحمتك وعلمتك كل شيء من خلقك ، فعلمت كل شيء ، فلم يخف عليك شيء ، ورحمت خلقك ، ووسعتهم برحمتك .

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب الرحمة والعلم ، فقال بعض نحوئي البصرة : انتصاب ذلك كانتصاب لك مثله عبدا ، لأنك قد جعلت وسعت كل شيء ، وهو مفعول له ، والفاعل التاء ، وجاء بالرحمة والعلم تفسيرا ، وقد شغلت عنهما الفعل كما شغلت المثل بالهاء ، فلذلك نصبته ، تشبيها بالمفعول بعد الفاعل ، وقال غيره : هو من المنقول ، وهو مفسر ، وسعت رحمته وعلمه ، ووسع هو كل شيء رحمة ، كما تقول : طابت به نفسى ، وطبت به نفسا ، وقال : أمالك مثله عبدا ، فإن المقادير لا تكون إلا معلومة ، مثل عندى رطل زينا ، والمثل غير معلوم ، ولكن لفظه المعرفة ، والعبد نكرة ، فلذلك نصب العبد ، وله أن يرفع ، واستشهد لقيه ذلك بقول الشاعر :

ما في معدِّ القبايل كلها قحطان مثلكَ واحدٌ معدودٌ

وقال ردِّ الواحد على مثل ، لأنه نكرة ، قال : ولوقلت : ما مثلك رجل ، ومثلك رجل ، ومثلك رجلا ، جاز ، لأن مثل يكون نكرة ، وإن كان لفظها معرفة .

وقوله (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) يقول : فاصفح عن جرهم من تاب من الشرك بك من عبادك ، فارجع إلى توحيدك ، واتبع أمرك ونهيك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فاغفر للذين تابوا) من الشرك . وقوله (وآتبعوا سبيلك) يقول : وسلخوا الطريق الذى أمرتهم أن يسلكوه ، ولزموا المساج الذى أمرتهم بلزومه ، وذلك الدخول فى الإسلام .

(١) لم أقف على قائله . واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما » وقد اختلف أهل العربية في نصب رحمة . . الخ . والشاهد في البيت قوله « مثلك واحد » فيجوز في « واحد » أن يرد على « مثلك » بطريق البديل منه . ويجوز أيضا أن يكون تفسيرا : أى تميزا للمثل ، لأنه وإن كان معرفة فى لفظه ، فهو نكرة فى معناه ، فاحتاج من أجل ذلك إلى التفسير (التمييز) مثل قولك : لك مثله أرضا ، وعندى قدان أرضا ، ورطل زينا . لأن المقادير لا تكون إلا معلومة ، وقوله « مثلك » فى معنى ألقاظ المقادير . وأما نصب رحمة فى الآية ، فقد بينه المؤلف .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) : أى طاعتك .
وقوله (وَوَيْهِمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ) يقول : واصرف عن الذين تابوا من الشرك ، واتبعوا سبيلك
عذاب النار يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ،
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء ملائكته لأهل الإيمان به من عباده ، تقول : يا ربنا وأدخلهم جنات
عدن (يعنى : بساتين إقامة (الی وَعَدْتَهُمْ) يعنى التي وعدت أهل الإنابة إلى طاعتك أن تدخلهموها .
(وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) يقول : وأدخل مع هؤلاء الذين تابوا (وَاتَّبَعُوا
سَبِيلَكَ) جنات عدن ، من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، فعمل بما يرضيك عنه من الأعمال
الصالحة في الدنيا ، وذكر أنه يدخل مع الرجل أبواه وولده وزوجته الجنة ، وإن لم يكونوا عملوا عمله ، بفضل
رحمة الله إياه .

كما حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا يحيى بن يمان العجلي ، قال : ثنا شريك ، عن سعيد ، قال : يدخل
الرجل الجنة ، فيقول : أين أبى ؟ أين أمى ؟ أين ولدى ؟ أين زوجتى ؟ فيقال : لم يعملوا مثل عملك ،
فيقول : كنت أعمل لى ولهم ، فيقال : أدخلوهم الجنة ، ثم قرأ (جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ، وَمَنْ
صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) فمن إذن إذ كان ذلك معناه ، فى موضع نصب عطفاً على
الهاء والميم فى قوله (وَأَدْخِلْهُمْ) وجائز أن يكون نصبا ، على العطف على الهاء والميم فى وعدتهم (إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول : إنك أنت يا ربنا العزيز فى انتقامه من أعدائه ، الحكيم فى تدبيره خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَوَيْهِمُ الْعَذَابُ ، وَمَنْ تَقِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)

يعنى تعالى ذكره بقوله مخبرا عن قبل ملائكته : وويهم : اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التي كانوا
أتوها قبل توبتهم وإنابتهم ، يقولون : لا تؤاخذهم بذلك ، فتعذبهم به (وَمَنْ تَقِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ
فَقَدْ رَحِمْتَهُ) : يقول : ومن تصرف عنه سوء عاقبة سيئاته بذلك يوم القيامة ، فقد رحمته ، فنجيته من
عذابك (وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) لأنه من نجا من النار وأدخل الجنة ، فقد فاز ، وذلك لاشك هو
الفوز العظيم .

وبنحو الذي قلنا في معنى السيئات قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) : أى العذاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معمر بن بشير ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة ، عن مطرف ، قال : وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة ، وأغش العباد للعباد الشياطين ، وتلا (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال مطرف : وجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين ، ووجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى
الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قَالُوا : رَبَّنَا آمَنَّا أَلْتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أُلْتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى
خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١)

يقول تعالى ذكره : إن الذين كفروا بالله ينادون في النار يوم القيامة إذا دخلوها ، فمقتوا بدخولهموها أنفسهم ، حين عاينوا ما أعد الله لهم فيها من أنواع العذاب ، فيقال لهم : لمقت الله إياكم أيتها القوم في الدنيا ، إذ تدعون فيها للإيمان بالله فتكفرون ، أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم ، لما حل بكم من سخط الله عليكم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : مقتوا أنفسهم حين رأوا أعمالهم ، ومقت الله إياهم في الدنيا ، إذ يدعون إلى الإيمان فيكفرون ، أكبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ) يقول : لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا ، فتركوه ، وأبوا أن يقبلوا أكبر مما مقتوا أنفسهم ، حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) في النار (إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ) في الدنيا (فَتَكْفُرُونَ) .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ) ...

الآية ، قال : لما دخلوا النار مَقْتُوا أنفسهم في معاصي الله التي ركبوها ، فنُودُوا : إن مقت الله إياكم حين دعاكم إلى الإسلام ، أشد من مقتكم أنفسكم اليوم حين دخلتم النار .

واختلف أهل العربية في وجه دخول هذه اللام في قوله (لَمَقْتُ اللهُ أَكْبَرُ) فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة : هي لام الابتداء ، كأن ينادون : يقال لهم ، لأن في النداء قول . قال : ومثله في الإعراب يقال : لزيد أفضل من عمرو . وقال بعض نحوي الكوفة : المعنى فيه : ينادون إن مقت الله إياكم ، ولكن اللام تكفي من أن تقول في الكلام : ناديت إن زيدا قائم ، قال : ومثله قوله (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَ جُنَّةٌ حَتَّى حِينٍ) اللام بمنزلة إن في كل كلام ضارع القول ، مثل ينادون ويخبرون ، وأشبه ذلك .

وقال آخر غيره منهم : هذه لام اليمين ، تدخل مع الحكاية ، وما ضارع الحكاية ، لتدل على أن ما بعدها ائتلاف . قال : ولا يجوز في جوابات الأيمان أن تقوم مقام اليمين ، لأن اللام كانت معها النون أو لم تكن ، فاكتفى بها من اليمين ، لأنها لاتقع إلا معها .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : دخلت لتؤذن أن ما بعدها ائتلاف ، وأنها لام اليمين . وقوله (رَبَّنَا آمَنَّا آثَمَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا آثَمَتَيْنِ) قد أتينا عليه في سورة البقرة ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع ، ولكننا نذكر بعض ما قال بعضهم فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (آمَنَّا آثَمَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا آثَمَتَيْنِ) قال : كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم ، فأحياهم الله في الدنيا ، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة ، فهما حياتان وموتتان .

وحدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (آمَنَّا آثَمَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا آثَمَتَيْنِ) : هو قول الله (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ، ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (رَبَّنَا آمَنَّا آثَمَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا آثَمَتَيْنِ) قال : هو كقوله (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا) . . . الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، في قوله (آمَنَّا آثَمَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا آثَمَتَيْنِ) قال : هي كالتي في البقرة : (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ، ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) .

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبث ، قال : ثنا حصين ، عن أبي مالك في هذه الآية : (آمَنَّا آثَمَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا آثَمَتَيْنِ) قال : خلقتنا ولم تكن شيئا ، ثم أمتنا ، ثم أحييتنا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك ، في قوله (أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قالوا : كانوا أمواتا فأحياهم الله ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم .

وقال آخرون فيه ، ما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال : أميتوا في الدنيا ، ثم أحياوا في قبورهم ، فسئلوا أو نحو طبوا ، ثم أميتوا في قبورهم ، ثم أحياوا في الآخرة .

وقال آخرون في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : (رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال : خلقهم من ظهر آدم ، حين أخذ عليهم الميثاق ، وقرأ (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِمَّنْ ظَهَرِ لَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) ، فقرأ حتى بلغ (الْمُبْطِلُونَ) قال : فسأهم الفعل ، وأخذ عليهم الميثاق ، قال : وانزع ضلعا من أضلاع آدم القُصْرَى ، فخلق منه حواء ، ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : وذلك قول الله : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) . قال : بث منهما بعد ذلك في الأرحام خلقا كثيرا ، وقرأ (يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ) قال : خلقا بعد ذلك ؛ قال : فلما أخذ عليهم الميثاق ، أماتهم ، ثم خلقهم في الأرحام ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يوم القيامة ، فذلك قول الله (رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ، فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا) ، وقرأ قول الله (وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا) قال يومئذ ، وقرأ قول الله (وَإِذْ كَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقْتُمْ بِهِ ، إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) .

وقوله (فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا) يقول : فأقررنا بما عملنا من الذنوب في الدنيا (فهَلَّ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ) يقول : فهل إلى خروج من النار لنا سبيل ، ليرجع إلى الدنيا ، فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فهَلَّ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ) : فهل إلى كرامة إلى الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ، وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ

الْكَبِيرِ (١٢)

وفي هذا الكلام متروك ، استغنى بدلالة الظاهر من ذكره عليه ، وهو فأجيبوا أن لاسبيل إلى ذلك ، هذا الذي لكم من العذاب أيها الكافرون (يَا نَهْ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ) ، فأنكرتم أن تكون الألوهة له خالصة ، وقلم (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ لِطَا وَاحِدًا) .

(وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا) يقول : وإن يجعل الله شريك تصدقوا من جعل ذلك له (فالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ) يقول : فالقضاء لله العلي على كل شيء ، الكبير ، الذي كل شيء دونه متصاغرا له اليوم ،

القول في تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا، وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (١٣)

فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : الذي يريكم أيها الناس حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته (وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) : يقول : ينزل لكم من أرزاقكم من السماء ، بإدراك الغيث الذي يخرج به أفواتكم من الأرض ، وغذاء أنعامكم عليكم (وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) : يقول : وما يتذكر حجج الله التي جعلها أدلة على وحدانيته ، فيعتبر بها ويتعظ ، ويعلم حقيقة ما تدل عليه ، إلا من يُنِيبُ : يقول : إلا من يرجع إلى توحيده ، ويقبل على طاعته .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) قال : من يقبل إلى طاعة الله .

وقوله (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) : يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به ، فاعبدوا الله أيها المؤمنون له ، مخلصين له الطاعة ، غير مشركين به شيئاً مما دونه (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) يقول : ولو كره عبادتكم إياه مخلصين له الطاعة ، الكافرون المشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأنداد .

القول في تأويل قوله تعالى

رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ، يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، لِيُنذِرَ يَوْمَ

التَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، لَمَّا أَمْلَكَ الْيَوْمَ اللَّهُ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ (١٦)

يقول تعالى ذكره : هو رفيع الدرجات ، ورفع قوله (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) على الابتداء ، ولوجاء نصبا على الرد على قوله : فادعوا الله ، كان صواباً (ذُو الْعَرْشِ) يقول : ذو السرير المحيط بما دونه .

وقوله (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول : ينزل الوحي من أمره على من يشاء من عباده .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الروح في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى به الوحي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ) قال :

الوحي من أمره .

وقال آخرون : عنى به القرآن والكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثني ها رون بن إدريس الأصم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك

في قوله (يَأْتِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) قال: يعني بالروح: الكتاب يُنزلُه على من يشاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَأْتِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) ، وقرأ (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) قال : هذا القرآن هو الروح ، أوحاه الله إلى جبريل ، وجبريل روح نزل به على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقرأ (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) قال : فالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه هي الروح ، ليستدر بها ما قال الله يوم التلاق ، (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا) ، قال : الروح : القرآن ، كان أبي يقوله ، قال ابن زيد : يقومون له صفابين السماء والأرض ، حين ينزل جلّ بجلاله .
وقال آخرون : عني به النبوة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قول الله (يَأْتِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) قال : النبوة على من يشاء ، وهذه الأقوال متقاربات المعاني ، وإن اختلفت ألفاظ أصحابها بها .
وقوله (لِيَسْتَذِيرَ يَوْمَ التَّلَاقِ) يقول : لينذر من يلقي الروح عليه من عباده من أمر الله ، بإنذاره من خلقه عذاب يوم تلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض ، وهو يوم التلاق ، وذلك يوم القيامة .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ التَّلَاقِ) من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله ، وحذره عباده .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ التَّلَاقِ) : يوم تلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض ، والخالق والخلق .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يَوْمَ التَّلَاقِ) تلتقي أهل السماء وأهل الأرض .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (يَوْمَ التَّلَاقِ) قال : يوم القيامة . قال : يوم تلاق العباد .

وقوله (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) يعني بقوله (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ) يعني المنذرين الذين أرسل الله إليهم رسله ، لينذروهم وهم ظاهرون ، يعني للناظرين ، لا يحول بينهم وبينهم جبل ولا شجر ، ولا يستر بعضهم عن بعض ساتر ، ولكنهم بقاع صَفْصَف ، لا أمت في ولا عوج ، وهم من قوله (يَوْمَ هُمْ) في موضع رفع بما بعده ، كقول القائل : فعلت ذلك يوم الحججاج أمير .

واختلف أهل العربية في العلة التي من أجلها لم تخفض همم بيوم ، وقد أضيف إليه ، فقال بعض نحويي البصرة : أضاف يوم إلى هم في المعنى ، فلذلك لا يتوّن اليوم ، كما قال (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْتَلُونَ) . وقال : (هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ) ومعناه : هذا يوم فتنهم ، ولكن لما ابتدأ بالإسم ، وبني عليه ، لم يقدر على جره ، وكانت الإضافة في المعنى إلى الفتنة ، وهذا إنما يكون إذا كان اليوم في معنى إذ ، وإلا فهو قبيح ؛ ألا ترى أنك تقول : لقبئك زمن زيد أمير : أي إذ زيد أمير ، ولو قلت : ألك زمن زيد أمير ، لم يحسن . وقال غيره : معنى ذلك : أن الأوقات جعلت بمعنى إذ وإذا ، فلذلك بقيت على نصبها في الرفع والخفض والنصب ، فقال (وَمِنْ حِزْبِي يَوْمَئِذٍ) فنصبوا ، والموضع خفض ، وذلك دليل على أنه جعل موضع الأداة ، ويجوز أن يعرب بوجوه الإعراب ، لأنه ظهر ظهور الأسماء ؛ ألا ترى أنه لا يعود عليه العائد ، كما يعود على الأسماء ، فإن عاد العائد نون وأعرب ولم يصف ، فقيل : أعجبتني يوم فيه تقول ، لما أن خرج من معنى الأداة ، وعاد عليه الذكر صار اسما صحيحا . قال : وجائر في إذ أن تقول : أتيتك إذ تقوم ، كما تقول : أتيتك يوم يجلس القاضي ، فيكون زمنا معلوما ، فأما أتيتك يوم تقوم فلا مؤنة فيه ، وهو جائز عند جميعهم ، وقال : وهذه التي تسمى إضافة غير محضة .

والصواب من القول عندى في ذلك ، أن نصب يوم وسائر الأزمنة في مثل هذا الموضع ، نظير نصب الأدوات لوقوعها مواقعها ، وإذ أعربت بوجوه الإعراب ، فلائها ظهرت ظهور الأسماء ، فعولت معاملتها . وقوله (لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) أي ولا من أعمالهم التي عملوها في الدنيا (شَيْءٌ) .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) ولكنهم برزوا له يوم القيامة ، فلا يستترون بجبل ولا مدر . وقوله (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟) يعني بذلك : يقول الرب : لمن الملك اليوم ؟ وترك ذكر «يقول» استغناء بدلالة الكلام عليه ، وقوله (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) وقد ذكرنا الرواية الواردة بذلك فيما مضى قبل . ومعنى الكلام : يقول الرب : لمن السلطان اليوم ؟ وذلك يوم القيامة ، فيجيب نفسه ، فيقول : (لِلَّهِ الْوَاحِدِ) الذي لا مثل له ولا شبيهه (الْقَهَّارِ) لكل شيء سواه بقدرته ، الغالب بعزته .

القول في تأويل قوله تعالى

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيله يوم القيامة ، حين يبعث خلقه من قبورهم لموقف الحساب (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) يقول : اليوم يثاب كل عامل بعمله ، فيؤتى أجر عمله ، فعامل الخير يجزي الخير ، وعامل الشر يجزي جزاءه .

وقوله (لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ) يقول : لا يخس على أحد فيما استوجبه من أجر عمله في الدنيا ، فينقص منه إن كان محسنا ، ولا حميل على مسيء لثم ذنب لم يعمله ، فيعاقب عليه (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يقول : إن الله

ذو سرعة في محاسبة عباده يومئذ على أعمالهم التي عملوها في الدنيا ، ذُكر أن ذلك اليوم لا يُنتَصَف حتى يقبل أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، وقد فُرِغَ من حسابهم ، والقضاء بينهم .

اصول في تأويل قول تعالى

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٍ ، مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَنْفُضُونَ بِشَيْءٍ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه : وأنذر يا محمد مشركي قومك يوم الآزفة ، يعني يوم القيامة ، أن يوافقوا الله فيه بأعمالهم الخبيثة ، فيستحقوا من الله عقابه الأليم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (يَوْمَ الْآزِفَةِ) قال : يوم القيامة .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) : يوم القيامة .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) قال : يوم القيامة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) قال : يوم القيامة ، وقرأ (أَرْفَتِ الْآزِفَةَ) ، لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ .
وقوله (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٍ) يقول تعالى ذكره : إذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله ، لدى حناجرهم ، قد شخصت من صدورهم ، فتعلقت بحلوقهم كاظميا ، يرومون ردها إلى مواضعها من صدورهم ، فلا ترجع ، ولا هي تخرج من أبدانهم فيموتوا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ) قال : قد وقعت القلوب في الحناجر من المخافة ، فلا هي تخرج ، ولا تعود إلى أمكنتها .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٍ) قال : شخصت أفئدتهم عن أمكنتها ، فذشيت في حلوقهم ، فلم تخرج من أجوافهم فيموتوا ، ولم ترجع إلى أمكنتها فتستقر .

واختلف أهل العربية في وجه نصب (كاظييين) فقال بعض نحوِّي البصرة : انتصابه على الحال ، كأنه أراد : إذ القلوب لدى الحناجر في هذه الحال . وكان بعض نحوِّي الكوفة يقول : الألف واللام بدل من الإضافة ، كأنه قال : إذ قلوبهم لدى حناجرهم في حال كظمهم . وقال آخر منهم : هو نصب على التقطع من المعنى الذي يرجع من ذكرهم في القلوب والحناجر ، المعنى : إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظييين . قال : فإن شئت جعلت قطعه من الهاء التي في قوله (وَأَنْذِرْهُمْ) قال : والأول أجود في العربية ، وقد تقدم بيان وجه ذلك .

وقوله (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ) : يقول جل ثناؤه : ما للكافرين بالله يومئذ من حميمٍ يُحَمِّمٌ لهم ، فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله ، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم ، فيقطع فيما شفيع ، ويُجَاب فيما سأل .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ) : قال : من يعنيه أمرهم ، ولا شفيع لهم .

وقوله (يُطَاعُ) صلة للشفيع . ومعنى الكلام : ما للظالمين من حميم ، ولا شفيع إذا شَفَعَ أُطِيعَ فيما شَفَعَ ، فأجيب وقبِلت شفاعته له .

وقوله (يَعْلمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ) : يقول جل ذكره مجبرا عن صفة نفسه : يعلم ربكم ما خانت أعين عباده ، وما أخفته صدورهم ، يعني : وما أضمرته قلوبهم : يقول : لا يخفى عليه شيء من أمورهم ، حتى ما يحدث به نفسه ، ويضمره قلبه ، إذا نظر ماذا يريد بنظره ، وما ينوي ذلك بقلبه (وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ) : يقول : والله تعالى ذكره يقضي في الذي خائنه الأعين بنظرها ، وأخفته الصدور عند نظر العيون ، بالحق ، فيجزى الذين أغمضوا أبصارهم ، وصرفوها عن محارمه ، حذارَ الموقف بين يديه ، ومستلته عنه بالحسنى ، والذين ردّوا النظر ، وعزمت قلوبهم على مواجهة الفواحش إذا قدرت ، جزاءها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الله بن أحمد المرزوي ، قال : ثنا علي بن حسين بن واقد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا الأعمش ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (يَعْلمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ) إذا نظرت إليها تريد الحيانة أم لا (وما تُخْشِي الصدورُ) إذا قدرت عليها أتزني بها أم لا ؟ قال : ثم سكت ، ثم قال : ألا أخبركم بالتي تلبها ؟ قلت : نعم ، قال : والله يقضي بالحق ، قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة ، وبالسيئة السيئة ، إن الله هو السميع البصير . قال الحسن : فقلت للأعمش : حدثني الكلبي ، إلا أنه قال : إن الله قادر

(١) في اللسان : حنى : الأمر وأحنى : أهنى . وقال الأزهرى : أحنى هذا الأمر واحتمت له ، كأنه اهتمام بحميم قريب .

على أن يجزى بالسيئة السيئة ، وبالחסنة عشرا . وقال الأعمش : أن الذي عند الكلبى عندي ، ما خرج مني إلا بحقير .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) قال : نَظَرَ الْأَعْيُنَ إِلَى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) : أى يعلم همزه بعينه ، وإعماضه فيما لا يحب الله ولا يرضاه .

وقوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَيَقْبُضُونَ بِشْيءٍ) : يقول : والأوثان والآلهة التي يعبدوها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه ، لا يقضون بشيء ، لأنها لا تعلم شيئا ، ولا تقدر على شيء ، يقول جل ثناؤه لهم : فاعبدوا الذي يقدر على كل شيء ، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم ، فيجزى محسنكم بالإحسان ، والمسيء بالإساءة ، لاما لا يقدر على شيء ، ولا يعلم شيئا ، فيعرف المحسن من المسيء ، فيثيب المحسن ، ويعاقب المسيء .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) يقول : إن الله هو السميع لما تنطق به ألسنتكم أيها الناس ، البصير بما تفعلون من الأفعال ، محيط بكل ذلك ، محصيه عليكم ، ليجازى جميعكم جزاءه يوم الجزاء . .
واختلفت القراء في قراءة قوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ) بالثناء على وجه الخطاب . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالياء على وجه الخبر .
والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، صحيحتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فحسب .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ، كَانُوا هُمْ

أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ، وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ (٢١)

يقول تعالى ذكره : أولم يسر هؤلاء المقيمون على شركهم بالله ، المكذبون رسوله من قريش في البلاد ، (فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ) يقول : فبروا ما الذي كان خاتمة أمر الذين كانوا من قبلهم من الأمم الذين سلخوا سبيلهم ، في الكفر بالله ، وتكذيب رسوله (كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) يقول : كانت تلك الأمم الذين كانوا من قبلهم أشد منهم بطشا ، وأبى في الأرض آثارا ، فلم تنفعهم شدة قواهم ، وعظم أجسامهم ، إذ جاءهم أمر الله ، وأخذهم بما أجزموا من معاصيه ، واكتسبوا من الآثام ، ولكنه أباد جمعهم ، وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا (وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ) يقول : وما كان لهم من عذاب الله إذ جاءهم ، من واق يقيهم ، فيدفعه عنهم .

كالذي حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) يقبهم ، ولا ينفعهم .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ، إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدٌ

العِقَابِ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : هذا الذي فعلت بهؤلاء الأمم الذين من قبل مشركي قريش ، من إهلاكناهم بذنوبهم ، فعلنا بهم بأنهم كانت تأتيهم رسل الله إليهم بالبينات ، يعني بالآيات الدالات على حقيقة ما تدعوهم إليه من توحيد الله ، والانتهاى إلى طاعته ، فكفروا : يقول : فأنكروا رسالتها ، وجحدوا توحيد الله ، وأبوا أن يطعوا الله (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) يقول : فأخذهم الله بعذابه فأهلكهم (إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدٌ الْعِقَابِ) يقول : إن الله ذو قوة ، لا يقهره شيء ، ولا يغلبه ، ولا يُعجزه شيء ، شديدا عقابه من عاقب من خلقه ، وهذا وعيد من الله مشركي قريش ، المكذبين رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، يقول لهم جل ثناؤه : فاحذروا أيها القوم أن تسلكوا سبيلهم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ، ووجود توحيد الله ، ومخالفة أمره ونهيه ، فيسلك بكم في تعجيل الهلاك لكم مسلكهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقَارُونَ ، فَقَالُوا : سَاحِرٌ

كَذَّابٌ (٢٤)

يقول تعالى ذكره مُسَلِّيًا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، عما كان يليق من مشركي قومه من قريش ، بإعلامه ما لقي موسى ممن أرسل إليه من التكذيب ، ومخبره أنه معليه عليهم ، وجاعل دائرة السوء على من حادته وشاقه ، كسنته في موسى صلوات الله عليه ، إذ أعلاه ، وأهلك عدوه فرعون (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا) : يعني بأدلته . (وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) : كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) : أي عذر مبين ، يقول : وحججه المدينة لمن يراها أنها حجة محققة ما يدعو إليه موسى . (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ ، فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) يقول : فقال هؤلاء الذين أرسل إليهم موسى لموسى : هو ساحر يسحر العصا ، فيرى الناظر إليها أنها حية تسعى . (كَذَّابٌ) يقول : يكذب على الله ، ويزعم أنه أرسله إلى الناس رسولا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا، قَالُوا: اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ،
وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥)

يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم موسى هؤلاء الذين أرسله الله إليهم بالحق من عندنا، وذلك مجيئه إياهم بتوحيد الله، والعمل بطاعته، مع إقامة الحججة عليهم، بأن الله ابتعثه إليهم بالدعاء إلى ذلك (قالوا اقتتلوا أبناء الذين آمنوا معه) بالله (معهم) من بني إسرائيل (واستحيوا نساءهم) يقول: واستبقوا نساءهم للخدمة.

فإن قال قائل: وكيف قيل (فلما جاءهم موسى بالحق من عندنا) قالوا اقتتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستحيوا نساءهم، وإنما كان قتل فرعون الولدان من بني إسرائيل حذار المولود الذي كان أخبر أنه على رأسه ذهاب ملكه، وهلاك قومه، وذلك كان فيما يقال قبل أن يعث الله موسى نبياً؟ قيل: إن هذا الأمر بقتل أبناء الذين آمنوا مع موسى، واستحياء نساءهم، كان أمراً من فرعون وملئه من بعد الأمر الأول الذي كان من فرعون قبل مولد موسى.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فلما جاءهم بالحق من عندنا) قالوا اقتتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستحيوا نساءهم، قال: هذا قتل غير القتل الأول الذي كان.

وقوله (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) يقول: وما احتيال أهل الكفر لأهل الإيمان بالله إلا في جور عن سبيل الحق، وصد عن قصد الحجّة، وأخذ على غير هدى.

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦)

يقول تعالى ذكره: (وقال فرعون) (ذروني أقتل موسى وليدع ربه) (الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا) (إني أخاف أن يبدل دينكم) يقول: إني أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه بسحره.

واختلفت القراءة في قراءة قوله (أو أن يظهير في الأرض الفساد) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة (وأن يظهير في الأرض الفساد) بغير ألف، وكذلك ذلك في مصاحف أهل المدينة، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (أو أن) بالألف، وكذلك ذلك في مصاحفهم (يظهير في الأرض) بفتح الياء، ورفع الفساد.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان مشهورتان في قرآنة الأمصار متقاربتا المعنى ، وذلك أن الفساد إذا أظهره مظهر كان ظاهرا ، وإذا ظهر فبإظهار مظهره يظهر ، ففي القراءة بإحدى القراءتين في ذلك ، دليل واضح على صحة معنى الأخرى . وأما القراءة في (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ) بالألف وبجذفها ، فإنها أيضا متقاربتا المعنى ، وذلك أن الشيء إذا بُدِّلَ إلى خلافه ، فلا شك أن خلافه المبدل إليه الأول ، هو الظاهر دون المبدل ، فسواء عطف على خبره عن خوفه من موسى أن يبدل دينهم ، بالواو أو بأو ، لأن تبديل دينهم كان عنده هو ظهور الفساد ، وظهور الفساد كان عنده هو تبديل الدين .

فتأويل الكلام إذن : إني أخاف من موسى أن يغير دينكم الذي أنتم عليه ، أو أن يظهر في أرضكم أرض مصر ، عبادة ربه الذي يدعوكم إلى عبادته ، وذلك كان عنده هو الفساد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إني أخاف أن يبدل دينكم) : أي أمركم الذي أنتم عليه (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) ، والفساد عنده : أن يعمل بطاعة الله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧)

وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُّكُمْ ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : وقال موسى لفرعون وملائته : إني استجرت أيها القوم بربي وربكم ، من كل متكبر عليه ، تكسب عن توحيد ، والإقرار بألوهيته وطاعته ، لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه ، فيجازي الحسن بإحسانه ، والمسيء بما أساء ، وإنما خص موسى صلوات الله وسلامه عليه ، الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب ، لأن من لم يؤمن بيوم الحساب مصدقا ، لم يكن للثواب على الإحسان راجيا ، ولا للعقاب على الإساءة ، وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفا ، ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس خاصة .

وقوله (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن ، فقال بعضهم : كان من قوم فرعون ، غير أنه كان قد آمن بموسى ، وكان يسير إيمانه من فرعون وقومه ، خوفا على نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) قال : هو ابن عم فرعون ، ويقال : هو الذي نجى مع موسى .
فن قال هذا القول ، وتأول هذا التأويل ، كان صوابا الوقف إذا أراد القارئ الوقف على قوله (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) ، لأن ذلك خبر متناه قد تم .

وقال آخرون : بل كان الرجل إسرائيلي ، ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون .
والصواب على هذا القول ، لمن أراد الوقف ، أن يجعل وقفه على قوله (يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) ، لأن قوله (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) صلة لقوله (يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) فتمامه قوله : يكتم إيمانه ، وقد ذكر أن اسم هذا الرجل المؤمن من آل فرعون : « جبريل » . كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .
وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي : القول الذي قاله السدي ، من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون ، قد أصغى لكلامه ، واستمع منه ما قاله ، وتوقف عن قتل موسى عند نبيه عن قتله ، وقيله ما قال ، وقال له : ما أرىكم إلا ما أرى ، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ، ولو كان إسرائيلي ، لكان حريا أن يعاجل هذا القائل له ولملته ما قال ، بالعقوبة على قوله ، لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل ، لاعتداده إياهم أعداء له ، فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلا ، ولكنه لما كان من ملة قومه ، استمع قوله ، وكف عما كان هم به في موسى .

وقوله (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) يقول : أتقتلون أيها القوم موسى ، لأن يقول ربى الله ، فإن في موضع نصب لما وصفت (وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) يقول : وقد جاءكم بالآيات الواضحات على حقيقة ما يقول من ذلك ، وتلك البيئات من الآيات يده وعصاه .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : (وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) :
بعصاه وبيده .

وقوله (وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ) يقول : وإن يك موسى كاذبا في قبيله : إن الله أرسله إليكم بأمركم بعبادته ، وترك دينكم الذي أنتم عليه ، فإنما إثم كذبه عليه دونكم . (وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) يقول : وإن يك صادقا في قبيله ذلك ، أصابكم الذي وعدكم ، من العقوبة على مقامكم على الدين الذي أنتم عليه متقيمون ، فلا حاجة بكم إلى قتله ، فتزيدوا ربكم بذلك إلى سخطه عليكم بكفركم سخطا . (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) يقول : إن الله لا يوفق للحق من هو متعد إلى فعل ما ليس له فعله . كذَّابٌ : عليه يكذب ، ويقول عليه الباطل وغير الحق .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الإسراف الذي ذكره المؤمن في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عني به الشرك ، وأراد : إن الله لا يهدي من هو مشرك به ، مُفسِّرٌ عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) : مشرك أسرف على نفسه بالشرك .
وقال آخرون : عُسِي بِهِ مِنْ هُوَ قَتَالَ سَفَاكَ لِلدَّمَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) قال: المُسْرِفُ: هو صاحب الدم، ويقال: هم المشركون .
والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله أخبر عن هذا المؤمن أنه عمّ بقوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) والشرك من الإسراف، وسفك الدم بغير حق من الإسراف، وقد كان مجتمعا في فرعون الأمران كلاهما، فالحق أن يععم ذلك، كما أخبر جل ثناؤه عن قائله، أنه عمّ القول بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

يَقَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ؟ قَالَ
فِرْعَوْنُ : مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)
يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه: (يَقَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ) يعني: أرض مصر، يقول: لكم السلطان اليوم والملك، ظاهرين أنتم على بني إسرائيل في أرض مصر (فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ) يقول: فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته إن حل بنا، وعقوبته إن جاءتنا؟ قال فرعون: (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى) يقول: قال فرعون مجيبا لهذا المؤمن الناهي عن قتل موسى: ما أريكم أيها الناس من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم، صلاحا وصوابا، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد: يقول: وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب في أمر موسى وقتله، فإنكم إن لم تقتلوه بدل دينكم، وأظهر في أرضكم الفساد .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ : يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ
نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ، وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١)

يقول تعالى ذكره: وقال المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه: ياقوم إنى أخاف عليكم بقتلكم موسى إن قتلتموه مثل يوم الأحزاب الذين تحزبوا على رسل الله: نوح وهود وصالح، فأهلكهم الله بتجرتهم عليهم، فيهلككم كما أهلكهم .

وقوله (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ) يقول: يفعل ذلك بكم فيها لكم مثل سنته في قوم نوح وعاد وثمود وفعله بهم. وقد بيننا معنى الدأب فيما مضى بشواهد، المغنية عن إعادته، مع ذكر أقوال أهل التأويل فيه. وقد حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ) يقول: مثل حال.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ) قال: مثل ما أصابهم.

وقوله (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) يعني قوم إبراهيم، وقوم لوط، وهم أيضا من الأحزاب. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) قال: هم الأحزاب.

وقوله (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه: وما أهلك الله هذه الأحزاب من هذه الأمم ظلما منه لهم، بغير جرم اجترموه بينهم وبينه، لأنه لا يريد ظلم عباده، ولا يشاؤه، ولكنه أهلكهم بإجرامهم وكفرهم به، وخلافهم أمره.

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُولُون مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَصَمٍ، وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل هذا المؤمن لفرعون وقومه (وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) بقتلكم موسى إن قتلتموه، عقاب الله (يَوْمَ التَّنَادِ).

واختلفت القراء في قراءة قوله (يَوْمَ التَّنَادِ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (يَوْمَ التَّنَادِ) بتخفيف الدال، وترك إثبات الياء، بمعنى التفاعل، من تنادى القوم تناديا، كما قال جل ثناؤه (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدَّ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ قَالُوا نَعَمْ) وقال: (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ: أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ) فلذلك تأوله قارئو ذلك كذلك.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، أنه قال في هذه الآية (يَوْمَ التَّنَادِ) قال: يوم ينادى أهل النار أهل الجنة: أن أفيضوا علينا من الماء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ): يوم ينادى أهل الجنة أهل النار: (أَنْ قَدَّ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ

ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟) وينادي أهل النار أهل الجنة (أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ، أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَوْمَ التَّنَادِ) قال : يوم القيامة ينادى أهل الجنة أهل النار .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في معنى ذلك على هذه القراءة ، تأويل آخر على غير هذا الوجه .

وهو ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد الحارثي ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَا مُرُّ اللَّهِ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الْفَرْعِ ، فَفَرْعَ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَيَأْمُرُهُ اللَّهُ أَنْ يَدِيمَهَا وَيُطَوِّكَهَا فَلَا يَفْسُرُ ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ : (وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوْاقِ) ، فَيَسْبِرُ اللَّهُ الْحَيَالَ فَتَكُونُ سَرَابًا ، فَتَرْجُحُ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجًّا ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ : (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتَّبِعُنَّهَا الرَّادِفَةُ ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ، فَتَكُونُ كَالسَّفِينَةِ الْمُرْتَعَةِ فِي الْبَحْرِ؟ تَضْرِبُهَا الْأَمْوَاجُ تَكْفًا بِأَهْلِهَا ، أَوْ كَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ بِالْعَرْشِ تَرْجُهُ الْأَرْوَاحُ ، فَتَمِيدُ النَّاسَ عَلَى ظَهْرِهَا ، فَتَذْهَلُ الْمَرَاضِعُ ، وَتَضَعُ الْحَوَامِلُ ، وَتَشِيبُ الْوِلْدَانُ ، وَتَطِيرُ الشَّيَاطِينُ هَارِبَةً ، حَتَّى تَأْتِيَ الْأَقْطَارُ ، فَتَلْقَاهَا الْمَلَائِكَةُ ، فَتَضْرِبُ وَجُوهَهَا ، فَتَرْجِعُ ، وَيَبُولِي النَّاسُ مُدْبِرِينَ ، يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ التَّنَادِ ، يَوْمَ تُولُتُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ » .

فعلى هذا التأويل معنى الكلام : ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم ينادى الناس بعضهم بعضا من فرع نفخة الفرع . وقرأ ذلك آخرون : (يَوْمَ التَّنَادِ) بتشديد الدال ، بمعنى : التفاعل من النداء ، وذلك إذا هربوا فندوا في الأرض ، كما تنبئ الإبل : إذا شردت على أربابها .

ذكر من قال ذلك كذلك ، وذكر المعنى الذي قصد بقراءته ذلك كذلك

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأجلح ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم ، قال : « إذا كان يوم القيامة ، أمر الله السماء الدنيا فتشقت بأهلها ، ونزل من فيها من الملائكة ، فأحاطوا بالأرض ومن عليها ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، ثم الخامسة ، ثم السادسة ، ثم السابعة ، فصفتوا صفا دون صف ، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبيه اليسرى جهتهم ، فإذا رآها أهل الأرض ندوا ، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض ، إلا وجدوا السبعة صفوف من الملائكة ، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه ، فذلك قول الله (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ، يَوْمَ تُولُتُونَ مُدْبِرِينَ) ، وذلك قوله (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) ، وقوله (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ

اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَوْقَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاَنْفُذُوا ، لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) ،
وذلك قوله (وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ، وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (يَوْمَ التَّنَادِ) قال : تَبْدُون .
وروى عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك (يَوْمَ التَّنَادِ) بإثبات الياء ، وتخفيف الدال .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ما عليه قرآء الأمصار ، وهو تخفيف الدال ، وبغير إثبات الياء ،
وذلك أن ذلك هو القراءة التي عليها الحجّة مجمعة من قرآء الأمصار ، وغير جائز خلافها فيما جاءت به نقلا ،
فإذا كان ذلك هو الصواب ، فعنى الكلام : ويا قوم إني أخاف عليكم يوم ينادى الناس بعضهم بعضا ، إما من
هول ما قد عاينوا من عظيم سلطان الله ، وفضاعة ما غشيهم من كرب ذلك اليوم ، وإما لتذكير بعضهم بعضا
إنجاز الله إياهم الوعد الذي وعدهم في الدنيا ، واستغاثة من بعضهم ببعض ، مما لقي من عظيم البلاء فيه .

وقوله (يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ) فتأويله على التأويل الذي ذكرنا من الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم « يَوْمَ يَوَلَّوْنَ هَارِبِينَ فِي الْأَرْضِ حِذَارَ عَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ عِنْدَ مُعَابَتِهِمْ جَهَنَّمَ » .
وتأويله على التأويل الذي قاله قتادة في معنى (يَوْمَ التَّنَادِ) يوم تولّون منصرفين عن موقف الحساب
إلى جهنم .

وبنحو ذلك روى الخبر عنه ، وعمن قال نحو مقالته في معنى (يَوْمَ التَّنَادِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ) : أي منطلقا
بكم إلى النار .

وأولى القولين في ذلك بالصواب ، القول الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان
الذي قاله قتادة في ذلك غير بعيد من الحق ، وبه قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ) قال : فارين
غير معجزين .

وقوله (مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) يقول : ما لكم من الله مانع يمنعكم ، وناصر ينصركم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) :
أي من ناصر .

وقوله (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) يقول: ومن يخذله الله فلم يوفقه لرشده، فإله من موفق يوفقه له.

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ، فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ قَدُّكُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا، كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤)

يقول تعالى ذكره: ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب يا قوم من قبل موسى بالواضحات من حجج الله، كما حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ) قال: قبل موسى.

وقوله (فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ) يقول: فلم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم، غير موقفي القلوب بحقيقته (حَتَّى إِذَا هَلَكَ) يقول: حتى إذا مات يوسف قلتم: أيها القوم لن يبعث الله من بعد يوسف إليكم رسولا بالدعاء إلى الحق (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ) يقول: هكذا يصد الله عن إصابة الحق وقصد السبيل، من هو كافر به مرتاب، شاك في حقيقة أخبار رسوله.

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ (٣٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل المؤمن من آل فرعون: (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ) فقوله «الذين» مردود على «من» في قوله (مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ). وتأويل الكلام: كذلك يضل الله أهل الإسراف والغلو في ضلالهم بكفرهم بالله، واجترأهم على معاصيه، المرتابين في أخبار رسوله، الذين يخاصمون في حججه التي أتتهم بها رسوله، ليدحضوها بالباطل من الحجج، بغير سلطان أتاهم، يقول: بغير حجة أتتهم من عند ربهم، يدفعون بها حقيقة الحجج التي أتتهم بها الرسل، و«الذين» إذا كان معنى الكلام ما ذكرنا: في موضع نصب رداً على مَنْ.

وقوله (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ) يقول: كبر ذلك الجدل الذي يجادلونه في آيات الله مقتما عند الله، (وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله، وإنما نصب قوله (مَقْتًا) لما في قوله (كَبُرَ) من ضمير الجدل، وهو نظير قوله (كَسَبَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) فنصب كلمة من نصبها، لأنه جعل في قوله (كَسَبَتْ) ضمير قولهم (اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا)، وأما من لم يضم ذلك فإنه رفع الكلمة.

وقوله (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) يقول: كما طبع الله على قلوب

المسرفين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحدته ، ويصدق رسله . جبار : يعنى متعظم عن اتباع الحق .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار « خلا أبي عمرو بن العلاء » (على كُلبٍ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ) بإضافة القلب إلى المتكبر ، بمعنى الخبر عن أن الله طبع على قلوب المتكبرين كلها ؛ ومن كان ذلك قراءته ، كان قوله « جبار » من نعت « متكبر » . وقد روى عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك : (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) .

حدثني بذلك ابن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون أنه كذلك في حرف ابن مسعود ، وهذا الذى ذكر عن ابن مسعود من قراءته ، يحقق قراءة من قرأ ذلك بإضافة قلب إلى المتكبر ، لأن تقديم كل قبل القلب ، وتأخيرها بعده ، لا يغير المعنى ، بل معنى ذلك في الحالتين واحد . وقد حكى عن بعض العرب سماعا : هو يرجل شعره يوم كل جمعة ، يعنى : كل يوم جمعة . وأما أبو عمرو فقرأ ذلك بتنوين القلب وترك إضافته إلى متكبر ، وجعل المتكبر والجبار من صفة القلب .

وأولى القراءتين في ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه بإضافة القلب إلى المتكبر ، لأن التكبر فعل الفاعل بقلبه ، كما أن القاتل إذا قتل قتيلا ، وإن كان قتله بيده ، فإن الفعل مضاف إليه ، وإنما القلب جارحة من جوارح المتكبر ، وإن كان بها التكبر ، فإن الفعل إلى فاعله مضاف ، نظير الذى قلنا فى القتل ، وذلك وإن كان كما قلنا ، فإن الأخرى غير مدفوعة ، لأن العرب لا تمنع أن تقول : بطشت يد فلان ، ورأت عيناه كذا ، وفهم قلبه ، فتضيف الأفعال إلى الجوارح ، وإن كانت فى الحقيقة لأصحابها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى
إِلَهِ مُوسَىٰ، وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا، وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِّفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ، وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ، وَمَا كَيْدُ
فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : وقال فرعون لما وعظه المؤمن من آله بما وعظه به ، وزجره عن قتل موسى نبي الله وحذره من بأس الله على قلبه اقتله ، ما حذره لوزيره وزير السوء هامان (يا هامان ابن لي صرحا لتعالى أبلغ الأسباب) يعنى بناء . وقد بيننا معنى الصرح فيما مضى بشواهد بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (لتعالى أبلغ الأسباب) اختلف أهل التأويل فى معنى الأسباب فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : أسباب السموات : طرقها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي صالح (أسباب السموات) قال : طُرُق السموات .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أبلغ الأسباب أسباب السموات) قال : طُرُق السموات .

وقال آخرون : عن أسباب السموات : أبواب السموات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وقال فيرعون يا هامان ابن لي صرحا وكان أول من بنى بهذا الآجر وطبخه) لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات : أي أبواب السموات .

وقال آخرون : بل عني به مستنزل السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات) قال : منزل السماء .

وقد بينا فيما مضى قبل ، أن السبب : هو كل ما تُسبب به إلى الوصول إلى ما يُطلب ، من جبل وسلم وطريق وغير ذلك .

فأولى الأقوال بالصواب في ذلك : أن يقال : معناه لعل أبلغ من أسباب السموات أسبابا أتسبب بها إلى رؤية إله موسى ، طرقا كانت تلك الأسباب منها ، أو أبوابا ، أو منازل ، أو غير ذلك .

وقوله (فأطلع إلى إله موسى) اختلفت القراء في قراءة قوله (فأطلع) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار (فأطلع) بضم العين ، ردًا على قوله (أبلغ الأسباب) ، وعطفاً به عليه . وذكر عن حميد الأعرج أنه قرأ (فأطلع) نصبا جوابا للعلي ، وقد ذكر القراء أن بعض العرب أنشده :

عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَوْ دَوْلَاتِهَا
يُدِلُّنَا اللَّمَّةَ مِنْ لَمَاتِهَا
فَتَسْتَرِيحُ النَّفْسُ مِنْ زَفَرَاتِهَا

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز . قال الفراء في معاني القرآن (٢٨٨ مصورة الجامعة) وقوله « لعل أبلغ الأسباب فأطلع » بالرفع ، يرده على قوله « أبلغ » . ومن جعله جوابا « لعل » نصبه . وقد قرأ به بعض القراء . قال : وأنشدني بعض العرب : « عل صروف الدهر . . . الأبيات » ، فنصب على الجواب بعل . والرجز لم يعلم قائله . وعل : لغة في لعل . والدولات : جمع دولة في المال . وبالفتح في الحرب . وقيل هما واحد . ويدلنا : من الإدالة ، وهي الغلبة . واللمة ، بالفتح : الشدة . وهي مفعول ثان ليدلنا . والشاهد في « فتستريح » حيث نصب في جواب لعل ، الذي هو أداة الترجي . قاله الفراء . وهو الصحيح ، لثبوت ذلك في القرآن : « لعله يزكى أو يذكر فتنتفه الذكري » . والزفرات جمع زفرة ، وهي المرة من الزفر ، وهو أن يملأ الرجل صدره هواء بالشهيق ، ثم يزفر به ، أي يخرج به ويرى به ، وذلك عند الغم والحزن . والأصل : تحريك الفاء في الجمع ، على نحو سجدة وسجدات . وسكن هنا للضرورة .

فَنصَّبَ فَنَسْتَرِيحَ عَلَى أَمِّهَا جَوَابَ لِلْعَلِّ .

والقراءة التي لا أستجيز غيرها : الرفع في ذلك ، لإجماع الحجة من القراء عليه .
وقوله (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا) يقول : وإني لأظنّ موسى كاذباً فيما يقول ويدعى ، من أن له في السماء ربا أرسله إلينا .

وقوله (وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ) يقول الله تعالى ذكره : وهكذا زَيَّنَ اللهُ لفرعون حين عتا عليه وتمرد ، قبيح عمله ، حتى سولت له نفسه بلوغ أسباب السموات ، ليطلع إلى إله موسى .
وقوله (وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والكوفة : (وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) بضم الصاد ، على وجه ما لم يُسَمَّ فاعله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) قال : فُعِيلَ ذلك به ، زَيَّنَ له سوء عمله ، وَصُدَّ عن السبيل .

وقرأ ذلك حميد وأبو عمرو وعامة قراء البصرة (وَصَدَّ) بفتح الصاد ، بمعنى : وأعرض فرعون عن سبيل الله التي ابتعث بها موسى استكباراً .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان في قِراءة الأَمِّصَارِ ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .

وقوله (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) يقول تعالى ذكره : وما احتيال فرعون الذي يحتال للاطلاع إلى إله موسى ، إلا في خسار وذهاب مال وغشيب ، لأنه ذهب نفقته التي أنفقها على الصَّرحِ باطلاً ، ولم ينل بما أنفق شيئاً مما أراد ، فذلك هو الخسار والتبَابُ .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس : قوله (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) يقول : في خسران .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِي تَبَابٍ) قال : خسار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) : أي في ضلال وخسار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) قال : التَّبَابُ والضَّلَالُ واحد .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَوْمَ اتَّبَعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَوْمَ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
مَتَاعٌ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن المؤمن بالله من آل فرعون (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ) من قوم فرعون لقومه : (يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) يقول : إن اتبعتموني فقبلكم مني ما أقول لكم ، بينت لكم طريق الصواب الذي ترشدون إذا أخذتم فيه وسلكتموه ، وذلك هو دين الله ، الذي ابتعث به موسى ، يقول : (إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ) يقول لقومه : ما هذه الحياة الدنيا العاجلة التي عجلت لكم في هذه الدار ، الإمتاع تستمتعون بها إلى أجل أنتم بالغوه ، ثم تموتون وتزول عنكم (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) . يقول : وإن الدار الآخرة ، وهي دار القرار التي تستقرون فيها فلا تموتون ولا تزول عنكم ، يقول : فلها فاعملوا ، وإياها فاطلبوا .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) استقرت الجنة بأهلها ، واستقرت النار بأهلها .

القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)

يقول : من عمل بمعصية الله في هذه الحياة الدنيا ، فلا يجزيه الله في الآخرة إلا سيئة مثلها ، وذلك أن يعاقبه بها ، (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ) يقول : ومن عمل بطاعة الله في الدنيا ، وأتم أمره ، وانتهى فيها عما نهاه عنه ، من رجل أو امرأة ، وهو مؤمن بالله ، (فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) يقول : فالذين يعملون ذلك من عباد الله ، يدخلون في الآخرة الجنة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا) : أي شركا ، السيئة عند قتادة شرك (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا) : أي خيرا (مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

وقوله (يُرَزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) يقول : يرزقهم الله في الجنة من ثمارها ، وما فيها من نعيمها ولذاتها ، بغير حساب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُرَزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) قال : لا والله ما هتاكُم ميكيال ولا ميزان .

القول في تأويل قوله تعالى

* وَيَقَوْمٍ مَالٍ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيل هذا المؤمن لقومه من الكفرة : (مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ) من عذاب الله وعقوبته ، بالإيمان به ، واتباع رسوله موسى ، وتصديقه فيما جاءكم به من عند ربه (وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ) يقول : وتدعونني إلى عمل أهل النار . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ) قال : الإيمان بالله . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ) وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (إلى النار) قال : هذا مؤمن آل فرعون ، قال : يدعوهم إلى دينهم والإقامة معهم . وقوله (تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ) ، وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ يقول : وأشرك بالله في عبادته أو ثابته . لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها في عبادة الله ، لأن الله لم يأذن لي في ذلك بخبر ولا عقل .

وقوله (وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ) يقول : وأنا أدعوكم إلى عبادة العزيز في انتقامه ، ممن كفر به ، الذي لا يمنعه إذا انتقم من عدوه شيء ، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته إياه ، لعفوه عنه ، فلا يضره شيء مع عفوه عنه ، يقول : فهذا الذي هذه الصفة صفته ، فاعبدوا ؛ لا ما لا ضرر عنده ولا نفع .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا جَرَمَ أَنَّكَ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ، وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ ، وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣)

يقول : حقاً أن الذي تدعونني إليه من الأوثان ، ليس له دعاء في الدنيا ولا في الآخرة ، لأنه جاد لا ينطق ، ولا يفهم شيئاً .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا) قال : الوثني ليس بشيء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ) : أي لا ينفع ولا يضر .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ)^١ .

وقوله (وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ) يقول : وأن مرجعنا ومنقلبنا بعد مماتنا إلى الله (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) يقول : وأن المشركين بالله المتعدّين حدوده ، القتلَةَ النفوس التي حرّم الله قتلها ، هم أصحاب نار جهنم ، عند مرجعنا إلى الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، على اختلاف منهم في معنى المسرفين في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هم سفّأكو الدماء بغير حقها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) قال : السفّأكون الدماء بغير حقها .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قول الله (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) قال : هم السفّأكون الدماء بغير حقها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ) قال : السفّأكون الدماء بغير حقها ، هم أصحاب النار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) قال : سهاهم الله مسرفين ، فرعون ومن معه . وقال آخرون : هم المشركون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) : أي المشركون . وقد بيّنا معنى الإسراف فيما مضى قبل بما فيه الكفاية من إعادته في هذا الموضع .

(١) سقط التفسير من قلم الناسخ ، والذي في ابن كثير عنه : « لا يجب داعيه ، لا في الدنيا ولا في الآخرة » . اهـ .

وإنما اخترنا في تأويل ذلك في هذا الموضع ما اخترنا ، لأن قائل هذا القول لفرعون وقومه ، إنما قصد فرعون به لكفره ، وما كان همّ به من قتل موسى ، وكان فرعون عالياً عاتياً في كفره بالله ، سفاكاً للدماء التي كان محرماً عليه سفكها ، وكلّ ذلك من الإسراف ، فلذلك اخترنا ما اخترنا من التأويل في ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ، وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوْقَهُ
اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكْرُوا ، وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيح المؤمنين من آل فرعون ، لفرعون وقومه : فستذكرون أيها القوم إذا عاينتم عقاب الله قد حلّ بكم ، ولقيتم ما لقيتموه ، صدق ما أقول ، وحقيقة ما أخبركم به ، من أن المسرفين هم أصحاب النار .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ) ، فقلت له : أو ذلك في الآخرة ؟ قال : نعم .
وقوله (وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) يقول : وأسلم أمري إلى الله ، وأجعله إليه ، وأتوكل عليه ، فإنه الكافي من توكل عليه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) قال :
أجعل أمري إلى الله .
وقوله (إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) يقول : إن الله عالم بأمور عباده ، ومن المطيع منهم ، والعاصي له ، والمستحقّ جميل الثواب ، والمستوجب سببي العقاب .
وقوله (فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكْرُوا) يقول تعالى ذكره : فدفع الله عن هذا المؤمن من آل فرعون ، بإيمانه وتصديق رسوله موسى ، نمكروه ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه ، من العذاب والبلاء ، فنجاه منه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَيِّئَاتِ مَا مَكْرُوا) قال : وكان قبطني من قوم فرعون ، فنجا مع موسى . قال : وذكر لنا أنه بين يدي موسى يومئذ يسير ويقول : أين أمرت يا نبي الله ؟ فيقول : أمامك ، فيقول له المؤمن : وهل أمامي إلا البحر ؟ فيقول موسى : لا والله

ما كَذَّبَتْ وَلَا كَذَّبَتْ ، ثم يسير ساعة ويقول: أين أمّرت يا نبيّ الله؟ فيقول: أمامك ، فيقول : وهل أمّيتي إلا البحر؟ فيقول : لا والله ما كَذَّبَتْ ، وَلَا كَذَّبَتْ ، حتى أتى على البحر ، فضر به بعصاه ، فانفلق اثني عشر طريقا ، لكلّ سبب طريق .

وقوله (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) يقول : وحلّ بآل فرعون ، ووجب عليهم . وعنى بآل فرعون في هذا الموضع ، تّبَاعَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ من قومه .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ في قول الله : (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) قال : قوم فرعون .

وعنى بقوله (سُوءُ الْعَذَابِ) : ما ساءهم من عذاب الله ، وذلك نار جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ : أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)

يقول تعالى ذكره مبيّنا عن سوء العذاب الذي حلّ بهؤلاء الأشقياء من قوم فرعون ، ذلك الذي حاق بهم من سوء عذاب الله (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) إنهم لما هلكوا وغرّتهم الله ، جعلت أرواحهم في أجواف طيور سود ، فهي تُعْرَضُ على النار كلّ يوم مرتين (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) إلى أن تقوم الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي قيس ، عن الهذيل بن شريحيل ، قال : أرواح آل فرعون في أجواف طير سود ، تغدو وتروح على النار ، وذلك عرضها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قال : بلغني أن أرواح قوم فرعون في أجواف طير سود ، تعرض على النار غُدُوًّا وَعَشِيًّا ، حتى تقوم الساعة .

حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا حماد بن محمد الفزاري البلخي ، قال : سمعت الأوزاعيّ وسأله رجل فقال : رحمك الله ، رأينا طيوراً تخرج من البحر ، تأخذ ناحية الغرب ، بيضاء ، فوجاً فوجاً ، لا يعلم عددها إلا الله ، فإذا كان العشيّ رجع مثلها سوداً ، قال : وفطنتم إلى ذلك؟ قالوا : نعم ، قال : إن تلك الطيور في حواصلها أرواح آل فرعون ، يعرضون على النار غُدُوًّا وَعَشِيًّا ، فترجع إلى وكورها وقد احترقت ريشها ، وصارت سوداء ، فتنبت عليها من الليل ريش بيض ، وتتناثر السود ، ثم تغدو ، ويُعرضون على النار غُدُوًّا وَعَشِيًّا ، ثم ترجع إلى وكورها ، فذلك دأبها في الدنيا ؛ فإذا كان يوم القيامة ، قال الله : (أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) قالوا : وكانوا يقولون : إنهم سيّئ مئة ألف مقاتل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني حرملة ، عن سليمان بن حميد ، قال : سمعت محمد ابن كعب القرظي يقول : ليس في الآخرة ليل ولا نصف نهار ، وإنما هو بكرة وعشيّ ، وذلك في القرآن في آل فرعون (يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) وكذلك قال لأهل الجنة (لَكُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) .

وقيل : عني بذلك : أنهم يعرضون على منازلهم في النار ، تعذيباً لهم ، غُدُوًّا وَعَشِيًّا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) : قال : يعرضون عليها صباحاً ومساءً ، يقال لهم : يا آل فرعون هذه منازلكم ، توبيخاً ونقمةً وصغاراً لهم . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) قال : ما كانت الدنيا . وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوًّا وعشيا . وجائز أن يكون ذلك العرض على النار على نحو ما ذكرناه عن المحدثين ومن قال مثل قوله ، وأن يكون كما قال قتادة ، ولا خير يُوجب الحجة بأن ذلك المعنى به ، فلا في ذلك إلا ما دل عليه ظاهر القرآن ، وهو أنهم يعرضون على النار غدوًّا وعشيا ، وأصل الغدو والعشي مصادر جعلت أوقاتا .

وكان بعض نحوِّي البصرة يقول في ذلك : إنما هو مصدر ، كما تقول : أئبته ظلاماً ، جعله ظرفاً وهو مصدر . قال : ولو قلت : موعدك غُدُوَّة ، أو موعدك ظلام فرفته ، كما تقول : موعدك يوم الجمعة ، لم يحسن ، لأن هذه المصادر وما أشبهها من نحو سحر لا تجعل إلا ظرفاً ، قال : والظرف كله ليس بمتمكن . وقال نحويو الكوفة : لم يسمع في هذه الأوقات ، وإن كانت مصادر إلا التعريب ، موعدك يوم ، موعدك صباح ورواح ، كما قال جل ثناؤه (غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ) فرجع ، وذكروا أنهم سمعوا : إنما الطيلسان شهران ، قالوا : ولم يسمع في الأوقات التكرات إلا الرفع إلا قولهم : إنما سخاؤك أحيانا ، وقالوا : إنما جاز ذلك ، لأنه بمعنى : إنما سخاؤك الحين بعد الحين ، فلما كان تأويله الإضافة نُصِبَ .

وقوله (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الحجاز والعراق ، سوى عاصم وأبي عمرو : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ) بفتح الألف من أدخلوا في الوصل . والقطع بمعنى : الأمر بادخالهم النار . وإذا قرئ ذلك كذلك ، كان الآل نصبا ، بوقوع أدخلوا عليه . وقرأ ذلك عاصم وأبو عمرو (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا) بوصل الألف وسقوطها في الوصل من اللفظ ، وبضمها إذا ابتدئ بعد الوقف على الساعة . ومن قرأ ذلك كذلك ، كان الآل على قراءته نصبا بالنداء ، لأن معنى الكلام على قراءته : ادْخُلُوا يَا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيبي . فعنى الكلام إذن : ويوم تقوم الساعة يقال لآل فرعون : ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب ، فهذا على قراءة من وصل الألف من ادخلوا ولم يقطع ، ومعناه على القراءة الأخرى ، ويوم تقوم الساعة يقول الله للملائكة : (أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) .

(١) الطيلسان : شيء كان يضعه العلماء والكبراء حول أعناقهم وعلى أكتافهم ، اتقاء البرد . يريد أن مدة لبس الطيلسان شهران .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضَّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا، فَهَلْ
 أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ؟ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ
 حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨)

يقول تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم : (وَأَتَذَرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى
 الْحَنَاجِرِ كَاطْمِئِنِّ) ، (وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ) يقول : وإذ يتخاصمون في النار . وعسني بذلك : إذ
 يتخاصم الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنذارهم من مشركي قومه في النار ، فيقول الضعفاء منهم ،
 وهم المتبعون على الشرك بالله : (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) تقول لرؤسائهم الذين اتبعوهم على الضلالة : إنا كنا لكم
 في الدنيا تبعاً على الكفر بالله (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ) اليوم (عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ؟) يعنون حظاً ، فتحققوه
 عنا ، فقد كنا نسارع في محبتكم في الدنيا ، ومن قبيلكم أتينا ، لولا أنتم لكنا في الدنيا مؤمنين ، فلم يصبنا اليوم
 هذا البلاء . والتبع يكون واحداً وجماعة في قول بعض نحويي البصرة ، وفي قول بعض نحويي الكوفة ، جمع لا واحد
 به ، لأنه كالمصدر . قال : وإن شئت كان واحده تابع ، فيكون مثل خائل وخول ، وغائب وغيب .
 والصواب من القول في ذلك عندي : أنه جمع ، واحده تابع ، وقد يجوز أن يكون واحداً ، فيكون جمعه أتباع
 فأجابهم المتبعون بما أخبر الله عنهم ، قال الذين استكبروا ، وهم الرؤساء المتبعون على الضلالة في الدنيا :
 إنا أيها القوم ، وأنتم ، كلنا في هذه النار مخلدون ، لا خلاص لنا منها (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ)
 بفصل قضائه ، فأسكن أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، فلا نحن مما نحن فيه من البلاء خارجون ، ولا هم
 مما فيه من النعم منتقلون ، ورفع قوله (كُلٌّ) بقوله (فِيهَا) ولم ينصب على التعت .
 وقد اختلف في جواز النصب في ذلك في الكلام . وكان بعض نحويي البصرة يقول : إذا لم يضاف كل
 لم يجز الإتيان . وكان بعض نحويي الكوفة يقول : ذلك جائز في الحذف وغير الحذف ، لأن أسماءها إذا
 حذفت اكتفى بها منها . وقد بينا الصواب من القول في ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِحِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوْلَمْ
 تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ قَالُوا بَلَى ، قَالُوا : فَادْعُوا ، وَمَا دُعَاؤُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا
 فِي ضَلٰلٍ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : وقال أهل جهنم لحزنتها وقوامها ، استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء ،

ورجاء أن يجدوا من عندهم فرجا (ادْعُوا رَبَّكُمْ) لَنَا (يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا) واحدا ، يعني قدر يوم واحد من أيام الدنيا (مِنَ الْعَذَابِ) الذي نحن فيه ، وإنما قلنا : معنى ذلك : قدر يوم من أيام الدنيا لأن يوم الآخرة يوم لآليل فيه ، فيقال : خفف عنهم يوما واحدا .

وقوله (قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) : يقول تعالى ذكره : قالت خزنة جهنم لهم : أو لم تكن تأتيكم في الدنيا رسلكم بالبينات من الحجج على توحيد الله ، فتوحدوه وتؤمنوا به ، وتبوءوا مما دونه من الآلهة ؟ قالوا : بلى ، قد أتتنا رسلنا بذلك .

وقوله (قَالُوا فَادْعُوا) يقول جل ثناؤه : قالت الخزنة لهم : فادعوا إلهكم الذي أتتكم الرسل بالدعاء إلى الإيمان به .

وقوله (وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) يقول : قد دعوا وما دعاؤهم إلا في ضلال ، لأنه دعاء لا ينفعهم ، ولا يستجاب لهم ، بل يقال لهم : اخشوا فيها ولا تكلمون .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا ، وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْعَذَابُ لَوْ أَنَّهُمْ سَأَلُوا الدَّارَ (٥٢)

يقول القائل : وما معنى : (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه ، ومثّلوا به ، كشعيا ويحيى بن زكريا وأشباههما . ومنهم من همّ بقتله قومه ، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم ، حتى فارقهم ناجيا بنفسه ، كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه ، مفارقا لقومه ، وعيسى الذي رفع إلى السماء إذ أراد قومه قتله ، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله ، والمؤمنين به في الحياة الدنيا ، وهؤلاء أنبيأؤه قد نالهم من قومهم ما قد علمت ، وما نُصروا على من نالهم بما نالهم به ؟ قيل : إن لقوله (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وجهين ، كلاهما صحيح معناه : أحدهما أن يكون معناه : إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا إما بإعلاننا لهم على من كذبنا وإظهارنا بهم ، حتى يقهروهم غلبة ، ويؤذوهم بالظفر ذلّة ، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان ، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر ، وكالذي فعل بمحمد صلى الله عليه وسلم بإظهاره على من كذبه من قومه ، وإما بانتقامنا ممن حادّهم وشاقّهم ، بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم ، كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه ، من تغريق قومه وإنجائه منهم ، وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه ، إذ أهلكهم غرقا ، ونجّى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ، ونحو ذلك ، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذّبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم ، كالذي فعلنا من نصرتنا شعيبا بعد مهلكه ، بتسليطنا على قتلته من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته ، وكفعلنا بقتلة يحيى ، من تسليطنا نحنصر عليهم ، حتى انتصرنا به من قتلته له ، وكانتصارنا

لعيسى من مريدى قتله بالروم ، حتى أهلكتناهم بهم ، فهذا أحد وجهيه . وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنى ذلك إلى هذا الوجه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى قول الله (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قد كانت الأنبياء والمؤمنون يُقْتَلُونَ فِي الدُّنْيَا وهم منصورون ، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين ، لاتذهب حتى يبعث الله قوماً ، فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم . والوجه الآخر : أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين ، والمراد واحد ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : إنا لننصر رسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ، كما بينا فيما مضى أن العرب تُخرج الخبر بلفظ الجميع ، والمراد واحد إذا لم تنصب للخبر شخصاً بعينه .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ) ، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة (وَيَوْمَ يَقُومُ) بالياء . وينفع أيضاً بالياء ، وقرأ ذلك بعض أهل مكة وبعض قراء البصرة : (تَقُومُ) بالتاء ، و (تَنْفَعُ) بالتاء .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، بمعنى واحد ، فأبتهما قرأ القارئ فصيب . وقد بينا فيما مضى أن العرب تذكّر فعل جمع الرجل وتؤنث إذا تقدم ، بما أغنى عن إعادته . وعني بقوله (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين ، على الأمم المكذبة رسلها ، بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم ، وأن الأمم كذبتهم . والأشهاد : جمع شهيد ، كما الأشراف : جمع شريف . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) من ملائكة الله وأنبياؤه ، والمؤمنين به .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) يوم القيامة . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، في قول الله (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) قال الملائكة .

وقوله (لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ) يقول تعالى ذكره : ذلك يوم لا يفتع أهل الشرك اعتذارهم ، لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل ، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا ، وتابع عليهم الحجج فيها ، فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب ، بأن يقولوا (وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) . وقوله (وَكَلِمَةُ اللَّعْنَةِ) يقول : وللظالمين اللعنة ، وهي البعد من رحمة الله (وَكَلِمَةُ سُوءِ الدَّارِ) . يقول : ولهم مع اللعنة من الله شر ما في الدار الآخرة ، وهو العذاب الأليم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى البيان للحق الذي بعثناه به ، كما آتينا ذلك محمدا ، فكذب به فرعون وقومه ، كما كذبت قريش محمدا (وأوزننا بني إسرائيل الكتاب) يقول : وأوزننا بني إسرائيل التوراة ، فعلمناهموها ، وأنزلناها إليهم (هُدًى) يعني بيانا لأمر دينهم ، وما ألزمناهم من فرائضها ، (وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) يقول : وتذكيرا منا لأهل الحجج والعقول منهم بها .

وقوله (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاصبر يا محمد لأمر ربك ، وانفذ لما أرسلك به من الرسالة ، وبلغ قومك ومن أمرت بإبلاغه ما أنزل إليك ، وأيقن بحقيقة وعد الله الذي وعده ، من نصرتك ونصرة من صدقتك وآمن بك ، على من كذبك ، وأنكر ما جنته به من عند ربك ، إن وعد الله حق لا خلف له ، وهو منجز له (وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) يقول : وسله غفران ذنبك ، وعفوه لك عنه (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) يقول : وصل بالشكر منك لربك بالعشي ، وذلك من زوال الشمس إلى الليل ؛ والإبكار : وذلك من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس . وقد وجه قوم الإبكار إلى أنه من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى ، وخروج وقت الضحى ، والمعروف عند العرب القول الأول .

واختلف أهل العربية في وجه عطف الإبكار ، والباء غير حسن دخولها فيه على العشي ، والباء تحسن فيه ، فقال بعض نحوي البصرة : معنى ذلك : وسبح بحمد ربك بالعشي وفي الإبكار . وقال : قد يقال : بالدار زيد ، يراد : في الدار زيد . وقال غيره : إنما قيل ذلك كذلك ، لأن معنى الكلام : صل بالحمد بهذين الوقتين ، وفي هذين الوقتين ، فإدخال الباء « في » واحد فيهما .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يَجْدُلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦)

يقول تعالى ذكره : إن الذين يخاصمونك يا محمد فيما أتيتهم به من عند ربك من الآيات بغير سلطان أتاهم : يقول : بغير حجة جاءتهم من عند الله بمخاصمتك فيها (إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ) يقول : ما في صدورهم إلا كبر يتكبرون من أجله عن اتباعك ، وقبول الحق الذي أتيتهم به ، حسدا منهم على الفضل الذي آتاك الله ، والكرامة التي أكرمك بها من النبوة (مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ) يقول : الذي حسدوك عليه أمر

ليسوا بمُدركيه ولا نائليه ، لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وليس بالأمر الذي يُدرك بالأماني ، وقد قيل : إن معناه : إن في صدورهم إلا عظمة ، ما هم ببالغي تلك العظمة ، لأن الله مدغم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (**إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ**) قال : عظمة . وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ**) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ**) لم يأتهم بذلك سلطان .

وقوله (**فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) يقول تعالى ذكره : فاستعجِر بالله يا محمد ، من شر هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ، ومن الكبر أن يعترض في قلبك منه شيء (**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) يقول : إن الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون في آيات الله وغيرهم من قول ، البصير بما تعمله جوارحهم ، لا يخفى عليه شيء من ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : لا ابتدأ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وإنشاؤها من غير شيء ، أعظم أيها الناس عندكم إن كنتم مستعظمي خلق الناس وإنشأهم من غير شيء ، من خلق الناس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هَبْنِ عَلَى اللَّهِ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا

مَا تَذَكَّرُونَ (٥٨)

((**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى**) الذي لا يبصر شيئا ، وهو مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينه ، فيتدبرها ويعتبر بها ، فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما شاء من شيء ، ويؤمن به ويصدق . (**وَالْبَصِيرُ**) الذي يرى بعينه ما شخص لهما ويبصره ، وذلك مثل المؤمن الذي يرى بعينه حجج الله ، فيتفكر فيها ويتعظ ، ويعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه ، وعظم سلطانه وقدرته على خلق ما يشاء . يقول جل ثناؤه : كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن . (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**) يقول جل ثناؤه : ولا يستوى أيضا كذلك المؤمنون بالله ورسوله ، المطيعون لربه ، ولا المسيء ، وهو الكافر بربه ، العاصي له ،

الخالف أمره . (قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ) يقول جل ثناؤه : قليلاً ما تتذكرون أيها الناس حجج الله ، فتعتبرون وتتعضون ، يقول : لو تذكروتم آياته واعتبرتم ، لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقيمون من إنكاركم قدرة الله على إحيائه من فني من خلقه من بعد الفناء ، وإعادتهم لحياتهم من بعد وفاتهم ، وعلمتم قبح شرككم من تشركون في عبادة ربكم .

واختلفت القراء في قراءة قوله (تَتَذَكَّرُونَ) فقرأت ذلك عامة قرآء المدينة والبصرة (يَتَذَكَّرُونَ) بالياء على وجه الخبر . وقرأته عامة قرآء الكوفة (تَتَذَكَّرُونَ) بالتاء على وجه الخطاب ، والقول في ذلك : أن القراءة بهما صواب .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩) وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ : إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : إن الساعة التي يحيي الله فيها الموتى للثواب والعقاب بلحائية أيها الناس لاشك في مجيئها . يقول : فأيقنوا بمجيئها ، وأنكم مبعوثون من بعد مماتكم ، ومجازون بأعمالكم ، فتوبوا إلى ربكم (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) يقول : ولكن أكثر قريش لا يصدقون بمجيئها .

وقوله (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) يقول تعالى ذكره : ويقول ربكم أيها الناس لكم : ادعوني . يقول : اعبدوني وأخلصوا إلى العبادة ، دون من تعبدون من دوني ، من الأوثان والأصنام وغير ذلك ، (أَسْتَجِبْ لَكُمْ) يقول : أجب دعاءكم ، فأعفو عنكم وأرحمكم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) يقول : وحَدَّثُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، عن الأعمش ، عن زرّ ، عن يسيع الحضرمي ، عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ » . وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، والأعمش عن زرّ ، عن يسيع الحضرمي ، عن النعمان بن بشير ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ » ، وقال رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ . . . الآية .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن زرّ ، عن يسيع .

قال أبو موسى : هكذا قال غُندَر ، عن سعيد ، عن منصور ، عن زِرِّ ، عن يُسَيْع ، عن النعمان بن بشير ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ » ، وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ . حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن زِرِّ ، عن يسيع عن النعمان بن بشير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا يوسف بن العرف الباهلي ، عن الحسن بن أبي جعفر ، عن محمد بن جحادة ، عن يُسَيْع الحضرمي ، عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ عِبَادَتِي دُعَائِي ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) قَالَ : عَنْ دُعَائِي » .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا عمارة ، عن ثابت ، قال : قلت لأنس : يا أبا حمزة ، أبلغك أن الدعاء نصف العبادة ؟ قال : لا ، بل هو العبادة كلها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أخبرنا منصور ، عن زِرِّ ، عن يسيع الحضرمي ، عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ » ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن الأشجعي ، قال : قيل لسفيان : ادع الله قال : إن ترك الذنوب هو الدعاء .

وقوله (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) يقول : إن الذين يتعظمون عن إفرادي بالعبادة ، وإفراد الألوهة لي (سَيَبَدُّخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) بمعنى : صاغرين . وقد دللنا فيما مضى قبل ، على معنى الدخر ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقد قيل : إن معنى قوله (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) : إن الذين يستكبرون عن دعائي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) قال : عن دعائي .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (دَاخِرِينَ) قال : صاغرين .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ، إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١)

❦ يقول تعالى ذكره : الله الذي لا تصلح الألوهة إلا له ، ولا تنبغي العبادة لغيره ، الذي صفته أنه جعل

لكم أيها الناس الليل سكننا لتسكنوا فيه ، فتهدهوا من التصرف والاضطراب للمعاش ، والأسباب التي كنتم تنصرفون فيها في نهاركم (والنهار مُبْصِرًا) يقول : وجعل النهار مبصرا من اضطرب فيه لمعاشه ، وطلب حاجاته ، نعمة منه بذلك عليكم (إِنَّ اللَّهَ لَنَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) يقول : إن الله لمتفضل عليكم أيها الناس بما لا كفاء له من الفضل (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) يقول : ولكن أكثرهم لا يشكرونه ، بالطاعة له ، وإخلاص الألوهة والعبادة له ، ولا يد تقدمت له عنده استوجب بها منه الشكر عليها .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْحَدُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : الذي فعل هذه الأفعال ، وأنعم عليكم هذه النعم أيها الناس ، الله مالكم ، ومصالح أموركم ، وهو خالقكم وخالق كل شيء (لا إله إلا هو) يقول : لامعبود تصلح له العبادة غيره ، (فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) يقول : فأى وجه تأخذون ؟ وإلى أين تذهبون عنه ، فتعبدون سواه ؟ وقوله (كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْحَدُونَ) يقول : كذها بكم عنه أيها القوم ، وانصرفكم عن الحق إلى الباطل ، والرشد إلى الضلال ، ذهب عنه الذين كانوا من قبلكم من الأمم بآيات الله ، يعنى : بحجج الله وأدلته ، يكذبون فلا يؤمنون ؛ يقول : فسلكم أنتم معشر قريش مسلكهم ، وركبتهم محجبتهم في الضلال .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)

يقول تعالى ذكره : (الله) الذي له الألوهة خالصة أيها الناس (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ) التي أنتم على ظهرها سكان (قَرَارًا) تستقرون عليها ، وتسكنون فوقها ، (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) : بناها ، فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها . لمصالحكم ، وقوام دنياكم إلى بلوغ آجالكم (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ) يقول : وخلقكم فأحسن خلقكم (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول : ورزقكم من حلال الرزق ، ولذيذات المطاعم والمشارب . وقوله (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ) يقول تعالى ذكره : فالذي فعل هذه الأفعال ، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم ، هو الله الذي لا تنبغي الألوهة إلا له ، وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره ، لا الذي لا ينفع ولا يضر . ولا يخلق ولا يرزق (فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) يقول : فتبارك الله مالك جميع

الخلق جنهم وإنسهم ، وسائر أجناس الخلق غيرهم (هُوَ الْحَيُّ) يقول : هو الحي الذي لا يموت ، الدائم الحياة ، وكل شيء سواه فنقطع الحياة غير دائمها (لِإِلَهِ إِلَّا هُوَ) يقول : لا معبود بحق تجوز عبادته ، وتصلح الألوهة له ، إلا الله الذي هذه الصفات صفاته ، فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين ، مخلصين له الطاعة ، مفردين له الألوهة ، لا تشركوا في عبادته شيئا سواه ، من وثن وصنم ، ولا تجعلوا له نداً ولا عدلاً . (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : الشكر لله الذي هو مالك جميع أجناس الخلق ، من ملك ورجن وإنس وغيرهم ، لا للآلهة والأوثان التي لا تملك شيئاً ، ولا تقدر على ضرر ولا نفع ، بل هو مملوك ، إن ناله نائل بسوء ، لم يقدر له عن نفسه دفعا .

وكان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال لا إله إلا الله ، أن يتبع ذلك الحمد لله رب العالمين ، تأولاً منهم هذه الآية ، بأنها أمر من الله بقيل ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبي ، قال : أخبرنا الحسين بن واقد ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : من قال لا إله إلا الله ، فليقل على إثرها : الحمد لله رب العالمين ، فذلك قوله (فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين) .

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جبير ، قال : إذا قال أحدكم : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فليقل : الحمد لله رب العالمين ، ثم قرأ (فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين) .

حدثني محمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جبير أنه كان يستحب إذا قال : لا إله إلا الله ، يتبعها : الحمد لله ، ثم قرأ هذه الآية (هُوَ الْحَيُّ لِإِلَهِ إِلَّا هُوَ ، فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين) .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر ، عن سعيد بن جبير ، قال : إذا قال أحدكم لا إله إلا الله وحده ، فليقل بإثرها : الحمد لله رب العالمين ، ثم قرأ (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) .

القول في تأويل قوله تعالى

* قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي ، وَأُمِرْتُ

أَنْ أَسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركي قومك من قريش (إِنِّي نُهَيْتُ) أيها القوم (أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الآلهة والأوثان (لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ

(١) كذا في التقریب والتہذیب . وفي الخلاصة : عبد الحميد بن بيان الشكري ، أبو الحسن العطار الوسطي توفي سنة ٢٤٤ هـ .

مِنْ رَبِّي) يقول : لما جاءني الآيات الواضحات من عند ربي ، وذلك آيات كتاب الله الذي أنزله (وأُمرت أن أسلم لرب العالمين) يقول : وأمرني ربي أن أذل لرب كل شيء ، ومالك كل خلق بالخصوع ، وأخضع له بالطاعة دون غيره من الأشياء .

القول في تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيََتَّكُفُوا شَيْوِخًا ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره أما نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتنبئه مشركي قومه على حججه عليهم في وحدانيته : قل يا محمد لقومك : أمرت أن أسلم لرب العالمين ، الذي صفته هذه الصفات ، وهي أنه خلق أباكم آدم (مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ) خلقكم (مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) بعد أن كنتم نطفة (ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) من بطون أمهاتكم صغارا ، (ثُمَّ لِيََتَّكُفُوا شَيْوِخًا) ، فتكامل قواكم ، ويتناهى شبابكم ، وتمام خلقكم شيوخا (وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ) أن يبلغ الشيخوخة (وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى) : يقول : ولتبلغوا ميقاتنا مؤقتا لحياتكم ، وأجلا محدودا لتجاوزونه ، ولا تتقدمون قبله (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يقول : وكى تعقلوا حجج الله عليكم بذلك ، وتندبروا آياته ، فتعرفوا بها أنه لا إله غيره فعل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرَفُونَ (٦٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) يقول قل لهم : ومن صفته جل ثناؤه ، أنه هو الذي يحيي من يشاء بعد مماته ، ويميت من يشاء من الأحياء بعد حياته . (إِذَا قُضِيَ أَمْرًا) يقول : وإذا قضى كون أمر من الأمور التي يريد تكوينها (فَلِئِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ) يعني للذي يريد تكوينه ، كن فيكون ما أراد تكوينه موجودا بغير معاناة ، ولا كلفة مؤنة .

وقوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ، أَنِّي يُصْرَفُونَ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد هؤلاء المشركين من قومك ، الذين يخاصمونك في حجج الله وآياته (أَنِّي يُصْرَفُونَ) يقول : أي وجه يصرفون عن الحق ، ويعدلون عن الرشد .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَنِّي يُصْرَفُونَ) : أي يكذبون ويعدلون . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَنِّي يُصْرَفُونَ) قال : يُصْرَفُونَ عن الحق .

واختلف أهل التأويل في الذين عَسُوا بهذه الآية ، فقال بعضهم : عَسَى بها أهل القَدَر .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثني ، قالا : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن محمد بن سيرين ، قال : إن لم تكن هذه الآية نزلت في القَدَرية ، فلأني لأدري فيمن نزلت : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ، أَنَّى يُصْرَفُونَ) إلى قوله (كَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ، كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ) .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن ابن سيرين ، قال : إن لم يكن أهل القدر الذين يخوضون في آيات الله فلا علم لنا به .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني مالك بن أبي الخير الزيادي ، عن أبي قبيل ، قال : أخبرني عقبة بن عامر الجهني ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سَيَهْلِكُ مِنْ أُمَّتِي أَهْلُ الْكِتَابِ ، وَأَهْلُ الدِّينِ ، فَقَالَ عَقْبَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا أَهْلُ الْكِتَابِ ؟ قَالَ : قَوْمٌ يَتَعَلَّمُونَ كِتَابَ اللَّهِ يُجَادِلُونَ الَّذِينَ آمَنُوا ، فَقَالَ عَقْبَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا أَهْلُ الدِّينِ ؟ قَالَ : قَوْمٌ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ ، وَيُضَيِّعُونَ الصَّلَوَاتِ » . قال أبو قبيل : لأحسب المكذبين بالقدر إلا الذين يجادلون الذين آمنوا ، وأما أهل الدين ، فلا أحسبهم إلا أهل العمود ، ليس عليهم إمام جماعة ، ولا يعرفون شهر رمضان . وقال آخرون : بل عني به أهل الشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ) قال : هؤلاء المشركون .
والصواب من القول في ذلك : ما قاله ابن زيد ، وقد بين الله حقيقة ذلك بقوله (الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا) .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلُلُ فِي
أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ آيِنَ مَا كُنْتُمْ
تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ، كَذَلِكَ
يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤)

(١) كذا في الأصل ، ولم أجد معنى للعمود في النهاية لابن الأثير ، ولعله محرف عن (العمود) بضم العين ، جمع عمر ، يفتح فسكون ، وبضمين ، وهو ضرب من الخيل ، وهو السحوق الطويل . يريد أصحاب هذه النخل الملازمين لها ، يجادلون في الدين ، بلا علم ولا فقه .

يقول تعالى ذكره : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى بَصُرْفُونَ ؟ أَلَّذِينَ كَذَّبُوا) بكتاب الله ، وهو هذا القرآن ، والذين الثانية في موضع خفض ردّ آلتها على الذين الأولى ، على وجه النعت (وَبِمَا أُرْسَلْنَا بِهِ رُسُلْنَا) يقول : وكذبوا أيضا مع تكذيبهم بكتاب الله ، بما أرسلنا به رسلنا من إخلاص العبادة لله ، والبراءة مما يعدّ دونه من الآلهة والأنداد ، والإقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب .

وقوله (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ) ، وهذا تهديد من الله المشركين به ، يقول جل ثناؤه : فسوف يعلم هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله ، المكذبون بالكتاب حقيقة ما تخبرهم به يا محمد ، وصحة ما هم به اليوم مكذبون من هذا الكتاب ، حين تجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم في جهنم ، وقرأت قراءة الأمصار : والسلاسل برفعها ، عطفًا بها على الأغلال ، على المعنى الذي بينت . وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه (وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ) بنصب السلاسل في الحميم . وقد حكى أيضا عنه أنه كان يقول : إنما هو ، وهم في السلاسل يسحبون ، ولا يجيز أهل العلم بالعربية ، خفض الاسم والخافض مضمر . وكان بعضهم يقول في ذلك : لو أن متروهما قال : إنما المعنى : إذ أعناقهم في الأغلال والسلاسل يسحبون ، جاز الخفض في السلاسل على هذا المذهب ، وقال مثله : مما ردّ إلى المعنى قول الشاعر :

قَدَّ سَأَلَمَ الْحَيَاتُ مِنْهُ الْقَسْدَمَا الْأَفْعُوَانَ وَالشُّجَاعَ الْأَرْقَمَا

فنصب الشجاع والحيات قبل ذلك مرفوعة ، لأن المعنى : قد سألت رجله الحيات وسألتها ، فلما احتاج إلى نصب القافية ، جعل الفعل من القدم واقعا على الحيات .

والصواب من القراءة عندنا في ذلك : ما عليه قرأ الأمصار ، لإجماع الحجة عليه ، وهو رفع السلاسل عطفًا بها على ما في قوله (فِي أَعْنَاقِهِمْ) من ذكر الأغلال .

وقوله (يُسْحَبُونَ) يقول : يسحب هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا بالكتاب ، زبانية العذاب يوم القيامة في الحميم ، وهو ما قد انتهى حره ، وبلغ غايته .

وقوله (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) يقول : ثم في نار جهنم يحرقون ، يقول : تسجر بها جهنم : أي توقد بهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (يُسْجَرُونَ) قال : يوقد بهم النار .

(١) البيتان من مشطور الرجز (اللسان : شجع) . قال الشجاع : الحية ، وفي الحديث : «يجيء كثر أهدم يوم القيامة شجاعا أقرع .» وأنشد الأحر : «قد سأل الحيات . . . البيتين» . نصب الشجاع والأفعوان بمعنى الكلام ، لأن الحيات إذا سألت القدم ، فقد سألها القدم ، فكأنه قال : سأل القدم الحيات ، ثم جعل الأفعوان بدلا منها . اهـ . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة «٢٨٩») نصب الشجاع والحيات قبل ذلك مرفوعة ، لأن المعنى قد سألت رجله الحيات وسألتها . فلما احتاج إلى نصب القافية ، جعل الفعل من القدم واقعا على الحيات . اهـ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) قال : يُحْرَقُونَ فِي النَّارِ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) قال : يُسْجَرُونَ فِي النَّارِ : يُوقَدُ عَلَيْهِمْ فِيهَا .

وقوله (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْسَأُكْفِرُكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يقول : ثم قيل : أين الذين كنتم تشركون بعبادتكم إياها من دون الله ، من آلهتكم وأوثانكم ، حتى يغيثوكم فينقلبوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب ، فإن المعبود يغيث من عبده وخدمه ؛ وإنما يقال هذا لم توبيخوا وتقربوا ، على ما كان منهم في الدنيا ، من الكفر بالله وطاعة الشيطان ؛ فأجاب المساكين عند ذلك ، فقالوا : ضلوا عنا : يقول : عدلوا عنا ، فأخذوا غير طريقنا ، وتركونا في هذا البلاء ، بل ما ضلوا عنا ، ولكننا لم نكن ندعو من قبل في الدنيا شيئا : أي لم نكن نعبد شيئا ، يقول الله تعالى ذكره (كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ) يقول : كما أضل هؤلاء الذين ضل عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله من الآلهة والأوثان آلهتهم وأوثانهم ، كذلك يضل الله أهل الكفر به عنه ، وعن رحمته وعبادته ، فلا يرحمهم فينجيهم من النار ، ولا يغيثهم فيخفف عنهم ما هم فيه من البلاء .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) أَذْخَلُوا
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦)

يعنى تعالى ذكره بقوله (ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) هذا الذى فعلنا اليوم بكم أيها القوم ، من تعذيبناكم العذاب الذى أنتم فيه ، بفرحكم الذى كنتم تفرحونه في الدنيا ، بغير ما أذن لكم به من الباطل والمعاصي ، وبمرحكم فيها . والمرح : هو الأشر والبطر . وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) ، إلى (فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ) قال : الفرح والمرح : الفخر والحيلاء ، والعمل في الأرض بالخطيئة ، وكان ذلك في الشرك ، وهو مثل قوله لقارون : (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) ، وذلك في الشرك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) ، وبما كنتم تمرحون (قال : تبطرون وتأشرون .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (تَمْرَحُونَ) قال : تبطرون . وقوله (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) يقول تعالى ذكره لهم : ادخلوا أبواب جهنم السبعة ، من كل باب منها جزء مقسوم منكم (فَيَسْئَلُ عَنْهُمْ شَرِيفٌ) يقول : فبئس منزل المتكبرين في الدنيا على الله أن يوحده ، ويؤمنوا برسله اليوم ، جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاصبر يا محمد على ما يجادلك به هؤلاء المشركون ، في آيات الله التي أنزلناها عليك ، وعلى تكذيبهم إياك ، فإن الله منجز لك فيهم ما وعدك من الظفر عليهم ، والعلو عليهم ، وإحلال العقاب بهم ، كسنتنا في موسى بن عمران ومن كذبه (فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) يقول جل ثناؤه : وإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة أن يحل بهم (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبل أن يحل ذلك بهم (فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) يقول : فإلينا مصيرك ومصيرهم ، فنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحق بتخليدناهم في النار ، وإكرامناك بجوارنا في جنات النعيم

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ، مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ، وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَإِذَا جَاءَ أَمْرٌ لِّلَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ (٧٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا) يا محمد (رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ) إلى أممها (مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ) يقول : من أولئك الذين أرسلنا إلى أممهم من قصصنا عليك نبأهم (وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) نبأهم . وذكر عن أنس أنهم ثمانية آلاف .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا علي بن شعيب السمسار ، قال : ثنا معن بن عيسى ، قال : ثنا إبراهيم بن المهاجر بن سمسار ، عن محمد بن المنكدر ، عن يزيد بن أبيان ، عن أنس بن مالك ، قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعد ثمانية آلاف من الأنبياء ، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس ، عن عتبة بن عتبة البصرى العبدى ، عن أبي سهل ، عن وهب ابن عبد الله بن كعب بن سور الأردى ، عن سلمان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : بعث الله أربعة آلاف نبي .

حدثني أحمد بن الحسين الترمذى ، قال : ثنا آدم بن أبي إياس ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن

عبد الله بن يحيى ، عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فى قوله (مَنِ اسْتَمِعَ مِنْكُمْ فَاذْذَرُوا الْكَلِمَةَ) ، وهو الذى لم نقصص عليكم .
وقوله (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : وما جعلنا لرسول
من أرسلناه من قبلك الذين قصصناهم عليك ، والذين لم نقصصهم عليك إلى أمها أن يأتى قومه بآية فاصلة
بينه وبينهم ، إلا بإذن الله له بذلك ، فيأتيهم بها ، يقول جل ثناؤه لنبيه : فلذلك لم يجعل لك أن تأتى قومك
بما يسألونك من الآيات دون إذنا لك بذلك ، كما لم نجعل لمن قبلك من رسلنا إلا أن نأذن له به (فإذا جاء
أمر الله قضي بالحق) يعنى بالعدل ، وهو أن ينجى رسله والذين آمنوا معهم (وخسر هائلك
المبطلون) يقول : وهلك هنالك الذين أبطلوا فى قلوبهم الكذب ، وافتراءهم على الله وادعائهم له شريكا .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ،
وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ، وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ
آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (٨١)

يقول تعالى ذكره (الله) الذى لاتصلح الألوهة إلا له أيها المشركون به من قريش (الذى جعل
لكم الأنعام) من الإبل والبقر والغنم والحيل ، وغير ذلك من البهائم التى يقتنها أهل الإسلام ، لركب أو
لطعم (ليركبوا منها) يعنى : الحيل والحمير (ومنها تأكلون) يعنى الإبل والبقر والغنم . وقال :
(ليركبوا منها) ومعناه : ليركبوا منها بعضا : ومنها بعضا تأكلون ، فحذف استغناء بدلالة الكلام
على ما حذف .

وقوله (ولكم فيها منافع) وذلك أن جعل لكم من جلودها بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ، ويوم
إقامتكم ، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين .
وقوله (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) يقول : ولتبلغوا بالحمولة على بعضها ، وذلك
الإبل ، حاجة فى صدوركم ، لم تكونوا بالغيا لولاها ، إلا بشق أنفسكم ، كما قال جل ثناؤه (وتحمل
أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق أنفسكم) .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ولتبلغوا عليها حاجة فى
صدوركم) يعنى الإبل تحمل أثقالكم إلى بلد .
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ولتبلغوا
عليها حاجة فى صدوركم) لحاجتكم ما كانت .

وقوله (وَعَلَيْهَا) يعنى : وعلى هذه الإبل ، وما جانسها من الأنعام المركوبة (وَعَلَى الْفُلْكِ) يعنى : وعلى السفن (تُحْمَلُونَ) يقول : نحملكم على هذه فى البر ، وعلى هذه فى البحر ، (وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ) يقول : ويرىكم حججه ، (فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ) يقول : فأى حجج الله التى يرىكم أياها الناس . فى السماء والأرض تنكرون صحتها ، فتكذبون من أجل فسادها بتوحيد الله ، وتدعون من دونه إلهاً .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ
وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ ، فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)

يقول تعالى ذكره : أفلم يسر يا محمد هؤلاء المجادلون فى آيات الله من مشركى قومك فى البلاد ؟ فإنهم أهل سفر إلى الشام واليمن ، رحلتهم فى الشتاء والصيف ، فينظروا فيما وطئوا من البلاد إلى وقائعنا بمن أوقعنا به من الأمم قبلهم ، ويروا ما أحلنا بهم من بأسنا بتكذيبهم رسلنا ، ووجودهم آياتنا ، كيف كان عاقبتى تكذيبهم ، كانوا أكثر منهم : يقول : كان أولئك الذين من قبل هؤلاء المكذبيك من قريش ، أكثر عدداً من هؤلاء وأشدهم بطشاً ، وأقربى قوة ، وأبقى فى الأرض آثاراً ، لأنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا ، ويتخذون مصانع .

وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد (وءاناراً فى الأرض) المشى بأرجلهم (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : فلما جاءهم بأسنا وسظرتنا ، لم يغن عنهم ما كانوا يعملون من البيوت فى الجبال ، ولم يدفع عنهم ذلك شيئاً ، ولكنهم بادوا جميعاً فهلكوا . وقد قيل : إن معنى قوله (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ) فأى شئ أغنى عنهم ؟ وعلى هذا التأويل يجب أن يكون ما الأولى فى مريض نصب ، والثانية فى مريض رفع . يقول : فلهؤلاء المجادلين من قومك يا محمد ، فى أولئك معتبر إن اعتبروا ، ومتعظ إن اتعظوا ، وإن بأسنا إذا حل بالقوم المجرمين لم يدفعه دافع ، ولم يمنعه مانع ، وهو بهم إن لم ينبوا إلى تصديقك واقع .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ، وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ (٨٣)

يقول تعالى ذكره : فلما جاءت هؤلاء الأمم الذين من قبل قريش المكذبة رسلها ، رسلهم الذين أرسلهم الله إليهم بالبينات ، يعنى : بالواضحات من حجج الله عز وجل (فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) يقول : فرحوا ، جهلاً منهم بما عندهم من العلم ، وقالوا : لن نبعث ، ولن يعذبنا الله . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) قال : قولهم : نحن أعلم منهم ، لن نعذب ، ولن نبعث .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) : بجهالتهم .

وقوله (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : وحاق بهم من عذاب الله ما كانوا يستعجلون رسلهم به ، استهزاء وسخرية .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) ما جاءتهم به رسلهم من الحق .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا : ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره : فلما رأَت هذه الأمم المكذبة رسلها بأسنا، يعنى عقاب الله الذى وعدتهم به رسلهم قد حل بهم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) قال : النقيبات التى نزلت بهم .

وقوله (قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ) يقول : قالوا : أقررنا بتوحيد الله ، وصدقنا أنه لا إله غيره . (وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ) يقول : وجحدنا الآلهة التى كنا قبل وقتنا هذا نشركها فى عبادتنا الله ، ونعبدها معه ، ونتخذها آلهة ، فبرئنا منها .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ، سُدَّتْ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ، وَخَسِرَ هُنَا لِكَ الْكٰفِرُونَ (٨٥)

يقول تعالى ذكره : فلم يك ينفعهم تصديقهم فى الدنيا بتوحيد الله ، عند عاينة عقابه قد نزل ، وعذابه

قد حلّ ، لأنهم صدّقوا حين لا ينفع التصديق مُصدّقاً ، إذ كان قد مضى حكم الله في السابق من علمه ، أن من تاب بعد نزول العذاب من الله على تكذيبه ، لم تنفعه توبته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (فَلَمَّ بِكَ يُنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ كَمَا رَأَوْا بِأَسَنَّا) : لما رأوا عذاب الله في الدنيا ، لم ينفعهم الإيمان عند ذلك .
وقوله (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ) يقول : ترك الله تبارك وتعالى إقالتهم ، وقبول التوبة منهم ، ومراجعتهم الإيمان بالله ، وتصديق رسّلمهم ، بعد معاينتهم بأسه قد نزل بهم ، سنّته الّتي قد مضت في خلقه ، فلذلك لم يُقبلتْهم ، ولم يقبل توبتهم في تلك الحال .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ) يقول : كذلك كانت سنة الله في الذين خلّوا من قبل ، إذا عاينوا عذاب الله لم ينفعهم إيمانهم عند ذلك .
وقوله (هَٰ خَسِرَ هُنَا لِكَ الْكَافِرُونَ) يقول : وهلك عند مجيء بأس الله ، فغيبت صفقته ، ووضع في بيعة الآخرة بالدنيا ، والمغفرة بالعذاب ، والإيمان بالكفر ، الكافرون بربهم . الجاحدون توحيد خالقهم ، المتخذون من دونه آلهة يعبدونهم من دون بارئهم .

آخر تفسير سورة حمّ المؤمن

تفسير سورة فصلت

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

حم (١) تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤)

قال أبو جعفر : قد تقدم القول منا فيما مضى قبل في معنى « حم » ، والقول في هذا الموضع كالقول في ذلك .

وقوله (تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) يقول تعالى ذكره : هذا القرآن تنزيل من عند الرحمن الرحيم ، نزلّه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) يقول : كتاب بيّنت آياته .
كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) قال : بيّنت آياته .

وقوله (قُرْآنَا عَرَبِيًّا) يقول تعالى ذكره : فصلت آياته هكذا .

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب القرآن ، فقال بعض نحويي البصرة : قوله (كِتَابٌ فُصِّلَتْ) : الكتاب خبر لمبتدأ أخبر أن التنزيل كتاب ، ثم قال (فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) شغل الفعل بالآيات حتى صارت بمنزلة الفاعل ، فنُصِبَ القرآن . وقال : (بَشِيرًا وَنَذِيرًا) على أنه صفة ، وإن شئت جعلت نصبه على المدح ، كأنه حين ذكره أقبل في مدحته ، فقال : ذكرنا قرآنا عربيا بشيرا ونذيرا ، وذكرناه قرآنا عربيا ، وكان فيما مضى من ذكره ، دليل على ما أضمم . وقال بعض نحويي الكوفة : نصب قرآنا على الفعل : أي فصلت آياته كذلك . قال : وقد يكون النصب فيه على القطع ، لأن الكلام تام عند قوله « آياته » . قال : ولو كان رفعا على أنه من نعم الكتاب كان صوابا ، كما قال في موضع آخر (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ) وقال : وكذلك قوله (بَشِيرًا وَنَذِيرًا) فيه ما في (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) .

وقوله (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يقول : فصلت آيات هذا الكتاب قرآنا عربيا لقوم يعلمون اللسان العربي ، بشيرا لهم يبشروهم إن هم آمنوا به ، وعملوا بما أنزل فيه من حدود الله وفرائضه بالجنة . ونذيرا : يقول : ومُنذرا من كذب به ولم يعمل بما فيه بأمر الله في عاجل الدنيا ، واخلد الأبد في نار جهنم في آجل الآخرة . وقوله (فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ) يقول تعالى ذكره : فاستكبر عن الإصغاء له ، وتدبر ما فيه من حجج الله ، وأعرض عنه ، أكثر هؤلاء القوم الذين أنزل هذا القرآن بشيرا لهم ونذيرا ، وهم قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) يقول : فهم لا يسمعون له فيسمعوه ، إعراضا عنه واستكبارا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا: قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمَنْ يَنْتَهِ وَيَنْتَهِ حِجَابٌ ،
فَاعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ (هـ)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون المعرضون عن آيات الله من مشركي قريش ، إذ دعاهم محمد نبي الله إلى الإقرار بتوحيد الله ، وتصديق ما في هذا القرآن من أمر الله ونهيه ، وسائر ما أنزل فيه (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ) يقول : في أغطية (مِمَّا تَدْعُونَا) يا محمد (إِلَيْهِ) من توحيد الله ، وتصديقك فيما جئتنا به ، لانفقه ما تقول (وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) وهو الثقل ، لانسمع ما تدعوننا إليه ، استثقلا لما يدعو إليه ، وكراهة له . وقد مضى البيان قبل عن معاني هذه الأحرف بشواهد ، وذكر ما قال أهل التأويل فيه ، فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع .

وقد حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ) قال : عليها أغطية كالجعبة للنبل .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ) قال : عليها أغطية (وفي آذاننا وقر) قال : صمم .

وقوله (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) يقولون : ومن بيننا وبينك يا محمد ساتر ، لا يجتمع من أجله نحن وأنت ، فيرى بعضنا بعضا ، وذلك الحجاب هو اختلافهم في الدين ، لأن دينهم كان عبادة الأوثان ، ودين محمد صلى الله عليه وسلم عبادة الله وحده لا شريك له ، فذلك هو الحجاب الذي زعموا أنه بينهم وبين نبي الله ، وذلك هو خلاف بعضهم بعضاً في الدين .

وقوله (فاعمل) إننا عاملون) يقول : قالوا له صلى الله عليه وسلم : فاعمل يا محمد بدينك وما تقول إنه الحق ، إننا عاملون بديننا ، وما نقول إنه الحق ، ودع دعاءنا إلى ما تدعوننا إليه من دينك ، فلإنا ندع دعاءك إلى ديننا . وأدخلت « مين » في قوله (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) والمعنى : وبيننا وبينك حجاب ، توكيدا للكلام .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ، أَنَّمَا إِلَهُ الْوَاحِدِ، فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ،
وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧)

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد هؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك : أيها القوم ما أنا إلا بشر من بني آدم مثلكم في الجنس والصوره والهيئة ، لست بملك (يوحى إلي) يقول : يوحى الله إلي أن لا معبود لكم تصلح عبادته إلا معبود واحد (فاستقيموا إليه) يقول : فاستقيموا إليه بالطاعة ، ووجهوا إليه وجوهكم بالرغبة والعبادة ، دون الآلهة والأوثان (واستغفروا) يقول : وسلوه العفو لكم عن ذنوبكم التي سلفت منكم ، بالتوبة من شرككم ، يتب عليكم ، ويغفر لكم .

وقوله (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) يقول تعالى ذكره : وصديد أهل النار ، وما يسيل منهم للمدعين لله شريكا ، العابدين الأوثان دونه ، الذين لا يؤتون الزكاة . اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : معناه : الذين لا يعطون الله الطاعة التي تطهرهم ، وتركوا أبدانهم ، ولا يوحدونه ، وذلك قول يذكر عن ابن عباس .

ذكر الرواية بذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) قال : هم الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله .
حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قوله (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) : الذين لا يقولون لا إله إلا الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الذين لا يقرّون بزكاة أموالهم التي فرضها الله فيها ، ولا يعطونها أهلها ، وقد ذكرنا أيضا قائل ذلك قبل .

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) قال : لا يقرّون بها ولا يؤمنون بها ، وكان يقال : إن الزكاة قنطرة الإسلام ، فمن قطعها نجا ، ومن تخلف عنها هلك . وقد كان أهل الردّة بعد نبي الله قالوا : أما الصلاة فنصّلي ، وأما الزكاة فوالله لا تنصّب أموالنا . قال : فقال أبو بكر : والله لأفرّق بين شيء جمع الله بينه ، والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله ، لقاتلناهم عليه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) قال : لو زكّوا وهم مشركون لم ينفعهم .

والصواب من القول في ذلك : ما قاله الذين قالوا : معناه : لا يؤدّون زكاة أموالهم ، وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة ، وأن قوله في (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) دليلا على أن ذلك كذلك ، لأن الكفار الذين عشّوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، فلو كان قوله (الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) مرادا به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، لم يكن لقوله (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) معنى ، لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة ، وفي اتباع الله قوله (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) قوله (الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) ما ينبئ عن أن الزكاة في هذا الموضع معنى بها زكاة الأموال .
وقوله (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) يقول : وهم بقيام الساعة ، وبعث الله خلقه أحياء من قبورهم ، من بعد بلائهم وفنائهم منكرون .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) قُلْ أِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ، ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩)

يقول تعالى ذكره : إن الذين صدّقوا الله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله به ورسوله ، وانتهوا عما نهاهم عنه ، وذلك هو الصالحات من الأعمال (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يقول : لمن فعل ذلك أجر غير منقوص عما وعدهم أن يآجروهم عليه .

وقد اختلف في تأويل ذلك أهل التأويل ، وقد بيناه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .
وقد حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قال بعضهم : غير منقوص . وقال بعضهم : غير ممنون عليهم .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يقول : غير منقوص .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَمْ يَكُنْ أَحْبَبَ غَيْرَ مَمْنُونٍ) قال : محسوب . وقوله (أَمِنَّاكُمْ لَتَكْفُرُنَّ بِاللَّهِ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) وذلك يوم الأحد ويوم الاثنين ، وبذلك جاءت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالته العلماء ، وقد ذكرنا كثيرا من ذلك فيما مضى قبل ، ونذكر بعض ما لم نذكره قبل إن شاء الله .

ذكر بعض ما لم نذكره فيما مضى من الأخبار بذلك

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو بكر بن عباس ، عن أبي سعيد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال هناد : قرأت سائر الحديث على أبي بكر « أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض ، قال : خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيها من منافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والملائكة والعممران والخراب ، فهذه أربعة » ، ثم قال أئمتكم لتكفرون باللذی خلق الأرض في يومين ، وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين لمن سأل . قال : وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاثة الآجال حين يموت من مات ، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس ؛ وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة ، وأمر إبليس بالسجود له ، وأخرجه منها في آخر ساعة ، قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على العرش ، قالوا : قد أصبت لو أتممت ، قالوا ثم استراح ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، فنزل (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، وما مسنا من لغوب ، فاصبر على ما يقولون) .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسماعيل ، عن شريك ، عن غالب بن غلاب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : « إن الله خلق يوما واحدا ، فسماه الأحد ، ثم خلق ثانيا ، فسماه الاثنين ، ثم خلق ثالثا ، فسماه الثلاثاء ، ثم خلق رابعا ، فسماه الأربعاء ، ثم خلق خامسا ، فسماه الخميس ؛ قال : فخلق الأرض في يومين : الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء ، فذلك قول الناس : هو يوم ثقيل ، وخلق مواضع الأنهار والأشجار يوم الأربعاء ، وخلق الطير والوحوش والحوام والسباع يوم الخميس ، وخلق الإنسان يوم الجمعة ، ففرغ من خلق كل شيء يوم الجمعة » .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (خلق الأرض في يومين) في الأحد والاثنين ، وقد قيل غير ذلك .

وذلك ما حدثني القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن علي ، قالوا : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ،

قال : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة قال : « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، فقال : خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثاءِ ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعاءِ ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَميسِ ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ خَلْقِي فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ » .

وقوله (وَتَجْمَعُونَ لَهُ أَنْدَادًا) يقول : وتجعلون لمن خلق ذلك كذلك أندادا ، وهم الأكفاء من الرجال تطيعونهم في معاصي الله . وقد بينا معنى النداء بشواهد في ماضي قبل .

وقوله (ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) يقول : الذي فعل هذا الفعل ، وخلق الأرض في يومين ، مالك جميع الجن والإنس ، وسائر أجناس الخلق ، وكل ما دونه مملوك له ، فكيف يجوز أن يكون له نيد ، وهل يكون المملوك العاجز الذي لا يقدر على شيء نيدا للمالكة القادر عليه ؟

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِيًّا مِنْ فَوْقِهَا ، وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ لِلْسَّائِلِينَ
(١٠) ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ، فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا

طَائِعِينَ (١١)

يقول تعالى ذكره : وجعل في الأرض التي خلق في يومين جبلا رواسي ، وهي الثوابت في الأرض من فوقها ، بمعنى : من فوق الأرض على ظهرها .

وقوله (وَبَارَكَ فِيهَا) يقول : وبارك في الأرض ، فجعلها دائمة الخير لأهلها .

وقد ذكر عن السدي في ذلك ما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي :

(وَبَارَكَ فِيهَا) قال : أثبت شجرها .

(وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا) :

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : وقدَّرَ فيها أقوام أهلها بمعنى أرزاقهم ومعاشهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا) قال : أرزاقها :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا)

قال : قدَّرَ فيها أرزاق العباد ، ذلك الأقوات .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا) يقول : أقواتها

لأهلها .

وقال آخرون : بل معناه : وقدَّرَ فيها ما يصلحها .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن خلود بن دعلج ، عن قتادة ، قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : صلاحها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقدَّرَ فيها جبالها وأنهارها وأشجارها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) : خلق فيها جبالها وأنهارها وبحارها وشجرها ، وساكنها من الدواب كلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : جبالها ودوابها وأنهارها وبحارها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقدَّرَ فيها أقواتها من المطر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : من المطر .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقدَّرَ في كل بلدة منها ما لم يجعله في الآخر منها ، لمعاش بعضهم من بعض بالتجارة من بلدة إلى بلدة .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن محمد الذارع ، قال : ثنا أبو محصن ، قال : ثنا حسين ، عن عكرمة ، في قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : التمانى باليمن ، والسابري بسابور .

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا أبو محصن ، عن حصين ، قال : قال عكرمة (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) التمانية باليمن ، والسابرية بسابور ، وأشبه هذا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت حصينا عن عكرمة في قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : في كل أرض قوت لا يصلح في غيرها ، التمانى باليمن ، والسابري بسابور .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين عن عكرمة في قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : البلد يكون فيه القوت أو الشيء لا يكون لغيره ، ألا ترى أن السابري إنما يكون بسابور ، وأن العصب إنما يكون باليمن ونحو ذلك .

حدثني إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا ابن عبد الواحد بن زياد ، عن خصيف ، عن مجاهد ، في قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : السابري بسابور ، والطيالسة من الري .

حدثني إسماعيل ، قال : ثنا أبو النضر صاحب البصري ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن مطرف ، عن الضحاك في قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال السابري من سابور ، والطيالسة من الري .

في قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : السابري من سابور ، والطيايسة من الري ، والحسبر من اليمن .
والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى أخبر أنه قدّر في الأرض أقوات أهلها ، وذلك
ما يقوتهم من الغذاء ، ويصلحهم من المعاش ، ولم يخصّ جلّ ثناؤه بقوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) أنه
قدّر فيها قوتا دون قوت ، بل عمّ الخبر عن تقديره فيها جميع الأقوات ، ومما يقوت أهلها ما لا يصلحهم
غيره من الغذاء ، وذلك لا يكون إلا بالمطر والتصرف في البلاد ، لما خصّ به بعضا دون بعض ، ومما أخرج
من الجبال من الجواهر ، ومن البحر من الماء كلّ والحلى ، ولا قول في ذلك أصحّ مما قال جلّ ثناؤه : قدّر
في الأرض أقوات أهلها ، لما وصفنا من العلة .

وقال جلّ ثناؤه : (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) لما ذكرنا قبل من الخبر الذي روينا عن ابن عباس ، عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، أنه فرغ من خلق الأرض وجميع أسبابها ومنافعها ، من الأشجار والماء والمدائن
والعمران ، والحراب ، في أربعة أيام ، أولهنّ يوم الأحد ، وآخرهنّ يوم الأربعاء .
حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : خلق الجبال فيها وأقوات
أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين ، في الثلاثاء والأربعاء .

وقال بعض نحويّ البصرة : قال خلق الأرض في يومين ، ثم قال في أربعة أيام ، لأنه يعني أن هذا مع
الأول أربعة أيام ، كما تقول : تزوّجت أمس امرأة ، واليوم ثنتين ، وإحداهما التي تزوّجتها أمس .
وقوله (سَوَاءٌ لِّلسَّائِلِينَ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : تأويله : سواء لمن سأل عن
مبلغ الأجل الذي خلق الله فيه الأرض ، وجعل فيها الرواسي من فوقها والبركة ، وقدّر فيها الأقوات
بأهلها ، وجده كما أخبر الله أربعة أيام ، لا يزدن على ذلك ولا ينقصن منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَوَاءٌ لِّلسَّائِلِينَ) من سأل عن ذلك وجده ،
كما قال الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَوَاءٌ لِّلسَّائِلِينَ) قال : من
سأل فهو كما قال الله .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ
لِّلسَّائِلِينَ) يقول : من سأل فهكذا الأمر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : سواء لمن سأل ربه شيئا مما به الحاجة إليه من الرزق ، فإن الله قد قدّر
له من الأقوات في الأرض ، على قدر مسألة كل سائل منهم لوسأله ، لما نفذ من علمه فيهم قبل أن يخلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله (سَوَاءٌ لِّلسَّائِلِينَ) قال : قدّر
ذلك على قدر مسائلهم ، يعلم ذلك أنه لا يكون من مسائلهم شيء ، إلا شيء قد علمه قبل أن يكون .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ، غير أبي جعفر والحسن البصري (سواءً) بالنصب . وقرأه أبو جعفر القارئ (سواءً) بالرفع . وقرأ الحسن (سواءً) بالجر . والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار ، وذلك قراءته بالنصب ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، ولصحة معناه . وذلك أن معنى الكلام : وقد ر فيها أقواتها سواء لسائلها ، على ما بهم إليه الحاجة ، وعلى ما يصلحهم .

وقد ذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك (وَقَسَمَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) .

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب سواء ، فقال بعض نحوي البصرة : من نصبه جعله مصدرًا ، كأنه قال : استواء . قال : وقد قرئ بالجر ، وجعل اسما للمستويات : أي في أربعة أيام تامة . وقال بعض نحوي الكوفة : من خفض سواء ، جعلها من نعت الأيام ، وإن شئت من نعت الأربعة ، ومن نصبها جعلها متصلة بالأقوات . قال : وقد ترفع كأنه ابتداء ، كأنه قال ذلك (سواءً) للسائلين) يقول : لمن أراد علمه . والصواب من القول في ذلك : أن يكون نصبه إذا نصب حالا من الأقوات ، إذ كانت سواء قد شبهت بالأسماء النكرة ، فقيل : مررت بقوم سواء ، فصارت تتبع النكرات ، وإذا تبع النكرات انقطعت من المعارف ، فنصب ، فقيل : مررت بإخوتك سواء ، وقد يجوز أن يكون إذا لم يدخلها تثنية ولا جمع أن تشبه بالمصادر . وأما إذا رُفعت ، فلأنما ترفع ابتداء بضمير ذلك ونحوه . وإذا جرت فعلى الاتباع للأيام ، أو للأربعة .

وقوله (إِنَّمَا اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) يعني تعالى ذكره : ثم استوى إلى السماء ، ثم ارتفع إلى السماء . وقد بينا أقوال أهل العلم في ذلك ، فيما مضى قبل .

وقوله (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) يقول جل ثناؤه : فقال الله للسماء والأرض : جيئا بما خلقتُ فيكما ، أما أنتِ يا سماء فأطلي ما خلقتُ فيك من الشمس والقمر والنجوم ، وأما أنتِ يا أرض فأخرجي ما خلقتُ فيك من الأشجار والثمار والنبات ، وتشققي عن الأنهار ، (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) : جئنا بما أحدثت فينا من خلقك ، مستجيبين لأمرك ، لانعصى أمرك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن سليمان بن موسى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) قال : قال الله للسموات : أطلعي شمسي وقمرى ، وأطلي نجوى ، وقال للأرض : شققي أنهارك ، وأخرجي ثمارك ، فقالتا : أعطينا طائعين .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن جريج ، عن سليمان الأحول ، عن طاوس ،

عن ابن عباس ، في قوله (ائْتِيَا) : أعطيا . وفي قوله (قَالَتَا أَتَيْنَا) قالتا : أعطينا . وقيل : أتينا طائعين ، ولم يقل طائعتين ، والسماء والأرض مؤنثتان ، لأن النون والألف اللتين هما كناية أسماءهما في قوله (أَتَيْنَا) نظيرة كناية أسماء الخبيرين من الرجال عن أنفسهم ، فأجرى قوله (طَائِعِينَ) على ماجرى به الخبر عن الرجال كذلك . وقد كان بعض أهل العربية يقول : ذهب به إلى السموات والأرض ومن فيهن . وقال آخرون منهم : قيل ذلك كذلك ، لأنهما لما تكلمتا أشبهتا الذكور من بني آدم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا، وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)

يقول تعالى ذكره : ففرغ من خلقهن سبع سموات في يومين ، وذلك يوم الخميس ويوم الجمعة . كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : استوى إلى السماء وهي دخان ، من تنفس الماء حين تنفس ، فجعلها سماء واحدة ، ففتقها ، فجعلها سبع سموات في يومين ، في الخميس والجمعة ، وإنما سُمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض . وقوله (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) يقول : وألقى في كل سماء من السموات السبع ما أراد من الخلق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) قال : ما أمر الله به وأراده .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) قال : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد ، وما لا يعلم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) : خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحتها .

وقوله (وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا) يقول تعالى ذكره : وزينا السماء الدنيا إليكم أيها الناس ، بالكواكب وهي المصابيح .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) قال : ثم زين السماء بالكواكب ، فجعلها زينة (وَحِفْظًا) من الشياطين .

واختلف أهل العربية في وجه نصبه قوله (وَحَفِظًا) فقال بعض نحويّ البصرة : نصب بمعنى : وحفظناها حفظا ، كأنه قال : ونحفظها حفظا ، لأنه حين قال : زينها بمصاييح قد أخبر أنه قد نظر في أمرها وتعهدا ، فهذا يدلّ على الحفظ ، كأنه قال : وحفظناها حفظا . وكان بعض نحويّ الكوفة يقول : نصب ذلك على معنى : وحفظا زينها ، لأن الواو لو سقطت لكان إنا زيننا السماء الدنيا حفظا ، وهذا القول الثاني أقرب عندنا للصحة من الأوّل .

وقد بيّنا العلة في نظير ذلك في غير موضع من هذا الكتاب ، فأغنى ذلك عن إعادته .
وقوله (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) يقول تعالى ذكره : هذا الذي وصفت لكم من خلق السماء والأرض وما فيهما ، وتزيين السماء الدنيا بزينة الكواكب ، على ما بيّنت ، تقدير العزيز في نعمته من أعدائه ، العليم بسرائر عبادته وعلانيتهم ، وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، قَالُوا : لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ، فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : فإن أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحجة التي بينتها لهم يا محمد ، ونبئتهم عليها ، فلم يؤمنوا بها ، ولم يقرّوا أن فاعل ذلك ، هو الله الذي لا إله غيره ، فقل لهم : أنذرتكم أيها الناس صاعقة تهلككم ، مثل صاعقة عاد وثمود .

وقد بيّنا فيما مضى أن معنى الصاعقة : كل ما أفسد الشيء وغيره عن هيئته . وقيل في هذا الموضع عسني بها وقبعة من الله وعذاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) قال : يقول : أنذرتكم قبعة مثل قبعة عاد وثمود ، قال : عذاب مثل عذاب عاد وثمود . وقوله (إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) يقول : فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود التي أهلكتهم ، إذ جاءت عادا وثمود الرسل من بين أيديهم ، فقوله « إذ » من صلة صاعقة . وعنى بقوله (مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) الرسل التي أتت آباء الذين هلكوا بالصاعقة من هاتين الأمتين ، وعنى بقوله (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) : من خلف الرسل الذين بعثوا إلى آباءهم رسلا إليهم ، وذلك أن الله بعث إلى عاد هودا ، فكذبوه من بعد رسل قد كانت تقدمته إلى آباءهم أيضا ، فكذبوهم ، فأهلكوا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَإِنْ أَعْرَضُوا) . . . إلى قوله (وَمِنْ خَلْقِهِمْ) قال : الرسل التي كانت قبل هود ، والرسل الذين كانوا بعده ، بعث الله قبله رسلا ، وبعث من بعده رسلا .

وقوله (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) يقول تعالى ذكره : جاءهم الرسل بأن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له ، قالوا (لَوْ شَاءَ رَبِّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً) يقول جل ثناؤه : فقالوا لرسولهم إذ دعواهم إلى الإقرار بتوحيد الله : لو شاء ربنا أن نوحده ، ولا نعبد من دونه شيئا غيره ، لأنزل إلينا ملائكة من السماء ، رسلا بما تدعوننا أنهم إليه ، ولم يرسلهم وأنتم بشر مثلنا ، ولكنه رضى عبادتنا مانعبد ، فلذلك لم يرسل إلينا بالهوى عن ذلك ملائكة .

وقوله (فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) يقول : قالوا لرسولهم : فإننا بالذي أرسلكم به ربكم إلينا جاحدون ، غير مصدقين به .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ، وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : (فَأَمَّا عَادُ) قوم هود (فَاسْتَكْبَرُوا) على ربهم وتجبروا (فِي الْأَرْضِ) تكبرا وعتوا بغير ما أذن الله لهم به (وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ) وأعطاهم ما أعطاهم من عظم الخلق ، وشدة البطش (هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) فيحذروا عقابه ، ويتقوا سطوته ، لكفرهم به ، وتكذيبهم رسله (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ) يقول : وكانوا بأدلتنا وحججنا عليهم يححدون .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ ، لِنَدِيَقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَى ، وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره : فأرسلنا على عاد ريحا صرصرا .

واختلف أهل التأويل في معنى الصرصر ، فقال بعضهم : عنى بذلك أنها ريح شديدة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رِيحًا صَرْصَرًا) قال : شديدة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (رِيحًا صَرَّصَرًا)
شديدة السموم عليهم .

وقال آخرون : بل عنى بها أنها باردة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرَّصَرًا)
قال : الصرصر : الباردة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (رِيحًا صَرَّصَرًا) قال :
باردة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (رِيحًا صَرَّصَرًا) قال :
باردة ذات الصوت .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله
(رِيحًا صَرَّصَرًا) يقول : ريحا فيها برد شديد .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول مجاهد ، وذلك أن قوله (صَرَّصَرًا) إنما هو صوت الريح إذا
هبَّت بشدة ، فسُمع لها كقول القائل : صرر ، ثم جعل ذلك من أجل التضعيف الذي في الراء ، فقال :
ثم أبدلت إحدى الراءات صادًا لكثرة الراءات ، كما قيل في رده : ردرده ، وفي نهه : نههه ، كما
قال رؤبة :

فَالْيَرْمَ قَدَ تَهْتَهْتِي تَهْتَهْتِي وَأَوَّلُ حِلْمٍ لَيْسَ بِالْمُسْقَهِ ١

وكما قيل في كفه : كفكفه ، كما قال النابغة :

أَكْفَكِفُ عِبْرَةَ غَلَبَتِ عِدَاتِي إِذَا تَهْتَهْتَهَا عَادَتُ ذُبَاحَا ٢

وقد قيل : إن النهر الذي يسمى صرصرًا ، إنما سمي بذلك لصوت الماء الجارى فيه ، وإنه فعل من صرر
نظير الريح الصرصر .

وقوله (فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ) اختلف أهل التأويل في تأويل النحسات ، فقال بعضهم : عنى بها المتتابعات .

(١) البيتان في ديوانه (طبع ليبسج ١٦٦) وهما ال (١٩ ، ٢٠) ونهتهى زجرنى وكفى . يقول هذا بعد أن كبر وضعف .
والأول : الرجوع . والحلم العقل . والمسفه : المنسوب إلى السفه . يقول : كنت أستجيب لدواعى الصبا ما دمت شابا ، أما اليوم وقد
علتى كبره ، ورجع إلى ما عذب من عقل ، فقد كفى عن العيش حلمى وعقل ، فلا أفعل ما كنت أفعل في الشباب .

(٢) نسب المؤلف البيت إلى النابغة ، ولم أجده في الديوان ولا في شروحه المختلفة . ومعنى أكفكف العبرة : أردعا . وقوله غلبت
عداى : أى أنهم كانوا حراسا على أن أبكى بما يسيئون إلى ، فغلبتهم عبرتى التى حبستها ، ونهتها : كفتها وردتها . وذباحا :
ذبحا . يريد أنه حبس عبرته ، وكان حبسها كالذبح من شدة الألم ، لأن البكاء يخفف ما يضطرم في النفس من ألم وغيظ ونحوه . والبيت
عند المؤلف شاهد على أن كفكف ونهه وصرصر ونحوها من الفعل الرباعى المضعف : أصلها : كف ونه وصرر ، فلما اجتمع فيه
ثلاثة أحرف أمثال ، أبدلت إحدى الراءات من نوع فاء الكلمة . وهذا مذهب لبعض النحويين الكوفيين . والله أعلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) قال : أيام متتابعات ، أنزل الله فيهن العذاب . وقال آخرون : عنى بذلك المشائم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) قال : مشائم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) أيام والله كانت مشؤمات على القوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : النحسات : المشؤمات النكيدات .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) قال : أيام مشؤمات عليهم . وقال آخرون : معنى ذلك : أيام ذات شر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد قوله : (أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) قال : النحس : الشر ، أرسل عليهم ريح شر ، ليس فيها من الخير شيء . وقال آخرون : النحسات : الشداد .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) قال : شداد .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال عُنِيَ بها : أيام مشائم ذات نحوس ، لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس في كلام العرب .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الأمصار ، غير نافع وأبي عمرو (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) بكسر الحاء ، وقراه نافع وأبو عمرو (نَحِسَاتٍ) بسكون الحاء . وكان أبو عمرو فيما ذكر لنا عنه يحتج لتسكينه الحاء بقوله (يَوْمٌ نَحْسٌ مُسْتَمِرٌّ) وأن الحاء فيه ساكنة .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحد منهما قراء علماء ، مع اتفاق معنيهما ، وذلك أن تحريك الحاء وتسكينها في ذلك لغتان معروفتان ، يقال هذا يوم "نحس" ، ويوم "نحيس" ، بكسر الحاء وسكونها ؛ قال القراء : أنشدني بعض العرب :

أَبْلِغْ جُدَامَا وَلَحْمَا أَنَّ إِخْوَتَهُمْ طَيِّبًا وَبَهْرَاءَ قَوْمٌ نَصَرَهُمْ تَحْسِ ١

وأما من السكون فقول الله (يَوْمٌ تَحْسِ) ؛ ومنه قول الراجز :

يَوْمَيْنِ غَيْمَيْنِ وَيَوْمًا تَحْسًا نَجْمَيْنِ بِالسَّعْدِ وَنَجْمًا تَحْسًا ٢

فن كان في لغته (يَوْمٌ تَحْسِ) قال : (في أيام تحسات) ، ومن كان في لغته (يَوْمٌ تَحْسِ) قال : (في أيام تحسات) ، وقد قال بعضهم : التحس بسكون الحاء : هو الشؤم نفسه ، وإن إضافة اليوم إلى التحس ، إنما هو إضافة إلى الشؤم ، وأن التحس بكسر الحاء نعت لليوم بأنه مشتم ، ولذلك قيل : (في أيام تحسات) لأنها أيام مشائم .

وقوله (لِيُنذِرَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول جل ثناؤه : ولعذابنا إيهم في الآخرة ، أخزى لهم وأشد إهانة وإذلالا (وَهُمْ لَا يَنْصَرُونَ) يقول : وهم يعني عادا لا ينصرهم من الله يوم القيامة إذا عذبهم ناصر ، فينقذهم منه ، أو ينتصر لهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذْتَهُمُ صَعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨)

يقول تعالى ذكره : فبيننا لهم سبيل الحق وطريق الرشد .

كما حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) : أي بيننا لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) بيننا لهم سبيل الخير والشر .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) بيننا لهم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) قال : أعلمناهم الهدى والضلالة ، ونهيناهم أن يتبعوا الضلالة ، وأمرناهم أن يتبعوا الهدى .

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله (ثَمُودُ) فقراءته عامة القراء من الأمصار غير الأعمش وعبد الله بن أبي إسحاق برفع ثمود ، وترك إجرائها ، على أنها اسم للأمة التي تعرف بذلك . وأما الأعمش فإنه ذكر عنه أنه

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٩) عند قوله تعالى : « في أيام تحسات » . قال : العوام على تثقيلها بكسر الحاء . وقد خفف بعض أهل المدينة « تحسات » (بسكون الحاء) . قال وقد سمعت بعض العرب ينشد : « أبلغ جداما . . . البيت » . فهذا لمن ثقل . ومن خفف بناء على قوله « في يوم نحس مستمر » . وفي (اللسان : نحس) وقرأ أبو عمرو : « فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام تحسات » بسكون الحاء . قال الأزهري : هي جمع أيام تحسة ثم تحسات جمع الجمع (بسكون الحاء فيما) . وقرئت في أيام تحسات (بكسر الحاء) وهي المشثومات عليهم في الوجهين . اهـ .

(٢) البيتان من مشطور الراجز ، ولم تعرف قائلها . واستشهد المؤلف بهما على أن التحس فيه لنتان : سكون الحاء ، كهذا البيت وكسرهما كالشاهد الذي قبله . وعلى هاتين اللتين جاءت قراءة من قرأ قوله تعالى : « في أيام تحسات » وقد سبق القول عليه في الشاهد السابق .

كان يجري ذلك في القرآن كله إلا في قوله (وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) فإنه كان لا يجريه في هذا الموضع خاصة من أجل أنه في خطأ المصحف في هذا الموضع بغير ألف ، وكان يوجه ثمود إلى أنه اسم رجل بعينه معروف ، أو اسم جبل معروف . وأما ابن إسحاق فإنه كان يقرؤه نصبا . وأما ثمود بغير إجراء ، وذلك وإن كان له في العربية وجه معروف ، فإن أفصح منه وأصح في الإعراب عند أهل العربية الرفع ، لطلب أما الأسماء ، وأن الأفعال لا تليها ، وإنما تعمل العرب الأفعال التي بعد الأسماء فيها إذا حسن تقديمها قبلها ، والفعل في أما لا يحسن تقديمه قبل الاسم ، ألا ترى أنه لا يقال : وأما هدينا فثمود ، كما يقال : (وَأَسَا ثَمُودَ فَهَدَىٰ يَنَاهُمْ) . والصواب من القراءة في ذلك عندنا : الرفع وترك الإجراء ، أما الرفع فلما وصفت ، وأما ترك الإجراء ، فلأنه اسم للأمة .

وقوله (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ) يقول : فاختاروا العمى على البيان الذي بيّنت لهم ، والهدى الذي عرفتهم ، بأخذهم طريق الضلال على الهدى ، يعنى على البيان الذي بيّنته لهم ، من توحيد الله . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ) قال : اختاروا الضلالة والعمى على الهدى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَسَا ثَمُودُ فَهَدَىٰ يَنَاهُمْ) ، فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ) قال : أرسل الله إليهم الرسل بالهدى ، فاستحبوا العمى على الهدى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ) يقول : بيّنا لهم ، فاستحبوا العمى على الهدى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ) قال : استحبوا الضلالة على الهدى ، وقرأ (وَكَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال : فزين لثمود عملها القبيح ، وقرأ (أَفَنَزَّ زَيْنًا لَّهُ سَوْءُ عَمَلِهِ فَرَأَهُ حَسَنًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ) . . . إلى آخر الآية .

وقوله (فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ مِنَ السَّمَاءِ الْهَوَانَ) يقول : فأهلكتهم من العذاب المذل المهين لهم مهلكة أذلهم وأخرتهم ، والهوان : هو الهوان .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (عَذَابَ الْهَوَانِ) قال : الهوان . وقوله (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) من الآثام بكفرهم بالله قبل ذلك ، وخلافهم إياه ، وتكذيبهم رسله . وقوله (وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) يقول : ونجينا الذين آمنوا من العذاب الذي أخذهم بكفرهم بالله ، الذين وحدوا الله ، وصدقوا رسله (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) يقول : وكانوا يخافون الله أن يُحِيلَ بهم من العقوبة

على كفرهم لو كفروا ، ما حلّ بالذين هلكوا منهم ، فآمنوا اتقاء الله وخوف وعيده ، وصدقوا رسله ، وخلعوا الآفة والأنداد .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ ، فِيهِمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : ويوم يُجمَع هؤلاء المشركون أعداء الله إلى النار ، إلى نار جهنم ، فهم يُحْبَسون أولهم على آخرهم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَهَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : يحبس أولهم على آخرهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَهَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : عليهم وزاعة ترد أولاهم على آخرهم .

وقوله (حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ) يقول : حتى إذا ما جاءوا النار ، شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به في الدنيا إليه ، ويستمعون له ، وأبصارهم بما كانوا يبصرون به ، وينظرون إليه في الدنيا ، (وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .
وقد قيل : عُنِيَ بالجلود في هذا الموضع : الفروج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القسبي ، عن الحكم الثقفى ، رجل من آل أبي عتيقيل رَفَعَ الحديث ، (وَقَالُوا جُلُودِهِمْ لَمْ يَشْهَدُوا) : إنما عني فروجهم ، ولكن كنى عنها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا حرمله ، أنه سمع عبيد الله بن أبي جعفر ، يقول : (حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ) قال : جلودهم : الفروج . وهذا القول الذى ذكرناه عن ذكرنا عنه في معنى الجلود ، وإن كان معنى يحتمله التأويل ، فليس بالأغلب على معنى الجلود ، ولا بالأشهر ، وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشئ الأقرب إلى غيره ، إلا بحجة يجب التسليم لها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا جُلُودِهِمْ لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا ؟ قَالُوا : أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ، وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله سبحانه، بخلودهم إذ شهدت عليهم، بما كانوا في الدنيا يعملون: (لم شهدتم علينا) بما كنا نعمل في الدنيا؟ فأجابهم جلودهم: (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) فنطقنا. وذكر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله إياها عليهم، إذا هم أنكروا الأفعال التي كانوا فعلوها في الدنيا بما يسخط الله، وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر الأخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا أحمد بن حازم الغفاري، قال: أخبرنا علي بن قادم الفزاري، قال: أخبرنا شريك، عن عبيد، المكنى، عن الشعبي، عن أنس، قال: «ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى بدت نواجره، ثم قال: ألا تسمعون؟ ثم ضحكتم؟ قالوا: نعم ضحكت يا رسول الله؟ قال: عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، قال: يقول: يا رب أليس وعدتني أن لا تطلميني؟ قال: فإن لك ذلك، قال: فإني لأقبل على شهيد إلا من نفسي، قال: أوليس كفى بي شهيداً، وبالملائكة الكرام الكاتبين؟ قال فيضختم على فيه، وتتكلمتم أركانه بما كان يعمل، قال: فيقول لمن بعداً لكن وسحقاً، عنك كنت أجادل.»

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عبيد المكنى، عن فضيل بن عمرو، عن الشعبي، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه.

حدثني عباس بن أبي طالب، قال: ثنا يحيى بن أبي بكر، عن شبل، قال: سمعت أبا قرعة يحدث عمرو بن دينار، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه قال: وأشار بيده إلى الشام، قال: هاهنا إلى هاهنا تحشرون ركبانا ومشاة على وجوهكم يوم القيامة، على أفواهكم الفِدام، تُوقون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله، وإن أول ما يعرب من أحدكم فخذُه.»

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا الجريري، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفِدام، وإن أول ما يتكلم من الآدمي فخذُه وكفه.»

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مالي أمسك بحجزكم من النار؟ إلا إن ربي داعي وإنه سائل هل بلغت عبادة؟ وإني قائل رب قد بلغتهم، فيبلغ شهادكم غائبكم، ثم إنكم مدعون مقدمة أفواهكم بالفِدام، ثم إن أول ما يبين عن أحدكم فخذُه وكفه.»

حدثني محمد بن خلف، قال: ثنا الهيثم بن خارجة، عن إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن عقبة، عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول عظم تكلم من الإنسان يوم يحتم على الأفواه، فخذُه من الرجل الشمال.»

وقوله (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) يقول تعالى ذكره ، والله خلقكم الخلق الأول ولم تكونوا شيئا ، (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه مصيركم من بعد مماتكم ، (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَيْرُونَ) في الدنيا (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ) يوم القيامة (سَمِعَكُمْ) ولا أبصاركم ولا جلودكم .
واختلف أهل التأويل في معنى قوله (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَيْرُونَ) ، فقال بعضهم : معناه : وما كنتم تستخفون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَيْرُونَ) : أي تستخفون منها .
وقال آخرون : معناه : وما كنتم تتقون .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَيْرُونَ) قال : تتقون .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما كنتم تظنون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَيْرُونَ) يقول : وما كنتم تظنون (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ) سَمِعَكُمْ (وَلَا أَبْصَارَكُمْ) حتى بلغ (كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ، والله إن عليك يا بن آدم لشهودا غير متهمة من بدنك ، فراقبهم ، واتق الله في سر أمرك وعلايتك ، فإنه لا يخفى عليه خافية ، الظلمة عنده ضوء ، والسر عنده علانية ، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ، ولا قوة إلا بالله .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : وما كنتم تستخفون ، فتركوا ركوب محارم الله في الدنيا ، حذرا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم اليوم .
وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، لأن المعروف من معاني الاستتار الاستخفاء .
فإن قال قائل : وكيف يستخفى الإنسان عن نفسه مما يأتي ؟ قيل : قد بينا أن معنى ذلك ، إنما هو الأمانى وفي تركه إتيانه إخفاؤه عن نفسه .

وقوله (وَلَكِنْ ظَنَّكُمْ أَنْ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول جل ثناؤه : ولكن حسبتم حين ركبتكم في الدنيا ما ركبتكم من معاصي الله ، أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من أعمالكم الخبيثة ، فلذلك لم تستتروا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم ، فتركوا ركوب ما حرم الله عليكم .
وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل نفر تدارءوا بينهم في علم الله ، بما يقولونه ويتكلمون سرا .

ذكر الخبر بذلك

حدثني محمد بن يحيى القطعي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا قيس ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي معمر الأزدي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كنت مستترا بأستار الكعبة ، فدخل ثلاثة نفر ، ثقفيان وقُرشيّ ، أو قُرشيان وثقفيّ ، كثير شحوم بطونهما ، قليل فقه قلوبهما ، فتكلموا بكلام لم أفهمه ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع ما نقول ؟ فقال الرجلان : إذا رفعنا أصواتنا نسمع ، وإذا لم نرفع لم يسمع ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت له ذلك ، فنزلت هذه الآية (وَمَا كُنْتُمْ تَسْمِعُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن وهب بن ربيعة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : إني لمستتر بأستار الكعبة ، إذ دخل ثلاثة نفر ثقفيّ وختنانه قُرشيان ، قليل فقه قلوبهما ، كثير شحوم بطونهما ، فتحدثوا بينهم بحديث ، فقال أحدهم : أتري الله يسمع ما قلنا ؟ ، فقال الآخر : إنه يسمع إذا رفعنا ، ولا يسمع إذا خفضنا . وقال الآخر : إذا كان يسمع منه شيئا فهو يسمعه كله ، قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك له ، فنزلت هذه الآية (وَمَا كُنْتُمْ تَسْمِعُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ) . . . حتى بلغ (وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا منصور ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله بنحوه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : وهذا الذي كان منكم في الدنيا من ظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون : من قبائح أعمالكم ومساوئها ، هو ظنكم الذي ظننتم بربكم في الدنيا أركمكم ، يعني أهلككم . يقال منه : أردى فلانا كذا وكذا : إذا أهلكه ، وردي هو : إذا هلك فهو يردى ردى ، ومنه قول الأعشى :

أَفِي الطَّوْفِ خِفَّتِ عَلَى الرَّدَى وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلَسَهُ كَمْ يَرِمُ^١

يعني : وكم من هالك أهله لم يرم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (أَرْدَاكُمْ) قال : أهلككم .

(١) هذا البيت للأعشى يخاطب ابنته . وقد سبق القول فيه مفصلا في الجزء (٢٣ : ٦٢) وموضع الشاهد هنا هو (الردى) معنى الهلاك . وهو مصدر ردى (كفرح) يردى ردى . ومنه قوله تعالى : « وذلکم ظنکم الذی ظننتم بربکم أركمکم » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : تلا الحسن : (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ
الَّذِي ظَنَّسْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ) فقال : إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم ، فأما المؤمن فأحسن
بالله الظن ، فأحسن العمل ؛ وأما الكافر والمنافق ، فأساء الظن فأساء العمل ، قال ربكم : (وَمَا كُنْتُمْ
تَسْتَشِيرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ) . . . حتى بلغ الخاسرين . قال معمر :
وحدثني رجل : « إنه يؤمر برجل إلى النار ، فالتفت فيقول : يا رب ما كان هذا ظني بك ، قال : وما كان
ظنك بي ؟ قال : كان ظني أن تغفر لي ولا تعدّ بي ، قال : فإني عند ظنك بي . »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : الظن ظنان ، فظن منج ، وظن
مرد (قال الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) قال (إني ظننت أني ملاق حسابيه) ،
وهذا الظن المنجي ظنا يقينا ، وقال هاهنا (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَّسْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ) هذا
ظن مرد .

وقوله (وَقَالَ الْكَافِرُونَ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ، وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ) وذكر لنا أن نبي الله صلى
الله عليه وسلم كان يقول ، ويروى ذلك عن ربه : « عبدي عند ظنّي بي ، وأنا معه إذا دعاني » ،
وموضع قوله (ذَلِكُمْ) رفع بقوله ظنكم . وإذا كان ذلك كذلك ، كان قوله (أَرْدَاكُمْ) في موضع
نصب بمعنى : مرديا لكم . وقد يُحتمل أن يكون في موضع رفع بالاستئناف ، بمعنى : مرد لكم ، كما قال :
(تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً) في قراءة من قرأه بالرفع . فمعنى الكلام : هذا الظن الذي
ظننتم بربكم من أنه لا يعلم كثيرا مما تعملون ، هو الذي أهلككم ، لأنكم من أجل هذا الظن ، اجترأتم على محارم
الله ، فقدمتم عليها ، وركبتم ما نهاكم الله عنه ، فأهلككم ذلك وأرداكم (فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) :
يقول : فأصبحتم اليوم من المهالكين ، قد غبتم ببيعكم منازلكم من الجنة بمنازل أهل الجنة ، من النار .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ، وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : فإن يصبر هؤلاء الذين يُحشرون إلى النار على النار ، فالنار مسكن لهم ومنزل ،
(وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا) يقول : وإن يسألوا العتبي ، وهي الرجعة لهم إلى الذي يحبون بتخفيف العذاب عنهم .
(فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) يقول : فليسوا بالقوم الذين يرجع بهم إلى الجنة ، فيخفف عنهم ما هم فيه
من العذاب ، وذلك كقوله جل ثناؤه مخبرا عنهم (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا) . . . إلى قوله
(وَلَا تُكَلِّمُونِ) وكقولهم لخزنة جهنم : (ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ) . . . إلى
قوله (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) .

القول في تأويل قوله تعالى

* وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ
قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ (٢٥)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ) وبعثنا لهم نظراء من الشياطين ، فجعلناهم لهم قرناء
قرنأهم بهم ، يزينون لهم قبائح أعمالهم ، فزينوا لهم ذلك .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ) قال : الشيطان .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ) قال : شياطين .
وقوله (فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) يقول : فزين هؤلاء الكفار قرناؤهم من
الشياطين ما بين أيديهم من أمر الدنيا ، فحسبوا ذلك لهم ، وحسبوه إليهم ، حتى آثروه على أمر الآخرة (وَمَا
خَلْفَهُمْ) يقول : وحسبوا لهم أيضا ما بعد مماتهم ، بأن دعواهم إلى التكذيب بالمعاد ، وأن من هلك منهم ،
فلن يسبغ ، وأن لا ثواب ولا عقاب حتى صدقواهم على ذلك ، وسهل عليهم فعل كل ما يشبهونه ، وركوب
كل ما يلتذونه من الفواحش ، باستحسانهم ذلك لأنفسهم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ)
من أمر الدنيا (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمر الآخرة .
وقوله (وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) يقول تعالى ذكره : ووجب لهم العذاب ، بركوبهم ما ركبوا ، مما زين
لهم قرناؤهم وهم من الشياطين .

وكما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) قال :
العذاب فى (أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) ، يقول تعالى ذكره : وحق على
هؤلاء الذين قَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، فزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ، العذاب فى أمم قد مضت
قبلهم من ضربائهم ، حَقَّ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِنَا مِثْلَ الَّذِي حَقَّ عَلَى هَؤُلَاءِ ، بعضهم من الجن وبعضهم من الإنس
(إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) يقول : إن تلك الأمم الذين حَقَّ عَلَيْهِمْ عَذَابِنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، كانوا مغبونين
ببيعهم رضا الله ورحمته بسخطه وعذابه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ (٢٦) فَلَنذِيقَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله من مشركي قريش (لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ) يقول : قالوا للذين يطيعونهم من أوليائهم من المشركين : لا تسمعوا لقارئ هذا القرآن إذا قرأه ، ولا تصغوا له ، ولا تتبعوا ما فيه ، فتعملوا به .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ) قال : هذا قول المشركين ، قالوا : لا نتبعوا هذا القرآن والهووا عنه .

وقوله (وَالْغَوْا فِيهِ) يقول : الغطوا بالباطل من القول ، إذا سمعتم قارئه يقرؤه كسما لا تسمعوه ، ولا تفهموا ما فيه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قول الله (لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ) قال : المكاء والتصفير ، وتخليط من القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا قرأ قريش فعله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالْغَوْا فِيهِ) قال : بالمكاء والتصفير والتخليط في المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا قرأ القرآن قريش فعله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ) : أي اجحدوا به وأنكروه وعادوه ، قال : هذا قول مشركي العرب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال بعضهم في قوله (وَالْغَوْا فِيهِ) قال : تحدثوا وصيحوا كسما لا تسمعوه .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ) يقول : لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه ، فلا يسمعه ، وإذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه ، فتغلبون بذلك من فعلكم محمدا ، قال الله جل ثناؤه (فَلَنَسْأَلُ يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله من مشركي قريش ، الذين قالوا هذا القول عذابا شديدا في الآخرة (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : ولنثيبهم على فعلهم ذلك وغيره من أفعالهم ، بأقبح جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ، لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : هذا الجزاء الذي يُجْزَى به هولاء الذين كفروا من مشركي قريش جزاء أعداء الله ثم ابتداءً جل ثناؤه الخبر عن صفة ذلك الجزاء ، وما هو؟ فقال : هو النار ، فالنار بيان عن الجزاء ، وترجمة عنه ، وهي مرفوعة بالردّ عليه ، ثم قال (لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) ، يعني لهؤلاء المشركين بالله في النار دار الخلد ، يعني دار المنكث واللبث ، إلى غير نهاية ولا أمد ، والدار التي أخبر جل ثناؤه أنها لهم في النار ، هي النار ، وحسن ذلك لاختلاف اللفظين ، كما يقال لك من بلدتك دار صالحة ، ومن الكوفة دار كريمة ، والدار : هي الكوفة والبلدة ، فيحسن ذلك لاختلاف الألفاظ . وقد ذكر لنا أنها في قراءة ابن مسعود (ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ دَارُ الْخُلْدِ) في ذلك تصحيح ما قلنا من التأويل في ذلك ، وذلك أنه ترجم بالدار عن النار . وقوله (جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) يقول : فعلنا هذا الذي فعلنا بهؤلاء ، من مجازاتنا إياهم النار على فعلهم ، جزاء منا يجحدون في الدنيا بآياتنا التي احتججنا بها عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، نَجْعَلُهُمْ تَحْتَ أَقْدَامِنَا ، لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله يوم القيامة بعد ما أذخاوا جهنم : يا ربنا أرينا اللذين أضلانا من خلقك ، من جهنم وإنسهم . وقيل : إن الذي هو من الجن إبليس ، والذي هو من الإنس ابن آدم الذي قتل أخاه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ثابت الحداد ، عن حَبِيبَةَ الْعُرْفِيِّ (١) ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، في قوله (أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) قال : إبليس الأبالسة وابن آدم الذي قتل أخاه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مالك بن حصين ، عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه ، في قوله (رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) قال : إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه .

حدثنا ابن المنثني ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي مالك

(١) كذا في خلاصة الخرزجي ، حبة بن جوين العرفي ، بضم المهملة الأولى ، أبو قدامة الكوفي ؛ عن علي ؛ وعنه سلمة بن كهيل ، والحكم بن عتيبة . قال العجلي : ثقة ؛ وقال ابن سعد : مات سنة ست وسبعين . وفي الأصل : العوفي ، تحريف .

وابن مالك ، عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه (رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ) قال ابن آدم الذي قتل أخاه ، وإبليس الأبالسة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، في قوله (رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ) . . . الآية ، فإنهما ابن آدم القاتل ، وإبليس الأبالسة . فأما ابن آدم ، فيدعو به كل صاحب كبيرة دخل النار من أجل الدعوة . وأما إبليس فيدعو به كل صاحب شرك يدعو انهما في النار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ) هو الشيطان ، وابن آدم الذي قتل أخاه .

وقوله (نَجْعَلُهُمَا نَحْتِ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) يقول : نجعل هذين اللذين أضلانا تحت أقدامنا ، لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض ، وكل ما سفل منها فهو أشد على أهله ، وعذاب أهله أغلظ ، ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يرهم اللذين أضلهم ، ليجعلوا أسفل منهم ، ليكونوا في أشد العذاب في الدرك الأسفل من النار .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخْفُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ) وحده لا شريك له ، وبرئوا من الآلهة والأنداد ، (ثُمَّ اسْتَقَامُوا) على توحيد الله ، ولم يخلطوا بتوحيد الله بشرك غيره به ، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى . وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاله أهل التأويل على اختلاف منهم ، في معنى قوله (ثُمَّ اسْتَقَامُوا) ذكر الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا سالم بن قتيبة أبو قتيبة ، قال : ثنا سهيل بن أبي حزم القطيعي ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : قد قالمها الناس ، ثم كفر أكثرهم ، فمن مات عليها فهو ممن استقام . وقال بعضهم : معناه : ولم يشركوا به شيئا ، ولكن تموا على التوحيد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن سعيد بن عمران ، قال : قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : هم الذين لم يشركوا بالله شيئا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان بإسناده ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، مثله :

قال : ثنا جرير بن عبد الحميد ، وعبد الله بن إدريس ، عن الشيباني ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن الأسود بن هلال ، عن أبي بكر رضي الله عنه ، أنه قال لأصحابه (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : قالوا : ربنا الله ثم عملوا بها ، قال : لقد حملتموها على غير المحمل (الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) الذين لم يعدلوا بشرك ولا غيره .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب فالأ : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا الشيباني ، عن أبي بكر ابن أبي موسى ، عن الأسود بن هلال المخاربي ، قال : قال أبو بكر : ما تقولون في هذه الآية : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : فقالوا : ربنا الله ثم استقاموا من ذنب ، قال : فقال أبو بكر : لقد حملتم على غير المحمل ، قالوا : ربنا الله ثم استقاموا ، فلم يلتفتوا إلى إله غيره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : أي على لآله إلا الله .

قال : ثنا حكام عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : أسلموا ، ثم لم يشركوا به حتى لحقوا به .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : هم الذين قالوا ربنا الله ثم لم يشركوا به حتى لاقوه .

قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن جامع بن شداد ، عن الأسود بن هلال مثل ذلك . حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : تموا على ذلك .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة قوله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله . وقال آخرون : معنى ذلك : ثم استقاموا على طاعته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن منيع ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : ثنا يونس بن يزيد عن الزهري ، قال : تلا عمر رضي الله عنه على المنبر (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : استقاموا والله بطاعته ، ولم يروغوا وروغان الثعالب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : استقاموا على طاعة الله . وكان الحسن إذا تلاها قال : اللهم فأنت ربنا فارزقنا الاستقامة .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) يقول : على أداء فرائضه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : على عبادة الله وعلى طاعته .
وقوله (تَنْزِيلٌ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) يقول : تهبط عليهم الملائكة عند نزول الموت بهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله (تَنْزِيلٌ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) قال : عند الموت .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (تَنْزِيلٌ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) قال : عند الموت .

وقوله (أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) يقول : تنزل عليهم الملائكة بأن لا تخافوا ولا تحزنوا ، فإن في موضع نصب إذا كان ذلك معناه .
وقد ذكر عن عبد الله أنه كان يقرأ ذلك (تَنْزِيلٌ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ الْأَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) بمعنى : تنزل عليهم قائلة : لا تخافوا ، ولا تحزنوا . وعنى بقوله (لَا تَخَافُوا) ما تقدمون عليه من بعد مماتكم (وَلَا تَحْزَنُوا) على ما تخلفونه وراءكم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) قال : لا تخافوا ما أمامكم ، ولا تحزنوا على ما بعدكم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا يحيى بن حسان ، عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَنْزِيلٌ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ الْأَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) قال : لا تخافوا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة ، ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم من أهل وولد ، فإننا نخلفكم في ذلك كله .
وقيل : إن ذلك في الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (تَنْزِيلٌ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ) فذلك في الآخرة .
وقوله (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) يقول : وسرّوا بأن لكم في الآخرة الجنة التي كنتم توعدها فيها في الدنيا ، على إيمانكم بالله ، واستقامتكم على طاعته .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَبَشِّرُوا بِالْحَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوَعَدُونَ) في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نَزْلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ملائكته التي تنزل على هؤلاء المؤمنين ، الذين استقاموا على طاعته عند موتهم (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ) أيها القوم (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) كنا نتولاكم فيها ، وذكر أنهم الحفظة الذين كانوا يكتبون أعمالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ، ونحن أولياؤكم في الآخرة .
وقوله (وَفِي الْآخِرَةِ) يقول : وفي الآخرة أيضا نحن أولياؤكم ، كما كنا لكم في الدنيا أولياء ، (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ) يقول : ولكم في الآخرة عند الله ما تشتهي أنفسكم من اللذات والشهوات . وقوله (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ) يقول : ولكم في الآخرة ما تدعون . وقوله (نَزْلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) يقول : أعطاكم ذلك ربكم ، نزلا لكم من رب غفور لذنوبكم ، رحيم بكم أن يعاقبكم بعد توبتكم ، ونصب نزلا على المصدر من معنى قوله (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ) ، أنفسكم ولكم فيها ما تدعون) لأن في ذلك تأويل أنزلكم ربكم بما تشتهون من النعم نزلا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ، وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : ومن أحسن أيها الناس قولاً من قال : ربنا الله ثم استقام على الإيمان به ، والالتناء إلى أمره ونهيه ، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : تلا الحسن (وَمَنْ أَحْسَنُ

قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) قال : هذا حبيب الله ، هذا ولي الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحب الخلق إلى الله ، أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحا في إجابته ، وقال : إنني من المسلمين ، فهذا خليفة الله .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) . . . الآية ، قال : هذا عبد صدق قوله عمله ، ومولجته مخرجته ، وسرته علانيته ، وشاهدته مغيبته ، وإن المنافق عبد خالف قوله عمله ، ومولجته مخرجته ، وسرته علانيته ، وشاهدته مغيبته .
 واختلف أهل العلم في الذي أريد بهذه الصفة من الناس ، فقال بعضهم : عني بها نبي الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم حين دعا إلى الإسلام .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟) قال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وقال آخرون : عني به المؤذن .

ذكر من قال ذلك

حدثني داود بن سليمان بن يزيد المكنيتي البصري ، قال : ثنا عمرو بن جرير البجلي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، في قول الله (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) قال : المؤذن (وَعَمِلَ صَالِحًا) قال : الصلاة ما بين الأذان إلى الإقامة .
 وقوله (وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) يقول : وقال : إنني ممن خضع لله بالطاعة ، وذل له بالعبودة ، وخشع له بالإيمان بوحدانيته .
 وقوله (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) يقول تعالى ذكره : وَلَا تَسْتَوِي حَسَنَةُ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، فَأَحْسَنُوا فِي قَوْلِهِمْ ، وَإِجَابَتِهِمْ رَبَّهُمْ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ ، وَدَعَا عِبَادَ اللَّهِ إِلَى مِثْلِ الَّذِي أَجَابُوا رَبَّهُمْ إِلَيْهِ ، وَسَيِّئَةُ الَّذِينَ قَالُوا (لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالنَّغْوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) ، فَكَذَلِكَ لَا تَسْتَوِي عِنْدَ اللَّهِ أَحْوَالُهُمْ وَمَنَازِلُهُمْ ، وَلَكِنَّهَا تَخْتَلِفُ كَمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ خَالَفَ بَيْنَهُمَا ، وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) فكَرَّرَ لَا ، وَالْمَعْنَى : لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ ، لِأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ غَيْرَ مَسَاوِي شَيْئًا ، فَالشَّيْءُ الَّذِي هُوَ لَهْ غَيْرَ مَسَاوِي غَيْرَ مَسَاوِيهِ ، كَمَا أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ مَسَاوِيًا لَشَيْءٍ فَالْآخَرُ الَّذِي هُوَ لَهْ مَسَاوِي مَسَاوِي لَهْ ، فَيُقَالُ : فُلَانٌ مَسَاوِي فُلَانًا ، وَفُلَانٌ لَهْ مَسَاوِي ، فَكَذَلِكَ فُلَانٌ لَيْسَ مَسَاوِيًا لِفُلَانٍ ، وَلَا فُلَانٌ مَسَاوِيًا لَهْ ، فَلِذَلِكَ كَرَّرْتُ لَا مَعَ السَّيِّئَةِ ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ مَكْرَرَةً مَعَهَا كَانَ الْكَلَامُ صَحِيحًا .
 وقد كان بعض نحويي البصرة يقول : يجوز أن يقال : الثانية زائدة ؛ يريد : لا يستوي عبد الله وزيد ،

فزيدت لا توكيدا ، كما قال (لَيْسَ لَّ يَعْزَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقْدِرُونَ) : أى لأن يعلم ، وكما قال : (لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْوَأَمَّةِ) . وقد كان بعضهم ينكر قوله هذا في (لَيْسَ لَّ يَعْزَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ) ، وفي قوله (لَا أَقْسِمُ) فيقول : لا الثانية في قوله (لَيْسَ لَّ يَعْزَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ) أن لا يقدر أن يردت إلى موضعها ، لأن النفي إنما لحق يقدر أن لا العلم ، كما يقال : لا أظن زيدا لا يقوم ، بمعنى : أظن زيدا لا يقوم ؛ قال : وربما استوثقوا فجاءوا به أولا وآخرا ، وربما اكتفوا بالأول من الثاني . وحكى سماعا من العرب : ما كأتى أعرفها : أى كأتى لا أعرفها . قال : وأما « لا » في قوله (لَا أَقْسِمُ) فإنما هو جواب ، والقسم بعدها مستأنف ، ولا يكون حرف الجحد مبتدأ صلة .
وإنما عني بقوله (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) ولا يستوى الإيمان بالله والعمل بطاعته ، والشرك به والعمل بمعصيته .

وقوله (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك ، وبغفوك عن أساء إليك إساءة المسىء ، وبصبرك عليهم مكروه ما تجدد منهم ، ويلقاك من قبلهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى تأويله .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم والعفو عند الإساءة ، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان ، وخضع لهم عدوهم ، كأنه ولى حميم .
وقال آخرون : معنى ذلك : ادفع بالسلام على من أساء إليك إساءته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال : بالسلام .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجوزي ، عن مجاهد (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال : السلام عليك إذا لقيته .

وقوله (فَإِذَا النَّدَى بِبَيْتِكَ وَبَيْتِهِ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) يقول تعالى ذكره : افعل هذا الذى أمرتك به يا محمد ، من دفع سيئة المسىء إليك بإحسانك الذى أمرتك به إليه ، فيصير المسىء إليك الذى بينك وبينه عداوة . كأنه من ملاحظته إياك ، وبره لك ، ولى لك من بنى أعمامك ، قريب النسب بك ، والحميم : هو القريب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) : أى كأنه ولى قريب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ

نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : وما يُعْطَى دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا لله على المكارِه ، والأمور الشاقَّة ؛ وقال : (وَمَا يُلْقَاهَا) ولم يقل : وما يُلْقَاهَا ، لأن معنى الكلام : وما يُلْقِي هذه الفعلة ، من دفع السيئة بالتي هي أحسن .

وقوله (وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) يقول : وما يُلْقِي هذه الإذون نصيب ووجد ، له سابق في المبرات عظيم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا

ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) : ذو جَدِّ .

وقيل : إن ذلك الحَظُّ الذي أخبر الله جل ثناؤه في هذه الآية أنه لهُؤلاء القوم ، هو الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا) . . .

الآية . والحَظُّ العظيم : الجنة . « ذُكِرَ لَنَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَتَمَهُ رَجُلٌ وَنَبِيََّ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

شَاهِدٌ ، فَعَفَا عَنْهُ سَاعَةً ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاشَ بِهِ الْغَضَبَ ، فَردَّ عَلَيْهِ ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاتَّبَعَهُ

أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ شَتَمَنِي الرَّجُلُ ، فَعَفَوْتُ وَصَفَحْتُ وَأَنْتَ قَاعِدٌ ، فَلَمَّا أَخَذْتُ أَنْتَصِرَ قَمْتٌ

يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ كَانَ يَرُدُّ عَنْكَ مَمْلُوكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَلَمَّا

قَرَّبْتُ تَنْتَصِرُ ذَهَبَ الْمَمْلُوكُ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ ، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأُجَالِسَ الشَّيْطَانَ يَا أَبَا بَكْرٍ » .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا

يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) يقول : الذين أعد الله لهم الجنة .

وقوله (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره :

وإِذَا يُلْقِيَنَّ الشَّيْطَانُ يَا مُحَمَّدُ فِي نَفْسِكَ وَسُوسَةً مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ ، إِرَادَةَ حَمْلِكَ عَلَى مَجَازَاةِ الْمَسِيءِ بِالْإِسَاءَةِ ،

وَدَعَاكَ إِلَى مَسَاءَتِهِ ، فَاسْتَجِرْ بِاللَّهِ ، وَاعْتَصِمْ مِنْ خَطْوَاتِهِ ، إِنْ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لاسْتِعَاذَتِكَ مِنْهُ وَاسْتِجَارَتِكَ بِهِ

مِنْ نَزَغَاتِهِ ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِكَ وَكَلَامِ غَيْرِكَ ، الْعَلِيمُ بِمَا أَلْقَى فِي نَفْسِكَ مِنْ نَزَغَاتِهِ ، وَحَدَّثَتْكَ بِهِ نَفْسِكَ ،

وَمَا يَذْهَبُ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِكَ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكَ وَأُمُورِ خَلْقِهِ .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ

نَزْعٌ) قال : وسوسة ، وحديث النفس (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ

نَزْعٌ) قال : هذا الغضب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ، وَاسْجُدُوا
لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله تعالى على خلقه، ودلالته على وحدانيته، وعظيم سلطانه، اختلاف الليل والنهار، ومعاقبة كل واحد منهما صاحبه، والشمس والقمر، لا الشمس تدرك القمر (ولا الليل سابق النهار وكل في فلكك يسبحون) لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر، فإنهما وإن جرىا في الفلك بمنافعكم، فإنما يجريان بها لكم بإجراء الله إياهما لكم، طائعين له في جريهما ومسيرهما، لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجرى، دون إجراء الله إياهما وتسييرهما، أو يستطيعان لكم نفعاً أو ضرراً، وإنما الله مسخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم، فله فاسجدوا، وإياه فاعبدوا دونهما، فإنه إن شاء طمس ضوءهما، فترككم حيارى في ظلمة لا تهتدون سبيلا، ولا تبصرون شيئاً. وقيل: (واسجدوا لله الذي خلقهن) فجمع بالهاء والنون، لأن المراد من الكلام: واسجدوا لله الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر، وذلك جمع وأنت كنيتهن، وإن كان من شأن العرب إذا جمعوا الذكر إلى الأنثى أن يخرجوا كنيتهما بلفظ كناية المذكر، فيقولوا: أخواك وأختاك كلموني، ولا يقولوا: كلمني، لأن من شأنهم أن يؤثوا أخبار الذكور من غير بنى آدم في الجمع، فيقولوا: رأيت مع عمرو أثواباً فأخذتهن منه، وأعجبتني خواتيم لزيد فقبضتهن منه. وقوله (إن كنتم إياه تعبدون) يقول: إن كنتم تعبدون الله، وتذلون له بالطاعة، وإن من طاعته أن تخلصوا له العبادة، ولا تشركوا في طاعتكم إياه وعبادتكوه شيئاً سواه، فإن العبادة لاتصلح لغيره ولا تنبغي لشيء سواه.

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨)

يقول تعالى ذكره: فإن استكبروا يا محمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركي قريش، وتعظّموا عن أن يسجدوا لله الذي خلقهم وخلق الشمس والقمر، فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، ولا يتعظّمون عنه، بل يسبحون له، ويصلون ليلاً ونهاراً (وهم لا يسأمون): يقول: وهم لا يفترون عن عبادتها، ولا يملئون الصلاة له.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار) قال: يعني محمداً، يقول: عبادي ملائكة صافئون، يسبحون ولا يستكبرون.

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ، إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخِي الْمَوْتِي ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : ومن حجج الله أيضا وأدلته على قدرته على نشر الموتى من بعد بيلائها ، وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها ، أنك يا محمد ترى الأرض دارسة غبراء ، لانبات بها ولا زرع . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً) : أى غبراء مهشمة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً) قال : يابسة مهشمة (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) يقول تعالى ذكره : فإذا أنزلنا من السماء غيثا على هذه الأرض الخاشعة ، اهتزت بالنبات ، يقول : تحركت به . كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (اهتزت) قال : بالنبات (وَرَبَّتْ) يقول : انتفخت .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَرَبَّتْ) انتفخت . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ) يُعْرِفُ الْغَيْثَ فِي سَخْتِهَا وَرَبَّوْهَا . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَرَبَّتْ) للنبات ، قال : ارتفعت قبل أن تنبت . وقوله (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخِي الْمَوْتِي) يقول تعالى ذكره : إن الذي أحيا هذه الأرض الدارسة فأخرج منها النبات ، وجعلها تهتز بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذي أنزل عليها ، القادر أن يحيى أموات بني آدم من بعد مماتهم ، بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كما يحيى الأرض بالمطر ، كذلك يحيى الموتى بالماء يوم القيامة بين النفختين ، يعنى بذلك تأويل قوله (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخِي الْمَوْتِي) .

وقوله (إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد على إحياء خلقه بعد مماتهم ، وعلى كل ما يشاء ذو قدرة ، لا يعجزه شيء أراده ، ولا يتعدر عليه فعل شيء شاءه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقِي فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)

يعني جل ثناؤه بقوله (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا) : إن الذين يميلون عن الحق في حججنا وأدلتنا ، ويعدلون عنها تكديبا بها وجحودا لها .

وقد بينت فيما مضى معنى اللحد بشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع .

وسندكر بعض اختلاف المختلفين في المراد به من معناه في هذا الموضع . اختلف أهل التأويل في المراد به من معنى الإلحاد في هذا الموضع ، فقال بعضهم : أريد به معارضة المشركين القرآن باللغظ والصفير استهزاء به ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا) قال : المكاء وما ذكر معه .

وقال بعضهم : أريد به الخبر عن كذبهم في آيات الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا) قال : يكذبون في آياتنا .

وقال آخرون : أريد به يعاندون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا) قال : يشاققون : يعاندون .

وقال آخرون : أريد به الكفر والشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا) قال : هؤلاء أهل الشرك . وقال : الإلحاد : الكفر والشرك .

وقال آخرون : أريد به الخبر عن تبديلهم معاني كتاب الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا) قال : هو أن يوضع الكلام على غير موضعه ، وكل

هذه الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك قريبات المعاني ، وذلك أن اللّٰحْدَ والإلْحَادَ : هو الميل ، وقد يكون ميلا عن آيات الله ، وعُدُولًا عنها بالتكذيب بها ، ويكون بالاستهزاء مُكْتَأً وتَصْدِيَةً ، ويكون مفارقة لها وعنادا ، ويكون تحريفا لها وتغييرا لمعانيها .

ولا قول أولى بالصحة في ذلك مما قلنا ، وأن يعمّ الخبر عنهم بأنهم أُلْحِدُوا في آيات الله ، كما عمّ ذلك ربنا تبارك وتعالى .

وقوله (لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) يقول تعالى ذكره : نحن بهم عالمون لا يخفون علينا ، ونحن لهم بالمرصاد إذ وردوا علينا ، وذلك تهديد من الله جل ثناؤه لهم بقوله : سيعلمون عند ورودهم علينا ماذا يَلْتَقُونَ من ألم عذابنا ، ثم أخبر جل ثناؤه عما هو فاعل بهم عند ورودهم عليه ، فقال : (أَمْسَنُ يَلْتَقَى فِي النَّارِ خَسِيرٌ ، أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يُلْحِدُونَ في آياتنا اليوم في الدنيا يوم القيامة عذاب النار ، ثم قال الله : أفهذا الذي يُلْتَقَى في النار خبير ، أم الذي يأتي يوم القيامة آمنا من عذاب الله ، لإيمانه بالله جل جلاله ؟ هذا الكافر ، إنه إن آمن بآيات الله ، واتبع أمر الله ونهيه ، أمّنه يوم القيامة مما حذّره منه من عقابه ، إن ورد عليه يومئذ به كافرا .

وقوله (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) وهذا أيضا وعيد لهم من الله ، خرج مخترج الأمر ، وكذلك كان مجاهد يقول . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) قال : هذا وعيد .

وقوله (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول جل ثناؤه : إن الله أيها الناس بأعمالكم التي تعملونها ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه منها ، ولا من غيرها شيء .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : إن الذين جحدوا هذا القرآن وكذبوا به لما جاءهم ، وعنى بالذكر القرآن . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) كفروا بالقرآن .

وقوله (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) يقول تعالى ذكره : وإن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه ، وحفظه من كل من أراد له تبديلا ، أو تحريفا ، أو تغييرا ، من إنسي وجنى وشيطان مارد . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) يقول : أعزه الله لأنه كلامه ، وحفظه من الباطل .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) قال : عزيز من الشيطان .

وقوله (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : لا يأتيه النكير من بين يديه ولا من خلفه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) قال : النكير من بين يديه ولا من خلفه .

وقال آخرون : معنى ذلك : لا يستطيع الشيطان أن ينقص منه حقا ، ولا يزيد فيه باطلا ، قالوا : والباطل هو الشيطان .

وقوله (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) من قبيل الحق (وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) من قبيل الباطل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) الباطل : إبليس لا يستطيع أن ينقص منه حقا ، ولا يزيد فيه باطلا .

وقال آخرون : معناه : أن الباطل لا يطيق أن يزيد فيه شيئا من الحروف ولا ينقص منه شيئا منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) قال : الباطل : هو الشيطان لا يستطيع أن يزيد فيه حرفا ولا ينقص .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ، أن يقال : معناه : لا يستطيع ذو باطل بكبده تغييره بكبده ، وتبديل شيء من معانيه عما هو به ، وذلك هو الإتيان من بين يديه ، ولا إلحاق ما ليس منه فيه ، وذلك إتيانه من خلفه .

وقوله (تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) يقول تعالى ذكره : هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده ، وصر فهم فيما فيه مصالحهم ، حميد : يقول : محمود على نعمه عليهم بأياديهم عندهم .

القول في تأويل قوله تعالى

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ، إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ما يقول لك هؤلاء المشركون المكذبو ما جنتهم به من عند ربك ، إلا ما قد قاله من قبلهم من الأمم لرسولهم الذين كانوا من قبلك ، يقول له : فاصبر على ما نالك من أذى منهم ، كما صبر أولو العزم من الرسل ، (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما يُقالُ لكَ إلا ما قدّمَ قَبيلَ للرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ) يُعزّي نبيه صلى الله عليه وسلم كما تسمعون ، يقول : (كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله (ما يُقالُ لكَ إلا ما قدّمَ قَبيلَ للرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ) قال : ما يقولون إلا ما قدّمَ قال المشركون للرسل من قبلك :

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ) يقول : إن ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين إليه من ذنوبهم ، بالصفح عنهم (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) يقول : وهو ذو عقاب مؤلم لمن أصرّ على كفره وذنوبه ، فأت على الإصرار على ذلك قبل التوبة منه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ، قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ، أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه يا محمد أعجمياً ، لقال قومك من قريش (لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) يعني : هلا بُيئت أدلته وما فيه من آية ، فنفقهه ونعلم ما هو وما فيه ، أَعْجَمِيٌّ ، يعني أنهم كانوا يقولون إنكاراً له : أَعْجَمِيٌّ هذا القرآن ولسان الذي أنزل عليه عربي ؟
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبیر أنه قال في هذه الآية (لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) قال : لو كان هذا القرآن أعجمياً لقالوا القرآن أعجمي ، ومحمد عربي .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود بن أبي هند ، عن جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبیر في هذه الآية (لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) قال : الرسول عربي ، واللسان أعجمي .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن سعيد بن جبیر ، في قوله (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) قرآن أعجمي ولسان عربي ؟

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، عن عبد الله بن مطيع بنحوه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَوَلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ) فجعل عربيا أعجمي الكلام ، وعربي الرجل .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوَلَا فَصَّلَتْ آيَاتِهِ) يقول : بُيِّنْتَ آيَاتِهِ ، أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ، نحن قوم عرب مالنا وللعجْمَة .

وقد خالف هذا القول الذي ذكرناه عن هؤلاء آخرون ، فقالوا : معنى ذلك (لَوَلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ) بعضها عربي ، وبعضها أعجمي . وهذا التأويل على تأويل من قرأ (أَعْجَمِيٌّ) بترك الاستفهام فيه ، وجعله خبرا من الله تعالى عن قبل المشركين ذلك ، يعني : هلا فصلت آياته ، منها أعجمي تعرفه العجم ، ومنها عربي تفقهه العرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : قالت قريش : لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا ، فأنزل الله (وَقَالُوا لَوَلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ، قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ) فأنزل الله بعد هذه الآية كل لسان ، فيه (حِجَارَةٌ مِّنْ سِجِّيلٍ) قال : فارسية أعربت « سنك وكل » . وقرأت قرآء الأمصار (أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ؟) على وجه الاستفهام . وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك أعجمي بهمزة واحدة ، على غير مذهب الاستفهام ، على المعنى الذي ذكرناه عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : القراءة التي عليها قرآء الأمصار ، لإجماع الحجة عليها ، على مذهب الاستفهام .

وقوله (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهم هو ، ويعني بقوله (هُوَ) القرآن ، (لِلَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله ، وصدقوا بما جاءهم به من عند ربهم (هُدًى) يعني بيان للحق (وَشِفَاءٌ) يعني أنه شفاء من الجهل .

وبنحو الذين قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ) قال : جعله الله نورا وبركة وشفاء للمؤمنين .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ) قال : القرآن .

وقوله (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) يقول تعالى ذكره : والذين لا يؤمنون بالله ورسوله ، وما جاءهم به من عند الله في آذانهم ثقل عن استماع هذا القرآن ، وصمم لا يستمعونه ، ولكنهم يعرضون عنه ، وهو عليهم عمى : يقول : وهذا القرآن على قلوب هؤلاء المكذبين به عمى عنه ، فلا يبصرون حججه عليهم ، وما فيه من مواظمه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) عموا وصموا عن القرآن ، فلا ينتفعون به ، ولا يرغبون فيه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ) قال : صمم (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) قال : عميت قلوبهم عنه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) قال : العمى : الكفر .

وقرأت قرآء الأمصار (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) بفتح الميم . وذكر عن ابن عباس أنه قرأ (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) بكسر الميم ، على وجه النعت للقرآن .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرآء الأمصار .

وقوله (أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) اختلف أهل التأويل في معناه ، فقال بعضهم : معنى ذلك : تشبيه من الله جل ثناؤه : لعمى قلوبهم عن فهم ما أنزل في القرآن من حججه ومواظمه ببعيد ، فهم سامع صوت من بعيد تُودى ، فلم يفهم ما تُودى ، كقول العرب للرجل القليل الفهم : إنك لتنادى من بعيد ، وكقولهم للفهم : إنك لتأخذ الأمور من قريب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن بعض أصحابه ، عن مجاهد (أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) قال : بعيد من قلوبهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) قال : ضيَّعوا أن يقبلوا الأمر من قريب ، يتربون ويؤمنون ، فيقبل منهم ، فأبوا .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنهم ينادون يوم القيامة من مكان بعيد منهم ، بأشنع أسمائهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أجليح ، عن الضحاك بن مزاحم (أَوْلَيْتِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَسْكَانٍ بَعِيدٍ) قال : ينادى الرجل بأشنع اسمه .

واختلف أهل العربية في موضع تمام قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) فقال بعضهم تمامه (أَوْلَيْتِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَسْكَانٍ بَعِيدٍ) وجعل قائلو هذا القول خبر (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) (أَوْلَيْتِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَسْكَانٍ بَعِيدٍ) . وقال بعض نحوى البصرة : يجوز ذلك ، ويجوز أن يكون على الأخبار التي في القرآن يستغنى بها ، كما استغنت أشياء عن الخبر إذا طال الكلام ، وعرف المعنى ، نحو قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْحَيَالُ ، أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ) وما أشبه ذلك .

قال : وحدثني شيخ من أهل العلم ، قال : سمعت عيسى بن عمر يسأل عمرو بن عبيد (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) أين خبره ؟ فقال عمرو معناه في التفسير : إن الذين كفروا بالذکر لما جاءهم كفروا به ، وإنه لكتاب عزيز ، فقال عيسى : أجدت يا أبا عثمان .

وكان بعض نحوى الكوفة يقول : إن شئت جعلت جواب (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) أَوْلَيْتِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَسْكَانٍ بَعِيدٍ وإن شئت كان جوابه في قوله (وَلَمَّا جَاءَهُمْ) ، فيكون جوابه معلوما فترك ، فيكون أعرب الوجهين ، وأشبهه بما جاء في القرآن .

وقال آخرون بل ذلك مما انصرف عن الخبر عما ابتدئ به إلى الخبر عن الذي بعده من الذكر ، فعلى هذا القول ترك الخبر عن الذين كفروا بالذکر ، وجعل الخبر عن الذكر ، فتمامه على هذا القول ، وإنه لكتاب عزيز ، فكان معنى الكلام عند قائل هذا القول ، أن الذكر الذي كفر به هؤلاء المشركون لما جاءهم ، وإنه لكتاب عزيز وشبهه بقوله (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ) .
 وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب أن يقال : هو ما ترك خبره ، اكتفاء بمعرفة السامعين بمعناه ، لما تطاول الكلام .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ

وَإِنَّهُمْ لَنِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) يا محمد ، يعنى التوراة ، كما آتيناك الفرقان ، (فَاخْتَلَفَ فِيهِ) يقول : فاختلف في العمل بما فيه الذين أتوه من اليهود (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ) يقول : ولولا ما سبق من قضاء الله وحكمه فيهم ، أنه أخر عذابهم إلى يوم القيامة ، لقضى بينهم : يقول : لعجل الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه بإهلاكه المبطلين منهم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) قال : أَخْرَجُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وقوله (وَإِنَّهُمْ لَنَبِيٍّ شَكَ مِنْهُ مُرِيبٍ) يقول : وإن الفريق المبطل منهم لني شك مما قالوا فيه مريب : يقول : يريهم قولهم فيه ما قالوا ، لأنهم قالوا بغير ثبت ، وإنما قالوه ظناً .

القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : من عمل بطاعة الله في هذه الدنيا ، فأتمر لأمره ، وانتهى عما نهاه عنه (فَلِنَفْسِهِ) ، يقول : فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل ، لأنه يجازى عليه جزاءه ، فيستوجب في المعاد من الله الجنة ، والنجاة من النار ، (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) يقول : ومن عمل بمعاصي الله فيها ، فعلى نفسه جنى ، لأنه أكسبها بذلك سخط الله ، والعقاب الأليم (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) يقول تعالى ذكره : وما ربك يا محمد بحامل عقوبة ذنب مذنب على غير مكتسبه ، بل لا يعاقب أحدا إلا على جرمه الذي اكتسبه في الدنيا ، أو على سبب استحققه به منه ، والله أعلم .

تم الجزء الرابع والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

وبليه الجزء الخامس والعشرون

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ)

جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

ثَاوِيلَ ابْنِ الْقُرَظِ

« كتاب أزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم
« ما أعلم على آدم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف:

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى ٣١٠ سنة

الجزء الخامس والعشرون

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصرة

فهارس الجزء الخامس والعشرين

من

جامع البيان، عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر: محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثاني : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافي .

تو شطاب و سولطان سلطان



تو آقا اردا و کورده و زلیبا و سولطان

تو سلطان و سولطان : سولطان

تو سلطان و سولطان : سولطان

تو سلطان و سولطان : سولطان

تو سلطان و سولطان : سولطان

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
			<u>سورة فصلت</u>		
٤٧	إليه يُرد علم الساعة . . .	١	١٣	شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا . . .	١٤
٤٨	وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل . . .	٢	١٤	وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم . . .	١٦
٤٩	لا يسأم الإنسان من دعاء الخير . . .	٢	١٥	فلذلك فادع واستقم كما أمرت . . .	١٧
٥٠	ولئن أذقناه رحمة منا . . .	٣	١٦	والذين يحاجون في الله . . .	١٨
٥١	وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض . . .	٣	١٧	الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان . . .	١٩
٥٢	قل أرأيتم إن كان من عند الله . . .	٤	١٨	يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها . . .	١٩
٥٣	سريرهم آياتنا في الآفاق . . .	٤	١٩	الله لطيف بعباده يرزق من يشاء . . .	٢٠
٥٤	ألا إنهم في ميراثه من لقاء ربهم . . .	٥	٢٠	من كان يريد حرث الدنيا . . .	٢٠
			٢١	أم لهم شركاء شرعوا لهم . . .	٢١
			٢٢	ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا . . .	٢١
			٢٣	ذلك الذي يبشر الله عباده . . .	٢٢
			٢٤	أم يقولون افترى على الله كذبا . . .	٢٧
			٢٥	وهو الذي يقبل التوبة عن عباده . . .	٢٨
			٢٦	ويستجيب الذين آمنوا . . .	٢٨
			٢٧	ولو بسط الله الرزق لعباده . . .	٣٠
			٢٨	وهو الذي ينزل الغيث . . .	٣١
			٢٩	ومن آياته خلق السموات والأرض . . .	٣١
			٣٠	وما أصابكم من مصيبة . . .	٣٢
			٣١	وما أنتم بمعجزين في الأرض . . .	٣٢
			٣٢	ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام . . .	٣٣
			٣٣	إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد . . .	٣٣
			٣٤	أو يُوبقهن بما كسبوا . . .	٣٤
			٣٥	ويعلم الذين يجادلون في آياتنا . . .	٣٤
			٣٦	فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا . . .	٣٤
			<u>سورة الشورى</u>		
١	حم . . .	٦	١	شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا . . .	١٤
٢	عسق . . .	٦	١٤	وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم . . .	١٦
٣	كذلك يوحى إليك . . .	٦	١٥	فلذلك فادع واستقم كما أمرت . . .	١٧
٤	له ما في السموات وما في الأرض . . .	٧	١٦	والذين يحاجون في الله . . .	١٨
٥	تكاد السموات يتفطرن من فوقهن . . .	٧	١٧	الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان . . .	١٩
٦	والذين اتخذوا من دونه أولياء . . .	٨	١٨	يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها . . .	١٩
٧	وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا . . .	٨	١٩	الله لطيف بعباده يرزق من يشاء . . .	٢٠
٨	ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة . . .	١٠	٢٠	من كان يريد حرث الدنيا . . .	٢٠
٩	أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي . . .	١٠	٢١	أم لهم شركاء شرعوا لهم . . .	٢١
١٠	وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله . . .	١٠	٢٢	ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا . . .	٢١
١١	فاطر السموات والأرض . . .	١١	٢٣	ذلك الذي يبشر الله عباده . . .	٢٢
١٢	له مقاليد السموات والأرض . . .	١٣	٢٤	أم يقولون افترى على الله كذبا . . .	٢٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٧	والذين يمتدحون كبائر الإثم . . .	٣٦	١٠	الذي جعل لكم الأرض مهتدا . . .	٥٢
٣٨	والذين استجابوا لربهم . . .	٣٦	١١	والذي أنزل من السماء ماء بقدر . . .	٥٢
٣٩	والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون . . .	٣٧	١٢	والذي خلق الأزواج كلها . . .	٥٢
٤٠	وجزاء سيئة سيئة مثلها . . .	٣٧	١٣	لتستووا على ظهوره . . .	٥٣
٤١	ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم . . .	٣٨	١٤	وإنا إلى ربنا لمنقلبون . . .	٥٣
٤٢	إنما السبيل على الذين يظلمون الناس . . .	٣٨	١٥	وجعلوا له من عباده جزءا . . .	٥٥
٤٣	ولمن صبر وغفر . . .	٤٠	١٦	أم اتخذ مما يخلق بنات . . .	٥٥
٤٤	ومن يضلل الله فما له من ولي . . .	٤٠	١٧	وإذا بشر أحدهم . . .	٥٥
٤٥	وتزاهم يعرضون عليها خاشعين . . .	٤١	١٨	أو من ينشأ في الحلية . . .	٥٦
٤٦	وما كان لهم من أولياء ينصرونهم . . .	٤٣	١٩	وجعلوا الملائكة . . .	٥٨
٤٧	استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم . . .	٤٣	٢٠	وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم . . .	٥٩
٤٨	فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم . . .	٤٣	٢١	أم آتيناهم كتابا من قبله . . .	٥٩
٤٩	الله ملك السموات والأرض . . .	٤٣	٢٢	بل قالوا إنا وجدنا آباءنا . . .	٥٩
٥٠	أو يزوجهم ذكرانا وإنانا . . .	٤٤	٢٣	وكذلك ما أرسلنا من قبلك . . .	٦١
٥١	وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا . . .	٤٤	٢٤	قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم . . .	٦١
٥٢	وكذلك أوحينا إليك رُوحا من أمرنا . . .	٤٥	٢٥	فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة . . .	٦٢
٥٣	صراط الله الذي له ما في السموات . . .	٤٦	٢٦	وإذا قال إبراهيم لأبيه . . .	٦٢
<u>سورة الزخرف</u>					
١	حم . . .	٤٧	٢٧	إلا الذي فطرني فإنه سيهدين . . .	٦٢
٢	والكتاب المبين . . .	٤٧	٢٨	وجعلها كلمة باقية في عقبه . . .	٦٢
٣	إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . . .	٤٧	٢٩	بل تمتعت هؤلاء وآباءهم . . .	٦٤
٤	وإنه في أم الكتاب . . .	٤٨	٣٠	ولما جاءهم الحق . . .	٦٤
٥	أفنبضب عنكم الذكر صفحا . . .	٤٩	٣١	وقالوا : لولا نزل هذا القرآن . . .	٦٤
٦	وكم أرسلنا من نبي في الأولين . . .	٥١	٣٢	أهم يقسمون رحمة ربك . . .	٦٤
٧	وما يأتيهم من نبي . . .	٥١	٣٣	ولولا أن يكون الناس أمة واحدة . . .	٦٨
٨	فأهلكنا أشد منهم بطشا . . .	٥١	٣٤	ولبيوتهم أبوابا وسُرُرا . . .	٧٠
٩	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض . . .	٥٢	٣٥	وزُخرفا ، وإن كل ذلك . . .	٧٠
			٣٦	ومن يعيش عن ذكر الرحمن . . .	٧٢
			٣٧	ولئنهم ليصدونهم عن السبيل . . .	٧٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٨	حتى إذا جاءنا . . .	٧٣	٦٦	هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم . . .	٩٣
٣٩	ولن ينفعكم اليوم . . .	٧٣	٦٧	الأخلاء بعضهم يومئذ لبعض عدو . . .	٩٤
٤٠	أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى . . .	٧٥	٦٨	يا عباد لا خوف عليكم اليوم . . .	٩٤
٤١	فلما نذهبن بك . . .	٧٥	٦٩	الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . . .	٩٥
٤٢	أو نرينك الذى وعدناهم . . .	٧٥	٧٠	ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم . . .	٩٥
٤٣	فاستمسك بالذى أوحى إليك . . .	٧٦	٧١	يطاف عليهم بصحاف من ذهب . . .	٩٦
٤٤	وإنه لذكر لك ولقرمك . . .	٧٦	٧٢	وتلك الجنة التى أوردتموها . . .	٩٧
٤٥	واسأل من أرسلنا من قبلك . . .	٧٧	٧٣	لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون . . .	٩٧
٤٦	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا . . .	٧٨	٧٤	إن المجرمين فى عذاب جهنم . . .	٩٨
٤٧	فلما جاءهم بآياتنا . . .	٧٨	٧٥	لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون . . .	٩٨
٤٨	وما نريهم من آية . . .	٧٩	٧٦	وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين . . .	٩٨
٤٩	وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك . . .	٧٩	٧٧	ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك . . .	٩٨
٥٠	فلما كشفنا عنهم العذاب . . .	٧٩	٧٨	لقد جئناكم بالحق . . .	٩٨
٥١	ونادى فرعون فى قومه . . .	٨٠	٧٩	أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون . . .	٩٩
٥٢	أم أنا خير من هذا الذى هو مهين . . .	٨١	٨٠	أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم . . .	٩٩
٥٣	فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب . . .	٨١	٨١	قل إن كان للرحمن ولد . . .	١٠١
٥٤	فاستخف قومه فأطاعوه . . .	٨٣	٨٢	سبحان رب السموات والأرض . . .	١٠١
٥٥	فلما آسفونا انتقمنا منهم . . .	٨٣	٨٣	فذرهم يخوضوا ويلعبوا . . .	١٠٣
٥٦	فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين . . .	٨٤	٨٤	وهو الذى فى السماء إله . . .	١٠٣
٥٧	ولما ضرب ابن مريم مثلا . . .	٨٤	٨٥	وتبارك الذى له ملك السموات . . .	١٠٤
٥٨	وقالوا : أأهنتنا خير أم هو ؟ . . .	٨٧	٨٦	ولا يملك الذين يدعون من دونه . . .	١٠٤
٥٩	إن هو إلا عبد أنعمنا عليه . . .	٨٧	٨٧	ولئن سألتهم من خلقهم . . .	١٠٥
٦٠	ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة . . .	٨٧	٨٨	وقيله يا رب إن هؤلاء قوم . . .	١٠٥
٦١	وإنه لعلم للساعة فلا تترن بها . . .	٩٠	٨٩	فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون . . .	١٠٦
٦٢	ولا يصدكم الشيطان . . .	٩٠	سورة الدخان		
٦٣	ولما جاء عيسى بالبينات . . .	٩١	١	حم . . .	١٠٧
٦٤	إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه . . .	٩٢	٢	والكتاب المبين . . .	١٠٧
٦٥	فاختلف الأحزاب من بينهم . . .	٩٣			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣	إنا أنزلناه في ليلة مباركة . . .	١٠٧	٣١	من فرعون إنه كان عليا . . .	١٢٤
٤	فيها يُفَرَّق كل أمر حكيم . . .	١٠٧	٣٢	ولقد اخترناهم على علم على العالمين . . .	١٢٦
٥	أمرنا من عندنا إنا كنا مرسلين . . .	١٠٧	٣٣	وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين .	١٢٦
٦	رحمة من ربك إنه هو السميع العليم . . .	١٠٧	٣٤	إن هؤلاء ليقولون . . .	١٢٨
٧	رب السموات والأرض وما بينهما . . .	١١٠	٣٥	إن هي إلا موتتنا الأولى . . .	١٢٨
٨	لآ إله إلا هو يحيي ويميت . . .	١١٠	٣٦	فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين . . .	١٢٨
٩	بل هم في شك يلعبون . . .	١١٠	٣٧	أهم خير أم قوم تُبَعِّع ؟ . . .	١٢٨
١٠	فارتقب يوم تأتي السماء بدخان . . .	١١١	٣٨	وما خلقنا السموات والأرض . . .	١٢٩
١١	يغشى الناس هذا عذاب أليم . . .	١١١	٣٩	ما خلقناهما إلا بالحق . . .	١٢٩
١٢	ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون . . .	١١١	٤٠	إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين . . .	١٢٩
١٣	أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول . . .	١١٥	٤١	يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا . . .	١٢٩
١٤	ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون . . .	١١٥	٤٢	إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم . . .	١٢٩
١٥	إنا كاشفوا العذاب قليلا . . .	١١٥	٤٣	إن شجرة الزقوم . . .	١٣٠
١٦	يوم نبطش البطشة الكبرى . . .	١١٦	٤٤	طعام الأثيم . . .	١٣٠
١٧	ولقد فتنا قلوبهم قوم فرعون . . .	١١٦	٤٥	كالمُهْل يغلى في البطون . . .	١٣٠
١٨	أن أدوا إلى عباد الله . . .	١١٦	٤٦	كغلى الحميم . . .	١٣٠
١٩	وأن لا تعلوا على الله . . .	١١٩	٤٧	خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم . . .	١٣٣
٢٠	وإني عدت بربي وربكم أن ترجمه . . .	١١٩	٤٨	ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم . . .	١٣٣
٢١	وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون . . .	١١٩	٤٩	ذق إنك أنت العزيز الكريم . . .	١٣٤
٢٢	فدعاه ربه أن هؤلاء قوم مجرمون . . .	١٢٠	٥٠	إن هذا ما كنتم به تمتمون . . .	١٣٤
٢٣	فأسر بعبادى ليلا إنكم متبعون . . .	١٢٠	٥١	إن المتقين فى مقام أمين . . .	١٣٥
٢٤	واترك البحر رهوا إنهم جند مغرَقون . . .	١٢٠	٥٢	فى جنات وعبور . . .	١٣٥
٢٥	كم تركوا من جنات وعبور . . .	١٢٣	٥٣	يلبسون من سندس وإستبرق . . .	١٣٥
٢٦	وزروع ومقام كريم . . .	١٢٣	٥٤	كذلك وزوجناهم بحور عين . . .	١٣٦
٢٧	ونعمة كانوا فيها فاكهين . . .	١٢٣	٥٥	يدعون فيها بكل فاكهة آمنين . . .	١٣٦
٢٨	كذلك وأورثناها قوما آخرين . . .	١٢٣	٥٦	لا يدوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى . . .	١٣٦
٢٩	فا بكت عليهم السماء والأرض . . .	١٢٤	٥٧	فضلا من ربك . . .	١٣٦
٣٠	ولقد نجينا بنى إسرائيل . . .	١٢٤	٥٨	فإنما يسرناه بلسانك . . .	١٣٨
			٥٩	فارتقب إنهم مرتقبون . . .	١٣٨

١٩	إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا . . .	١٤٦
٢٠	هذا بصائر للناس . . .	١٤٧
٢١	أم حسب الذين اجترحوا السيئات . . .	١٤٧
٢٢	وخلق الله السموات والأرض . . .	١٤٩
٢٣	أفرأيت من اتخذ إلهه هواه	١٥٠
٢٤	وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا . . .	١٥١
٢٥	وإذا تولى عليهم آياتنا بينات . . .	١٥٣
٢٦	قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم . . .	١٥٣
٢٧	ولله ملك السموات والأرض . . .	١٥٤
٢٨	وترى كل أمة جاثية . . .	١٥٤
٢٩	هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق . . .	١٥٥
٣٠	فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٥٥
٣١	وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي . . .	١٤٦
٣٢	وإذا قيل إن وعد الله حق . . .	١٥٧
٣٣	وبدا لهم سيئات ما عملوا . . .	١٥٨
٣٤	وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم . . .	١٥٨
٣٥	ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا . . .	١٥٨
٣٦	فله الحمد رب السموات . . .	١٥٩
٣٧	وله الكبرياء فى السموات والأرض . . .	١٥٩

تفسير سورة الجاثية

١	حم . . .	١٣٩
٢	تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . . .	١٣٩
٣	إن فى السموات والأرض آيات . . .	١٣٩
٤	وفى خلقكم وما يبث من دابة . . .	١٣٩
٥	واختلاف الليل والنهار . . .	١٤٠
٦	تلك آيات الله نتلوها عليك . . .	١٤١
٧	ويل لكل أفاك أثيم . . .	١٤١
٨	يسمع آيات الله تتلى عليه . . .	١٤١
٩	وإذا علم من آياتنا شيئا . . .	١٤٢
١٠	من وراءهم جهنم ولا يغنى عنهم . . .	١٤٢
١١	هذا هدى والذين كفروا . . .	١٤٣
١٢	الله الذى سخر لكم البحر . . .	١٤٣
١٣	وسخر لكم ما فى السموات . . .	١٤٣
١٤	قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون . . .	١٤٤
١٥	من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها . . .	١٤٥
١٦	ولقد آتينا بنى إسرائيل . . .	١٤٦
١٧	وآتيناهم بينات من الأمر . . .	١٤٦
١٨	ثم جعلناك على شريعة من الأمر . . .	١٤٦

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٣٢	تفسير سورة فصلت
٣٧	١ تأويل قوله « إليه يُرَدُّ علم الساعة » ، ومعنى الأكام .
٤١	٢ طلب الخير مع القنوط من الفرج عند الشدة من أخلاق الكفار .
٤٤	٤ تأويل قوله « سنريهم آياتنا » . . . الآية ، وأن المراد منها نصره الرسول إنجازا لوعده أنه يظهر دينه .
٤٧	٦ تفسير سورة حم عسق
٤٩	٦ ما ورد في معناها .
٥٣	٨ تأويل قوله « وكذلك أوحينا » .
٥٦	٩ ما ورد من أن الله كتب كتابا فيه أسماء أهل الجنة والنار .
٥٩	١٤ دين الأنبياء في الأصول واحد .
٦٣	١٨ العدل أحد ثلاث خصال مَنْ كُنَّ فيه أفلح ، ومن تلبس بضدهن هلك .
٦٥	٢٠ تأويل قوله « الله لطيف بعباده » . . . الآية .
٧٢	٢٢ تأويل قوله « ذلك الذي يبشر الله » . . . الآية . ومعنى قوله « إلا المودة في القربى » وذكر الخلاف فيها .
	٢٨ توبة الشخص مكفرة لذنوبه .
	٢٩ يشفع الله المؤمنين في إخوان إخوانهم .
٣٢	تأويل قوله « وما أصابكم من مصيبة . . . الآية ، وأن كافة المصائب تكون بذنوب العباد .
٣٧	تأويل قوله « والذين إذا أصابهم البغي . . . الآية . وأنها محكمة ، وما يجوز الانتصار به من الظالم .
٤١	ما يحصل من الظالمين عند دخولهم النار من النظر إليها بذلة .
٤٤	تأويل قوله « لله ملك السموات والأرض » . . . الآية ، ومعنى تزويجهم ذكرانا وإناثا .
٤٧	تفسير سورة الزخرف
٤٩	تأويل قوله « أفنضرب عنكم الذكر » . . . الآية ، والخلاف ، والصواب في ذلك .
٥٣	ما ينبغي أن يقوله الراكب بعد ركوبه .
٥٦	تأويل قوله « أو من يُنشأ في الحلية » ، وأن المراد منهم الجوارى لا الأصنام .
٥٩	المشيئة غير الرضا .
٦٣	الكلمة الباقية في عقب إبراهيم : لا إله إلا الله .
٦٥	تأويل قوله « وقالوا لولا نزل هذا القرآن » ، والمراد بالرجل العظيم ، وأن الفضل عند الله ليس بالدنيا .
٧٢	تأويل قوله « ومن يعشُّ عن ذكر الرحمن » والفرق بين العشِّ والعشا ، والشواهد عليه .

الصفحة	الصفحة
١١٦ المراد بالبطشة الكبرى .	٧٦ تأويل قوله «فاستمسك بالذى أوحى إليك» ، وأن القرآن شرف لقريش .
١٢١ ما همّ به موسى عليه السلام أن يفعله بالبحر بعد أن سلّكه هو وقومه .	٨٠ ما افتخر به فرعون من ملك مصر .
١٢٤ إذا مات المؤمن بكت عليه السماء والأرض .	٨٤ ما استخفّ به فرعون القبط .
١٢٨ خبر تبع .	٨٩ عيسى حجة من الله على بنى إسرائيل .
١٣٠ معنى الزقوم والمُهّل .	٩٠ تُعلم الساعة بمجىء عيسى عليه السلام .
١٣٦ تأويل قوله « لا يدوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ، والصواب فى معنى إلا .	٩٢ تأويل قوله « ولما جاء عيسى بالبينات » .
١٣٩ تفسير سورة الجاثية	٩٩ المدّة التى يدعو فيها أهل جهنم مالكا خازن النار ولا يجيبهم ، ثم يجيبهم .
١٤٤ تأويل قوله « قل للذين آمنوا يغفروا » . . .	١٠١ تأويل قوله « قل إن كان للرحمن ولد » . . . الآية ، والاختلاف فيها .
الآية ، وأنها منسوخة .	١٠٧ تفسير سورة الدخان
١٥٢ ما كانت العرب تقول فى سبّ الدهر .	١٠٧ الخلاف فى الليلة المباركة وما يفعل فيها .
١٥٤ ما يفعل بالأُمم يوم القيامة ودعائهم إلى كتبهم .	١١١ تأويل قوله « فارتقب يوم تأتى السماء » . . . الآية ، والدخان ومتى حصوله .

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٢٢	لم تُخَلَّلْ	١٤٠	أَحْقَرُ		
١٣٧	عَوَامِلِ	٦٠	الْقُبُورِ	ب	
	م	٥٣	النَّاشِرِ	١٣٦	نَعَابَا
٧٤	والْحَرَمِ	٧٣	ضَرِيرَا	ج	
٣٥	الْحَرَامِ			٧٠	المَعَارِجِ
٣٥	سَنَامِ	٥٠	ع	٧٢	تَأَجَّجَا
٩٢	جَاهِهَا	٧٤	المُتَقَطِّعِ	د	
٥٠	خَازِمِ		الطَّوَالِعِ	١٠٢	تَعَبَّدُ
١٠٢	ظَالِمَا		ق	١٢٢	يَنَادِيْدُ
	ن	٦٩	الْخُلُقِ	١٣	مِنْ أَحَدِ
٩٦	وَدَنْ	١٣	فِي نَيْقِ	١٣٨	المُسَرَّدِ
١٣	يُوْتَقِسِينِ		ل	١٢	يَدِي
	هـ	١٣٣	تُعْتَلِ	ر	
١٢	تَكَرَّهُهُ	٢٢	المُدَجَّلِ	١٢	مُنْهَمِرِ
				٣٣	نَارُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

انفول في تأويل قوله تعالى

* إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا ، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ، وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ، قَالُوا : ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : إلى الله يرد العالمون به علم الساعة ، فإنه لا يعلم ما قيامها غيره (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) يقول : وما تظهر من ثمرة شجرة من أكمامها التي هي متغيبه فيها ، فتخرج منها بارزة (وما تحمّل من أنثى) يقول : وما تحمل من أنثى من حمل حين تحمله ، ولا تضع ولدها إلا بعلم من الله ، لا يخفى عليه شيء من ذلك .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (من أكمامها) قال : حين تطلع . حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) قال : من طلعتها ، والأكام جمع كومة ، وهو كل ظرف لماء أو غيره ، والعرب تدعو قشر الكفراة كماء . واختلفت القراء في قراءة قوله (من ثمرات) فقراءت ذلك قراء المدينة (من ثمرات) على الجماع ، وقراءته قراء الكوفة (من ثمرات) على لفظ الواحدة ، وبأى القراءتين قرئ ذلك ، فهو عندنا صواب ، لتقارب معنيهما مع شهرتهما في القراءة .

وقوله (ويوم يناديهم أين شركائي) يقول تعالى ذكره : ويوم ينادى الله هؤلاء المشركين به في الدنيا الأوثان والأصنام : أين شركائي الذين كنتم تشركونهم في عبادتكم إياي (قالوا آذنتك) يقول : أعلمناك (ما مننا من شهيد) يقول : قال هؤلاء المشركون لرهبهم يومئذ : ما منا من شهيد يشهد أن لك شريكا .

(١) لعل الأصل : جمع كم ، بلاتاء ، لأن الأكام جمع «كم» لاجمع كة . وانظر (اللسان كم) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (آذَنَّاكَ) يقول : أعلمناك .

حدثني محمد ، قال : ثنا أبو صالح قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قوله (آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ) قالوا : أطلعناك ما منا من شهيد على أن لك شريكا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ ، وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ (٤٨) لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ، وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَوْسُقْنُوهُ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : وضلّ عن هؤلاء المشركين يوم القيامة آفتهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا ، فأخذ بها طريق غير طريقهم ، فلم تنفعهم ، ولم تدفع عنهم شيئا من عذاب الله الذي حلّ بهم .

وقوله (وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ) يقول : وأيقنوا حينئذ ما لهم من ملجأ : أي ليس لهم ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ) : استيقنوا أنه ليس لهم ملجأ .

واختلف أهل العربية في المعنى الذي من أجله أُبْطِلَ عملُ الظنّ في هذا الموضع ، فقال بعض أهل البصرة : فُعِلَ ذلك ، لأن معنى قوله (وَظَنُّوا) : استيقنوا . قال : وما هاهنا حرف وليس باسم ، والفعل

لا يعمل في مثل هذا ، فلذلك جعل الفعل مُلْغَى . وقال بعضهم : ليس يلغى الفعل وهو عامل في المعنى إلا لعلة . قال : والعلّة أنه حكاية ، فإذا وقع على ما لم يعمل فيه ، كان حكاية وتمنيا ، وإذا عمل فهو على أصله .

وقوله (لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) يقول تعالى ذكره : لا يملّ الكافر بالله من دعاء الخير ، يعني من دعائه بالخير ، ومسالته إياه ربّه ، والخير في هذا الموضع : المال وصحة الجسم ؛ يقول :

لا يملّ من طلب ذلك (وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ) يقول : وإن ناله ضرر في نفسه ، من سقم أو جهّد في معيشته ، أو احتباس من رزقه (فَيَسْتَوْسُقْنُوهُ) يقول : فإنه ذو بأس من رُوح الله وقرّجه ، قنوط من رحمته ،

ومن أن يكشف ذلك الشرّ النازل به عنه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) كذا في الأصل . ولعله « أطلعناك » ، أيكون فيه معنى العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لايسأمُ الإنسانُ من دُعاءِ الخبيرِ)
يقول : الكافر (وإن مسسه الشرُّ فيئسوس قسوط) قانط من الخير .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لايسأمُ الإنسانُ) قال :
لايمل . وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (لايسأمُ الإنسانُ من دُعاءِ بالخبيرِ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَيْتَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ، وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ، فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : ولئن نحن كشفنا عن هذا الكافر ما أصابه من سقم في نفسه وضر ، وشدة في معيشته
وجهد ، رحمة منا ، فوهبنا له العافية في نفسه بعد السقم ، ورزقناه مالا ، فوسعنا عليه في معيشته من بعد
الجهد والضر (لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي) عند الله ، لأن الله راض عنى برضاه عملي ، وما أنا عليه مقيم .
كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي) : أى بعملى ، وأنا محقوق
بهذا (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) يقول : وما أحسب القيامة قائمة يوم تقوم (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي)
يقول : وإن قامت أيضا القيامة ، ورُددت إلى الله حيا بعد مماتي (إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ) يقول : إن
لى عنده غنى ومالا .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ)
يقول : غنى (فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا) يقول تعالى ذكره : فلنخبرن هؤلاء الكفار
بالله ، المتمنين عليه الأباطيل يوم يرجعون إليه بما عملوا في الدنيا من المعاصي ، واجترحوا من السيئات ، ثم
لنجازين جميعهم على ذلك جزاءهم (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) وذلك العذاب الغليظ تخليدهم
في نار جهنم ، لا يموتون فيها ولا يحيون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُوذُعَاءٌ عَرِيضٍ (٥١)

يقول تعالى ذكره : وإذا نحن أنعمنا على الكافر ، فكشفنا ما به من ضر ، ورزقناه غنى وسعة ،

ووهبنا له صحة جسم وعافية ، أعرض عما دعوناه إليه من طاعته ، وصدّ عنه (وَنَأَى بِجَانِبِهِ) يقول :
وبعد من إجابتنا إلى مادعونا إليه ، ويعنى بجانبه : بناحيته .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ)
يقول : أعرض : صدّ بوجهه ، ونأى بجانبه : يقول : تباعد .
وقوله (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُودُ دُعَاءِ عَرِيضٍ) يعنى بالعريض : الكثير .
كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فَذُودُ دُعَاءِ عَرِيضٍ) يقول :
كثير ، وذلك قول الناس : أطال فلان الدعاء : إذا أكثر ، وكذلك أعرض دعاءه .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ، مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ؟ (٥٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد للمكذّبين بما جنّهم به من عند ربك
من هذا القرآن (أَرَأَيْتُمْ) أيها القوم (إِنْ كَانَتْ) هذا الذى تكذبون به (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ
بِهِ) ألسستم فى فراقٍ للحقّ وبعّد من الصواب ، فجعل مكان التفريق الخبر ، فقال : (مَنْ أَضَلُّ
مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) إذا كان مفهوما معناه .

وقوله (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) يقول : قل لهم من أشدّ ذهابا عن قصد السبيل ،
وأسلك لغير طريق الصواب ، ممن هو فى فراقٍ لأمر الله ، وخلاف له ، بعيد من الرشاد .

القول فى تأويل قوله تعالى

سُنُّرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ؟ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : سُنُّرِيهِمْ هؤلاء المكذّبين ما أنزلنا على محمد عبدنا من الذكر آياتنا فى الآفاق .
واختلف أهل التأويل فى معنى الآيات التى وعد الله هؤلاء القوم أن يرّيبهم ، فقال بعضهم : عنى
بالآيات فى الآفاق ، وقائع النّبى صلى الله عليه وسلم بنواحي بلد المشركين من أهل مكة وأطرافها ، ويقولون
(وَفِي أَنْفُسِهِمْ) فتح مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن أبى قيس ،
عن المنهال ، فى قوله (سُنُّرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ) قال : ظهور محمد صلى الله عليه وسلم على الناس .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (سُنِّيَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ) يقول :
مانفتح لك يا محمد من الآفاق (وفي أَنْفُسِهِمْ) في أهل مكة ، يقول : نفتح لك مكة .

وقال آخرون : عني بذلك أنه يريهم نجوم الليل وقمره ، وشمس النهار ، وذلك ما وعدهم أنه يريهم
في الآفاق . وقالوا : عني بالآفاق : آفاق السماء ، وبقوله (وفي أَنْفُسِهِمْ) سبيل الغائط والبول .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سُنِّيَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ
وَفِي أَنْفُسِهِمْ) قال : آفاق السموات : نجومها وشمسها وقمرها اللاتي يجيرين ، وآيات في أنفسهم أيضا .
وأولى القولين في ذلك بالصواب : القول الأول ، وهو ما قاله السدى ، وذلك أن الله عز وجل وعد
نبيه صلى الله عليه وسلم أن يري هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذبين ، آيات في الآفاق ، وغير معقول
أن يكون تهادهم بأن يريهم ما هم راعوه ، بل الواجب أن يكون ذلك وعدا منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا
رأوه قبل من ظهور نبي الله صلى الله عليه وسلم على أطراف بلدهم وعلى بلدهم ، فأما النجوم والشمس
والقمر ، فقد كانوا يرونها كثيرا قبل وبعد ، ولا وجه لهداهم بأنه يريهم ذلك .

وقوله (حَتَّى يَتَنَبَّسِينَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) يقول جل ثناؤه : أرى هؤلاء المشركين وقائعا بأطرافهم
وبهم ، حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا إلى محمد ، وأوحينا إليه ، من الوعد له بأننا مظهروا ما بعثناه به من الدين على
الأديان كلها ، ولو كره المشركون .

وقوله (أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) يقول تعالى ذكره : أو لم يكف بربك
يا محمد ، أنه شاهد على كل شيء مما يفعله خلقه ، لا يعزب عنه علم شيء منه ، وهو مجازيهم على أعمالهم ،
المحسن بالإحسان ، والمسيء بجزاءه .

وفي قوله (أَنَّهُ) وجهان : أحدهما : أن يكون في موضع خفض ، على وجه تكرير الباء ، فيكون معنى
الكلام حينئذ : أو لم يكف بربك ، بأنه على كل شيء شهيد ؛ والآخر : أن يكون في موضع رفع ، رفعا
بقوله : يكف ، فيكون معنى الكلام : أو لم يكف بربك شهادته على كل شيء .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ، أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ (٥٤) .

يقول تعالى ذكره : ألا إن هؤلاء المكذبين بأيات الله في شك من لقاء ربهم . يعنى أنهم في شك من
البعث بعد الممات ، ومعادهم إلى ربهم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ
رَبِّهِمْ) يقول : في شك .

وقوله (أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ) يقول تعالى ذكره : ألا إن الله بكل شيء مما خلق ، محيط علما بجميعه ، وقسرة عليه ، لا يعزب عنه علم شيء منه أراده فيفوته ، ولكنه المقتدر عليه ، العالم بمكانه .
آخر تفسير سورة حم السجدة ، والحمد لله وحده .

تفسير سورة حمسوق

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

حَمَّ (١) عَسَقَ (٢) كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)

قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في معاني حروف الهجاء التي افتتحت بها أوائل ما افتتح بها من سور القرآن ، وبيننا الصواب من قولهم في ذلك عندنا ، بشواهد المعنية عن إعادتها في هذا الموضع ، إذ كانت هذه الحروف نظيرة الماضية منها .

وقد ذكرنا عن حذيفة في معنى هذه خاصة قولاً ، وهو ما حدثنا به أحمد بن زهير ، قال : ثنا عبد الوهاب ابن نجدة الحوطي ، قال : ثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الحمصي ، عن أرطاة بن المنذر قال : جاء رجل إلى ابن عباس ، فقال له وعنده حذيفة بن اليمان ، أخبرني عن تفسير قول الله (حم . عسق) ، قال : فأطرق ، ثم أعرض عنه ، ثم كرر مقالته ، فأعرض فلم يجبه بشيء ، وكره مقالته ، ثم كررها الثالثة ، فلم يجبه شيئاً ، فقال له حذيفة : أنا أثبتك بها ، قد عرفت بمكرها ؛ نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله ، أو عبد الله ، ينزل على نهر من أنهار المشرق ، تبني عليه مدينتان ، يشق النهر بينهما شقاً ، فإذا أذن الله في زوال ملكهم ، وانقطاع دولتهم ومدتهم ، بعث الله على إحداهما ناراً ليلاً ، فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت ، كأنها لم تكن مكانها ، وتصبح صاحبها متعجبة كيف أفلتت ، فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم ، ثم يخسف الله بها وبهم جميعاً ، فذلك قوله (حم عسق) يعني : عزيمة من الله وفتنة وقضاء حم عين ، يعني عدلاً منه ، سين يعني سيكون ، وقاف يعني واقع بهاتين المدينتين .

وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه (حم سق) بغير عين ، ويقول : إن السين : عمر كل فرقة كائنة ، وإن القاف : كل جماعة كائنة ؛ ويقول : إن علياً إنما كان يعلم العين بها . وذكر أن ذلك في مصحف عبد الله ، على مثل الذي ذكر عن ابن عباس ، من قراءته من غير عين .

وقوله (كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول تعالى ذكره : هكذا يوحى إليك يا محمد وإلى الذين من قبلك من أنبيائه . وقيل : إن (حم عين سين) أوحيت إلى كل نبي بُعث ، كما أوحيت إلى نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قيل (كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ) في انتقامه من أعدائه (الحكيم) في تدبيره خلقه .

(١) عبد الله : هو ابن مسعود رضى الله عنه ، معلم أهل الكوفة القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ، أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥)
يقول تعالى ذكره : لله ملك ما في السموات وما في الأرض من الأشياء كلها (وهو العليُّ) يقول :
وهو ذو علوِّ وارتفاع على كل شيء ، والأشياء كلها دونه ، لأنهم في سلطانه ، جارية عليهم قدرته ،
ماضية فيهم مشيئته ، العظيم الذي له العظمة والكبرياء والخبرية .
وقوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) يقول تعالى ذكره : تكاد السموات يتشققن
من فوق الأرضين ، من عظمة الرحمن وجلاله .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) قال : يعني من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالى .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ
فَوْقِهِنَّ) : أي من عظمة الله وجلاله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ) قال :
يتشققن في قوله (مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : منشق به .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في
قوله (يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) يقول : يتصدعن من عظمة الله .

حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، قال : ثنا حسين بن محمد ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ،
قال : جاء رجل إلى كعب ، فقال : يا كعب أين ربنا؟ فقال له الناس : دق الله تعالى ، أفتسأل عن هذا؟
فقال كعب : دعوه ، فإن يك عالما ازداد ، وإن يك جاهلا تعلم ، سألت أين ربنا؟ وهو على العرش
العظيم متكئ ، واضع إحدى رجليه على الأخرى ، ومسافة هذه الأرض التي أنت عليها خمس مئة سنة ،
ومن الأرض إلى الأرض مسيرة خمس مئة سنة ، وكثافتها خمس مئة سنة ، حتى تم سبع أرضين ، ثم من
الأرض إلى السماء مسيرة خمس مئة سنة ، وكثافتها خمس مئة سنة ، والله على العرش متكئ ، ثم تفطر السموات .
ثم قال كعب : اقرءوا إن شئتم (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) . . . الآية .

وقوله (وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يقول تعالى ذكره : والملائكة يصلون بطاعة ربهم
وشكرهم له ، من هيبته وجلاله وعظمته .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :
(وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) قال : والملائكة يسبحون له من عظمته .
وقوله (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) يقول : ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الأرض من
أهل الإيمان به .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ
فِي الْأَرْضِ) قال : للمؤمنين ، يقول الله عز وجل : ألا إن الله هو الغفور لذنوب مؤمنى عباده ، الرحيم
بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا) يا محمد من مشركى قومك (مِنْ
دُونِ اللَّهِ) آلهة يتولونها ويعبدونها (اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ) يُحْصِي عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ ، ويحفظ أعمالهم ،
ليجازيهم بها يوم القيامة جزاءهم (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) يقول : ولست أنت يا محمد بالوكيل عليهم
يحفظ أعمالهم ، وإنما أنت منذر ، فبلغهم ما أرسلت به إليهم ، فإنما عليك البلاغ ، وعلينا الحساب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ

لَارَيْبَ فِيهِ ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّمِيرِ (٧)

يقول تعالى ذكره : وهكذا (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) بلسان العرب ، لأن الذين
أرسلت إليهم قوم عرب ، فأوحينا إليك هذا القرآن بالسنتهم ، ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره ، لأننا
لأنرسل رسولا إلا بلسان قومه ، ليبين لهم (لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى) وهى مكة (وَمَنْ حَوْلَهَا) يقول :
ومن حول أم القرى من سائر الناس .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، فى قوله (لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى)
قال : مكة .

وقوله ((وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ)) يقول عز وجل : وتنذر عقاب الله فى يوم الجمعة عباده لموقف
الحساب والعرض . وقيل : وتنذر يوم الجمعة ، والمعنى : وتنذرهم يوم الجمعة ، كما قيل : يخوف أوليائه ،
والمعنى : يخوفكم أوليائه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ) قال : يوم القيامة .

وقوله (لَارْيَبَ فِيهِ) يقول : لاشك فيه .

وقوله (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) يقول : منهم فريق فى الجنة ، وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله صلى الله عليه وسلم (وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) يقول : ومنهم فريق فى الموقدة من نار الله المسعورة على أهلها ، وهم الذين كفروا بالله ، وخالفوا ما جاءهم به رسوله .

وقد حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن أبى قبيل المغافرى عن شتى الأصبحى ، عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده كتابان ، فقال : هل تدرون ما هذان ؟ فقلنا : لا ، إلا أن تخبرنا يا رسول الله ، قال : هذان كتابان من رب العالمين ، فيه أسماء أهل الجنة ، وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم ، فلا يزد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ، وهذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم ، ثم أجمل على آخرهم ، فلا يزد ولا ينقص منهم أبداً ، قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ففيم إذن نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل سددوا وقاربوا ، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وإن عمل أى عمل ، وصاحب النار يختم له بعمل النار وإن عمل أى عمل ، فرغ ربكم من العباد . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فبندهما : فرغ ربكم من الخلق ، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير . قالوا : سبحان الله ، فلم نعمل وننصب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : العمل إلى خواتمه . »

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث وحيوة بن شريح ، عن يحيى بن أبى أسيد ، أن أبا فراس حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : إن الله تعالى ذكره لما خلق آدم نفسه نفص المزود ، فأخرج منه كل ذرية ، فخرج أمثال النعف ، فقبضهم قبضتين ، ثم قال : شتى وسعيد ، ثم ألقاهما ، ثم قبضهما ، فقال (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) .

قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن أبى شبيبويه ، حدثه عن ابن حنبل ، أنه بلغه أن موسى قال : يا رب خلقك الذين خلقتهم ، جعلت منهم فريقاً فى الجنة ، وفريقاً فى السعير ، لو ما أدخلتهم كلهم الجنة ؟ قال : يا موسى ارفع زرعك ، فرغ ، قال : قد رفعت ، قال : ارفع فرغ ، فلم يترك شيئاً ، قال : يا رب قد رفعت ، قال : ارفع ، قال : قد رفعت إلا ما لاخير فيه ، قال : كذلك أدخل خلقى كلهم الجنة إلا ما لاخير فيه . وقيل (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) فرغ . وقد تقدم الكلام قبل ذلك بقوله

(١) أجل : أى ذكر جملة عددهم فى آخر الكتاب .

(لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) بالنصب ، لأنه أريد به الابتداء ، كما يقال : رأيت العسكر : مقتول أو منهزم ، بمعنى : منهم مقتول ، ومنهم منهزم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ، وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ

مَنْ وَاوِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨)

يقول تعالى ذكره : ولو أراد الله أن يجمع خلقه على هدى ، وَيَجْعَلَهُمْ عَلَى ملة واحدة لفعل ، ولجعلهم أمة واحدة : يقول : أهل ملة واحدة ، وجماعة مجتمعة على دين واحد (وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) يقول : لم يفعل ذلك فيجعلهم أمة واحدة ، ولكن يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي رَحْمَتِهِ ، يعني أنه يُدْخِلُهُ فِي رَحْمَتِهِ بِتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُ لِلدُّخُولِ فِي دِينِهِ ، الذي ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَاوِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يقول : والكافرون بالله ما لهم من وَاوِيٍّ يتولاهم يوم القيامة ، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله حين يعاقبهم ، فينقذهم من عذابه ، ويقتص لهم من عاقبهم ، وإنما قيل هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، تسلية له عما كان يناله من الهمة بتولية قومه عنه ، وأمر له بترك إدخال المكروه على نفسه ، من أجل إدبار من أدبر عنه منهم ، فلم يستجب لما دعاه إليه من الحق ، وإعلاما له أن أمور عباده بيده ، وأنه الهادي إلى الحق من شاء ، والمضلل من أراد دونه ، ودون كل أحد سواه .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ، فَاللَّهُ هُوَ الْوَالِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩)

وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ، ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠)

يقول تعالى ذكره : أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله أولياء من دون الله يتولونهم (فَاللَّهُ هُوَ الْوَالِيُّ) : يقول : فالله هو ولي أوليائه ، وإياه فليتخذوا وليا ، لا الآلهة والأوثان ، ولا مالا يملك لهم ضرا ولا نفعا ، (وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى) يقول : والله يحيي الموتى من بعد مماتهم ، فيحشرهم يوم القيامة (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : والله القادر على إحياء خلقه من بعد مماتهم ، وعلى غير ذلك ، إنه ذو قدرة على كل شيء .

وقوله (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : وما اختلفتم أيها الناس فيه من شيء فتنازعتم بينكم ، فحكمه إلى الله : يقول : فإن الله هو الذي يقضى فيه بينكم ، ويفصل فيه الحكم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا

الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) قال ابن عمرو فى حديثه ، فهو يحكم فيه ، وقال الحارث : فالله يحكم فيه .
وقوله (ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) يقول لنبىه صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين بالله : هذا الذى هذه الصفات صفاته ربى ، لا آلهتكم التى تدعون من دونه ، التى لا تقدر على شىء (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) فى أمورى ، وإليه فوّضت أسبابى ، وبه وثقت (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) يقول : وإليه أرجع فى أمورى ، وأتوب من ذنوبى .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ، يَذُرُّكُمْ فِيهِ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)

يقول تعالى ذكره : (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، خالق السموات السبع والأرض .
كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال : خالق .

وقوله (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) يقول تعالى ذكره : زوجكم ربكم من أنفسكم أزواجا ؛ وإنما قال جل ثناؤه (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) لأنه خلق حواء من ضلع آدم ، فهو من الرجال (وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا) يقول جل ثناؤه : وجعل لكم من الأنعام أزواجا من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين ، ومن الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين ، ذكورا وإناثا ، ومن كل جنس من ذلك (يَذُرُّكُمْ فِيهِ) : يقول : يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم ، ويعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام .
وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (يَذُرُّكُمْ فِيهِ) فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معنى ذلك : يخلقكم فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يَذُرُّكُمْ فِيهِ) قال : نسل بعد نسل من الناس والأنعام .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (يَذُرُّكُمْ فِيهِ) قال : يخلقكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، فى قوله (يَذُرُّكُمْ فِيهِ) قال : نسلا بعد نسل من الناس والأنعام .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، أنه قال في هذه الآية (يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ) قال : يخلقكم .
وقال آخرون : بل معناه : يعيشتكم فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (جَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ) يقول : يجعل لكم فيه معيشة يعيشون بها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ) قال : يعيشتكم فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ) قال : عيش من الله يعيشتكم فيه . وهذان القولان وإن اختلفا في اللفظ من قائلهما ، فقد يحتمل توجيههما إلى معنى واحد ، وهو أن يكون القائل في معناه يعيشتكم فيه ، أراد بقوله ذلك : يحييكم بعيشكم به كما يحيي من لم يخلق بتكوينه إياه ، ونفخه الروح فيه حتى يعيش حيا . وقد بينت معنى ذرأ الله الخلق فيما مضى ، بشواهد المغنية عن إعادته . وقوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) فيه وجهان : أحدهما أن يكون معناه : ليس هو كشيء ، وأدخل المثل في الكلام ، توكيدا للكلام ، إذا اختلف اللفظ به وبالكاف ، وهما بمعنى واحد ، كما قيل :

ما إن نديت بشيء أنت تكبره^١

فأدخل على « ما » وهي حرف جحد « إن » وهي أيضا حرف جحد ، لاختلاف اللفظ بهما ، وإن اتفق معناه توكيدا للكلام ، وكما قال أوس بن حجر :

وقتلتي كمثل جندوع النخيل^٢ تغشاهم مسبيل^٣ مستهمير^٤

ومعنى ذلك : كجندوع النخيل ، وكما قال الآخر :

(١) هذا مصراع أول من بيت للنايفة الديراني . وعجزه :

إذن فتلا رفعت سوطي إلى يدي

(انظر مختار الشعر الجاهل بشرح مصطفى السقا طبعه الحلبي) ورواية الشعر الأول فيه « ما قلت من سبي . ما أتيت به » قال شارحه : إذا كنت قلت هذا الذي بلغك ، فشلت يدي حتى لا أطبق رفع السوط على خفته . وروى في اللسان والتاج كرواية المؤلف ، قال الزبيدي : يقال : ما نديت من فلان شيء أكرهه ، أي ما بلني ولا أصابي . وما نديت له كفي بشر ، وما نديت بشيء ومحل الشاهد في البيت عند المؤلف قوله « ما إن » حيث أدخل حرف النفي « ما » على حرف النفي « إن » لاختلاف لفظهما ، توكيدا للكلام . وهو نظير إدخال كاف التشبيه ، على كلمة « مثل » التي تفيد التشبيه ، في قوله تعالى « ليس كمثل شيء » ، لتوكيد الكلام ، لاختلاف اللفظين .

(٢) وهذا الشاهد من كلام أوس بن حجر التيمي ، وهو شاعر جاهل مشهور ، شاهد كالشاهد السابق ، أدخل فيه أداة التشبيه « الكاف » على أختها في المعنى « مثل » لاختلاف لفظهما ، توكيدا للكلام ، وهو نظير ما في قوله تعالى « ليس كمثل شيء » .

سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ إِذَا أَبْصَرْتَ فَضَلْتَهُمْ^١ ما إن كَثَلْتَهُمْ فِي النَّاسِ مِنْ أَحْسَدٍ^٢
والآخر : أن يكون معناه : ليس مثله شيء ، وتكون الكاف هى المدخلة فى الكلام ، كقول الراجز :

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤْتِنَفْسِينَ^٣

فأدخل على الكاف كافا توكيدا للتشبيه ، وكما قال الآخر :

تَنْفِيءِ الْغِيَادِيْقُ عَلَى الطَّرِيْقِ قَلَّصَ عَنِّ كَبَيْضَةَ فِي نَيْقِ^٤

فأدخل الكاف مع « عن » ، وقد بيننا هذا فى موضع غير هذا المكان ، بشرح هو أبلغ من هذا الشرح ، فلذلك تجوزنا فى البيان عنه فى هذا الموضع .

وقوله (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) يقول جل ثناؤه واصفا نفسه بما هو به ، وهو يعنى نفسه ، السميع لما تنطق به خلقه من قول ، البصير لأعمالهم ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، ولا يعزب عنه علم شيء منه ، وهو محيط بجميعه ، محص صغيره وكبيره (لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) من خير أو شر .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(١٢)

يعنى تعالى ذكره بقوله : (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) : له مفاتيح خزائن السموات والأرض ، وبيده مغاليق الخير والشر ومفاتيحها ، فما يفتح من رحمة فلا يمسك لها ، وما يمسك فلا يرسل له من بعده .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال : مفاتيح بالفارسية .

(١) لم أقف على قائل هذا البيت . وقد استشهد به المؤلف على إدخال أدق التشبيه (الكاف ، ومثل) معا على شيء واحد ، فهو فى معنى الشاهدين قبله .

(٢) هذا بيت من عدة أبيات من مشطور الراجز ، ينسب إلى خطام الجاشمى ، ونسبهما الجوهري فى الصحاح ، والصقل فى شرحه لأبيات الإيضاح للفارسي ، إلى هيمان بن قحافة . وبيت الشاهد آخرها بيتا . (انظر الأبيات فى هامش صفحة ٢٨٢ من الجزء الأول من سر صناعة الإعراب لابن جنى طبعها شركة مصطفى الباقى الحلبي وأولاده . وفيه : الصاليات : الأثافي التى توضع عليها القدور ، وقد صليت النار حتى اسودت . ويؤثفين : يعملن أثافي للقدور ، وهى جمع أثافية ، يقال أثفى القدر يثفيها : جعل لها أثافي . ومحل الشاهد قوله « ككفا » فإن الكاف الأولى حرف ، والثانية اسم بمعنى مثل . والمعنى : لم يبق إلا حجارة منصوبة كمثل الأثافي . واستشهد به المؤلف على دخول الكاف على الكاف ، لتوكيد الكلام .

(٣) لم أقف على قائل البيت . ولم يتضح لى معناه تماما ، ولعل فيه تحريفا من الناسخ . وموضع الشاهد فيه واضح ، وهو دخول « عن » على الكاف فى قوله « كبيضة » ، فلما أن تكون الكاف زائدة ، أى عن بيضة ؛ وإما أن تكون الكاف اسما بمعنى مثل فى محل جر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال : مفاتيح السموات والأرض . وعن الحسن بمثل ذلك .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال : خزائن السموات والأرض .

وقوله (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) يقول : يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه ، ويبسط له ، ويكثر ماله ويغنيه . (ويقدر) يقول : ويقتدر على من يشاء منهم ، فيضيقه ويفقره (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : إن الله تبارك وتعالى بكل ما يفعل ، من توسيعه على من يوسع ، وتقتيره على من يقتير ، ومن الذي يصلحه البسط عليه في الرزق ، ويفسده من خلقه ، والذي يصلحه التقتير عليه ويفسده ، وغير ذلك من الأمور ، ذو علم ، لا يخفى عليه موضع البسط والتقتير وغيره ، من صلاح تدبير خلقه .
يقول تعالى ذكره : فإلى من له مقاليد السموات والأرض الذي صفته ما وصفت لكم في هذه الآيات أيها الناس فارغبوا ، وإياه فاعبدوا ، مخلصين له الدين ، لا الأوثان والآلهة والأصنام ، التي لا تملك لكم ضرراً ولا نفعاً .

القول في تأويل قوله تعالى

* شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)

يقول تعالى ذكره : (شَرَعَ لَكُمْ) ربكم أميها الناس (مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا) أن يعمله . (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وشرع لكم من الدين الذي أوحينا إليك يا محمد ، فأمرناك به (وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) يقول : شرع لكم من الدين ، أن أقيموا الدين ، (قَرَأْنُ) إذ كان ذلك معنى الكلام . في موضع نصب على الترجمة بها عن « ما » التي في قوله (مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا) . ويجوز أن تكون في موضع خفض رداً على الهاء التي في قوله (بِهِ) ، وتفسيرا عنها ، فيكون معنى الكلام حينئذ : شرع لكم من الدين ما وصَّىٰ به نوحا ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . وجائز أن تكون في موضع رفع على الاستئناف ، فيكون معنى الكلام حينئذ : شرع لكم من الدين ما وصَّىٰ به ، وهو أن أقيموا الدين . وإذ كان معنى الكلام ما وصفت ، فمعلوم أن الذي أوصىٰ به جميع هؤلاء الأنبياء وصية واحدة ، وهي إقامة الدين الحق ، ولا تتفرقوا فيه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما وَصَّى بِهِ نُوحًا) قال : ما أوصاك به وأنبياءه ، كلهم دين واحد .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحًا) قال : هو الدين كله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحًا) بَعِثَ نُوحَ حِينَ بَعَثَ بِالشَّرِيعَةِ بِتَحْلِيلِ الحَلالِ ، وَتَحْرِيمِ الحَرَامِ (وَما وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحًا) قال : الحلال والحرام .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قوله (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحًا) . . . إلى آخر الآية ، قال : حَسْبُكَ ما قِيلَ لَكَ . وَعُنَى بِقَوْلِهِ (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) أَنْ اءَمَلُوا بِهِ عَلَى ما شَرَعَ لَكُمْ وَفَرَضَ ، كما قد بينا فيما مضى قَبْلُ فى قوله (أَقِيمُوا الصَّلَاةَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) قال : اءَمَلُوا بِهِ .

وقوله (وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) يقول : وَلَا تَخْتَلَفُوا فى الدين الذى أُمِرْتُمْ بِالقيامِ بِهِ ، كما اءَخْتَلَفَ الأَحزابُ مِنْ قَبْلِكُمْ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) : تَعَلَّمُوا أَنْ الفُرْقَةُ هَلَكَةٌ ، وَأَنْ الجَماعَةُ ثِقَةٌ .

وقوله (كَسَّبَ عَلَى المُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم كَبَرَ عَلَى المُشْرِكِينَ بِاللَّهِ مِنْ قَوْمِكَ يا مُحَمَّدُ ، ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ إِخْلاصِ العِبادةِ لِلَّهِ ، وَإِفْرادِهِ بِالألوهيةِ ، والبراءةِ مِمَّا سِوَاهِ مِنَ الأَلْهَةِ والأَنْدَادِ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَسَّبَ عَلَى المُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) قال : أَنْكَرها المُشْرِكُونَ ، وَكَبَّرُ عَلَيْهِمُ شَهادَةَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ ، فَصادَمَها إبليسُ وجنوده ، فَأبى اللهُ تبارك وتعالى إِلاَّ أَنْ يُمَضِّبَها وَيُنصِرَها وَيُقَلِّبَها وَيظْهَرها على مَنْ ناوَأَها .

وقوله (اللَّهُ يُجْتَنِبِي إِلَيْهِ مَنْ يُشَاءُ ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) يقول : الله يصطفى إليه من يشاء من خلقه ، ويختار لنفسه وولايته من أحب .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (اللَّهُ يُجْتَنِبِي إِلَيْهِ مَنْ يُشَاءُ ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) يقول : ويوفق للعمل بطاعته ، واتباع ما بعث به نبيه عليه الصلاة والسلام من الحق ، من أقبل إلى طاعته ، وراجع التوبة من معاصيه .
كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) : من يقبل إلى طاعة الله .

وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْرثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُّرِيبٍ (١٤)

يقول تعالى إذكره : وما تفرق المشركون بالله في أديانهم ، فصاروا أحزابا ، إلا من بعد ما جاءهم العلم ، بأن الذي أمرهم الله به ، وبعث به نوحا ، هو إقامة الدين الحق ، وأن لا تفرقوا فيه .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) فقال : إياكم والفرقة فإنها هلكة (بَغْيًا بَيْنَهُمْ) يقول : بغيا من بعضكم على بعض ، وحسدا وعداوة على طلب الدنيا (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول جل ثناؤه : ولولا قول سبق يا محمد من ربك لا يعاجلهم بالعذاب ، ولكنه أخر ذلك إلى أجل مسمى ، وذلك الأجل المسمى فيما ذكر : يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) قال : يوم القيامة .
وقوله (لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ) يقول : لفرغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين في الحق الذي بعث به نبيه نوحا من بعد علمهم به ، بإهلاكه أهل الباطل منهم ، وإظهاره أهل الحق عليهم .
وقوله (وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْرثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ) يقول : وإن الذين أتاهم الله من بعد هؤلاء

المختلفين فى الحق كتابه التوراة والإنجيل (لَسِنِي شَكَّ مِنْهُ مُرِيْبٌ) يقول : لنى شكّ من الدين الذى وصّى الله به نوحا . وأوحاه إليك يا محمد ، وأمر كما بإقامته ، مريب .
وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْرِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) قال : أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْرِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) قال : اليهود والنصارى .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاُسْتَقِمْ كَمَا أَمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ،
وَأَمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ، لَنَأَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ، لِأَحْجَّةَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ ، اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥)

يقول تعالى ذكره : فإلى ذلك الدين الذى شرّح لكم ، ووصّى به نوحا ، وأوحاه إليك يا محمد ، فادع
عباد الله ، واستقم على العمل به ، ولا تنزع عنه ، واثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة . وقيل : فلذلك
فادع ، والمعنى : فإلى ذلك ، فوضعت اللام موضع إلى ، كما قيل : (بَيَانَ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا) ، وقد بينّا
ذلك فى غير موضع من كتابنا هذا .

وكان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك ، فى قوله (فَلِذَلِكَ فَادَعُ) إلى معنى هذا ، ويقول : معنى
الكلام : فإلى هذا القرآن فادع واستقم ، والذى قال من هذا القول قريب المعنى مما قلناه ، غير أن الذى قلنا
فى ذلك أولى بتأويل الكلام ، لأنه فى سياق خبر الله جلّ ثناؤه ، عما شرّح لكم من الدين ، لنبه محمد صلى الله
عليه وسلم بإقامته ، ولم يأت من الكلام ما يدل على انصرافه عنه إلى غيره .

وقوله (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) يقول تعالى ذكره : ولا تتبع يا محمد أهواء الذين شكّوا فى الحقّ
الذى شرّعه الله لكم ، من الذين أورثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم ، فتشكّ فيه ، كالذى شكّوا
فيه ، (وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ) يقول تعالى ذكره : وقل لهم يا محمد : صدقت بما أنزل الله
من كتاب . كائنا ما كان ذلك الكتاب ، توراة كان أو إنجيلا أو زبوراً أو صحف إبراهيم ، لا أكذب بشيء
من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب ، وتصديتكم ببعض .

وقوله (وَأَمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) يقول تعالى ذكره : وقل لهم يا محمد :
وأمرنى ربى أن أعدل بينكم معشر الأحزاب ، فأسير فيكم جميعا بالحقّ الذى أمرنى به ، وبعثنى بالدعاء إليه .
كالذى حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَمِرْتُ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمْ) قال : أمر نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أن يعدل ، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه ،

والعدل ميزان الله في الأرض ، به يأخذ للمظلوم من الظالم ، وللضعيف من الشديد ، وبالعدل يصدق الله الصادق ، ويكذب الكاذب ، وبالعدل يرد المعتدى ويؤنبه .

ذكر لنا أن نبي الله داود عليه السلام ، كان يقول : ثلاث من كنّ فيه أعجبنى جدا : القصد في الفاقة والغنى ، والعدل في الرضا والغضب ، والخشية في السرّ والعلانية . وثلاث من كنّ فيه أهلكنّه : شحّ مطاع ، وهوى متبّع ، وإعجاب المرء بنفسه . وأربع من أعطيهنّ فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : لسان ذاكراً ، وقلب شاكراً ، وبدن صابراً ، وزوجة مؤمنة .

واختلف أهل العربية في معنى اللام التي في قوله (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) فقال بعض نحويّ البصرة : معناها : كفى ، وأمرت كفى أعدل ؛ وقال غيره : معنى الكلام : وأمرت بالعدل ، والأمر واقع على ما بعده ، وليست اللام التي في لأعدل بشرط ؛ قال : (وَأُمِرْتُ) تقع على « أن » وعلى « كفى » و« اللام » أمرت أن أعبد ، وكفى أعبد ، ولأعبد . قال : وكذلك كلّ ما طالب الاستقبال ، ففيه هذه الأوجه الثلاثة . والصواب من القول في ذلك عندي : أن الأمر عامل في معنى لأعدل ، لأن معناه : وأمرت بالعدل بينكم . وقوله (اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) يقول : الله مالكنّا ومالككم معشر الأحزاب من أهل الكتابين التوراة والإنجيل (لَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ) يقول : لنا ثواب ما اكتسبناه من الأعمال ، ولكم ثواب ما اكتسبتم منها .

وقوله (لَأَحْجُجَنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ) يقول : لا خصومة بيننا وبينكم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لَأَحْجُجَنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ) قال : لا خصومة . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله عزّ وجلّ : (لَأَحْجُجَنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ) : لا خصومة بيننا وبينكم ، وقرأ (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) . . . إلى آخر الآية .

وقوله (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا) يقول : الله يجمع بيننا يوم القيامة ، فيقضى بيننا بالحقّ فيما اختلفنا فيه ؛ (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) يقول : وإليه المعاد والمرجع بعد مماتنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَحَابُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ

وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦)

يقول تعالى ذكره : والذين يحابون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ما استجاب له الناس ، فدخلوا فيه من الذين أورثوا الكتاب (حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ) يقول : خصومتهم

التي يخاصمون فيه، باطلة ذاهبة عند ربهم (وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ) يقول: وعليهم من الله غضب، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو عذاب النار.

وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود، خاصموا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في دينهم، وطمعوا أن يصدّوهم عنه، ويردّوهم عن الإسلام إلى الكفر.
ذكر الرواية عن ذلك عنه

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ، وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) قال: هم أهل الكتاب، كانوا يجادلون المسلمين، ويصدّونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله. وقال: هم أهل الضلالة، كان استجيب لهم على ضلالتهم، وهم يربصون بأن تأتيهم الجاهلية.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ) قال: طمع رجال بأن تعود الجاهلية.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد، أنه قال في هذه الآية (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ) قال: بعد ما دخل الناس في الإسلام.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال: هم اليهود والنصارى، قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ) . . . الآية، قال: هم اليهود والنصارى حاجّوا أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن أولى بالله منكم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ) . . . إلى آخر الآية، قال: نهاه عن الخصومة.

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ، أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لِي ضَلُّلٍ بَعِيدٍ (١٨)

يقول تعالى ذكره : (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ) هذا (الْكِتَابَ) يعنى القرآن (بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ) يقول :
وأُنزِلَ المِيزان وهو العدل ، ليقضى بين الناس بالإنصاف ، ويحكم فيهم بحكم الله الذى أمر به فى كتابه .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ)
قال : العدل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ) قال : الميزان : العدل .

وقوله (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ) يقول تعالى ذكره : وأى شىء يدريك ويعلمك ، لعل
الساعة التى تقوم فيها القيامة قريب ، (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) : يقول : يستعجلك
يا محمد بمجيئها الذين لا يوقنون بمجيئها ، ظنا منهم أنها غير جائية (وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا)
يقول : والذين صدقوا بمجيئها ، ووعده الله إياهم الحشر فيها . (مشفقون منها) : يقول : ويحبون من مجيئها ،
خائفون من قيامها ، لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم فيها (وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) يقول : ويوقنون
أن مجيئها الحق اليقين ، لا يمترون فى مجيئها (أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ) يقول تعالى ذكره :
ألا إن الذين يخاصمون فى قيام الساعة ويجادلون فيه (لَسَى ضَلَالٌ بَعِيدٌ) يقول : لى جنور عن طريق
الهدى ، وزيف عن سبيل الحق والرشاد ، بعيد من الصواب .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ
نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠)
يقول تعالى ذكره : الله ذو لطف بعباده ، يرزق من يشاء ، فيوسع عليه ، ويقتر على من يشاء منهم (وهو
القوى) الذى لا يغلبه ذؤأيد لشدة ، ولا يمتنع عليه إذا أراد عقابه بقدرته (العزيز) فى انتقامه إذا انتقم من
أهل معاصيه (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) يقول تعالى ذكره : من كان يريد
بعملة الآخرة نزيد له فى حرضه : يقول : نزيد له فى عمله الحسن ، فنجعل له بالواحدة عشرة ، إلى ما شاء ربنا من
الزيادة (وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) يقول : ومن كان يريد بعملة الدنيا ، ولما يسعى
لا للآخرة ، نُؤْتِهِ مِنْهَا مَا قَسَمْنَا لَهُ مِنْهَا (وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) يقول : وليس لمن طلب بعملة
الدنيا ، ولم يرد الله به ، فى ثواب الله لأهل الأعمال التى أرادوه بأعمالهم فى الدنيا حظاً .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) . . . إلى (وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) قال : يقول : من كان إنما يعمل للدينا نؤته منها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا) . . . الآية ، يقول : من آثر دنياه على آخرته ، لم نجعل له نصيبا فى الآخرة إلا النار ، ولم نزره بذلك من الدنيا شيئا ، إلا رزقا قد فرغ منه ، وقسم له .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) قال : من كان يريد الآخرة وعملها نزل له فى عمله (وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) . . . إلى آخر الآية ، قال : من أراد الدنيا وعملها آتيناها منها ، ولم نجعل له فى الآخرة من نصيب . الحرت : العمل . من عمل للآخرة أعطاه الله ، ومن عمل للدنيا أعطاه الله .

حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) قال : من كان يريد عمل الآخرة نزل له فى عمله . وقوله (وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) قال : للكافر عذاب أليم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ، وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّى بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١)

يقول تعالى ذكره : أم هؤلاء المشركين بالله شركاء فى شركهم وضلالهم (شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ) يقول : ابتدعوا لهم من الدين ما لم يبيح الله لهم ابتداعه (وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّى بَيْنَهُمْ) يقول تعالى ذكره : ولولا السابق من الله ، فى أنه لا يعجل لهم العذاب فى الدنيا ، وأنه مضى من قبله أنهم مؤخرون بالعقوبة إلى قيام الساعة ، لفرغ من الحكم بينكم وبينهم ، بتعجيلنا العذاب لهم فى الدنيا ، ولكن لهم فى الآخرة من العذاب الأليم ، كما قال جل ثناؤه (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجه .

القول فى تأويل قوله تعالى

تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ، لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ترى يا محمد الكافرين بالله يوم القيامة (مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا) يقول : وَجَلِيلِينَ خَائِفِينَ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ عَلَى مَا كَسَبُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْحَبِيثَةِ (وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ) يقول : والذين هم مشفقون منه من عذاب الله نازل بهم ، وهم ذائقوه لاحمالة .

وقوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) يقول تعالى ذكره : والذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر ونهى في الدنيا في رَوْضَاتِ البساتين في الآخرة . ويعنى بالرَّوْضَاتِ : جمع روضة ، وهى المكان الذى يكثُر نبتة ، ولا تقول العرب لمواضع الأشجار رياض ؛ ومنه قول أبي النجم :
وَالنَّغْصُ مِثْلُ الْأَجْرَبِ الْمُدَّجَلِّ حَدَائِقِ الرَّوْضِ الَّتِي لَمْ تُحَلَّلْ أ
يعنى بالروض : جمع روضة . وإنما عنى جل ثناؤه بذلك : الخبر عما هم فيه من السرور والنعيم .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) إلى آخر الآية . قال فى رياض الجنة ونعيمها .

وقوله (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول للذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم فى الآخرة ما تشبهه أنفسهم ، وتلذذه أعينهم ، ذلك هو الفضل الكبير ، يقول تعالى ذكره : هذا الذى أعطاهم الله من هذا النعيم ، وهذه الكرامة فى الآخرة : هو الفضل من الله عليهم ، الكبير الذى يفضل كل نعيم وكرامة فى الدنيا من بعض أهلها على بعض .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : هذا الذى أخبرتكم أيها الناس أنى أعددته للذين آمنوا وعملوا الصالحات فى الآخرة من النعيم والكرامة ، البشرى التى يبشر الله عباده الذين آمنوا به فى الدنيا ، وعملوا بطاعته فيها (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للذين يمارونك فى الساعة من

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز ، لأبي النجم الفضل بن قدامة العجلي ، والأرجوزة يتأماها فى مجلة المجمع العلمى (مجلد ٨ : ٤٧٢) . وروى البيت الأول منهما وقصره ابن قتيبة فى كتابه (المعاني الكبير ، طبع الهند ٣٣٢ - ٣٣٣) والنغص من أسماء الظليم ، لأنه يحرك رأسه إذا عدا . والمدجل : المهتوه بالقطران . وشبهه بالأجرب ، لأنه قد أسن وذهب ريشه من أرفاغه . وفى (اللسان : دجل) : شدة طل الحزب بالقطران . والمدجل : المهتوه بالقطران . ونغص برأسه ينغص نغصا : حركه . وإنما سمي الظليم نغصا ، لأنه إذا عجل فى مشيته ارتفع وانخفص . h . والنغص منصوب بالفعل « راعت » فى البيت قبله ، أى راقبته ونظرت إليه . والحدايق : جمع حديقة ، وهى القطعة من الزرع ؛ وكل بستان كان عليه حائط فهو حديقة . وما لم يكن عليه حائط ، لم يقل له حديقة . وقال الزجاج : الحدايق البساتين والشجر المتلف . وحدايق الروض : ما أعشب منه والتف . يقال : روضة بين فلان ما هى إلا حديقة . وإذا لم يكن فيها عشب فهى روضة (اللسان : حدق) ونصب قوله حدايق . بقوله « تنقلت من أول التبلق » وهو بيت فى أول الأرجوزة . والتى لم تحلل : التى لم توطأ ولم ترعها الحيوانات ، فيقل نبتها .

مشركي قومك : لأسألكم أيها القوم على دعائيتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم به ، والنصيحة التي أنصحكم ، ثوابا وجزاء وعضوا من أموالكم تعطونني (إلا المودّة في القرّبي) .
واختلف أهل التأويل في معنى قوله (إلا المودّة في القرّبي) فقال بعضهم : معناه : إلا أن تودّوني في قرابتي منكم ، وتصلوا رحمى بيني وبينكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ويعقوب ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن ابن عباس ، في قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قرابة ، فقال : قل لأسألكم عليه أجرا إلا أن تودّوني في القرابة التي بيني وبينكم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس ، في قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : سئل عنها ابن عباس ، فقال ابن جبير : هم قرّبي آل محمد ، فقال ابن عباس : عجلت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من بطون قريش إلا وله فيهم قرابة ، قال : فنزلت (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : إلا القرابة التي بيني وبينكم أن تصلوها .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة في جميع قريش ، فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه ، قال : يا قوم إذ أبيتم أن تبايعوني فاحفظوا قرابتي فيكم ، لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظي ونصرتي منكم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ، قال لقريش : لأسألكم من أموالكم شيئا ، ولكن أسألكم أن لا تؤذوني ، لقرابة ما بيني وبينكم ، فإنكم قومي وأحقّ من أطاعني وأجابني .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عكرمة ، قال : « إن النبي صلى الله عليه وسلم كان واسطا في قريش ، كان له في كل بطن من قريش نسب ، فقال : لأسألكم على ما أدعوكم إليه إلا أن تحفظوني في قرابتي ، قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبي مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسطا النسب من قريش ، ليس حتى من أحياء قريش إلا وقد ولدوه ، قال : فقال الله عزّ وجلّ : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) : إلا أن تودّوني لقرابتي منكم وتحفظوني .

حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن أبي مالك في هذه الآية (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم ، وأمّه من بني زهرة ، وأم أبيه من بني مخزوم ، فقال : احفظوني في قرابتي .
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا حرمي ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عمارة ، عن عكرمة ، في قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : تعرفون قرابتي ، وتصدقوني بما جئت به ، وتمنعوني .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) وإن الله تبارك وتعالى أمر محمدا صلى الله عليه وسلم أن لا يسأل الناس على هذا القرآن أجرا إلا أن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة ، وكل بطون قريش قد ولدته ، وبينه وبينهم قرابة .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) : أن تبعوني ، وتصدقوني وتصلوا رحمي .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : لم يكن بطن من بطون قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ولادة ، فقال : قل لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني لقرابتي منكم .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) يعني قريشا . يقول : إنما أنا رجل منكم ، فأعينوني على عدوتي ، واحفظوا قرابتي ، وإن الذي جئتكم به لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ، أن تودوني لقرابتي ، وتعينوني على عدوتي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال يقول : إلا أن تودوني لقرابتي ، كما تودون في قرابتكم ، وتواصلون بها ، ليس هذا الذي جئت به يقطع ذلك عني ، فلست أبتغي على الذي جئت به أجرا أخذه على ذلك منكم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني سعيد بن أبي أيوب ، عن عطاء بن دينار ، في قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) يقول : لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا ، إلا أن تودوني في قرابتي منكم ، وتمنعوني من الناس .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : كل قريش كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ، فقال : قل لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني بالقرابة التي بيني وبينكم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قل لمن تبعك من المؤمنين : لا أسألكم على ما جئتمكم به أجرا، إلا أن تودوا قرابتي .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن نحمارة، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، قال : ثنا الصباح بن يحيى المرزى ، عن السدى ، عن أبي الديلم ، قال : لما جىء بعلى بن الحسين رضى الله عنهما أسيرا ، فأقيم على درج دمشق ، قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم ، وقطع قرى بني الفتنه ، فقال له على بن الحسين رضى الله عنه : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : أقرأت آل حم ؟ قال : قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم ، قال : ما قرأت (قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى) قال : وإنكم لأنتم هم ؟ قال : نعم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا عبد السلام ، قال : ثنا يزيد بن أبي زياد ، عن ميسم ، عن ابن عباس ، قال : « قالت الأنصار : فعلنا وفعلنا ، فكأنهم فخرُوا ، فقال ابن عباس ، أو العباس ، شك عبد السلام : لنا الفضل عليكم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتاهم في مجالسهم ، فقال : يا معشر الأنصار ، ألم تكونوا أذلة فاعزكم الله بي ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : أفلا تجيبوني ؟ قالوا : ما نقول يارسول الله ؟ قال : ألا تقولون : ألم يخرجك قومك فآويناك ، ألم يكذبوك فصددتنا ، ألم يخذلوك فنصرتنا ؟ قال : فما زال يقول حتى جشوا على الركب ، وقالوا : أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله ، قال : فنزلت (قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى) » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا مروان ، عن يحيى بن كثير ، عن أبي العالية ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى) قال : هي قرى رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدثني محمد بن نحمارة الأسدى ومحمد بن خلف ، قالا : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق قال : سألت عمرو بن شعيب ، عن قول الله عز وجل (قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى) قال : قرى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قل لا أسألكم أيها الناس على ما جئتمكم به أجرا، إلا أن تودوا إلى الله، وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثني على بن داود ومحمد بن داود أخوه أيضا قالا : ثنا عاصم بن على ، قال : ثنا قرعة بن سويد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « (قل لا أسألكم على ما أتيتكم به من البينات والهدى أجرًا ، إلا أن تودوا لله ، وتتقربوا إليه بطاعته) » . حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن ، أنه قال في هذه الآية (قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى) قال : القربى إلى الله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : إلا التقرب إلى الله ، والتودد إليه بالعمل الصالح .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن ، في قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قل لا أسألكم على ما اجتتكم به ، وعلى هذا الكتاب أجرا ، إلا المودة في القربى ، إلا أن توددوا إلى الله بما يقربكم إليه ، وعمل بطاعته .
 قال بشر : قال يزيد : وحدثني يونس ، عن الحسن ، حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) إلا أن توددوا إلى الله فيما يقربكم إليه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إلا أن تصلوا قرابتكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن عبد الله بن القاسم ، في قوله (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : أمرت أن تصل قرابتك .
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، وأشبهها بظاهر التنزيل : قول من قال : معناه : قل لا أسألكم عليه أجرا بامعشر قريش ، إلا أن توددوا في قرابتي منكم ، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم .
 وإنما قلت هذا التأويل أولى بتأويل الآية ، لدخول « في » في قوله (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ، ولو كان معنى ذلك على ما قاله من قال : إلا أن توددوا قرابتي ، أو تقرّبوا إلى الله ، لم يكن لدخول « في » في الكلام في هذا الموضع وجه معروف ، ولكان التنزيل : إلا مودة القربى ، إن عني به الأمر بمودة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو إلا المودة بالقربى ، أو ذا القربى إن عني به التودد والتقرب . وفي دخول « في » في الكلام ، أوضح الدليل على أن معناه : إلا مودتي في قرابتي منكم ، وأن الألف واللام في المودة ، أدخلتا بدلا من الإضافة ، كما قيل (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) . وقوله « إلا » في هذا الموضع استثناء منقطع .
 ومعنى الكلام : قل لا أسألكم عليه أجرا ، لكني أسألكم المودة في القربى ، فالمودة منصوبة على المعنى الذي ذكرت . وقد كان بعض نحوي البصرة يقول : هي منصوبة بمضمرة من الفعل ، بمعنى : إلا أن أذكر مودة قرابتي .
 وقوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ نَجِّنْهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ الْمَمْنُونِ) يقول تعالى ذكره : ومن يعمل حسنة ، وذلك أن يعمل عملا يطيع الله فيه من المؤمنين (نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) يقول : نضاعف عمله ذلك الحسن ، فنجعل له مكان الواحد عشرًا إلى ما شئنا من الجزاء والثواب .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قول الله عز وجل (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ نَجِّنْهُ) قال : يعمل حسنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَمَنْ يَنْفِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) فى قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) .
 وقوله (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) يقول : إن الله غفور لذنوب عباده ، شكور لحسناتهم وطاعتهم إياه .
 كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) للذنوب (شَكُورٌ)
 للحسنات يضاعفها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ)
 قال : غفر لهم الذنوب ، وشكر لهم نعماء هو أعطاهم إياها ، وجعلها فيهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يُخَيِّمِ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ، وَيُحِقُّ
 الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : أم يقول هؤلاء المشركون بالله : (افْتَرَىٰ) محمد (على الله كذبا) فجاء بهذا
 الذى يتلوه علينا اختلافا من قبيل نفسه . وقوله (فَإِن يَشَأِ اللَّهُ) يا محمد يطبع على قلبك ، فتنس هذا
 القرآن الذى أنزل إليك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ،
 فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يُخَيِّمِ عَلَىٰ قَلْبِكَ) . فينسبك القرآن .
 حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يُخَيِّمِ
 عَلَىٰ قَلْبِكَ) قال : إن يشأ أنساك ما قد أتاك .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قول الله عز وجل (فَإِن يَشَأِ اللَّهُ
 يُخَيِّمِ عَلَىٰ قَلْبِكَ) قال : يطبع .

وقوله (وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ) يقول : ويذهب الله بالباطل فيمحقه (وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) التى
 أنزلها إليك يا محمد ، فيثبتها .

وقوله (وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ) فى موضع رفع بالابتداء ، ولكنه حذف منه الواو فى المصحف ، كما
 حذف من قوله (سَنَدُّعُ الزَّبَانِيَةِ) ، ومن قوله (وَيَدُّعُ الْإِنْسَانَ بِالْثَّرِّ) وليس يجزم على العطف
 على يختم .

وقوله (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما فى صدور خلقه ، وما

تطوى عليه ضمائرهم ، لا يخفى عليه من أمورهم شيء ، يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذبا ، لطبعت على قلبك ، وأذهبت الذي آتيتك من وحي ، لأني أحو الباطل فأذهب ، وأحق الحق ، وإنما هذا إخبار من الله الكافرين به ، الزاعمين أن محمدا افتري هذا القرآن من قبل نفسه ، فأخبرهم أنه إن فعل لفعل به ما أخبر به في هذه الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : والله الذي يقبل مراجعة العبد إذا رجع توحيد الله وطاعته من بعد كفره ، (وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) يقول : ويعفو له أن يعاقبه على سيئاته من الأعمال ، وهي معاصيه التي تاب منها (وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة (تَفْعَلُونَ) بالياء ، بمعنى : ويعلم ما يفعل عباده ، وقراءته عامة قراء الكوفة (تَفْعَلُونَ) بالياء على وجه الخطاب .

والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن الياء أعجب إلى ، لأن الكلام من قبل ذلك جرى على الخبر ، وذلك قوله (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) ويعني جل ثناؤه بقوله (وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) : ويعلم ربكم أيها الناس ما تفعلون من خير وشر ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو مجازيكم على كل ذلك جزاءه ، فاتقوا الله في أنفسكم ، واحذروا أن تركبوا ما تستحقون به منه العقوبة .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق بن يوسف ، عن شريك عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم النخعي ، عن همام بن الحارث ، قال : أتينا عبد الله نسأله عن هذه الآية (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) قال : فوجدنا عنده أناسا أو رجلا يسألونه عن رجل أصاب من امرأة حراما ، ثم تزوجها ، ففلا هذه الآية (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ

شَدِيدٌ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : ويجيب الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله به ، وانتهوا عما نهاهم عنه ، لبعضهم دعاء بعض .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان ، قال : ثنا الأعمش ، عن شقيق بن سلمة ، عن سلمة بن سبرة ، قال : خطبنا معاذ ، فقال : أنتم المؤمنون ، وأنتم أهل الجنة ، والله إني لأرجو أن من تصيبون من فارس والروم يدخلون الجنة ، ذلك بأن أحدهم إذا عمل لأحدكم العمل قال : أحسنت رحمك الله ، أحسنت غفر الله لك ، ثم قرأ (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) .
وقوله (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) يقول تعالى ذكره : ويزيد الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع إجابته إياهم دعاءهم ، وإعطائه إياهم مسألهم من فضله ، على مسألهم إياه ، بأن يعطيهم ما لم يسألوه . وقيل : إن ذلك الفضل الذى ضمن جل ثناؤه أن يزيد لهم ، هو أن يشفعهم فى إخوان إخوانهم إذا هم شفعوا فى إخوانهم ، فشفعوا فيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبيد الله بن محمد الفيرباني ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن إبراهيم النخعي ، فى قول الله عز وجل (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) قال : يشفعون فى إخوانهم ، ويزيدهم من فضله ، قال : يشفعون فى إخوان إخوانهم .
وقوله (وَالْكَافِرُونَ لَكُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) يقول جل ثناؤه : والكاferون بالله لهم يوم القيامة عذاب شديد على كفرهم به .

واختلف أهل العربية فى معنى قوله (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا) فقال بعضهم : أى استجاب فجعلهم هم الفاعلين ، فالذين فى قوله رفع ، والفعل لهم . وتأويل الكلام على هذا المذهب : واستجاب الذين آمنوا وعملوا الصالحات لربهم إلى الإيمان به ، والعمل بطاعته إذ دعاهم إلى ذلك .
وقال آخر منهم : بل معنى ذلك : ويجيب الذين آمنوا . وهذا القول يحتمل وجهين : أحدهما الرفع ، بمعنى : ويجيب الله الذين آمنوا . والآخر ما قاله صاحب القول الذى ذكرنا .

وقال بعض نحوئى الكوفة (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا) يكون « الذين » فى موضع نصب بمعنى : ويجيب الله الذين آمنوا . وقد جاء فى التنزيل (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ) والمعنى : فأجاب لهم ربهم ، إلا أنك إذا قلت استجاب ، أدخلت اللام فى المفعول ؛ وإذا قلت أجاب حذف اللام ، ويكون استجابهم ، بمعنى : استجاب لهم ، كما قال جل ثناؤه (وَإِذْ آكَالُوهُمْ وَأُوزِنُوهُمْ) ، والمعنى والله أعلم : وإذا كالوا لهم ، أو وزنوا لهم (يُخْسِرُونَ) . قال : ويكون « الذين » فى موضع رفع إن يجعل الفعل لهم ، أى الذين آمنوا يستجيبون لله ، ويزيدهم على إجابتهم ، والتصديق به من فضله . وقد بينا الصواب فى ذلك من القول على ما تأوله معاذ ومن ذكرنا قوله فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

* وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ

خَبِيرٌ بِصِيرٌ (٢٧)

ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل قوم من أهل الفاقة من المسلمين تمنوا سعة الدنيا والغنى ، فقال جل ثناؤه : ولو بسط الله الرزق لعباده ، فوسعه وكثره عندهم لبغوا ، فتجاوزوا الحد الذي حده الله لهم ، إلى غير الذي حده لهم في بلاده ، بركوبهم في الأرض ما حظّره عليهم ، ولكنه ينزل رزقهم بقدر كفايتهم الذي يشاء منه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال أبو هاني : سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون : إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ) ذلك بأنهم قالوا : لو أن لنا ، فتمنّوا .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، قال : ثنا حيوة ، قال أخبرني أبو هاني ، أنه سمع عمرو بن حريث يقول : إنما نزلت هذه الآية ، ثم ذكر مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ) الآية . . . قال : كان يقال : خير الرزق ما لا يطغيك ولا يلهيك .

وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي زَهْرَةُ الدُّنْيَا وَكَثِيرٌ مَهَا ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ : هَلْ يَأْتِي الْخَيْرَ بِالشَّرِّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ يَأْتِي الْخَيْرَ بِالشَّرِّ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ ، كُرِبَ لِنَدْوِهِ ، وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ ، حَتَّى إِذَا سُرِّيَ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : هَلْ يَأْتِي الْخَيْرَ بِالشَّرِّ ؟ يَقُولُهَا ثَلَاثًا : إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ ، يَقُولُهَا ثَلَاثًا . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَرَّ الكَلَامَ ، وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ مَا كَانَ رَبِيعَ قَطَطٍ إِلَّا أَحْبَطَ أَوْ أَلَمَّ ، فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ مَا مَالًا ، فَوَضَعَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّتِي افْتَرَضَ وَارْتَضَى ، فَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ أُرِيدَ بِهِ خَيْرٌ ، وَعَزَمَ لَهُ عَلَى الْخَيْرِ ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ مَا مَالًا فَوَضَعَهُ فِي شَهْوَاتِهِ وَلذَاتِهِ ، وَعَدَّلَ عَنْ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ أُرِيدَ بِهِ شَرٌّ ، وَعَزَمَ لَهُ عَلَى شَرِّ » .

وقوله (إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بِصِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله بما يصلح عباده ويفسدهم ، من غنى وفقر وسعة وإقتار ، وغير ذلك من مصالحهم ومضارهم ، ذو خيرة وعلم بصير بتدبيرهم ، وصرْفهم فيما فيه صلاحهم .

(١) في (اللسان : كرب) : وفي الحديث : كان إذا أتاه الوحي كرب له ، أي أصابه الكرب فهو مكروب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : والله الذى ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس (من بعد ما قنطوا) يقول : من بعد ما يئس من نزوله ومجيئه (وينشُرُ رَحْمَتَهُ) يقول : وينشر فى خلقه رحمته ، ويعنى بالرحمة : الغيث الذى ينزله من السماء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أنه قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : أجدبت الأرض ، وقنط الناس ، قال : مطبروا إذن .
حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (من بعد ما قنطوا) قال : يئسوا .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين قحيط المطر ، وقنط الناس . قال : مطبرتم (وهو الذى ينزلُ الغيثَ من بعد ما قنطوا ، وينشُرُ رَحْمَتَهُ) .
وقوله (وهو الولي الحميد) يقول : وهو الذى يليكم بإحسانه وفضله ، الحميد بأباده عندكم ، ونعمه عليكم فى خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ، وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ

قَدِيرٌ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : ومن حُجَجِه عليه أيها الناس ، أنه القادر على إحيائكم بعد فنائكم ، وبعثكم من قبوركم من بعد بلائكم ، خلقه السموات والأرض ، وما بثَّ فيهما من دابة ، يعنى وما فرَّق فى السموات والأرض من دابة .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (وما بثَّ فيهما من دابة) قال : الناس والملائكة (وهو على جمعهم إذا يشاء) يقول : وهو على جمع ما بثَّ فيهما من دابة إذا شاء جمعه ، ذو قدرة لا يتعذر عليه ، كما لم يتعذر عليه خلقه وتفريقه ، يقول تعالى ذكره : فكذلك هو القادر على جمع خلقه بجزء يوم القيامة ، بعد تفرق أوصالهم فى القبور .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١)

يقول تعالى ذكره: وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا في أنفسكم وأهلكم وأموالكم (فبما كسبت أيدىكم) يقول: فلانما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم، ويعفو لكم ربكم عن كثير من إجرامكم، فلا يعاقبكم بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا أيوب، قال: قرأت في كتاب أبي قلابة، قال: نزلت (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) وأبو بكر رضى الله عنه يأكل، فأمسك فقال: يا رسول الله إني لراء ما عملت من خير أو شر؟ فقال: «أرأيت ما رأيت مما تكفرت، فهو من ميثاقيل ذر الشتر، وتند خير ميثاقيل الخبير حتى تعطاه يوم القيامة»، قال: قال أبو إدريس: فأرى مصداقها في كتاب الله، قال: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ، وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ).

قال أبو جعفر: حدث هذا الحديث الهيثم بن الربيع، فقال فيه أيوب عن أبي قلابة، عن أنس، أن أبا بكر رضى الله عنه كان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر الحديث، وهو غلط، والصواب عن أبي إدريس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) . . . الآية، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا يصيب ابن آدم خدش عود، ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلا بدنب، وما يعفو عنه أكثر».

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ) . . . الآية، قال: يعجل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم، ولا يؤخذون بها في الآخرة.

وقال آخرون: بل عسى بذلك: وما عوقبتم في الدنيا من عقوبة، بحد حدتموه على ذنب استوجبتموه عليه فبما كسبت أيدىكم، يقول: فبما عملتم من معصية الله (ويعفو عن كثير) فلا يوجب عليكم فيها حدا.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ)

. . . الآية، قال: هذا فى الحدود. وقال قتادة: بلغنا أنه ما من رجل يصيبه عسرة قدم، ولا خدش عود أو كذا وكذا إلا بذنب، أو يعفو، وما يعفو أكثر.

وقوله (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ) يقول: وما أنتم أيها الناس بمُعْجِزِينَ رَبِّكُمْ بأنفسكم إذا أراد عقوبتكم على ذنوبكم التى أذنبتموها، ومعصيتكم إياه التى ركبتموها، هربا فى الأرض، فمعجزيه، حتى لا يقدر عليكم، ولكنكم حيث كنتم فى سلطانه وقبضته، جارية فيكم مشيئته (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَايٍ) يليكم بالدفاع عنكم إذا أراد عقوبتكم على معصيتكم إياه (وَلَا نَنْصِرُ) يقول: ولا لكم من دونه نصير ينصركم إذا هو عاقبكم، فينتصر لكم منه، فاحذروا أيها الناس معاصيه، واتقوه أن تخالفوه فيما أمركم أو نهاكم، فإنه لا دافع لعقوبته عن أهلها به.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَاءُ يُسَكِّنِ الرِّيحَ فَيَظْلَمَنَّ رَوَا كَيْدَ عَلَى ظَهْرِهِ، إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣)

يقول تعالى ذكره: ومن حُجَجِجَ اللهُ أيها الناس عليكم بأنه القادر على كل ما يشاء، وأنه لا يتعدّر عليه فعل شيء أراده، السفن: الجارية فى البحر. والجوارى: جمع جارية، وهى السائرة فى البحر. كما حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ) قال: السفن. حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدى (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ) قال: الجوارى: السفن.

وقوله (كَالْأَعْلَامِ) يعنى كالجبال: واحدها علم؛ ومنه قول الشاعر:

كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

يعنى: جبّيل. وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (كَالْأَعْلَامِ) قال: كالجبال. حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدى، قال: الأعلام: الجبال.

(١) هذا عجز بيت لخفاء بنت عمرو الشريد السلمى، من قصيدة ترى بها أخاها صفرا (معاهد التنصيص للعباسى) ومصدره:

وَأِنْ صَحَّحْنَا لَتَأْتِمُ الْهُدَاةُ بِهِ

وقد استشهد به المؤلف عند قوله تعالى: «وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام» على أن الأعلام فى البيت جمع علم بالتحريك، وهو الجبل. وقد كان العرب يوقدون النار فى أعلى الجبال، لهداية الغريب والجائع ونحوهما.

وقوله (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ) يقول تعالى ذكره : إن يشأ الله الذي قد أجرى هذه السفن في البحر ، أن لا تجرى فيه ، أسكن الريح التي تجرى بها فيه ، فثبتن في موضع واحد ، ووقفن على ظهر الماء لا تجرى فتتقدم ، ولا تتأخر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ، إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ) سفن هذا البحر تجرى بالريح ، فإذا أمسكت عنها الريح ركدت ، قال الله عز وجل : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ) لا تجرى .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ) يقول : وقوفا .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول : إن في جرى هذه الجوارى في البحر بقُدرة الله ، لعظة وعبرة وحجة بينة على قُدرة الله على ما يشاء ، لكل ذي صبر على طاعة الله ، شكور لنعمه وأياديه عنده .

القول في تأويل قوله تعالى

أَوْ يُوبِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حَمِيمٍ (٣٥) فَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتِّعُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : أو يوبق هذه الجوارى في البحر بما كسبت ركبانهما من الذنوب ، واجترموا من الآثام . وجزم يوبقهن ، عطفا على (يُسْكِنِ الرِّيحَ) ومعنى الكلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ، (أَوْ يُوبِقَهُنَّ) ويعنى بقوله (أَوْ يُوبِقَهُنَّ) أو يهلكهن بالفرق .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ يُوبِقَهُنَّ) يقول : يهلكهن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَوْ يُوبِقَهُنَّ) : أو يهلكهن .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (أو يُوبِقْتُهُنَّ) قال : يغرقهن بما كسبوا .

وبنحو الذى قلنا فى قوله بما كسبوا ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أو يُوبِقْتُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا) : أى بذنوب أهلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أو يُوبِقْتُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا) قال : بذنوب أهلها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أو يُوبِقْتُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا) قال : يوبقهن بما كسبت أصحابهن .

وقوله (وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ) يقول : ويصفح تعالى ذكره عن كثير من ذنوبكم ، فلا يعاقب عليها .
وقوله (وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا) يقول جل ثناؤه : ويعلم الذين يخاصمون رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من المشركين فى آياته وعبره وأدلته على توحيديه .

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة (وَيَعْلَمُ الَّذِينَ) رفعا على الاستئناف ، كما قال فى سورة براءة (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) ، وقراءته قراء الكوفة والبصرة (وَيَعْلَمُ الَّذِينَ) نصبا كما قال فى سورة آل عمران ، (وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ) على الصرف ؛ وكما قال النابغة :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام
ونمسيك بعهده بذئاب عيش أجب الظهر ليس له سنام^١

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فهميب .

وقوله (مَا لَهُمْ مِنْ حَيُّصٍ) يقول تعالى ذكره : ما لهم من محيد من عقاب الله ، إذا عاقبهم ذنوبهم ، وكفرهم به ، ولا لهم منه ملجأ .

(١) البتة للنابغة الذبياني من مقطوعة يخاطب بها عصام بن شهبة الجرمي حاجب النعمان ، ويسأله عما يلذه من مرضه (مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلح السقا ص ١٩١) وقوله : « ربيع الناس » جعل النعمان بمنزلة الربيع فى الخصب ، لكثرة عطائه . وهو موضع الأمن من كل مخافة لمستجير وغيره ، مثل الشهر الحرام . و « أجب الظهر » : لاسنام له . ويجوز فى الظهر : الرفع والنصب والجزم . يقول : نبي بعده فى شدة من العيش وسوء حال . وذئاب الشيء : ذنبه . والشاهد فى البيت فى قوله « ونأخذ » فإنه يجوز فيه الرفع على الاستئناف ، والنصب بتقدير « أن » ، والجزم بالمعطف على يهلك (فوائد القلائد للمعنى) . وقال القراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٩٢) وقوله : « ويعف عن كثير ويعلم الذين » مردودة على الجزم إلا أنه صرف . (النصب على الصرف مذهب القراء فى المعطف على المخزوم كما فى الآية ، وفى المفعول معه ، وفى خبر المبتدأ إذا كان ظرفا) . قال : والجزم إذا صرف عنه معطوفه نصب ، كقول الشاعر : « فإن يهلك . . . البيت » . والرفع جائز فى المنصوب على الصرف . وقد قرأ بذلك قوم ، فرفعوا ويعلم الذين يجادلون . ومثله مما استؤنفت فرغ : « ويتوب الله من بعد ذلك على من يشاء » فى براءة . ولو جزم « ويعلم » جازم كان مصيبا . اهـ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط عن السدي ، قوله (مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ) : ما لهم من ملجأ .

وقوله (فَمَا أُوتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ، ففَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول تعالى ذكره : فما أعطيتم أيها الناس من شيء من ريش الدنيا ، من المال والبنين ، فتنازع الحياة الدنيا ، يقول تعالى ذكره : فهو متاع لكم تتمتعون به في الحياة الدنيا ، وليس من دار الآخرة ، ولا مما ينفعكم في معادكم . (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى) يقول تعالى ذكره : والذي عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة ، خير مما أوتيتموه في الدنيا من متاعها وأبقى ، لأن ما أوتيتم في الدنيا فان نافذ ، وما عند الله من النعيم في جنانه لأهل طاعته باقٍ غير نافذ (لِلَّذِينَ آمَنُوا) : يقول : وما عند الله للذين آمنوا به ، (وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُونَ) في أمورهم ، وإليه يقومون في أسبابهم ، وبه يثقون ، خير وأبقى مما أوتيتموه من متاع الحياة الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ، وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ
أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : وما عند الله للذين آمنوا (وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ) ، وكبائر فواحش الإثم ، قد بيننا اختلاف أهل التأويل فيها ، وبيننا الصواب من القول عندنا فيها في سورة النساء ، فأغنى ذلك عن إعادته هاهنا . (وَالْفَوَاحِشَ) قيل : إنها الزنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَالْفَوَاحِشَ) قال : الفواحش : الزنا . واختلفت القراء في قراءة قوله (كِبَائِرَ الْإِثْمِ) فقراءته عامة قراء المدينة على الجماع كذلك في النجم ، وقراءته عامة قراء الكوفة (كَسْبِيرَ الْإِثْمِ) على التوحيد فيهما جميعا ؛ وكأن من قرأ ذلك كذلك ، عني بكبير الإثم : الشرك كما كان القراء يقول : كأنى أستحب لمن قرأ كبائر الإثم أن يخفف الفواحش ، لتكون الكبائر مضافة إلى مجموع إذ كانت جمعا ، وقال : ما سمعت أحدا من القراء خفف الفواحش .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، على تقارب معنيهما ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) : يقول تعالى ذكره : وإذا ما غضبوا على من اجترم إليهم جرمًا ، هم يغفرون لمن أجرم إليهم الجرم ذنبه ، ويصفحون عنه عقوبة ذنبه .

وقوله (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) يقول تعالى ذكره : والذين أجابوا لرَبِّهم حين دعاهم إلى توحيدِهِ ، والإقرار بوحْدانيته والبراءة من عبادة كل ما يعبد دونه (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) المفروضة بحدودها في أوقاتها (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) يقول : وإذا حَزَبَهُمْ أمر تشاوروا بينهم ، (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يقول : ومن الأموال التي رزقناهم ينفقون في سبيل الله ، ويؤدّون ما فرض عليهم من الحقوق لأهلها ، من زكاة ونفقة على من تجب عليه نفقته . وكان ابن زيد يقول : عَسَى بقوله (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) . . . الآية الأنصار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قرأ (وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) قال : فبدأ بهم (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) : الأنصار (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) وليس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) ، ليس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)

❦ يقول تعالى ذكره : والذين إذا بغى عليهم باغ ، واعتدى عليهم هم ينتصرون . ثم اختلف أهل التأويل في الباغى الذى حمّد تعالى ذكره ، المنتصر منه بعد بغيه عليه ، فقال بعضهم : هو المشرك إذا بغى على المسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرني ابن وهب قال : قال ابن زيد : ذكر المهاجرين صنفين ، صنفا عفا ، وصنفا انتصر ، وقرأ (وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) قال : فبدأ بهم (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) . . . إلى قوله (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) وهم الأنصار . ثم ذكر الصنف الثالث ، فقال (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) من المشركين . وقال آخرون : بل هو كل باغ بغى فحمد المنتصر منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) قال : ينتصرون ممن بغى عليهم ، من غير أن يعتدوا . وهذا القول الثانى أولى فى ذلك بالصواب ، لأن الله لم يخص من ذلك معنى دون معنى ، بل حمد كل منتصر بحق ممن بغى عليه .

فإن قال قائل : وما في الانتصار من المدح ؟ قيل : إن في إقامة الظالم على سبيل الحق ، وعقوبته بما هو هو له أهل تقويما له ، وفي ذلك أعظم المدح .

وقوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) وقد بينا فيما مضى معنى ذلك ، وأن معناه : وجزاء سيئة المسيء عقوبته بما أوجبه الله عليه ، فهي وإن كانت عقوبة من الله أوجبها عليه ، فهي مساواة له . والسيئة : إنما هي الفعل من السوء ، وذلك نظير قول الله عز وجل (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا) . وقد قيل : إن معنى ذلك : أن يجاب القائل الكلمة القرينة بمثلها .

ذك من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : قال لي أبو بشر : سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) قال : يقول أخزاه الله ، فيقول : أخزاه الله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) قال : إذا شتمك بشيمة فاشتمه مثلها ؛ من غير أن تعتدي .

وكان ابن زيد يقول في ذلك بما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) من المشركين (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَتَنْ عَقَابًا وَأَصْلَحَ) . . . الآية ، ليس أمرهم أن تغفوا عنهم ، لأنه أحبهم (وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) ، ثم نسخ هذا كله ، وأمره بالجهاد ، فعلى قول ابن زيد ، هذا تأويل الكلام : وجزاء سيئة من المشركين إليكم ، سيئة مثلها منكم إليهم ، وإن عفوتهم وأصلحتهم في العفو ، فأجرهم في عفوكم عنهم إلى الله ، إنه لا يجب للكافرين ؛ وهذا على قوله ، كقول الله عز وجل (فَتَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ) ، والذي قال من ذلك وجه . غير أن الصواب عندنا : أن تحمل الآية على الظاهر ، ما لم ينقله إلى الباطن ما يجب التسليم له ، وأن لا يحكم لحكم في آية بالنسخ إلا بخبر يقطع العذر ، أو حجة يجب التسليم لها ، ولم تثبت حجة في قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) أنه مراد به المشركون دون المسلمين ، ولا بأن هذه الآية منسوخة ، فنسلم لها بأن ذلك كذلك . وقوله (فَتَنْ عَقَابًا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) يقول جل ثناؤه : فمن عفا عن أساء إليه إساءته إليه ، فغفرها له ، ولم يعاقبه بها ، وهو على عقوبته عليها قادر ، ابتغاء وجه الله ، فأجر عفوه ذلك على الله ، والله ميثبه عليه ثوابه (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) يقول : إن الله لا يحب أهل الظلم الذين يتعدون على الناس ، فيسبون إليهم بغير ما أذن الله لهم فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ

النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)

يقول تعالى ذكره: **وَلَمَّا انتصروا ممن ظلمه من بعد ظلمه إياهم (فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ)** : يقول : فأولئك المنتصرون منهم لاسبيل للمتصّر منهم عليهم بعقوبة ولا أذى ، لأنهم انتصروا منهم بحق ، ومن أخذ حقه ممن وجب ذلك له عليه ، ولم يتعد ، لم يظلم ، فيكون عليه سبيل .
وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بذلك ، فقال بعضهم : عني به كل منتصر ممن أساء إليه ، مسلما كان المسيء أو كافرا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا معاذ ، قال : ثنا ابن عون ، قال : كنت أسأل عن الانتصار (**وَلَمَّا انتصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ**) . . . الآية ، فحدثني علي بن زيد بن جندعان ، عن أم محمد امرأة أبيه ، قال ابن عون : زعموا أنها كانت تدخل على أم المؤمنين ، قالت : قالت أم المؤمنين : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندنا زينب بنت جحش ، فجعل يصنع بيده شيئا ، ولم يفتن لها ، فقلت بيده حتى فطنتها لها ، فأمسك ، وأقبلت زينب تَمَحَّصَ لعائشة ، فنهاها ، فأبت أن تنتهي ، فقال لعائشة : سببها ، فسبها وغلبها ، وانطلقت زينب فأنت عليا ، فقالت : إن عائشة تقع بكم ، وتفعل بكم ، فجاءت فاطمة ، فقال لها : إنها حبيبة أبيك ورب الكعبة ، فانصرفت وقالت لعلني : إني قلت له كذا وكذا ، فقال كذا وكذا : قال : وجاء علي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلّمه في ذلك .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**وَلَمَّا انتصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ**) . . . الآية ، قال : هذا في الحَمْشِ ٢ يكون بين الناس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (**وَلَمَّا انتصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ** ، فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ) قال : هذا فيما يكون بين الناس من القصاص ، فأما لو ظلمك رجل لم يحل لك أن تظلمه .
وقال آخرون : بل عني به الانتصار من أهل الشرك ، وقال : هذا منسوخ .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (**وَلَمَّا انتصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ**) قال : لمّا انتصر بعد ظلمه من المؤمنين ، انتصر من المشركين ، وهذا قد نسخ ، وليس هذا في أهل الإسلام ، ولكن في أهل الإسلام الذي قال الله تبارك وتعالى : (**ادْفَعُوا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ، **فَإِذَا الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**) .

(١) في النهاية لابن الأثير في حديث عائشة : أقبلت زينب تقحم لها ، أي تعرض لشمها ، وتدخل عليها فيه ؛ كأنها أقبلت تشتمها من غير روية ولا ثبت .

(٢) المقصود بالحمش : ما كان دون القتل والدية من قطع أو جرح أو ضرب أو نهب ونحو ذلك . من أنواع الأذى التي لا قصاص فيها (انظر النهاية لابن الأثير) .

والصواب من القول أن يقال: إنه معنى به كل منتصر من ظلمه، وأن الآية محكمة غير منسوخة، للعلة التي بينت في الآية قبلها.

وقوله (لَا تَمَّا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ) يقول تبارك وتعالى: إنما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدون على الناس ظلماً وعدواناً، بأن يعاقبهم بظلمهم، لا على من انتصر من ظلمه، فأخذ منه حقه. وقوله (وَيَسْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) يقول: ويتجاوزون في أرض الله الحد الذي أباح لهم ربهم، إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون فيها بغير الحق (أُولَئِكَ كَانُوا فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ) يقول: فهؤلاء الذين يظلمون الناس، ويغفون في الأرض بغير الحق، لهم عذاب من الله يوم القيامة في جهنم مؤلم موجه.

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ، إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَّالِيٍّ مِّن بَعْدِهِ
وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلِ (٤٤)

يقول تعالى ذكره: ولمن صبر على إساءة من أساء إليه، وغفر للمسيء إليه جرمه إليه، فلم ينتصر منه، وهو على الانتصار منه قادر، ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه (إن ذلك لمن عزم الأمور) يقول: إن صبره ذلك وغفرانه ذنب المسيء إليه، لمن عزم الأمور، التي ندب إليها عبادته، وعزم عليهم العمل به، (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَّالِيٍّ مِّن بَعْدِهِ) يقول: ومن خذله الله عن الرشاد، فليس له من ولى يليه، فيهديه لسبيل الصواب، ويسدده من بعد إضلال الله إياه (وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وترى الكافرين بالله يا محمد يوم القيامة لما عاينوا عذاب الله يقولون لربهم: (هل لنا يارب) (إلى مراد من سبيل؟) وذلك كقوله (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا) . . . الآية، استعجب المساكين في غير حين الاستعجاب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، في قوله (هل إلى مراد من سبيل) (

يقول: إلى الدنيا).

واختلف أهل العربية في وجه دخول إن في قوله (إن ذلك لمن عزم الأمور) مع دخول اللام في قوله (ولمن صبر وغفر)، فكان نحوى أهل البصرة يقول في ذلك: أما اللام التي في قوله (ولمن صبر وغفر) فلام الابتداء، وأما (إن ذلك) فعنائه والله أعلم: إن ذلك منه من عزم الأمور، وقال: قد تقول: مررت بالدار النراع بدرهم: أي النراع منها بدرهم، ومررت ببر قفيز بدرهم، أي قفيز منه بدرهم.

(١) كذا في الأصول. ولعل فيه تحريفاً من الناسخ، وأصل العبارة: الذي ندب إليه، بدليل ما بعده.

قال : وأما ابتداء « إن » فى هذا الموضع ، فمثل : (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفْتَرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ) يجوز ابتداء الكلام ، وهذا إذا طال الكلام فى هذا الموضع .

وكان بعضهم يستخطى هذا القول ، ويقول : إن العرب إذا أدخلت اللام فى أوائل الجزاء أجابته بجوابات الأيمان ، بما ، ولا ، وإن ، واللام ؛ قال : وهذا من ذلك ، كما قال : (لَيْسَ أَخْرَجُوا لَاحْرَجُونَ مَعَهُمْ) (وَكَيْسَ قُرْتِلُوا لَاحْتَصِرُونَ تَهُمْ) ، وَلَيْسَ نَصَرُوهُمْ لَيْسُوا لَاحْتَصِرُونَ) فجاء بلا وباللام جوابا للام الأولى . قال : ولو قال : لئن قمت لئن لقائم ، بلجاز ، ولا حاجة به إلى العائد ، لأن الجواب فى اليمين قد يكون فيه العائد ، وقد لا يكون ؛ ألا ترى أنك تقول : لئن قمت لأقومن ، ولا أقوم ، وإنى لقائم ، فلا تأتى بعائد . قال : وأما قولهم : مررت بدار الدراع بدرهم ، وببر قفيز بدرهم ، فلا بد من أن يتصل بالأول بالعائد ، وإنما يحذف العائد فيه ، لأن الثانى تبعيض للأول ، مررت ببر بعضه بدرهم ، وبعضه بدرهم ؛ فلما كان المعنى التبعيض حذف العائد . قال : وأما ابتداء « إن » فى كل موضع إذا طال الكلام ، فلا يجوز أن تبتدىء إن بمعنى : (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفْتَرُونَ مِنْهُ) ، فإنه جواب للجزاء ، كأنه قال : ما فررت منه من الموت ، فهو ملاقيكم .

وهذا القول الثانى عندى أولى فى ذلك بالصواب ، للعلل التى ذكرناها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا ،
إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (٤٥)
يقول تعالى ذكره : وترى يا محمد الظالمين يعرضون على النار (خاشيعين من الذل) يقول :
خاضعين متذللين .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الخشوع : الخوف والخشية لله عز وجل ، وقرأ قول الله عز وجل (لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ) . . . إلى قوله (خاشيعين من الذل) قال : قد أذلم الخوف الذى نزل بهم ، وخشعوا له .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (خاشيعين) قال : خاضعين من الذل .

وقوله (يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) يقول : ينظر هؤلاء الظالمون إلى النار حين يعرضون عليها من طرف خفى .
واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) فقال بعضهم : معناه : من طرف ذليل .
وكان معنى الكلام : من طرف قد خفى من ذلته .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ) . . . إلى قوله (مِّنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) يعني بالخفي : الدليل .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله عز وجل (مِّنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) قال ذليل : وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهم يسارقون النظر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَسْتَنْظِرُونَ مِّنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) قال : يسارقون النظر .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (مِّنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) قال : يسارقون النظر .

واختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعض نحو البصرة في ذلك : جعل الطرف العين ، كأنه قال : ونظرهم من عين ضعيفة ، والله أعلم . قال : وقال يونس : إن (مِّنْ طَرْفٍ) مثل بطرف ، كما تقول العرب : ضربته في السيف ، وضربته بالسيف .

وقال آخر منهم : إنما قيل (مِّنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) لأنه لا يفتح عينه ، إنما ينظر ببعضها .

وقال آخرون منهم : إنما قيل : (مِّنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) لأنهم ينظرون إلى النار بقلوبهم ، لأنهم يُحشرونُ عَمِيًّا .

والصواب من القول في ذلك : القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ومجاهد ، وهو أن معناه : أنهم ينظرون إلى النار من طَرْفٍ ذليل ، وصفه الله جل ثناؤه بالخفاء ، للدلة التي قدر كتبهم ، حتى كادت أعينهم أن تغور ، فتذهب .

وقوله (وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول تعالى ذكره : وقال الذين آمنوا بالله ورسوله : إن المغبونين الذين غبنوا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة في الجنة .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : غبنوا أنفسهم وأهلهم في الجنة .

وقوله (أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ) يقول تعالى ذكره : ألا إن الكافرين يوم القيامة في عذاب لهم من الله مُقِيمٍ عليهم ، ثابت لا يزول عنهم ، ولا يبيد ، ولا يخف .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (٤٦)
 أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ، مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ ،
 وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : ولم يكن لهؤلاء الكافرين حين يعذبهم الله يوم القيامة أولياء يمنعونهم من عذاب الله ، ولا ينتصرون لهم من ربهم ، على ما نالهم به من العذاب من دون الله (ومن يضلل الله فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ) ، يقول : ومن يخذله عن طريق الحق فَمَا لَهُ مِنْ طريق إلى الوصول إليه ، لأن الهداية والإضلال بيده دون كل أحد سواه .

وقوله (أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ) يقول تعالى ذكره للكافرين به : أجبوا أيها الناس داعى الله وآمنوا به ، واتبعوه على ما جاءكم به من عند ربكم ، (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) : يقول : لاشيء يرد مجيئه إذا جاء الله به ، وذلك يوم القيامة (مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ) يقول جل ثناؤه : مالكم أيها الناس من معقل تحترزون فيه ، وتلجئون إليه ، فتعصمون به من النازل بكم من عذاب الله ، على كفركم به كان في الدنيا (وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) يقول : ولا أنتم تقدرون لما يحل بكم من عقابه يومئذ على تغييره ، ولا على انتصار منه ، إذا عاقبكم بما عاقبكم به .
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ) قال : من محرز .
 وقوله (مِنْ نَكِيرٍ) قال : ناصر ينصركم .
 حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ) تلجئون إليه (وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) يقول : من عز تعزتون .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ إِلَّا الْبَلَاغُ ، وَإِنَّا إِذْ أَوْفَقْنَا الْإِنْسَانَ
 مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَّ بِهَا ، وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (٤٨)
 يقول تعالى ذكره : فإن أعرض هؤلاء المشركون يا محمد ، عما أتيتهم به من الحق ، ودعوتهم إليه من

الرشد ، فلم يستجيبوا لك ، وأبوا قبواه منك ، فدعهم ، فإننا لن نرسلك إليهم رقبيا عليهم ، تحفظ عليهم أعمالهم وتحصياها (إن عليك إلا البلاغ) يقول : ما عليك يا محمد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم من الرسالة ، فإذا بلغتهم ذلك ، فقد قضيت ما عليك (وإننا إذا أذقنا الإنسان منّا رحمة فرح بها) يقول تعالى ذكره : فإننا إذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة ، وذلك هو الرحمة التي ذكرها جل ثناؤه ، فرح بها : يقول : سرّ بما أعطيناه من الغنى ورزقناه من السعة وكثرة المال ، (وإن تُصنّبهم سيئة) يقول : وإن أصابهم فاقة وفقر وضيق عيش (بما قدّمت أيديهم) يقول : بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته إياه ، جحد نعمة الله ، وأيس من الخير (فإن الإنسان كفور) يقول تعالى ذكره : فإن الإنسان جحود نعم ربه ، يعدّد المصائب ، ويحجد النعم . وإنما قال : (وإن تُصنّبهم سيئة) فأخرج الهاء والميم مخرج كناية جمع الذكور ، وقد ذكر الإنسان قبل ذلك بمعنى الواحد ، لأنه بمعنى الجمع .

القول في تأويل قوله تعالى

لِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩)

أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيًّا ، إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : لله سلطان السموات السبع والأرضين ، يفعل في سلطانه ما يشاء ، ويخلق ما يحب خلقه ، يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناث دون الذكور ، بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حمل منه أنثى (وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) يقول : ويهب لمن يشاء منهم الذكور ، بأن يجعل كل حمل حملته امرأته ذكرا لا أنثى فيهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا) قال : يخلط بينهم يقول : التزويج : أن تلد المرأة غلاما ، ثم تلد جارية ، ثم تلد غلاما ، ثم تلد جارية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) قادر والله ربنا على ذلك ، أن يهب للرجل ذكورا ليست معهم أنثى ، وأن يهب للرجل ذكرا وإناثا ، فيجمعهم له جميعا ، (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيًّا) لا يولد له .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قول الله عز وجل (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) ليست معهم إناث (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا) قال : يهب لهم إناثا وذكرا ، ويجعل من يشاء عقيّا لا يولد له .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيًّا) يقول : لا يلقح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً) لا يلد واحدا ولا اثنين .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) ليس فيهم أنثى (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) تلد المرأة ذكرا مرة وأنثى مرة (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً) لا يولد له .

وقال ابن زيد في معنى قوله (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ) ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) قال : أو يجعل في الواحد ذكرا وأنثى توءما ، هذا قوله (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) .

وقوله (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذُنُوبِكُمْ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما يخلق ، وقُدرة على خلق ما يشاء لا يعزب عنه علم شيء من خلقه ، ولا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَ خَلْقَهُ .

القول في تأويل قوله تعالى

* وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ

بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ (٥١)

يقول تعالى ذكره : وما ينبغي لبشر من بنى آدم أن يكلمه ربه إلا وحيا يوحى الله إليه كيف شاء ، أو إلهاما ، وإما غيره (أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) يقول : أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه ، كما كلم موسى نبيه صلى الله عليه وسلم (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) يقول : أو يرسل الله من ملائكته رسولا ، إما جبرائيل ، وإما غيره (فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) يقول : فيوحى ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء ، يعنى : ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهى ، وغير ذلك من الرسالة والوحى .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، فى قوله عز وجل (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا) يوحى إليه (أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) موسى كلمه الله من وراء حجاب ، (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) قال : جبرائيل يأتى بالوحى .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) فيوحى ، فقرأته عامة قراء الأمصار (فَيُوحِيَ) بنصب الياء ، عطفها على (يُرْسِلَ) ، ونصبوا (يُرْسِلَ) عطفها بها على موضع الوحى ، ومعناه ، لأن معناه : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى إليه ، أو يرسل إليه رسولا ، فيوحى بإذنه ما يشاء . وقرأ ذلك نافع المدني (فَيُوحِيَ) بإرسال الياء ، بمعنى الرفع ، عطفها به على (يُرْسِلَ) ، ورفع (يُرْسِلُ) على الابتداء .

(١) كذا فى الخط ، ولعله إما إلقاء أو إلهاما الخ .

وقوله (إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول تعالى ذكره : إنه يعنى نفسه جل ثناؤه : ذو علو على كل شيء وارتفاع عليه ، واقتدار . حكيم : يقول : ذو حكمة في تدبيره خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣) .

يعنى تعالى ذكره بقوله : (وكذلك أوحينا إليك رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا) وكما كنا نوحى في سائر رسلنا ، كذلك أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن ، رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا : يقول : وحيا ورحمة من أمرنا . واختلف أهل التأويل في معنى الرُوح في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عُنِي بِهِ الرَّحْمَةُ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن في قوله (رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا) قال : رحمة من أمرنا .

وقال آخرون : معناه : وحيا من أمرنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، في قوله (وكذلك أوحينا إليك رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا) قال : وحيا من أمرنا .

وقد بينا معنى الروح فيما مضى بذكر اختلاف أهل التأويل فيها بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ما كنت تدري أى شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعطينا كهما (وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا) يقول : ولكن جعلنا هذا القرآن ، وهو الكتاب نورًا ، يعنى ضياء للناس ، يستضيئون بضوئه الذى بين الله فيه ، وهو بيانه الذى بين فيه ، مما لم فيه فى العمل به الرشاد ، ومن النار النجاة (تَهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) يقول : نهدي بهذا القرآن ، فالهاء فى قوله به من ذكر الكتاب .

ويعنى بقوله (تَهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ) : نسدّد إلى سبيل الصواب ، وذلك الإيمان بالله (مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) يقول : نهدي به من نشاء هدايته إلى الطريق المستقيم من عبادنا . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا)

يعنى بالقرآن . وقال جل ثناؤه (وَلَكِنَّ جَعَلْنَاهُ) فوجد الهاء ، وقد ذكر قبل الكتاب والإيمان ، لأنه قصد به الخبر عن الكتاب . وقال بعضهم : عنى به الإيمان والكتاب ، ولكن وحد الهاء ، لأن أسماء الأفعال يجمع جميعها الفعل ، كما يقال : إقبالك وإدبارك يعجبني ، فيوجد وهما اثنان .

وقوله (وَإِنَّكَ لَتَهْتَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإنك يا محمد لتهدى إلى صراط مستقيم عبادنا ، بالدعاء إلى الله ، والبيان لهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنَّكَ لَتَهْتَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال تبارك وتعالى (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) داع يدعوهم إلى الله عز وجل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنَّكَ لَتَهْتَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال : لكل قوم هاد .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنَّكَ لَتَهْتَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : تدعو إلى دين مستقيم ، (صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) يقول جل

ثناؤه : وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، وهو الإسلام ، طريق الله الذى دعا إليه عباده ، الذى له ملك جميع ما فى السموات وما فى الأرض ، لا شريك له فى ذلك . والصراط الثانى : ترجمة عن الصراط الأول .

وقوله جل ثناؤه (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) يقول جل ثناؤه : ألا إلى الله أيها الناس تصير أموركم فى الآخرة ، فيقضى بينكم بالعدل .

فإن قال قائل : أو ليست أمورهم فى الدنيا إليه ؟ قيل : هى وإن كان إليه تدبير جميع ذلك ، فإن لهم حكما وولاية ينظرون بينهم ، وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره ، فلذلك قيل : إليه تصير الأمور هنالك ، وإن كانت الأمور كلها إليه ، ويبدده قضاؤها وتدبيرها فى كل حال .

آخر تفسير سورة حم عسق

تفسير سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى أوّل نوره تعالى

حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣)

قد بينا فيما مضى قوله (حم) بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) قسم من الله تعالى أقسم بهذا الكتاب الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال (وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) لمن تدبره وفكّر فى عبره وعظاته ، هداه ورشده وأدلته على حقيقته ، وأنه تنزيل من حكيم حميد ، لا اختلاف من محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا افتراء من أحد (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) يقول : إنا أنزلناه قرآنا عربيا بلسان العرب ، إذ كنتم أيها المنذرون به من رهط محمد صلى الله

عليه وسلم عربياً (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يقول : لتعقلوا معانيه وما فيه من مواضع ، ولم ينزله بلسان العجم ، فيجعله أعجمياً ، فتقولوا : نحن عرب ، وهذا كلام أعجمي لانفقه معانيه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (حم) . والكتاب المبين (هو هذا الكتاب المبين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حم) . والكتاب المبين (مبين والله بركته ، وهداه ورشده .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ (٤)

يقول تعالى ذكره : وإن هذا الكتاب أصل الكتاب الذي منه نسخ هذا الكتاب عندنا لعلّي : يقول :
لذو علو ورفعة ، حكيم : قد أحكت آياته ، ثم فصلت ، فهو ذو حكمة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن هشام الدستوائي ، عن القاسم بن أبي بزة ، قال : ثنا
عروة ابن عامر ، أنه سمع ابن عباس يقول : أول ما خلق الله القلم ، فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق ،
قال : والكتاب عنده ، قال : (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ) .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي ، عن عطية بن سعد ، في قول الله تبارك
وتعالى : (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ) يعني القرآن في أم الكتاب الذي عند الله منه نسخ .
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت مالكا يروي عن عمران ، عن عكرمة (وَإِنَّهُ
فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا) قال : أم الكتاب القرآن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ
لَدَيْنَا) قال : أم الكتاب : أصل الكتاب وجلته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ) : أي جملة الكتاب
أي أصل الكتاب .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ) يقول : في
الكتاب الذي عند الله في الأصل .

وقوله (لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ) وقد ذكرنا معناه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ) يخبر عن منزلته وفضله وشرفه .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (٥)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أفنضربُ عنكم ونترككم أيها المشركون فيما تحسبون ، فلا نذكركم بعقابنا من أجل أنكم قوم مشركون .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا) قال : تكذبون بالقرآن ، ثم لاتعاقبون عليه .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قوله (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا) قال : بالعذاب .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا) قال : أفنضرب عنكم العذاب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ) يقول : أحسبتم أن نصفح عنكم ولما تفعلوا ما أمرتم به .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أفنترك تذكيركم بهذا القرآن ، ولا نذكركم به ، لأن كنتم قوما مسرفين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ) : أي مشركين ، والله لو كان هذا القرآن رُفِعَ حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا ، فدعاهم إليه عشرين سنة ، أو ما شاء الله من ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا) قال : لو أن هذه الأمة لم يؤمنوا ، لضرب عنهم الذكر صفحا ، قال : الذكر ما أنزل عليهم مما أمرهم الله به ونهاهم صفحا ، لا يذكر لكم منه شيئا .

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب : تأويل من تأوله : أفنضرب عنكم العذاب فنترككم ونعرض عنكم ، لأن كنتم قوما مسرفين ، لاتؤمنون بربكم .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك خبره عن الأمم السالفة قبل الأمم التي توعدا بهذه الآية في تكذيبها رسلها ، وما أحلّ بها من نعمته ، ففي ذلك دليل على أن قوله (أَفَنَنْضِرُ بِكُمْ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا) وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك ، إذ سلخوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة (إن كنتم) بكسر الألف من « إن » بمعنى : أنفضرب عنكم الذكر صفحا إذ كنتم قوما مسرفين . وقراه بعض قراء أهل مكة والكوفة وعامة قراء البصرة « أن » بفتح الألف من « أن » ، بمعنى : لأن كنتم .

واختلف أهل العربية في وجه فتح الألف من « أن » في هذا الموضع ، فقال بعض نحوّي البصرة : فُتِحَتْ لأن معنى الكلام : لأن كنتم . وقال بعض نحوّي الكوفة : من فتحها فكأنه أراد شيئا ماضيا ، فقال : وأنت تقول في الكلام : أتيت أن حرمتني ، تريد : إذ حرمتني ، ويكسر إذا أردت : أتيت إن تحرميني . ومثله : (لا يجرمنكم شئان قوم أن صدوكم) و (إن صدوكم) بكسر ، وفتح . وقوله (فلعلك باحع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) . قال : والعرب تشدد قول الفرزدق :

أَتَجَزَعُ أَنْ أَدْنا فُتَيْبَةَ حُرُتًا جِيهَارًا وَلَمْ تَجَزَعْ لِقَتْلِ ابْنِ حَازِمٍ^١

قال : وينشد :

أَتَجَزَعُ أَنْ بَانَ الْخَلَيْطُ الْمَوْدَعُ وَحَبِيلُ الصِّفَا مِنْ عَزَّةَ الْمُتَقَطِّعِ^٢

قال : وفي كل واحد من البيتين ما في صاحبه ، من الكسر والفتح .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الكسر والفتح في الألف في هذا الموضع قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار ، صحيحتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، وذلك أن العرب إذا تقدم « أن » وهي بمعنى الجزاء فعل مستقبل كسروا ألفها أحيانا ، فحضوا لها الجزاء ، فقالوا : أقوم إن قمت ، وفتحوها أحيانا ،

(١) البيت من شواهد النحويين ومن شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٩٤) قال عند قوله تعالى في سورة الزخرف : « أنفضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم » : قرأ الأعمش : « إن كنتم » بالكسر . وقرأ عاصم والحسن « أن كنتم » بفتح أن ، كأنهم أرادوا شيئا ماضيا ، وأنت تقول في الكلام : أسبك أن حرمتني ، وتكسر إذا أرت : أسبك إن تحرمي ؟ ومثله : « لا يجرمنكم شئان قوم إن صدوكم » تكسر إن وفتح ، ومثله « فلعلك باحع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا » . والعرب تشدد قول الفرزدق : « أتجزع إن أدنا فتيبة صدونكم » البيت . بالفتح والكسر . ورواية البيت في شرح شواهد المعنى للسيوطي : « أتغضب » في مكان « أتجزع » قال : وضمير تغضب راجع إلى قيس . والحز : القطع . وابن خازم : عبد الله بن خازم ، بمعجمتين ، كما ضبطه الدارقطني وغيره ، أمير خراسان ، وليها سنتين ، ثم ثاربه أهل خراسان ، فقتلوه ، وحلوا رأسه إلى عبد الملك بن مروان . وقتيبة بن مسلم الباهل ، من أكبر قواد المسلمين ، وقاتح بلاد الشرق ، وهو الذي افتتح خوارزم وسمرقند وبخارى . وقتل سنة سبع وتسعين ، رحمه الله . والظاهر أن قول المؤلف « أتيت أن حرمتني » . فيه تصحيف من الناسخ لقول الفراء في معاني القرآن « أسبك حرمتني » .

(٢) البيت لكثير عزة ، وهو من شواهد الفراء ، وأورده بعد الشاهد السابق ، قال : أنشدوني « أتجزع أن بان » البيت . ثم قال : وفي كل واحد من البيتين ، ما في صاحبه من الفتح والكسر .

وهم ينوون ذلك المعنى ، فقالوا : أقوم أن قمت بتأويل ، لأن قمت ، فإذا كان الذي تقدمها من الفعل ماضيا لم يتكلموا إلا بفتح الألف من « أن » فقالوا : قمت أن قمت ، وبذلك جاء التنزيل ، وتتابع شعر الشعراء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَم أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧)

يقول تعالى ذكره : وكم أرسلنا من نبي يا محمد في القرون الأولين ، الذين مضوا قبل قرنك الذي بعثت فيه ، كما أرسلناك في قومك من قريش (وما يأتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : وما كان يأتي قرنا من أولئك القرون ، وأمة من أولئك الأمم الأولين لنا من نبي يدعوهم إلى الهدى وطريق الحق ، إلا كان الذين يأتِيهِمْ ذلك من تلك الأمم نبيهم الذي أرسله إليهم ، يستهزئون بخبرية منهم بهم ، كاستهزاء قومك بك يا محمد : يقول : فلا يعظمين عليك ما يفعل بك قومك ، ولا يشقن عليك ، فإنهم إنما سلخوا في استهزائهم بك مسلك أسلافهم ، ومنهاج أمتهم الماضين من أهل الكفر بالله .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨)

يقول تعالى ذكره : فأهلكنا أشد من هؤلاء المستهزئين بأنبيائهم بطشا إذا بطشوا ، فلم يعجزونا بقواهم وشدّة بطشهم ، ولم يقدروا على الامتناع من بأسنا إذ أتاهم ، فالذين هم أضعف منهم قوّة ، أحرى أن لا يقدروا على الامتناع من نِقَمنا إذا حلّت بهم (وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ) يقول جل ثناؤه : ومضى لهؤلاء المشركين المستهزئين بك ولمن قبلهم من ضربائهم ، مثلنا الذي مثّلناهم في أمثالهم من مكذّبي رسلنا الذين أهلكناهم ، يقول : فليتوقع هؤلاء الذين يستهزئون بك يا محمد من عقوبتنا ، مثل الذي أحلّلناه بأولئك الذين أقاموا على تكذيبك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ) قال : عقوبة

الأولين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مَثَلُ الْأَوَّلِينَ) قال : سنتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلْتَن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي
جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين من قومك : من خلق السموات السبع والأرضين ، فأحدثهن وأنشأهن ؟ ليقولنَّ : خلقهنَّ العزيز في سلطانه وانتقامه من أعدائه ، العليم بهنَّ ، وما فيهنَّ من الأشياء ، لا يخفى عليه شيء . (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا) يقول : الذي مهّد لكم الأرض ، فجعلها لكم وطاءً تطشون بها بأقدامكم ، وتمشون عليها بأرجلكم (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) يقول : وسهّل لكم فيها طرقاً تنطرقونها من بلدة إلى بلدة ، لمعايشكم ومتاجرهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) أي طرقاً . حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا) قال : بساطاً (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) قال : الطرق (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) يقول : لكي تهتدوا بتلك السبل إلى حيث أردتم من البلدان والقري والأمصار ، لولا ذلك لم تطبقوا برّاح أفئنتكم ودوركم ، ولكنها نعمة أنعم بها عليكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ، كَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ (١١) وَالَّذِي
خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَفْئُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَكُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) يعني : ما نزل جل ثناؤه من الأمطار من السماء بقدر : يقول : بمقدار حاجتكم إليه ، فلم يجعله كالطوفان ، فيكون عذاباً كالذي أنزل على قوم نوح ، ولا يجعله قليلاً ، لا ينبت به النبات والزرع من قلته ، ولكنه يجعله غيثاً مغنياً ، وحيّاً للأرض الميتة محيياً (فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا) يقول جل ثناؤه : فأحيينا به بلدة من بلادكم ميتة ، يعني مجذبة ، لا نبات بها ولا زرع ، قد درست من الجذوب ، وتعفت من القحوظ (كَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ) يقول تعالى ذكره : كما أخرجنا بهذا الماء الذي نزلناه من السماء ، من هذه البلدة الميتة بعد جُذوبها وقحوظها ، النبات والزرع ، كذلك أيها الناس نُخْرِجُكُمْ من بعد فئلكم ومصيركم في الأرض رُفَاتاً ، بالماء الذي أنزله إليها ، لإحيائكم من بعد مماتكم ، منها أحياء كهيئتكم التي كنتم بها قبل مماتكم .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) . . . الآية ، كما أحيا الله هذه الأرض الميتة بهذا الماء ، كذلك تبعثون يوم القيامة ؛ وقيل : أنشأنا به ، لأن معناه : أحينا به ، ولو وصفت الأرض بأنها أحييت ، قيل : نَشَرَتِ الْأَرْضُ ، كما قال الأعشى :

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ ١

وقوله (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا) يقول تعالى ذكره : والذي خلق كل شيء فزوجه ، أى ٢ خلق الذكور من الإناث أزواجا ، والإناث من الذكور أزواجا (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ) وهى السفن (وَالْأَنْعَامِ) وهى البهائم (مَا تَرَكَّبُونَ) يقول : جعل لكم من السفن ما تركبونه فى البحار ، إلى حيث قصدتم واعتمدتم فى سيركم فيها لمعايشكم ومطالبكم ، ومن الأنعام ما تركبونه فى البر ، إلى حيث أردتم من البُلْدَانِ ، كالإبل والحيل والبغال والحمير .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي
سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : كى تستووا على ظهور ما تركبون .

واختلف أهل العربية فى وجه توحيد الهاء فى قوله (عَلَىٰ ظُهُورِهِ) وتذكيرها ، فقال بعض نحويّ البصرة : تذكيره يعود على ما تركبون ، وما هو مذكر ، كما يقال : عندى من النساء من يوافقتك ويسرك ، وقد تذكّر الأنعام وتوثت . وقد قال فى موضع آخر : (مِمَّا فِى بُطُونِهِ) وقال فى موضع آخر : (بُطُونِهَا) . وقال بعض نحويّ الكوفة : أضيفت الظهور إلى الواحد ، لأن ذلك الواحد فى معنى جمع ، بمنزلة الجند والجنود . قال : فإن قيل : فهلا قلت : لتستووا على ظهره ، فجعلت الظهر واحدا إذا أضفته إلى واحد . قلت : إن الواحد فيه معنى الجمع ، فردت الظهور إلى المعنى ، ولم يقل ظهره ، فيكون كالواحد الذى معناه ولفظه واحد . وكذلك تقول : قد كثر نساء الجند وقلمت ، ورفع الجند أعينه ولم يقل عينه . قال : وكذلك كل ما أضفت إليه من الأسماء الموصوفة ، فأخرجها على الجمع ، وإذا أضفت إليه اسما فى معنى فعل ، جاز جمعه وتوحيده ، مثل قولك : رفع العسكر صوته ، وأصواته : أجود ، وجاز هذا لأن الفعل لا صورة له فى الاثنين ، إلا الصورة فى الواحد .

وقال آخر منهم : قيل : لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ، لأنه وصف للفلك ، ولكنه وحده الهاء ، لأن الفلك

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس ، من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل ، فى المناقرة التى جرت بينهما (ديوانه ١٣٩) وعلقمة بن علاثة صحابى ، قدم على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو شيخ ، فأسلم وبايع . والبيت : من شواهد (أبى عبدة فى مجاز القرآن ، الورقة ٢٢٠ - ١) عند قوله تعالى فى سورة الزخرف : « فأنشأنا به بلدة ميتا ؟ » قال : أحينا . ونشرت الأرض : حييت ، قال الأعشى : « حتى يقول . . . البيت » وفى (اللسان : نشر) : ونشر الله الميت ينشره نشرًا ونشورا . وأنشأه : أحياه فنشر هو ، قال الأعشى : « حتى يقول الناس . . . البيت » اه .

(٢) فى الأصل : أن . ولعله من تحريف الناسخ .

بتأويل جمع ، فجمع الظهور ووجد الماء ، لأن أفعال كل واحد تأويله الجمع تَوَحَّدَ وتَجَمَّعَ ، مثل الجند مهزم ومهزومون ، فإذا جاءت الأسماء خرج على الأسماء لاغير ، فقلت : الجند رجال ، فلذلك جمعت الظهور ، ووحدت الماء ، ولو كان مثل الصوت وأشباهه ، جاز الجند رافع صوته وأصواته .

قوله (ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ) يقول تعالى ذكره : ثم تذكروا نعمة ربكم التي أنعمها عليكم بتسخيره ذلك لكم مراكب في البر والبحر (إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) فتعظموه وتمجدوه ، وتقولوا تنزيها لله الذي سخر لنا هذا الذي ركبناه من هذه الفلئك والأنعام ، مما يصفه به المشركون ، وتشرك معه في العبادة من الأوثان والأصنام ، (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْبٍ وعبيد بن إسماعيل الهَبَارِيُّ ، قالا : ثنا الحارثي ، عن عاصم الأحول ، عن أبي هاشم عن أبي مجلز ، قال : ركب دابة ، فقلت : (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) ، فسمعت رجلا من أهل البيت ؛ قال أبو كُرَيْبٍ والهباري ، قال الحارثي : فسمعت سفيان يقول : هو الحسن بن علي رضوان الله تعالى عليهما ، فقال : أهكذا أميرت ؟ قال : قلت : كيف أقول ؟ قال : تقول الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، الحمد لله الذي من علينا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، الحمد لله الذي جعلنا في خير أمة أخرجت للناس ، فإذا أنت قد ذكرت نعمًا عظيمة ، ثم تقول بعد ذلك (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن أبي مجلز ، أن الحسن بن علي رضي الله عنه ، رأى رجلا ركب دابة ، فقال : الحمد لله الذي سخر لنا هذا ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) يعلمكم كيف تقولون إذا ركبتم في الفلك ، تقولون (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ، إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) ، وإذا ركبتم الإبل قلتم : (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) ويعلمكم ما تقولون إذا نزلتم من الفلك والأنعام جميعا تقولون : اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه أنه كان إذا ركب قال : اللهم هذا من منك وفضلك ، ثم يقول (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) .

وقوله (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) وما كنا له مطيقين ولا ضابطين ، من قولهم : قد أقرنت لهذا : إذا صرت له قيرنا وأطقته ، وفلان مقترن لفلان : أي ضابط له مطيق .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّرِينَ) يقول : مُطِيقِينَ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عَزَّ وَجَلَّ (مُقَرَّرِينَ) قال : الإبل والخيل والبغال والحمير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّرِينَ) : أي مطيقين ، لا والله لا في الأيدي ، ولا في القوة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّرِينَ) قال : في القوة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّرِينَ) قال : مطيقين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله جلّ ثناؤه : (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّرِينَ) قال : لسانا له مطيقين ، قال : لانطقها إلا بك ، لولا أنت ما قوينا عليها ولا أطقناها .

وقوله (وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) يقول جلّ ثناؤه : وليقولوا أيضا : وإنا إلى ربنا من بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧)

يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء المشركون لله من خلقه نصيبا ، وذلك قولهم للملائكة : هم بنات الله . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ : (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) قال : ولدا وبنات من الملائكة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) قال : البنات .

وقال آخرون : عنى بالجزء هاهنا : العيدل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) :
أى عبدًا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ
عِبَادِهِ جُزْءًا) : أى عبدًا .

وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك ، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله (أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا
يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ) توبيخًا لهم على قولهم ذلك ، فكان معلومًا أن توبيخه إياهم بذلك إنما
هو عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا فى إضافة البنات إلى الله جل ثناؤه .

وقوله (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ) يقول تعالى ذكره : إن الإنسان لذو جحْدٍ لنعم ربه التى أنعمها
عليه . (مبین) : يقول : يبين كفرانه نعمه عليه لمن تأمله بفكر قابه ، وتدبر حاله .

وقوله (أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ) يقول جل ثناؤه مؤبِّحًا هؤلاء المشركين الذين وصفوه بأن
الملائكة بناته : أتخذ ربكم أيها الجاهلون مما يخلق بنات ، وأنتم لا ترضون لأنفسكم ؟ وأصفاكم بالبني :
يقول : وأخلصكم بالبني ، فجعلهم لكم ؟ (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا) يقول تعالى
ذكره : وإذا بشر أحد هؤلاء المشركين الجاهلين لله من عباده جزءًا بما ضرب للرحمن مثلاً : يقول : بما
مثل لله ، فشبهه شها ، وذلك ما وصفه به من أن له بنات .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن
قال : ثنا ورقاء جميعًا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا) قال : ولدا .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا) بما
جعل لله .

وقوله (ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا) يقول تعالى ذكره : ظل وجه هذا الذى بشر بما ضرب للرحمن مثلاً
من البنات ، مسودًا من سوء ما بشر به (وَهُوَ كَظِيمٌ) يقول : وهو حزين .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُوَ كَظِيمٌ) : أى حزين .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوْ مَنْ يُنشِؤُا فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ؟ (١٨)

يقول تعالى ذكره : أو من ينبت فى الحلية ويزين بها (وَهُوَ فِي الْخِصَامِ) يقول : وهو فى خصامة من
خصامه عند الخصام غير مبين ، ومن خصمه ببرهان وحجة ، لعجزه وضعفه ، جعلتموه جزء الله من خلقه ،
وزعمتم أنه نصيبه منهم ، وفى الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر منه ، وهو ما ذكرت .

واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله (أَوْ مَنْ يُنَشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) ، فقال بعضهم : عُنِيَ بذلك الجوارى والنساء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ مَنْ يُنَشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال : يعنى المرأة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن علقمة ، عن مرثد ، عن مجاهد ، قال : رُخِّصَ للنساء فى الحرير والذهب ، وقرأ (أَوْ مَنْ يُنَشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال : يعنى المرأة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَوْ مَنْ يُنَشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال : الجوارى ، جعلتموهن للرحمن ولدا ، كيف تحكمون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَوْ مَنْ يُنَشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال : الجوارى ، يسههن بذلك ، غير مبين بضعفهن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ مَنْ يُنَشَأُ فِي الْحِلْيَةِ) يقول : جعلوا له البنات وهم إذا بشر أحدهم بهن ، ظل وجهه مسودا وهو كظيم . قال : وأما قوله (وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) يقول : قلما تتكلم امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها ، إلا تكلمت بالحجة عليها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (أَوْ مَنْ يُنَشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال : النساء .

وقال آخرون : عُنِيَ بذلك أوثانهم التى كانوا يعبدونها من دون الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ مَنْ يُنَشَأُ فِي الْحِلْيَةِ) . . . الآية ، قال : هذه تماثيلهم التى يضربونها من فضة وذهب يعبدونها ، هم الذين أنشئوها ، ضربوها من تلك الحلية ، ثم عبدوها (وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال : لا يتكلم ، وقرأ (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : عُنِيَ بذلك الجوارى والنساء ، لأن ذلك عقيب خبر الله عن إضافة المشركين إليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات ، وقلته معرفتهم بحقه ، وتحليلهم إياه من الصفات والبخل ، وهو خالفهم ومالكهم ورازقهم ، والمنعم عليهم النعم التى عددها فى أول هذه السورة ، ما لا يرضونه لأنفسهم ؛ فإتباع ذلك من الكلام ما كان نظيرا له ، أشبه وأولى من إتباعه ما لم يجر له ذكر .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (أَوْ مَنْ يُنَشَأُ فِي الْحِلْيَةِ) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض

المكيين والكوفيين (أَوْ مَنْ يَنْشَأُ) بفتح الياء والتخفيف من نشأ ينشأ . وقرآته عامة قرآء الكوفة (يُنشَأُ) بضم الياء وتشديد الشين ، من نشأتة فهو ينشأ .

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان في قرآءة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، لأن المُنشَأَ من الإنشاء ناشئ ، والناشئ مُنشَأٌ ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب . وقد ذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله (أَوْ مَنْ لَا يَنْشَأُ إِلَّا فِي الْحَلِيَّةِ) ، وفي (مَنْ) وجوه من الإعراب: الرفع على الاستئناف ، والنصب على إضمار يجعلون ، كأنه قيل : أو من ينشأ في الحلية يجعلون بنات الله ؟ وقد يجوز النصب فيه أيضا على الرد على قوله : أم اتخذ مما يخلق بنات ، أو من ينشأ في الحلية ، فبرد مَنْ على البنات ، والخفض على الرد على « ما » التي في قوله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا ، أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ؟ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ
وَيُسْتَلُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء المشركون بالله ملائكته الذين هم عباد الرحمن .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرآته عامة قرآء المدينة (الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ) بالنون ، فكأنهم تأولوا في ذلك قول الله جل ثناؤه : (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) . فتأويل الكلام على هذه القراءة : وجعلوا ملائكة الله الذين هم عنده يسبحونه ويقدمونه إناثا ، فقالوا : هم بنات الله : جهلا منهم بحق الله ، وجبرأة منهم على قيل الكذب والباطل . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة والبصرة : (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا) بمعنى : جمع عبادة . فعنى الكلام على قراءة هؤلاء : وجعلوا ملائكة الله الذين هم خاتمته وعباده بنات الله ، فأنثوهم بوصفهم إياهم بأنهم إناث .

والصواب من القول في ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان في قرآءة الأمصار ، صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، وذلك أن الملائكة عباد الله وعندة .

واختلفوا أيضا في قراءة قوله (أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ) ؟ فقرأ ذلك بعض قرآء المدينة : (أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ) ؟ بضم الألف ، على وجه ما لم يسم فاعله ، بمعنى : أأشهد الله هؤلاء المشركين الجاعلين ملائكة الله إناثا ، خلقت ملائكته الذين هم عنده ، فعلموا ما هم ، وأنهم إناث ، فوصفهم بذلك ، لعلمهم بهم ، وبرؤيتهم إياهم ، ثم رد ذلك إلى ما لم يسم فاعله . وقُرى بفتح الألف ، بمعنى : أشهدوا هم ذلك فعلموه ؟ والصواب من القول في ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب .

وقوله (سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ) يقول تعالى ذكره : ستكتب شهادة هؤلاء القائلين : الملائكة بنات الله في الدنيا ، بما شهدوا به عليهم ، ويُسْتَلُونَ عن شهادتهم تلك في الآخرة ، أن أتوا ببرهان على حقيقتها ، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون من قريش : لو شاء الرحمن ما عبدنا أو ثاننا التي نعبدها من دونه ، وإنما لم يُحِلَّ بنا عقوبة على عبادتنا إياها ، لرضاه منا بعبادتناها .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) للأوثان ، يقول الله عز وجل (مَا كُنْتُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ) يقول : ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم ، وإنما يقولونه تخريصا وتكذبا ، لأنهم لا خبر عندهم مني بذلك ولا برهان . وإنما يقولونه ظنا وحسابا . (إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) يقول : ما هم إلا متخريصون هذا القول الذي قالوه ، وذلك قولهم (لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) .

وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ، ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) ، ما يعلمون قدرة الله على ذلك .

وقوله (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ) يقول تعالى ذكره : ما آتينا هؤلاء المتخريصين القائلين لو شاء الرحمن ما عبدنا الآلهة ، كتابا بحقيقة ما يقولون من ذلك ، من قبل هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد (فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) : يقول : فهم بذلك الكتاب الذي جاءهم من عندي من قبيل هذا القرآن ، مستمسكون يعملون به ، ويدينون بما فيه ، ويحتجون به عليك .

القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ما آتينا هؤلاء القائلين : لو شاء الرحمن ما عبدنا هؤلاء الأوثان بالأمر بعبادتها ، كتابا من عندنا ، ولكنهم قالوا : وجدنا آباءنا الذين كانوا قبلنا يعبدونها ، فنحن نعبدها كما كانوا يعبدونها ؛ وعسى جل ثناؤه بقوله بل ١ وجدنا آباءنا على آثرهم ٢ : بل وجدنا آباءنا على دين وملة ، وذلك هو عبادتهم الأوثان .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) ما : ساقطة من المطبوعة .

(٢) التلاوة : بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (على أُمَّة) : مِلَّة .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) يقول : وجدنا آباءنا على دين .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) قال : قد قال ذلك مشركو قريش : إنا وجدنا آباءنا على دين .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط عن السدي (قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) قال : على دين .

واختلفت القراء في قراءة قوله (على أُمَّة) فقرأته عامة قراء الأمصار (على أُمَّة) بضم الألف ، بالمعنى الذى وصفت ، من الدين والملة والسنة . وذكُر عن مجاهد وعمر بن عبد العزيز أنهما قرآه (على إِمَّة) بكسر الألف . وقد اختلف في معناها إذا كُسرت ألفها ، فكان بعضهم يوجه تأويلها إذا كُسرت ، على أنها الطريقة ، وأنها مصدر من قول القائل : أمت القوم فأنا أؤمهم إِمَّة . وذكُر عن العرب سماعا : ما أحسن عمته وإمته وجليسته ، إذا كان مصدرا . ووجهه بعضهم إذا كُسرت ألفها إلى أنها الإمة التى بمعنى النعيم والملك ، كما قال عدى بن زيد :

« ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالْإِمَّةِ وَارْتِهِمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ »

وقال : أراد إمامة الملك ونيمة . وقال بعضهم : (الأُمَّة بالضم ، والإمَّة بالكسر بمعنى واحد) .
والصواب من القراءة في ذلك ، الذى لأستجيز غيره : الضم في الألف ، لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليه . وأما الذين كسروها فإنى لأأراهم قصدوا بكسرها إلا معنى الطريقة والمنهاج ، على ما ذكرناه قبل ، لا للنعمة والملك ، لأنه لاوجه لأن يقال : إنا وجدنا آباءنا على نعمة ، ونحن لهم متبعون في ذلك ، لأن الاتباع إنما يكون فى الملل والأديان وما أشبه ذلك ، لا فى الملك والنعمة ، لأن الاتباع فى الملك ، ليس بالأمر الذى يصل إليه كل من أراد .

وقوله (وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) يقول : وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه من دينهم مهتدون ، يعنى : لهم متبعون على منهاجهم .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :
(وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) يقول : وإنا على دينهم .

(١) البيت لعدى بن زيد العبدي (اللسان : أُم) وهو من شواهد الفراء فى معانى القرآن ، عند قوله تعالى « إنا وجدنا آباءنا على أمة (الورقة : ٢٩٤) قال : قرأها القراء بضم الألف من « أمة » ، وكسرها مجاهد ، وعمر بن عبد العزيز . وكان الإمة : الطريقة ، والمصدر من أمت القوم ؛ فإن العرب تقول : ما أحسن إمته وعمته وجليسته ، إذا كان مصدرا . والأمة أيضا : الملك والنعيم . قال عدى : « ثم بعد الفلاح . . . البيت » . فكأنه أراد إمامة الملك ونيمة . اهـ . وفى اللسان : والأمة (بالضم) والكسر الدين . والأمة (بالكسر) لغة فى الأمة (بالضم) وهى الطريقة والدين . اهـ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهِتَدُونَ) يقول :
وإنا متبعوهم على ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا : إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ
وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : وهكذا كما فعل هؤلاء المشركون من قريش ، فعل من قبلهم من أهل الكفر بالله ،
وقالوا مثل قولهم ، لم نرسل من قبلك يا محمد في قرية ، يعني إلى أهلها رسلاً تنذرهم عقابنا ، على كفرهم بنا ،
فأنذروهم وحذروهم بنحننا ، وحلول عقوبتنا بهم (إلا قال متترفوها) ، وهم رؤساؤهم وكبرائهم .
كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (إِلَّا قَالَ
مُتْرَفُوهَا) : قال رؤساؤهم وأشرفهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ
فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا) : قاداتهم ورءوسهم في الشرك .

وقوله (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) يقول : قالوا : إنا وجدنا آباءنا على ملة ودين ، (وَإِنَّا عَلَىٰ
آثَارِهِم) يعني : وإنا على مناهجهم وطريقتهم مقتدون بفعلهم ، نفعل كالذي فعلوا ، ونعبده ما كانوا
يعبدون . يقول جل ثناؤه لحمد صلى الله عليه وسلم : فلإنما سلك مشركو قومك مناهج من قبلهم ، من إخوانهم
من أهل الشرك بالله ، في إجابتهم إياك بما أجابوك به ، وردتهم ما ردوا عليك من النصيحة ، واحتجاجهم بما
احتجوا به ، لئقامهم على دينهم الباطل .
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ) قال بفعلهم
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ) ، فاتبعوهم
على ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

* قَالَ أُولُو جِحْتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ، قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ، القائلين
إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون : (أُولُو جِحْتِكُمْ) أيها القوم من عند ربكم (بِأَهْدَىٰ)
إلى طريق الحق ، وأدل لكم على سبيل الرشاد (مِمَّا وَجَدْتُمْ) أنتم عليه آباءكم من الدين والملة ،

(قَالُوا: إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) يقول : فقال ذلك لهم ، فأجابوه بأن قالوا له ، كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها لأنبيائها : إنا بما أرسلتم به أيها القوم كافرون ، يعنى : جاحدون منكرون . وقرأ ذلك قرآء الأمصار سوى أبي جعفر (قُلْ أَوْ لَوْ جِئْتُمْكُمْ) بالثناء . وذكر عن أبي جعفر القارىء ، أنه قرأه (قُلْ أَوْ لَوْ جِئْنَاكُمْ) بالنون والألف . والقراءة عندنا ما عليه قرآء الأمصار ، لإجماع الحجة عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : فانتقمنا من هؤلاء المكذبة رسلها من الأمم الكافرة بربها ، بإحلالنا العقوبة بهم ، فانظر يا محمد كيف كان عاقبتي أمرهم ، إذ كذبوا بآيات الله . ويعنى بقوله (عاقبة المكذبين) : آخر أمر الذين كذبوا رسل الله ، إلام صار؟ يقول : ألم نهلكهم فنجعلهم عبرة لغيرهم ؟ كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) قال : شر والله ، أخذهم بخسف وغرق ، ثم أهلكتهم ، فأدخلهم النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ

(٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِمْ لَعَلَّهُمْ يُرْجَعُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) الذين كانوا يعبدون ما يعبده مشركو قومك يا محمد : (إِنِّى بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ) من دون الله ، فكذبوه ، فانتقمنا منهم ، كما انتقمنا ممن قبلهم من الأمم المكذبة رسلها . وقيل : (إِنِّى بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ) فوضع البراء وهو مصدر موضع النعت ، والعرب لا تثنى البراء ولا تجمع ولا تؤنث ، فتقول : نحن البراء والخلاء ، لما ذكرت أنه مصدر ، وإذا قالوا : هو برىء منك ثنا وجمعوا وأنثوا ، فقالوا : هما بريتان منك ، وهم بريئون منك . وذكر أنها فى قراءة عبد الله : (إِنِّى بَرِيءٌ) بالياء ، وقد يجمع برىء : برآء وأبراء . (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) يقول : إني برىء مما تعبدون من شيء إلا من الذى خلقنى ، يعنى الذى خلقنى (فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ) يقول : فإنه سيقومنى للدين الحق ، ويوفقنى لاتباع سبيل الرشده . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) . . . الآية ، قال : كمايدهم كانوا يقولون : إن الله ربنا (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) فلم يبرأ من ربه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (إِنِّى بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ) : يقول : إني برىء مما تعبدون (إِلَّا الَّذِي خَلَقَنِي) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) قال : خلقني .
 وقوله (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ) يقول تعالى ذكره : وجعل قوله (إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا
 تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) وهو قول لا إله إلا الله ، كلمةً باقية في عقبه ، وهم ذريته ، فلم يزل في
 ذريته من يقول ذلك من بعده .
 واختلف أهل التأويل في معنى الكلمة التي جعلها خليل الرحمن باقية في عقبه ، فقال بعضهم : بنحو الذي
 قلنا في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً
 بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ) قال : لا إله إلا الله .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً) قال : شهادة
 أن لا إله إلا الله ، والتوحيد ، لم يزل في ذريته من يقولها من بعده .
 حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي
 عَقْبِهِ) قال : التوحيد والإخلاص ، ولا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده .
 حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ)
 قال : لا إله إلا الله .

وقال آخرون : الكلمة التي جعلها الله في عقبه : اسم الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً
 فِي عَقْبِهِ) فقرأ (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : جعل هذه باقية
 في عقبه ، قال : الإسلام ، وقرأ (هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) ، فقرأ (وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ)
 وبنحو ما قلنا في معنى العقب قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِي عَقْبِهِ) قال : ولده .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
 قوله (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ) قال : يعني من خلفه .
 حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (فِي عَقْبِهِ) قال : في عقب إبراهيم :
 آل محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا ابن أبي فديك ، قال : ثنا ابن أبي ذئب ، عن ابن شهاب ، أنه كان يقول : العقب : الولد ، وولد الولد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في عَقَبِيهِ (قال : عقبه : ذريته . وقوله (لَعَلَّهْمُ يَرْجِعُونَ) يقول : ليرجعوا إلى طاعة ربهم ، ويثوبوا إلى عبادته ، ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَعَلَّهْمُ يَرْجِعُونَ) : أى يتوبون ، أو يذكرون .

القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ،
قَالُوا : هَذَا سِحْرٌ ، وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : (بَلْ مَتَّعْتُ) يا محمد (هَؤُلَاءِ) المشركين من قومك (وآبَاءَهُمْ) من قبلهم بالحياة ، فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ) يعنى جل ثناؤه بالحق : هذا القرآن : يقول : لم أهلكهم بالعذاب حتى أنزلت عليهم الكتاب ، وبعثت فيهم رسولا مبينا . يعنى بقوله (وَرَسُولٌ مُّبِينٌ) : محمدا صلى الله عليه وسلم ، والمبين : أنه يُبَيِّنُ لهم بالحُجَجِ التى يَحْتَجُّ بها عليهم ، أنه لله رسول محق فيما يقول ، (وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ) يقول جل ثناؤه : ولما جاء هؤلاء المشركين القرآن من عند الله ، ورسول من الله أرسله إليهم بالدعاء إليه (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ) يقول : هذا الذى جاءنا به هذا الرسول سحر يتسحرنا به ، ليس بوحي من الله (وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ) يقول : قالوا : وإنا به جاحدون ، ننكر أن يكون هذا من الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، في قوله (وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ ، وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ) قال : هؤلاء قريش ، قالوا للقرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم : هذا سحر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهْمُ يَقْسُمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ؟

نَحْنُ قَسَمْنَا يَنْهَمُ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ، لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا سُخْرِيًّا ، وَرَحِمْتُ رَبَّكَ خَيْرًا مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش ، لما جاءهم القرآن من عند الله : هذا سحر ، فإن كان حقا ، فهلا نزل على رجل عظيم من إحدى هاتين القريتين : مكة أو الطائف .

واختلف في الرجل الذي وصفوه بأنه عظيم ، فقالوا : هلا نزل عليه هذا القرآن ، فقال بعضهم : هلا نزل على الوليد بن المغيرة المخزومي من أهل مكة ، أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي ، من أهل الطائف .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) قال : يعني بالعظيم : الوليد بن المغيرة القرشي ، أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي ، وبالقريتين : مكة والطائف .

وقال آخرون : بل عني به عتبة بن ربيعة من أهل مكة ، وابن عبد ياليل ، من أهل الطائف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد على رجل من القريتين عظيم ، قال عتبة بن ربيعة من أهل مكة ، وابن عبد ياليل الثقفي من الطائف .

وقال آخرون : بل عني به من أهل مكة : الوليد بن المغيرة ، ومن أهل الطائف : ابن مسعود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) قال : الرجل : الوليد بن المغيرة ، قال : لو كان ما يقول محمد حقا أنزل على هذا ، أو على ابن مسعود الثقفي ، والقريتان : الطائف ومكة ، وابن مسعود الثقفي من الطائف اسمه : عمرو بن مسعود .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) والقريتان : مكة والطائف ؛ قال : قد قال ذلك مشركو قريش ، قال :

بلغنا أنه ليس فخذ من قريش إلا قد ادعته ، وقالوا : هو منا ، فكنا نحدث أن الرجلين : الوليد بن المغيرة ، وعمرو الثقفي أبو مسعود ، يقولون : هلا كان أنزل على أحد هذين الرجلين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) قال : كان أحد العظيمين عمرو بن مسعود الثقفي ، كان عظيم أهل الطائف .

وقال آخرون : بل عني به من أهل مكة : الوليد بن المغيرة ، ومن أهل الطائف : كنانة بن عبد بن عمرو .

عمرو .

(١) هو عمرو بن مسعود الثقفي ، كما تكرر في الروايات ، لا أبو مسعود ، كما في هذه الرواية ؛ فلعلها من تحريف الناسخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَتَيْنِ عَظِيمٍ) قال : الوليد بن المغيرة القرشي ، وكنانة بن عبد بن عمرو بن عمير ، عظيم أهل الطائف .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال كما قال جل ثناؤه ، خبرنا عن هؤلاء المشركين (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَتَيْنِ عَظِيمٍ) إذ كان جائزا أن يكون بعض هؤلاء ، ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عسوا منهم في كتابه ، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، والاختلاف فيه موجود على ما بينت .

وقوله (أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ؟) يقول تعالى ذكره : أهؤلاء القائلون : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يا محمد ، يقسمون رحمة ربك بين خلقه ، فيجعلون كرامته لمن شاءوا ، وفضله لمن أرادوا ، أم الله الذي يقسم ذلك ، فيعطيه من أحب ، ويحرمه من شاء ؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : لما بعث الله محمدا رسولا ، أنكرت العرب ذلك ، ومن أنكروا منهم ، فقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد ، قال : فأنزل الله عز وجل : (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ؟) وقال : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ، فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) يعني : أهل الكتب الماضية ، أبشرا كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة ؟ فإن كانوا ملائكة أتتكم ، وإن كانوا بشرا فلا تنكرون أن يكون محمد رسولا : قال : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى) : أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم ؛ قال : فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا ، وإذ كان بشرا فغير محمد كان أحق بالرسالة (فَلَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَتَيْنِ عَظِيمٍ) يقولون : أشرف من محمد صلى الله عليه وسلم ، يعنون الوليد بن المغيرة المخزومي ، وكان يسمى ريحانة قريش ، هذا من مكة ، ومسعود بن عمرو بن عبيد الله الثقفي من أهل الطائف ، قال : يقول الله عز وجل ردا عليهم (أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ؟) أنا أفعل ما شئت .

وقوله (نَحْنُ قَسَمْنَا بَبَنِيهِمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول تعالى ذكره : بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا ، فنجعل من شئنا رسولا ، ومن أردنا صديقا ، ونتخذ من أردنا خليلا ، كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا ، من الأرزاق والأقوات ، فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة ، بل جعلنا هذا غنيا ، وهذا فقيرا ، وهذا مليكا ، وهذا مملوكا (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الله تبارك وتعالى (أَلَمْ يَنْقَسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ؟ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فتلقاه ضعيف الحيلة ، عيبي اللسان ، وهو مبسوط له في الرزق ، وتلقاه شديد الحيلة ، سليط اللسان ، وهو مقتور عليه ، قال الله جل ثناؤه : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) كما قسم بينهم صورهم وأخلاقهم ، تبارك ربنا وتعالى .

وقوله (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) يقول : ليستسخر هذا هذا في خدمته إياه ، وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل ، يقول : جعل تعالى ذكره بعضا لبعض سببا في المعاش في الدنيا . وقد اختلف أهل التأويل فيما عني بقوله (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) فقال بعضهم : معناه : ما قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) قال : يستخدم بعضهم بعضا في السخرة . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) قال : هم بنو آدم جميعا ، قال : وهذا عبد هذا ، ورفع هذا على هذا درجة ، فهو يسخره بالعمل ، يستعمله به ، كما يقال : سخر فلان فلانا . وقال بعضهم : بل عني بذلك : لملك بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، في قوله (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) يعني بذلك : العبيد والخدم سخر لهم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) ملكة . وقوله (وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) يقول تعالى ذكره : ورحمة ربك يا محمد ، بإدخالهم الجنة خير لهم مما يجمعون من الأموال في الدنيا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) يعني الجنة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَرَحْمَةً رَبِّكَ) يقول : الجنة خير مما يجمعون في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ

وَمَعَارِجَ عَلِيَّيَا يَصْهَرُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً) : جماعة واحدة .

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي لم يؤمن اجتماعهم عليه ، لوفعل ما قال جل ثناؤه ، وما به لم يفعله من أجله ، فقال بعضهم : ذلك اجتماعهم على الكفر . وقال : معنى الكلام : ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على الكفر ، فيصير جميعهم كفارا ، لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) يقول الله سبحانه : لولا أن أجعل الناس كلهم كفارا ، لجعلت للكفار لبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوزة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) قال : لولا أن يكون الناس كفارا أجمعون ، يميلون إلى الدنيا ، لجعل الله تبارك وتعالى الذي قال ، ثم قال : والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها ، وما فعل ذلك ، فكيف لو فعله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) : أي كفارا كلهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) قال : لولا أن يكون الناس كفارا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) يقول : كفارا على دين واحد .

وقال آخرون : اجتماعهم على طلب الدنيا ، وترك طلب الآخرة . وقال : معنى الكلام : ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على طلب الدنيا ، ورفض الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) قال : لولا أن يختار الناس دنياهم على دينهم ، لجعلنا هذا لأهل الكفر .

وقوله (بَلَّعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيَبْسُؤْتَهُمْ سَقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ) يقول تعالى ذكره : بلعلنا لمن يكفر بالرحمن في الدنيا سَقُفًا ، يعني أعلى بيوتهم ، وهي السطوح فضة .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَبْسُؤْتَهُمْ سَقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ) السقف : أعلى البيوت .

واختلف أهل العربية في تكرير اللام التي في قوله (لِمَنْ يَكْفُرُ) ، وفي قوله (لِيَبْسُؤْتَهُمْ) ، فكان بعض نحوي البصرة يزعم أنها أدخلت في البيوت على البدل . وكان بعض نحوي الكوفة يقول : إن شئت جعلتها في (لِيَبْسُؤْتَهُمْ) مكررة ، كما في (يَسْتَسْلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ) ، وإن شئت جعلت اللامين مختلفتين ، كأن الثانية في معنى على ، كأنه قال : جعلنا لهم على بيوتهم سقفا . قال : وتقول العرب للرجل في وجهه : جعلت لك لقومك الأعطية : أي جعلته من أجلك لهم .

واختلفت القراء في قراءة قوله (سَقُفًا) فقرأته عامة قراء أهل مكة وبعض المدنيين وعامة البصريين (سَقُفًا) بفتح السين ، وسكون القاف اعتبارا منهم ذلك بقوله ، (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) ، وتوجيها منهم ذلك إلى أنه بلفظ واحد معناه الجمع . وقراه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة (سَقُفًا) ، بضم السين والقاف ، ووجهها إلى أنها جمع سَقِيفَة أو سَقُوف . وإذا وجهت إلى أنها جمع سقوف كانت جمع الجمع ، لأن السَقُوف : جمع سَقِيف ، ثم تجمع السَقُوفُ سَقُفًا ، فيكون ذلك نظير قراءة من قرأه (فَرُهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ) بضم الراء والهاء ، وهي الجمع ، واحدها رهان ورُهُون ، وواحد الرُهون والرُهَان : رَهْنٌ ، وكذلك قراءة من قرأ (كُلُّوْا مِمَّنْ تَمْرِهِ) بضم التاء والميم ، ونظير قول الراجز :

حَتَّى إِذَا ابْتَلَّتْ حَلَاقِيمُ الْخَلْقِ

وقد زعم بعضهم أن السَقُفُ ، بضم السين والقاف ، جمع سَقِيف ، والرُهْنُ ، بضم الراء والهاء ، جمع رَهْنٌ ، فأغفل وجه الصواب في ذلك ، وذلك أنه غير موجود في كلام العرب اسم على تقدير (فَعَلٌ) بفتح الفاء وسكون العين ، مجموعا على فَعُلٌ ، فيجعل السَقُفُ والرُهْنُ مثله .

(١) البيت في (اللسان : حلق) ، ولم ينسبه ، ولعله لرؤبة . قال : الخلق : مساع الطعام والشراب في المرى . والجمع القليل : أحلاق والكثير : حلق ، وحلق . الأخيرة ككتب عزيزة . أنشد الفارسي :
« حتى إذا ابتلت حلاقيم الخلق »
وفي معاني القرآن للفراء (الورقة ٢٩٥) قال عند قوله تعالى : « بلعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيؤتهم سقفا » : والسقف قرأها عاصم والأعمش «سقفا» (أي بضم السين والقاف) . وإن شئت جعلت واحدها «سقيفة» ، وإن شئت جعلت «سقوفا» ، فيكون جمع الجمع . كما قال الشاعر :

حَتَّى إِذَا بُلَّتْ حَلَاقِيمُ الْخَلْقِ

أَهْوَى لِأَدْنَى فَقْرَةٍ عَلَى شَفَقِ

ومثله قراءة من قرأ : « كلوا من ثمره » (بضم التاء والميم) ، وهو جمع ، وواحد : ثمار . وكقول من قرأ : « فَرُهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ » واحدها « رهان » و « رهون » . اهـ .

والصواب من القول في ذلك عندي ، أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، معروفتان في قرآنة الأمصار ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .

وقوله (وَمَعَارِجَ عَلَيَّهَا يَظْهَرُونَ) يقول : ومَرَاقٍ ودرَجًا عليها يَصْعَدُونَ ، فيظهرون على السَّقْفِ والمَعَارِجِ : هي الدرج نفسها ، كما قال المثنى بن جندل :

يَا رَبَّ رَبِّ الْبَيْتِ ذِي الْمَعَارِجِ ۱

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَمَعَارِجَ) قال : معارج من فضة ، وهي دَرَج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَعَارِجَ عَلَيَّهَا يَظْهَرُونَ) : أي دَرَجًا عليها يَصْعَدُونَ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَمَعَارِجَ عَلَيَّهَا يَظْهَرُونَ) قال : المعارج : المراق .

حدثنا محمد ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَمَعَارِجَ عَلَيَّهَا يَظْهَرُونَ) قال : دَرَجَ عليها يُرْفَعُونَ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَمَعَارِجَ عَلَيَّهَا يَظْهَرُونَ) قال : درج عليها يَصْعَدُونَ إلى الغرف .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَعَارِجَ عَلَيَّهَا يَظْهَرُونَ) قال : المعارج : دَرَجَ من فضة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِيُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : وجعلنا لبيوتهم أبوابا من فضة ، وسُرُرًا من فضة .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، وسُرُرًا قال : سرر فضة .

(١) البيت نسبة المؤلف إلى المثنى بن جندل . ونسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن ، (الورقة ٢٢٠ - ب) إلى جندل بن المثنى ، وهو الصواب ، وهو جندل بن المثنى الطهوي ، كما في سبط اللألي (٧٠٢) . والمعارج : جمع معراج ، وهي كما في (اللسان : عرج) المضاعف والدرج . واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « ومعارج عليها يظهرون » . قال أبو عبيدة : المعارج : الدرج . قال جندل بن المثنى : « يارب رب البيت ذى المعارج » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَكَيْبُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهِمْ يَتَكَبَّرُونَ) قال : الأبواب من فضة ، والسرر من فضة عليها يتكئون ، يقول : على السرر يتكئون .

وقوله (وَزُخْرُفًا) يقول : ولجعلنا لهم مع ذلك زخرفا ، وهو الذهب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَزُخْرُفًا) وهو الذهب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَزُخْرُفًا) قال : الذهب . وقال الحسن : بيت من زُخْرَف ، قال : ذهب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَزُخْرُفًا) الزخرف : الذهب ، قال : قد والله كانت تُكْرَهُ ثيابُ الشهرة . وذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إِيَّائِكُمُ وَالْحُمُرَةَ ، فَإِنَّهَا مِنْ أَحْسَبِ الزَّيْنَةِ إِلَى الشَّيْطَانِ » .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَزُخْرُفًا) قال : الذهب .

حدثنا أحمد ١ قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَزُخْرُفًا) قال : الذهب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَزُخْرُفًا) لجعلنا هذا لأهل الكفر ، يعنى لبيوتهم سُقُفًا من فضة وما ذكر معها . قال : والزخرف سُمِّيَ هذا الذى سُمِّيَ : السقف ، والمعارج ، والأبواب ، والسرر ، من الأثاث والفُرش والمتاع .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول فى قوله (وَزُخْرُفًا) يقول : ذهباً . والزخرف على قول ابن زيد هذا : هو ما تتخذة الناس فى منازلهم من الفُرش والأمتعة والآلات .

وفى نصب الزخرف وجهان : أحدهما : أن يكون معناه : لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفًا من فضة ومن زخرف ، فلما لم يكرّر عليه من نُصِبَ على إعمال الفعل فيه ذلك ، والمعنى فيه ، فكأنه قيل : وزخرفا يجعل ذلك لهم منه . والوجه الثانى : أن يكون معطوفا على السرر ، فيكون معناه : لجعلنا لهم هذه الأشياء من فضة ، وجعلنا لهم مع ذلك ذهباً يكون لهم غِيَتِي يستغنون بها ، ولو كان التنزيل جاء بخفض الزخرف ، لكان : لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفًا من فضة ومن زخرف ، فكان الزخرف يكون معطوفا على الفضة . وأما المعارج فإنها بُجِعت على مفاعل ، وواحدها مِعْرَاج ، على جمع مِعْرَاج ، كما يجمع المفتاح مفتاح ، على جمع مِفْتَاح ، لأنهما لغتان : مِعْرَاج ، ومِفْتَاح ، ولو جمع معاريج كان صوابا ، كما يجمع المفتاح مفتاح ، إذ كان واحده مِعْرَاج .

(١) يظهر أن هذا مكرر .

وقوله (وَإِنْ كُنْتُمْ كَفَرْتُمْ فَسَرَّوْا أَعْيُنَكُمْ عَلَى الْكَلِمَاتِ) يقول تعالى ذكره : وما كمل هذه الأشياء التي ذكرت ، من السقف من الفضة والمعارض والأبواب والسرر من الفضة والزخرف ، إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا (وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره : وزين الدار الآخرة وبهاؤها عند ربك للمتقين ، الذين اتقوا الله ، فحافوا عقابه ، فجدوا في طاعته ، وحدثوا معاصيه ، خاصة دون غيرهم من خلق الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) خصوصا .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تَقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا فُهْوًا لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧)﴾

يقول تعالى ذكره : ومن يعرض عن ذكر الله ، فلم يخف سطوته ، ولم يخش عقابه (نُقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا، فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) يقول : نجعل له شيطانا يغويه ، فهو له قرين : يقول : فهو للشيطان قرين ، أى يصير كذلك ، وأصل العشو : النظر بغير ثبت ، لعله في العين ، يقال منه : عشا فلان يعشو عشا وعشوا : إذا ضعف بصره ، وأظلمت عينه ، كأن عليه غشاوة ، كما قال الشاعر :

مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ حَطَبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْجَجًا

يعنى : متى تفتقر فأتاه يعنك . وأما إذا ذهب البصر ولم يبصر ، فإنه يقال فيه : عشي فلان يعشي عشي ، منقوص ، ومنه قول الأعشى :

(١) هذا بيت مركب من شطرين من بيتين مختلفين ؛ فصدره للحطية من قصيدة مدح بها بغيض بن عامر بن شماس بن لاي بن أنف الناقة القمي . وعجزه من بيت لعبد بن الحر من قصيدة قالها وهو في حبس مصعب بن الزبير في الكوفة ، وبيت الحطية بتمامه كما في (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٣ : ٦٦٢) :

مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرٌ مُوقِدٍ

وبيت عبد الله بن الحر بتمامه هو ، كما في (الخزانة ٣ : ٦٦٣) :

مَتَى تَأْتِيْنَا تُلْمِمْ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطَبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْجَجًا

واستشهد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى « ومن يعش عن ذكر الرحمن » . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢٢٠) : أى نظم عينه عنه ، كأن عليها غشاوة . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٩٥) : يريد : ومن يعرض عنه . ومن قرأها « ومن يعش » يفتح الشين ، فمتاه : من يعم عنه . وقال القتيبي (اللسان : عشي) « معنى قوله » ومن يعش عن ذكر الرحمن « أى ينظم بصره . قال : وهذا قول أبي عبيدة . ثم ذهب يرد قول الفراء ويقول : لم أر أحدا يجيزه : عشوت عن الشيء : أعرضت عنه . إنما يقال : تعاشيت عن الشيء : أى تناقلت عنه ، كأنى لم أره . وكذلك تعاميت . قال : وعشوت إلى النار : أى استدلت عليها ببصر ضعيف . وقال الأزهري يرد كلام ابن قتيبة : أغفل القتيبي موضع الصواب ، واعترض مع غفنته على الفراء . والعرب تقول : عشوت إلى النار أعشو عشا ، أى قصدتها مهتديا . وعشوت عنها : أى أعرضت عنها . فيفروقون بين إلى وعن موصو لين بالفعل . اهـ .

رَأَتْ رَجُلًا غَائِبَ الْوَأْفِدَيْنِ مُخْتَلِفَ الْخَلْقِ أَعَشَى ضَرِيرًا^١
يقال منه : رجل أعشى وامرأة عشواء . وإنما معنى الكلام : ومن لا ينظر في حُجج الله بالإعراض منه عنه
إلا نظرا ضعيفا ، كنظر من قد عَشَى بصره (نَقِيصٌ لَهُ شَيْطَانًا) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ
نُقِيصٌ لَهُ شَيْطَانًا) يقول : إذا أعرض عن ذكر الله نقيص له شيطاننا (فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ
الرَّحْمَنِ) قال : يعرض .
وقد تأوله بعضهم بمعنى : ومن يعم ، ومن تأول ذلك كذلك ، فيجب أن تكون قراءته (وَمَنْ يَعِشْ)
بفتح الشين ، على ما بينت قبل .

ذكر من تأوله كذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ
الرَّحْمَنِ) قال : من يعم عن ذكر الرحمن .
وقوله (وَإِنَّهُمْ لَيَصِدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) يقول تعالى ذكره : وإن الشياطين ليصدّون هؤلاء
الذين يعشون عن ذكر الله ، عن سبيل الحق ، فيزينون لهم الضلالة ، ويكرهون إليهم الإيمان بالله ، والعمل
بطاعته (وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ) يقول : ويظنّ المشركون بالله بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه
من الضلالة ، أنهم على الحق والصواب ، يخبر تعالى ذكره عنهم ، أنهم من الذي هم عليه من الشرك على شك ،
وعلى غير بصيرة . وقال جل ثناؤه : (وَإِنَّهُمْ لَيَصِدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) فأخرج ذكرهم مخرج ذكر
الجميع ، وإنما ذكر قبل واحدا ، فقال : (نَقِيصٌ لَهُ شَيْطَانًا) ، لأن الشيطان وإن كان لفظه واحدا ،
ففي معنى جمع .

القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ
الْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩)

اختلفت القراء في قراءة قوله (حتى إذا جاءنا) فقراءته عامة قراء الحجاز سوى ابن محيصن ، وبعض

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة ، ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة ٩٥) الضمير في رأته يعود على امرأة ذكرها من أول
القصيدة ، وسماها ليل . والوافدان : العينان . ومختلف الخلق : غيرته السن والأحداث عما عهدته عليه من النقرة والقوة . والأعشى
الذي به سوء في عينيه ، أو هو الذي لا يبصر ليلا ، أو هو الأعمى . وهو الأقرب لقوله بعده « ضريرا » . وقوله عشي يعشى عشا ، مثل
عمى يعمى . وهو غير عشا إلى الشئ يعشو ، إذا نظر إليه وأقبل عليه ؛ أو عشا عنه يعشو عشا : إذا أعرض عنه ، كما بيناه في الشاهد الذي
قبله . اهـ .

الكوفيين وبعض الشاميين (حتى إذا جاءنا) على التثنية، بمعنى حتى إذا جاءنا هذا الذي عسي حتى عن ذكر الرحمن، وقرينه: الذي قبض له من الشياطين. وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة والبصرة وابن محيصن: (حتى إذا جاءنا) على التوحيد، بمعنى: حتى إذا جاءنا هذا العاشي من بني آدم عن ذكر الرحمن.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، وذلك أن في خبر الله تبارك وتعالى عن حال أحد الفريقين عند مقدمه عليه، فيما أقرنا فيه في الدنيا، الكفاية للسامع عن خبر الآخر، إذ كان الخبر عن حال أحدهما معلوما به خبر حال الآخر، وهما مع ذلك قراءتان مستفيضتان في قرآءة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: حتى إذا جاءنا هو وقرينه جميعا. وقوله (يا لبيت بيني وبينك بعد المشركين) يقول تعالى ذكره: قال أحد هذين الفريقين لصاحبه الآخر: وددت أن بيني وبينك بعد المشركين: أي بعد ما بين المشرق والمغرب، فغلب اسم أحدهما على الآخر، كما قيل: شبه القمرين، وكما قال الشاعر:

أخذنا بأفاق السماء عليكم
لنا قمرها والنجوم الطوالع^١
وكما قال الآخر:

فبصرة الأزدي منيا والعراق لنا
والموصلان ومينا ميصر والحرم^٢

بمعنى: الموصل والجزيرة، فقال: الموصلان، فغلب الموصل. وقد قيل: عسي بقوله (بعد المشركين): مشرق الشتاء، ومشرق الصيف، وذلك أن الشمس تطلع في الشتاء من مشرق، وفي الصيف من مشرق غيره؛ وكذلك المغرب تغرب في مغربين مختلفين، كما قال جل ثناؤه: (رب المشركين ورب المغربين).

وذكر أن هذا قول أحدهما لصاحبه، عند لزوم كل واحد منهما صاحبه، حتى يورده جهنم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن سعيد الجريري، قال: بلغني أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبره، سَمِعَ بيده الشيطان، فلم يفارقه حتى يصيرهما الله إلى النار، فذلك حين

(١) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوي ٥١٩). قال: وقمرها: الشمس والقمر، ثناها تغليباً. ورواه المبرد في الكامل: «أخذنا بأطراف» في موضع، ورواه في آخر «بأفاق». هـ. واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى: «يا ليت بيني وبينك بعد المشركين»: أي بعد ما بين المشرق والمغرب. وأخذ كلامه من كلام الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٩٥) قال الفراء: يريد ما بين مشرق الشتاء، ومشرق الصيف. ويقال إنه أراد المشرق والمغرب، فقال: المشركين، وهو أشبه الوجهين بالصواب؛ لأن العرب قد تجمع الاسمين، على تسمية أشهرهما، فيقال: جامك الزهدمان، وإنما أحدهما زهدم (أي والآخر: كردم، العبسيان كما تقدم في شاهد سابق) وقال الشاعر: «أخذنا بأفاق السماء... البيت.

(٢) هذا الشاهد في معنى الذي قبله. استشهد به الفراء أيضا في معاني القرآن كسابقه، على أن الشيتين المختلتي اللفظ، قد يجعلان باللفظ واحد، فيقال البصرتان، للبصرة والكوفة، والموصلان للجزيرة. وكل هذا من باب تغليب الأشهر من اللفظين على الآخر. قال: وأنشدني رجل من طييء: «فبصرة الأزدي منا... البيت» يريد الجزيرة والموصل.

يقول : يا ليت بيني وبينك بعد المشركين ، فبئس القرين . وأما المؤمن فيوكَّل به ملك ، فهو معه حتى قال : إما يفصل بين الناس ، أو نصير إلى ما شاء الله .

وقوله (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ) أيها العاشقون عن ذكر الله في الدنيا (إِذْ ظَلَمْتُمْ ، أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) يقول : لن يخفف عنكم اليوم من عذاب الله اشتراككم فيه ، لأن لكل واحد منكم نصيبه منه ، و « أن » من قوله (أَنْتُمْ) : في موضع رفع ، لما ذكرت أن معناه : لن ينفعكم اشتراككم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ؟ (٤٠) فَأِمَّا زَهَبَنَّ بِكَ
فَأِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَأِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (أفأنت تسمع الصم) : من قد سلبه الله استماع حججه التي احتج بها في هذا الكتاب ، فأصمه عنه ، أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن إبطاره ، واستحوذ عليه الشيطان ، فزيّن له الرّدى (وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول : أو تهدي من كان في جور عن قصد السبيل ، سالك غير سبيل الحق ، قد أبان ضلاله أنه عن الحق زائل ، وعن قصد السبيل جائر : يقول جل ثناؤه : ليس ذلك إليك ، إنما ذلك إلى الله ، الذي بيده صرف قلوب خلقه كيف شاء ، وإنما أنت منذر ، فبلغهم النذارة .

وقوله (فَأِمَّا زَهَبَنَّ بِكَ فَأِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) اختلف أهل التأويل في المعنيين بهذا الوعيد ، فقال بعضهم : عني به أهل الإسلام من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سوار بن عبد الله العنبري ، قال : ثني أبي ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن ، في قوله (فَأِمَّا زَهَبَنَّ بِكَ فَأِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) قال : لقد كانت بعد نبي الله نعمة شديدة ، فأكرم الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرّيه في أمته ما كان من النعمة بعده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأِمَّا زَهَبَنَّ بِكَ فَأِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) فذهب الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ، ولم ير في أمته إلا الذي تقرّ به عينه ، وأبى الله النعمة بعده ، وليس من نبي إلا وقد رأى في أمته العقوبة ، أو قال ما لا يشتهي ، ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى الذي لتقيت أمته بعده ، فما زال منقبضا ، ما انبسط ضاحكا حتى لبى الله تبارك وتعالى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (فَأِمَّا زَهَبَنَّ بِكَ فَأِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) فقال : ذهب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبقيت النعمة ، ولم ير الله نبيه صلى الله عليه وسلم في أمته شيئا يكرهه حتى مضى ، ولم يكن نبي قط إلا رأى العقوبة في أمته ، إلا نبيكم صلى الله عليه وسلم . قال : وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ما يصيب أمته بعده ، فما رى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله .

وقال آخرون: بل عني به أهل الشرك من قريش ، وقالوا: قد أرى الله نبيه عليه الصلاة والسلام فيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (فإِنَّمَا مِنْهُمْ مَتَّعِمُونَ) كما انتقمنا من الأمم الماضية ، أو نرينك الذي وعدناهم ، فقد أراه الله ذلك وأظهره عليه . وهذا القول الثاني أولى التأويلين في ذلك بالصواب . وذلك أن ذلك في سياق خبر الله عن المشركين ، فلأن يكون ذلك تهديدا لهم ، أولى من أن يكون وعيدا لمن لم يجز له ذكر . فعني الكلام إذ كان ذلك كذلك : فإن نذهب بك يا محمد من بين أظهر هؤلاء المشركين ، فنخرجك من بينهم (فَإِنَّمَا مِنْهُمْ مَتَّعِمُونَ) ، كما فعلنا ذلك بغيرهم من الأمم المكذبة رسلها ، (أَوْ نُرِينَكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ) يا محمد من الظفر بهم ، وإعلائك عليهم (فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَقْتَدِرُونَ) أن نظهرك عليهم ، ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك .

القول في تأويل قوله تعالى

فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ، إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَدِكُّكَ لَقَوْمِكَ
وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فتمسك بما يأمرك به هذا القرآن الذي أوحاه إليك ربك ، (إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ، ومنهاج سديد ، وذلك هو دين الله الذي أمر به ، وهو الإسلام . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) : أي الإسلام .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ) : بالقرآن (إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وقوله (وَإِنَّهُ لَدِكُّكَ لَقَوْمِكَ) يقول تعالى ذكره : وإن هذا القرآن الذي أوحى إليك يا محمد ، الذي أمرناك أن تستمسك به ، لشرف لك ولقومك من قريش (وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ) يقول : وسوف يسألك ربك وإياهم عما عملتم فيه ، وهل عملتم بما أمركم ربكم فيه ، وانتهيت عما نهاكم عنه فيه ؟ وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنَّهُ لَدِكُّكَ لَقَوْمِكَ) يقول : إن القرآن شرف لك .

حدثني عمرو بن مالك ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَإِنَّهُ لَدِكُّكَ لَقَوْمِكَ) يقول للرجل : من أنت ؟ فيقول : من العرب ، فيقال : من أي العرب ؟ فيقول : من قريش .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) وهو هذا القرآن .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) قال : شرف لك ولقومك ، يعني القرآن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) قال : أو لم تكن النبوة والقرآن الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ذكرا له ولقومه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَسئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا : أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ؟ (٤٥)

﴿٤٥﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) ومن الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسألتهم ذلك ؟ فقال بعضهم الذين أمر بمسألتهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مؤمنو أهل الكتابين : التوراة ، والإنجيل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : في قراءة عبد الله بن مسعود (واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) إنها قراءة عبد الله : سئل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) يقول : سئل أهل التوراة والإنجيل : هل جاءهم الرسل إلا بالتوحيد : أن يوحدوا ، الله وحده ؟ قال : وفي بعض القراءة : واسأل الذين أرسلنا إليهم رسلنا قبلك (أجمعنا من دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في بعض الحروف (واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك من رسلنا) سئل أهل الكتاب : أما كانت الرسل تأتيهم بالتوحيد ؟ أما كانت تأتي بالإخلاص ؟

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) في قراءة ابن مسعود (سئل الذين يتقرءون الكتاب من قبلك) يعني : مؤمنى أهل الكتاب .

وقال آخرون : بل الذين أمر بمسئلتهم ذلك الأنبياء الذين جمعوا له ليلة أُسرى به بيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (واسئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ) . . . الآية ، قال : بُجِعُوا له ليلة أُسْرِي به بيت المقدس ، فأَمَّهُمْ ، وصَلَّى بهم ، فقال الله له : سلهم ، قال : فكان أشدَّ إِيْمَانًا وِثْقَانًا بالله وبما جاءه من الله من أن يسألهم ، وقرأ (فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ) قال : فلم يكن في شكٍّ ، ولم يسأل الأنبياء ، ولا الذين يقرءون الكتاب . قال : ونادى جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فقلت في نفسي : الآن يؤمنا أبونا إبراهيم ؛ قال : فدفع جبرائيل في ظهري ، قال : تقدم يا محمد فصلِّ ، وقرأ (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) . . . حتى بلغ (لَيْسَ بِهِ مِنْ آيَاتِنَا) .
وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك : قول من قال : عُنِيَ به : سل مؤمنى أهل الكتابين .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يقال : سل الرسل ، فيكون معناه : سل المؤمنين بهم وبكتابهم ؟ قيل : جاز ذلك من أجل أن المؤمنين بهم وبكتابهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم ، فالخبر عنهم وعمما جاءوا به من ربهم إذا صحَّ بمعنى خبرهم ، والمسألة عما جاءوا به : بمعنى مسألتهم إذا كان المسئول من أهل العلم بهم ، والصدق عليهم ، وذلك نظير أمر الله جل ثناؤه إيانا بردًا ما تنازعنا فيه إلى الله وإلى الرسول ، يقول : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) ، ومعلوم أن معنى ذلك : فردَّوه إلى كتاب الله وسنة رسوله ، لأن الردَّ إلى ذلك ردَّ إلى الله والرسول . وكذلك قوله (واسئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مَنْ رُسُلِنَا) إنما معناه : فاسأل كتب الذين أرسلنا من قبلك من الرسل ، فإنك تعلم صحة ذلك من قبيلنا ، فاستغنى بذكر الرسل من ذكر الكتب ، إذ كان معلوما ما معناه .

وقوله (أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) يقول : أمرناهم بعبادة الآلهة من دون الله ، فيما جاءوهم به ، أو أتوهم بالأمر بذلك من عندنا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) ؟ أتتهم الرسل يأمرهم بعبادة الآلهة من دون الله ؟ وقيل : (آلِهَةً يُعْبَدُونَ) ، فأخرج الخبر عن الآلهة مخرج الخبر عن ذكور بني آدم ، ولم يقل : تعبد ، ولا يعبدن ، فتوثت وهي حجارة ، أو بعض الجماد ، كما يفعل في الخبر عن بعض الجماد . وإنما فُعِلَ ذلك كذلك ، إذ كانت تعبد وتعظم تعظيم الناس ملوكهم وسرآتهم ، فأجبرى الخبر عنها مجبرى الخبر عن الملوك والأشراف من بني آدم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦)
فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا يا محمد موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه ، كما أرسلناك إلى هؤلاء المشركين من قومك ، فقال لهم موسى : إني رسول رب العالمين ، كما قلت أنت لقومك من قريش : إني رسول الله إليكم ، (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ) يقول : فلما جاء موسى فرعون وملاؤه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله ، فيما يدعوهم إليه من توحيد الله ، والبراءة من عبادة الآلهة ، إذا فرعون وقومه مما جاءهم به موسى من الآيات والعبر يضحكون ، كما أن قومك مما جئتهم به من الآيات والعبر يستخفرون ، وهذا تسليية من الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم عما كان يلقي من مشركي قومه ، وإعلام منه له ، أن قومه من أهل الشرك لن يبعدوا أن يكونوا كسائر الأمم الذين كانوا على مناهجهم ، في الكفر بالله وتكذيب رسوله ، وتندب منه نبيه صلى الله عليه وسلم إلى الاستئنان في الصبر عليهم بسنن أولى العزم من الرسل ، وإخبار منه له ، أن عقبي مترد بهم إلى البوار والهلاك ، كسنته في المتمردين عليه قبلهم ، وإظهاره بهم ، وإعلانه أمره ، كالذي فعل بموسى عليه السلام ، وقومه الذين آمنوا به ، من إظهارهم على فرعون وملته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةِ الْإِلَهِىِّ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ، وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : وما نرى فرعون وملاؤه آية ، يعنى : حجة لنا عليه بحقيقة ما يدعوه إليه رسولنا موسى (إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) يقول : إلا التي نزيهه من ذلك أعظم في الحجية عليهم ، وأؤكد من التي مضت قبلها من الآيات ، وأدل على صحة ما يأمره به موسى من توحيد الله .

وقوله (وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ) يقول : وأنزلنا بهم العذاب ، وذلك كأخذه تعالى ذكره إياهم بالسنين ، ونقص من الثمرات ، وبالجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول : ليرجعوا عن كفرهم بالله ، إلى توحيد وطاعته ، والتوبة مما هم عليه مقيمون من معاصيهم :

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) أى يتوبون ، أو يذكرون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ

الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : وقال فرعون وملؤه لموسى : (يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ

عِنْدَكَ) وَعَسَوْا بِقَوْلِهِمْ «بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ»: بعهدته الذي عهد إليك، أنا إن آمننا بك واتبعناك، كشف عنا الرجز .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل (بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ) قال : لئن آمننا ليكشفننا عنا العذاب .

إن قال لنا قائل : وما وجه قيلهم يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك ، وكيف سمّوه ساحرا وهم يسألونه أن يدعو لهم ربه ، ليكشف عنهم العذاب ؟ قيل : إن الساحر كان عندهم معناه : العالم ، ولم يكن الساحر عندهم ذما ، وإنما دعّوه بهذا الاسم ، لأن معناه عندهم كان : يا أيها العالم . وقوله (إِنَّا لَمُهْتَدُونَ) يقول : قالوا : إنا لمتبعوك فصدّقوك فيما جئتنا به ، وموحدو الله ، فبصرو سبيل الرشاد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيها السّاحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إِنَّا لَمُهْتَدُونَ) قال : قالوا يا موسى : ادع لنا ربك : لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك . وقوله (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ) يقول تعالى ذكره : فلما رفعنا عنهم العذاب الذي أنزلنا بهم ، الذي وعدوا أنهم إن كشف عنهم اهتدوا لسبيل الحق ، إذا هم بعد كشفنا ذلك عنهم ينكثون العهد الذي عاهدونا : يقول : يغدرون ويصرون على ضلالتهم ، ويتأدون في غيهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ) : أي يغدرون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ، قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ؟

أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ (٥١)

يقول تعالى ذكره : (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ) من القبط ، ف (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي) ، أفلا تبصرون (يعني بقوله (مِن تَحْتِي) : من بين يدي في الجنان .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي) قال : كانت لهم جنات وأنهار ماء .

وقوله (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) يقول : أفلا تبصرون أيها القوم ما أنا فيه من النعيم والخير ، وما فيه موسى من الفقر وعى اللسان ؟ افتخر بملكه مصر عدو الله ، وما قد مكّن له من الدنيا، استدراجا من الله له ، وحسب أن الذي هو فيه من ذلك ناله بيده وحوله ، وأن موسى إنما لم يصل إلى الذي يصفه ، فنسبه من أجل ذلك إلى المهانة ، محتجا على جهلة قومه بأن موسى عليه السلام لو كان محقا فيما يأتي به من الآيات والعبر ، ولم يكن ذلك سحرا ، لأكسب نفسه من الملك والنعمة ، مثل الذي هو فيه من ذلك ، جهلا بالله ، واعتارا منه بإملائه إياه .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ، وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أَلْتَمَسْنَا لِسَانَ اللَّهِ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ (٥٣)

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن قيل فرعون لقومه ، بعد احتجاجه عليهم بملكه وسلطانه ، وبيان لسانه ، وتام خلقه ، وفضل ما بينه وبين موسى ، بالصفات التي وصف بها نفسه وموسى : أنا خير أيها القوم ، ووصفتي هذه الصفة التي وصفت لكم ، (أم هذا الذي هو مهين) لاشيء له من الملك والأموال ، مع العلة التي في جسده ، والآفة التي بلسانه ، فلا يكاد من أجلها يبين كلامه ؟ وقد اختلف في معنى قوله (أم) في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناها : بل أنا خير ، وقالوا : ذلك خبر ، لاستفهام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (أم أنا خير) من هذا الذي هو مهين) قال : بل أنا خير من هذا .

وبنحو ذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة .

وقال بعض نحوي الكوفة : هو من الاستفهام الذي جعل بأم ، لاتصاله بكلام قبله . قال : وإن شئت رددته على قوله (أليس لي ملك مصر) ؟ وإذا وجه الكلام إلى أنه استفهام ، وجب أن يكون في الكلام محذوف استغنى بذكر ما ذكر مما ترك ذكره ، ويكون معنى الكلام حينئذ : أنا خير أيها القوم من هذا الذي هو مهين ، أم هو ؟

وذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ ذلك (أم أنا خير) ؟

حدثت بذلك عن القراء قال : أخبرني بعض المشيخة ، أنه بلغه أن بعض القراء قرأ كذلك ، ولو كانت هذه القراءة قراءة مستفيضة في قرآءة الأمصار ، لكانت صحيحة ، وكان معناها حسنا ، غير أنها خلاف ما عليه قرآءة الأمصار ، فلا أستجيز القراءة بها ، وعلى هذه القراءة لو صححت ، لا كلفة له في معناها ولا مؤنة .

والصواب من القراءة في ذلك: ما عليه قرآء الأمصار . وأولى التأويلات بالكلام، إذ كان ذلك كذلك،
تأويل مَنْ جعل: أمْ أنا (خَسِيرٌ)؟ من الاستفهام الذي جعل بأم، لاتصاله بما قبله من الكلام، ووجهه
إلى أنه بمعنى: أنا خير من هذا الذي هو مَهِينٌ؟ أم هو؟ ثم تَرَكَ ذكر أم هو، لما في الكلام من الدليل
عليه. وعَسِي بقلوه (مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) : من هذا الذي هو ضعيف لقلته ماله، وأنه ليس له
من الملك والسلطان ماله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أمْ أنا خَسِيرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ)
قال : ضعيف .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد قال : ثنا أسباط ، عن السدي (مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) قال :
المهين : الضعيف .

وقوله (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) يقول : ولا يكاد يُبِينُ الكلام من عِي لسانه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) : أي عِي اللسان .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) الكلام .

وقوله (فَلَتَوَلَّوْا لِقَيْ عَلَيْهِ أَسْوَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) يقول : فهلا ألقى على موسى إن كان صادقا أنه
رسول رب العالمين ، أسورة من ذهب ، وهو جمع سِوَار ، وهو القُلْبُ الذي يجعل في اليد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (أَسْوَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) يقول : أقلبة من ذهب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَسْوَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) : أي أقلبة
من ذهب .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة والكوفة (فَلَتَوَلَّوْا لِقَيْ عَلَيْهِ
أَسْوَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) . وذكر عن الحسن البصري ، أنه كان يقرؤه (أَسْوَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي : ما عليه قرآء الأمصار ، وإن كانت الأخرى صحيحة المعنى .
واختلف أهل العربية في واحد الأَسَاوِرَة ، والأَسْوَرَة ، فقال بعض نحوي البصرة : الأَسْوَرَة : جمع إسوار .
قال : والأَسَاوِرَة جمع الأَسْوَرَة ؛ وقال : ومن قرأ ذلك أساورة ، فإنه أراد أساوير . والله أعلم ، فجعل الهاء
عوضا من الياء ، مثل الزنادقة ، صارت الهاء فيها عوضا من الياء التي في زناديق . وقال بعض نحوي الكوفة :

من قرأ أساورة جعل واحدها إسوار ؛ ومن قرأ أسورة جعل واحدها سيوار ؛ وقال : قد تكون الأساورة جمع أسورة ، كما يقال في جمع الأسقية الأساق ، وفي جمع الأكرع الأكارع . وقال آخر منهم : قد قيل في سوار اليد : يجوز فيه أسوار وإسوار ؛ قال : فيجوز على هذه اللغة أن يكون أساورة جمعه . وحكى عن أبي عمرو ابن العلاء أنه كان يقول : واحد الأساورة إسوار ؛ قال : وتصديقه في قراءة أبي بن كعب (فَلَئَوْلَا أَلْتَقِيَا عَلَيَّهِ أَسَاوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ) فإن كان ما حكى من الرواية ، من أنه يجوز أن يقال في سوار اليد إسوار ، فلا مؤنة في جمعه أساورة ، ولست أعلم ذلك صحيحا عن العرب ، برواية عنها ، وذلك أن المعروف في كلامهم من معنى الإسوار : الرجل الرامي ، الحاذق بالرمي ، من رجال العجم . وأما الذي يُلَيس في اليد ، فإن المعروف من أسمائه عندهم سوار . فإذا كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى بالأساورة أن يكون جمع أسورة على ما قاله الذي ذكرنا قوله في ذلك .

وقوله (أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَسَّرِينَ) يقول : أو هلا إن كان صادقا جاء معه الملائكة مقسرين قد اقترن بعضهم ببعض ، فتتابعوا يشهدون له بأنه لله رسول إليهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في العبارة على تأويله ، فقال بعضهم ، يمشون معا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (الْمَلَائِكَةُ مُقَسَّرِينَ) قال : يمشون معا . وقال آخرون : متتابعين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَسَّرِينَ) : أي متتابعين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .
وقال آخرون : يقارن بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَسَّرِينَ) قال : يقارن بعضهم بعضا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ، فَأَغْرَقْنَاهُمْ

أَجْمِينَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره: فاستخف فرعون خلقاً من قومه من القبيط، بقوله الذي أخبر الله تبارك وتعالى عنه أنه قاله لهم، فقبلوا ذلك منه فأطاعوه، وكذبوا موسى، قال الله: وإنما أطاعوا فاستجابوا لما دعاهم إليه عدو الله من تصديقه، وتكذيب موسى، لأنهم كانوا قوماً عن طاعة الله خارجين، بخذلانه إياهم، وطبعه على قلوبهم. يقول الله تبارك وتعالى: (فَلَمَّا آسَفُونَا) يعني بقوله: آسفونا: أغضبونا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (فَلَمَّا آسَفُونَا) يقول: أسخطونا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، (فَلَمَّا آسَفُونَا) يقول: لما أغضبونا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (فَلَمَّا آسَفُونَا): أغضبونا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَلَمَّا آسَفُونَا) قال: أغضبوا ربهم. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فَلَمَّا آسَفُونَا) قال: أغضبونا. حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي (فَلَمَّا آسَفُونَا) قال: أغضبونا، وهو على قول يعقوب: (يا أَسَيْتِي عَلَى يَوْسُفَ) قال: يا حَزَنِي عَلَى يَوْسُفَ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (فَلَمَّا آسَفُونَا) انتقمنا منهم، قال: أغضبونا، وقوله (انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) يقول: انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عجلناه لهم، فأغرقناهم جميعاً في البحر.

القول في تأويل قوله تعالى

فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ (٥٦) وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ (٥٧)

اختلفت القرآء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرآء الكوفة غير عاصم (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) بضم السين واللام، توجيهاً ذلك منهم إلى جمع سلايف من الناس، وهو المتقدم أمام القوم. وحنكى القرآء أنه سمع القاسم ابن معن يذكر أنه سمع العرب تقول: مضى سلايف من الناس. وقرآته عامة قرآء المدينة والبصرة وعاصم: (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) بفتح السين واللام. وإذا قُربى كذلك احتمال أن يكون مراداً به الجماعة والواحد، والذكر والأنثى، لأنه يُقال للقوم: أنتم لنا سلف، وقد يُجمع فيقال: هم أسلاف؛ ومنه الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ أَسْلَافًا». وكان حميد الأعرج

يقراً ذلك : (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) بضم السين ، وفتح اللام ، توجيها منه ذلك إلى جمع سلفته من الناس ، أمة منهم وقطعة .

وأولى القراءات في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه بفتح السين واللام ، لأنها اللغة الجوداء ، والكلام المعروف عند العرب ، وأحق اللغات أن يُقرأ بها كتاب الله من لغات العرب ، أفصحها وأشهرها فيهم . فتأويل الكلام إذن : فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون في البحر ، مقدمة يتقدمون إلى النار ، كفار قومك يا محمد من قريش ، وكفار قومك لهم بالأثر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ) قال : قوم فرعون كفارهم سلفا لكفار أمة محمد صلى الله عليه وسلم .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) في النار .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر : (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) قال : سلفا إلى النار . وقوله (وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ) يقول : وعبرة وعظة يتعظ بهم من بعدهم من الأمم ، فيتنهوا عن الكفر بالله . وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ) قال : عبرة لمن بعدهم .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ) : أي عظة للآخرين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ) : أي عظة لمن بعدهم .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا) قال : عبرة .

وقوله (وَكَلَّمَ صُورَ ابْنِ مَرْيَمَ مَثَلًا) يقول تعالى ذكره : ولما شبه الله عيسى في إحدائه وإنشائه إياه من غير فحل بآدم ، فمثله به بأنه خلقه من تراب من غير فحل ، إذا قومك يا محمد من ذلك يضيحون ويقولون : ما يريد محمد منا إلا أن نتخذة لها نعبد ، كما عبَدت النصارى المسيح .
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ)

يَصِيدُونَ) قال: يَضِجُونَ؛ قال: قالت قريش: إنما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: لما ذُكر عيسى بن مريم جزعت قريش من ذلك، وقالوا: يا محمد ما ذكرت عيسى بن مريم؟ وقالوا: ما يريد محمد إلا أن نضع به كما صنعت النصارى بعيسى بن مريم، فقال الله عز وجل: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا). حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: لما ذُكر عيسى في القرآن قال مشركو قريش: يا محمد ما أردت إلى ذكر عيسى؟ قال: وقالوا: إنما يريد أن نجبه كما أحببت النصارى عيسى.

وقال آخرون: بل عِني بذلك قول الله عز وجل (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) قيل المشركين عند نزولها: قد رضينا بأن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة، لأن كل هؤلاء مما يُعبد من دون الله، قال الله عز وجل: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنهُ يَصِيدُونَ) وقالوا: آلهتنا خير أم هو؟ ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنهُ يَصِيدُونَ) قال: يعني قريشا لما قيل لهم (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) فقالت له قريش: فما ابن مريم؟ قال: ذلك عبد الله ورسوله، فقالوا: والله ما يريد هذا إلا أن نتخذة ربا، كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا، فقال الله عز وجل: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ). واختلفت القراء في قراءة قوله (يَصِيدُونَ)، فقرأته عامة قراء المدينة، وجماعة من قراء الكوفة: (يَصِيدُونَ) بضم الصاد. وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة (يَصِيدُونَ) بكسر الصاد.

واختلف أهل العلم بكلام العرب في فرق ما بين ذلك، إذا قرئ بضم الصاد، وإذا قرئ بكسرها، فقال بعض نحويي البصرة، ووافقه عليه بعض الكوفيين: هما لغتان بمعنى واحد، مثل يَشُدُّ وَيَشِدُّ، وَيَسْمُ وَيَسِمُّ من النخيمة. وقال آخر منهم: من كسر الصاد فجازها يَصِجُونَ، ومن ضمها فجازها يَعْدِلُونَ. وقال بعض من كسرها: فإنه أراد يَضِجُونَ، ومن ضمها فإنه أراد الصدود عن الحق.

وحدثت عن القراء، قال: ثني أبو بكر بن عياش، أن عاصما ترك يَصِيدُونَ من قراءة أبي عبد الرحمن، وقرأ يَصِيدُونَ، قال: قال أبو بكر: حدثني عاصم، عن أبي رزين، عن أبي يحيى، أن ابن عباس ليني ابن أخي عبيد بن عمير، فقال: إن عملك لعربي، فما له يُلحَن في قوله (إِذَا قَوْمُكَ مِنهُ يَصِيدُونَ) وإنما هي (يَصِيدُونَ)؟

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان بمعنى واحد، ولم نجد أهل التأويل فرقوا بين معنى ذلك إذا قرئ بالضم والكسر، ولو كان مختلفا معناه، لقد كان الاختلاف في تأويله

(١) كذا في الأصل، ولم يتم الكلام؛ ولعله اكتفى بدلالة ما بعده عليه.

بين أهله موجودا وجود اختلاف القراءة فيه باختلاف اللغتين ، ولكن لما لم يكن مختلف المعنى لم يختلفوا في أن تأويله : يَضِجُونَ ويجزعون ، فبأى القراءتين قرأ القارئ فصيب .

ذكر ما قلنا في تأويل ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يَضِجُونَ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) يقول : يَضِجُونَ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن المغيرة الضبيّ ، عن الصعب بن عثمان قال : كان ابن عباس يقرأ (إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) ، وكان يفسرها يقول : يَضِجُونَ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس (إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يَضِجُونَ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس بمثله . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجلّ (إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يَضِجُونَ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) : أى يجزعون ويضجون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس أنه قرأها (يَصِدُّونَ) : أى يضجون ، وقرأ علىّ رضى الله عنه (يَصِدُّونَ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يَضِجُونَ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يَضِجُونَ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : أءِإِلٰهِنَّا خَيْرٌ أَمِ هُوَ؟ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : وقال مشركو قومك يا محمد : آهتنا التي نعبدها خير ، أم محمد فنعبد محمدا ، ونترك آهتنا ؟

وذكر أن ذلك في قراءة أبي بن كعب : (أَآهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هَذَا) .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أن في حرف أبي بن كعب (وَقَالُوا أَآهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هَذَا) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم .
وقال آخرون : بل عُنِيَ بذلك : آهتنا خير أم عيسى ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَقَالُوا أَآهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هَذَا) ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) قال : خاصموه ، فقالوا : يزعم أن كل من عبده من دون الله في النار ، فنحن نرضى أن تكون آهتنا مع عيسى وعزير والملائكة هؤلاء قد عبدوا من دون الله ، قال : فأنزل الله براءة عيسى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَآهْتُنَا خَيْرٌ) قال : عبد هؤلاء عيسى ، ونحن نعبد الملائكة .

وقوله (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) . . . إلى (فِي الأَرْضِ يَخْتَلِفُونَ) . وقوله تعالى ذكره : (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا) يقول تعالى ذكره : ما مثلوا لك هذا المثل يا محمد ، ولا قالوا لك هذا القول إلا جدلا وخصومة يخاصمونك به (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) يقول جل ثناؤه : ما بقومك يا محمد هؤلاء المشركين في محاجتهم إياك بما يحاجونك به طلب الحق (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) يلتمسون الخصومة بالباطل .

وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَا ضَلَّ قَوْمٌ عَنِ الْحَقِّ إِلاَّ أَوْتُوا الْجَدَلَ » .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا يعلى ، قال : ثنا الحجاج بن دينار ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أَوْتُوا الْجَدَلَ ، قَرَأَ : (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا) . . . الآية » .

حدثني موسى بن عبد الرحمن الكندي وأبو كريب قالوا : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا حجاج بن دينار ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أحمد بن عبد الرحمن ، عن عباد بن عباد ، عن جعفر بن القاسم ، عن أبي أمامة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن ، فغضب غضبا

شديدا ، حتى كأنما صبَّ على وجهه الخلل ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « لا تَنْضَرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بِعَعْضِهِ بِيَعْضٍ ، فَإِنَّهُ مَا ضَلَّ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ ، ثُمَّ تَلَا : (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) » .

وقوله (إنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) يقول تعالى ذكره : فما عيسى إلا عبد من عبادنا ، أنعمنا عليه بالتوفيق والإيمان ، وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ، يقول : وجعلناه آية لبني إسرائيل ، وحجة لنا عليهم ، يرسلناه إليهم بالدعاء إلينا ، وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى ، تعالى الله عن ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ، يعني بذلك عيسى بن مريم ، ما عدا ذلك عيسى بن مريم ، إن كان إلا عبدا أنعم الله عليه .
وبنحو الذي قلنا أيضا في قوله (وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) قالوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن قتادة (مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) أحسبه قال : آية لبني إسرائيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) أي آية . قوله (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ) يقول تعالى ذكره : ولو نشاء معشر بني آدم أهلكتناكم ، فأفينا جميعكم ، وجعلنا بدلا منكم في الأرض ملائكة يخلفونكم فيها يعبدونني ، وذلك نحو قوله تعالى ذكره : (إنَّ يَشَاءُ يُدْهِبِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا) وكما قال : (إنَّ يَشَاءُ يُدْهِبِكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، غير أن منهم من قال : معناه : يخلف بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ) يقول : يخلف بعضهم بعضا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ) قال : يعمرون الأرض بدلا منكم .

حدثنا ابن عبد الأعلى قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ) قال : يخلف بعضهم بعضا ، مكان بني آدم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ) لو شاء الله جعل في الأرض ملائكة يخلف بعضهم بعضا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَآلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ) قال : خلفا منكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّهُ لَعَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٢)

يختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله (وَإِنَّهُ) وما المعنى بها ، ومن ذكر ما هي ، فقال بعضهم : هي من ذكر عيسى ، وهي عائدة عليه . وقالوا : معنى الكلام : وإن عيسى ظهوره علم يعلم به مجيء الساعة ، لأن ظهوره من أشراتها ، ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا ، وإقبال الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزّين ، عن يحيى ، عن ابن عباس (وَإِنَّهُ لَعَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ) قال : خروج عيسى بن مريم .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن عاصم ، عن أبي رزّين ، عن ابن عباس بمثله ، إلا أنه قال : نزول عيسى بن مريم .

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : ثنا غالب بن قائد ، قال : ثنا قيس ، عن عاصم ، عن أبي رزّين ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (وَإِنَّهُ لَعَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن فضيل بن مرزوق ، عن جابر ، قال : كان ابن عباس يقول : ما أدرى علم الناس بتفسير هذه الآية ، أم لم يفظنوا لها ؟ (وَإِنَّهُ لَعَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَإِنَّهُ لَعَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبي مالك وعوف عن الحسن أنهما قالوا في قوله (وَإِنَّهُ لَعَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ) قالوا : نزول عيسى بن مريم ، وقرأها أحدهما (وَإِنَّهُ لَعَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ) .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِنَّهُ لَعَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ) قال : آية للساعة خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ لَعَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم علم الساعة : القيامة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم علم الساعة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ) يعني خروج عيسى بن مريم ونزوله من السماء قبل يوم القيامة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم علم الساعة حين ينزل .

وقال آخرون : الهاء التي في قوله (وَإِنَّهُ) من ذكر القرآن ، وقالوا : معنى الكلام : وإن هذا القرآن لعلم الساعة يعلمكم بقيامها ، ويخبركم عنها وعن أحوالها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول (وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ) هذا القرآن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : كان ناس يقولون : القرآن علم الساعة . واجتمعت قرآء الأمصار في قراءة قوله (وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ) على كسر العين من العلم . ورؤى عن ابن عباس ما ذكرت عنه في فتحها ، وعن قتادة والضحاك .

والصواب من القراءة في ذلك : الكسر في العين ، لإجماع الحجة من القرآء عليه . وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي ، وإنه لذكر الساعة ، فذلك مصحح قراءة الذين قرءوا بكسر العين من قوله (لَعَلَّمٌ) .

وقوله (فَلَا تَمَسِّرُنَّهَا) يقول : فلا تشككن فيها وفي مجيئها أيها الناس .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَلَا تَمَسِّرُنَّهَا) قال : تشككون فيها .

وقوله (وَأَتَّبِعُونَ) يقول تعالى ذكره : وأطيعون فاعملوا بما أمرتكم به ، وانتهوا عما نهيتكم عنه ، (وَهَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) يقول : اتباعكم إياي أيها الناس في أمري ونهيي : صراط مستقيم ، يقول :

طريق لا اعوجاج فيه ، بل هو قويم .

وقوله (وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ) يقول جل ثناؤه : ولا يعدلنكم الشيطان عن طاعتي فيما أمركم

وأنهاكم ، فتخالفوه إلى غيره ، وتجوروا عن الصراط المستقيم فتضلوا . (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) يقول :

إن الشيطان لكم عدو يدعوكم إلى ما فيه هلاككم ، ويصدكم عن قصد السبيل ، ليوردكم المهالك ، (مُبِينٌ) :

قد أبان لكم عداوته ، بامتناعه من السجود لأبيكم آدم ، وإدلائه بالغرور حتى أخرجه من الجنة حسدا وبغيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ، وَلَا يَبِينُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي

تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : ولما جاء عيسى بنى إسرائيل بالبينات ، يعنى بالواضحات من الأدلة . وقيل : عنى بالبينات : الإنجيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاَلَمْ يَأْتِ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ) أى بالإنجيل . وقوله (قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ) قيل : عنى بالحكمة فى هذا الموضع : النبوة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ) قال : النبوة .

وقد بينت معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا بشواهد ، وذكرت اختلاف المختلفين فى تأويله ، فأغنى ذلك عن إعادته .

وقوله (وَاللَّابِئِينَ لَكُمْ بِبَعْضِ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) يقول : ولأبين لكم معشر بنى إسرائيل بعض الذى تختلفون فيه من أحكام التوراة .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَاللَّابِئِينَ لَكُمْ بِبَعْضِ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) قال : من تبديل التوراة .

وقد قيل : معنى البعض فى هذا الموضع بمعنى الكل ، وجعلوا ذلك نظير قول لبيد :

تَرَكَ أُمُكِنَةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النَّفُوسِ حَمَامُهَا

قالوا : الموت لا يعتلق بعض النفوس ، وإنما المعنى : أو يعتلق النفوس حمامها ، وليس لما قال هذا القائل كبير معنى ، لأن عيسى إنما قال لهم : (وَاللَّابِئِينَ لَكُمْ بِبَعْضِ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) ، لأنه قد كان بينهم اختلاف كثير ، فى أسباب دينهم وديانهم ، فقال لهم : أبين لكم بعض ذلك ، وهو أمر دينهم دون ما هم

(١) البيت للبيد (بجاء القرآن لأبي عبيدة . الورقة ٢٢١) أنشده عند قوله تعالى : « لأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه » قال : البيض هاهنا : كله . قال لبيد : « تراك . . . البيت » . وفى شرح الزوزنى للمعلقات السبع (ص ١٣٨) يقول : إنى تراك أماكن إذا لم أرضها ، إلا أن يرتبط نفسى حمامها ، فلا يمكنها البراح . وأراد ببعض النفوس هنا : نفسه . هذا أوجه الأقوال وأحسنها . ومن جعل بعض النفوس بمعنى كل النفوس ، فقد أخطأ ، لأن بعض لا يفيد العموم والاستيعاب . وتحرير المعنى : إنى لأترك الأماكن أجتوبها وأقلبها ، إلا أن أموت . وقال التبريزى فى شرح القصائد العشر ، (ص ١٦٠) يقول : أترك الأماكن إذا رأيت فيها ما يكره إلا أن يدركنى الموت . وأراد بالنفوس نفسه ، ويعتلق : يحبس . والحمام : الموت . ويقال القدر . وقوله أو يعتلق مجزوم علقا على قوله : إذا لم أرضها . اهـ .

فيه مختلفون من أمر دنياهم ، فلذلك خصّ ما أخبرهم أنه يبينه لهم . وأما قول لييد : « أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النَّفْسِ » فإنه إنما قال ذلك أيضا كذلك ، لأنه أراد : أويعلق نفسه حمامها ، فنفسه من بين النفوس لاشكّ أنها بعض لا كل .
وقوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) يقول : فاتقوا ربكم أيها الناس بطاعته ، وخافوه باجتناّب معاصيه ، وأطيعون فيما أمرتكم به من اتقاء الله واتباع أمره ، وقبول نصيحتي لكم .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) يقول : إن الله الذي يستوجب علينا إفراده بالألوهية ، وإخلاص الطاعة له ، ربّي وربكم جميعا ، فاعبدوه وحده ، لا تشركوا معه في عبادته شيئا ، فإنه لا يصلح ، ولا ينبغي أن يُعبد شيء سواه .

وقوله (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) يقول : هذا الذي أمرتكم به ، من اتقاء الله وطاعتي ، وإفراد الله بالألوهة ، هو الطريق المستقيم ، وهو دين الله الذي لا يقبل من أحد من عباده غيره .

القول في تأويل قوله تعالى

* فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَوْمِ (٦٥) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦)

اختلّف أهل التأويل في المعنيين بالأحزاب ، الذين ذكرهم الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عيسى بذلك : الجماعة التي تناظرت في أمر عيسى ، واختلّفت فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) قال : هم الأربعة الذين أخرجهم بنو إسرائيل ، يقولون في عيسى . وقال آخرون : بل هم اليهود والنصارى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) قال : اليهود والنصارى .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : معنى ذلك : فاختلّف الفريقُ المختلفون في عيسى بن مريم ، من بين من دعاهم عيسى إلى ما دعاهم إليه : من اتقاء الله والعمل بطاعته ، وهم اليهود والنصارى ، ومن اختلّف فيه من النصارى ، لأن جميعهم كانوا أحزابا مُبْتَسِلِينَ^١ ، مختلفي الأهواء ، مع بيانه لهم أمر نفسه ، وقوله لهم (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) .

وقوله (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَوْمِ) يقول تعالى ذكره : فالوادي السائل من القبيح والصديد في جهنم للذين كفروا بالله ، الذين قالوا في عيسى بن مريم بخلاف ما وصف عيسى به نفسه في

(١) كذا في الأصل . ولعل الصواب « متبسلين » بتقديم التاء على الباء . قال في اللسان : تبسل الرجل : عيس من الغضب أو الشجاعة أما تبسل الرجل بتقديم الباء ، فمعناه : أخذ على رقبته أجرا . اهـ .

هذه الآية (مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ) يقول: من عذاب يوم مؤلم، ووصف اليوم بالإيلام، إذ كان العذاب الذي يؤلمهم فيه، وذلك يوم القيامة.

كما حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي (مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ) قال: من عذاب يوم القيامة.

وقوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) يقول: هل ينظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى بن مريم، القائلون فيه الباطل من القول، إلا الساعة التي فيها تقوم القيامة فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يقول: وهم لا يعلمون بمجيئها.

القول في تأويل قوله تعالى

الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَعبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره: المتخاللون يوم القيامة على معاصي الله في الدنيا، بعضهم لبعض عدو، يتبرأ بعضهم من بعض، إلا الذين كانوا تخالطوا فيها على تقوى الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) فكل خلة على معصية الله في الدنيا متعادون.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) فكل خلة هي عداوة إلا خلة المتقين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن أبي إسحاق، أن عليا رضي الله عنه قال: خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين فقال: يا رب إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملائكتك يا رب، فلا تضله بعدى، واهدك كما هديتني، وأكرمك كما أكرمتني، فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول: ليسن أحدكما على صاحبه فيقول: يا رب إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملائكتك، فيقول نعم الخليل، ونعم الأخ، ونعم الصاحب. قال: ويموت أحد الكافرين فيقول: يا رب إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر، وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملائكتك، فيقول: بئس الأخ، وبئس الخليل، وبئس الصاحب.

وقوله (يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) وفي هذا الكلام محذوف استغنى

بدلالة ما ذكر عليه . ومعنى الكلام : الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين ، فإنهم يقال لهم : يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي ، فإني قد آمنتكم منه برضاي عنكم ، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا ، فإن الذي قدمتم عليه ، خير لكم مما فارقتموه منها .

وذكر أن الناس ينادون هذا النداء يوم القيامة ، فيقطع فيها من ليس من أهلها ، حتى يسمع قوله : (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ) فيئس منها عند ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد إلا فرح ، فينادي مناد : يا عباد الله لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ، فيرجوها الناس كلهم ، قال : فيدبها (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : فيئس الناس منها غير المسلمين .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠)

وقوله (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا) يقول تعالى ذكره : يا عبادي الذين آمنوا ، وهم الذين صدقوا بكتاب الله ورسله ، وعملوا بما جاءهم به رسلهم ، وكانوا مسلمين ، يقول : وكانوا أهل خضوع لله بقلوبهم ، وقبول منهم لما جاءهم به رسلهم عن ربهم على دين إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم ، حنفاء لا يهود ولا نصارى ، ولا أهل أوثان .

وقوله (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) يقول جل ثناؤه : ادخلوا الجنة أنتم أيها المؤمنون وأزواجكم معبوظين بكرامة الله ، مسرورين بما أعطاكم اليوم ربكم . وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (تُحْبَرُونَ) وقد ذكرنا ما قد قيل في ذلك فيما مضى ، وبيننا الصحيح من القول فيه عندنا ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، غير أننا نذكر بعض ما لم يذكر هنالك من أقوال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) : أي تنعمون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (تُحْبَرُونَ) قال : تنعمون .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (تُحْبَرُونَ) قال : تكرمون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) قال : تنعمون .

القول في تأويل قوله تعالى

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ، وَفِيهَا مَائِشَتُهُمِ الْآنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١)

يقول تعالى ذكره : يُطَافُ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ ، وَهِيَ جَمْعٌ لِلْكَثِيرِ مِنَ الصَّحِيفَةِ ، وَالصَّحِيفَةُ : الْقِصْعَةُ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ) قال : القيصاع .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر ، عن شعبة ، قال : إن أدنى أهل الجنة منزلة ، من له قصر فيه سبعون ألف خادم ، في يد كل خادم صحيفة سوى ما في يد صاحبها ، لو فتح باب فضائه أهل الدنيا لأوسعهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : إن أحسن أهل الجنة منزلا من له سبعون ألف خادم ، مع كل خادم صحفة من ذهب ، لو نزل به جميع أهل الأرض لأوسعهم ، لا يستعين عليهم بشيء من غيره ، وذلك في قول الله تبارك وتعالى (كَلِمٌ مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) وَلَهُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُبِيهِ الْآنْفُسُ ، وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي أيوب الأزدي ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : ما أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام ، كل غلام على عمل ما عليه صاحبه . وقوله (وَأَكْوَابٍ) وهي جمع كواب ، والكواب : الإبريق المستدير الرأس ، الذي لا أذن له ولا خراطوم ، وإياه عن الأعشى بقوله :

صَرِيْفِيَّةٌ طَيِّبٌ طَعْمُهَا لَهَا زَيْدٌ بَيْنَ كُؤُبٍ وَدَنٍ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَكْوَابٍ) قال : الأكواب التي

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ص ١٧) وصريفية، منسوبة إلى صريفون: موضع بالعراق مشهور بمجودة خمرة. وقيل نسبت إلى الصريف ، وهو اللين ساعة يحلب . جعلها صريفية لأنها أخذت من الدن ساعتئذ أحضرت ، كأنها أخذت قبل أن تمزج . والزيد : ما يعلوها عند تحريكها من الدن إلى الكواب . والكواب : الكوز الذي لا عروة له . أو هو الكوز المستدير الرأس ، الذي لا أذن له .

ليست لها آذان . ومعنى الكلام : يطاف عليهم فيها بالطعام في صحاف من ذهب ، وبالشراب في أكواب من ذهب ، فاستغنى بذكر الصحاف والأكواب من ذكر الطعام والشراب ، الذي يكون فيها لمعرفة السامعين بمعناه (وفيها ما تشتهي الأَنْفُسُ وتَلِدُ الأَعْيُنُ) يقول تعالى ذكره : لكم في الجنة ما تشتهي نفوسكم أيها المؤمنون ، وتلد أعينكم (وأنتم فيها خالدون) يقول : وأنتم فيها ما كثون ، لا تخرجون منها أبدا . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن علقمة بن مسرود ، عن ابن سابط « أن رجلا قال : يا رسول الله إني أحب الخيل ، فهل في الجنة خيل ؟ فقال : إن يدُ خيلك الجنة إن شاء ، فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء تطير بك في أي الجنة شئت ، إلا فعلت ، فقال أعرابي : يا رسول الله ، إني أحب الإبل ، فهل في الجنة إبل ؟ فقال : يا أعرابي إن يدُ خيلك الله الجنة إن شاء الله ، ففيها ما اشتهت نفسك ، ولذات عينك » .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا عمر بن عبد الرحمن الأبار ، عن محمد بن سعد الأنصاري ، عن أبي ظبية السلمي ، قال : إن السرب من أهل الجنة لتظلم السحابة ، قال : فتقول : ما أمطركم ؟ قال : فما يدعوا داع من القوم بشيء إلا أمطرتهم ، حتى إن القائل منهم ليقول : أمطرينا كواعب أترابا . حدثنا ابن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن علي بن أبي الوليد ، قال : قيل لجاهد في الجنة سمع ؟ قيل : إن فيها لشجرا يقال له العيص ، له سمع لم يسمع السامعون إلى مثله .

حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا زيد بن حباب ، قال : أخبرنا معاوية بن صالح ، قال : ثني سليمان بن عامر ، قال : سمعت أبا أمامة ، يقول : « إن الرجل من أهل الجنة ليشتي الطائر وهو يطير ، فيقع متقلقا نضيجا في كفه ، فيأكل منه حتى تنهى نفسه ، ثم يطير ، ويشتهي الشراب ، فيقع الإبريق في يده ، ويشرب منه ما يريد ، ثم يرجع إلى مكانه » .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وفيها ما تشتهي الأَنْفُسُ) فقراءته عامة قراء المدينة والشام : (ما تشتهي) بزيادة هاء ، وكذلك ذلك في مصاحفهم . وقرأ ذلك عامة قراء العراق (تشتهي) بغير هاء ، وكذلك هو في مصاحفهم .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان بمعنى واحد ، فأبتهما قرأ القاري فصيحا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : وهذه الجنة التي أورثكموها الله عن أهل النار الذين أدخلهم جهنم ، بما

(١) قراءة مشهورة متواترة بحذف الهاء .

كنتم في الدنيا تعملون من الخيرات (لَكُمْ فِيهَا) يقول: لكم في الجنة (فَمَا كَيْفَهُمْ كَثِيرَةٌ) من كل نوع ،
(مِنْهَا تَأْكُلُونَ) يقول : من الفاكهة تأكلون ما اشتبهتم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا
ظَلَمْنَاهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦)

يقول تعالى ذكره (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ) وهم الذين اجترموا في الدنيا الكفر بالله ، فاجترموا به في الآخرة
(فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) يقول : هم فيه ما كانوا ، (لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ) ، يقول : لا يخفف
عنهم العذاب وأصل الفتور : الضعف (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) يقول : وهم في عذاب جهنم مبلسون ،
والهاء في فيه من ذكر العذاب . ويذكر أن ذلك في قراءة عبد الله : (وَهُمْ فِيهَا مُبْلِسُونَ) والمعنى :
وهم في جهنم مبلسون ، والمبلس في هذا الموضع : هو الآيس من النجاة ، الذي قد قنط فاستسلم للعذاب والبلاء .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) : أي مستسلمون .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ)
قال : آيسون .

وقال آخرون بما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ)
متغير حالهم .

وقد بينا فيما مضى معنى الإبلاس بشواهد ، وذكر المختلفين فيه ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .
وقوله (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره : وما ظلمنا هؤلاء
المجرمين بفعلنا بهم ما أخبرناكم أيها الناس أننا فعلنا بهم ، من التعذيب بعذاب جهنم (وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ
الظَّالِمِينَ) بعبادتهم في الدنيا غير من كان عليهم عبادته ، وكفرهم بالله ، وجحودهم توحيدهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ، قَالَ : إِنَّكُمْ مَكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ ، وَلَكِنَّ
أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : ونادى هؤلاء المجرمون بعد ما أدخلهم الله جهنم ، فناظم فيها من البلاء ما ناظم ، مالكا
خازن جهنم : (يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) قال : ليبتنا ربك ، فيفرغ من إمانتنا ، فذكر أن مالكا
لا يجيبهم في وقت قبليهم له ذلك ، ويدعهم ألف عام بعد ذلك ، ثم يجيبهم : فيقول لهم : (إِنَّكُمْ مَا كِثُونَ)

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الحسن ، عن ابن عباس (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ) ، فأجابهم بعد ألف سنة (إِنَّكُمْ مَا كِثُونَ) .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن رجل من جيرانه يقال له الحسن ، عن نَوْفٍ في قوله (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ) قال : يتركهم مئة سنة مما تعدون ، ثم يناديهم فيقول : يا أهل النار إنكم ما كثون .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ) قال : فحلى عنهم أربعين عاما لا يجيبهم ، ثم أجابهم : (إِنَّكُمْ مَا كِثُونَ) . قالوا ربنا أخرجنا منها فلن عدنا فلنا ظالمون) فحلى عنهم مثلي الدنيا ، ثم أجابهم : (اخسئوا فيها ولا تكلمون) قال : فوالله ما نبس القوم بعد الكلمة ، إن كان إلا الزفير والشهيق . »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي أيوب الأزدي ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « إن أهل جهنم يدعون مالكا أربعين عاما فلا يجيبهم ، ثم يقول : (إِنَّكُمْ مَا كِثُونَ) ، ثم ينادون ربهم (ربنا أخرجنا منها فلن عدنا فلنا ظالمون) فيدعهم أو يحلى عنهم مثل الدنيا ، ثم يرد عليهم (اخسئوا فيها ولا تكلمون) قال : فما نبس القوم بعد ذلك بكلمة ، إن كان إلا الزفير والشهيق في نار جهنم . »

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن الحسن ، عن نوف (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ) قال : يتركهم مئة سنة مما تعدون ، ثم ناداهم فاستجابوا له ، فقال : إنكم ما كثون .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط عن السدي ، في قوله (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ) قال : مالك خازن النار ، قال : فكنوا ألف سنة مما تعدون ، قال : فأجابهم بعد ألف عام إنكم ما كثون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله تعالى ذكره (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ) قال : يميتنا ، القضاء هاهنا : الموت ، فأجابهم (إِنَّكُمْ مَا كِثُونَ) . وقوله (لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ) يقول : لقد أرسلنا إليكم بامرئ قريش رسولنا محمدا بالحق .
كما حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، (لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ) ، قال : الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثركم لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الحق كارهون .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ أَمْرُكُمْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ، أَلَيْ وَرُسُلُنَا

لَدَيْهِمْ يَكْتُوبُونَ (٨٠)

يقول تعالى ذكره : أم أبرم هؤلاء المشركون من قریش أمراً فأحكموه ، يكيدون به الحق الذي جئناهم به ، فإننا محكمون لهم ما ينجزهم ويدلهم من النكال .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أم أبرموا أمراً فإننا مسبرمون) قال : **مُجْمِعُونَ** إن كادوا شراً كيدنا مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (أم أبرموا أمراً فإننا مسبرمون) قال : أم أجمعوا أمراً فإننا مجمعون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أم أبرموا أمراً فإننا مسبرمون) قال : أم أحكموا أمراً فإننا محكمون لأمرنا .

وقوله (أم يحسبون أننا لانسمع سرهم ونجواهم) يقول : أم يظن هؤلاء المشركون بالله أنا لانسمع ما أخفوا عن الناس من منطقتهم ، وتشاوروا بينهم ، وتناجوا به دون غيرهم ، فلا نعاقبهم عليه ، لخفائه علينا .

وقوله (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) يقول تعالى ذكره : بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم ، وأخفوه عن الناس من سر كلامهم ، وحفظتنا لديهم ، يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق ، وتكلموا به من كلامهم .

وذكر أن هذه الآية نزلت في نفر ثلاثة ، تدارعوا في سماع الله تبارك وتعالى كلام عباده .

ذكر من قال ذلك

حدثني عمرو بن سعيد بن يسار القرشي ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا عاصم بن محمد العمري ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها ، قرشيان وثقي ، أو ثقفيان وقرشي ، فقال واحد من الثلاثة : أترون الله يسمع كلامنا ؟ فقال الأول : إذا جهرتهم سمع ، وإذا أسررتهم لم يسمع ، قال الثاني : إن كان يسمع إذا أعلنتم ، فإنه يسمع إذا أسررتهم ، قال : فنزلت (أم يحسبون أننا لانسمع سرهم ونجواهم ، بلى ورسلنا لديهم يكتبون) .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) : قال : الحفظة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) : أي عندهم .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : قل يا محمد إن كان للرحمن ولد ، في قولكم وزعمكم أيها المشركون ، فأنا أول المؤمنين بالله في تكذيبكم ، والجاحدين ما قلتم من أن له ولدا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ) كما تقولون (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) المؤمنين بالله ، فقولوا ما شئتم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) قال : قل إن كان لله ولد في قولكم ، فأنا أول من عبد الله ووحده وكذبكم . وقال آخرون : بل معنى ذلك : قل ما كان للرحمن ولد ، فأنا أول العابدين له بذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ إِنْ كَانَ الرَّحْمَنُ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) يقول : لم يكن للرحمن ولد ، فأنا أول الشاهدين . وقال آخرون : بل معنى ذلك نبي ، ومعنى «إِنْ» الجحد ، وتأويل ذلك ما كان ذلك ، ولا ينبغي أن يكون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) قال قتادة : وهذه كلمة من كلام العرب (إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ) : أي إن ذلك لم يكن ، ولا ينبغي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) قال : هذا الإنكاف ، ما كان للرحمن ولد ، فكيف الله أن يكون له ولد ، و«إِنْ» مثل «مَا» إنما هي : ما كان للرحمن ولد ، ليس للرحمن ولد ، مثل قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) : إنما هي : ما كان مكرهم لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ، فالذي أنزل الله من كتابه وقضاه من قضائه ، أثبت من الجبال ، وإن «مَا» إن كان : ما كان ، تقول العرب : إن كان ، وما كان الذي تقول . وفي قوله (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) أول من يعبد الله بالإيمان والتصديق أنه ليس للرحمن ولد ، على هذا أعبد الله .

(١) في النهاية لابن الأثير : إنكاف الله من سوء : أي تزيهه وتقديسه . وأنكفته : تزيهه .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سألت ابن محمد ، عن قول الله (**إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ**) قال : ما كان .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمرو ، قال : سألت زيد بن أسلم ، عن قول الله (**قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ**) قال : هذا قول العرب معروف ، إن كان : ما كان ، إن كان هذا الأمر قَطُّ ، ثم قال : وقوله وإن كان : ما كان .

وقال آخرون : معنى « **إِنْ** » في هذا الموضع معنى المجازة ، قالوا : وتأويل الكلام : لو كان للرحمن ولد ، كنت أول من عبده بذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (**قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**) قال : لو كان له ولد ، كنت أول من عبده بأن له ولدا ، ولكن له ولد له .

وقال آخرون : معنى ذلك : قل إن كان للرحمن ولد ، فأنا أول الآنفين ذلك ، ووجهوا معنى العابدين إلى المنكرين الآبين ، من قول العرب : قد عبَّيد فلان من هذا الأمر إذا أنيف منه وغضب وأباه ، فهو يعبَّيد عبَّيداً ، كما قال الشاعر :

أَلَا هَوَيْتُ أُمَّ الْوَلِيدِ وَأَصْبَحَتُ
لَمَّا أَبْصَرْتُ فِي الرَّأْسِ مِسِي تَعَبِيداً

وكما قال الآخر :

مَسِي مَا يَشَأُ ذُو الْوُدِّ يَصْرِمُ خَلِيلَهُ
وَيَعْبِيدُ عَلَيْهِ لَاتِحَالَةَ ظَالِمًا

وقد حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، ثني : قال بن أبي ذئب ، عن أبي قسيط ، عن بَعْجَةَ بن زيد الجهني ، أن امرأة منهم دخلت على زوجها ، وهو رجل منهم أيضاً ، فولدت له في ستة أشهر ، فذكر ذلك لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأمر بها أن تُرجم ، فدخل عليه على بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه : (**وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**) ، وقال : (**وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**) قال : فوالله ما عبَّيد عثمان أن بعث إليها تُرَدَّ . قال يونس ، قال ابن وهب : عبَّيد : استنكف .

(١) هذا شاهد لم أقف على قائله . استشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « **فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ** » . قال أبو عبيدة في تفسير الآية (مجاز القرآن الورقة ٢٢١) : مجازها : إن كان للرحمن ولد : (**إِنْ**) في موضع (**مَا**) في قول بعضهم : ما كان للرحمن ولد . والفاء : مجازها مجاز الواو . يريد : ما كان ، وأنا أول العابدين . وقال آخرون : مجازها : إن كان في قولكم للرحمن ولد ، فأنا أول العابدين : أي الكافرين بذلك ، والحاخاين لما قلتم . وهو من عبَّيدت تعبد . اه . أي من باب علم يعلم . بمعنى أنف أو غضب أو كره الشيء . وتعبد في البيت : بمعنى تأنف أو تغضب ، وهو كعبد بمعنى أنف وغضب ، قال في (اللسان : عبَّيد) : وتعبد : كعبد .

(٢) وهذا الشاهد أيضاً لم أقف على قائله ، وهو بمعنى الشاهد الذي قبله ، استشهد به المؤلف على الآية نفسها . يريد أن قول الشاعر : يعبد عليه هو مضارع عبَّيد عليه كعلم : إذا غضب عليه . وفي (اللسان : عبَّيد) (كسب) طول الغضب . قال الفراء : عبَّيد عليه ، وأحن عليه ، أي غضب . وقال الغنوي : العبَّيد : الحزن والوجد . قال الفرزدق :

أَوْلَيْكَ قَوْمِي إِنْ هَجَوْنِي هَجَوْهُمْ
وَأَعْبَدُ أَنْ أَهْجُو كَلْبِيَا بِيَدِ أَرِمٍ

عبَّيد : أي أنف . اه .

﴿ وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ ﴾ ، قول من قال : معنى : (إن) الشرط الذي يقتضى الجزاء على ما ذكرناه عن السدي ، وذلك أن « إن » لاتعدو في هذا الموضع أحد معنيين : إما أن يكون الحرف الذي هو بمعنى الشرط ، الذي يطلب الجزاء ، أو تكون بمعنى الجحد ، وهي إذا وصفت إلى الجحد ، لم يكن للكلام كبير معنى ، لأنه يصير بمعنى : قل ما كان للرحمن ولد ، وإذا صار بذلك المعنى ، أو هم أهل الجهل من أهل الشرك بالله ، أنه إنما نبي بذلك عن الله عز وجل أن يكون له ولد قبل بعض الأوقات ، ثم أحدث له الولد بعد أن لم يكن ، مع أنه لو كان ذلك معناه ، لقدر الذين أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : ما كان للرحمن ولد ، فأنا أول العابدين ، أن يقولوا له صدقت ، وهو كما قلت ، ونحن لم نزعم أنه لم يزل له ولد . وإنما قلنا : لم يكن له ولد ، ثم خلق الجن فصاغرهم ، فحدث له منهم ولد ، كما أخبر الله عنهم أنهم كانوا يقولونه ، ولم يكن الله تعالى ذكره ليحتج لنبيه صلى الله عليه وسلم وعلى مكذبيه ، من الحججة بما يقدرون على الطعن فيه ، وإذا كان في توجيهنا « إن » إلى معنى الجحد ما ذكرنا ، فالذي هو أشبه المعنيين بها الشرط . وإذا كان ذلك كذلك ، فبيّنة صحة ما نقول من أن معنى الكلام : قل يا محمد لمشركي قومك ، الزاعمين أن الملائكة بنات الله : إن كان للرحمن ولد فأنا أول عابديه بذلك منكم ، ولكنه لا ولد له ، فأنا أعبد به بأنه لا ولد له ، ولا ينبغي أن يكون له .

وإذا وجّه الكلام إلى ما قلنا من هذا الوجه ، لم يكن على وجه الشك ، ولكن على وجه الإلطاف في الكلام ، وحسن الخطاب ، كما قال جل ثناؤه (قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) .
وقد علم أن الحق معه ، وأن مخالفه في الضلال المبين .

وقوله (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) : يقول تعالى ذكره تبرئة وتنزيها لمالك السموات والأرض ، ومالك العرش المحيط بذلك كله ، وما في ذلك من خلق ، مما يصفه به هؤلاء المشركون من الكذب ، ويضيفون إليه من الولد ، وغير ذلك من الأشياء التي لا ينبغي أن تضاف إليه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) : أي يكذبون .

القول في تأويل قوله تعالى

فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يَلْتَمِسُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ (٨٣) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤)

﴿ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يَلْتَمِسُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴾ : فذّر يا محمد هؤلاء المقتربين على الله ، الواصفين بأن له ولدا ، يخوضوا في باطلهم ،

ويلعبوا في دنياهم (حَتَّىٰ يُبَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) وذلك يوم يُصَلِّبهم الله بفرقتهم عليه جهنم ، وهو يوم القيامة .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (حَتَّىٰ يُبَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) قال : يوم القيامة .

وقوله (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ ، وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ) يقول تعالى ذكره : والله الذي له الألوهة في السماء معبود ، وفي الأرض معبود ، كما هو في السماء معبود ، لا شيء سواه تصلح عبادته ؛ يقول تعالى ذكره : فأفردوا لمن هذه صفته العبادة ، ولا تشركوا به شيئاً غيره .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ ، وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ) قال : يُعبد في السماء ، ويُعبد في الأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ ، وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ) : أي يعبد في السماء وفي الأرض .

وقوله (وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) يقول : وهو الحكيم في تدبير خلقه ، وتسخيرهم لما يشاء ، العليم بمصالحهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥)

يقول تعالى ذكره ، وتبارك الذي له سلطان السموات السبع والأرض ، وما بينهما من الأشياء كلها ، جارٍ على جميع ذلك حكمه ، ماض فيهم قضاؤه . يقول : فكيف يكون له شريكاً من كان في سلطانه ، وحكمه فيه نافذ (وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) يقول : وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة ، ويُحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب .

قوله (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه أيها الناس تُرَدُّون من بعد مماتكم ، فتصيرون إليه ، فيجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦)

يختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولا يملك عيسى وعزير والملائكة الذين يعبدهم هؤلاء المشركون بالساعة ، الشفاعة عند الله لأحد ، إلا من شهد بالحق ، فوحد الله وأطاعه ، بتوحيد علم منه ، وصحة بما جاءت به رسله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ) قال : عيسى ، وعزير ، والملائكة .

قوله (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) قال : كلمة الإخلاص ، وهم يعلمون أن الله حق ، وعيسى وعزير والملائكة . يقول : لا يشفع عيسى وعزير والملائكة إلا من شهد بالحق ، وهو يعلم الحق .
وقال آخرون : عني بذلك : ولا تملك الآلهة التي يدعوها المشركون ، ويعبدونها من دون الله ، الشفاعة ، إلا عيسى وعزير وذووهما ، والملائكة الذين شهدوا بالحق ، فأقروا به وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ ، إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) : الملائكة وعيسى وعزير ، قد عبدوا من دون الله ، ولهم شفاعة عند الله ومنزلة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) قال : الملائكة وعيسى بن مريم وعزير ، فإن لهم عند الله شهادة .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد ، إلا من شهد بالحق ، وشهادته بالحق : هو إقراره بتوحيد الله ، يعني بذلك : إلا من آمن بالله ، وهم يعلمون حقيقة توحيده ، ولم يخصص بأن الذي لا يملك ملك الشفاعة منهم ، بعض من كان يعبد من دون الله ، فذلك على جميع من كان تعبد قريش من دون الله يوم نزلت هذه الآية وغيرهم ، وقد كان فيهم من يعبد من دون الله الآلهة ، وكان فيهم من يعبد من دونه الملائكة وغيرهم ، فجميع أولئك داخلون في قوله : ولا يملك الذين يدعوا قريش وسائر العرب من دون الله الشفاعة عند الله . ثم استثنى جل ثناؤه بقوله : (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وهم الذين يشهدون شهادة الحق فيوحدون الله ، ويخلصون له الوجدانية ، على علم منهم ويقين بذلك ، أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه لهم بها ، كما قال جل ثناؤه (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) فأثبت جل ثناؤه للملائكة وعيسى وعزير ملكهم من الشفاعة ، ما نفاه عن الآلهة والأوثان ، باستثنائه الذي استثناه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَقِيلَ لَهُ رَبُّنَا رَبُّكُمْ لَأَنذَرْنَاكُمْ نَارًا تَلْهُونَ

يَوْمُنُونَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك : من خلقهم ؟ ليقولن الله خلقنا ، (فَأَنِّي يُؤْفِكُونَ) : فأى وجه يصرفون عن عبادة الذى خلقهم ، ويحرمون إصابة الحق فى عبادته . وقوله (وَقِيلَهِ : يَارَبَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ) اختلفت القراء فى قراءة قوله (وَقِيلَهِ) ، فقرأته عامة قرآء المدينة ومكة والبصرة (وَقِيلَهِ) بالنصب . وإذا قرئ كذلك ذلك ، كان له وجهان فى التأويل : أحدهما العطف على قوله : (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَنَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) ونسمع قيله يارب . والثانى : أن يضمم له ناصب ، فيكون معناه حينئذ : وقال قوله (يَارَبَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ) ، وشكا محمد شكواه إلى ربه . وقراءته عامة قرآء الكوفة (وَقِيلَهِ) بالخفض على معنى : وعنده علم الساعة ، وعلم قيله .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان فى قرآءة الأمصار ، صحيحتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب . فتأويل الكلام إذن : وقال محمد قيله شاكيا إلى ربه تبارك وتعالى قومه الذين كذبوه ، وما يلقي منهم : يارب إن هؤلاء الذين أمرتني بإنذارهم ، وأرسلتني إليهم لدعائهم إليك ، قوم لا يؤمنون . كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَقِيلَهِ يَارَبَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ) قال : فأبر الله عز وجل قول محمد صلى الله عليه وسلم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقِيلَهِ يَارَبَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ) قال : هذا قول نبيكم عليه الصلاة والسلام يشكو قومه إلى ربه . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقِيلَهِ يَارَبَّ) قال : هو قول النبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم ، جوابا له عن دعائه إياه إذ قال : يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون : (فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ) يا محمد ، وأعرض عن أذاهم (وَقُلْ) لهم (سَلَامٌ) عليكم ، ورفع سلام بضمير عليكم أو لكم .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) فقرأ ذلك عامة قرآء المدينة (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) بالثاء ، على وجه الخطاب ، بمعنى : أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك للمشركين ، مع قوله (سَلَامٌ) . وقراءته عامة قرآء الكوفة وبعض قرآء مكة (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) بالياء على وجه الخبر ، وأنه وعيد من الله للمشركين . فتأويله على هذه القراءة : (فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ) يا محمد (وَقُلْ سَلَامٌ) . ثم ابتداء تعالى ذكره الوعيد لهم ، فقال (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) ما يلقون من البلاء والنكال والعذاب على كفرهم ، ثم نسخ الله جل ثناؤه هذه الآية ، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ) قال : اصفح عنهم ، ثم أمره بقتالهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله تبارك وتعالى يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (فاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) .

آخر تفسير سورة الزخرف

تفسير سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

حَمِّ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ (٣) إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٤) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٥) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٦) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦)

قد تقدم بياننا في معنى قوله (حم) . والكتاب المبين . وقوله (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ) أقسم جل ثناؤه بهذا الكتاب ، أنه أنزله في ليلة مباركة .

واختلف أهل التأويل في تلك الليلة ، أي ليلة من ليالي السنة هي ؟ فقال بعضهم : هي ليلة القدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ) : ليلة القدر ، ونزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، ونزلت التوراة لست ليال مضت من رمضان ، ونزل الزبور لست عشرة مضت من رمضان ، ونزل الإنجيل ثمان عشرة مضت من رمضان ، ونزل الفرقان لأربع وعشرين مضت من رمضان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ) قال : هي ليلة القدر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله عز وجل (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ) : تلك الليلة ليلة القدر ، أنزل الله هذا القرآن من أم الكتاب في ليلة القدر ، ثم أنزله على الأنبياء في الليالي والأيام ، وفي غير ليلة القدر .

(١) في فتح القدير للشوكاني (٤ : ٥٥٥) : « وقال قتادة : أنزل القرآن كله في ليلة القدر من أم الكتاب ، وهو اللوح المحفوظ ، إلى بيت العزة في سماء الدنيا ، ثم أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم . في الليالي والأيام ، في ثلاث وعشرين سنة » .

وقال آخرون : بل هي ليلة النصف من شعبان .

والصواب من القول في ذلك قول من قال : عني بها ليلة القدر ، لأن الله جل ثناؤه أخبر أن ذلك كذلك ، لقوله تعالى : (إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) خَلَقْنَا بِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ فِي اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ عَقُوبَتَنَا أَنْ نَحْلُبَ بِمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَنْبِإْ إِلَى تَوْحِيدِنَا ، وَإِفْرَادِ الْأُلُوهَةِ لَنَا .

وقوله (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) اختلف أهل التأويل في هذه الليلة التي يُفْرَقُ فيها كل أمر حكيم ، نحو اختلافهم في الليلة المباركة ، وذلك أن الهاء التي في قوله (فِيهَا) عائدة على الليلة المباركة ، فقال بعضهم : هي ليلة القدر ، يُقْضَى فيها أمر السنة كلها من يموت ، ومن يولد ، ومن يعز ، ومن يذل ، وسائر أمور السنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا ربيعة بن كلثوم ، قال : كنت عند الحسن ، فقال له رجل : يا أبا سعيد ، ليلة القدر في كل رمضان ؟ قال : إني والله ، إنها لني كل رمضان ، وإنها الليلة التي يُفْرَقُ فيها كل أمر حكيم ، فيها يُقْضَى الله كل أجل وأمل ورزق إلى مثلها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : قال رجل للحسن وأنا أسمع : رأيت ليلة القدر ، أفي كل رمضان هي ؟ قال : نعم ، والله الذي لا إله إلا هو ، إنها لني كل رمضان ، وإنها الليلة يُفْرَقُ فيها كل أمر حكيم ، يقضى الله كل أجل ويخلق ورزق إلى مثلها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الحميد بن سالم ، عن عمر مولى غفيرة ، قال : يقال : ينسخ ملك الموت من يموت ليلة القدر إلى مثلها ، وذلك لأن الله عز وجل يقول : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ) وقال (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : فتجد الرجل ينكح النساء ، ويفرس الغرس واسمه في الأموات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن أبي مالك ، في قوله : (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : أمر السنة إلى السنة ، ما كان من خلق أو رزق أو أجل أو مصيبة ، أو نحو هذا .

قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن هلال بن يساف ، قال : كان يقال : انتظروا القضاء في شهر رمضان .

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن سعيد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن في قوله (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : يُدَبَّرُ أمر السنة في ليلة القدر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : في ليلة القدر كل أمر يكون في السنة إلى السنة : الحياة والموت ، يقدر فيها المعاش والمصائب كلها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ) ليلة القدر (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّهُ يُفْرَقُ فِيهَا أَمْرُ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : هي ليلة القدر فيها يقضى ما يكون من السنة إلى السنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : سألت مجاهدا ، فقلت : رأيت دعاء أحدنا يقول : اللهم إن كان اسمي في السعداء ، فأثبتته فيهم ، وإن كان في الأشقياء فأحبه منهم ، واجعله بالسعداء ، فقال : حسن ، ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك ، فسألته عن هذا الدعاء ، قال : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : يقضى في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة ، ثم يقدم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء . فأما كتاب السعادة والشقاء فهو ثابت لا يغير .

وقال آخرون : بل هي ليلة النصف من شعبان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الفضل بن الصباح ، والحسن بن عرفة ، قالوا : ثنا الحسن بن إسماعيل البجلي ، عن محمد بن سُوَوقَةَ ، عن عكرمة ، في قول الله تبارك وتعالى (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : في ليلة النصف من شعبان ، يُبْرَمُ فِيهِ أَمْرُ السَّنَةِ ، وتُنسخ الأحياء من الأموات ، ويكتب الحاج فلا يزداد فيهم أحد ، ولا يُنقص منهم أحد .

حدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا الليث ، عن عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأحنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تُفْطَعُ الْأَجَالُ مِنَ شَعْبَانَ إِلَى شَعْبَانَ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْتَكْبِحُ وَيُوَلِّدُ لَهُ وَقَدْ خَرَجَ اسْمُهُ فِي الْمَوْتَى » .
حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو هشام ، قال ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا عثمان بن حكيم ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس : إن الرجل ليشي في الناس وقد رُفِعَ فِي الْأَمْوَاتِ ، قال : ثم قرأ هذه الآية (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : ثم قال : يُفْرَقُ فِيهَا أَمْرُ الدُّنْيَا مِنَ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : ذلك ليلة القدر ، لما قد تقدم من بياننا عن أن المعنى بقوله (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ) ليلة القدر ، والهاء في قوله (فِيهَا) من ذكر الليلة المباركة . وعني بقوله (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) في هذه الليلة المباركة يقضى ويُنْفصل كل أمر أحكمه الله تعالى في تلك السنة ، إلى مثلها من السنة الأخرى ، ووضع حكيم موضع مُحْكَم ، كما قال : (أَلَمْ تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) يعني : المحكم .

وقوله (أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) يقول تعالى ذكره : في هذه الليلة المباركة يُفَرِّقُ كُلَّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا .

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله (أَمْراً) فقال بعض نحوي الكوفة : نُصِبَ عَلَى إِيْنَا أَنْزَلْنَاهُ أَمْراً وَرَحْمَةً عَلَى الْحَالِ . وقال بعض نحوي البصرة : نصب على معنى يفرق كل أمر فرقا وأمرا . قال : وكذلك قوله (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) قال : ويجوز أن تنصب الرحمة بوقوع مرسلين عليها ، فجعل الرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم .

وقوله (إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) يقول تعالى ذكره : إنا كنا مرسلنا رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى عبادنا رحمة من ربك يا محمد (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يقول : إن الله تبارك وتعالى هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون فيما أنزلنا من كتابنا ، وأرسلنا من رسلنا إليهم ، وغير ذلك من منطقتهم ومنطق غيرهم ، العليم بما تنطوي عليه ضمائرهم ، وغير ذلك من أمورهم . وأمور غيرهم .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩)

اختلفت القراء في قراءة قوله (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة (رَبُّ السَّمَوَاتِ) بالرفع على إتباع إعراب الرب إعراب السميع العليم . وقراءته عامة قراء الكوفة وبعض المكيين (رَبُّ السَّمَوَاتِ) خفضا ، ردّ على الرب في قوله جلّ جلاله (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيّب . ويعنى بقوله (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) يقول تعالى ذكره : الذي أنزل هذا الكتاب يا محمد عليك ، وأرسلك إلى هؤلاء المشركين رحمة من ربك ، مالك السموات السبع والأرض وما بينهما من الأشياء كلها .

وقوله (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) يقول : إن كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم ، من أن ربكم رب السموات والأرض ، فإن الذي أخبرتكم أن الله هو الذي هذه الصفات صفاته ، وأن هذا القرآن تنزله ، ومحمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حقّ يقين ، فأيقنوا به ، كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الأشياء غيره .

وقوله (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول : لا معبود لكم أيها الناس غير رب السموات والأرض وما بينهما ، فلا تعبوا غيره ، فإنه لا تصلح العبادة لغيره ، ولا تدبغى لشيء سواه ، يحيي ويميت ، يقول : هو الذي يحيي ما يشاء ، ويميت ما يشاء مما كان حيا .

وقوله (رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) يقول : هو مالككم ومالك من مضى قبلكم من آبائكم الأولين ، يقول : فهذا الذي هذه صفته ، هو الرب فاعبدوه ، دون آلهتكم التي لا تقدر على ضر ولا نفع .

(١) كذا في الأصل . ولعل لفظه « على » زيادة من الناسخ .

وقوله (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ) يقول تعالى ذكره ما هم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون من هذه الأخبار، يعني بذلك مشركي قريش، ولكنهم في شك منه، فهم يلهون بشكهم في الذي يخبرون به من ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا
أَكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ، إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢)

يعني تعالى ذكره بقوله (فَارْتَقِبْ) فانتظر يا محمد بهؤلاء المشركين من قومك الذين هم في شك يلعبون، وإنما هو افتعل من رقبته: إذا انتظرته وحرسته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَارْتَقِبْ): أي فانتظر. وقوله (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ) اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتقبه، وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان مبين: أي يوم هو، ومتى هو؟ وفي معنى الدخان الذي ذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: ذلك حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش ربه تبارك وتعالى، أن يأخذهم بسنين كسنى يوسف، فأخذوا بالجماعة، قالوا: وعينى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ في أبصارهم من شدة الجوع، من الظلمة كهيئة الدخان.

ذكر من قال ذلك

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي، قال: ثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، قال: دخلنا المسجد، فإذا رجل يقص على أصحابه. ويقول: (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ) تدرون ما ذلك الدخان؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة، فيأخذ أسمع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام؟ قال: فأثينا ابن مسعود، فذكرنا ذلك له، وكان مضطجعا، ففرع، فقعد فقال: إن الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، سأحدثكم عن ذلك. إن قريشا لما أبطأت عن الإسلام، واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، دعا عليهم بسنين كسنى يوسف، فأصابهم من الجهل والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء، فلا يرون إلا الدخان، قال الله تبارك وتعالى (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ. يَغْشَى النَّاسَ، هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) فقالوا (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) قال الله جل ثناؤه (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا، إِنَّكُمْ عَائِدُونَ، يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ) قال: فعادوا يوم بدر، فانتقم الله منهم.

حدثني عبد الله بن محمد الزهرى ، قال : ثنا مالك بن سَعْبَر ، قال : ثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : كان في المسجد رجل يُدَكِّرُ الناس ، فذكر نحو حديث عيسى ، عن يحيى بن عيسى ، إلا أنه قال : فانتم يوم بدر ، فهي البطشة الكبرى .

حدثنا ابن حميد ، وعمرو بن عبد الحميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح ، عن مسروق ، قال : كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسا وهو مضطجع بيننا ، فأناه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إن قاصاً عند أبواب كِنْدَةَ يقص ، ويزعم أن آية الدخان تجيء ، فتأخذ بأنفاس الكفار ، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام ، فقام عبد الله وجلس وهو غضبان ، فقال : يا أيها الناس اتقوا الله ، فمن علم شيئاً فليقل بما يعلم ، ومن لا يعلم فليقل : الله أعلم . وقال عمرو : فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم : الله أعلم ، وما على أحدكم أن يقول لما لا يعلم : لأعلم ، فإن الله عز وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم (قُلْ أَمَا سَأَلْتُمْ عَسِيهِ مِّنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) . إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إِدْبَاراً ، قال : اللهم سبعا كسيع يوسف ، فأخذتهم سنة حصت كل شيء ، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف ، ينظر أحدهم إلى السماء فيرى دخاناً من الجوع ، فأناه أبو سفيان بن حرب ، فقال : يا محمد ، إنك جئت تأمر بالطاعة ، وبصلة الرحم ، وإن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم ، قال الله عز وجل (فارتقب يوم تأتي السماء بدُخانٍ مبين) . . . إلى قوله (إنكم عائدُونَ) قال : فكشيف عنهم (يوم نبطشُ البَطْشَةِ الكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) فالبطشة يوم بدر ، وقد مضت آية الروم ، وآية الدخان ، والبطشة ، والذرام .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : خمس قدمصين : الدخان ، والذرام ، والبطشة ، والقمر ، والروم .

حدثنا أبو كَرِيب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، قال : شهدت جنازة فيها زيد بن علي ، فأنشأ يحدث يومئذ ، فقال : إن الدخان يجيء قبل يوم القيامة ، فيأخذ بأنف المؤمن الزكام ، ويأخذ بمسامع الكافر ، قال : قلت رحمك الله ، إن صاحبنا عبد الله قد قال غير هذا ، قال : إن الدخان قد مضى ، وقرأ هذه الآية (فارتقب يوم تأتي السماء بدُخانٍ مبين ، يغشى الناس ، هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال : أصاب الناس جهد حتى جعل الرجل يرى ما بينه وبين السماء دخاناً ، فذلك قوله (فارتقب) وكذا قرأ عبد الله إلى قوله (مؤمنون قال إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا) قلت لزيد فعادوا ، فأعاد الله عليهم بدر ، فذلك قوله (وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا) فذلك يوم بدر ، قال : فقبل والله ، قال عاصم ، فقال رجل يرد عليه ، فقال زيد رحمه الله عليه : أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : « إِنْتُمْ سَيِّجِيئِكُمْ رُؤَاةٌ ، فَهَذَا وَافَقَ الْقُرْآنَ فَخُذُوا بِهِ ، وَمَا كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَدَعُوهُ » .

حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود أنه قال : البطشة الكبرى يوم بدر ، وقد مضى الدخان .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، قال : سمعت أبا العالية يقول : إن الدخان قد مضى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سَلَمَة ، عن عمرو ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : مضى الدخان لسنين أصابهم . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا أيوب ، عن محمد ، قال : نُبِئت أن ابن مسعود كان يقول : قد مضى الدخان ، كان سنين كَسِيَّ يوسف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) قال : الجُدْب وإمساك المطر عن كُفَّار قريش ، إلى قوله (إِنَّا مُؤْمِنُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) قال : كان ابن مسعود يقول : قد مضى الدخان ، وكان سنين كَسِيَّ يوسف (يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) : قد مضى شأن الدخان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال : يوم بدر .

وقال آخرون : الدخان آية من آيات الله ، مرسله على عباده قبل مجيء الساعة ، فيدخل في أسع أهل الكفر به ، ويعتري أهل الإيمان به ، كههيئة الزُّكَّام ، قالوا : ولم يأت بعد ، وهو آت .

ذكر من قال ذلك

حدثني واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن عبد الملك بن المغيرة ، عن عبد الرحمن بن البَيْسَلَمَان ، عن ابن عمر ، قال : يخرج الدخان ، فيأخذ المؤمن كههيئة الزُّكَّام ، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق ، حتى يكون كالرأس الخنيد .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن أبي مُسَيْبَةَ ، قال : غدوت على ابن عباس ذات يوم ، فقال : ما نمت الليلة حتى أصبحت ، قلت : لم ؟ قال : قالوا : طلع الكوكب ذو الذنب ، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق ، فما نمت حتى أصبحت .

حدثنا محمد بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، قال : قال الحسن : إن الدخان قد بقي من الآيات ، فإذا جاء الدخان نفتح الكافر حتى يخرج من كل سمع من مسامعه ، ويأخذ المؤمن كزُّكَّام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عثمان ، يعني ابن الهيثم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن بنحوه . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي سعيد ، قال : يهبج الدخان بالناس . فأما المؤمن فيأخذه منه كههيئة الزُّكَّام . وأما الكافر فيهبجه حتى يخرج من كل سمع منه . قال : وكان بعض أهل العلم يقول : فما مثَّل الأرض يومئذ إلا كمثل بيت أوقد فيه ليس فيه خصاصة .

حدثني عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن ربعي بن حراش ، قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول الآيات الدجال ، وتزول عيسى بن مريم ، ونار تخرج من قعر عدن أبتين ، تسوق الناس إلى المحشر ، تقيل معهم إذا قالوا ، والدخان ، قال حذيفة : يا رسول الله وما الدخان ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية (يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ، يملا ما بين المشرق والمغرب ، يمكث أربعين يوماً وليلة . أما المؤمن فيصيبه منه كهينة الزكام . وأما الكافر فيسكون بمنزلة السكران يخرج من منخرينه وأذنيه ودبره . »

حدثني محمد بن عوف ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربكم أنذركم ثلاثاً : الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ، ويأخذ الكافر فيستفيخ حتى يخرج من كل مسمع منه ، والثانية الدابة ، والثالثة الدجال . »

وأولى القولين بالصواب في ذلك : ما روى عن ابن مسعود ، من أن الدخان الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتقه ، هو ما أصاب قومه من الجهتد بدعائه عليهم ، على ما وصفه ابن مسعود من ذلك ، إن لم يكن خبر حذيفة الذي ذكرناه عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحاً ، وإن كان صحيحاً ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما أنزل الله عليه ، وليس لأحد مع قوله الذي يصح عنه قول ، وإنما لم أشهد له بالصحة ، لأن محمد بن خلف العسقلاني حدثني ، أنه سأل رواداً عن هذا الحديث ، هل سمعه من سفيان ؟ فقال له : لا ، فقلت له ، فقرأته عليه ؟ فقال : لا ، فقلت له : فقرئ لي عليه وأنت حاضر ، فأقر به ؟ فقال : لا ، فقلت له : فن أين جئت به ؟ قال : جاءني به قوم فعرضوه علي ، وقالوا لي : اسمعه منا ، فقرعوه علي ، ثم ذهبوا ، فحدثوا به عني ، أو كما قال ، فلما ذكرت من ذلك ، لم أشهد له بالصحة ، وإنما قلت : القول الذي قاله عبد الله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية ، لأن الله جل ثناؤه توعد بالدخان مشركي قريش ، وأن قوله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم بشركهم بقوله (لا إله إلا هو يحيي ويميت ، ربكم ورب آبائكم الأولين ، بل هم في شك يلقبسون) ، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام : (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) أمراً منه له بالصبر ، إلى أن يأتيهم بأسه ، وتهديدا للمشركين ، فهو بأن يكون إذ كان وعيدا لهم قد أحله بهم ، أشبه من أن يكون أخره عنهم لغيرهم . وبعد ، فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم ، ويكون محلاً فيما يستأنف بعد بآخرين دخانا ، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا كذلك ، لأن الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تظاهرت

بأن ذلك كائن ، فإنه قد كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود ، فكلما الخبرين اللذين روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح .

وإن كان تأويل الآية في هذا الموضع ما قلنا ، فلذلك الذي قلنا في ذلك أولى التأويلين ، فبين أن معناه : فانتظر يا محمد لمشركي قومك يوم تأتيهم السماء من البلاء الذي يحل بهم على كفرهم ، بمثل الدخان المبين لمن تأمله أنه دخان . (يغشى الناس) : يقول : يغشى أبصارهم من الجهد الذي يصيبهم (هتدأ عتدأ ب أليم) (يعني أنهم يقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجهد : هذا عذاب أليم . وهو الموجه ، وترك من الكلام (يقولون) استغناء بمعرفة السامعين معناه من ذكرها .

وقوله (رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ) يعني أن الكافرين الذين يصيبهم ذلك التجهد يضرعون إلى ربهم ، بمسئلتهم إياه كَشَفْ ذلك بالجهد عنهم ، ويقولون : إنك إن كشفتنا عنا آمنا بك ، وعبدناك من دون كل معبود سواك ، كما أخبر عنهم جل ثناؤه : (رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ ، وَقَالُوا : مَعْلَمٌ مَّجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : من أي وجه هزلء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم ، وقد تولوا عن رسولنا حين جاءهم مدبرين عنه ، لا يتذكرون بما يتلى عليهم من كتابنا ، ولا يتعظون بما يعظهم به من حُجَجنا ، ويقولون : إنما هو مجنون عليم هذا الكلام .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى) يقول : كيف لهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى) بعد وقوع هذا البلاء .

وبنحو الذي قلنا أيضا في قوله (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ ، وَقَالُوا مَعْلَمٌ مَّجْنُونٌ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مَعْلَمٌ مَّجْنُونٌ) قال : تولوا عن محمد عليه الصلاة والسلام ، وقالوا : معلم مجنون .

(١) في الأصل : « عل » في موضع « علم » . وهو تحريف من الناسخ .

وقوله (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) : يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين ، الذين أخبر عنهم أنهم يستغيثون به من الدخان النازل ، والعذاب الحال بهم من الجهد ، وأخبر عنهم أنهم يعاهدونه أنه إن كشف العذاب عنهم آمنوا ، إنا كاشفو العذاب ، يعنى الضرّ النازل بهم ، بالخصب الذى نحدثه لهم (قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) يقول : إنكم أيها المشركون إذا كُشِفَتْ عنكم ما بكم من ضرّ ، لم تفنوا بما تعدون وتعاهدون عليه ربكم من الإيمان ، ولكنكم تعودون فى ضلاللتكم وغيكم ، وما كنتم قبل أن يُكشَفَ عنكم . وكان قتادة يقول : معناه : إنكم عائدون فى عذاب الله .

حدثنا بذلك ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر عنه . وأما الذين قالوا : عُنِيَ بقوله : (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ) الدخان نفسه ، فإنهم قالوا فى هذا الموضع : عُنِيَ بالعذاب الذى قال (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ) : الدخان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا) يعنى الدخان . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا) قال : قد فعل ، كشف الدخان حين كان .

قوله (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) قال : كُشِفَ عنهم فعادوا . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) إلى عذاب الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦) * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ، وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدْوَأْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨)

يقول تعالى ذكره : إنكم أيها المشركون إن كُشِفَتْ عنكم العذاب النازل بكم ، والضرّ الحال بكم ، ثم عدتم فى كفركم ، ونقضتم عهدكم الذى عاهدتم ربكم ، انتقمتم منكم يوم أبطش بكم ببطشتي الكبرى فى عاجل الدنيا ، فأهلككم ، وكشف الله عنهم ، فعادوا ، فبطش بهم جل ثناؤه بطشته الكبرى فى الدنيا ، فأهلكهم قتلا بالسيف .

وقد اختلف أهل التأويل فى البطشة الكبرى ، فقال بعضهم : هى بطشة الله بمشركي قريش يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود ، أنه قال : البطشة الكبرى : يوم بدر .

حدثني عبد الله بن محمد الزهرى ، قال : ثنا مالك بن سعيد ، قال : ثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق قال : قال يوم بدر ، البطشة الكبرى .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا أيوب ، عن محمد ، قال : نبئت أن ابن مسعود كان يقول : (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) يوم بدر .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، عن ليث ، عن مجاهد (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال : يوم بدر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال : يوم بدر . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، قال : سمعت أبا العالية في هذه الآية (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال : يوم بدر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) قال : يعني يوم بدر .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا عَشَّام بن علي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : قلت : ما البطشة الكبرى ؟ فقال : يوم القيامة ، فقلت : إن عبد الله كان يقول : يوم بدر ؛ قال : فبلغني أنه سئل بعد ذلك ، فقال : يوم بدر .

حدثنا أبو كُرَيْب وأبو السائب قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، بنحوه . حدثنا بشر ، ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي الخليل ، عن مجاهد ، عن أبي بن كعب ، قال : يوم بدر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) يوم بدر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال : هذا يوم بدر .

وقال آخرون : بل هي بطشة الله بأعدائه يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علي ، قال : ثنا خالد الحذاء ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس ، قال ابن مسعود : البطشة الكبرى : يوم بدر ، وأنا أقول : هي يوم القيامة .

حدثنا أبو كُرَيْب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : مرّ بي عكرمة ، فسألته عن البطشة الكبرى ، فقال : يوم القيامة ؛ قال : قلت : إن عبد الله بن مسعود كان يقول : يوم بدر ، وأخبرني من سأله بعد ذلك ، فقال : يوم بدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال قتادة عن الحسن : إنه يوم القيامة .

وقد بينا الصواب في ذلك فيما مضى ، والعلة التي من أجلها اخترنا ما اخترنا من القول فيه .

وقوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ) يعنى تعالى ذكره : ولقد اختبرنا وابتلينا يا محمد قبل مشركى قومك مثال هؤلاء قوم فرعون من القبط (وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) يقول : وجاءهم رسول من عندنا أرسلناه إليهم ، وهو موسى بن عمران صلوات الله عليه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ) ، وجاءهم رسول كريم (يعنى موسى) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (رَسُولٌ كَرِيمٌ) قال : موسى عليه السلام ، ووصفه جل ثناؤه بالكريم ، لأنه كان كريما عليه ، رفيعا عنده مكانه ، وقد يجوز أن يكون وصفه بذلك ، لأنه كان فى قومه شريفا وسيطا .

وقوله (أَنْ أَدُّوا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : وجاء قوم فرعون رسول من الله كريم عليه ، بأن ادفعوا إلى ، ومعنى «أدُّوا» : ادفعوا إلى ، فأرسلوا معى واتبعون ، وهو نحو قوله (أَنْ أُرْسِلَ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) فَأَنْ فى قوله (أَنْ أَدُّوا إِلَىٰ) نَصَبٌ ، وعباد الله نصب بقوله (أدُّوا) وقد تأوله قوم : أَنْ أَدُّوا إِلَىٰ يَا عِبَادَ اللَّهِ ، فعلى هذا التأويل عباد الله نصب على النداء .
وبنحو الذى قلنا فى تأويل (أَنْ أَدُّوا إِلَىٰ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) ، أَنْ أَدُّوا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ إِيَّاكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) قال : يقول : اتبعونى إلى ما أدعوكم إليه من الحق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، قوله (أَنْ أَدُّوا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ) قال : أرسلوا معى بنى إسرائيل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَنْ أَدُّوا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ) : قال : بنى إسرائيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَنْ أَدُّوا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ) يعنى به بنى إسرائيل ، قال لفرعون : علام تحبب هؤلاء القوم ، قوما أحرارا اتخذتهم عبيدا ، خل سبيهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (أَنْ أَدُّوا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ) قال : يقول : أرسل عباد الله معى ، يعنى بنى إسرائيل ، وقرأ (فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ) قال : ذلك قوله (أَنْ أَدُّوا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ) قال : ردّهم إلينا .

وقوله (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) يقول : إني لكم أيها القوم رسول من الله ، أرسلنى إليكم ، لا يدرىكم بأسه على كفركم به . (أمين) : يقول : أمين على وحيه ورسالته ، التى أوعدها إليكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ، إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٩) وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ
تَرْجُمُونَ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ (٢١)

يقول تعالى ذكره : وجاءهم رسول كريم : أن آدوا إلى عباد الله ، وبأن لا تعلوا على الله .
وعنى بقوله (أن لا تعلوا على الله) : أن لا تطغوا وتبعوا على ربكم ، فتكفروا به وتعصوه ، فتخالفوا
أمره (إني آتيتكم بسُلطانٍ مُبينٍ) يقول : إني آتيتكم بحجة على حقيقة ما أدعوكم إليه ، وبرهان على
صحته ، مبين لمن تأملها وتدبرها ، أنها حجة لي على صحة ما أقول لكم .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأن لا تعلوا على الله) : أي
لا تبعوا على الله (إني آتيتكم بسُلطانٍ مُبينٍ) : أي بعذر مبين .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وأن لا تعلوا على الله) يقول : لا تفستروا على الله .
وقوله (وإني عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ) يقول : وإني اعتصمت بربي وربكم ،
واستجرت به منكم أن ترجموني .
واختلف أهل التأويل في معنى الرجم الذي استعاذ موسى نبي الله عليه السلام بربه منه ، فقال بعضهم :
هو الشتم باللسان .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وإني عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ) قال : يعني رجم القول .
حدثني ابن المنني ، قال : ثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
عن أبي صالح ، في قوله (وإني عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ) قال : الرجم بالقول .
حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح
(وإني عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ) قال : أن تقولوا : هو ساحر .
وقال آخرون : بل هو الرجم بالحجارة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ) : أى أن تَرْجُمُونِ بالحجارة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَن تَرْجُمُونِ) قال : أن ترحمون بالحجارة .

وقال آخرون : بل عَسَى بقوله (أَن تَرْجُمُونِ) : أن تقتلوني .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : ما دل عليه ظاهر الكلام ، وهو أن موسى عليه السلام استعاذ بالله من أن يرحمه فرعون وقومه ، والرجم قد يكون قولاً باللسان ، وفعلاً باليد . والصواب أن يقال : استعاذ موسى بربه من كل معاني رجمهم ، الذى يصل منه إلى المرجوم أذى ومكروه ، شئاً كان ذلك باللسان ، أو رجماً بالحجارة باليد .

وقوله (وَإِن لَّمْ تَتُؤْمِنُوا لِي فاعْتزِلُونِ) يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيلى نبيه موسى عليه السلام لفرعون وقومه : وإن أنتم أيها القوم ، لم تصدقوني على ما جئتكم به من عند ربى ، فاعتزلون : يقول : فخللوا سبيلى غير مرجوم باللسان ولا باليد .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِن لَّمْ تَتُؤْمِنُوا لِي فاعْتزِلُونِ) : أى فخللوا سبيلى .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (٢٢) فَاسْرِ بَعِيدِي لَيْلًا ، إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ (٢٣) وَاتْرِكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ، إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : فدعا موسى ربه إذ كذبوه ولم يؤمنوا به ، ولم يؤدوا إليه عباد الله ، وهما بقتله ، بأن هؤلاء ، يعنى فرعون وقومه (قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ) يعنى : أنهم مشركون بالله كافرون .

وقوله (فَاسْرِ بَعِيدِي) وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه منه ، وهو : فأجابه ربه ، بأن قال له : فأسر إذ كان الأمر كذلك بعبادى ، وهم بنو إسرائيل . وإنما معنى الكلام : فأسر بعبادى الذين صدقوك وآمنوا بك ، واتبعوك دون الذين كذبوك منهم ، وأبوا قبول ما جئتكم به من النصيحة منك ، وكان الذين كانوا بهذه الصفة يومئذ بنو إسرائيل . وقال : (فَاسْرِ بَعِيدِي لَيْلًا) لأن معنى ذلك : سير بهم ليل قبل الصباح .

وقوله (إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ) يقول : إن فرعون وقومه من القبيط متبعوكم إذا شخصتم عن بلدكم وأرضهم ، فى آثاركم .

وقوله (وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) يقول: وإذا قطعت البحر أنت وأصحابك، فاتركه ساكنا على حاله التي كان عليها حين دخلك. وقيل: إن الله تعالى ذكره قال لموسى هذا القول، بعد ما قطع البحر بيني إسرائيل؛ فإذا كان ذلك كذلك، ففي الكلام محذوف، وهو: فسرى موسى بعبادى ليلا، وقطع بهم البحر، فقلنا له بعد ما قطعه، وأراد رد البحر إلى هيئته التي كان عليها قبل انفلاقه: أتركه رهوًا.

ذكر من قال ما ذكرنا، من أن الله عز وجل قال لموسى صلى الله عليه

وسلم هذا القول، بعد ما قطع البحر بقومه

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ) حتى بلغ (لَأَنَّهُمْ جُنُودٌ مُّغْرَقُونَ) قال: لما خرج آخر بني إسرائيل أراد نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب البحر بعصاه، حتى يعود كما كان، مخافة آل فرعون أن يدركوهم، فقيل له (اتركي البحر رهوًا، لَأَنَّهُمْ جُنُودٌ مُّغْرَقُونَ).

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: لما قطع البحر، عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتم، وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده، فقيل له: (اتركي البحر رهوًا) كما هو (لَأَنَّهُمْ جُنُودٌ مُّغْرَقُونَ).

واختلف أهل التأويل في معنى الرهو، فقال بعضهم: معناه: أتركه على هيئته وحاله التي كان عليها.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) يقول: سميتا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا لَأَنَّهُمْ جُنُودٌ مُّغْرَقُونَ) قال: الرهو: أن يترك كما كان، فلإنهم لن يخلصوا من ورائه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، قال: أخبرنا حميد، عن إسحاق، عن عبد الله بن الحارث، عن أبيه، أن ابن عباس سأل كعبا، عن قول الله (وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال: طريقا. وقال آخرون: بل معناه: أتركه سهلا.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع، قوله (وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال:

سهلا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال: يقال: الرهو: السهل.

حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا حَرَمِيُّ بنُ مَحْمَرَةَ ، قال : ثنا شُعْبَةُ ، قال : أخبرني عمارة ، عن الضحاك ابن مزاحم ، في قول الله عز وجل (وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : دَمًا .
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : سهلاً دَمًا .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : هو السهل .
 وقال آخرون : بل معناه : واتركه يبسا جددا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثى ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله (وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : جَدًّا .
 حدثنا محمد بن المنثى ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة في قوله (وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : يابسا ، كهيئته بعد أن ضربه ، يقول : لاتأمره يرجع ، اتركه حتى يدخل آخرهم .
 حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (رَهْوًا) قال : طريقا يبسا .
 حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) كما هو طريقا يابسا .
 البيت وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : اتركه على هيئته كما هو ، على الحال التي كان عليها حين ساكنته ، وذلك أن الرهوَ في كلام العرب : السكون ، كما قال الشاعر :

كَأَنَّمَا أَهْلُ حُجْرٍ يَنْظُرُونَ مَتَى يَرْوُنِي خَارِجًا طَيْرٌ يَنَادِي
 طَيْرٌ رَأَتْ بَازِيًا نَضْحُ الدَّمَاءِ بِهِ وَأُمُّهُ خَرَجَتْ رَهْوًا إِلَى عَيْدٍ

يعنى على سكون ، وإذا كان ذلك معناه ، كان لاشك أنه متروك سهلاً دَمًا ، وطريقا يبسا ، لأن بني إسرائيل قطعوه حين قطعوه ، وهو كذلك ، فإذا ترك البحر رهوا ، كما كان حين قطعوه موسى ساكنًا لم يهيج ، كان لاشك أنه بالصفة التي وصفت .

وقوله (إِنَّمَا هُمْ جُنُودٌ مُّغْرَقُونَ) يقول : إن فرعون وقومه جند الله مغرقهم في البحر .

(١) هذان البيتان لم أفت على قائلهما . وأشد في اللسان أولهما ولم ينسبه ، قال : وطير ينادي وأنادي : متفرقة ، قال : « كأنما أهل حجر . . . البيت » . وضبط حجر : بضم الحاء . ونضح الدماء : رشها بما اقتبس من الحيوان . ورهوا : أى ساكنة . وإلى عيد : أى إلى معاودة . وفي البيتين إقواء .

وفي اللسان : رها الشيء رهوا : سكن . وفي معاني القرآن للفراء (الورقة ٢٩٧) : وقوله « وأترك البحر رهوا » : يقول : ساكنًا . وأنشدني أبو ثروان : « كأنما أهل حجر . . . البيت » . ٥١ .

القول في تأويل قوله تعالى

كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : كم ترك فرعون وقومه من القبط بعد مهلكهم ، وتغريق الله إياهم من بساتين وأشجار ، وهي الجنات وعيون ، يعني : ومنابع ما كان ينفجر في جنانهم ، وزروع قائمة في مزارعهم : (ومقام كريم) : يقول : وموضع كانوا يقومونه شريف كريم .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله ذلك المقام بالكرم ، فقال بعضهم : وصفه بذلك لشرفه ، وذلك أنه مقام الملوك والأمراء ، قالوا : وإنما أريد به المنابر .

ذكر من قال ذلك

حدثني جعفر بن ابنة إسحاق الأزرق ، قال : ثنا سعيد بن محمد الثقفي ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ابن مهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد ، في قوله (ومقام كريم) قال : المنابر .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا عبد الله بن داود الواسطي ، قال : ثنا شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله (ومقام كريم) قال : المنابر . وقال آخرون : وصف ذلك المقام بالكرم ، لحسنه وبهجته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ومقام كريم) : أي حسن . وقوله (ونعمة كانوا فيها فاكهين) يقول تعالى ذكره : وأخرجوا من نعمة كانوا فيها فاكهين ، متفكهين ناعمين .

واختلفت القراء في قراءة قوله (فاكهين) فقرأه عامة قراء الأمصار خلا أبي جعفر القاري (فاكهين) على المعنى الذي وصفت . وقرأه أبو رجاء العطاردي ، والحسن ، وأبو جعفر المدني (فاكهين) بمعنى : أشيرين بظيرين .

والصواب من القراءة عندي في ذلك : القراءة التي عليها قراء الأمصار ، وهي (فاكهين) بالألف : بمعنى ناعمين .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ونعمة كانوا فيها فاكهين) : ناعمين ، قال : إى والله . أخرجه الله من جناته وعيونه وزروعه ، حتى ورطه في البحر .

وقوله (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ) يقول تعالى ذكره: هكذا كما وصفت لكم أيها الناس، فعلنا بهؤلاء الذين اذكرت لكم أمرهم، الذين كذبوا رسولنا موسى صلى الله عليه وسلم.
وقوله (وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ) يقول تعالى ذكره: وأورثنا جناتهم وعبودهم وزروعهم ومقاماتهم، وما كانوا فيه من النعمة عنهم، قوما آخرين بعد مهلكهم، وقيل: عُنِيَ بالقوم الآخرين بنو إسرائيل.
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ) :
يعنى بنو إسرائيل.

القول في تأويل قوله تعالى

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
مِنَ الْعَذَابِ الْمَلِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١)

يقول تعالى ذكره: فما بكت على هؤلاء الذين غرقهم الله في البحر، وهم فرعون وقومه، السماء والأرض، وقيل: إن بكاء السماء حمرة أطرافها.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد، عن الحكم بن ظهير، عن السدي قال: لما قتل الحسين بن علي رضوان الله عليهما، بكت السماء عليه، وبكاؤها حرمتها.

حدثني علي بن مهمل، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء في قوله (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) قال: بكاؤها حمرة أطرافها.

وقيل: إنما قيل: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) لأن المؤمن إذا مات، بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحا، ولم تبكي على فرعون وقومه، لأنه لم يكن لهم عمل يصعد إلى الله صالح، فتبكي عليهم السماء، ولا مسجد في الأرض، فتبكي عليهم الأرض.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا طلق بن غنام، عن زائدة، عن منصور، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، قال: أتى ابن عباس رجل، فقال: يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ) فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق، إلا له باب في السماء، منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد عمله، وينزل منه رزقه، يبكي عليه، وإذا فقدته مُصَلَّاه، من الأرض التي كان

بصلى فيها ، ويذكر الله فيها بكت عليه ، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة ، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير ، قال : فلم تَبْكُ عليهم السماء والأرض .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا : ثنا سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان يقال : تبكى الأرض على المؤمن أربعين صباحا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفیان ، عن أبي يحيى التَّقَاتِ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس بمثله .

حدثني يحيى بن طلحة ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : حدثت أن المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض أربعين صباحا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، قال : ثنا بكير بن أبي السميطة ، قال : ثنا قتادة ، عن سعيد بن جبيرة أنه كان يقول : إن بقاع الأرض التي كان يصعد عمله منها إلى السماء تبكى عليه بعد موته ، يعنى المؤمن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (قَمَاتَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) قال : إنه ليس أحد إلا له باب في السماء ينزل فيه رزقه ، ويصعد فيه عمله ، فإذا فُتِقِدَ بكت عليه مواضعه التي كان يسجد عليها ، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يقبل منهم ، فيصعد إلى الله عز وجل ، فقال مجاهد : تبكى الأرض على المؤمن أربعين صباحا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان يقال : إن المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض أربعين صباحا .

حدثنا يحيى بن طلحة ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن صفوان بن عمرو ، عن شريح بن عبيد الحضرمي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيْبًا ، وَسَيَعُوْدُ غَرِيْبًا ، أَلَا لَأَغْرِبَةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، مَا مَاتَ مُؤْمِنٌ فِي غَرْبَةٍ ، غَابَتْ عَنْهُ فِيهَا بَوَاكِيهِ ، إِلَّا بَكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ » ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (قَمَاتَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) ، ثم قال : لَأَنْهُمَا لَا يَبْكِيَانِ عَلَى الْكَافِرِ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَمَاتَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) . . . الآية ، قال : ذلك أنه ليس على الأرض مؤمن يموت إلا بكى عليه ما كان يصلى فيه من المساجد حين يفقده ، وإلا بكى عليه من السماء الموضع الذي كان يرفع منه كلامه ، فذلك قوله لأهل معصيته (قَمَاتَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) ، وما كانوا مُنْتَظَرِينَ) ، لأنهما يبكيان على أولياء الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ**) ١ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ**) يقول : لا تبكى السماء والأرض على الكافر ، وتبكي على المؤمن الصالح معالمة من الأرض ، ومقر عمله من السماء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ**) قال : بقاع المؤمن التي كان يصل على منها من الأرض تبكى عليه إذا مات ، وبقاعه من السماء التي كان يرفع فيها عمله .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن المهال ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل ابن عباس : هل تبكى السماء والأرض على أحد ؟ فقال : نعم إنه ليس أحد من الخلق إلا له باب في السماء يصعد فيه عمله ، وينزل منه رزقه ، فإذا مات بكى عليه مكانه من الأرض ، الذي كان يذكر الله فيه ، يصل في فيه ، وبكى عليه بابه الذي كان يصعد فيه عمله ، وينزل منه رزقه . وأما قوم فرعون ، فلم يكن لهم آثار صالحة ، ولم يصعد إلى السماء منهم خير ، فلم تبك عليهم السماء والأرض .

وقوله (**وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ**) يقول : وما كانوا مؤخرين بالعقوبة التي حلت بهم ، ولكنهم عوجلوا بها إذ أخطأوا ربهم عز وجل عليهم (**وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ**) : يقول تعالى ذكره : ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب الذي كان فرعون وقومه يعدونهم به ، المهين يعني المذل لهم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (**وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ**) بقتل آبائهم ، واستحياء نسائهم .

وقوله (**مِنَ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ**) يقول تعالى ذكره : ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب من فرعون ، فقوله (**مِنَ فِرْعَوْنَ**) مكررة على قوله (**مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ**) مبدلة من الأولى . ويعنى بقوله : (**إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ**) إنه كان جبارا مستعليا مستكبرا على ربه ، (**مِنَ الْمُسْرِفِينَ**) يعنى : من المتجاوزين ما ليس لهم تجاوزه . وإنما يعنى جل ثناؤه أنه كان ذا اعتداء في كفره ، واستكبار على ربه جل ثناؤه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَخْتَرَمَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ (٣٢) وَأَن تَدِينَهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاغٌ مُّبِينٌ (٣٣)

(١) لم يذكر لهذا السند تفسير عن قتادة ، والذي في الدر المنثور عنه ، قال : هم كانوا أهون على الله من ذلك ، قال : وكنا نحدث أن المؤمن تبكى عليه بقاعه التي كان يصل فيها من الأرض ، ومصعد عمله من السماء .

يقول تعالى ذكره : ولقد اخترنا بني إسرائيل على علم منا بهم ، على عالمي أهل زمانهم يومئذ ، وذلك زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ) : أي اختيروا على أهل زمانهم ذلك ، ولكل زمان علم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ) قال : علم ذلك الزمان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ) قال : على من هم بين ظهرائيه .

قوله (وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ) يقول تعالى ذكره : وأعطيناهم من العبر والعظات ما فيه اختبار يبين لمن تأمله أنه اختبار اختبرهم الله به .

واختلف أهل التأويل في ذلك البلاء ، فقال بعضهم : ابتلاهم بنعمه عندهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ) أنجاهم الله من عدوهم ، ثم أقطعهم البحر ، وظلل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المن والسلوى . وقال آخرون : بل ابتلاهم بالرخاء والشدة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ) ، وقرأ (وَنَبِّئُوهُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِيمَنْتَهُ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) وقال : بلاء مبين : لمن آمن بها وكفر بها ، بَلَّوْا نبتليهم بها : منحصتهم ، بَلَّوْا اختبار نختبرهم بالخير والشر ، نختبرهم لننظر فيما أتاهم من الآيات من يؤمن بها ، وينتفع بها ويضيعها .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر أنه آتى بني إسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم ، وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء ، ويكون بالشدة ، ولم يَضَع لنا دليلا من خبر ولا عقل ، أنه عتني بعض ذلك دون بعض ، وقد كان الله اختبرهم بالمعنيين كليهما جميعا . وجائز أن يكون عنى اختباره إياهم بهما ، فإذا كان الأمر على ما وصفنا ، فالصواب من القول فيه أن نقول كما قال جل ثناؤه إنه اختبرهم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (٣٥) فَأَتُوا
بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيل مشركي قريش لنبي الله صلى الله عليه وسلم : إن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد (لَيَقُولُونَ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى) التي نموتها ، وهي الموتة الأولى (وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ) بعد مماتنا ، ولا بمبعوثين ، تكذيباً منهم بالبعث والثواب والعقاب .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ) قال : قد قال مشركو العرب (وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ) أي : بمبعوثين .

وقوله (فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول تعالى ذكره : قالوا ل محمد عليه الصلاة والسلام : فأتوا بآبائنا الذين قد ماتوا إن كنتم صادقين ، أن الله باعنا من بعد بلانا في قبورنا ، ومحينا من بعد مماتنا ، وخطب صلى الله عليه وسلم هو وحده خطاب الجميع ، كما قيل : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ) وكما قال (رَبِّ ارْجِعُونِ) وقد بينت ذلك في غير موضع من كتابنا .

القول في تأويل قوله تعالى

أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هؤلاء المشركون يا محمد من قومك خير ، أم قوم تبع ، يعني تبعا الحميري .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل (أَهُمْ خَيْرٌ ، أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ ؟) قال : الحميري .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ ؟) : ذكر لنا أن تبعا كان رجلاً من حمير ، سار بالجيوش حتى حسير الحيرة ، ثم أتى سمرقند فهدمها . وذكر لنا أنه كان إذا كتبت كتبت باسم الذي تسمى وملك برآ وبجرا وصحا وريحاً . وذكر لنا أن كعباً كان يقول : نَعَتَ نَعَتَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، ذمَّ الله قومه ولم يذمه . وكانت عائشة تقول : لا تسبوا تبعا ، فإنه كان رجلاً صالحاً .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قالت عائشة : كان تبع رجلا صالحا . وقال كعب : ذم الله قومه ولم يذمه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن تميم بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبيرة ، أن تبعا كسا البيت ، ونهى سعيد عن سبه .

وقوله (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول تعالى ذكره : أهؤلاء المشركون من قريش خير ، أم قوم تبعا ، والذين من قبلهم من الأمم الكافرة بربها ، يقول : فليس هؤلاء بخير من أولئك ، فنصفح عنهم ، ولا نهلكهم ، وهم بالله كافرون ، كما كان الذين أهلكتهم من الأمم قبلهم كفارا .

وقوله (إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) يقول : إن قوم تبعا والذين من قبلهم من الأمم الذين أهلكتهم ، إنما أهلكتهم لإجرامهم ، وكفرهم بربهم . وقيل : إنهم كانوا مجرمين ، فكسرت ألف « إن » على وجه الابتداء ، وفيها معنى الشرط ، استغناء بدلالة الكلام على معناها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) السبع والأرضين (وَمَا بَيْنَهُمَا) من الخلق لعبا . وقوله (مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ) يقول : ما خلقنا السموات والأرض إلا بالحق الذي لا يصلح التدبير إلا به . وإنما يعنى بذلك تعالى ذكره ، التنبيه على صحة البعث والجزاء ، يقول تعالى ذكره : لم نخلق الخلق عبثا ، بأن نحدثهم فنحييهم ما أردنا ، ثم نفنيهم من غير الامتحان بالطاعة والأمر والنهي ، وغير مجازاة المطيع على طاعته ، والعاصي على المعصية ، ولكن خلقنا ذلك لنبتلى من أردنا امتحانه من خلقنا ، بما شئنا من امتحانه من الأمر والنهي (لِنَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَنَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) .

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر هؤلاء المشركين ، بالله ، لا يعلمون أن الله خلق ذلك لهم ، فهم لا يخافون على ما يأتون من سخط الله عقوبة ، ولا يرجون على خير إن فعلوه ثوابا ، لتكذيبهم بالمعاد .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا ، وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١)

إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : إن يوم فصل الله القضاء بين خلقه ، بما أسلفوا في دنياهم من خير أو شر ، يجزى به المحسن بالإحسان ، والمسيء بالإساءة (مِيقَاتِهِمْ أَجْمَعِينَ) : يقول : مِيقَاتِ اجْتِمَاعِهِمْ أَجْمَعِينَ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) يوم يفصل فيه بين الناس بأعمالهم .

وقوله (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا) يقول : لا يدفع ابن عمّ عن ابن عمّ ، ولا صاحب عن صاحبه شيئا ، من عقوبة الله التي حلّت بهم من الله (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) يقول : ولا ينصّر بعضهم بعضا ، فيستعيذوا ممن نالهم بعقوبة ، كما كانوا يفعلونه في الدنيا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا) . . . الآية ، انقطعت الأسباب يومئذ يا ابن آدم ، وصار الناس إلى أعمالهم ، فمن أصاب يومئذ خيرا سعد به آخر ما عليه ، ومن أصاب يومئذ شرا أشق به آخر ما عليه .

وقوله (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ) اختلف أهل العربية في موضع « مَنْ » في قوله (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ) فقال بعض نحوّي البصرة : إلا من رحم الله ، فجعله بدلا من الاسم المضمر في ينصرون ، وإن شئت جعلته مبتدأ ، وأضمرت خبره ، يريد به : إلا من رحم الله ، فيغني عنه . وقال بعض نحوّي الكوفة قوله (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ) قال : المؤمنون يشفع بعضهم في بعض ، فإن شئت فاجعل « مَنْ » في موضع رفع ، كأنك قلت : لا يقوم أحد إلا فلان ، وإن شئت جعلته نصبا على الاستثناء ، والانقطاع عن أوّل الكلام ، يريد : اللهم إلا من رحم الله .

وقال آخرون منهم : معناه : لا يغني مولى عن مولى شيئا ، إلا من أذن الله له أن يشفع ؛ قال : لا يكون بدلا مما في ينصرون ، لأن إلا محقق ، والأوّل مني ، والبديل لا يكون إلا بمعنى الأوّل . قال : وكذلك لا يجوز أن يكون مستأنفا ، لأنه لا يستأنف بالاستثناء .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يكون في موضع رفع ، بمعنى : يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا إلا من رحم الله منهم ، فإنه يغني عنه ، بأن يشفع له عند ربه .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) يقول جل ثناؤه واصفا نفسه ، إن الله هو العزيز انتقامه من أعدائه ، الرحيم بأوليائه ، وأهل طاعته .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَأَمْهَلِ يُغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِي الْحَمِيمِ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : (إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ) التي أخبر أنها تنبت في أصل الجحيم ، التي جعلها طعاما لأهل الجحيم ، ثمرها في الجحيم طعام الأثم في الدنيا بربه ، والأثم : ذو الإثم ، والإثم من أثم يأثم فهو أثم . وعنى به في هذا الموضع : الذي لإثمه الكفر بربه ، دون غيره من الآثم .

وقد حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن

همام بن الحارث ، أن أبا الدرداء كان يُقْرئ رجلا (إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَيْمِ) فقال : طعام اليتيم ، فقال أبو الدرداء : قل : إن شجرة الزقوم طعام الفاجر .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الدنيا ، لأفسدت على الناس معاشهم » .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام ، قال : كان أبو الدرداء يُقْرئ رجلا (إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَيْمِ) قال : فجعل الرجل يقول : إن شجرة الزقوم طعام اليتيم ؛ قال : فلما أكثر عليه أبو الدرداء ، فرآه لا يفهم ، قال : إن شجرة الزقوم طعام الفاجر . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَيْمِ) قال : أبو جهل .

وقوله (كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ) يقول تعالى ذكره : إن شجرة الزقوم التي جعل ثمرها طعام الكافر في جهنم ، كالرصاص أو الفضة ، أو ما يُذاب في النار إذا أُذِيب بها ، فتناهت حرارته ، وشدت حميته في شدة السواد .

وقد بينا معنى المهل فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع من الشواهد ، وذكر اختلاف أهل التأويل فيه ، غير أننا نذكر من أقوال أهل العلم في هذا الموضع ، ما لم نذكره هناك .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، قال : سألت ابن عباس ، عن قول الله جل ثناؤه (كَالْمُهْلِ) قال : كدردي الزيت .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ) يقول : أسود كمهل الزيت .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ويعقوب بن إبراهيم ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت مطرفا ، عن عطية بن سعد ، عن ابن عباس ، في قوله (كَالْمُهْلِ) ماء غليظ كدردي الزيت .

حدثني يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن مطرف ، عن رجل ، عن ابن عباس ، في قوله (كَالْمُهْلِ) ، قال : كدردي الزيت .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا خليل ، عن الحسن ، عن ابن عباس ، أنه رأى فضة قد أُذِيبت ، فقال : هذا المهل .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا عمرو بن ميمون ، عن أبيه ، عن عبد الله ، في قوله (كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ) قال : دخل عبد الله بيت المال ، فأخرج بقايا كانت فيه ، فأوقد عليها النار حتى تلالأت ، قال : أين السائل عن المهل ؛ هذا المهل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، وحدثنا محمد بن المنني ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : بلغني أن ابن مسعود سئل عن المهل ، الذي يقولون يوم القيامة شراب أهل النار ،

وهو على بيت المال ، قال : فدعا بذهب وفضة فأذا بهما ، فقال : هذا أشبه شيء في الدنيا بالمهل ، الذي هو لون السماء يوم القيامة ، وشراب أهل النار ، غير أن ذلك هو أشدّ حرّاً من هذا . لفظ الحديث لابن بشار وحديث ابن المنثى نحوه .

حدثنا أبو كُرَيْب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أشعث ، عن الحسن ، قال : كان من كلامه ، أن عبد الله بن مسعود رجل أكرمه الله بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن عمر رضى الله عنه استعمله على بيت المال ، قال : فعمد إلى فضة كثيرة مكسّرة ، فخذ لها أخذودا ، ثم أمر بحطب جزل فأوقد عليها ، حتى إذا امتّعت وتزبدت وعادت ألوانا ، قال : انظروا من بالباب ، فأدخل القوم ، فقال لهم : هذا أشبه ما رأينا في الدنيا بالمُهْل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَيْمِينَ) . . . الآية ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ أَهْدَيْتَ لَهُ سَقَايَةَ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، فَأَمَرَ بِأَخْدُودٍ فَخُذَّتْ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ قُدِّفَ فِيهَا مِنْ جَزَلِ الْحَطْبِ ، ثُمَّ قُدِّفَتْ فِيهَا تِلْكَ السَقَايَةَ ، حَتَّى إِذَا أَزْبَدَتْ وَانْتَمَاعَتْ : قَالَ لِعَلَامِهِ : ادْعِ مَنْ بَحْضَرْتَنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَدَعَا رَهْطًا ، فَلَمَّا دَخَلُوا قَالَ : أَتَرُونَ هَذَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : مَا رَأَيْنَا فِي الدُّنْيَا شَيْئًا لِلْمُهْلِ ، أَدْنَى مِنْ هَذَا الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ حِينَ أَزِيدُ وَانْتِمَاعُ .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن سفيان الأسدي ، قال : أذاب عبد الله بن مسعود فضة ، ثم قال : من أراد أن ينظر إلى المُهْلِ فلينظر إلى هذا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ) قال : كدُرْدَى الزَّيْتِ .

حدثني يحيى بن طلحة قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد : (كالمهل) قال : كدردى الزيت . حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا يعمر بن بشر ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : ثنا أبو الصباح ، قال : سمعت يزيد بن أبي سُمَيَّةَ يَقُولُ : سمعت ابن عمر يقول : هل تدرون ما المُهْلُ ؟ المُهْلُ : مهل الزيت ، يعنى آخره . قال : ثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا أبو الصباح الأيلي ، عن يزيد بن أبي سُمَيَّةَ ، عن ابن عمر ، بمثله .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا رُشْدَيْنُ بْنُ سَعْدٍ ، عن عمرو بن الحارث ، عن درّاج أبي السمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « في قوله (بِمَاءِ كَالْمُهْلِ) كعكّر الزيت ، فإذا قرّبه إلى وجهه ، سقطت فروة وجهه فيه » .

قال : ثنا محمد بن المنثى ، قال : ثنا يعمر بن بشر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا رُشْدَيْنُ بْنُ سَعْدٍ ، قال : ثنا عمرو بن الحارث ، عن أبي السمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

وقوله (فِي الْبَطُونِ) اختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرّأته عامة قرّاء المدينة والبصرة والكوفة (تَغْلِي)

بالتاء ، بمعنى أن شجرة الزقوم تغلى في بطونهم ، فأنثوا تغلى لتأنيث الشجرة . وقرأ ذلك بعض قرآء أهل الكوفة (يَغْلِي) بمعنى : طعام الأثيم يغلى ، أو المهمل يغلى ، فذكره بعضهم لتذكير الطعام ، ووجه معناه إلى أن الطعام هو الذي يغلى في بطونهم ، وبعضهم لتذكير المهمل ، ووجهه إلى أنه صفة للمهمل الذي يغلى . والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، صحيحتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب . (كَغْتَلِي الْحَمِيمِ) يقول : يغلى ذلك في بطون هؤلاء الأشقياء ، كغلى الماء المحموم ، وهو المسخن ، الذي قد أوقد عليه ، حتى تناهت شدة حره . وقيل : حميم وهو محموم ، لأنه مصروف من مفعول إلى فاعيل ، كما يقال : قَتِيل من مقتول .

القول في تأويل قوله تعالى

خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : (خُذُوهُ) يعني هذا الأثيم بربه ، الذي أخبر جل ثناؤه أن له شجرة الزقوم طعام (فاعْتِلُوهُ) يقول تعالى ذكره : فادفعوه وسوقوه ، يقال منه : عَتَلَهُ يَعْتَلُهُ عَتَلًا : إذا ساقه بالدفع والجذب ؛ ومنه قول الفرزدق :

لَيْسَ الْكِرَامُ بِنَاحِلِيكَ أَبَاهُمْ حَتَّى تُرَدَّ إِلَى عَطِيَّةٍ تُعْتَلُ^١

أى تُسَاق دَفْعًا وَسَجْبًا .

وقوله (إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ) : إلى وَسَطِ الْجَحِيمِ . ومعنى الكلام : يقال يوم القيامة : خذوا هذا الأثيم ، فسوقوه دفعًا في ظهره ، وسجبا إلى وسط النار .

وينحو الذي قلنا في معنى قوله (فاعْتِلُوهُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ) قال : خذوه فادفعوه .

وفي قوله (فاعْتِلُوهُ) لغتان : كسر التاء ، وهي قراءة بعض قرآء أهل المدينة ، وبعض أهل مكة ٢ .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : أنهما لغتان معروفتان في العرب ، يقال منه : عَتَلٌ يَعْتَلُ وَيَعْتَلُ ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ) : إلى وَسَطِ النَّارِ .

(١) البيت في ديوان الفرزدق (طبعة الصاوي بالقاهرة ص ٧٢٢) وناحليك : معطيك . وموضع الشاهد في البيت قوله « تعتل » . قال في (اللسان : عتل) : وفي التنزيل : « خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم » . قرأ عاصم وحزرة والكسائي وأبو عمرو « فاعتلوه » بكسر التاء ؛ وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب : « فاعتلوه » بضم التاء . قال الأزهرى : وهما لغتان فصيحتان . ومعناه : خذوه فادفعوه كما يقصف الحطب . والعتل : الدفع والإرهاق بالسوق العنيف . اهـ .

(٢) لم يذكر الثانية ، وهي ضم التاء ، وبها قرئ ، ولعله اكتفى عن ذلك ، بما ذكره في السطر الذي بعده .

وقوله (**ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِزَّ عَذَابِ الْحَمِيمِ**) يقول تعالى ذكره : ثم صبوا على رأس هذا الأثيم ، من عذاب الحميم ، يعنى : من الماء المسخن الذى وصفنا صفته ، وهو الماء الذى قال الله (**يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ**) ، وقد بينت صفته هنالك .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنْ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : يقال لهذا الأثيم الشقى : ذق هذا العذاب الذى تعذب به اليوم (**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ**) فى قومك (**الكَرِيمُ**) عليهم .
وذكر أن هذه الآيات نزلت فى أبى جهل بن هشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (**ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِزَّ عَذَابِ الْحَمِيمِ**) نزلت فى عدو الله أبى جهل ، لقي النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذه فهزه ، ثم قال : أولى لك يا أبأ جهل فأولى ، ثم أولى لك فأولى ، ذق إنك أنت العزيز الكريم ، وذلك أنه قال : أيبوعدى محمد ، والله لانا أعز من مشى بين جبليها . وفيه نزلت (**وَلَا تَطْغَبْ مِثْنَهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا**) وفيه نزلت (**كَلَّا لَا تَطْغَبْهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**) . وقال قتادة : نزلت فى أبى جهل وأصحابه ، الذين قتل الله تبارك وتعالى يوم : بدر (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كَفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**) .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : نزلت فى أبى جهل (**خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ**) قال قتادة ، قال أبو جهل : ما بين جبليها رجل أعز ولا أكرم منى ، فقال الله عز وجل : (**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (**خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ**) إلى سواء الجحيم) قال : هذا لأبى جهل .

فإن قال قائل : وكيف قيل وهو يهان بالعذاب الذى ذكره الله ، ويبدل بالعتل إلى سواء الجحيم : إنك أنت العزيز الكريم ؟ قيل : إن قوله (**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**) غير وصف من قائل ذلك له بالعزة والكرم ، ولكنه تقرير منه له ، بما كان يصف به نفسه فى الدنيا ، وتوبيخ له بذلك ، على وجه الحكاية ، لأنه كان فى الدنيا يقول : إنك أنت العزيز الكريم ، فقبل له فى الآخرة ، إذ عذب بما عذب به فى النار : ذق هذا الهوان اليوم ، فإني كنت تزعم أنك أنت العزيز الكريم ، وإني كنت الذليل المهين ، فأين الذى كنت تقول وتدعى من العز والكرم ، هلا تمتنع من العذاب بعزتك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : ثنا ابن عجلان ، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة ، قال : قال كعب : لله ثلاثة أبواب : اتزر بالعز ، وتسربل الرحمة ، وارتدى الكبرياء ، تعالى ذكره ، فمن

تعزّز بغير ما أعزّه الله، فذلك الذي يقال: ذق إنك أنت العزيز الكريم، ومن رحم الناس فذلك الذي سرّب الله سرّ به الذي ينبغى له، ومن تكبر فذلك الذي نازع الله رداءه، إن الله تعالى يقول ذكره: لا ينبغى لمن نازعني ردائي أن أدخله الجنة، جلّ وعزّ. وأجمعت قرآء الأمصار جميعاً على كسر الألف من قوله (ذُقْ إِنَّكَ) على وجه الابتداء. وحكاية قول هذا القائل: إني أنا العزيز الكريم. وقرأ ذلك بعض المتأخرين (ذُقْ أَنْتَ) بفتح الألف على إعمال قوله (ذُقْ) في قوله (أَنْتَ) كأن معنى الكلام عنده: ذق هذا القول الذي قلته في الدنيا. والصواب من القراءة في ذلك عندنا كسر الألف من (إِنَّكَ)، على المعنى الذي ذكرت لقارته، لإجماع الحجة من القرآء عليه، وشذوذ ما خالفه، وكفى دليلاً على خطأ قراءة خلافها، ما مضت عليه الأئمة، من المتقدمين والمتأخرين، مع بعدها من الصحة في المعنى، وفراقها تأويل أهل التأويل.

وقوله (إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ) يقول تعالى ذكره: يقال له: إن هذا العذاب الذي تعذب به اليوم، هو العذاب الذي كنتم في الدنيا تمشكون، فتختصمون فيه، ولا توقنون به فقد لقيتموه، فذوقوه.

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّقِلِينَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله، بأداء طاعته، واجتناب معاصيه، في موضع إقامة، آمين في ذلك الموضع، مما كان يخاف منه في مقامات الدنيا، من الأوصاب والعلل، والأنصاب والأحزان.

واختلفت القرآء في قراءة قوله (في مقام أمين) فقرآته عامة قرآء المدينة (في مقام أمين) بضم الميم، بمعنى: في إقامة أمين من الظعن. وقرآته عامة قرآء المصريين: الكوفة والبصرة (في مقام) بفتح الميم، على المعنى الذي وصفنا، وتوجيها إلى أنهم في مكان وموضع أمين.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قرآتان مستفيضتان في قرآء الأمصار، صحيحتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فصيب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ) إلى والله، أمين من الشيطان والأنصاب والأحزان.

وقوله (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) الجنات والعيون ترجمة عن المقام الأمين، والمقام الأمين: هو الجنات والعيون، والجنات: البساتين، والعيون: عيون الماء المطرد في أصول أشجار الجنات.

وقوله (يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ) يقول: يلبس هؤلاء المتقون في هذه الجنات من سندس، وهو مارق من الديباج. وإستبرق: وهو ما غلظ من الديباج.

(١) قوله وشذوذ ما خالفه، هذا غير صحيح لأن الإمام الكسائي قرأ بفتح الهمز وهي قراءة سببية متواترة مشهورة وليست شاذة.

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، في قوله (مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) قال : الإستبرق : الديباج الغليظ .
وقيل : (يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) ، ولم يقل لباسيا ، استغناء بدلالة الكلام على معناه .
وقوله (مُتَقَابِلِينَ) يعني أنهم في الجنة يقابل بعضهم بعضا بالوجوه ، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض .
وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ حُجُورَ عَيْنٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُقُونَ فِيهَا
الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى، وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضَلَّامٌ رَبُّكَ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : كما أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة ، بإدخالناهم الجنات ، وإلباسناهم فيها السندس والإستبرق ، كذلك أكرمناهم ، بأن زوجناهم أيضا فيها حُورًا من النساء ، وهن النقيات البيضاء ، واحدهن : حوراء .

وكان مجاهد يقول في معنى الحور ، ما حدثني به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛
وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله :
(وَزَوَّجْنَاهُمْ حُجُورَ عَيْنٍ) قال : أنكحناهم حورًا . قال : والحور : اللاتي يحارفين الطرف بادٍ مخٌ
سوقهن من وراء ثيابهن ، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة ، من رقة الجلد ، وصفاء اللون ،
وهذا الذي قاله مجاهد من أن الحور إنما معناها : أنه يحارفيها الطرف ، قول لا معنى له في كلام العرب ، لأن
الحور إنما هو جمع حوراء ، كالحمر جمع حمراء ، والسود : جمع سوداء ، والحوراء إنما هي فعلاء ، من الحور ،
وهو نقاء البياض ، كما قيل للنقى البياض من الطعام الحورارَى . وقد بينا معنى ذلك بشواهد ، فيما مضى قبل .
وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال سائر أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ حُجُورَ عَيْنٍ)
قال : بياض عينا ، قال : وفي قراءة ابن مسعود (بعيس عيين) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (بِحُجُورِ عَيْنٍ) قال :
بيض عيين ، قال : وفي حرف ابن مسعود (بعيس عيين) . وقرأ ابن مسعود هذه ، يعني أن معنى الحور
غير الذي ذهب إليه مجاهد ، لأن العيس عند العرب جمع عيساء ، وهي البيضاء من الإبل ، كما قال الأعشى :
وَمَهْمَهَ نَارِحٍ تَعْوَى الذَّنَابُ بِهِ كَلَفْتُ أَعْيَسَ تَحْتَ الرَّحْلِ نَعَابًا

(١) البيت : لأعشى بن قيس بن ثلمية (ديوانه طبع القاهرة ٣٦١) والرواية فيه : « قفر مساره » في موضع « تعوى الذئاب به »
والمهمة : الصحراء ، ونارح : بهيمة . وقفر : خال من النبات والإنس . ومساره : مسالكه . وأعيس : حمل أبيض ، يخالطه شقرة أو ظلمة . =

يعنى بالأعيس : جملا أبيض . فأما العين ، فإنها جمع عيناء ، وهى العظيمة العينين من النساء .
وقوله (يَدْعُونَ فِيهَا) . . . الآية ، يقول : يدعو هؤلاء المتقون فى الجنة بكل نوع من فواكه
الجنة اشبهوه ، (آمينين) فيها من انقطاع ذلك عنهم ، ونفاده وفائه ، ومن غائلة أذاه ومكروهه ، يقول :
ليست تلك الفاكهة هنالك كفاكهة الدنيا التى تأكلها ، وهم يخافون مكروه عاقبتها ، وغيب أذاها ، مع نفاذها
من عندهم ، وعدمها فى بعض الأزمنة والأوقات .

وكان قتادة يوجه تأويل قوله (آمينين) إلى ما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن
قتادة (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِينَ) : أمنوا من الموت والأوصاب والشيطان .
وقوله (لا يَدْعُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى) يقول تعالى ذكره : لا يدع هؤلاء المتقون فى
الجنة الموت بعد الموتة الأولى ، التى ذاقوها فى الدنيا .

وكان بعض أهل العربية يوجه إلا فى هذا الموضع إلى أنها فى معنى سوي ، ويقول : معنى الكلام :
لا يدعون فيها الموت سوي الموتة الأولى ، ويمثله بقوله تعالى ذكره : (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ
مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) بمعنى : سوي ما قد فعل آبؤكم ، وليس للذى قال من ذلك عندى وجه
مفهوم ، لأن الأغلب من قول القائل : لأذوق اليوم الطعام إلا الطعام الذى ذقته قبل اليوم ، أنه يريد الخبر عن
قائله أن عنده طعاما فى ذلك اليوم ذائقه وطاعمه ، دون سائر الأطعمة غيره . وإذا كان ذلك الأغلب من معناه ،
وجب أن يكون قد أثبت بقوله (إلا الموتة الأولى) موتة من نوع الأولى هم ذائقوها ، ومعلوم أن ذلك
ليس كذلك ، لأن الله عز وجل قد آمن أهل الجنة فى الجنة إذا هم دخلوها من الموت ، ولكن ذلك كما
وصفت من معناه . وإنما جاز أن توضع « إلا » فى موضع بعد ، لتقارب معنيهما فى هذا الموضع ، وذلك أن
القائل إذا قال : لأكلم اليوم رجلا إلا رجلا عند عمرو ، قد أوجب على نفسه أن لا يكلم ذلك اليوم رجلا بعد كلام
الرجل الذى عند عمرو . وكذلك إذا قال : لأكلم اليوم رجلا بعد رجل عند عمرو ، قد أوجب على نفسه أن
لا يكلم ذلك اليوم رجلا إلا رجلا عند عمرو ، فبعد ، وإلا : متقاربتا المعنى فى هذا الموضع . ومن شأن العرب
أن تضع الكلمة مكان غيرها ، إذا تقارب معنيهما ، وذلك كوضع الرجاء مكان الخوف ، لما فى معنى الرجاء
من الخوف ، لأن الرجاء ليس بيقين ، وإنما هو طمع ، وقد يصدق ويكذب ، كما الخوف يصدق أحيانا
ويكذب ، فقال فى ذلك أبو ذؤيب :

إِذَا لَسَعَتْهُ الدَّبِيرُ كَمْ يَرَجُّ لَسَعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوْبٍ عَوَامِلٌ^١

= والرجل : الحشبة يشد على الجميل ، ليركب فوقه . وتعب : من تعب الإبل : إذا مدت أعناقها فى سيرها . وقيل هو أن يحرك البعير
رأسه إذا أسرع (اللسان : تعب) . ومجل الشاهد فى البيت عند المؤلف أن العيس عند العرب جمع أعيس ، وعيساء ، وهى الناقة البيضاء ،
كما جاء فى شعر الأعشى : الأعيس الجميل الأبيض .

(١) البيت لأبي ذؤيب . وهو شاهد على أن لم يرج : أى لم يخف . وقد سبق الاستشهاد به فى هذا التفسير ، وتقدم الكلام عليه مفصلا ،
(انظره فى ٥ : ٢٦٤ من هذه الطبعة) . وفى قافيته : « عوائل » فى موضع عوامل . وكلناهما صحيحة .

فقال : لم يترجّح لسعها ، ومعناه في ذلك : لم يخف لسعها ، وكوضعهم الظنّ موضع العلم الذي لم يدرك من قبل العيان ، وإنما أدرك استدلالا أو خبرا ، كما قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالنَّفْسِ مُدَجَّجٍ سَرَائِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ

بمعنى : أيقنوا بألني مدجج واعلموا ، فوضع الظنّ موضع اليقين ، إذ لم يكن المقول لهم ذلك عاينوا ألني مدجج ، ولا رأوهم ، وإن ما أخبرهم به هذا الخبر ، فقال لهم ظنوا العلم بما لم يعاين من فعل القلب ، فوضع أحدهما موضع الآخر ، لتقارب معنيهما ، في نظائر لما ذكرت ، يكثر إحصاؤها ، كما يتقارب معنى الكلمتين في بعض المعاني ، وهما مختلفتا المعنى في أشياء أخرى ، فتضع العرب إحداها مكان صاحبتها ، في الموضع الذي يتقارب معنيهما فيه ، فكذلك قوله (لا يندُ وقونَ فيها الموتَ إلا الموتة الأولى) ، وضعت « إلا » في موضع بعد ، لما نصف من تقارب معنى « إلا » ، و « بعد » في هذا الموضع ، وكذلك (ولا تنكحوا ما نكحَ آبؤكُم من النساءِ إلا ما قد سلفَ) إنما معناه : بعد الذي سلف منكم في الجاهلية ، فأما إذا وجهت « إلا » في هذا الموضع إلى معنى سيوى ، فإنما هو ترجمة عن المكان ، وبيان عنها ، بما هو أشدّ التباسا على من أراد علم معناها منها .

وقوله (ووقاهم عذابَ الجحيمِ فضلا من ربك) : يقول تعالى ذكره : ووقى هؤلاء المتقين ربهم يومئذ عذاب النار ، تفضلا يا محمد من ربك عليهم ، وإحسانا منه إليهم بذلك ، ولم يعاقبهم بجرم سلف منهم في الدنيا ، ولولا تفضله عليهم ، بصفحهم عن العقوبة لهم على ما سلف منهم من ذلك ، لم يقههم عذاب الجحيم ، ولكن كان بناهم ، ويصيبهم ألمه ومكروهه .

وقوله (ذلك هو الفوز العظيم) يقول تعالى ذكره : هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة ، من الكرامة التي وصفت في هذه الآيات ، هو الفوز العظيم : يقول : هو الظفر العظيم بما كانوا يطلبون من إدراكه في الدنيا بأعمالهم ، وطاعتهم لربهم ، واتباعهم إياه ، فيما امتحنهم به من الطاعات والفرائض : واجتناب المحارم .

القول في تأويل قول تعالى

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَأَرْتَقِبْ إِيَّاهُمْ مُرْتَقِبُونَ (٥٩).

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإنما سهّلنا قراءة هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد بلسانك ، ليتذكر هؤلاء المشركون الذين أرسلناك إليهم بعبره وحججه ، ويتعظوا بعظاته ، ويتفكروا في آياته ، إذا أنت تلوه عليهم ، فينبوا إلى طاعة ربهم ، ويذعنوا للحق عند تبينهموه .

(١) البيت لدريد بن الصمة الجشمي (اللسان : ظنن) . قال : الجوهرى : الظن معروف . وقد يوضع موضع العلم . قال دريد بن الصمة : « فقلت لهم ظنوا . . . البيت » : أى استيقنوا ، وإنما يخوف عدوه باليقين لا بالشك . والشاهد في البيت عند المؤلف أن العلم قد يوضع في موضع الظن ، كما أن الرجاء قد يوضع موضع الخوف .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا يَسَّرْنَاهُ بَلِيْسَانِكَ) :
أى هذا القرآن (لَعَلَّهُمْ يُتَذَكَّرُونَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَمَّا يَسَّرْنَاهُ بَلِيْسَانِكَ)
قال : القرآن ، ويسرناه : أطلق به لسانه .

وقوله (فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : فانتظر أنت
يا محمد الفتح من ربك ، والنصر على هؤلاء المشركين بالله ، من قومك من قريش ، إياهم منتظرون عند أنفسهم ،
قهرك وغلبتك ، بصددهم عما أتيتهم به من الحق ، من أراد قبوله واتباعك عليه .
وينحو الذي قلنا في تأويل قوله (فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) : أى
فانتظر إياهم منتظرون .

آخر تفسير سورة الدخان

تفسير سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ
لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣)

قد تقدم بياننا في معنى قوله (حم) . وأما قوله (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ) فإن معناه : هذا تنزيل
القرآن من عند الله (العزیز) في انتقامه من أعدائه ، (الحكيم) في تدبيره أمر خلقه .
وقوله (إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره : إن في السموات السبع
اللاتي منهن نزول الغيث ، والأرض التي منها خروج الخلق أيها الناس (آيات للمؤمنين) يقول : لأدلة
وحججاً للمصدقين بالحجج ، إذا تبينوها ورأوها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤)

يقول تعالى ذكره : وفي خلق الله إياكم أيها الناس ، وخلق ما تفرق في الأرض من دابة تدب عليها ، من

غير جنسكم (آياتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) يعنى : حججا وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء ، فيقرّون بها ، ويعلمون صحتها .

واختلفت القراءة في قراءة قوله (آياتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ، وفي التي بعد ذلك ، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (آياتٍ) رفعا على الابتداء ، وترك ردها على قوله (آياتٍ للمؤمنين) ، وقرأته عامة قراء الكوفة (آياتٍ) خفضا ، بتأويل النصب رداً على قوله (آياتٍ للمؤمنين) . وزعم قارئو ذلك من المتأخرين ، أنهم اختاروا قراءته كذلك ، لأنه في قراءة أبي في الآيات الثلاث (آياتٍ) باللام ، فجعلوا دخول اللام في ذلك في قراءته ، دليلاً لهم على صحة قراءة جميعه بالخفض ، وليس الذي اعتمدوا عليه من الحجة في ذلك بحجة ، لأنه لا رواية بذلك عن أبي صحيحة ، وأبي لو صحّت به عنه رواية ، ثم لم يُعلّم كيف كانت قراءته بالخفض أو بالرفع ، لم يكن الحكم عليه بأنه كان يقرؤه خفضاً ، بأولى من الحكم عليه بأنه كان يقرؤه رفعا ، إذ كانت العرب قد تدخل اللام في خبر المعطوف على جملة كلام تام ، قد عملت في ابتدائها « إن » ، مع ابتدائهم إياه ، كما قال حميد بن ثور الهلالي :

إِنَّ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُمْ لَدَمِيمَةٌ وَخِلَافٌ طَرْفٌ لَمِيمًا أَحْقِرًا

فأدخل اللام في خبر مبتدأ بعد جملة خبر قد عملت فيه « إن » إذ كان الكلام ، وإن ابتدئ متوالياً فيه إن . والصواب من القول في ذلك : إن كان الأمر على ما وصفنا ، أن يقال : إن الخفض في هذه الأحرف والرفع قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار قد قرأ بهما علماء من القراء صحيحتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ، آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥)

يقول تبارك وتعالى (وفي اختلاف الليل والنهار) أيها الناس ، وتعاقبهما عليكم ، هذا بظلمته وسواده

(١) لم أجد البيت في ديوان حميد بن ثور الهلالي طبعة دار الكتب المصرية (واخلاف الطرف) : هم الذين خلفوا بعد آياتهم القدام . يقول إن الخلافة بعد الخلفاء الأولين صارت ذميمة ، والخلفاء المحدثون محتقرون في عيني ، لأنهم لا يسلكون مسلك آياتهم . والشاهد في البيت أن الشاعر استأنف بالواو جملة من مبتدأ وخبر مرفوعين ، بعد الجملة الأولى التي مبتدؤها منصوب بأن ، وذلك كما في الآية « إن في السموات والأرض آيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما بيث من دابة آيات لقوم يوقنون » . اهـ . وقال القراء في معاني القرآن (الورقة ٢٩٩) قوله « وفي خلقكم وما بيث من دابة آيات » : تقرأ الآيات بالخفض ، على تأويل النصب ، يرد على قوله « إن في السموات والأرض آيات » . ويقوى الخفض فيها أنها في قراءة عبد الله (ابن مسعود) : آيات . وفي قراءة أبي لآيات . والرفع قراءة الناس على الاستئناف فيما بعد أن . والعرب تقول : إن لي عليك مالا ، وعلى أخيك مال كثير ، فينصبون الثاني ويرفعونه . وفي قراءة عبد الله : « وفي اختلاف الليل والنهار » فهذه تقوى خفض الاختلاف . ولورفع رافع فقال : « واختلاف الليل والنهار آيات » أيضا ، يجعل الاختلاف آيات ، ولم نسمعه من أحد من القراء . قال : ولورفع رافع الآيات فيها اللام ، كان صوابا . قال : أنشدني الكسائي « إن الخلافة . . . البيت » .

وهذا بنوره وضيائه (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ) وهو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم ، وإحيائه الأرض بعد موتها : يقول : فأُنبت ما أنزل من السماء من الغيث ميت الأرض ، حتى اهتزت بالنبات والزرع من بعد موتها ، يعني : من بعد جندوبها وقحوظها ومصيرها دائرة لانبت فيها ولا زرع . وقوله (وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ) يقول : وفي تصريفه الرياح لكم شمالاً مرة ، وجنوباً أخرى ، وصباً أحياناً ، ودبوراً أخرى لمنافعكم .

وقد قيل : عُنِي بتصريفها بالرحمة مرة ، وبالعذاب أخرى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ) قال : تصريفها إن شاء جعلها رحمة ، وإن شاء جعلها عذاباً .
وقوله (آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره : في ذلك أدلة وحجج لله على خلقه ، لقوم يعقلون عن الله حججه ، ويفهمون عنه ما وعظهم به من الآيات والعبر .

القول في تأويل قوله تعالى

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦)

يقول تعالى ذكره : هذه الآيات والحجج يا محمد من ربك على خلقه ، تتلوها عليكم بالحق : يقول : نخبرك عنها بالحق لا بالباطل ، كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل ، أنها تقرّبهم إلى الله زُلْفَى ، فبأَيِّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون : يقول تعالى ذكره للمشركين به : فبأَيِّ حديث أيها القوم بعد حديث الله هذا الذي يتلوه عليكم ، وبعد حججه عليكم ، وأدلته التي دلّكم بها على وحدانيته ، من أنه لا ربّ لكم سواه ، تصدّقون ، إن أنتم كذّبتُم لحديثه وآياته . وهذا التأويل على مذهب قراءة من قرأ (تُؤْمِنُونَ) على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين ، وذلك قراءة عامة قرأها الكوفيون . وأما على قراءة من قرأه (يُؤْمِنُونَ) بالياء ، فإن معناه : فبأَيِّ حديث يا محمد بعد حديث الله الذي يتلوه عليكم ، وآياته هذه التي نبه هؤلاء المشركين عليها ، وذكرهم بها ، يؤمن هؤلاء المشركون ، وهي قراءة عامة قرأها أهل المدينة والبصرة ، ولكلنا القراءتين وجه صحيح وتأويل مفهوم ، فبأَيِّ القراءتين قرأ ذلك القارئ فصيّب عندنا ، وإن كنت أميل إلى قراءته بالياء ، إذ كانت في سياق آيات قد مضين قبلها على وجه الخبر ، وذلك قوله (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) و (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ

يَسْمَعَهَا ، فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨)

يقول تعالى ذكره : الوادى السائل من صديد أهل جهنم ، لكل كذاب ذى إثم بربه ، مفتر عليه ، (يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهِنَّ) يقول : يسمع آيات كتاب الله تُقرأ عليه (ثُمَّ يُصِرُّ) على كفره وإثمه ، فيقيم عليه غير نائب منه . ولا راجع عنه (مُسْتَكْبِرًا) على ربه أن يُذعن لأمره ونهيه (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) يقول : كأن لم يسمع ما تُلى عليه من آيات الله ، بإصراره على كفره (فَبَشَّرَهُ بِعَذَابِ الْيَوْمِ) يقول : فبشر يا محمد هذا الأفك الأثيم ، الذى هذه صفته ، بعذاب من الله له . (أَلِيمٌ) : يعنى موجع فى نار جهنم يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا حُزُورًا ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩)

يقول تعالى ذكره : (وَإِذَا عَلِمَ) هذا الأفك الأثيم (مِنْ) آيات الله شيئاً (أَخَذَهَا حُزُورًا) : يقول : اتخذنا تلك الآيات التى علمها حزوا ، يسخر منها ، وذلك كفعل أبى جهل حين نزلت (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ) إذ دعا بتمر وزبد فقال : تَزَقَّمُوا مِنْ هَذَا ، ما يعدكم محمد إلا شهيداً ، وما أشبه ذلك من أفعالهم .

وقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يفعلون هذا الفعل ، وهم الذين يسمعون آيات الله تُتلى عليهم ، ثم يُصِرُّون على كفرهم استكباراً ، ويتخذون آيات الله التى علموها حزوا ، لهم يوم القيامة من الله عذاب مهين يهينهم ، ويلطم فى نار جهنم ، بما كانوا فى الدنيا يستكبرون عن طاعة الله ، واتباع آياته ، وإنما قال تعالى ذكره (أُولَئِكَ) فجمع . وقد جرى الكلام قبل ذلك رداً للكلام إلى معنى الكل فى قوله (وَيَلِكُلُ لِكُلِّ أَفْكَ أَثِيمٍ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَنْ وَرَاءَهُمْ جَهَنَّمَ ، وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا ، وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ،

وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠)

يقول تعالى ذكره : ومن وراء هؤلاء المستهزئين بآيات الله ، يعنى من بين أيديهم . وقد بيننا العلة التى من أجلها قيل لما أمامك ، هو وراءك ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ؛ يقول : من بين أيديهم نار جهنم هم واردوها ، ولا يغنيهم ما كسبوا شيئاً ؛ يقول : ولا يغنى عنهم من عذاب جهنم إذا هم عذبوا به ما كسبوا فى الدنيا من مال وولد شيئاً .

وقوله (وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) يقول : ولا آلهتهم التى عبدوها من دون الله ، ورؤساؤهم ، وهم الذين أطاعوهم فى الكفر بالله ، واتخذوهم نصراء فى الدنيا ، تعنى عنهم يومئذ من عذاب جهنم شيئاً (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) يقول : ولهم من الله يومئذ عذاب فى جهنم عظيم .

(١) لعله : وقد جرى الكلام قبل ذلك على الأفراد ، رداً الخ . . .

القول في تأويل قوله تعالى

هَذَا هُدًى، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ (١١)

يقول تعالى ذكره : هذا القرآن الذي أنزلناه على محمد هُدًى : يقول : بيان ودليل على الحق ، يهدي إلى صراط مستقيم ، من اتبعه وعمل بما فيه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) يقول : والذين جحدوا ما في القرآن من الآيات الدالات على الحق ، ولم يصدقوا بها ، ويعملوا بها ، لهم عذاب أليم يوم القيامة موجه .

القول في تأويل قوله تعالى

* اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : (الله) أيها القوم ، الذي لا تنبغي الألوهة إلا له ، الذي أنعم عليكم هذه النعم ، التي يبسطها لكم في هذه الآيات ، وهو أنه (سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ) لمعاشكم وتصرفكم في البلاد ، لطلب فضله فيها ، ولتشكروا ربكم على تسخير ذلك لكم ، فتعبدهو وتطيعوه ، فيما يأمركم به ، وينهاكم عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ) من شمس وقمر ونجوم (وَمَا فِي الْأَرْضِ) من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم (جَمِيعًا) منه . يقول تعالى ذكره : جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم ، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم ، وفضل منه تفضل به عليكم ، فإياه فاحمدوا لا غيره ، لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك ، بل تفرّد بإنعامها عليكم ، وجميعها منه ، ومن نعمه فلا تجعلوا له في شكركم له شريكاً ، بل أفردوه بالشكر والعبادة ، وأخلصوا له الألوهة ، فإنه لا إله لكم سواه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ) يقول : كل شيء هو من الله ، وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه ، فذلك جميعاً منه ، ولا ينازعه فيه المنازعون ، واستيقن أنه كذلك .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في تسخير الله لكم ، ما أنبأكم أيها الناس أنه سخّر لكم في هاتين الآيتين (آيَاتٍ) يقول : لعلامات ودلالات على أنه لا إله لكم غيره ،

الذى أنعم عليكم هذه النعم ، وخر لكم هذه الأشياء التى لا يتقدر على تسخيرها غيره ، لقوم يتفكرون فى آيات الله وحججه وأدلتها ، فيعتبرون بها ، ويتعظون إذا تدبروها ، وفكروا فيها .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ، لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للذين صدقوا الله واتبعوك ، يغفروا للذين لا يخافون بأس الله ووقائعه ونقمه ، إذا هم نالوهم بالأذى والمكرهه : (لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : ليجزى الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين فى الآخرة ، فيصيدهم عذابه بما كانوا فى الدنيا يكسبون من الإثم ، ثم بأذاهم أهل الإيمان بالله .
وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ، لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) : قال : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يعرض عن المشركين إذا آذوه ، وكانوا يستهزئون به ، ويكذبونه ، فأمره الله عز وجل أن يقاتل المشركين كافة ، فكان هذا من المنسوخ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) قال : لا يبالون نعم الله ، أو نقم الله .
حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) قال : لا يبالون نعم الله ، وهذه الآية منسوخة بأمر الله بقتال المشركين . وإنما قلنا : هى منسوخة لإجماع أهل التأويل على أن ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

قد ذكرنا الرواية فى ذلك عن ابن أبي عباس ، حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله (قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) قال : نسخها ما فى الأنفال (فإمَّا تَشَقَّقْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ ، فَشَرَّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفْتَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ) ، وفى براءة (قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ، كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) قال : نسخها (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول فى قوله

(قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) قال : هذا منسوخ ، أمر الله بقتلهم فى سورة براءة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة عن ذكره عن أبي صالح (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) قال : نسخها التى فى الحجج (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) قال : هؤلاء المشركون ، قال : وقد نسخ هذا ، وفرض جهادهم ، والغلظة عليهم .

وجزم قوله (يَغْفِرُوا) تشبيها له بالجزاء والشرط ، وليس به ، ولكن لظهوره فى الكلام على مثاله ، فعرب تعريبه ، وقد مضى البيان عنه قبل .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (لِيَجْزَى قَوْمًا) فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة والكوفة : (لِيَجْزَى) بالياء على وجه الخبر عن الله أنه يجزيهم ويثيبهم . وقرأ ذلك بعض عامة قراء الكوفيين (لِيَجْزَى) بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه . وذكر عن أبي جعفر القارئ أنه كان يقرؤه (لِيَجْزَى قَوْمًا) على مذهب ما لم يسم فاعله ، وهو على مذهب كلام العرب لحن ١ ، إلا أن يكون أراد : ليجزى الجزاء قوما ، بإضمار الجزاء ، وجعله مرفوعا (لِيَجْزَى) ، فيكون وجهها من القراءة ، وإن كان بعيدا ٢ .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن قراءته بالياء والنون ، على ما ذكرت من قراءة الأمصار ، جائزة بأى تينك القراءتين قرأ القارئ . فأما قراءته على ما ذكرت عن أبي جعفر ، فغير جائزة عندى لمعنيين : أحدهما : أنه خلاف لما عليه الحجة من القراء ، وغير جائز عندى خلاف ما جاءت به مستفيضا فيهم . والثانى بعدها من الصحة فى العربية إلا على استكراه الكلام على غير المعروف من وجهه .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : من عمل من عباد الله بطاعته ، فأنهى إلى أمره ، وانزجر لهيبه ، فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل ، وطلب خلاصها من عذاب الله ، أطاع ربه لا لغير ذلك ، لأنه لا ينفع ذلك غيره ، والله عن عمل كل عامل غنى (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) يقول : ومن أساء عمله فى الدنيا ، بمعصيته فيها ربه ، وخلافه فيها أمره ونهيه ، فعلى نفسه جنى ، لأنه أوبقها بذلك ، وأكسبها به سُخْطَه ، ولم يضر أحدا سوى نفسه (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) يقول : ثم أنتم أيها الناس أجمعون إلى ربكم تصيرون من بعد مماتكم ، فيجازى المحسن منكم بإحسانه ، والمسئء بإساءته ، فمن ورد عليه منكم بعمل صالح ، جوزى من الثواب صالحا ، ومن ورد عليه منكم بعمل سيئ جوزى من الثواب سيئا .

(١) ليس كلام العرب حجة على القراءة ولكن القراءة حجة على كلامهم .

(٢) يجوز أن يكون الفاعل نائب الفاعل هو قوله تعالى « بما » كانوا يكسبون .

(٣) قوله فغير جائزة ، هذا خطأ لأن القراءة عشرية صحيحة متواترة فى قوة السبعة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ

عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦)

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ آتَيْنَا) يا محمد (بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ) يعنى التوراة والإنجيل ، (وَالْحُكْمَ) يعنى الفهم بالكتاب ، والعلم بالسُّنَنِ الَّتِي لَمْ تَنْزَلْ فِي الْكِتَابِ ، (وَالنُّبُوَّةَ) يقول : وجعلنا منهم أنبياء ورسلاً إلى الخلق ، (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول : وأطعمناهم من طيبات أرزاقنا ، وذلك ما أطعمهم من المن والسلوى (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) يقول : وفضلناهم على عالمي أهل زمانهم في أيام فرعون ، وعهده في ناحيتهم بمصر والشام .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَتَيْنَاهُمُ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ، فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنْهَاهُمْ، إِنَّ رَبَّكَ

يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧)

يقول تعالى ذكره : وأعطينا بني إسرائيل واضحات من أمرنا بتزيلنا إليهم التوراة ، فيها تفصيل كل شيء (فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) طلباً للرياسات ، وتركاً منهم لبيان الله تبارك وتعالى في تنزيله .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن ربك يا محمد يقضى بين المختلفين من بني إسرائيل بغيا بينهم ، يوم القيامة ، فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون بعد العلم الذي أتاهم ، والبيان الذي جاءهم منه ، فيفلسح الحق حينئذ على المبطل ، بفصل الحكم بينهم .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ، فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ

يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ) يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل ، الذين وصفت لك صفتهم (عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ) يقول : على طريقة وسنة ومينهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا (فَاتَّبِعْهَا) يقول : فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ولا تتبع مادعاك إليه الجاهلون بالله ، الذين لا يعرفون الحق من الباطل ، فتعمل به ، فهلك إن عملت به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيْعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا**) قال : يقول على هُدًى من الأمر وبينته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيْعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا**) والشرية : الفرائض والحدود والأمر والنهي ، فاتبعها (**وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيْعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ**) قال : الشريعة : الدين . وقرأ (**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**) قال : فنوح أولهم ، وأنت آخرهم .

وقوله (**لَا تَتَّبِعُوا لِمَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**) يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء الجاهلين ببرهم ، الذين يدعونك يا محمد إلى اتباع أهوائهم ، لن يغنوا عنك إن أنت اتبعت أهواءهم ، وخالفت شريعة ربك التي شرعها لك من عقاب الله شيئا ، فيدفعوه عنك إن هو عاقبك ، وينقذوك منه .

وقوله (**وَأَن الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**) يقول : وإن الظالمين بعضهم أنصار بعض ، وأعاونهم على الإيمان بالله وأهل طاعته ، (**وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ**) يقول تعالى ذكره : والله يبلي من اتقاه ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، بكفايته ودفاع من أراده بسوء ، يقول جل ثناؤه لئيبه عليه الصلاة والسلام : فكن من المتقين ، يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون ، فإنه ولي من اتقاه ، ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وإن كثرت عددهم ، لأنهم لن يضروك ما كان الله وليك وناصرك .

القول في تأويل قوله تعالى

هَذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أُجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)
 يقول تعالى ذكره : (**هَذَا**) الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد (**بَصَائِرٌ لِّلنَّاسِ**) يبصرون به الحق من الباطل ، ويعرفون به سبيل الرشاد ، والبصائر : جمع بصيرة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن زيد يقول .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (**هَذَا بَصَائِرٌ لِّلنَّاسِ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ**) قال : القرآن . قال : هذا كله إنما هو في القلب . قال : والسمع والبصر في القلب . ، وقرأ (**فَلْيَتَّخِذْهَا**) لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وليس يبصر الدنيا ولا بسمعها .

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله (سَوَاءٌ) ورفعهُ ، فقال بعض نحوِّي البصرة (سَوَاءٌ) نَحْيَاهُمُْ وَتَمَاتَهُمُْ) رفع . وقال بعضهم : إن الحيا والممات للكفار كله ، قال (أمَّ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ثم قال : سواء حيا الكفار ومماتهم : أى حياهم حيا سَوَاءً ، ومماتهم ممات سَوَاءً ، فرفع السواء على الابتداء . قال : ومن فسّر الحيا والممات للكفار والمؤمنين ، فقد يجوز في هذا المعنى نصب السواء ورفعهُ ، لأن من جعل السواء مستويا ، فينبغي له في القياس أن يُجرى على ما قبله ، لأنه صفة ، ومن جعله الاستواء ، فينبغي له أن يرفعه لأنه اسم ، إلا أن ينصب الحيا والممات على البديل ، وينصب السواء على الاستواء ، وإن شاء رفع السواء إذا كان في معنى مستو ، كما تقول : مررت برجل خير منك أبوه ، لأنه صفة لا يصرّف والرفع أجود . وقال بعض نحوِّي الكوفة قوله (سَوَاءٌ نَحْيَاهُمُْ) بنصب سواء ورفعهُ ، والحيا والممات في موضع رفع بمنزلة ، قوله : رأيت القرم سواء صغارهم وكبارهم بنصب سواء لأنه يجعله فعلا لما عاد على الناس من ذكرهم ، قال : وربما جعلت العرب سواء في مذهب اسم بمنزلة حسبك ، فيقولون : رأيت قومك سواء صغارهم وكبارهم . فيكون كقولك : مررت برجل حسبك أبوه ، قال : ولو جعلت مكان سواء مستو لم يرفع ، ولكن نجعله متبعا لما قبله ، مخالفا لسواء ، لأن مستوى من صفة القوم ، ولأن سواء كالمصدر ، والمصدر اسم . قال : ولو نصبت الحيا والممات كان وجهها ، يريد أن نجعلهم سواء في حياهم ومماتهم .

وقال آخرون منهم : المعنى : أنه لا يساوى من اجتراح السيئات المؤمن في الحياة ، ولا الممات ، على أنه وقع موقع الخبر ، فكان خيرا لعلنا ، قال : والنصب للأخبار كما تقول : جعلت إخوانك سواء ، صغيرهم وكبيرهم ، ويجوز أن يرفع ، لأن سواء لا يصرّف . وقال : من قال : (أمَّ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فجعل كالذين الخبر استأنف بسواء ورفع ما بعدها ، وإن نصب الحيا والممات نصب سواء لا غير ، وقد تقدّم بياننا الصواب من القول في ذلك . وقوله (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) يقول تعالى ذكره : بئس الحكم الذى حسبوا أنا نجعل الذين اجتروا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، سواء حياهم ومماتهم .

القول في تأويل قول تعالى

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، وَلَتَجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) للعدل والحق ، لا لما حسب هؤلاء الجاهلون بالله ، من أنه يجعل من اجتراح السيئات ، فعصاه وخالف أمره ، كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ، في الحيا والممات ، إذ كان ذلك من فعل غير أهل العدل والإنصاف ، يقول جل ثناؤه : فلم يخلق الله السموات والأرض للظلم والجور ، ولكننا خلقناهما للحق والعدل . ومن الحق أن نخالف بين حكم المسيء والمحسن ، في العاجل والآجل .

وقوله (وَلَيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) يقول تعالى ذكره: وليثيب الله كلَّ عامل بما عمل من عمل خلق السموات والأرض، المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله، لالنبخس المحسن ثواب إحسانه، ونحمل عليه جرماً غيره، فنعاقيه، أو نجعل للمسيء ثواب إحسان غيره، فنكرمه، ولكن لنجزى كلا بما كسبت يده، وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم.

القول في تأويل قوله تعالى

أَفْرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ، وَخَمَّ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟ (٢٣)

يختلف أهل التأويل في تأويل قوله (أَفْرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) فقال بعضهم: معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ دينه بهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبته، لأنه لا يؤمن بالله، ولا يحرم ما حرم، ولا يحلل ما حكّل، إنما دينه ما هويته نفسه يعمل به.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله (أَفْرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) قال: ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (أَفْرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) قال: لا يهوى شيئاً إلا ركبته، لا يخاف الله وقال آخرون: بل معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ معبوده ما هويت عبادته نفسه من شيء.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: كانت قريش تعبد العزرى - وهو حجر أبيض - حيناً من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه، طرحوا الأوّل وعبدوا الآخر، فأنزل الله (أَفْرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ).

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوى من شيء دون إله الحق الذي له الألوهة من كل شيء، لأن ذلك هو الظاهر من معناه، دون غيره.

وقوله (وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) يقول تعالى ذكره: ونخذه عن صحجة الطريق، وسبيل الرشاد، في سابق علمه، على علم منه بأنه لا يهتدى، ولو جاءته كل آية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عَيْلِمٍ) يقول : أضله الله في سابق علمه .
وقوله (وَحَسَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ) يقول تعالى ذكره : وطبّع على سمعه أن يسمع مواعظ الله وآي كتابه ، فيعتبر بها ويتدبرها ، ويتفكر فيها ، فيعقل ما فيها من النور والبيان والهدى .
وقوله (وَقَلْبِهِ) يقول : وطبع أيضا على قلبه ، فلا يعقل به شيئا ، ولا يعي به حقا .
وقوله (وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً) يقول : وجعل على بصره غشاوة أن يبصر به حجج الله ، فيستدلّ بها على وحدانيته ، ويعلم بها أن لا إله غيره .
واختلفت القراء في قراءة قوله (وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً) فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (غِشَاوَةً) بكسر الغين ، وإثبات الألف فيها ، على أنها اسم ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (غَشْوَةٌ) بمعنى : أنه غشاها شيئا في دفعة واحدة ، ومرّة واحدة ، بفتح الغين بغير ألف ، وهما عندى قراءتان صحيحتان ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .
وقوله (فَهَسَّ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : فن يوفقه لإصابة الحقّ ، وإبصار محجة الرشد ، بعد إضلال الله إياه ؟ (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) أيها الناس ، فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا ، فلن يهتدى أبدا ، ولن يجد لنفسه وليا مرشدا .

القول في تأويل قول تعالى

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون الذين تقدّم خبره عنهم : ما حياة إلحياتنا الدنيا التي نحن فيها ، لإحياة سواها ، تكذيبا منهم بالبعث بعد الممات .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) : أي لعمرى ، هذا قول مشركى العرب .

وقوله (نَمُوتُ وَنَحْيَا) نموت نحن ونحيا أبناؤنا بعدنا ، فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم ، لأنهم منهم وبعضهم ، فكأنهم بحياتهم أحياء ، وذلك نظير قول الناس : مامات من خلتف ابنا مثل فلان ، لأنه بحياة ذكره به كأنه حى غير ميت . وقد يحتمل وجهها آخر ، وهو أن يكون معناه : نحيا ونموت على وجه تقديم الحياة قبل الممات ، كما يقال : قمت وقعدت ، بمعنى : قعدت وقمت ؛ والعرب تفعل ذلك في الواو خاصة ، إذا أرادوا الخبر عن شيئين أنهما كانا أو يكونان ، ولم تقصد الخبر عن كون أحدهما قبل الآخر ، تقدم المتأخر حدوثا على المتقدم حدوثه منهما أحيانا ، فهذا من ذلك ، لأنه لم يقصد فيه إلى الخبر عن كون

الحياة قبل الممات ، فقدّم ذكر الممات قبل ذكر الحياة ، إذ كان القصد إلى الخبر عن أنهم يكونون مرّة أحياء وأخرى أمواتا .

وقوله (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا : وما يهلكنا فيفينا إلا مرّ الليل والأيام وطول العمر ، إنكارا منهم أن يكون لهم ربّ يفنيهم ويهلكهم . وقد ذُكر أنها في قراءة عبد الله (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا دَهْرٌ يَمُرُّ) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) قال : الزمان .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) قال ذلك مشركو قريش (مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) : إلا العمر .
وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الشرك كانوا يقولون : الذي يهلكنا ويفينا الدهر والزمان ، ثم يَسْبُون ما يفنيهم ويهلكهم ، وهم يرون أنهم يَسْبُون بذلك الدهر والزمان ، فقال الله عزّ وجلّ لهم : أنا الذي أفنيكم وأهلككم ، لا الدهر والزمان ، ولا علم لكم بذلك .

ذكر الرواية بذلك عن قاله

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « كان أهل الجاهلية يتقولون : إِنَّمَا يُهْلِكُنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَهُوَ الَّذِي يُهْلِكُنَا وَيُمَيِّتُنَا وَيُحْيِينَا ، فقال الله في كتابه : (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ، وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) قال : فَيَسْبُونُ الدَّهْرَ ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يُوْذِيْنِي ابْنُ آدَمَ يَسْبُ الدَّهْرَ ، وَأَنَا الدَّهْرُ ، بِيَدِي الْأَمْرُ ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » .

حدثنا عمران بن بكار الكُلاعي ، قال : ثنا أبو رُوْح ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : قال أبو هريرة ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى : يَسْبُ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ ، وَأَنَا الدَّهْرُ ، بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يَقُولُ اللَّهُ اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي ، وَسَبَّتْنِي عَبْدِي ، يَقُولُ : وَأَدَّهْرَاهُ ، وَأَنَا الدَّهْرُ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الزهري ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله قال : لا يَقُولُنَّ أَحَدُكُمْ : يا حَيْبَةَ الدَّهْرِ ، فإني أنا الدَّهْرُ ، أَقَلُّبُ لَيْلَتِهِ وَنَهَارُهُ ، وَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا » .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام ، عن أبي هريرة قال : « لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، فإنَّ الله هُوَ الدَّهْرُ ، وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ » يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء المشركين القائلين : ما هي إلهياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر ، بما يقولون من ذلك من علم : يعني من يقين علم ، لأنهم يقولون ذلك تحريصا بغير خبر أتاهم من الله ، ولا برهان عندهم بحقيقته (إن هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) يقول جل ثناؤه : ما هم إلا في ظنٍّ من ذلك ، وشكَّ يخبر عنهم أنهم في حيرة من اعتقادهم حقيقة ما ينطقون من ذلك بالسنتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا : أَئِتُونَا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : وإذا تتلى على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث آياتنا ، بأن الله باعث خلقه من بعد مماتهم ، فجامعهم يوم القيامة عنده للثواب والعقاب (بَيِّنَاتٍ) يعني : واضحات جليات ، تنفي الشكَّ عن قلب أهل التصديق بالله في ذلك (مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَئِتُونَا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول جل ثناؤه : لم يكن لهم حجة على رسولنا الذي يتلو ذلك عليهم إلا قولهم له : ائتنا بآياتنا الذين قد هلكوا أحياء ، وانشروهم لنا إن كنت صادقاً فيما تتلو علينا وتخبرنا ، حتى نصدق بحقيقة ما تقول بأن الله باعثنا من بعد مماتنا ، ومحيينا من بعد فنائنا .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَرْبَبَ فِيهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث ، القائلين لك ائتنا بآياتنا إن كنت صادقاً : الله أيها المشركون يحييكم ما شاء أن يحييكم في الدنيا ، ثم يميتكم فيها إذا شاء ، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة ، يعني أنه يجمعكم جميعاً أولكم وآخركم ، وصغيركم وكبيركم (إلى يوم القيامة) . يقول : ليوم القيامة ، يعني أنه يجمعكم جميعاً أحياء ليوم القيامة (لَأَرْبَبَ فِيهِ) يقول : لاشكَّ فيه ، يقول : فلا تشكُّوا في ذلك ، فإن الأمر كما وصفت لكم (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر الناس الذين هم أهل تكذيب بالبعث ، لا يعلمون حقيقة ذلك ، وأن الله يحييهم من بعد مماتهم .

القول في تأويل قول تعالى

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : والله سلطان السموات السبع والأرض ، دون ما تدعونه له شريكا ، وتعبدونه من دونه ، والذي تدعونه من دونه من الآلهة والأنداد في ملكه وسلطانه ، جارٍ عليه حكمه ، فكيف يكون ما كان كذلك له شريكا ، أم كيف تعبدونه ، وتركون عبادة مالكمم ، ومالك ما تعبدونه من دونه؟ (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يقول تعالى ذكره : ويوم تجيء الساعة التي يُنْشِرُ اللهُ فيها الموتى من قبورهم ، ويجمعهم لموقف العرض ، (يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ) : يقول : يُغْتَبِنُ فيها الذين أبطلوا في الدنيا في أقوالهم ودعواهم لله شريكا ، وعبادتهم آلهة دونه ، بأن يفوز بمنزلهم من الجنة المحقّقون ، ويبدّلوا بها منازل من النار كانت للمحقّقين ، فجعلت لهم بمنزلهم من الجنة ، ذلك هو الحسran المبين .

القول في تأويل قول تعالى

وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً ، كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : وترى يا محمد يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جائية : يقول : مجتمعة مستوفزة على ركبها من هول ذلك اليوم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً) قال : على الركب مستوفزين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً) قال : هذا يوم القيامة جائية على ركبهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً) يقول : على الركب عند الحساب .

وقوله (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) يقول : كل أهل ملة ودين تُدْعَى إلى كتابها الذي أمّلت على حفظها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) يعلمون أنه ستدعى أمة قبل أمة ، وقوم قبل قوم ، ورجل قبل رجل . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يُمَثَّلُ لِكُلِّ أُمَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ حَجَرٍ ، أَوْ وَتَنٍ أَوْ خَشَبَةٍ ، أَوْ دَابَّةٍ ، ثُمَّ يُقَالُ : مَنْ كَانَ يَعْْبُدُ شَيْئًا فَلْيَسْتَبِعْهُ ، فَتَكُونُ ، أَوْ يُجْعَلُ تِلْكَ الْأَوْتَانُ قَادَةَ إِلَى النَّارِ حَتَّى تَقْدِفَهُمْ فِيهَا ، فَتَسْبِقِي أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »

وأهل الكتاب ، فيقول لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد الله وعزيراً ، إلا قليلاً منهم ، فيقال لها : أما عزير فلكبش منكم ولستم منه ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فينطلقون ولا يستطيعون مكوثاً ، ثم يدعى بالنصارى ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد الله والمسيح إلا قليلاً منهم ، فيقال : أما عيسى فليس منكم ولستم منه ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فينطلقون ولا يستطيعون مكوثاً ، وتبقي أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد الله وحده ، وإيماننا فارقتا هؤلاء في الدنيا تخافة يومنا هذا ، فيؤذن للمؤمنين في السجود ، فيسجد المؤمنون ، وبين كل مؤمن منافق ، فيقتسو ظهراً المنافق عن السجود ، ويجعل الله سجود المؤمنين عليه توبيخاً وصغاراً وحسرةً وتدأمة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الزهري ، عن عطاء بن يزيد الليثي ، عن أبي هريرة ، قال : « قال الناس : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضامون في الشمس ليس دونها سحاب ، قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك ، يجمع الله الناس فيقول : من كان يعبد شيتاً فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد القمر القمر ، ومن كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقي هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتهم ربهم في صورة ، ويضرب جسر على جهنم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأكون أول من يجيز ، ودعوة الرسل يومئذ : اللهم سلم اللهم سلم ، وبها كلاليب كشوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم أحد قدر عظمها إلا الله ، ويخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المخردل ، ثم ينجو ، ثم ذكر الحديث بطوله . وقوله (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) يقول تعالى ذكره : كل أمة تدعى إلى كتابها ، يقال لها : اليوم تجزون : أي تثابون وتعطون أجور ما كنتم في الدنيا من جزاء الأعمال تعملون ، بالإحسان الإحسان ، وبالإساءة جزاءها .

القول في تأويل قوله تعالى

هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ، إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : لكل أمة دعيت في القيامة إلى كتابها الذي أمّلت على حفظها في الدنيا (اليوم

مُجْرَؤُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فلا تجزعوا من ثوابناكم على ذلك ، فإنكم ينطق عليكم إن أنكرتموه بالحق فاقروه (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : إنا كنا نستكتب حفظنا أعمالكم ، فكتبها في الكتب وتكتبها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن عطاء بن ميسم ، عن ابن عباس (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) قال : هو أم الكتاب ، فيه أعمال بني آدم (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) قال : نعم الملائكة يستسخون أعمال بني آدم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، قال : ثنى أخى عيسى بن عبد الله بن ثابت التمثالي ، عن ابن عباس ، قال : « إن الله خلق النون وهى الدواة ، وخلق القلم ، فقال : اكتب ، قال : ما أكتب ، قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول ، بئر أو فجور ، أو رزق مقسوم ، حلال أو حرام ، ثم أزم كل شئ من ذلك شأنه : دخوله في الدنيا ، ومقامه فيها كم ؟ وخروجه منها كيف ، ثم جعل على العباد حفظة ، وعلى الكتاب خزانا ، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم ، فإذا فنى الرزق وانقطع الأثر ، وانقضى الأجل ، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم ، فتقول لهم الخزنة : ما نجد لصاحبكم عندنا شيئا ، فترجع الحفظة ، فيجدونهم قد ماتوا ، قال : فقال ابن عباس : ألسم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) وهل يكون الاستساح إلا من أصل » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن الحكم ، عن ميسم ، عن ابن عباس (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) قال : الكتاب : الذكر (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) قال : نستسخ الأعمال .

وقال آخرون في ذلك ما حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا النضر بن إسماعيل ، عن أبي سنان الشيباني ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن أبي عبد الرحمن السلمى ، عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : « إن لله ملائكة ينزلون في كل يوم بشئ يكتبون فيه أعمال بني آدم » .

وقوله (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) يقول تعالى ذكره : فأما الذين آمنوا بالله في الدنيا فوحدوه ، ولم يشركوا به شيئا ، (وعملوا الصالحات) . يقول : وعملوا بما أمرهم الله به ، وانتهوا عما نهاهم الله عنه (فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) يعنى في جنته برحمته .
وقوله (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) يقول : دخولهم في رحمة الله يومئذ هو الظفر بما كانوا يطلبونه ، وإدراك ما كانوا يسعون في الدنيا له ، المبين غايتهم فيها ، أنه هو الفوز .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتلى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ (٣١)

يقول تعالى ذكره : وأما الذين جحدوا وحدانية الله ، وأبوا إفراده في الدنيا بالآلوهة ، فيقال لهم : ألم تكن آياتي في الدنيا تتلى عليكم .

فإن قال قائل : أو ليست أمّا تجاب بالفاء ، فأين هي ؟ فإن الجواب أن يقال : هي الفاء التي في قوله (أفَلَمْ) . وإنما وجه الكلام في العربية لو نطق به على بيانه وأصله ، أن يقال : وأما الذين كفروا ، فلم تكن آياتي تتلى عليكم ، لأن معنى الكلام : وأما الذين كفروا فيقال لهم ألم ، فوضع الفاء في ابتداء المحذوف الذي هو مطلوب في الكلام ، فلما حذفت يقال : وجاءت ألف استفهام ، حكمها أن تكون مبتدأة بها ، ابتدئ بها وجعلت الفاء بعدها ، وقد تسقط العرب الفاء التي هي جواب « أما » في مثل هذا الموضع أحيانا إذا أسقطوا الفعل الذي هو في محلّ جواب أما . كما قال جل ثناؤه (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) فحذفت الفاء ، إذ كان الفعل الذي هو في جواب أما محذوفا وهو فيقال ، وذلك أن معنى الكلام : فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم : أكفرتم ، فلما أسقطت ، يقال الذي به تتصل الفاء سقطت الفاء التي هي جواب أما .

وقوله (فاستكبرتم) يقول : فاستكبرتم عن استماعها والإيمان بها (وكنتم قوماً مجرمين) يقول : وكنتم قوماً تكسبون الآثام والكفر بالله ، لاتصدقون بمعاد ، ولا تؤمنون بثواب ولا عقاب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ ، إِنْ نَظُنُّ إِلَّا

ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : ويقال لهم حينئذ : (وَإِذَا قِيلَ) لكم (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) الذي وعد عباده ، أنه محييهم من بعد مماتهم ، وباعثهم من قبورهم (حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ) التي أخبرهم أنه يقيمها لحشرهم ، وجمعهم للحساب والثواب على الطاعة ، والعقاب على المعصية ، آتية (لَارَيْبَ فِيهَا) يقول : لاشكّ فيها ، يعني في الساعة ، والهاء في قوله (فِيهَا) من ذكر الساعة . ومعنى الكلام : والساعة لا ريب في قيامها ، فاتقوا الله وآمنوا بالله ورسوله ، واعملوا لما ينجيكم من عقاب الله فيها (قُلْتُمْ) ما نَدْرِي ما السَّاعَةُ (تكذبا منكم بوعد الله جل ثناؤه ، وردّ الخيره ، وإنكارا لقدرته على إحيائكم من بعد مماتكم .

وقوله (إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) يقول : وقلم ما نظنّ إن الساعة آتية إلا ظنا (وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ) أنها جائية ، ولا أنها كائنة .

واختلفت القرآء في قراءة قوله (وَالسَّاعَةُ لَارَيْبَ فِيهَا) فقرأت ذلك عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض قرآء الكوفة و (السَّاعَةُ) رفعا على الابتداء . وقرآته عامة قرآء الكوفة (وَالسَّاعَةُ) نصبا عطفها بها على قوله (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) .

والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار، صحيحتا المخرج في العربية، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب.

القول في تأويل قوله تعالى

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره: وبدا لهؤلاء الذين كانوا في الدنيا يكفرون بآيات الله سيئات ما عملوا في الدنيا من الأعمال، يقول: ظهر لهم هنالك قبائحها وشرارها، لما قرءوا كتب أعمالهم التي كانت الحافظة تنسخها في الدنيا، (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول: وحق بهم من عذاب الله حينئذ ما كانوا به يستهزئون إذ قيل لهم: إن الله محله بمن كذب به، على سيئات ما في الدنيا عملوا من الأعمال.

القول في تأويل قوله تعالى

وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ

نَاصِرِينَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره: وقيل لهؤلاء الكفرة الذين وصف صفتهم: اليوم نترككم في عذاب جهنم، كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا.

كما حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ) نترككم. وقوله (وَمَاْوَاكُمُ النَّارُ) يقول: وماؤاكم التي تأوون إليها نار جهنم، (وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ) يقول: وما لكم من مستنقذ ينقذكم اليوم من عذاب الله، ولا منتصر ينتصر لكم ممن يعدّ بكم، فيستنقذ لكم منه.

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا، وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا

وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هذا الذي حلّ بكم من عذاب الله اليوم (بِأَنَّكُمْ) في الدنيا (اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا)، وهي حججه وأدلته وآي كتابه، التي أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم (هُزُوءًا) يعني سخرية تسخرون منها (وَوَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) يقول: وخدعتكم زينة الحياة الدنيا، فأثرتموها على العمل لما ينجيكم اليوم من عذاب الله، يقول تعالى ذكره: (فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا) من النار (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) يقول: ولا هم يردّون إلى الدنيا ليتوبوا ويراجعوا الإنابة مما عوقبوا عليه.

القول في تأويل قوله تعالى

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧) .

يقول تعالى ذكره : (فَبِاللَّهِ الْحَمْدُ) على نِعَمه وأياديه عند خلقه ، فإياه فاحمدوا أيها الناس ، فإن كل ما بكم من نعمة فمنه دون ما تعبدون من دونه من آلهة ووثن ، ودون ما تتخذونه من دونه ربا ، وتشركون به معه (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ) يقول : مالك السموات السبع ، ومالك الأرضين السبع و (رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : مالك جميع ما فيهن من أصناف الخلق ، وله الكبرياء في السموات والأرض ، يقول : وله العظمة والسلطان في السموات والأرض دون ما سواه من الآلهة والأنداد (وَهُوَ الْعَزِيزُ) في نعمته من أعدائه ، القاهر كل مادونه ، ولا يقهره شيء (الْحَكِيمُ) في تدبيره خلقه ، وتصريفه إياهم فيما شاء كيف شاء . والله أعلم .

آخر تفسير سورة الجاثية







Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

New York University



31142007192035